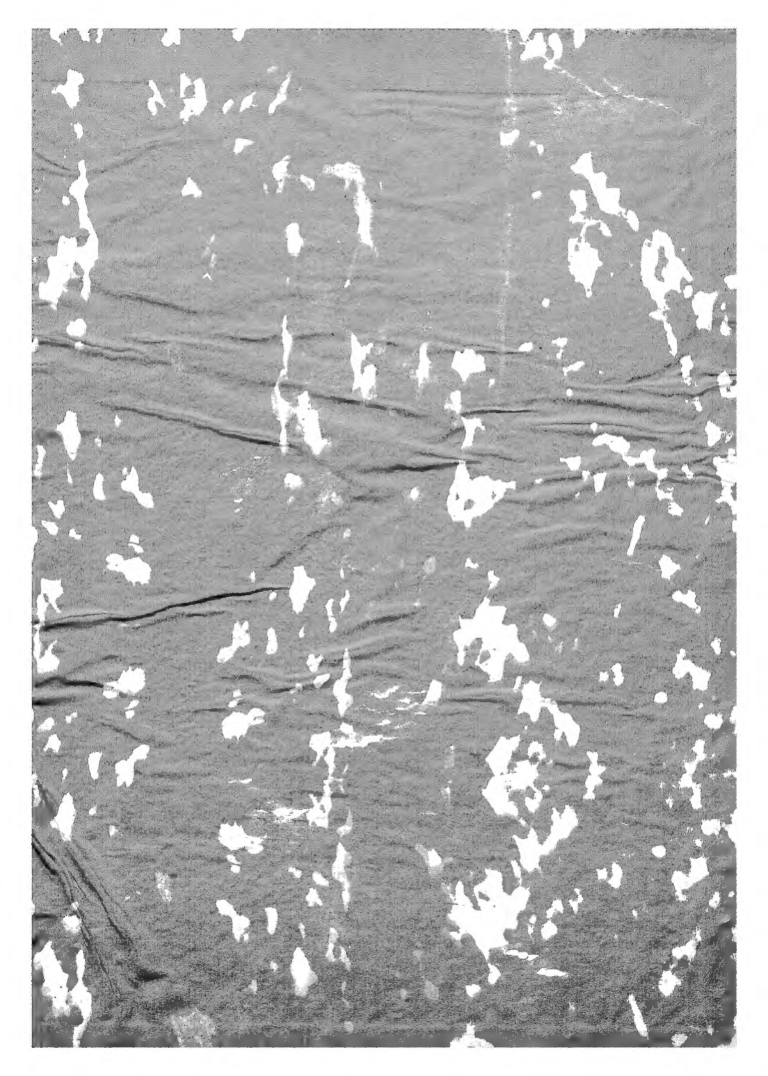






إهـــــــداء٢٠٠٦
المرحوم / علي حسن عبد الكافي
الإسكندرية

مراح لبيد ـ تفسير النووى

التفسير المنير لمعالم التنزيل . المسفر عن وجوه محاسن التأويل . المسمى
طبقا لمعناه مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد لجامعه العالم
النحرير . وعلم الفضل الشهير . المتحلى بكريم الشيم
ومهابة الاعزاز . العلامة الشيخ محمد نووى الجاوى
سيد علماء الحجاز . نفع الله تعالى به
المسلمين . وجعلنا وإياه من
خيار أحبته المقبولين
آمـــين

﴿ وبهامشه كتاب الوجيز . فى تفسير القرآن العزيز . للامام أبى الحسن على بن
أحمد الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه آمين ﴾

الجزء الثانى

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية
لأصحابها عيسى البابى الحلبى وشركاه

﴿ سورة مريم مكية . وهى ثمان وتسعون آية . وكلماتها تسعمائة واثنتان وستون .
وحروفها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وحرفان ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(كهيعص) وهومن المتشابه الذى انفرد الله تعالى بعلمه وقيل هو ثناء من الله على نفسه وهو وصفه تعالى بأنه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بأمرهم صادق فى وعده (ذكر رحمة ربك) فان جعلت كهيعص اسما للسورة على ماعليه اتفاق أكثر العلماء فهى مبتدأ وخبره ذكر أى المسمى بكهيعص ذكر رحمة ربك (عبده زكريا) أى اصابة الله رحمته عبده زكريا (اذنادى ربه نداء خفيا) فانه أدخل فى الاخلاص وأبعد من الرياء وأقرب الى الخلاص عن لوم الناس على طلب الولد فى زمان الشيخوخة (قال رب انى وهن العظم منى) أى ضعف بدنى وانما أسند الضعف الى العظم لانه دعامة الجسد فاذا ضعف كان غيره أضعف (واشتعل الرأس شيبا) أى أخذ رأسى شمطا وقد صار مثل شواظ النار (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى ولم أكن بدعائى اياك يارب خائبا فى وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لى وقد توسل سيدنا زكريا عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة بعد ذكرما يتسبب للرأفة من كبر السن وضعف الحال (وانى خفت الموالى) أى الذين يخلفونى فى السياسة وفى القيام بأمر الدين (من ورائى) أى بعد موتى وهم بنو عمه عليه السلام وكانوا أشرار بنى اسرائيل فخاف عليه السلام أن لايحسنوا خلافته فى أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله من ورائى متعلق بمحذوف أى فعل الموالى أوجور الموالى لابخفت لفساد المعنى (وكانت امرأتى عاقرا) أى لاتلد من حين شبابها (فهب لى من لدنك) أى اعطنى من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة (وليا) أى ولدا من صلبى (يرثنى) من حيث العلم والدين والنبوة (ويرث) الملك (من آل يعقوب) بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام لأن زوجة زكريا هى أخت مريم وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذ بن يعقوب أما زكريا فهو من ولد هرون أخى موسى وهما من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحاق وقرأ أبو عمرو والكسائى يرث فى الكلمتين بالجزم على جواب الأمر والباقون بالرفع على انه صفة (واجعله رب رضيا) أى مرضيا عندك قولا وفعلا قال تعالى بواسطة الملك جبريل (يازكريا انا نبشرك بغلام) أى ولد يرث العلم والنبوة فى حياتك فانه قتل قبل موت أبيه (اسمه يحيى) لاحيائه رحم أمه بعد موته بالعقم (لم نجعل له من قبل سميا) أى شريكا له فى الاسم حيث لم يكن قبل يحيى أحد يسمى بيحيى

(كهيعص) معناه الله كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بريته صادق فى وعده (ذكر) أى هذا الذى أنزلت عليك ذكر (رحمة ربك عبده زكريا) أى باجابة دعائه لما دعاه وهو قوله (اذ نادى) أى دعا (ربه نداء خفيا) أى سرا لم يطلع عليه غير الله (قال رب انى وهن العظم) أى ضعف العظم (منى) أى عظمى (واشتعل الرأس شيبا) أى وكثر شيب رأسى جدا (ولم أكن بدعائك) أى بدعائى اياك (رب شقيا) أى كنت مستجاب الدعوة قد عودتنى الاجابة (وانى خفت الموالى) أى الأقارب وبنى العم والعصبة (من ورائى) أى من بعدى أن لايحسنوا الخلافة لى فى دينك (وكانت امرأتى) أى فيما مضى من الزمان (عاقرا) أى لم تلد لى (فهب لى من لدنك وليا) أى ابنا صالحا (يرثنى ويرث من آل يعقوب) يعنى العلم والنبوة (واجعله رب رضيا) أى مرضيا فاستجاب الله دعاءه وقال (يازكريا انا نبشرك بغلام) أى ولد ذكر (اسمه يحيى) لأنه يحيا بالعلم والطاعة (لم نجعل له من قبل سميا) أى لم نسم أحدا بهذا الاسم قبله فأحب زكريا أن يعلم من أى جهة يكون له الولد ومثل امرأته لاتلد ومثله لايولد له

(قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يبوسا وانتهاء فى السن (قال) جبريل (كذلك) أى الأمر كما قيل لك (قال ربك هو على هين) أى أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وأفتق رحم امرأتك (٣) بالولد (وقد خلقتك من قبل) أى من قبل يحيى (ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية) أى على حمل امرأتى (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى تمنع الكلام وأنت سوى صحيح فتعلم بذلك أن الله قد وهب لك الولد (فخرج على قومه) وذلك أنهم كانوا ينتظرونه فخرج عليهم ولم يقدر أن يتكلم (فأوحى اليهم) أى أشار اليهم (أن سبحوا) أى صلوا لله (بكرة وعشيا) فوهبناه وقلنا له (يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى أعطيتكها وقويتك على حفظها والعمل بما فيها (وآتيناه الحكم صبيا) أى النبوة فى صباه (وحنانا) أى وآتيناه حنانا أى رحمة (من لدنا وزكاة) أى تطهيرا وقوله (جبارا) أى قتالا متكبرا (عصيا) أى عاصيا لربه (وسلام عليه) أى سلامة له منا فى الأحوال التى ذكرها يريد أن الله تعالى سلمه فى هذه الأحوال (واذكر) يا محمد (فى الكتاب مريم اذ انتبذت) أى تنحت (من أهلها مكانا شرقيا) أى من جانب الشرق وذلك أنها أرادت الغسل من الحيض فاعتزلت فى ناحية شرقية من الدار (فاتخذت من دونهم حجابا) أى تسترت به عنهم (فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبريل (فتمثل) أى فتصور (لها بشرا) آدميا (سويا) أى تام الخلق (قالت انى أعوذ بالرحمن منك) أيها البشر (ان كنت تقيا) أى مؤمنا مطيعا فستنتهى عنى بتعوذى بالله منك

وقيل أى شبيها فى الفضل والكمال فانه لم يعص ولم يهم بمعصية من حال الصغر وانه صار سيد الشهداء على الاطلاق (قال) زكريا (رب أنى يكون لى غلام) أى من أين يكون لى ولد (وكانت امرأتى عاقرا) أى والحال أنه قد صارت امرأتى لم تلد قط (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يبوسا وقرأ أبى ابن كعب وابن عباس عسيا بالسين غير المعجمة (قال) أى الله تعالى (كذلك) أى الأمر ذلك الوعد من خلق غلام منكما وأنتما على حالكما (قال ربك هو) أى خلق يحيى منكما على حالتكما (على) خاصة (هين) وان كان فى العادة مستحيلا (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) أى وقد أوجدتك يا زكريا من قبل يحيى والحال أنك اذ ذاك عدم بحت وقرأ حمزة والكسائى خلقناك (قال رب اجعل لى آية) أى علامة تدلنى على حصول حبل امرأتى (قال) أى الله تعالى (آيتك) على تحقق المسئول (أن لا تكلم الناس) أى أن لا تقدر على أن تكلم الناس (ثلاث ليال) مع أيامهن (سويا) أى حال كونك سليم الجوارح لم يحدث بك مرض ولا خرس (فخرج على قومه من المحراب) أى من المصلى وهم اجتمعوا ينتظرون فتح الباب ليصلوا فيه باذنه على العادة فخرج اليهم للاذن وهو لا يتكلم متغيرا لونه فأنكروه فقالوا مالك يانبى الله (فأوحى اليهم) أى أشار اليهم (أن سبحوا بكرة وعشيا) أى صلوا صلاة الفجر وصلاة العصر قال الله تعالى ليحيى بعدما بلغ (يايحيى خذ الكتاب بقوة) أى اعمل بما فى التوراة بجد (وآتيناه الحكم) أى الفهم فى التوراة والفقه فى الدين (صبيا) أى فى صغره وعن بعض السلف من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صبيا روى انه عليه السلام دعاه الصبيان الى اللعب فقال ماللعب خلقنا (وحنانا من لدنا وزكاة) أى وأعطينا تعطفا من عندنا على يحيى حيث جعلناه نبيا وهو صغير وتشريفا له و يقال وأعطينا يحيى رحمة من لدنا على زكريا وتزكية له عن أن يصير مردود الدعاء ويقال وأعطينا يحيى تعطفا منا على أمته لعظم انتفاعهم بارشاده وتوفيقا للتصدق عليهم وتطهيرا منا عن الالتفات لغيرنا (وكان تقيا) بطبعه ومن جملة تقواه انه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لدمعه مجار على خده (و برا بوالديه) أى لطيفا بهما محسنا اليهما (ولم يكن جبارا) أى متكبرا فى دينه (عصيا) أى عاصيا لربه عاقا بوالديه (وسلام عليه) أى أمان من الله تعالى على يحيى (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتنة القبر (ويوم يبعث) من القبر (حيا) من هول القيامة وهذا تنبيه على كونه عليه السلام من الشهداء (واذكر) يا أكرم الرسل للناس (فى الكتاب) أى هذه السورة (مريم) أى قصتها (اذ انتبذت) أى اعتزلت (من أهلها مكانا شرقيا) أى شرقى بيت المقدس وشرقى دارها لتتخلى هناك للعبادة (فاتخذت من دونهم حجابا) أى فأرخت لأجل منع رؤية أهلها سترا لتغتسل من حيضها (فأرسلنا اليها روحنا) رسولنا جبريل (فتمثل لها) بعد فراغها من الاغتسال و بعد لبسها ثيابها (بشرا سويا) أى لم ينقص من الصورة البشرية شيئا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فلما طهرت وهى فى مغتسلها أتاها جبريل بعد لبسها ثيابها فى صورة آدمى شاب أمرد وضىء الوجه جعد الشعر كامل البدن لم ينقص من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى (قالت) أى مريم (انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أى مطيعا لله يرجى منك أن تتقى الله و يحصل ذلك بالاستعاذة به فانى

عائذة به منك وقيل كان فى ذلك الزمان رجل فاجر اسمه تقى يتبع النساء فظنت مريم أن ذلك الشاهد هو ذلك التقى فمن ذلك تعوذت منه وخصت الرحمن بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه (قال) لها جبريل (انما أنا رسول ربك) الذى استعذت به (لأهب لك غلاما زكيا) أى لأكون سببا فى هبة ولد طاهر من الذنوب بالنفخ فى الدرع قرأ نافع وأبو عمرو ليهب بياء مفتوحة بعد اللام أى ليهب الرب لك ولدا ذكرا مترقيا من سن الى سن على الخير (قالت) مريم لجبريل (أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) أى من أين يكون لى ولد كما وصفت والحال أنه لم يباشرنى رجل بنكاح (ولم أك بغيا) أى فاجرة تبغى الرجال (قال) لها جبريل (كذلك) أى الأمر كما قلت لك (قال ربك) الذى أرسلنى اليك (هو) أى هبة الولد من غير أن يمسك بشر أصلا (على) خاصة (هين) وان كان مستحيلا عادة لأنى لا أحتاج الى الوسائط (ولنجعله) أى وهب الولد من غير أب (آية للناس) أى برهانا لهم يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك. وبهذا تمام الأنواع الأربعة فى خلق البشر فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر وأنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية البشر من ذكر وأنثى معا (ورحمة) عظيمة كائنة (منا) عليهم يهتدون بهدايته (وكان) أى خلق الولد بلا أب (أمرا مقضيا) أى لا يتغير فلو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال وجميع الممكنات منتهية فى سلسلة القضاء الى واجب الوجود واذا كان الأمر كذلك فلا فائدة فى الحزن وهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب (فحملته) أى فنفخ جبريل فى طوق قميصها نفخة وصلت الى فرجها ودخلت منه جوفها فحملته فى الحال (فانتبذت به) أى فاعتزلت وهو فى بطنها (مكانا قصيا) أى بعيدا من الناس قال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان يوسف ومريم يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم فى أهل زمانهما أحد أشد عبادة منهما وأول من علم حمل مريم هو يوسف فتحير فى أمرها فكلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فأول ما تكلم به أن قال قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان الكلام فيه أشفى لصدرى فقالت قل قولا جميلا قال اخبرينى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذى أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها فقال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب فلما دنت ولادتها أوحى الله اليها أن اخرجى من أرض قومك فخرجت أقصى الدار (فأجاءها المخاض) أى فألجأها وجع الولادة (الى جذع النخلة) أى الى أصل نخلة يابسة لا رأس لها وكان الوقت شتاء شديد البرد فلما اعتمدت عليه بصدرها اخضر وأطلع الجريد والخوص والثمر رطبا فى وقت واحد كما أن حمل عيسى وتصويره وولادته فى وقت واحد وكأن الله أرشدها الى النخلة ليريها من آياته ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذى هو أشد الأشياء موافقة للنفساء فهو خرسة لها ولأن النخلة من أقل الأشجار صبرا على البرد ولأنها لا تثمر الا عند اللقاح من ذكر النخل واذا قطعت رأسها ماتت فكأنه

(قال) جبريل (انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) أى ولدا صالحا نبيا (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) أى ليس لى زوج (ولم أك بغيا) أى ولست بزانية (قال كذلك) أى الأمر كما وصفت لك (قال ربك هو على هين) أى أن أهب لك غلاما من غير أب (ولنجعله آية) أى علامة للناس على قدرة الله (ورحمة منا) أى لمن تبعه على دينه (وكان) ذلك (أمرا مقضيا) أى قضيت به فى سابق علمى فرفع جبريل درعها فنفخ فى جيبها فحملت بعيسى فذلك قوله (فحملته فانتبذت به) أى تباعدت بالحمل (مكانا قصيا) أى بعيدا من أهلها فى أقصى وادى بيت لحم وذلك أنها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة (فأجاءها) أى جاء بها (المخاض) وهو وجع الولادة (الى جذع النخلة) وذلك أنها حين أخذها الطلق صعدت أكمة واذا عليها جذع نخلة وهو ساقها ولم يكن لها سعف فسارت اليها

تعالى قال كما أن الأنثى لا تلد إلا مع الذكر فكذا النخلة لا تثمر إلا عند اللقاح ثم أنى أظهر الرطب من غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر فحملها بمجرد هزها أنسب شيء بآتيانها بولد من غير والد (قالت) لما خافت أن يظن بها السوء في دينها فيقع في المعصية من يتكلم فيها وهي راضية بما بشرها به جبريل (يا) أي أنبهك يا مخاطب (ليتني مت قبل هذا) الوقت الذي فيه الأمر العظيم وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي مت بكسر الميم والباقون بالضم (وكنت نسيا) أي شيئا تافها لا يعتد به أصلا كخرقة الطمث ونحوها وقرأ حفص وحمزة وابن وثاب والأعمش بفتح النون والباقون بالكسر وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وبهما وهو الحليب المخلوط بالماء الكثير ينساه أهله لقلته واستهلاكه في الماء (منسيا) أي متروكا لم يذكر بالبال وهو نعت للمبالغة وهذا جرى على عادة الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم فإنهم يقولون مثل ذلك كما روي عن أبي بكر أنه نظر إلى طائر على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجرة وتأكل من الثمر وددت أني ثمرة ينقرها الطائر وعن عمر أنه أخذ تبنة من الأرض فقال ياليتني هذه التبنة ولم أك شيئا وعن علي أنه قال يوم الجمل ياليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال أنه قال ليت بلالا لم تلده أمه وقرأ الأعمش منسيا بكسر الميم اتباعا للسين (فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بمن الجارة أي فناداها جبريل من مكان أسفل منها تحت الأكمة أي لا تحزني يا مريم على ولادة عيسى قد جعل ربك بمكان أسفل منك أو قريب منك نهرا صغيرا أو إنسانا شريفا جليلا ويدل على ذلك قراءة ابن عيسى فناداها ملك من تحتها ويقال فناداها المولود كائنا من تحت ذيلها أي لا تحزني يا أمي قد جعل ربك تحتك جدولا يجري ويمسك بأمرك أو نبيا مرتفع القدر وقرأ الباقون بمن الموصولة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها بفتح الميم أي فناداها عيسى الذي كان تحت ذيلها أي لا تحزني قد جعل ربك تحتك رئيسا عزيزا لا يكاد يوجد له نظير أو جدولا بضرب جبريل الأرض برجله ويقال فناداها جبريل من تحتها يقبل الولد كالقابلة أو من تحت النخلة بأن لا تحزني قد جعل ربك قربك عين ماء عذب تعظيما لشأنك فإن الله تعالى أرسل جبريل إليها ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل إليها في أول الأمر ليكون ذلك تذكيرا لها ما تقدم من أصناف البشارات أو يقال ان الله تعالى أنطق عيسى لها حين وضعته تطييبا لقلبها وإزالة للوحشة عنها حتى تشاهد في أول الأمر ما بشرها به جبريل من علو شأن ذلك الولد كما قال الحسن بن علي رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام لو لم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق فما كانت تشير إلى عيسى بالكلام وحمل فاعل نادى على عيسى أقرب (وهزي إليك بجذع النخلة) أي حركي أصل النخلة تحريكا عنيفا إلى جهتك (تساقط عليك) أي تسقط النخلة عليك إسقاطا متواترا بحسب تواتر الهز (رطبا جنيا) أي طريا استحق أن يجنى وقرأ حمزة بفتح التاء والسين مخففة وفتح القاف وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف والباقون بفتح التاء وتشديد السين وفتح القاف (فكلي واشربي) أي فكلي من الرطب واشربي من النهر أو كلي من الرطب واشربي من عصيره (وقري عينا) أي طيبي نفسا بولدك عيسى فالعين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره وإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال للمحبوب قرة العين وللمكروه سخنة العين (فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) أي فإن تري يا مريم أحدا من الآدميين فيسألك عن ولدك فقولي له إن استنطقك إني نذرت للرحمن صمتا فلن أكلم اليوم آدميا بعد أن أخبرتك بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي وإنما منعت مريم من الكلام ليكون عيسى المتكلم عنها فيكون أقوى لحجتها في إزالة التهمة عنها ولكراهة مجادلة السفهاء (فأتت به قومها تحمله) أي فجاءتهم مع ولدها

و(قالت) جزعا مما أصابها (ياليتني مت قبل هذا) اليوم وهذا الأمر (وكنت نسيا منسيا) أي شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر فلما رأى جبريل حالها وسمع جزعها ناداها من تحت الأكمة وهو قوله (فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) أي نهر ماء جار وكان تحت الأكمة نهر قد انقطع الماء منه فأرسل الله الماء فيه لمريم (وهزي) أي حركي (إليك) أي إلى نفسك (بجذع النخلة تساقط) أي النخلة (عليك رطبا جنيا) أي غضا ساعة جني وذلك أن الله تعالى أحياها تلك النخلة بعد يبسها فأورقت وأثمرت وأرطبت (فكلي) أي من الرطب (واشربي) أي من السري (وقري عينا) أي بولدك (فإما ترين من البشر أحدا) فسألك عن ولدك ولامك عليه (فقولي إني نذرت للرحمن صوما) أي صمتا يعني قولي له إني أوجبت على نفسي لله سبحانه أن لا أتكلم وذلك أن الله تعالى أراد أن يظهر براءتها من جهة عيسى فيتكلم ببراءة أمه وهو في المهد وذلك قوله (فلن أكلم اليوم إنسيا فأتت به) أي بعيسى بعد ما طهرت من نفاسها (قومها تحمله

عيسى حاملة له وهو ابن أربعين يوما روى عن ابن عباس أن يوسف انتهى بمريم الى غار فأدخلها فيه أربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبدالله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا) مؤنبين لها (يامريم لقد جئت شيئا فريا) أى لقد فعلت شيئا منكرا عظيما (يا أخت هرون) أى يا شبيهة هرون فى العبادة وكان هرون هذا رجلا صالحا من أفضل الناس من بنى اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح وهذا لما مات تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمون هرون تبركا به وباسمه والمراد انك يا مريم كنت فى الزهد كهرون فكيف صرت هكذا (ما كان أبوك امرأسوء) أى ما كان أبوك عمران رجلا زانيا (وما كانت أمك بغيا) أى وما كانت أمك حنة امرأة فاجرة (فأشارت) مريم (اليه) أى الى عيسى أن كلموه (قالوا) منكرين لجوابها (كيف نكلم من كان فى المهد) أى فى الحجر أو فى السرير (صبيا) أى صغيرا ابن أربعين يوما * روى أن عيسى كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابة يمينه فتكلم عيسى (قال انى عبدالله) وانما نص عيسى على اثبات عبودية نفسه لأن ازالة التهمة عن الله تعالى تفيد ازالة التهمة عن الأم لأن الله تعالى لا يخص الفاجرة بولد فى هذه الدرجة العالية أما التكلم بازالة التهمة عن الأم لا يفيد ازالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى وقد وصف عيسى عليه السلام نفسه بصفات ثمانية أولها العبودية فاعترف بها لئلا يتخذوه الها وآخرها تأمين الله له فى أخوف المقامات وكل هذه الصفات تقتضى تبرئة أمه (آتانى الكتاب) أى علمنى التوراة والانجيل فى بطن أمى (وجعلنى نبيا) بعد الخروج من بطن أمى (وجعلنى مباركا) أى نفاعا معلما للخير (أينما كنت) أى فى أى مكان كنت. روى الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سلمت مريم عيسى الى الكتاب فقالت للمعلم أدفعه اليك على أن لا تضربه فقال له المعلم أكتب فقال أى شئ أكتب فقال أكتب أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدرى ما أبجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربنى ان كنت لا تدرى فاسألنى فانى أعلمك الألف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من أداء الحق الى الله (وأوصانى بالصلاة والزكاة) أى أمرنى باقامة العبودية وتطهير النفس عن الصفات الذميمة (مادمت حيا) فى الدنيا ليكون ذلك حجة على من ادعى أنه عليه السلام اله لأنه لا شك فى أن من يعبد الها ليس باله والله تعالى صيره حين انفصل عن أمه عاقلا (وبرا بوالدتى) أى وكلفنى برا بأمى وهذا اشارة الى تنزيه أمه عن الزنا اذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأمورا بتعظيمها (ولم يجعلنى جبارا) أى متعاظما (شقيا) أى عاصيا لله عنيدا له لفرط التكبر بل جعلنى متواضعا وكان من تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا وروى أن عيسى عليه السلام قال قلبى لين وأنا صغير فى نفسى (والسلام على) أى الأمان من الله على (يوم ولدت) أن حين ولدت من لمزة الشيطان (ويوم أموت) أى حين أموت من ضغطة القبر (ويوم أبعث) من القبر (حيا) وانما خص هذه المواضع لكونها أخوف من غيرها (ذلك عيسى بن مريم قول الحق) أى عيسى بن مريم كلمة الله فالحق اسم الله أو المعنى خبر عيسى ابن مريم خبر الحق فعيسى عطف بيان وقرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب على المدح ان فسر بكلمة الله فحينئذ الوقف فى مريم وقف كاف وان فسر بالقول الصدق

جهة أبيها يسمى هرون وقيل هارون رجل صالح كان من أمثل بنى اسرائيل فقيل لمريم يا شبيهته فى العفاف (ما كان أبوك) عمران (امرأسوء) أى زان (وما كانت أمك) حنة (بغيا) أى زانية فمن أين لك هذا الولد من غير زوج (فأشارت اليه) أى الى عيسى بأن يجعلوا الكلام معه فعجبوا من ذلك و (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) يعنى رضيعا فى الحجر (قال) عيسى عند ذلك (انى عبدالله) أقر على نفسه بالعبودية لله (آتانى الكتاب) أى علمنى التوراة وقيل الخط وقيل الانجيل (وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا) أى معلما للخير ادعوا الى الله (أينما كنت وأوصانى) أى أمرنى (بالصلاة والزكاة) أى الطهارة (مادمت حيا وبرا) أى لطيفا (بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) أى السلامة على من الله فى هذه الأحوال (ذلك عيسى ابن مريم) أى ذلك الذى قال انى عبد الله آتانى الكتاب الآية هو عيسى بن مريم لا كما يقول النصارى من أنه اله وأنه ابن الله (قول الحق) أى هذا الكلام قول الحق فالحق هو الله وقيل معنى قول الحق أنه كلمة الله

الصدق كان مصدرا مؤكدا لقال انى عبدالله فعيسى خبر المبتدا وعلى قراءة النصب كان اسم الاشارة راجعا لمن يثبت نبوته الجليلة (الذى فيه) أى فى عيسى (يمترون) أى يتنازعون فيقول اليهود هو ساحر ويقول بعض النصارى هو ابن الله ويقول بعضهم هو الله ويقول بعضهم هو شريكه (ما كان لله) أى ماصح له تعالى (أن يتخذ من ولد) لانه يلزم من اتخاذه ولدا الحاجة وهو نقص (سبحانه) أى تنزه الله عن ذلك (اذاقضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى اذا أراد الله أن يحدث أمرا من الأمور فانما يريده ويعلق قدرته به فيكون حينئذ بلاتأخير وقرأ ابن عامر بنصب يكون على الجواب (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر ان عطف على قوله انى عبدالله أوعلى الاستئناف ويؤيده ماقرأ أبى ان الله بالكسر بغير واو وقرأ أبو عمرو والمدنيون بالفتح على حذف حرف الجر متعلقا بما بعده أى ولان الله أو بسبب أنه تعالى ربى وربكم فاعبدوه (هذا) التوحيد ونفى الولد والزوجة الذى أمرتكم به (صراط مستقيم) يوصل الى الجنة ورضا الله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلف النصارى فى شأن عيسى عليه السلام بعد رفعه الى السماء فأخرج كل قوم عالمهم فأخرج منهم أربعة نفر فقال أحدهم هو الله تعالى هبط الى الارض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وأمه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى ولذلك سموا الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبدالله وروحه ورسوله وكلمته فخصمهم وقال أماتعلمون أن عيسى كان يطعم وينام وأن الله تعالى لايجوز عليه ذلك وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم اتباع على ماقال فاقتتلوا وغلبوا على المسلمين فذلك قول الله تعالى ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فصاروا أحزابا وذلك قوله تعالى فاختلف الأحزاب من بينهم فاختلفوا فيه وهذا معنى قوله تعالى الذى فيه يمترون (فويل) أى فشدة عذاب (للذين كفروا) أى اختلفوا فى شأن عيسى (من مشهد يوم عظيم) أى من حضور هول الحساب والجزاء يوم القيامة أومن مكان الحضور فى الحساب وهو الموقف أومن وقت حضوره أومن شهادة ذلك اليوم عليهم وهو شهادة الملائكة والأنبياء وشهادة ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الأعمال أومن وقت شهادة يوم عظيم الهول أومن مكانها (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أى أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميانا فى الدنيا (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أى لكن الكافرون فى الدنيا فى ضلال مبين حيث تركوا النظر بالكلية وهم فى الآخرة يعرفون الحق (وأنذرهم) أى خوف يا أشرف الخلق كفار مكة (يوم الحسرة) أى يوم الندامة (اذ قضى الأمر) أى فرغ من الحساب ببيان أمر الثواب والعقاب فيندم فى ذلك اليوم الناس المسىء على اساءته فى الدنيا والمحسن على قلة احسانه فيها روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى اذ قضى الأمر فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظران فينادى المنادى يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلاموت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم واذ بدل من يوم الحسرة أوظرف للحسرة ويوم الحسرة مفعول به أى خوفهم نفس ذلك اليوم (وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) أى أنذرهم فى حال كونهم فى جهلة عن ذلك اليوم وفى حال كونهم لايصدقون به (انا نحن نرث الارض ومن عليها) أى انا لاندع فى الارض شيئا من عاقل وغيره ونسلب جميع مافى

(الذى فيه يمترون) أى يشكون يعنى اليهود أى يقولون انه لزنية وانه كذاب ساحر وتقول النصارى انه ابن الله (ما كان لله) أى ماينبغى له (أن يتخذ من ولد) أى ولدا (سبحانه) تنزيها له عن ذلك (اذاقضى أمرا) أى أراد كونه (فانما يقول له كن فيكون) كما قال لعيسى وكان من غير أب (وان الله ربى وربكم) هذا راجع الى قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة وأوصانى بأن الله ربى وربكم (فاعبدوه هذا) الذى ذكرت (صراط مستقيم فاختلف الأحزاب) يعنى فرق النصارى (من بينهم) أى فيما بينهم وهم النسطورية واليعقوبية والملكانية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يريد مشهدهم يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر) أى ماأسمعهم وماأبصرهم بالهدى يوم القيامة وأطوعهم ان عيسى ليس الله ولا ابن الله ولاثالث ثلاثة ولكن لاينفعهم ذلك مع ضلالتهم فى الدنيا وهو قوله (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أى من أمر عيسى والقول فيه (وأنذرهم) أى خوفهم يامحمد (يوم الحسرة) أى يوم القيامة حين يذبح الموت بين الفريقين (اذقضى الأمر) أى أحكم وفرغ منه (وهم فى غفلة) أى فى الدنيا من ذلك اليوم (وهم لايؤمنون) أى لايصدقون به (انا نحن نرث الارض) أى لانا نميت سكانها (و) نرث (من عليها

أيديهم (والينا يرجعون) أي والى حكمنا يردون للجزاء وهذا تخويف عظيم للعصاة (واذكر في الكتاب ابراهيم) أي واتل على كفار مكة قصة ابراهيم في هذه السورة فانهم ينتسبون اليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يتركون ماهم فيه من القبائح (انه كان صديقا) أي بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وأحواله (نبيا) رفيع القدر عند الله وعند الناس فلا رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه و بين عباده (اذ قال لأبيه) آزر متلطفا في الدعوة (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) ثناءك عليه (ولا يبصر) خشوعك بين يديه (ولا يغني عنك شيئا) أي ولا يقدر على أن يكفيك شيئا من جلب نفع أو دفع ضر (يا أبت اني قد جاءني) من الله (من العلم) أي علم الوحي (ما لم يأتك) منه (فاتبعني) بالتوجه الى الله (أهدك صراطا سويا) أي طريقا موصلا الى أسنى المطالب منجيا عن المعاطب (يا أبت لا تعبد الشيطان) فان عبادتك للأصنام عبادة له اذ هو الذي يزينها لك بوسوسته (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) فطاعة العاصي عصيان والعصيان يوجب العذاب (يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) ان لم تؤمن به (فتكون للشيطان وليا) أي قرينا في العذاب روى عن أبي هريرة أنه قال قال صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي فحسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأن أسكنه حظيرة قدسي وأن أدنيه من جواري (قال) آزر (أراغب أنت عن آلهتي) أي أمعرض أنت عن آلهتي (يا ابراهيم) أنكر آزر نفس الانصراف عن الأصنام مع نوع من التعجب كان الانصراف عنها مما لا يصدر من العاقل (لئن لم تنته) عن مقالتك هذه (لأرجمنك) أي لأقتلنك أي لأظهرن أمرك للناس ليقتلوك وهذا تهديد عما كان ابراهيم عليه من العظة (واهجرني مليا) أي تباعد عني لكيلا أراك زمانا طويلا (قال) ابراهيم (سلام عليك) وهذا توادع ومتاركة أي لا أشافهك بما يؤذيك بعد (سأستغفر لك ربي) أي أدعو لك ربي أن يهديك الى الايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر طلب التوفيق للايمان المؤدي للمغفرة (انه كان بي حفيا) أي بليغا في البر والألطاف (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أي وأترككم وما تعبدون من الأصنام بالارتحال من بلادكم (وأدعو ربي) أي أعبده وحده (عسى أن لا أكون بدعاء ربي) أي بعبادته (شقيا) أي ضائع العمل كما ضاع عملكم بعبادة الأوثان فارتحل سيدنا ابراهيم من كوثى الى الارض المقدسة (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي فلما فارقهم ابراهيم في المكان في طريقتهم من عبادة الأوثان وأبعد عنهم الى الارض المقدسة والتشاغل بالعبادة (وهبنا له اسحق و يعقوب) يأنس بهما لانه عاش حتى رأى يعقوب (وكلا) أي كل واحد منهم (جعلنا نبيا) ينبئهم الله تعالى بعلوم المعارف وهم ينبئون الخلق بالله و بالاسلام (ووهبنا لهم من رحمتنا) المال والجاه والاتباع والذرية الطيبة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أي جعلنا لهم ثناء صادقا يفتخر بهم الناس و يثنون عليهم و يذكرهم الأمم كلها الى يوم القيامة بما لهم من الخصال المرضية وتقول

والينا يرجعون) أي الثواب والعقاب (واذكر) لقومك (في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا) أي مؤمنا موقنا (نبيا) أي رسولا رفيعا (اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع) الدعاء (ولا يبصر) العبادة (ولا يغني) أي ولا يدفع (عنك) من عذاب الله شيئا (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) أي عاصيا (يا أبت اني أخاف) ان مت على ما أنت عليه (أن يمسك) أي يصيبك (عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) أي قرينا في النار (قال) أبوه مجيبا له (أراغب أنت عن آلهتي) أي زاهد فيها وتارك عبادتها (لئن لم تنته) أي لئن لم ترجع عن مقالتك في عيبها (لأرجمنك) أي لأشتمنك (واهجرني مليا) أي زمانا طويلا (قال) ابراهيم (سلام عليك) أي سلمت مني لا اصيبك بمكروه وهذا جواب الجاهل كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (سأستغفر لك ربي) هذا كان قبل أن ينهى من الاستغفار ووعده ذلك رجاء أن يجاب فيه (انه كان بي حفيا) أي بارا لطيفا (وأعتزلكم) أي أفارقكم (و) أفارق (ما تدعون) أي تعبدون من أصنامكم (وأدعو ربي) أعبده (عسى أن لا أكون بدعاء ربي) أي بعبادته (شقيا) كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام يريد أنه يتقبل عبادتي و يثيبني عليها (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) وذهب مهاجرا الى الشام (وهبنا له) بعد هذه الهجرة (اسحاق و يعقوب وكلا) منهما (جعلنا نبيا و وهبنا لهم من رحمتنا) يعني النبوة والكتاب (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أي ثناء حسنا رفيعا في كل أهل الأديان

هذه الأمة في الصلوات الخمس كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم الى قيام الساعة (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرأه عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام أي معصوما من الادناس اختاره الله تعالى والباقون بالكسر أي مخلصا لعبادته عن الرياء ولنفسه عما سوى الله (وكان رسولا) الى بني اسرائيل والقبط (نبيا) يخبرهم عن الله تعالى (وناديناه من جانب الطور الايمن) أي الذي يلي يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين وذلك حين توجه من مدين الى مصر أي تمثل له الكلام من تلك الجهة يقول ياموسى اني أنا الله (وقربناه نجيا) أي مناجيا أي رفعنا قدره وشرفناه بالمناجاة بأن أسمعه الله تعالى كلامه بلا واسطة وقيل رفعناه مكانا عاليا فوق السموات حتى سمع صرير القلم حيث كتبت التوراة في الألواح (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) أي وجعلنا أخاه هرون نبيا من أجل رأفتنا به ليكون وزيرا له ومعينا له في تبليغ الرسالة وهذا اشارة الى أن النبوة ليست كسبية بل هي من مواهب الله تعالى يهب لمن يشاء النبوة والرسالة واشارة الى أن لموسى اختصاصا بالقربة والقبول عند الله تعالى حتى يهب أخاه هرون النبوة والرسالة بشفاعته كما يهب الأنبياء والرسل بشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابراهيم عليه السلام (واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) فكان اذا وعد الناس بشيء أنجز وعده وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام وعد صاحبا له أن ينتظر في مكان فانتظره سنة وقد وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به (وكان رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا في وادي مكة بشريعة أبيه فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعته (نبيا) يخبر عن الله (وكان يأمر أهله) أي قومه (بالصلاة والزكاة) أي الصدقات الواجبة (وكان عند ربه مرضيا) أي فائزا في كل طاعاته بأعلى الدرجات (واذكر في الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد أبي نوح (انه كان صديقا) أي ملازما للصدق في جميع أحواله (نبيا) وهذا مخصص للخبر الأول اذ ليس كل صديق نبيا (ورفعناه مكانا عليا) وهو السماء الرابعة وكان سبب رفعه اليها أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني قد مشيت فيها يوما فأصابني منها ما أصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يارب اجعل بيني وبينه خلة فأذن الله تعالى له حتى أتى ادريس ورفعه الى السماء (أولئك) العشرة المذكورون في هذه السورة (الذين أنعم الله عليهم) بفنون النعم الدينية والدنيوية (من النبيين من ذرية آدم) وهو ادريس (وممن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة وهو ابراهيم فانه من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) وهم اسمعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أي ومن ذرية يعقوب وهم يوسف واخوته وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (وممن هدينا) أي ومن جملة من هديناهم الى الحق (واجتبينا) أي اصطفيناهم للاسلام كعبد الله بن سلام وأصحابه واسم الموصول خبر اسم الاشارة ومن النبيين بيان للموصول ومن ذرية بدل باعادة الجار ومن للتبعيض (اذا تتلى عليهم آيات

(واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) أي موحدا قد أخلص دينه لله (وناديناه من جانب الطور الأيمن) أي حيث أقبل من مدين يريد مصر فنودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى (وقربناه نجيا) أي قربه الله من السموات للمناجاة حتى سمع صريف القلم يكتب له في الألواح (ووهبنا له من رحمتنا) أي من نعمتنا عليه (أخاه هرون نبيا) أي حين سأل ربه ذلك فقال واجعل لي وزيرا من أهلي الآية (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد) أي اذا وعد وفى وانتظر انسانا في مكان وعده حتى حال عليه الحول (وكان رسولا نبيا) فبعث الى جرهم (وكان يأمر أهله) أي قومه (بالصلاة والزكاة) المفروضة عليهم (وكان عند ربه مرضيا) لأنه قام بطاعته (واذكر في الكتاب) أي القرآن (ادريس) وقصته (انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) أي رفع الى السماء الرابعة وقيل الى الجنة (أولئك) يعني الذين ذكرهم من الأنبياء كانوا (من ذرية آدم وممن حملنا) أي ومن ذرية من حملنا (مع نوح) في سفينته (ومن ذرية ابراهيم) يعني اسحق واسماعيل ويعقوب (واسرائيل) يعني موسى وهرون (وممن هدينا) أي أرشدنا (واجتبينا) أي اصطفينا (اذا تتلى عليهم آيات

الرحمن خروا سجدا وبكيا) جمع باك أخبر الله تعالى ان هؤلاء الأنبياء كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا من خشيته (فخلف من بعدهم) أي بقي بعد هؤلاء (خلف) أي قوم سوء وهم اليهود والنصارى (أضاعوا الصلاة) أي تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) أي اللذات من شرب الخمر والزنا (فسوف يلقون غيا) وهو واد في جهنم (الا من تاب) أي من الشرك (وآمن) أي وصدق النبيين (وعمل صالحا) أي أدى الفرائض (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئا (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي بالمغيب عنهم ولم يروها (انه كان وعده مأتيا) أي يأتي ما وعده لا محالة تأتيه أنت كما يأتيك هو (لا يسمعون فيها لغوا) أي قبيحا من الكلام (الا) لكن (سلاما) يعني قولا حسنا يسلمون منه والسلام اسم جامع للخير (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي على قدر ما يعرفون في الدنيا من الغداء والعشاء (تلك الجنة التي نورث) أي نعطي وننزل (من عبادنا من كان تقيا) أي يتق الله بطاعته واجتناب معاصيه (وما نتنزل) كان جبريل قد احتبس عن النبي ﷺ أياما فلما نزل قال له ألا زرتنا فأنزل الله وما نتنزل (الا بأمر ربك

الرحمن) وهي ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم (خروا سجدا وبكيا) من مخافة الله تعالى قال العلماء ينبغي أن يدعو الساجد للتلاوة في سجدته بما يليق بآياتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك (فخلف من بعدهم خلف) أي حدث من بعد النبيين جماعة سوء ويقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون (أضاعوا الصلاة) أي تركوها (واتبعوا الشهوات) قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت من الأب وعن علي رضي الله عنه هم من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) أي واديا في جهنم بعيدا قعره تستعيذ منه أوديتها أعد للزناة وشربة الخمر وشهاد الزور وأكلة الربا والعاقين لوالديهم (الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك) أي من اتصف بهذه الأمور الثلاثة (يدخلون الجنة ولا يظلمون) أي لا ينقصون من جزاء أعمالهم (شيئا) وتوقف الأجر على العمل الصالح هو الغالب لأنه لا تناط الأحكام الا بالأعم الاغلب ولا تناط بالنادر كمن تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة أو وجد الحيض فانه لا يجب عليه العمل قبل وجود سببه وشرطه فلو مات في ذلك الوقت كان من أهل النجاة مع انه لم يصدر عنه عمل صالح من صلاة وزكاة وصوم وعلى هذا لا يتوقف الاجر على وجود العمل الصالح (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) حال من المفعول أي وهم غائبون عنها لا يرونها وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار منه تعالى أي وعدهم بها وهم في الدنيا ومن في الدنيا لا يشاهدها (انه) تعالى أو ان الشأن (كان وعده) تعالى (مأتيا) أي مفعولا منجزا أي الوعد منه تعالى لابد من وقوعه فهو وان كان بأمر غائب فكأنه حاصل مشاهد (لا يسمعون فيها) أي الجنة (لغوا) أي فضول كلام لا فائدة فيه (الا سلاما) من بعضهم على بعض أو من الملائكة عليهم فان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة فأهل الجنة لا يحتاجون الى هذا الدعاء لانهم في دار السلام فهذا من فضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها) أي طعامهم في الجنة (بكرة وعشيا) أي لهم رزق واسع ودائم فلهم ما يشتهون متى شاءوا اذ لا ليل فيها ولا بكرة ولا عشي وانما ذكرهما ليرغب كل قوم بما أحبوه لأنه لا شيء أحب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك ولذلك ذكر أساور الذهب والفضة ولباس الحرير التي كانت عادة العجم والأرائك التي هي الحجال المضروبة على الأسرة وهي كانت من عادة أشراف العرب في اليمن (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) من الكفر أي هذه الجنة التي عظم شأنها نعطيها من أطاعنا عطاء لا يرد كالميراث الذي يأخذه الوارث فلا يرجع فيه المورث (وما نتنزل الا بأمر ربك) قيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سألوه في أمر الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت علي حتى ساءني واشتقت اليك فقال له جبريل اني كنت أشوق ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك حكاية قول جبريل أمره الله تعالى أن يقوله لمحمد جوابا لسؤاله بقوله يا جبريل ما يمنعك

أن

أن تزورنا أكثرمما تزورنا والمعنى وماتتنزل من السماء وقتاغب وقت الا بأمرالله تعالى على ماتقتضيه حكمته (له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أى لربك ماقدامنا وماخلفنا من الجهات ومانحن فيه فلا ننتقل من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان الا بأمره ومشيئته فليس لنا أن ننقلب من السماء الى الارض الا بأمره (وما كان ربك نسيا) أى تاركا لك بتأخير الوحى عنك فعدم النزول لعدم الأمر به لحكمة بالغة فيه وقال أبو مسلم و يجوز أن يكون قوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك حكاية قول أهل الجنة حين يدخلونها والمعنى ومانتنزل الجنة الا بأمر الله تعالى ولطفه له مابين أيدينا فى الجنة مما يكون مستقبلا وماخلفنا مما كان فى الدنيا وما بين ذلك فيما نحن فيه ما بين الوقتين وقوله تعالى وما كان ربك نسيا ابتداء كلام من الله تعالى تقرير لقولهم أى وما كان الله ناسيا لأعمال العاملين والثواب عليها وعدمه لأنه عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة (رب السموات والارض وما بينهما) فلا يجوز عليه النسيان وهو بدل من ربك أو خبر مبتدا مضمر أى هو (فاعبده) يا أكرم الرسل (واصطبر لعبادته) وعدى الاصطبار باللام لأن العبادة جعلت بمعنى القرب ففيه معنى الثبات لأن العبادة ذات شدائد ومشاق فكأنه قيل أثبت لعبادة الرب ولا يضق صدرك من قول الكافرين لك (هل تعلم له) أى للرب (سميا) أى نظيرا فيما يقتضى العبادة من كونه منعما بأصول النعم وفروعها وشريكا فى الاسم الخاص كرب السموات والارض ومابينهما وكالله وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسمى بالرحمن غير تعالى (ويقول الانسان) أى بن خلف الجمحى بطريق الانكار والاستبعاد فانه أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد مانموت ونصير الى هذه الحال أو الوليد بن المغيرة أو أمية بن خلف (أئذا مامت لسوف أخرج حيا) أى أبعث من الارض (أولا يذكر الانسان) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب بسكون الذال وضم الكاف أى أيقول المجترئ بهذا الانكار على ربه ولا يتفكر (أنا خلقناه من قبل) أى من قبل الحالة التى هو فيها من نطفة منتنة (ولم يك شيئا) أى والحال انه لم يكن حينئذ شيئا أصلا أى أولا يعلم ذلك من حال نفسه لأن كل أحد يعلم أنه لم يكن حيا فى الدنيا ثم صار حيا فيها (فوربك لنحشرنهم) أى لنجمعن القائلين بعدم البعث بالسوق الى المحشر بعد ما أخرجناهم من الارض أحياء (والشياطين) روى أن كل كافر يحشر مع شيطانه الذى يضله فى سلسلة (ثم لنحضرنهم) بعد طول الوقوف فى المحشر (حول جهنم جثيا) أى باركين على الركب لما يدهمهم من شدة الأمر الذى لايطيقون معه القيام على أرجلهم (ثم لننزعن من كل شيعة) أى من كل أمة تبعت دينا من الأديان (أيهم أشد على الرحمن عتيا) أى جراءة اى فمن كان أشدهم تمردا فى كفره خص بعذاب أعظم لأن عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتجبر كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبه فى الباطل كعذاب من يقتدى به مع الغفلة (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها) أى أحق بجهنم (صليا) أى دخولا فنبدأ بهم (وان منكم الا واردها) أى مامنكم أيها الانسان أحد الا حاضر قرب جهنم ويمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة و روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لايدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة أليس الله يقول وان منكم الا واردها فقال صلى الله عليه وسلم له ثم ننجى الذين اتقوا أى نبعدهم عن عذاب

لهمابين أيدينا) من أمر الآخرة (وماخلفنا) أى مامضى من أمر الدنيا (ومابين ذلك) أى ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين أيدينا الدنيا وما خلفنا يريد السموات وما بين ذلك الهواء (وما كان ربك نسيا) أى تاركا لك منذ أبطأ عنك الوحى وقوله (هل تعلم له سميا) أى هل تعلم أحدا يسمى الله غيره (ويقول الانسان) يعنى أبى بن خلف (أئذا مامت لسوف أخرج حيا) يقول هذا استهزاء وتكذيبا بالبعث يقول لسوف أخرج من قبرى حيا بعد مامت (أولا يذكر) أى يتذكر ويتفكر هذا (الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) فيعلم أن من قدر على الابتداء قدر على الاعادة ثم أقسم على نفسه انه يبعثهم فقال (فوربك لنحشرنهم) يعنى منكرى البعث (والشياطين) قرناءهم الذين أضلوهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) أى جماعات جمع جثوة (ثم لننزعن) أى لنخرجن (من كل شيعة) أى أمة وفرقة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) أى الأعتى فالأعتى منهم وذلك أنه يبدأ فى التعذيب بأشدهم عتيا ثم الذى يليه (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أى أحق بدخول النار (وان منكم) يعنى وما منكم من أحد (الا واردها) أى الا وهو يرد النار

جهنم وقيل ورود جهنم هو الجواز على الصراط الممدود عليها وقيل الورود الدخول فالمؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر البتة بل مع الغبطة والسرور (كان على ربك حتما مقضيا) أى كان ورودهم اياها أمرا محتوما أوجبه الله تعالى على ذاته (ثم ننجي الذين اتقوا) من الكفر والمعاصي أى نخرجهم منها فلا يخلدون بعد أن ادخلوا فيها وانما دخلوا لهم فيها ليشاهدوا العذاب ليصير ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة (ونذر الظالمين) بالكفر والمعاصى (فيها) أى جهنم (جثيا) أى منهارا بهم (واذا تتلى عليهم) أى المشركين (آياتنا) الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة (بينات) أى مرتلات الالفاظ مبينات المعانى (قال الذين كفروا) أى مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العناد وهم النضر بن الحرث وأتباعه الفجرة (للذين آمنوا) أى لفقراء المؤمنين الذين هم فى خشونة عيش ورثاثة ثياب وضيق منزل واللام للتبليغ لأنهم شافهوا المؤمنين وخاطبوهم بقولهم (أى الفريقين) أى المؤمنين والكافرين (خير مقاما) اى منزلا وقرأ ابن كثير بضم الميم (وأحسن نديا) أى مجلسا أى أنحن أو أنتم روى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يدعون فقراء المؤمنين ويقولون مفتخرين عليهم انظروا الى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم وانظروا الى مجلسنا عند التحدث ومجلسكم فترونا نجلس فى صدر المجلس وأنتم فى طرفه الحقير فاذا كنا بهذه المثابة وأنتم بتلك فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لأكرمكم بهذه الأمور كما أكرمنا بها والمعنى انهم لما سمعوا الآيات بينات الاعجاز وعجزوا عن معارضتها شرعوا فى الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أى كثيرا أهلكنا بفنون العذاب قبل هؤلاء القريش من أمم عاتية كعاد وثمود وأمثالهم (هم أحسن) من هؤلاء (أثاثا) أى أمتعة (ورئيا) أى منظرا أى فهم أفضل من هؤلاء فيما يفتخرون به ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم مافعلنا أى فان ما أنتم أيها الكفار فيه من النعم محض استدراج لم ينفعكم الترفه شيئا عند نزول البلاء بكم كما وقع للامم الماضية حيث كانوا فى رفاهية أكثر منكم ومع ذلك أهلكهم الله بكفرهم ولم ينفعهم الترفه شيئا (قل) يا أشرف الرسل لهؤلاء المفتخرين بما لهم من حظوظ (من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) وهذا الأمر بمعنى الخبر أى من كان مستقرا فى الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور فيمهله الله بطول العمر وبسط المال وانفاقه فيما يستلذ به من الاوزار ولا يزال يمده استدراجا وقطعا لمعاذير يوم القيامة (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من الله تعالى (اما العذاب) الدنيوى بغلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا (واما الساعة) أى ما نالهم يوم القيامة من الخزى والنكال (فسيعلمون) حينئذ (من هو شر مكانا) أى منزلا من الفريقين (وأضعف جندا) أى أقل ناصرا أهم أم المؤمنين وهذا رد لما كانوا يزعمون أن لهم أنصارا من الاحبار ويفتخرون بذلك فى المحافل (ويزيد الله الذين اهتدوا) بالايمان (هدى) أى بالاخلاص وبالعبادات المتفرعة على الايمان وبالثواب على ذلك الايمان (والباقيات الصالحات) أى الطاعات التى تبقى فوائدها (خير عند ربك ثوابا) أى فائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم الفانية التى يفتخرون بها (وخير مردا) أى عاقبة

وما بين الله فيه (قال الذين كفروا) يعنى مشركى قريش (للذين آمنوا أى الفريقين) أى منا ومنكم (خير مقاما) أى منزلا ومسكنا (وأحسن نديا) أى مجلسا وذلك أنهم كانوا أصحاب مال وزينة من الدنيا وكان المؤمنون أصحاب فقر ورثاثة فقالوا لهم نحن أعظم شأنا وأعز مجلسا وأكرم منزلا أم أنتم فقال الله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) أى متاعا ومنظرا من هؤلاء الكفار فلم يغن عنهم شيئا (قل من كان فى الضلالة) أى الشرك والجهالة (فليمدد له الرحمن مدا) فان الله يمد له فيها ويمهله فى كفره وهذا أمر معناه الخبر (حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب) فى الدنيا (واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) أهم أم المؤمنون وذلك أنهم ان قتلوا ونصر المؤمنون عليهم علموا أنهم أضعف جندا وان ماتوا فدخلوا النار علموا أنهم شر مكانا (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أى يزيدهم فى يقينهم ورشدهم (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) أى مما ملك الكفار من المال (وخير مردا) أى فى المرد وهو الآخرة (أفرأيت

(أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الناطقة بالبعث وهو العاص بن وائل السهمى (وقال) لخباب بن الأرت (لأوتين) فى الآخرة (مالا وولدا) نزلت هذه الآية فى شأن العاص بن وائل. عن خباب قال كان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضيه فقال لى لن أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث قال وانى لمبعوث من بعد الموت قلت نعم قال انى اذا بعثت وجئتنى فسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك وقرأ حمزة والكسائى وولدا بضم الواو وسكون اللام. وقيل صاغ خباب للعاص حليا فطلب الأجرة فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ فأجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى (أطلع الغيب) أى أعلم الغيب وأن يعطى ماقاله أو أقد بلغ من عظمة الشأن الى أن ارتقى الى علم الغيب الذى انفرد الله به حتى ادعى أن يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وأقسم عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) بأن يؤتى ماقاله وقيل المعنى أنظر فى اللوح المحفوظ أن له مايقول أم أعتقد وحدة الله بكلمة الشهادة فيكون له مايقول وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك مايقول (كلا) ردع له عن التفوه بتلك الكلمة الشنيعة وتنبيه على خطئه أى لا يكون له ما يقول (سنكتب مايقول) أى سنظهر له أنا كتبنا قوله ونؤاخذه به (ونمد له من العذاب مدا) أى نطول له من العذاب مايستحقه ونضاعفه لكفره وافترائه على الله تعالى واستهزائه بآياته (ونرثه مايقول) أى ننزع ما آتيناه بموته ونحرمه ماتمناه فى الآخرة من مال وولد ونجعله لغيره من المسلمين (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لايصحبه مال ولا ولد ولا عشيرة ولا خير (واتخذوا من دون الله آلهة) أى اتخذ كفار قريش الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزا) أى ليكون الأصنام مانعين لهم من عذاب الله (كلا) أى لامانع من عذابهم فلا يعتقدوا أن الأصنام شفعاء لهم عنده تعالى (سيكفرون بعبادتهم) أى سيجحد الأصنام بعبادتهم لهم بأن ينطقها الله تعالى وتقول ماعبدتمونا (ويكونون عليهم) أى تكون الأوثان التى كانوا يرجون أن تكون لهم منعة من العذاب (ضدا) أى أعداء وأعوانا بالعذاب فانهم وقود النار ولأنهم عذبوا بسبب عبادتهم (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) أى ألم تنظر يا أشرف الرسل أنا سلطنا الشياطين على الكافرين تهيجهم على المعاصى تهييجا شديدا بأنواع الوساوس (فلا تعجل عليهم) بطلب اهلاكهم حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم (انما نعد لهم عدا) فليس بينك وبين ماتطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة فنضبط عليهم مايقع منهم حتى نؤاخذهم به ولا نهمله (يوم نحشر المتقين) بأعمالهم (الى الرحمن) أى الى محل كرامة ربهم الذى يغمرهم برحمته الواسعة (وفدا) أى وافدين على ربهم منتظرين لكرامتهم وانعامهم فبعضهم كانوا ركبانا على نجائب سروجها من ياقوت وعلى نوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد من أول خروجهم من القبور أو من منصرفهم من الموقف حتى يقرعوا باب الجنة (ونسوق المجرمين) بكفرهم ومعاصيهم (الى جهنم وردا) أى عطاشا باهانة كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء (لايملكون

(أفرأيت الذى كفر بآياتنا) يعنى العاص بن وائل (وقال لأوتين مالا وولدا) وذلك أن خبابا اقتضى دينا له عليه فقال ألستم تزعمون أن فى الجنة ذهبا وفضة ولئن كان ماتقول حقا فانى لأفضل فيها نصيبا منك فأخرنى حتى أقضيك فى الجنة استهزاء فذلك قوله لأوتين أى لأعطين مالا وولدا يعنى فى الجنة فقال الله تعالى (أطلع الغيب) أى أعلم علم الغيب حتى عرف أنه فى الجنة (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يريد أم قال لا اله الا الله حتى يستحق دخول الجنة (كلا) أى ليس الأمر على مايقول (سنكتب ما يقول) أى سنحفظ عليه مايقوله من الكفر والاستهزاء لنجازيه (ونمد له من العذاب مدا) أى نزيده عذابا فوق العذاب (ونرثه مايقول) أى من أن فى الجنة ذهبا وفضة فنجعله لغيره من المسلمين (ويأتينا فردا) أى خاليا من ماله وولده وخدمه (واتخذوا من دون الله) يعنى أهل مكة (آلهة) وهى الأصنام (ليكونوا لهم عزا) أعوانا يمنعونهم منى (كلا) ليس الأمر على ماظنوا (سيكفرون بعبادتهم) أى يجحدونها لأنهم كانوا جمادا لم يعرفوا أنهم يعبدون (ويكونون عليهم ضدا) أى أعوانا وذلك ان الله تعالى يحشر آلهتهم فينطقهم ويركب فيهم العقول فتقول يارب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك (ألم تر) يامحمد (أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطناهم عليهم بالاغراء (تؤزهم أزا) أى تزعجهم من الطاعة الى المعصية (فلا تعجل عليهم) أى بالعذاب (انما نعد لهم) أى الأيام والليالى والانفاس (عدا) الى انتهاء أجل العذاب (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أى ركبانا مكرمين (ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) أى عطاشا (لايملكون

الشفاعة الامن اتخذعندالرحمن عهدا) أى لايستحق هؤلاء المجرمون أن يشفع لهم غيرهم الامن اتخذ كلمة الشهادة بالتوحيدوالنبوة ولوكانوا أهل الكبائر و روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عندالله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة انى أعهداليك بأنى أشهد أن لااله الاأنت وحدك لاشريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتبعدنى من الخير وانى لاأثق الابرحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع و وضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عندالرحمن عهد فيدخلون الجنة (وقالوا) أى الكافرون (اتخذ الرحمن ولدا) عزيرا والمسيح والملائكة (لقدجئتم شيئا ادا) أى لقدقلتم قولا منكرا عظيما (تكاد السموات يتفطرن) أى يتشققن (منه) أى من قولهم (وتنشق الأرض) أى تنخسف بهم (وتخر الجبال هدا) أى تسقط الجبال منطبقة عليهم (أن دعوا الرحمن ولدا) أى من نسبهم ولدا للرحمن وهذا بدل من الهاء فى منه قال ابن عباس فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق الاالثقلين وغضبت الملائكة حين قالوا لله ولد أى استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرهافى الدين (وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) لأن الولد لابدوأن يكون شبيها بالوالد ولامشبه لله تعالى ولأن اتخاذ الولد انما يكون لأجل سرور الوالدبه واستعانته بهوذكر جميل به وكل ذلك لايليق به تعالى محال عليه وهذه الجملة حال من فاعل قالوا أودعوا (ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا) أى مامن أحدفيهما الامملوك له مقر له بالعبودية مطيع له غير الكافر (لقدأحصاهم) فلا يكاد يخرج منهم أحد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته (وعدهم عدا) أى عدأشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شىء عنده بمقدار (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أى كل واحدمنهم يجىء الى الله وحيدا بلامال ولا أتباع (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى سيحدث لهم فى القلوب محبة من غير تعرض للأسباب من قرابة أوصداقة أواصطناع معروف أوغير ذلك تخصيصا لأوليائه بهذه الكرامة كماقذف فى قلوب أعدائهم الرعب اعظاما لهم أى ان الله تعالى وعدهم أن يؤلف بين قلوبهم فى الدنيا اذاظهر الاسلام وأن يحببهم الى خلقه يوم القيامة بما يظهر من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم على رؤس الأشهاد (فانما يسرناه) أى القرآن (بلسانك) أى أنزلناه ميسرا بلغتك (لتبشر به المتقين) بامتثال مافيه من الأمر والنهى (وتنذر به قوما لدا) أى الذين يجادلون فيه بالباطل وهم كفار مكة (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أى قرونا كثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين (هل تحس منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا) أى هلكوا جميعا فلم يبق منهم عين ولاأثر فلايرى منهم أحد ولايسمع منهم صوت حتى أى فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء. وختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لأنهم اذاتأملوا وعلموا أنه لابدمن زوال الدنيا ومن الانتهاء الى الموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة فى الآخرة فكانوا أقرب الى الحذر من المعاصى

الشفاعة الامن اتخذ) أى لكن من اتخذ (عندالرحمن عهدا) أى اعتقد التوحيد وقال لااله الاالله فانه يملك الشفاعة والمعنى لايشفع الا من شهد أن لااله الا الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعنى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا إدا) أى عظيما فظيعا (تكاد السموات يتفطرن منه) أى تقرب من أن يتفطرن أى يتشققن منه من هذا (وتخر الجبال هدا) أى سقوطا (أن دعوا) لأن دعوا (للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) لأنه لايليق به الولد ولامجانسة بينه و بين أحد (ان كل) أى ما كل (من فى السموات والارض الا) وهو يأتى الله يوم القيامة مقرا له بالعبودية (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أى علمهم كلهم فلا يخفى عليه أحدولايفوت (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) أى من ماله وولده ليس معه أحد (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى محبة فى قلوب المؤمنين قيل نزلت فى على بن أبى طالب وقيل نزلت فى عبدالرحمن ابن عوف (فانما يسرناه) أى سهلناه يعنى القرآن (بلسانك) أى بلغتك (لتبشر به المتقين) أى الذين صدقوك وتركوا الشرك (وتنذر به قوما لدا) أى شديدى الخصومة (وكم أهلكنا قبلهم) أى من قبل قومك (من قرن) أى جماعة (هل تحس) أى تجد (منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أى صوتا

﴿ سورة

﴿ سورة طه مكية. آياتها مائة وخمس وثلاثون. وكلماتها ألف وثلاثمائة واحدى وأربعون.
وحروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أي لتتعب بالمبالغة في محاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم أولتهلك نفسك بالعبادة وبكثرة الرياضة ومابعثت الا بالحنيفية السمحة (الا تذكرة لمن يخشى) أي ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة لمن يسلم (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) منصوب على المدح والاختصاص أومنصوب بيخشى مفعولا به أي أمدح تنزيلا من الله أوأنزل الله القرآن تذكرة لمن يخشى تنزيل الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) أي الرحمن أوجد الكائنات ودبر أمرها فالاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك ويراد بهذا القول صار فلان ملكا وان لم يقعد على السرير أصلا والمراد هنا بيان تعلق ارادته تعالى بايجاد الكائنات وتدبير أمرها (له ما في السموات وما في الارض) سواء كان فيهما جزءا منهما أوحالا فيهما (وما بينهما) من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب أوأكثريا كالطير (وما تحت الثرى) أي والذي تحت الارض السابعة السفلى لان الارضين على ظهر الحوت والحوت على الماء والماء على صخرة خضراء فخضرة السماء منها والصخرة على قرني ثور والثور على الثرى وهو التراب الندى ولايعلم ما تحته الا الله أي انه تعالى مالك لهذه الأقسام الأربعة تصرفا وايجادا واعداما واحياء وامانة (وان تجهر بالقول) أي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم أنه تعالى غني عن جهرك (فانه يعلم السر وأخفى) أي لانه يعلم ما أسررته الى غيرك في خفاء وما أخطرته ببالك من غير أن تتفوه به أصلا وهذا اما نهي عن الجهر واما ارشاد للعباد الى أن الجهر ليس لاسماعه تعالى بل لغرض آخر كحضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة (الله) أي ذلك الموصوف بصفات الكمال هو الله (لا اله الا هو) قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ملكا من الملائكة قبل أن يخلق السموات والارض وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله مادا بها صوته ولايقطعها ولايتنفس فيها ولايتمها فاذا أتمها أمر اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة تعظيما لله عزوجل اه وينبغي لأهل لا اله الا الله أن يحصلوا أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم والحلاوة والحرية فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الحلاوة فهو مراء ومن ليس له الحرية فهو فاجر (له الأسماء الحسنى) فحسن الأسماء لحسن معانيها (وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا) أي أليس قد أتاك خبر موسى حين رأى نارا روى أن موسى عليه السلام استأذن شعيبا في الرجوع الى والدته فأذن له فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ابن في الطريق في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد حاد عن الطريق فقدح عليه السلام النار فلم تور القدحة شيئا فبينما هو في مزاولة ذلك اذ رأى نارا من بعيد على يسار الطريق من جانب الطور (فقال لأهله امكثوا) في مكانكم أي لاتتبعوني في الذهاب الى النار (اني آنست نارا) أي أبصرتها ابصارا بينا (لعلي آتيكم منها بقبس) أي لعلي أجيئكم من النار بشعلة مقتبسة من معظم النار (أوأجد على النار هدى) أي عند النار من يدلني على الطريق (فلما أتاها نودي) أي فلما أتى النار رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها

القرآن لتشقى) أي لتتعب بكثرة الجهد وذلك أنه كان يصلي الليل كله بمكة حتى ورمت قدماه وقال له الكفار انك لتشقى بترك ديننا فأنزل الله هذه الآية (الا تذكرة) أي ما أنزلناه الا تذكرة أي موعظة (لمن يخشى) أي يخاف الله عزوجل (تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى) جمع العليا (الرحمن على العرش) مع أنه أعظم المخلوقات (استوى) أي استولى وقوله (وما تحت الثرى) يعني ما تحت الارض والثرى التراب الندى (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر) وهو ما أسررت في نفسك (وأخفى) وهو ما ستحدث به نفسك مما لم يكن بعد والمعنى أنه يعلم هذا فكيف ما تجهر به (وهل أتاك) يا محمد (حديث موسى) أي خبره وقصته (اذ رأى نارا) يعني في طريقه الى مصر ليلة أخذ امرأته الطلق (فقال لأهله) أي لامرأته (امكثوا) أي أقيموا مكانكم (اني آنست نارا) أي أبصرت نارا (لعلي آتيكم منها بقبس) أي بشعلة نار (أوأجد على النار هدى) أي من يهديني ويدلني على الطريق وكان قد ضل عن الطريق (فلما أتاها) يعني النار (نودي

ولا كثرةماء الشجرة تغيرضوء النارفسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراعظيما ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذاخضرة ساطعةفي السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الأبصار فلمارأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودى (ياموسى انى أنار بك) أى فلمانودى ياموسى أجاب سريعا فقال لبيك من المتكلم انى أسمع صوتك ولاأراك فأين أنت فقال تعالى أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم أن ذلك لاينبغي ولا يكون الامن الله فأيقن به وسمع الكلام بكل أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت أذنا وسمعه من جميع الجهات (فاخلع نعليك) أمر عليه الصلاة والسلام بالخلع لان الحفوة تواضع لله وحسن أدب بمعه تعالى (انك بالواد المقدس) أى المبارك (طوى) اسم الوادى أواسم بئر فطويت بالحجر في ذلك الوادى الذى كانت فيه الشجرة قال أهل الاشارة والمراد بخلع النعلين ترك الالتفات الى الدنيا والآخرة كأنه تعالى أمره عليه السلام بأن يصير مستغرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى ولايلتفت بخاطره الى ماسواه تعالى والمراد من الوادى المقدس طهارة عزة الله تعالى وجلاله والمعنى انك لما وصلت الى بحر المعرفة فلاتلتفت الى المخلوقات اهـ ويقال معنى طوى فنطوته الأنبياء قبلك قال ابن عباس انه عليه السلام مر بذلك الوادى ليلافطواه فكان المعنى انك بالوادى المقدس الذى طويته طيا أى جاوزته حتى ارتفعت الى أعلاه وعلى هذا ان طوى مصدر خرج عن لفظه (وأنا اخترتك) للرسالة والكلام الذى خصصتك به وقرأ حمزة وأنا اخترناك بنون العظمة و بتشديد النون من أنا و بفتح الهمزة والكسر وقرأ أبى بن كعب وانى اخترتك (فاستمع لما يوحى) أى فاستمع للذى يوحى اليك منى وقوله تعالى وأنا اخترتك يفيد نهاية اللطف والرحمة وقوله تعالى فاستمع يفيد نهاية الهيبة فكأنه تعالى قال لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له واجعل كل خاطرك مصروفا اليه فأرسله الله تعالى في ذلك الوقت في ذلك المكان وكان عمره حينئذ أربعين سنة (اننى أنا الله) بدل مما يوحى (لااله الاأنا) وهذا اشارة للعقائد العقلية (فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) أى لتذكرنى في الصلاة لاشتمالها على كلامى أولذكرى اياك بالمدح والثناء أولاخلاص ذكرى لاتقصد بالصلاة غرضا آخر وهذا اشارة للاعمال الفرعية (ان الساعة آتية) أى كائنة لابد (أكاد أخفيها) أى أكاد أظهرها أى قرب اظهارها و يؤيده قراءة فتح الهمزة أوالمعنى أكاد أزيل عنها اخفاءها لان أفعل قدياتى بمعنى السلب كقولك أشكلت الكتاب أى أزلت اشكاله وهذا اشارة الى العقائد السمعية وهذه الثلاثة جملة الدين فان أصول هذا الباب ترجع الى ثلاثة علم المبدأ وعلم الوسط وعلم المعاد فعلم المبدأ هو معرفة الله تعالى وهو المراد بقوله تعالى اننى أنا الله لااله الاأنا وعلم الوسط هو علم العبودية فقوله تعالى فاعبدنى اشارة الى الأعمال الجسمانية وقوله لذكرى بمعنى لتكون ذاكرا الى غيرناس اشارة الى الاعمال الروحانية فالعبودية أولها الاعمال الجسمانية وآخرها الأعمال الروحانية وعلم المعاد هو قوله تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها (لتجزى كل نفس) برة أوفاجرة (بماتسعى) أى بماتعمل من خير أوشر فقوله لتجزى متعلق بآتية أو بأخفيها (فلايصدنك) أى فلايصرفنك ياموسى (عنها) أى عن ذكر الساعة (من لايؤمن بها واتبع هواه) أى ميل نفسه الى انكار الساعة فان منكر البعث انما أنكره اتباعا للهوى لاللدليل (فتردى) أى فتهلك بالنار فالله تعالى راعى هذا الترتيب الحسن في هذا الباب لانه قال لموسى أولا فاخلع نعليك وهو اشارة الى الأمر بتطهير السر عما سوى الله تعالى ثم أمره بتحصيل مايجب تحصيله من التكاليف وافتتحها بمحض اللطف وهو قوله تعالى اننى أنا الله واختتمها بمحض القهر وهو قوله تعالى فلايصدنك عنها الآية تنبيها على أن رحمته سبقت غضبه واشارة الى أن

ياموسى انى أنار بك فاخلع نعليك) وكانتا من جلد حمار ميت مدبوغ فلذلك أمره بخلعهما (انك بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) اسم ذلك الوادى (وأنا اخترتك) أى اصطفيتك للنبوة (فاستمع لما يوحى) أى اليك منى (وأقم الصلاة لذكرى) أى لتذكرنى فيها (ان الساعة) أى القيامة (آتية أكاد أخفيها) أى أسترها للتهويل والتعظيم وأكاد صلة (لتجزى) أى ذلك اليوم (كل نفس بماتسعى) أى تعمل (فلا يصدنك) أى يمنعك (عنها) أى عن الايمان بالساعة (من لايؤمن بها واتبع هواه) أى مراده (فتردى) أى فتهلك

العبد لابد له في العبودية من الرغبة والرهبة والرجاء والخوف (وما تلك بيمينك) أي وما تلك مأخوذة بيمينك (ياموسى) فقوله وما تلك اشارة الى العصا وقوله بيمينك اشارة الى اليد أراد الله تعالى بالسؤال أن يثبت قلب موسى ويزداد علمه حتى اذا قلب الله تعالى العصا ثعبانا لا يخافه ولا يعتريه شك وكذا اذا أخرج الله من يد موسى شعاعا فيعرف أن ذلك بقدرة الله تعالى والنكتة في ذلك السؤال أنه لما غلبت الدهشة على موسى في الحضرة أراد رب العزة ازالتها فسأله عن أمر لا يغلط فيه وهي العصا كذلك المؤمن اذا مات ووصل الى حضرة ذي الجلال فالدهشة تغلبه والحياء يمنعه عن الكلام فتسأله الملائكة عن الأمر الذي لم يقع الغلط فيه في الدنيا وهو التوحيد فاذا ذكر زالت الدهشة والوحشة عنه (قال هي) أي التي قارة بيميني (عصاي أتوكأ عليها) أي أعتمد عليها عند النهوض الى القيام أو عند الاعياء أو عند المشي (وأهش بها على غنمي) أي أخبط بها ورق الشجر لغنمي وقرأ عكرمة واهس بالسين غير المنقوطة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمن معنى الانحاء والاقبال أي أزجر الغنم بها مسحيا ومقبلا عليها (ولي فيها) أي العصا (مآرب أخرى) أي حاجات شتى وأجمل موسى عليه السلام رجاء أن يسأله ربه عن تلك المآرب فيسمع كلام الله مرة أخرى ويطول أمر المكالمة بسبب ذلك ثم أراد الله أن يعرفه عليه السلام أن فيها أعظم من مآربه التي هي حمل الزاد والقوس وعرض الزند والقاء الكساء للاستظلال وطرد السباع وغير ذلك فأمره الله بالقائها (قال ألقها) من يدك (ياموسى فألقاها) من يده على الأرض (فاذا هي حية تسعى) قيل كانت العصا أول انقلابها حية صفراء صغيرة في غلظ العصا ثم انتفخت وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا فأول حالها جان ومآلها ثعبان وقيل انها كانت من أول الأمر في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان وكان لها عرف كعرف الفرس وكان بين فكيها أربعون ذراعا وابتلعت كل ما مرت به من الصخور والاشجار حتى سمع موسى صرير الحجر في فمها وجوفها وعيناها تتقدان كالنار وهي تشتد رافعة رأسها فلما عاين موسى ذلك ولى هاربا منها (قال) تعالى له (خذها) ياموسى بيمينك (ولا تخف) منها (سنعيدها سيرتها الأولى) أي سنعيدها بعد الأخذ الى حالتها الأولى التي هي الهيئة العصوية فلما قال له ربه لا تخف ذهب خوفه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها فعادت عصا كما كانت (واضمم يدك الى جناحك) أي أدخل كفك اليمنى في ابطك الايسر وأخرجها (تخرج بيضاء) أي متبرقة مثل البرق أو مشرقة تضيء كشعاع الشمس تغطي البصر عن الادراك ثم اذا ردها الى كفه صارت الى لونها الأول بلا نور (من غير سوء) أي من غير برص (آية أخرى) أي معجزة أخرى غير العصا فقوله تعالى بيضاء حال من الضمير في تخرج ومن غير سوء متعلق ببيضاء لما فيها من معنى الفعل وهو ابيضت وآية أخرى حال من ضمير تخرج (لنريك من آياتنا الكبرى) في الاعجاز وهي اليد فانها أكبر آيات موسى لانها لم تعارض أصلا وأما العصا فقد عارضها السحرة فقوله لنريك متعلق بقوله تعالى واضمم أو بقوله تخرج وقوله من آياتنا حال من الكبرى فالكبرى مفعول ثان لنريك والتقدير لنريك الآية الكبرى حال كونها بعض آياتنا الدالة على قدرتنا (اذهب الى فرعون) بما رأيته من الآيتين العظيمتين وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي (انه طغى) أي جاوز الحد في الكبر حتى تجاسر على دعوى الربوبية (قال) مستعينا بالله تعالى (رب اشرح لي صدري) أي لين لي قلبي لأجترئ على مخاطبة فرعون وكان موسى يخاف فرعون لشدة شوكته وكثرة جنوده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه ليكون حمولا لما يستقبل من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات (ويسر لي أمري) أي هون على تبليغ الرسالة الى

(وما تلك) أي وما التي (بيمينك) أي في يدك اليمنى (قال هي عصاي أتوكأ) أي أتحامل عليها عند المشي والاعياء (وأهش) أي أخبط الورق على الشجر (بها على غنمي ولي فيها مآرب) حاجات (أخرى) أي سوى التوكؤ والهش وقوله (سنعيدها سيرتها الأولى) أي نردها عصا كما كانت (واضمم يدك الى جناحك) وجناح الانسان عضده الى أصل الابط يريد أدخلها تحت جناحك (تخرج بيضاء من غير سوء) برص أو داء (آية أخرى) لك سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) الآية وكانت هذه أكبر آية (اذهب الى فرعون انه طغى) أي كفر بأنعمي وتكبر عن عبادتي فعند ذلك (قال) موسى (رب اشرح) أي وسع ولين (لي صدري) يعني قلبي بالايمان والنبوة (ويسر لي أمري) أي وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة

(قولي) أي كي يفهموا كلامي (واجعل لي وزيرا) أي معينا (من أهلي) وهو (هرون أخي اشدد به أزري) أي قو به ظهري (وأشركه في أمري) أي اجعل ما أمرتني به من النبوة بيني وبينه (كي نسبحك) أي نصلي لك (كثيرا ونذكرك كثيرا) أي باللسان على كل حال (انك كنت بنا بصيرا) أي عالما فاستجاب الله تعالى له و (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) أي أعطيت مرادك ثم ذكر منته السالفة بقوله (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي قبل هذه وهي (اذ أوحينا الى أمك مايوحى) أي ألهمناها مايلهم الانسان من الصواب وهو الهام الله اياها (أن اقذفيه) أي اجعليه (في التابوت فاقذفيه) أي فاطرحيه (في اليم) يعني نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أي فيرده الماء الى الشط (يأخذه عدو لي وعدو له) وهو فرعون (وألقيت عليك محبة مني) حتى لم يقتلك عدوك الذي أخذك من الماء وهو أنه حببه الى الخلق كلهم فلا يراه مؤمن ولا كافر الا أحبه

فرعون (واحلل عقدة من لساني) متعلق باحلل روى أنه عليه السلام كان في لسانه رتة لأنه حال صباه أخذ لحية فرعون ونتفها لما كان فيها من الجوهر فغضب فرعون وأمر بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده وقالت آسية انه صبي لايعقل وعلامته أن تقرب منه التمرة والجمرة فقربا اليه فأخذ الجمرة فجعلها في فيه (يفقهوا) أي يفهموا (قولي) عند تبليغ الرسالة (واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي) فوزيرا مفعول ثان لأنه نكرة وهرون مفعول أول لأنه معرفة وقدم الثاني اعتناء بشأن الوزارة وأخي عطف بيان ولي متعلق بمحذوف على أنه حال من وزيرا ومن أهلي متعلق باجعل والمعنى واجعل من أهلي هرون أخي متحملا على الاعباء لي ومعينا على أمري يقوى أمري وأثق برأيه (اشدد به أزري) أي قو بهرون ظهري وأعني به (وأشركه في أمري) أي اجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي وقرأ العامة على صيغة الطلب وهي ضم الهمزة من اشدد وهي همزة وصل وفتح الهمزة من أشركه وهي همزة قطع وقرأ ابن عامر وحده على صيغة الجواب وهو فتح همزة أشدد وضم همزة أشركه وكلاهما همزة قطع للمتكلم فيهما ويجوز لمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) أي كي ننزهك عما لايليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها مايدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه جماعته الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بمايليق بك من صفات الكمال والجمال والجلال زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون وأوان المحاجة معه وهذا اشارة الى ان الجليس الصالح والصديق الصديق أثرا عظيما في المعاونة على كثرة الطاعات والمرافقة في اقتحام عقبات السلوك وقطع مفاوزه (انك كنت بنا بصيرا) أي عالما بأن مادعوتك به ممايفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبأن هرون نعم الرده في أداء ماأمرت به (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤلك ياموسى) أي قد أردت اعطاء مسئولك ألبتة (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي في وقت غير هذا الوقت من غير سابقة دعاء منك وطلب فلأن أنعم عليك بمثل تلك النعم التامة وأنت طالبه أولى (اذ أوحينا الى أمك مايوحى) أي ألهمنا أمك الذي يلهم أو أريناها في منامها الذي يرى لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون (أن اقذفيه في التابوت) أي بأن تضعي الصبي في الصندوق (فاقذفيه) أي فألقي الصبي (في اليم) أي في بحر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أي فيلقي بحر النيل هذا الصبي على الشط والأمر بمعنى الخبر وحكمة صورة الأمر لوجوب وقوع ذلك لتعلق الارادة الربانية به * روي أن أم موسى اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى عليه السلام وقيرت رأس التابوت وشقوقه بالقار ثم ألقته في نيل مصر وكان يشرع منه نهر كبير الى دار فرعون فرفعه الماء اليه فأتى به الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأس البركة مع امرأته آسية بنت مزاحم اذ بتابوت يجيء به الماء فلما رآه فرعون أمر الغلمان والجواري باخراج مافيه ففتحوا رأس التابوت فاذا صبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه حبا شديدا لايتمالك أن يصبر عنه (يأخذه عدو لي وعدو له) وهو فرعون فالأول باعتبار الواقع لكفره وعتوه والثاني باعتبار مايؤول اليه ومالو ظهر لفرعون حال موسى لقتله وفي هذا الأمر بقذفه في البحر وفي وقوعه في يد العدو لطف خفي مندرج تحت قهر صوري (وألقيت عليك محبة مني) أي وألقيت عليك محبة عظيمة حاصلة مني واقعة بخلق فلذلك أحبتك امرأة فرعون حتى قالت لفرعون قرة عين لي ولك لاتقتلوه ويروى أنه عليه السلام

(ولتصنع) أي لتربى وتغذى (على عيني) أي على محبتي ومرادي يعني اذ رده الى أمه حتى غذته وهو قوله (اذ تمشي أختك) أي متعرفة خبرك ومايكون من أمرك بعد الطرح في الماء (فتقول هل أدلكم على من يكفله) أي يرضعه ويضمه اليه وذلك حين أبى موسى أن يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم ذلك قالوا نعم فجاءت بالأم فدفع اليها فذلك قوله تعالى (فرجعناك) فرددناك (الى أمك كي تقر عينها) بلقائك وبقائك (ولا تحزن) أي على فقدك (وقتلت نفسا) يعني القبطي الذي قتله (فنجيناك من الغم) أي من غم أن تقتل به (وفتناك فتونا) أي اختبرناك اختبارا يعني اختباره بأشياء قبل النبوة (فلبثت) أي مكثت (سنين في أهل مدين) أي عشر سنين في منزل شعيب (ثم جئت على قدر) أي على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى فيه الى الأنبياء (واصطنعتك لنفسي) أي اخترتك بالرسالة لكي تجيبني وتقوم بأمري (اذهب أنت وأخوك بآياتي) يعني ما أعطاهما من المعجزة (ولا تنيا) أي لا تفترا (اذهبا الى فرعون انه طغى) علا وتكبر (فقولا له قولا لينا) كنياه وعداه على الايمان نعيما وعمرا طويلا في صحة ومصيرا الى الجنة (لعله يتذكر) يتعظ (أو يخشى) ومعنى لعل ههنا تعود الى حال موسى وهرون أي اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما وقد علم الله ما يكون منه

السلام كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه (ولتصنع على عيني) معطوف على علة مقدرة متعلقة بألقيت والتقدير وألقيت عليك المحبة ليعطف عليك ولتربى بالشفقة بحفظي وقرأ العامة لتصنع بالبناء للمجهول باضمار أن بعد لام كي وقرئ بكسر اللام وسكونها والجزم بلام الامر وقرأ الحسن وأبو نهيك بفتح التاء بالبناء للفاعل أي ليكون تصرفك على رعاية مني (اذ تمشي أختك) مريم وكانت شقيقته وهي غير أم عيسى وهذا الظرف متعلق بألقيت أي ألقيت عليك محبة مني في وقت مشي أختك أو بتصنع أي لتربى ويحسن اليك في هذا الوقت (فتقول) لفرعون وآسية (هل أدلكم على من يكفله) أي يربيه ويرضعه وروى أنه لما فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاما في النيل وكان لا يرتضع من ثدي كل امرأة يؤتى بها واضطروا الى تتبع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فدخلت قصر فرعون فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ثم جاءت بالام فقبل ثديها فرجع الى أمه بما لطف الله تعالى له من هذا التدبير فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى أمك) معطوف على محذوف أي فقالوا دلينا على من تكفله فجاءت بأمك فرددناك الى أمك (كي تقر عينها) فتطيب نفسها بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) أي ليزول عنها الحزن بسبب عدم وصول لبن غيرها الى باطنك أو كي لا تحزن أنت بفراقها وكانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر أو أربعة قبل القائه في اليم (وقتلت نفسا) قبطيا طباخا لفرعون اسمه قابقان وكان عمره اذ ذاك ثلاثين سنة (فنجيناك من الغم) أي من غم اقتصاص فرعون منه بالانجاء منه بالمهاجرة الى مدين ومن غم عقاب الله تعالى حيث قتله لا بأمر الله بالمغفرة وكان قتله للكافر خطأ (وفتناك فتونا) أي أوقعناك في محنة بعد محنة وخلصناك منها فانه ولد في عام يقتل فيه الولدان وألقته أمه في البحر والتقطه آل فرعون وامتنع من ارتضاع الاجانب وهم فرعون بقتله ووضع الجمرة في فيه وقتل قبطيا ثم هرب الى مدين (فلبثت سنين) أي مكثت عشر سنين (في أهل مدين) وهي بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر ياموسى) أي ثم جئت الى المكان الذي أونس فيه النار ووقع فيه النداء كائنا على مقدار معين من الزمان وهو أربعون سنة فنبأتك وأرسلتك حينئذ (واصطنعتك) أي اصطفيتك (لنفسي) بالرسالة وبالكلام (اذهب أنت وأخوك) أي وليذهب أخوك الى فرعون وقومه وبني اسرائيل (بآياتي) أي مع آياتي التي هي العصا واليد ففي كل منهما آيات شتى فانقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما آية أخرى وسرعة حركته مع عظيم جرمه آية أخرى ثم انه عليه السلام يدخل يده في فيه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابه عصا آية أخرى وكذلك اليد فان بياضها آية وشعاعها آية أخرى ثم رجوعها الى حالتها الأولى آية أخرى (ولا تنيا في ذكري) أي لا تضعفا عن تبليغ رسالتي فان الذكر يطلق على كل عبادة والتبليغ من أعظم العبادات (اذهبا الى فرعون) روى أن الله تعالى أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليه السلام (انه طغى) أي تكبر بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة وان فرعون كان قد رباه عليه السلام فأمره أن يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق (لعله يتذكر أو يخشى) أي فقولا له قولا لينا على أن تكونا راجيين لأن يقبل وعظكما أو يخشى الله فيرجع

من الانكار الى الاقرار بالحق فان لم ينتقل من الانكار الى الاقرار لكنه اذا حصل فى قلبه الخوف ترك الانكار وان لم ينتقل الى الاقرار فان ترك الانكار خير من الاصرار على الانكار وفائدة ارسالهما مع علم الله بأن فرعون لا يؤمن الزام الحجة من الله وقطع المعذرة عن فرعون واظهار الآيات ويروى عن كعب انه مكتوب فى التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسى قلبه فلا يؤمن (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) أى أن يعجل علينا بالعقوبة بأن لا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة أى انا نخاف فوات القيام لتبليغ الرسالة كما أمرتنا اذا قتلنا وقرئ يفرط بضم الياء وكسر الراء أى نخاف أن يحمله حامل من ادعاء الربوبية أوحبه للرياسة والملك أو قومه المتمردين على المعاجلة بالعقاب (أو أن يطغى) أى يزداد تكبرا الى أن يقول فى شأنك مالا ينبغى لجراءته عليك وقساوة قلبه (قال) الله تعالى (لا تخافا) مما عرض فى قلبكما من أذية فرعون لكما ومن ازدياد كفره (اننى معكما أسمع وأرى) أى انى حافظكما سميعا وبصيرا قال القفال يحتمل أن يكون قوله تعالى أسمع وأرى مقابلا لقولهما أن يفرط علينا أى أن يعدو علينا بأن لا يسمع منا أو أن يطغى أى يغلب علينا بأن يقتلنا فقال الله تعالى اننى معكما أى معينكما وعالم بما يليق من حالكما معه أسمع كلامه معكما فأسخره للاستماع منكما وأرى أفعاله فلا أتركه يفعل بكما ما تكرهانه (فأتياه) أى فلتكونا واصلين الى فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اليك (فأرسل معنا بنى اسرائيل) تذهب بهم الى أرضهم وفى ذلك ادخال النقص على ملكه لأنه كان محتاجا اليهم فيما يريده من الأعمال من بناء أوغيره (ولا تعذبهم) بالأمور الشاقة كالحفر ونقل الأحجار وقتل ذكور أولادهم عاما دون عام واستخدام نسائهم (قد جئناك بآية من ربك) أى باثبات الدعوى ببرهانها فهو بيان من عند الله (والسلام على من اتبع الهدى) أى السلامة فى الدارين من عذاب الله لمن صدق آيات الله الهادية الى الحق وهذا من جملة قوله تعالى الذى أمرهما أن يقولاه لفرعون أى وقولا له والسلام الخ (انا قد أوحى الينا) من جهة ربنا (أن العذاب) الدنيوى والأخروى (على من كذب) بآياته تعالى (وتولى) أى أعرض عن قبولها (قال) أى فرعون بعد ما أتياه و بلغا ما أمرا به (فمن ربكما ياموسى) لم يقل فمن ربى مع أن حق الجواب كذلك لغاية عتوه أى اذا كنتما رسولى ربكما فأخبرا من ربكما الذى أرسلكما وتخصيص النداء بموسى بعد مخاطبته لهما معا لأنه الأصل فى الرسالة وهرون وزيره (قال) أى موسى مجيبا له (ربنا الذى أعطى كل شئ) من أنواع المخلوقات (خلقه) أى صورته اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع أو أعطى خلقه كل شئ يحتاجون اليه وينتفعون به وتقديم المفعول الثانى للاعتناء به (ثم هدى) الى طريق الانتفاع من الأكل والشرب والجماع (قال) أى فرعون لموسى (فما بال القرون الأولى) أى ما حال الأمم الماضية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة أى فلما ذكر موسى عليه السلام برهانا نيرا على هذا المطلوب خاف فرعون أن يزيد موسى فى تصوير تلك الحجة فيظهر للناس صدقه عليه السلام وحقيقة مقالاته ويتبين عندهم بطلان خرافات نفسه فأراد فرعون أن يصرف موسى عليه السلام عن ذلك الكلام الذى يتعلق بالرسالة الى الحكايات فعسى يظهر منه نوع غفلة فيرتقى فرعون الى أن يدعى قدام قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الخالية (قال) موسى (علمها) أى علم حالهم (عند ربى) فلا يعلمها الا الله وانما أنا عبد لا أعلم منها الا ما علمنيه (فى كتاب) أى ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ يكون المكتوب فيه يظهر للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم فى الاستدلال على أنه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة أو المعنى ان بقاء المعلومات فى علمه تعالى كبقاء

(قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا) أى يعجل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يطغى) أى يتكبر ويستعصى (قال لا تخافا اننى معكما) أى بالعون والنصرة (أسمع) مايقول (وأرى) ما يفعل وقوله تعالى (فأرسل معنا بنى اسرائيل) أى خل عنهم ولا تستسخرهم (ولا تعذبهم) يعنى ولا تتعبهم فى العمل (قد جئناك بآية من ربك) يعنى اليد البيضاء (والسلام على من اتبع الهدى) أى سلم من أسلم (انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب) أنبياء الله (وتولى) أى أعرض عن الايمان وقوله (ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه) أى أتقن كل ما خلق وخلقه على الهيئة التى بها ينتفع والتى هى أصلح لما يراد منه (ثم هدى) أى هداه لمعيشته ثم سأله فرعون عن أعمال الأمم الماضية وهى قوله (فما بال القرون الأولى) فأجابه موسى أن أعمالهم محفوظة عند الله يجازون بها وهو قوله (قال علمها عند ربى فى كتاب) وهو اللوح المحفوظ

المكتوب

المكتوب فى الكتاب فلا يزول شئ منها عن علمه تعالى (لايضل ربى) أى لايخطئ عن معرفة الأشياء ولايخفى شئ عن علمه (ولاينسى) شيئا علمه (الذى جعل لكم الأرض مهدا) أى فراشا وقرأ عاصم وحمزة بفتح الميم وسكون الهاء والباقون بكسر الميم وفتح الهاء مع الألف (وسلك لكم فيها سبلا) أى جعل لكم فى الارض طرقا تذهبون وتجيئون فيها (وأنزل من السماء ماء) هذا تمام كلام موسى عليه السلام ثم بعد ذلك أخبر الله تعالى عن صفة نفسه تتميما لكلام موسى لخطاب أهل مكة فقال (فأخرجنا به) أى بذلك الماء (أزواجا) أى أصنافا (من نبات شتى) أى مختلفة فى الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس وبعضها للبهائم على اختلاف وجوه الصلاح وقيل هذا من تمام كلام موسى عليه السلام كأنه يقول ربى الذى جعل لكم كذا وكذا فأخرجنا نحن معشر عباده بذلك الماء بالحراثة أزواجا من نبات شتى وقال صاحب الكشاف ان كلام موسى عليه السلام تم عند قوله ولاينسى ثم ابتدأ كلام الله من قوله الذى جعل فهو خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو الذى جعل ويكون الانتقال من الغيبة الى التكلم التفاتا للدلالة على كمال القدرة والحكمة وللاعلام بأن ذلك لايتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من ضمير أخرجنا على ارادة القول أى فأخرجنا أصناف النبات قائلين لكم كلوا وارعوا أنعامكم أى مبيحين لكم الاكل وعلف الأنعام آذنين فى الانتفاع بها (ان فى ذلك) أى فى اختلاف النبات فى الشكل والطبع (لآيات) واضحة الدلالة على شئون الله تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله (لأولى النهى) أى لذوى العقول الناهية عن الأباطيل (منها) أى الارض (خلقناكم) وذلك اذا وقعت النطفة فى الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله الولد من النطفة ومن التراب وأيضا ان تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الأغذية وهى تنتهى الى النبات وهى انما تحدث من امتزاج الماء والتراب (وفيها نعيدكم) الى الموضع الذى أخذ ترابكم منه مدفونين فيه (ومنها نخرجكم تارة أخرى) يوم البعث على الهيئة السابقة (ولقد أريناه) أى والله لقد بصرنا فرعون (آياتنا كلها) روى أن موسى لما ألقى عصاه انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر وتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه فصاح فرعون ياموسى أنشدك بالذى أرسلك الا أخذته فأخذه فعاد عصا وروى أنها انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون ياموسى أنشدك الخ ونزع موسى يده من جيبه فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس ففى تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة ولذلك أكدت بكلها (فكذب) موسى عليه السلام (وأبى) أن يؤمن ويطيع لعتوه (قال) لموسى خوفا من أن يتبعه الناس (أجئتنا) من مكانك الذى كنت فيه بعدما غبت عنا (لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك) أى الذى هو العصا واليد البيضاء (ياموسى) وليكون لك الملك فيها (فلنأتينك بسحر مثله) أى مثل سحرك فى الغرابة (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أى وعدا لاتياننا بالسحر (لانخلفه) أى ذلك الوعد (نحن ولا أنت) فموعدا مفعول أول والظرف مفعول ثان (مكانا) مفعول فيه منصوب باجعل (سوى) قرأ عاصم وحمزة وابن عامر بضم السين أى تستوى مسافة المكان على

(لايضل ربى) أى لايخطئ ومعناه لايترك من كفر به حتى ينتقم منه (ولاينسى) أى من وحده حتى يجازيه (الذى جعل لكم الأرض مهادا) أى فراشا (وسلك لكم فيها سبلا) أى وسهل لكم فيها طرقا (وأنزل من السماء ماء) يريد المطر وتم ههنا جواب موسى ثم تلون الخطاب فقال الله تعالى (فأخرجنا به أزواجا) أى أصنافا (من نبات شتى) أى مختلف الألوان والطعوم (كلوا وارعوا أنعامكم) فيها أى أسيموها وأسرحوها فى نبات الأرض (ان فى ذلك) الذى ذكرت (لآيات لأولى النهى) أى لعبرة لذوى العقول (منها خلقناكم) يعنى آدم (وفيها نعيدكم) أى عند الموت (ومنها نخرجكم) أى عند البعث (تارة) مرة (أخرى ولقد أريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى التسع الآيات (فكذب) بها وزعم أنها سحر (وأبى) أن يسلم (قال) فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرض مصر بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أى لمعارضتنا إياك (لانخلفه) يعنى ذلك الموعد (نحن ولا أنت) وأراد بالموعد ههنا موضعا يتواعدون للاجتماع هناك وهو قوله (مكانا سوى) أى يكون النصفة فيما بيننا وبينك

(قال موعدكم يوم الزينة) أي وقت موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم (وأن يحشر) أي يخرج (الناس ضحى) يريد أهل مصر في ذلك اليوم نهارا أراد موسى أن يكون أبلغ حجة وأشهر ذكرا في الجمع (فتولى) أي فأدبر (فرعون فجمع كيده) أي حيله وسحرته (ثم أتى) الميعاد (قال لهم موسى) أي قال موسى للسحرة (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) أي لا تشركوا مع الله أحدا (فيسحتكم) أي فيستأصلكم (بعذاب وقد خاب من افترى) أي خسر من ادعى مع الله إلها آخر (فتنازعوا أمرهم بينهم) أي فتشاوروا بينهم يعني السحرة (وأسروا النجوى) أي تكلموا فيما بينهم سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه (قالوا ان هذان لساحران) يعنون موسى وهرون (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) يعني أرض مصر ويغلبا عليها (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) أي بجماعتكم الأشراف يريدان أن يصرفا وجوههم اليهما (فأجمعوا كيدكم) أي اعزموا على الكيد من غير اختلاف بينكم فيه (ثم ائتوا صفا) أي مجتمعين مصطفين ليكون أشد لهيبتكم (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي قد سعد اليوم من غلب (قالوا يا موسى اما أن تلقي) عصاك من يدك الى الأرض (واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا) أنتم (فاذا حبالهم وعصيهم) جمع العصا (يخيل اليه من سحرهم) أي يشبه لموسى (أنها تسعى) وذلك أنها تحركت بنوع حيلة وتمويه فظن موسى أنها تسعى نحوه

الفريقين والباقون بكسرها أي غير هذا المكان الذي نحن فيه الآن (قال) موسى (موعدكم) أي أجلكم (يوم الزينة) وهو يوم النيروز أو يوم عيد لهم وكان يوم عاشوراء واتفق أنه في هذه الواقعة يوم سبت وقرأ الحسن والأعمش وعيسى وعاصم وغيرهم يوم بالنصب أي موعدكم يقع يوم الزينة (وأن يحشر الناس ضحى) عطف على الزينة أو على يوم (فتولى فرعون) أي انصرف عن المجلس وفارق موسى (فجمع كيده) أي ما يكاد به من السحرة وأدواتهم (ثم أتى) بهم الموعد وأتى موسى أيضا (قال لهم) أي لأهل الكيد (موسى) بطريق النصيحة (ويلكم) أي ألزمكم الله ضيقا في الدنيا (لا تفتروا على الله كذبا) باتيان السحر في معارضة آيات الله وبادعائكم أن الآيات التي ستظهر على يدي سحر (فيسحتكم) قرأ حفص وحمزة والكسائي بضم الياء وكسر الحاء والباقون بفتحهما أي فيهلككم (بعذاب) في الدنيا بالاستئصال أو في الآخرة بالنار (وقد خاب) أي حرم عن المقصود (من افترى) على الله (فتنازعوا) أي السحرة (أمرهم بينهم) أي تشاوروا ليستقروا على شيء واحد حين سمعوا كلام موسى عليه السلام (وأسروا النجوى) من فرعون وملئه فقالوا في نجواهم ان غلب علينا موسى آمنا به ثم (قالوا) بطريق العلانية أي قال السحرة وقيل قال لهم فرعون ومن معه (ان هذان لساحران) قرأ ابن كثير وحفص بسكون النون من ان وشددها الباقون وشدد ابن كثير نون هذان وقرأ أبو عمرو وهذين بالياء (يريدان) أي موسى وهرون (أن يخرجاكم من أرضكم) أي أرض مصر (بسحرهما) الذي أظهراه لكم (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أي يذهبا دينكم الذي هو أفضل الأديان باعلاء دينهما أو يقال ويذهبا بأشراف قومكم بميلهم اليهما لغلبتهما وهم بنو اسرائيل فانهم ذوو علم ومال (فأجمعوا كيدكم) وقرأ أبو عمرو بفتح الميم وبوصل الهمزة أي فاجمعوا أدوات سحركم فلا تتركوا شيئا منها وقرأ الباقون بكسر الميم وقطع الهمزة أي ليكن عزمكم مجمعا عليه لا تختلفوا (ثم ائتوا) القاء موسى وهرون (صفا) أي مصطفين مجتمعين لكي يكون الصف أنظم لأمركم وأشد لهيبتكم قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصا (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي وقد فاز بالمطلوب من غلب ومرادهم بالمطلوب الأجر والتقريب من فرعون على ما وعدهم بذلك ومرادهم بمن غلب أنفسهم جميعا أو من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة (قالوا) أي السحرة لموسى (ياموسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى) أي اختر إما القاءك ما معك قبلنا وإما القاءنا ما معنا قبلك وهذا التخيير حسن أدب منهم وتواضع لموسى عليه السلام لأن لين القول مع الخصم ان لم ينفع لم يضر بل نفعهم ولذلك رزقهم الله تعالى الايمان ببركته ثم ان موسى عليه السلام قابل أدبهم بأدب أحسن من أدبهم حيث بت القول بالقائهم أولا لأنه فهم أن مرادهم الابتداء (قال بل ألقوا) أي قال لهم موسى لا ألقي أنا أولا بل ألقوا أنتم أولا ان كنتم محقين فألقوا ما معهم من الحبال والعصي ميلا من هذا الجانب وميلا من هذا الجانب (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه) أي موسى (من سحرهم أنها) حيات (تسعى) فاذا ظرفية تطلب متعلقا ينصبها من فعل المفاجأة وجملة ابتدائية تضاف اليها أي ففاجأ موسى اذا حبالهم وعصيهم مخيلة الى موسى السعي كسعي ما يكون حيا من الحيات من أجل سحرهم وذلك أنهم كانوا لطخوها بالزئبق

(فأوجس) أي فأضمر (في نفسه خيفة) أي خوفا خاف أن لايفوز ولايغلب ولا يصدق حتى قال الله تعالى له (لاتخف انك أنت الأعلى) أي الغالب (وألق مافي يمينك تلقف) أي تبتلع (ماصنعوا انما صنعوا) أي ان الذي صنعوه (كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) أي ولا يسعد الساحر حيثما كان فألقى موسى عصاه فتلقفت كل الذي صنعوه وعند ذلك (ألقي السحرة سجدا) أي خروا ساجدين لله تعالى (قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له) أي صدقتموه (قبل أن آذن لكم انه لكبيركم) أي معلمكم (الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي على ساق النخل (ولتعلمن أينا أشد عذابا) انا أو رب موسى (وأبقى) أي وأدوم (قالوا لن نؤثرك) يعني لن نختار دينك (على ماجاءنا من البينات) يريد اليقين والعلم (والذي فطرنا) أي ولا نختارك على الذي خلقنا (فاقض ما أنت قاض) أي فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي انما سلطانك وملكك في هذه الدنيا (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) أي الشرك الذي كنا فيه (وما أكرهتنا عليه من السحر) أي وا كراهك ايانا على تعلم السحر

بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه أنها تتحرك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أي أضمر موسى في قلبه بعض خوف من أن لايظفر بهم فيقتلون من آمن به عليه السلام (قلنا لاتخف انك أنت الأعلى) أي الغالب عليهم وقيل ان موسى خاف من مفاجأته بمقتضى طبع البشرية من النفرة من الحيات ومن الاحتراز من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه فان خوف البشرية مركوز في جبلة الانسان وذلك مثل ماخاف من عصاه أول مارآها ولذلك قال تعالى انك أنت الأعلى أي أعلى درجة من أن تخاف من المخلوقات دون الخالق (وألق) على الارض (مافي يمينك) ياموسى وانما لم يقل وألق عصاك تعظيما لشأنها أي لاتحتفل بهذه الاجرام فان في يمينك شيئا أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء عنده فألقه (تلقف ماصنعوا) أي تلقم ماطرحوا من الحبال والعصى التي خيل اليك سعيها وخفتها وقرأ ابن عامر تلقف بتشديد القاف و بالرفع والعامة بالجزم وحفص بسكون اللام و بالجزم (انما صنعوا كيد ساحر) أي لان الذي صنعوه عمل ساحر وقرأ حمزة والكسائي كيد سحر بكسر فسكون على أن الاضافة للبيان وقرأ مجاهد وحميد وزيد بن علي بنصب كيد ساحر على أنه مفعول به وما كافة مزيدة (ولايفلح الساحر) أي لايحصل له مقصوده بالسحر خيرا كان أو شرا (حيث أتى) أي أينما كان وهذا من تمام التعليل (فألقي السحرة سجدا) أي فألقى موسى عصاه فتلقفت حبال السحرة وعصيهم فسجدوا فانهم من سرعة سجودهم كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم للشكر والسجود روى أنهم في سجودهم رأوا الجنة ومنازلهم التي يصيرون اليها ثم رفعوا رؤسهم (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قال رئيسهم كنا نغالب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى علينا لو غلبنا فلو كان هذا سحرا فأين ماألقيناه (قال) لهم فرعون (آمنتم له) أي لموسى (قبل أن آذن لكم) أي من غير أن آذن لكم في الايمان له (انه) أي موسى (لكبيركم) أي أستاذكم (الذي علمكم السحر) وانكم تلامذته في السحر فتوافقتم على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجا لشأنه وتفخيما لأمره (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي في حال كونها مختلفات والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لا كل واحد من العضوين فان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي عليها وأتى بكلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف (ولتعلمن أينا) أي أنا أو موسى (أشد عذابا وأبقى) وهذا لقصد توضيع بموسى عليه السلام والهزؤ به لانه عليه السلام لم يكن من التعذيب في شيء أو لاراءة أن ايمانهم كان على خوف من موسى حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على أنفسهم أيضا وفي ذلك تبجح فرعون بما ألفه من تعذيب الناس بأنواع العذاب (قالوا) أي السحرة لفرعون غير مكترثين بوعيده (لن نؤثرك) أي لن نختار اتباعك (على ماجاءنا) من الله تعالى على يد موسى عليه السلام (من البينات) أي المعجزات الظاهرة الدالة على صدق موسى (والذي فطرنا) أي ولا على عبادة الذي خلقنا (فاقض ماأنت قاض) أي فاصنع ماأنت صانعه (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي لانك انما تحكم علينا في الدنيا فقط وليس لك علينا سلطان في الآخرة وأنت تجزى على حكمك في الآخرة ومالنا من رغبة في حلاوة الدنيا ولا رهبة من عذابها (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) أي شركنا ومعاصينا (وما أكرهتنا عليه من السحر) أي وليغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى رغبة في خيرك ورهبة من

شرك با كراهك علينا فى الحضور اليك من المدائن القاصية (والله خير وأبقى) اى خيره تعالى أبقى من خيرك لمن أطاعه وعذابه أبقى من عـذابك لمن عصاه (انه) أى لانه الشأن (من يأتـر به) يوم القيامـة (مجرما) بأن مات على الـكفر (فان له جهنم لايموت فيها) فيتهى عذابه و يسـتريح (ولايحيا) حياة ينتفع بها (ومن يأته) يوم القيامة (مؤمنا) بما وعد من الثواب وأوعد من العقاب على لسان أنبيائه (قد عمل الصالحات) التى جاء وابها (فأولئك لهم الدرجات العلى) أى المنازل الرفيعة فى الجنان (جنات عدن) وهى فى وسط الجنان (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك) أى الدرجات العلى (جزاء من تزكى) أى تطهر من الذنوب (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) قرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصـل أى سر ببنى اسرائيل أول الليل من أرض مصر الى البحر (فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا) أى اجعل لهم بالضرب بعصاك طريقا فى البحر يابسا ليس فيه وحل ولانداوة (لاتخاف دركا) أى ادراك فرعون (ولاتخشى) من الغرق وقرأ حمزة لاتخف بالجزم جوابا للأمر (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى فلحقهم فرعون مع جموعه (فغشيهم من اليم ماغشيهم) أى فسترهم ماسترهم من البحر (وأضـل فرعون قومه) أى سلك بهم مسلكا أداهم الى الهلاك فى الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الـكفر بالعذاب الدنيوى المتصل بالعذاب الأخرى (وما هدى) أى ما أرشدهم الى طريق موصل الى مطلب دنيوى وأخروى قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع بقومه البحر وكان موسى و بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الحلى والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم ستمائة ألف وثلاثة آلاف ونيف ليس فيهم ابن ستين ولاعشرين وخرج فرعون فى طلب موسى وعلى مقدمتـه ألف ألف وخمسمائة ألف سوى الجنبين والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال ههنا أمرت فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق فقال لهم موسى عليه السلام ادخلوا فيه فقالوا كيف وأرضه رطبة فدعا الله تعالى فهبت عليها الصبا جفت فقالوا نخاف الغرق فى بعضنا فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر فأقبل فرعون الى تلك الطرق فقال قومه له ان موسى قد سحر البحر فصار كما ترى وكان على فرس حصان فأقبل جبريل على فرس أنثى فى ثلاثة وثلاثين من الملائـكة فسار جبريل بين يدى فرعون فأبصر الحصان الحجر فاقتحم بفرعون على أثرها فصاحت الملائـكة فى الناس الحقوا الملك حتى اذا دخل آخرهم وكاد أولهـم أن يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فسمع بنو اسرائيل خفقة البحر عليهم فقالوا ماهذا ياموسى قال قد أغرق الله فرعون وقومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا ياموسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فدعا فلفظهم البحر الى الساحل وأصابوا من سلاحهم (يابنى اسرائيل) أى وقلنا يا أولاد يعقوب (قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه باغراقهم (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) أى واعدناكم اتيان جانب الجبـل الأيمن لمن انطلق من مصر الى الشام فان الله أمر أن يأتى منهم سبعون مع موسى الى طور سيناء لأخذ التوراة ففيه صلاح دينهم ودنياهم وأخراهم (ونزلنا) فى التيه (عليكم المن والسلوى) فالمن هو شئ حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل من الفجر الى طلوع الشمس لـكل انسان صاع والسلوى هو السمانى يبعثه الجنوب عليهم فيذبح الرجل منهم ما يكفيه (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أى من لذائذه وقرأ حمزة والـكسائى قد أنجيتكم وواعدتـكم ورزقتكم بتاء المتكلم والباقون بنون العظمة واتفقوا على ونزلنا بالنون وأسقط أبو عمرو ألف واعدنا (ولاتطغوا فيه

والله خير) لنا منك (وأبقى) أى لأنك فان هالك (انه من يأت ربه مجرما) أى مات على الشرك (فان له جهنم لايموت فيها) فيستريح بالموت (ولايحيا) أى حياة تنفعه (ومن يأته مؤمنا) أى مات على الايمان (قد عمل الصالحات) أى قد أدى الفرائض (فأولئك لهم الدرجات العلى) أى فى الجنة وقوله (جزاء من تزكى) أى تطهـر من الشرك بقول لااله الاالله (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي) أى سر بهم ليـلا من أرض مصر (فاضرب لهم) أى بعصاك (طريقا فى البحر يبسا) أى يابسا (لاتخاف دركا) أى من فرعـون خلفك (ولاتخشى) أى غرقا من البحر (فأتبعهم) أى فلحقهـم (فرعون بجنوده فغشيهم من اليم) أى فعلاهـم من البحر (ماغشيهم) أى ماغرقهم (وأضـل فرعون قومـه وماهدى) رد اعليه حيث قال وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل فقال (يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكـم) فـرعون (وواعدناكم) أى لايتاء الـكتاب (جانب الطور الأيمن) وذلك أن الله عز وجل وعد موسى أن يأتى هذا المـكان فيؤتيه كتابا فيه الحلال والحرام والأحكام ووعدهم موسى أن يأتى هذا المـكان عند ذهابه عنهم (ونزلنا عليكم المن والسلوى) يعنى فى التيه (كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات) أى حلالات (مارزقناكم ولاتطغوا) أى ولاتـكفروا النعمة

(فيه فيحل) أى فيجب (عليكم غضبي ومن يحلل) أى يجب (عليه غضبي فقد هوى) أى هلك وصار الى الهاوية (وانى لغفار لمن تاب) أى من الشرك (وآمن) أى وصدق الله (وعمل صالحا) أى بطاعة الله (ثم اهتدى) أى أقام على ذلك حتى مات عليه (وما أعجلك عن قومك ياموسى) يعنى السبعين الذين اختارهم وذلك أنه سبقهم

شوقا الى ميعاد الله وأمرهم أن يتبعوه فذلك قوله (قال هم أولاء على أثرى) أى يجيئون بعدى (وعجلت اليك) أى بسبقى اياهم (لترضى) أى لتزداد عنى رضا (قال فانا قد فتنا قومك) أى ألقيناهم فى فتنة واختبرناهم (من بعدك) أى من بعد خروجك من بينهم (وأضلهم السامرى) أى بدعائهم الى عبادة العجل (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) أى شديد الحزن (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أى انه يعطيكم التوراة لذلك الوعد (أفطال عليكم العهد) أى مدة مفارقتى اياكم (أم أردتم أن يحل) يجب (عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى) أى باتخاذ العجل ولم تنتظروا رجوعى اليكم (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أى ونحن نملك من أمرنا شيئا ولكن السامرى استغوانا وهو معنى قوله (ولكنا حملنا أوزارا) أى أثقالا (من زينة القوم) أى من حلى آل فرعون (فقذفناها) أى ألقيناها فى النار بأمر السامرى وذلك انه قال اجمعوها وألقوها فى النار ليرجع موسى فيرى فيها رأيه (فكذلك ألقى السامرى) أى ما معه من الحلى فى النار وهو قوله فكذلك ألقى السامرى ثم صاغ لهم عجلا منه وهو قوله

فيه) أى فيما رزقناكم بأن لم تشكروه وقال ابن عباس أى لايظلم بعضكم بعضا فيأخذه من صاحبه (فيحل عليكم غضبي) بكسر الحاء أى يجب عليكم عقوبتى وقرأ الأعمش والكسائى بضم الحاء أى ينزل (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أى هلك وقرأ الكسائى بضم اللام الأولى (وانى لغفار لمن تاب) من الشرك والمعاصى (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا) أى مستقيما عند الشرع والعقل (ثم اهتدى) أى استمر على الهدى من غير تقصير ومات على ذلك فلما ذهب موسى عليه السلام مع السبعين الى الميقات تعجل الى الميعاد قبلهم قال الله (وما أعجلك عن قومك ياموسى) أى وقلنا له أى شئ أعجلك منفردا عن النقباء (قال هم أولاء على أثرى) أى هم معى وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت أنها لاتخل بالمعية ولاتقدح فى الاستصحاب (وعجلت اليك رب لترضى) عنى بمسارعتى الى الامتثال بأمرك واعتنائى بالوفاء بعهدك (قال) تعالى ياموسى (فانا قد فتنا قومك من بعدك) أى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم موسى مع هرون وكانوا ستمائة ألف مانجا منهم من عبادة العجل الا اثناعشر ألفا (وأضلهم السامرى) حيث كان هو المدبر فى الفتنة واسمه موسى ابن ظفر وكان منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر وكان قد رباه جبريل فكان يغذيه من أصابعه الثلاثة فيخرج له من أحدها لبن ومن الأخرى سمن ومن الأخرى عسل وذلك لأن فرعون لما شرع فى ذبح الولدان كانت المرأة من بنى اسرائيل تأخذ ولدها وتلقيه فى حفيرة أو كهف من جبل أوغير ذلك وكانت الملائكة تتعهد هذه الاطفال بالتربية حتى يكبروا فيدخلوا بين الناس وقرئ وأضلهم السامرى على صيغة التفضيل أى أشدهم ضلالا السامرى وهو منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة (فرجع موسى الى قومه) بعد مااستوفى الأربعين ليلة وأخذ التوراة (غضبان أسفا) أى حزينا روى أنه لما رجع موسى سمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بأن يعطيكم التوراة فيها مافيها من الهدى (أفطال عليكم العهد) أى أوعدكم ذلك فطال عليكم مدة الانجاز ومدة نعم الله تعالى عليكم من انجائه اياكم من فرعون أفنسيتم ذلك العهد أوتعمدتم المعصية (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) بسبب عبادة العجل (فأخلفتم موعدى) بالاقامة على طاعة الله تعالى (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) قرأ حمزة والكسائى بضم الميم أى بسلطاننا وقوتنا ونافع وعاصم بفتح الميم وأبو عمرو وابن عامر وابن كثير بالكسر أى بأمر كنا نملكه ونريده (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) قرأ ابن كثير ونافع وحفص وابن عامر بضم الحاء وكسر الميم مشددة أى أمرنا أن نحمل أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وفى الواقع ليس للعرس أى فان موسى أمرهم باستعارة الحلى والخروج بها وقرأ حمزة والكسائى وأبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر بفتح الحاء والميم مخففة أى حملنا مع أنفسنا ما كنا استعرناه من حلى آل فرعون (فقذفناها) أى فطرحنا الحلى فى النار بأمر السامرى روى أنه قال لهم انما تأخر عنكم مجئ موسى عليه السلام لما معكم من الأوزار أى فهو محبوس عقوبة بالحلى فالرأى أن تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتتخلصوا من ذنبها (فكذلك) أى فمثل ذلك القذف (ألقى السامرى) ما كان معه

منها (فأخرج) أى السامرى (لهم عجلا) أى صورة عجل من تلك الحلى المذابة أى فصاغ لهم السامرى من الذهب الذى ألقوا فى النار فى ثلاثة أيام (جسدا) أى حال كون العجل جسدا صغيرا من ذهب بلا روح (له خوار) أى صوت يسمع أى أن السامرى صور صورة على شكل العجل وجعل فيها منافذ ومخارق بحيث تدخل فيها الرياح فيخرج صوت يشبه صوت العجل قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط وانما كان الريح يدخل فى دبره فيخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك (فقالوا) أى السامرى ومن تبعه فى بادى الرأى لمن توقف من بنى اسرائيل (هذا إلهكم وإله موسى فنسى) أى موسى أن إلهه هنا فيطلبه فى الطور وفى موضع آخر أو فنسى السامرى الاستدلال على حدوث الأجسام وأن الاله لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء (أفلا يرون أن لا يرجع) أى العجل (اليهم قولا) أى ألا يتفكر السامرى وأصحابه فلا يعلمون أنه لا يرجع اليهم كلاما وقرئ يرجع بالنصب أى ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الأقوال وأن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى ولا يقدر العجل على أن يدفع عنهم ضرا ولا أن يجر لهم نفعا فيخافوا كما يخافون فرعون و يرجوا منه كما يرجون من فرعون فكيف يقولون ذلك (ولقد قال لهم هرون من قبل) أى من قبل مجىء موسى عليه السلام (ياقوم انما فتنتم به) أى أوقعتم فى الفتنة بالعجل (وان ربكم الرحمن) أى ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير (فاتبعونى) فى الثبات على الدين (وأطيعوا أمرى) هذا واتركوا عبادة غير الرحمن وانما قال هرون ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق كما قال صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه غير الله فليس من الله فى شىء ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم و يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أصحابه اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا فسمع الشاب ذلك فولى فقال إلهى وسيدى هذا رسولك يشهد علىّ بأنى من أهل النار وأنا أعلم أنه صادق فاذا كان الأمر كذلك فأسألك أن تجعلنى فداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتشعل النار بى حتى تبر يمينه ولا تشعل النار بأحد آخر فهبط جبريل عليه السلام وقال يامحمد بشر الشاب بأنى قد أنقذته من النار بتصديقه لك وفدائه أمتك بنفسه وشفقته على الخلق (قالوا) فى جواب هرون عليه السلام (لن نبرح عليه عاكفين) أى لن نزال مقيمين على عبادة العجل (حتى يرجع الينا موسى) جعلوا رجوع موسى عليه السلام اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك أن موسى لا يرجع بشىء مبين اعتمادا على مقالة السامرى واعلم أن هرون عليه السلام سلك فى هذا الوعظ أحسن الطرق لأنه زجرهم عن الباطل أولا بقوله انما فتنتم به وهو ازالة الشبهات لأنه لابد قبل كل شىء من اماطة الأذى عن الطريق ثم دعاهم الى معرفة الله تعالى ثانيا بقوله وان ربكم الرحمن لأنها الأصل وانما خص هذا الموضع باسم الرحمن لأنه عليه السلام كان ينبئهم بأنهم متى تابوا قبل الله تو بتهم لأنه هو الرحمن كما خلصهم من آفات فرعون برحمته ثم دعاهم ثالثا الى معرفة النبوة بقوله فاتبعونى ثم دعاهم رابعا الى الشريعة بقوله وأطيعوا أمرى ثم انهم لجهلهم وتقليدهم قابلوا هذا الترتيب الحسن فى الاستدلال بقولهم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فجحدوا قول هرون كما هو عادة المقلد فكأنهم قالوا لا نقبل حجتك ولكن نقبل قول موسى روى أنهم لما قالوا ذلك اعتزلهم هرون عليه السلام فى اثنى عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل (قال) موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهو مغتاظ (مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (أن لا تتبعن) فى حالى الغضب لله تعالى وللمقاتلة مع من كفر به أى أى شىء دعاك الى أن لا تتبعنى فى سيرتى من الأخذ على يد الظالم

(فأخرج لهم عجلا جسدا) أى لحما ودما (له خوار) أى صوت فسجدوا له وافتتنوا به (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى) أى تركه ههنا وخرج يطلبه قال الله تعالى احتجاجا عليهم (أفلا يرون ألا يرجع) أى انه لا يرجع (اليهم قولا) أى لا يكلمهم العجل ولا يجيبهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل) أى من قبل رجوع موسى (ياقوم انما فتنتم به) أى ابتليتم بالعجل (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعونى) أى على دينى (وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح) أى لن نزال (عليه عاكفين) أى على عبادته مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) فلما رجع موسى (قال هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) أى أخطأوا الطريق بعبادة العجل (ألا تتبعنى) أى أن تتبعنى وتلحق بى وتخبرنى

طوعا

(أفعصيت أمري) حيث أقمت فيما بينهم وهم يعبدون غير الله ثم أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل) أي خشيت ان فارقتهم واتبعتك أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول أوقعت الفرقة فيما بينهم (ولم ترقب) أي ولم تحفظ (قولي) وصيتي في حسن الخلافة عليهم ثم أقبل موسى على السامري (قال فما خطبك) أي ما قصتك وما الذي تخاطب به فيما صنعت (قال بصرت بما لم يبصروا به) أي علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل قال موسى وما ذلك قال رأيت جبريل على فرس الحياة فألقي في نفسي أن أقبض من أثرها فما ألقيته على شيء الا صار له روح ولحم ودم فحين رأيت قومك سألوك أن تجعل لهم الها زينت لي نفسي ذلك فذلك قوله (فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها) أي فطرحتها في العجل (وكذلك سولت لي نفسي) حدثتني نفسي (قال) له موسى (فاذهب فان لك في الحياة) يعني مادمت حيا (أن تقول لا مساس) أي لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد وأمر موسى بني اسرائيل أن لا يخالطوه وصار السامري بحيث اذا مسه أحد أو مس هو أحدا حما كلاهما (وان لك موعدا) أي لعذابك

طوعا أو كرها فلم تركت قتالهم وتأديبهم وتركت وصيتي وأنت نبي الله وأخي ووزيري وخليفتي في قومي وأثبت الياء بعد النون ابن كثير وقفا ووصلا وأثبتها نافع وأبو عمرو وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا (أفعصيت أمري) أي ألم تتبعني وعصيت أمري وأمره عليه السلام هو ما حكاه الله تعالى عنه في قوله تعالى وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما أقام هرون معهم ولم يبالغ في منعهم نسبه الى مخالفة أمره (قال) هرون لموسى (يا ابن أم) ذكر هرون أمه مع أن موسى أخوه الشقيق ترقيقا لقلبه قرأ حمزة والكسائي بكسر الميم (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) أي ولا بشعر رأسي روي أن موسى عليه السلام أخذ شعر رأس هرون بيمينه ولحيته بشماله من فرط غضبه لله (اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل) برأيك بسبب القتال تفريقا لا يرجى بعده الاجتماع (ولم ترقب قولي) أي ولم تنتظر قدومي فمن ذلك تركت القتال معهم واني رأيت أن الاصلاح في المداراة معهم الى أن ترجع اليهم لتكون أنت المتدارك للأمر حسبما رأيت (قال) موسى عليه السلام للسامري موبخا له بعد سماع الاعتذارين (فما خطبك يا سامري) أي فما شأنك الداعي الى ما صنعت وما مطلوبك بما فعلت من عبادة العجل (قال) أي السامري مجيبا له عليه السلام (بصرت بما لم يبصروا به) بضم الصاد فيهما وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب موسى وقومه أي رأيت ما لم يره بنو اسرائيل قال له موسى وما رأيت دونهم قال رأيت جبريل لما نزل على دابة الحياة (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي حفنة من تربة موطئ فرس الملك الذي أرسل اليك ليذهب بك الى الطور للمناجاة وأخذ التوراة وقرأ الحسن قبضة بضم القاف وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة فالضاد المعجمة للأخذ بجميع الكف والمهملة للأخذ بأطراف الأصابع (فنبذتها) أي فطرحت المأخوذ في فم العجل المصوغ ودبره فخار أو في الحلي المذابة. قال أبو مسلم الأصفهاني ان موسى عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم على الأمر الذي دعاه الى اضلال القوم في باب العجل فقال بصرت بما لم يبصروا به الخ أي عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت أخذت شيئا من سنتك أيها الرسول فطرحتها وعلى هذا فالمراد بالأثر الدين وبالرسول سيدنا موسى عليه السلام. قال الرازي وهذا القول أقرب الى التحقيق لأن جبريل لم يجر له فيما تقدم ذكر وليس بمشهور عندهم باسم الرسول ولأن اضمار الكلام خلاف الأصل ولأن جبريل ربى السامري حال طفوليته فلا يعرفه ولو عرفه بعد البلوغ لعرف قطعا أن موسى عليه السلام نبي صادق ولأنه لو جاز اطلاع بعض الكفرة أن تراب فرس جبريل له خاصية الاحياء لاطلع موسى عليه السلام على شيء آخر يشبه ذلك فلأجله أتى بالمعجزات (وكذلك سولت لي نفسي) أي وزينت لي نفسي تزيينا كائنا مثل ذلك التزيين الذي فعلته من القبض والنبذ فالمعنى لم يدعني الى ما فعلته أحد غيري بل اتبعت هواي فيه (قال) له موسى (فاذهب) يا سامري من بين الناس (فان لك في الحياة أن تقول لا مساس) أي فان قولك لا مساس ثابت لك في مدة حياتك لا ينفك عنك فكان يصيح بأعلى صوته لا مساس أي اني لا أمس ولا أمس واذا مسه أحد أخذت الحمى الماس والممسوس فكان اذا أراد أحد أن يمسه صاح خوفا من الحمى وقال لا مساس وحرم موسى عليهم مكالمته ومبايعته وغيرهما مما يعتاد جريانه فيما بين الناس فكان يهيم في البرية مع السباع والوحوش ويقال ان موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى لا تقتله فانه سخي (وان لك موعدا)

(لن تخلفه) أى لن يخلفكه الله (وانظر إلى إلهك) أى معبودك (الذى ظلت عليه عاكفا) أى دمت عليه مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) أى لنذرينه فى البحر (إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو) لا العجل (وسع كل

لعذابك فى الآخرة (لن تخلفه) قرأ أهل المدينة والكوفة بفتح اللام أى لن يخلفك الله ذلك الوعد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والحسن بكسر اللام أى لن تجد الوعد خلفا ولن يتأخر عنك (وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا) أى الذى أقمت عابدا على إلهك ثم (لنحرقنه) بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء أو لنبردنه بالمبرد ويعضده قراءة أبى جعفر وابن محيصن لنحرقنه بفتح النون وضم الراء أى لنبردنه بعد أن أحميه بالنار حتى لان فهان على المبارد (ثم لننسفنه فى اليم نسفا) أى لنذرينه فى هواء البحر ذروا إذا صار رمادا أو مبرودا كأنه هباء ولقد فعل موسى عليه السلام ذلك كله حينئذ فلما فرغ موسى من ابطال ما ذهب إليه السامرى عاد إلى بيان الدين الحق فقال (إنما إلهكم الله) أى إنما معبودكم المستحق للعبادة الله (الذى لا إله) أى لا معبود لشئ من الأشياء موجود (إلا هو) وحده من غير أن يشاركه شئ من الأشياء وقرئ الله لا إله إلا هو الرحمن رب العرش (وسع كل شئ علما) أى وسع علمه كل شئ فيعلم من يعبده ومن لا يعبده (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) أى نقص عليك يا أشرف الخلق من الحوادث الماضية الجارية على الأمم الخالية قصا مثل ذلك القص المار زيادة فى معجزاتك وليكثر الاعتبار للمكلفين بها فى الدين (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى ولقد أعطيناك من عندنا قرآنا مشتملا على هذه الأخبار (من أعرض عنه) أى عن ذلك الذكر (فإنه) أى المعرض عنه (يحمل يوم القيامة وزرا) أى عقوبة ثقيلة (خالدين فيه) أى فى حمل العقوبة (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس لهم حملا عقوبتهم أو بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفرا بالقرآن (يوم ينفخ فى الصور) النفخة الثانية قرأ الجمهور بالياء المضمومة وفتح الفاء وقرأ أبو عمرو بنون مفتوحة وضم الفاء على إسناد النفخ إلى الآمر به تعظيما له وقرئ بالياء المفتوحة والضمير لله تعالى أو لإسرافيل وإن لم يجر ذكره لشهرته (ونحشر المجرمين) أى المشركين (يومئذ) أى يوم إذ ينفخ فى الصور (زرقا) أى زرق العيون سود الوجوه لأن زرقة العيون أبغض ألوان العين إلى العرب أو عميا لأن حدقة الأعمى تزرق أو عطاشا لأنهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حتى تزرق أو طامعين فيما لا ينالونه (يتخافتون بينهم) أى يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة لما يملأ صدورهم من الرعب (إن لبثتم إلا عشرا) أى ما مكثتم فى القبور إلا عشرة أيام لأنهم يرون من شدة أهوال ذلك اليوم ما يقلل ذلك فى أعينهم فهم يحسبون أنهم ما لبثوا فى القبور إلا عشرة أيام وهم حين يشاهدون البعث الذى كانوا ينكرونه فى الدنيا لا يتمالكون من أن يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم فى القبور الأمدة يسيرة (نحن أعلم بما يقولون) فى ذلك اليوم أى ليس كما قالوا (إذ يقول أمثلهم طريقة) أى أصوبهم رأيا (إن لبثتم) أى ما مكثتم فى القبور (إلا يوما) ونسبة هذا القول إلى أفضلهم عقلا لكونه أدل على شدة الهول (ويسألونك) أى يسألك يا أشرف الخلق مشركو مكة على سبيل الاستهزاء أو بنو ثقيف (عن الجبال) أى عن أمر الجبال كيف تكون يوم القيامة (فقل ينسفها ربى نسفا) أى يصير الجبال كالرمل ثم يرسل عليها الرياح (فيذرها) أى فيترك الأرض بعد قلع الجبال (قاعا) أى مستويا (صفصفا) أى ملساء لا نبات فيها (لا ترى فيها) أى الأرض (عوجا) أى لا تدرك فيها انخفاضا (ولا أمتا) أى

شئ علما) أى علم كل شئ (كذلك) أى كما قصصنا عليك هذه القصة (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) أى من الأمور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) يعنى القرآن (من أعرض عنه) أى لم يؤمن به (فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) أى حملا ثقيلا من الكفر (خالدين فيه) لا ينفر لهم ذلك ولا يكفر عنهم شئ (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس ما حملوا على أنفسهم من المآثم كفرا بالقرآن (يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين) أى الذين اتخذوا مع الله إلها (يومئذ زرقا) أى زرق العيون سود الوجوه (يتخافتون) أى يتسارون (بينهم إن لبثتم) أى ما لبثتم فى قبوركم (إلا عشرا) أى عشر ليال يريدون ما بين النفختين وهو أربعون سنة يرفع العذاب فى تلك المدة عن الكفار فيستقصرون تلك المدة لما عاينوا أهوال القيامة قال الله (نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعدلهم قولا (إن لبثتم إلا يوما ويسألونك عن الجبال) سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تكون الجبال يوم القيامة (فقل ينسفها ربى نسفا) أى يصيرها كالهباء المنثور حتى تستوى مع الأرض وهو قوله (فيذرها قاعا صفصفا) مكانا مستويا (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أى ارتفاعا وانخفاضا

نتوءا

(يومئذ يتبعون الداعى) أى الذى يدعوهم الى موقف القيامة (لاعوج له) أى لاعوج لهم عن دعائه ولايقدرون أن لايتبعوا (وخشعت) أى سكنت. (الأصوات للرحمن فلاتسمع الاهمسا) أى وطء الاقدام فى نقلها الى المحشر (يومئذ) أى يوم القيامة (لاتنفع الشفاعة أحدا (الامن أذن له الرحمن) أى فى أن يشفع له وهم المسلمون الذين رضى الله قولهم لأنهم قالوا لااله الاالله وهــذا معنى قوله (و رضى له قولا يعلم مابين أيديهــم) من أمر الآخرة (وما خلفهم) أى من أمر الدنيا وقيــل ماقدموا وخلفوا من خيروشر (ولايحيطون به علما) أى وهم لايعلمون ذلك يعــنى الملائكة الذين عبدهم من عبدهم (وعنت الوجــوه) أى خضــعت وذلت (للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما) أى خسر من أشرك بالله (ومن يعــمل من الصالحات) أى الطاعات لله (وهومؤمن) أى مصدق بماجاء به محــمد ﷺ (فلا يخاف ظلما ولاهضما) أى لايخاف أن يزاد فى سيئاته ولا ينقص مــن حسناته (وكذلك) أى وهكذا (أنزلنــاه قــرآ نا عر بيا وصرفنا) أى وبينا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم) أى القرآن (ذكرا) أى موعظة وقوله (ولا تعجــل بالقرآ ن) كان اذا نزل جبريل بالوحى يقرؤه مع جــبريل مخافة النسيان فأنزل الله تعالى ولا تعجل بالقرآن أى بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى من قبل أن يفرغ جبريل ممــا يريد من التــلاوة (وقل رب زدنى علمــا) أى بالقــرآن فكان كلما نزل عليــه شىء من القرآن ازداد به علمــا (ولقدعهــدنا الى آدم) أى أمرناه وأوصينا اليه (من قبل) أى من قبــل هؤلاء الذين تركــوا أمرى ونقضوا عهــدى فى تــكذيبك (فنسى) أى فترك ما أمر به.

تتوءا يسيرا (يومئذ يتبعون الداعى) أى يوم اذ نسفت الجبال يتبع الناس صوت الداعى الى المحشر بعد القيام من القبور فيقبلون من كل أوب الى جهته والراجح أن الداعى جبريل والنافخ اسرافيل (لاعوج له) أى لايعدل الداعى عن أحد يدعائه بل يحشر الــكل (وخشعت الأصوات) أى سكنت (للرحمن) أى لهيبة الرحمن (فلاتســمع) ياأشرف الخلق (الاهمسا) أى وطأ خفيا كوطء الابل وهو خفق أقدامهم فى مشيها الى المحشر وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة وابن زيد (يومئذ لاتنفع الشــفاعة الامن أذن له الرحمن ورضى له قولا) أى يوم اذ يتبعون الداعى لاتنفع الشفاعة أحدا من الخلق الاشخصا أذن لأجله الرحمن فى أن يشفع له وقبل منه قولا واحدا من أقواله وهو شهادة أن لااله الاالله بأن مات على الاسلام وان عمل السيئات وهذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة فى حق الفساق وهى نافعة لهم (يعلم) أى الرحمن (مابين أيديهم) أى المتبعين للداعى وهم الخلق جميعهم (وما خلفهم) أى يعلم مامضى من أحوالهم ومابقى منها (ولا يحيطون به) أى بمـا بين أيديهم وماخلفهم (علمـا وعنت الوجوه للحى القيوم) أى ذلت المــكلفون لله تعالى ذل الأسارى فى يد الملك القهار (وقد خاب من حمل ظلمـا) أى خسر من أشرك بالله ولم يتب (ومن يعمل من الصالحات) أى بعضا من الصالحات وهو الفرائض (وهومؤمن) فان الايمـان شرط فى الصحة والقبول (فلايخاف ظلمـا) أى منعا من الثواب (ولاهضما) أى نقصا من ثوابه وقال أبو مســلم الظلم نقص من الثواب والهضم عــدم تمام حقه من التعظيم لأن الثواب مع كونه من اللذات لايــكون ثوابا الااذاقارنه التعظيم فنفى الله تعالى عن المؤمنين كلا الأمرين وقرأ ابن كــثير فلايخف بالجزم على النهى أى فليأمن فالنهى عن الخوف والأمر بالامن (وكــذلك) ومثل انزال هذه الآيات (أنزلناه) أى القرآن كله (قرآنا عربيا) ليفهمه العرب (وصرفنا فيه من الوعيد) أى وكــررنا فى القرآن نوعا من الوعيد (لعلهم يتقون) أى لــكى يتقوا الــكفر والفواحش (أو يحدث) أى القرآن (لهم ذكرا) أى اتعاظا يدعوهم الى الطاعات وفعل ماينبغى فان لم يحصل التقوى فأقل مايحصل أن يحدث القرآن لهم شرفا وصيتا حسنا (فتعالى الله) أى تنزه عن ممـاثلة المخلوقات فى ذاته وصفاته وأفعاله (الملك) النافذ أمره ونهيه (الحق) أى الثابت فى ملــكه (ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى ولا تستعجل يا أشرف الخلق بقراءة القرآن من قبل أن يفرغ جبريل من قراءة القرآن عليك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى اليه جبريل الوحى يتبعه عنــد تلفظ كل حرف وكل كلمة لــكمال اعتنائه بالحفظ فنهى عن ذلك وأمر باستزادة العلم من الله تعالى فقيل (وقل رب زدنى علمـا) أى فهما لادراك حقائقه فانها غير متناهية روى الترمذى عن أبى هريرة قال كان رسول الله ﷺ يقول اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ماينفعنى و زدنى علمـا والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى علمـا ويقينا (ولقد عهدنا الى آدم) أى وصيناه أن لايأكل من الشجرة (من قبل) أى من قبل أكله منها (فنسى) عهدنا وأكل منها وقرى

فنسي بالبناء للمجهول و بتشديد السين أي فنساه الشيطان (ولم نجد له عزما) أي تصميما على الاحتياط في كيفية الاجتهاد فهو انما أخطأ في الاجتهاد أو لم نجد له عزما على الذنب فانه أخطأ ولم يتعمد وهذا أقرب الى المدح فعزما مفعول به وله حال منه أو متعلق بنجد أو بعزما (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أي واذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين نسيانه لك وفقدان صبره عما نهيناه عنه (فسجدوا الا ابليس) رئيسهم (أبى) أي أظهر الاباء (فقلنا) عقب ذلك (يا آدم ان هذا) الذي تكبر عليك (عدو لك ولزوجك) حواء لأن ابليس رأى آثار نعم الله تعالى في حق آدم عليه السلام فانه كان شابا عالما وابليس كان شيخا جاهلا فأثبت فضله بفضيلة أصله وهو النار و بينها و بين أصل آدم وهو الماء والتراب عداوة فثبتت تلك العداوة (فلا يخرجنكما) بوسوسته (من الجنة فتشقى) أي فتتعب في طلب القوت فذلك على الرجل دون المرأة روى أنه أهبط الى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه و يمسح العرق عن جبينه (ان لك أن لا تجوع فيها) أي الجنة (ولا تعرى وأنك لا تظمأ) أي لا تعطش (فيها ولا تضحى) أي لا يصيبك حر الشمس أو تعرق فالجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر فنفى الله عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وقرأ نافع وأبو بكر وانك بكسر الهمزة استئناف أو عطف على أن الاولى والباقون بفتحها عطف على أن لا تجوع (فوسوس اليه الشيطان) أي أنهى اليه وسوسته ثم بين الله صورة الوسوسة بقوله تعالى (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) أي لا يزول ولا يختل أي هل أدلك على الشجرة التي من أكل منها خلد ولا يموت أصلا ودام ملكه اما على حاله أو على أن يصير ملكا (فأكلا منها) أي الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) أي ظهرت فروجهما لكل منهما بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي شرعا يلزقان و رق التين بعضه ببعض لأجل ستر عوراتهما كلما ألزقا بعضه ببعض تساقط (وعصى آدم ربه) بأكله من الشجرة أي خالف آدم نهي ربه لأنه اعتقد أن النهي عن شجرة معينة وان غيرها ليس منهيا عنه (فغوى) أي خاب من نعيم الجنة فلم يصب بأكله من الشجرة ما أراده لأنه انما أكل منها ليصير ملكه دائما فلما أكل زال ملكه وخاب سعيه (ثم اجتباه ربه) أي قربه بالتوفيق للتوبة (فتاب عليه) أي قبل توبته حين تاب هو و زوجته (وهدى) الى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا) أي انزلا يا آدم وحواء من الجنة الى الأرض (بعضكم لبعض عدو) فالخطاب لآدم وحواء ولابليس وقيل مع آدم وذريته قابيل واقليما (فاما يأتينكم مني هدى) أي فان يأتكم يا ذرية آدم مني دلالة من كتاب ورسول (فمن اتبع هداي) أي دلالتي (فلا يضل) في الدين والدنيا (ولا يشقى) بسبب الدين فيها وفي الآخرة (ومن أعرض عن ذكري) أي عن الهدى الداعي الى (فان له) في الدنيا (معيشة ضنكا) أي ضيقة وهي معيشة الكافر فانه يكون حريصا على الدنيا طالبا للزيادة أبدا فحالته مظلمة لأن مطامح نظره مقصورة على أمتعة الدنيا وهو خائف من انتقاصها أما المسلم فهو يعيش في الدنيا عيشا طيبا لتوكله على الله تعالى فان المؤمن الطالب للآخرة يوسع ببركة الايمان (ونحشره) أي المعرض عن الأدلة (يوم القيامة أعمى) أي فاقد البصر أي فاذا خرج هو من القبر خرج بصيرا فاذا سيق الى المحشر عمي فاذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا وعند البعث (قال كذلك) أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسره بقوله تعالى (أتتك آياتنا) أي دلائلنا في الدنيا واضحة بحيث لا تخفى على أحد (فنسيتها) أي تركتها (وكذلك) أي مثل تركك آياتنا في

(ولم نجد له عزما) أي حفظا للأمر به وقوله (ولا تضحى) أي لا يؤذيك حر الشمس وقوله (شجرة الخلد) يعني من أكل منها لم يمت وقوله (فغوى) أي أخطأ ولم ينل مراده مما أكل و يقال لم يرشد (ثم اجتباه) أي اختاره (ربه فتاب عليه) أي عاد عليه بالرحمة والمغفرة (وهدى) أي وهداه الى التوبة وقوله (ومن أعرض عن ذكري) أي موعظتي وهي القرآن (فان له معيشة ضنكا) أي ضيقا يعني في جهنم وقيل يعني عذاب القبر (ونحشره يوم القيامة أعمى) أي أعمى البصر (قال كذلك أتتك آياتنا) يقول كما أتتك آياتي (فنسيتها) أي فتركتها ولم تؤمن بها (وكذلك

الدنيا

اليوم تنسى) أى تترك فى جهنم (وكذلك) أى وكما جزينا من أعرض عن القرآن (نجزى من أسرف) أى أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) مما يعذبهم به فى الدنيا والقبر (وأبقى) وأدوم

(أفلم يهد لهم) أى أفلم يبين لهم بيانا يهتدون به (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون) هؤلاء اذا سافروا فى مساكن أولئك الذين أهلكناهم بتكذيب الأنبياء (ان فى ذلك لآيات) أى لعبرا (لأولى النهى) لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى تأخير العذاب عنهم (لكان لزاما) أى لكان العذاب لازما لهم فى الدنيا (وأجل مسمى) وهو القيامة وقوله (وسبح بحمد ربك) أى صل لربك (قبل طلوع الشمس) أى صلاة الفجر (وقبل غروبها) أى صلاة العصر (ومن آناء الليل فسبح) أى فصل المغرب والعشاء (وأطراف النهار) أى صل صلاة الظهر فى طرف النصف الثانى وسمى الواحد باسم الجمع لتكرر الصلوات (لعلك ترضى) أى لكى ترضى من الثواب فى المعاد (ولا تمدن) مفسر فى سورة الحجر الى قوله (زهرة الحياة الدنيا) أى زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) أى لنجعل ذلك فتنة لهم (ورزق ربك) أى الله فى المعاد (خير وأبقى) أى أكثر وأدوم (وأمر أهلك بالصلاة) يعنى قريشا وقيل أهل بيته (لا نسألك رزقا) لخلقنا ولا لنفسك (نحن نرزقك والعاقبة) أى الجنة (للتقوى) أى لأهل التقوى يعنى لك ولمن صدقك. ونزلت هذه الآيات لما استسلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهودى فأبى أن يعطيه الا برهن وحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدنيا (اليوم تنسى) أى تترك فى العذاب جزاء وفاقا (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية (نجزى من أسرف) بالانهماك فى الشهوات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم كثرة اهلاكنا للقرون الأولى وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى أفلم نهد بالنون أى أفلم نبين لأهل مكة بيانا يهتدون به كثرة من أهلكنا من القرون الماضية من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط (يمشون فى مساكنهم) حال من الضمير لهم أى حال كون هؤلاء القريش ماشين فى منازل تلك القرون اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم (ان فى ذلك) أى الاهلاك (لآيات) ظاهرة الدلالة على الحق (لأولى النهى) أى لأهل العقول الناهية عن القبائح (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى عدة بتأخير عذاب هذه الأمة الى الآخرة لحكمة تقتضيه (لكان) أى الاهلاك بجناياتهم (لزاما) أى لازما لهم بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة (وأجل مسمى) عطف على كلمة أى ولولا أجل مسمى لعذابهم يوم القيامة لما تأخر عذابهم أصلا (فاصبر على ما يقولون) أى لا يضطرب قلبك يا أكرم الرسل لما صدر منهم من الأذية بالشتم والتكذيب فيما تدعيه من النبوة فقالوا ان محمدا ساحر أو مجنون أو شاعر أو غير ذلك فهذه الآية غير منسوخة (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل) أى ساعاته (فسبح وأطراف النهار) عطف على محل من آناء المنصوب بسبح المقرون بالفاء الزائدة أو عطف على قبل أى فى طرفى نصفيه أى فى الوقت الذى يجمع الطرفين وهو وقت الزوال فهو نهاية النصف الاول وبداية النصف الثانى أى اشتغل بتنزيه الله تعالى فى هذه الاوقات عما ينسبونه اليه تعالى مما لا يليق به حامدا له على ما ميزك بالهدى أو المعنى صل وأنت حامد لربك على كمال هدايته اياك صلاة الصبح وصلاة العصر وصلاة المغرب والعشاء وصلاة الظهر (لعلك ترضى) رجاء أن تنتفع بذلك وترضى به نفسك وقرأ الكسائى وأبو بكر عن عاصم بضم التاء أى لعلك تعطى ما يرضيك (ولا تمدن عينيك) أى لا تطل نظرهما (الى ما متعنا) أى ألذذنا (به أزواجا) أى أصنافا (منهم) أى الكفرة من بنى قريظة والنضير (زهرة الحياة الدنيا) أى زينتها بدل من أزواجا أو حال من ما الموصولة أو من الهاء فى به (لنفتنهم فيه) أى لنعذبهم فى الآخرة بسببه أو لنجعل ذلك فتنة لهم بأن يزدادوا بذلك طغيانا (ورزق ربك خير وأبقى) أى ما أوتيته من يسير الدنيا اذا قرنته بالطاعة خير لك من حيث العاقبة وأبقى لان أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة فالحلال خير وأبقى قال أبو رافع نزل ضيف بالنبى صلى الله عليه وسلم فبعثنى الى يهودى لبيع أو سلف فقال والله لا أفعل ذلك الا برهن فأخبرته صلى الله عليه وسلم بقوله فأمرنى أن أذهب بدرعه الحديد اليه فنزل قوله تعالى ولا تمدن عينيك وقال أبو مسلم أى لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا فالذى نهى عنه الأسف لا النظر (وأمر أهلك) أى أهل دينك (بالصلاة) لئلا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة (واصطبر عليها) أى على مشاقها وثابر عليها غير مشتغل بأمر المعاش (لا نسألك رزقا) أى لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك بأمر الآخرة (والعاقبة للتقوى) أى العاقبة الجميلة

لأهل تقوى الله تعالى (وقالوا) أي مشركو مكة (لولا يأتينا بآية من ربه) أي هلا يأتينا محمد بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة و بآية مما اقترحناها قال تعالى رداعليهم (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) أي ألم يكفهم اشتمال القرآن على بيان ما في التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية في كونه آية دالة على صدق محمد حتى طلبوا غيرها فان في الصحف الأولى بشارة بصفة محمد ونبوته و بعثته وأنباء الأمم الماضية واهلاكهم بتكذيب الرسل وجحود الآيات (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي ولو أنا أهلكنا أهل مكة في الدنيا بعذاب مستأصل من قبل مجيء محمد اليهم بالقرآن (لقالوا) يوم القيامة (ربنا لولا أرسلت الينا) أي لم لم ترسل الينا في الدنيا (رسولا) مع كتاب (فنتبع آياتك) أي فنطيع رسولك ونؤمن بكتابك (من قبل أن نذل) أي أن يحصل لنا الذل بالعذاب في الدنيا (ونخزى) أي أن يحصل لنا الفضيحة بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيان البينات فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء روى أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول والا كنت أطوع خلقك لك والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي عقلا أنتفع به و يقول الصبي كنت صغيرا لا أعقل فترفع لهم نار و يقال لهم ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله انه سعيد و يبقى من في علمه انه شقي فيقول الله تعالى لهم عصيتم اليوم فكيف برسلي لو أتوكم (قل) لأولئك الكفرة المتمردين (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) أي منتظر لما يؤول اليه أمرنا وأمركم اما قبل الموت بسبب الأمر بالجهاد أو بسبب ظهور القوة واما بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه واما بعد الموت بظهور أمر الثواب والعقاب فيظهر على المحق أنواع كرامة الله تعالى وعلى المبطل أنواع اهانته (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون) عن قريب بوعد من الله لا خلف فيه (من أصحاب الصراط السوي) أي العدل وقرئ السواء أي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوأى والسوي تصغير السوء (ومن اهتدى) اليه أنحن أم أنتم وهذا تهديد للكفار

﴿سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية . وألف ومائة وثمان وثلاثون كلمة . وأربعة آلاف وثمانمائة وستون حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم) أي قرب من كفار قريش وقت حساب أعمالهم الموجبة للعقاب فان كل آت قريب وان طالت أوقات ترقبه (وهم في غفلة) أي والحال أنهم منكرون للحساب لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء (معرضون) عن الآيات المنبهة لهم عن سنة الغفلة (ما يأتيهم من ذكر) أي من جزء نازل من القرآن ينبههم عن الغفلة أتم تنبيه (من ربهم) متعلق بيأتيهم (محدث) أي متجدد تنزله آية بعد آية وسورة بعد سورة بحسب اقتضاء الحكمة وقرأ ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة لمحل ذكر (الا استمعوه وهم يلعبون) أي والحال أنهم يهزأون (لاهية قلوبهم) حال من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه مستهزئين به حال كون قلوبهم غافلة عن معناه لفرط اعراضهم عن النظر في الأمور وعن التفكر في العواقب وقرأ ابن أبي عبلة لاهية بالرفع خبر ثان أو خبر مقدم (وأسروا النجوى) أي بالغوا في اخفاء التناجي وجعلوه بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم (الذين ظلموا) بدل من واو أسروا أو مبتدأ وخبره أسروا النجوى والمعنى وهم أسروا النجوى فوضع المظهر موضع

الضمير

(وقالوا) يعني المشركين (لولا) أي هلا (يأتينا) محمد (بآية من ربه) مما كانوا يقترحون عليه من الآيات قال (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) يعني أن في القرآن بيان ما في التوراة والانجيل والزبور (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي من قبل نزول القرآن وقوله (من قبل أن نذل) أي بالعذاب (ونخزى) أي في جهنم (قل) يا محمد لهم (كل متربص) أي منتظر دوائر الزمان ولمن تكون النصرة (فتربصوا فستعلمون) في القيامة (من أصحاب الصراط السوي) أي المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة أنحن أم أنتم

﴿تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اقترب للناس) يعني أهل مكة (حسابهم) أي وقت محاسبة الله اياهم على أعمالهم يعني يوم القيامة (وهم في غفلة) أي عن التأهب لذلك (معرضون) يعني عن الايمان (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم و يعظهم به (الا استمعوه وهم يلعبون) أي يستهزئون به (لاهية) أي غافلة (قلوبهم وأسروا النجوى) أي قالوا اسرا فيما بينهم (الذين ظلموا) أي أشركوا وهو أنهم قالوا

(هل هذا) يعنون محمدا (الا بشر مثلكم) لحم ودم (أفتأتون السحر) يريدون ان القرآن سحر (وأنتم تبصرون) أنه سحر فلما أطلع الله رسوله على هذا السر الذى قالوا أخبر أنه يعلم القول فى السماء والأرض بقوله (قل ربى يعلم القول) أى

مايقال (فى السماء والأرض وهو السميع) للأقوال (العليم) بالأفعال ثم أخبر أن المشركين اقتسموا القول فى القرآن وأخذوا ينقضون أقوالهم بعضها ببعض فيقولون مرة هو أضغاث أحلام أى أباطيلها يعنون أنه يرى مايأتى به فى النوم رؤيا باطلة ومرة هو مفترى ومرة هو شعر ومحمد شاعر (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) بالآيات مثل الناقة والعصا واليد فاقترحوا الآيات التى لايقع معها الامهال اذا كذب بها فقال الله (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها) بالآيات التى اقترحوها (أفهم يؤمنون) يريد أن اقتراح الآيات كان سببا للعذاب والاستئصال للقرون الماضية وكذلك يكون لهؤلاء (وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم) ردا لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم (فاسألوا) ياأهل مكة (أهل الذكر) أى من آمن من أهل الكتاب (ان كنتم لاتعلمون) أى أن الرسل بشر (وما جعلناهم) أى الرسل (جسدا) يريد أجسادا (لا يأكلون الطعام) وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام فأعلموا أن الرسل جميعا كانوا يأكلون الطعام وأنهم يموتون وهو قوله (وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد) أى ماوعدناهم من عذاب من كذبهم وانجائهم مع من تابعهم وهو قوله (فأنجيناهم ومن نشاء

المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) فهل بمعنى النفى والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وأنتم حال من فاعل تأتون مؤكدة للاستبعاد فالجملتان الاستفهاميتان فى محل نصب على انهما محكيتان للنجوى لأنها فى معنى القول والمعنى ما محمد الا بشر من جنسكم فكيف يختص عنكم بالرسالة ومايأتى به سحر أتعلمون ذلك فتحضرونه على وجه القبول والحال انكم تبصرون بأعينكم أنه آدمى مثلكم وان ماظهر منه من نوع السحر (قال) أى محمد وهو حكاية من الله لقول رسوله وهذا قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم وقرأ الباقون قل على الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم (ربى يعلم القول) الكائن (فى السماء والأرض) سواء كان سرا أم جهرا (وهو السميع العليم) فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية) وهذا متصل بقوله تعالى هل هذا الا بشر فان الظالمين لم يقتصروا على قولهم فى حقه صلى الله عليه وسلم هل هذا الا بشر وفى حق ماظهر على يده من القرآن انه سحر بل قالوا اماأتانا به محمد أباطيل أحلام كاذبة رآها فى النوم بل اختلق محمد ماأتانا به من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل بل محمد هو شاعر فما أتى به كلام يخيل السامع معانى لاحقيقة لها و يرغبه فيها فترتيب كلامهم كأنهم قالوا ندعى أن كون محمد بشرا مانع من كونه رسول الله فان سلمنا أنه غير مانع فلا نسلم ان هذا القرآن معجز فان ساعده على ان فصاحته خارجة عن مقدور البشر قلنا لم لايجوز أن يكون ذلك سحرا وان لم تساعده فصاحته عليه فان ادعينا كونه فى غاية الركاكة قلنا انه أضغاث أحلام وان ادعينا انه متوسط بين الركاكة والفصاحة قلنا انه افتراء وان ادعينا انه كلام فصيح قلنا انه من جنس فصاحة سائر الشعراء وعلى جميع هذه التقديرات فانه لايثبت كونه معجزا ولايثبت كون محمد رسول الله تعالى وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية (كما أرسل الأولون) أى بآية كائنة مثل الآية التى أرسل بها الأولون كاليد والعصا والناقة ونظائرها حتى نؤمن به قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أى قبل مشركى مكة (من قرية أهلكناها) باهلاك أهلها لعدم ايمانهم بعد مجىء مااقترحوه من الآيات (أفهم يؤمنون) أى ان الأمم المهلكة لم يؤمنوا عند اعطاء مااقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أعطوا مااقترحوا مع كونهم أشد عتوا من أولئك (وما أرسلنا قبلك الا رجالا) أى وما أرسلنا الى الأمم قبل ارسالك الى أمتك الا رجالا مخصوصين من أفراد جنسك متأهلين للارسال ولم يكونوا ملائكة (نوحى اليهم) بواسطة الملك كما نوحى اليك من غير فرق وقرىء يوحى اليهم بالياء على صيغة المبنى للمفعول (فاسألوا) أيها الجهلة (أهل الذكر) أى أهل الكتاب التوراة والانجيل فانهم يخبرونكم بحقيقة الحال ليزول شككم (ان كنتم لاتعلمون) أن الرسل بشر فأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديقكم للذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وماجعلناهم) أى الرسل (جسدا لايأكلون الطعام) أى وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الأكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل مايخرج منه (وما كانوا) أى الرسل (خالدين) فى الدنيا بل يموتون كغيرهم لأن عاقبة التحلل هو الفناء (ثم صدقناهم الوعد) أى ثم صدقناهم فى الوعد الذى وعدناهم باهلاك من كذبهم (فأنجيناهم ومن نشاء) من

يصدقونهم (وأهلكنا المسرفين) أي المجاوزين للحدود في الكفر بعذاب الاستئصال في الدنيا (لقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا) أي قرآنا (فيه ذكركم) أي فيه ما يوجب الثناء عليكم لكونه بلسانكم وفيه موعظتكم (أفلا تعقلون) أي ألا تتفكرون فلا تعقلون ان ذلك الكتاب شرفكم وسبب اشتهاركم لكونه نازلا بينكم على لسان رسول منكم (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة) أي وكثيرا كسرنا من أهل قرية كانوا كافرين بآيات الله بأن قتلوا بالسيوف (وأنشأنا بعدها) أي بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) أي ليسوا منهم نسبا ولا دينا فسكنوا ديارهم (فلما أحسوا بأسنا) أي أدركوا عذابنا الشديد (اذا هم منها) أي القرية (يركضون) أي يهربون مسرعين فقيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال (لا تركضوا) أي لا تهربوا (وارجعوا الى ما أترفتم) أي أنعمتم (فيه) من العيش والحال الناعمة (ومساكنكم) التي كنتم تفتخرون بها (لعلكم تسألون) أي لكي يسألكم الوافدون عطاياكم إما لانهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم (قالوا) لما أيقنوا بنزول العذاب (ياويلنا) أي هلاكنا (انا كنا ظالمين) أي بقتل نبينا (فما زالت تلك دعواهم) أي قولهم أي فلم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك (حتى جعلناهم حصيدا) أي مثل الزرع المحصود بالمناجل في استئصالهم (خامدين) أي ميتين لا يتحركون أي انهم أهلكوا بالعذاب حتى لم يبق لهم حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما تخمد النار. وهذه قصة أهل قرية في جهة اليمن يقال لها حضور بفتح الحاء و بالضاد المعجمة بعث الله لهم نبيا وهو موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وكان قبل موسى بن عمران فقتلوا ذلك النبي عليه السلام فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه الله على أهل بيت المقدس فلما علموا انهم مدركون خرجوا هاربين فقالت لهم الملائكة استهزاء لا تركضوا الخ فرجعوا فقتلهم جميعا ولم يترك فيهم عينا تطرف فلما رأوا القتل فيهم أقروا بذنوبهم وندموا وقالوا ياويلنا أي ياويل احضر فهذا وقتك ولم ينفعهم هذا الندم كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب التي لا تحصر أنواعها خالية عن الحكم كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفروشهم للعب وانما سويناها لفوائد دينية ودنيوية ليتفكر المتفكرون فيها ويستدلوا بها الى معرفتنا وللمنافع التي لا تحصى (لو أردنا أن نتخذ لهوا) أي ما يلعب به (لاتخذناه من لدنا) أي من جهة قدرتنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا (ان كنا فاعلين) اتخاذ اللهو أردناه لكنا لم نرده فلم نتخذه ويجوز أن تكون ان نافية أي ما كنا فاعلين اتخاذ اللهو لعدم ارادتنا به (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) أي يذهبه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية (فاذا هو) أي الباطل (زاهق) أي ذاهب بالكلية وهذا انتقال من ارادة اتخاذ اللهو الى تنزيه ذاته تعالى كأنه تعالى قال سبحانا ان نريد اتخاذ اللهو بل شأننا بمقتضى حكمتنا ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق والمقصود من هذه الآية تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورد على منكريها لانه تعالى أظهر المعجزة عليه صلى الله عليه وسلم فان كان محمد

وأهلكنا المسرفين) أي المشركين (لقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) أي شرفكم (أفلا تعقلون) أي بما فضلتكم به على غيركم (وكم قصمنا) أي أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) يعني ان أهلها كانوا كفارا (وأنشأنا) أي أحدثنا بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) نزلت في أهل قرى باليمن كذبوا نبيهم وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر حتى أهلكهم بالسيف فذلك قوله (فلما أحسوا بأسنا) أي رأوا عذابنا (اذا هم منها) أي من قريتهم (يركضون) أي يسرعون هاربين وتقول لهم الملائكة (لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه) أي نعمتم فيه (لعلكم تسألون) من دنياكم شيئا قالت الملائكة لهم هذا على طريق الاستهزاء بهم كأنهم قيل لهم ارجعوا الى ما كنتم فيه من المال والنعمة لعلكم تسألون فانكم أغنياء تملكون المال فلما رأوا ذلك أقروا على أنفسهم حيث لم ينفعهم و(قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين) لانفسنا بتكذيب الرسل (فما زالت تلك) أي هذه المقالة (دعواهم) أي يدعون بها ويقولون ياويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) أي ميتين (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) أي عبثا وباطلا أي ما خلقناهما الا لأجازي أوليائي وأعذب أعدائي (لو أردنا أن نتخذ لهوا) أي امرأة وقيل ولدا (لاتخذناه من لدنا) أي بحيث لا يظهر لكم ولا تطلعون عليه (ان كنا فاعلين) أي ما كنا فاعلين ولسنا ممن يفعله (بل نقذف بالحق على الباطل) أي نلقي القرآن على باطلهم (فيدمغه) أي يذهبه ويكسره (فاذا هو زاهق) أي ذاهب

كاذبا

كاذبا كان اظهار الله المعجزة عليه من باب العبث وذلك منفى عنه تعالى وإن كان صادقا فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ماذكر ومن المطاعن (ولكم الويل) أى ولكم يا كفار مكة شدة العذاب (مما تصفون) أى من أجل قولكم بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ونسب القرآن الى أنه سحر وأضغاث أحلام الى غير ذلك من الأباطيل وهذه الآية دالة على أن اهلاك الله أهل القرية لتكذيبهم الرسل عدل منه تعالى ومجازاة على ماقصوا (وله من فى السموات والأرض) فهو تعالى منزه عن طاعتهم لأنه تعالى هو المالك لجميع المحدثات (ومن عنده) أى والملائكة مع كمال شرفهم ونهاية جلالتهم (لايستكبرون عن عبادته) أى لايتعظمون عن طاعته تعالى ولايعدون أنفسهم كبيرا فكيف يليق بالبشر مع نهاية الضعف التمرد عن طاعته (ولايستحسرون) أى لايسأمون ولايتعبون (يسبحون الليل والنهار لايفترون) أى ينزهونه تعالى فى جميع أوقاتهم لايتخلله فترة بشغل آخر. قال كعب الاحبار والتسبيح لهم كالنفس لنا فهو متصل دائم فى جميع الاوقات فكما ان اشتغالنا بالتنفس لايمنعنا من الكلام فكذا اشتغالهم بالتسبيح لايمنعهم من سائر الاعمال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) فأم بمعنى بل والهمزة ومعناها انكار انشار الاصنام للموتى لا انكار نفس الاتخاذ فاقدامهم على عبادتها يوجب عليهم الاقرار بكون الآلهة قادرين على الحشر والنشر والثواب فاذا كانوا غير قادرين على أن يحيوا و يميتوا و يضروا و ينفعوا فأى عقل يجوز اتخاذهم آلهة فقوله من الأرض كقولك فلان من مكة أى فلان مكى فمعنى نسبة الاصنام الى الارض اعلام بأن الاصنام التى تعبد اما أن تكون منحوتة من بعض الحجارة أو معمولة من بعض جواهر الارض وفى قوله تعالى هم ينشرون معنى الخصوصية وحاصل المعنى بل أعبد أهل مكة آلهة أرضية لايقدر على احياء الموتى من القبور الاهم وحدهم فذكر ذلك على سبيل التهكم بهم والتجهيل (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) أى لو تولى أمور السموات والارض اله غير الواحد الذى هو فاطرهما لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى فسادهما علم انتفاء تدبير المعين ويدل العقل على ذلك لانا لو قدرنا المعين لكان أحدهما اذا انفرد صح منه تحريك الجسم واذا انفرد الثانى صح منه تسكينه فاذا اجتمعا وجب أن يبقيا على ما كانا عليه وقت الانفراد فيصح أن يحاول أحدهما التحريك والآخر التسكين فاما أن يحصل المرادان وهو محال لاجتماع الضدين واما أن يمتنعا وهو محال أيضا لكون كل واحد منهما عاجزا فثبت فساد نظام العالم فكان القول بوجود المعين باطلا فثبت أن مدبر العالم اله واحد واذا عرفت حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع مافى العالم السفلى والعلوى دليل على وحدانية الله تعالى (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أى نزهوا الله عما يقول الكفار بوجود آلهة غير الله لأجل هذه الأدلة فالاشتغال بالتنزيه انما ينفع بعد اقامة الأدلة على كون الله تعالى منزها فنبه الله تعالى على نكتة خاصة بعبدة الأصنام وهى كيف يجوز للعاقل أن يجعل الجماد الذى لايعقل شريكا فى الألوهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين واللوح والقلم ومدبر الخلائق من النور والظلمة والنباتات وأنواع الحيوانات والذات والصفات (لايسئل عما يفعل) أى عما يحكم فى عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لأنه المالك القاهر (وهم) أى العباد (يسئلون) سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس لهشريك فى الألوهية يقول له لم فعلت كذا (أم اتخذوا من دونه آلهة) أى بل أوصفوا الله تعالى بأن له شريكا وهذا استقباح أمرهم واظهار جهلهم (قل) يا أكرم الرسل (هاتوا برهانكم) على اثبات الآلهة اما من جهة العقل أو من جهة النقل كما أتيت أنا ببرهان النقل المؤيد بالعقل (هذا ذكر من معى وذكر من قبلى) أى هذا

(ولكم الويل) يامعشر الكفار (مما تصفون) الله بما لايليق به (وله من فى السموات والارض) عبيدا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة (لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) أى لا يملون ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لايفترون) أى لايضعفون (أم اتخذوا آلهة من الارض) يعنى الأصنام (هم ينشرون) أى يحيون الأموات والمعنى أتنشر آلهتهم التى اتخذوها (لو كان فيهما) أى فى السماء والارض (آلهة الا الله) أى غير الله (لفسدتا) أى لخربتا وهلك من فيهما لوقوع التنازع بين الآلهة (لايسأل عما يفعل) أى عن حكمه فى عباده (وهم يسألون) أى عما عملوا سؤال توبيخ (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم) أى حجتكم على أن مع الله معبودا غيره (هذا ذكر من معى) يعنى القرآن (وذكر من قبلى) أى التوراة والانجيل فهل فى واحد من هذه الكتب الا توحيد الله

اثبات وحدانية الله عظة أمتي وعظة الأمم الماضية فهم متمسكون على التوحيد فأقيموا أنتم برهانكم على تعدد الاله ولا يمكن اثبات التعدد بالبرهان (بل أكثرهم لايعلمون الحق) ولايميزون بين الحق والباطل (فهم معرضون) عن استماع الحق أي ان وقوعهم في المذهب الباطل ليس لأجل دليل ساقهم اليه بل ذلك لأن عندهم ماهو أصل الفساد وهو عدم العلم ثم تفرع منه الاعراض عن طلب الحق (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون) أي فوحدوني فالحكمة في بعث الرسل مقصورة على المصلحتين اثبات وحدانية الله تعالى وعبادته بالاخلاص وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالنون والباقون على صيغة الغائب مبنيا للمفعول (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أي وقال فرق من أجناس العرب وهم خزاعة وجهينة و بنو سلمة و بنو مليح الملائكة بنات الله (سبحانه) أي تنزه الله تعالى تنزيها لاتقابذاته تعالى (بل عباد) أي ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد الله تعالى فالعبودية تنافي الولدية كما أن الولد للانسان لا يكون عبده (مكرمون) أي مقربون عنده تعالى ومفضلون على سائر العباد بالعصمة (لايسبقونه بالقول) فانهم يتبعونه في قوله تعالى ولايقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله (وهم بأمره يعملون) أي فلا يعملون عملا مالم يؤمروا به (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) أي يعلم ماقدموا وما أخروا من أعمالهم أي لما علموا كونه تعالى عالما بكل شيء علموا كونه تعالى عالما بظواهرهم و بواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى نهاية الخضوع وكمال العبودية (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أي لمن هو مرضي عند الله وهو من قال لااله الا الله ولايشفعون لمن لم يأذن الله بشفاعته مهابة من الله تعالى (وهم من خشيته) تعالى (مشفقون) أي مرتعدون فلا يأمنون من مكره تعالى وهم خائفون أن يؤاخذهم الله بما قالوا أو بما عملوا وهذه المذكورات صفات العبيد لاصفات الاولاد (ومن يقل منهم) أي الملائكة (اني اله من دونه) أي من غير الله (فذلك نجزيه جهنم) فلا ينفعهم ماذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وهذا على سبيل التقدير اذلم يقع من واحد من الملائكة انه قال ماذكر وفي ذلك دلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته (كذلك نجزي الظالمين) أي مثل ذلك الجزاء نجزي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها (أولم ير الذين كفروا) أي ألم يتفكروا ولم يعلموا (أن السموات والارض كانتا رتقا) أي مستوية صلبة ملتزقا بعضها على بعض لم تنزل من السماء قطرة من مطر ولم ينبت على الارض شيء من النبات (ففتقناهما) أي شققنا السماء بنزول المطر منها وشققنا الارض بظهور النبات عليها وقرأ ابن كثير ألم بغير واو بين الهمزة ولم (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي خلقنا من ماء الذكر والأنثى كل حيوان أوصيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لابدله من ذلك وقرئ حيا بالنصب مفعولا ثانيا (أفلا يؤمنون) أي الايتدبرون هذه الأدلة فلايؤمنون بتوحيدي (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا ثوابت أوتادالها (أن تميد بهم) أي كراهة أن تتحرك بهم قال ابن عباس ان الارض بسطت على الماء فكانت تتكفأ بأهلها كما تتكفأ السفينة فأرساها الله تعالى بالجبال الثقال (وجعلنا فيها) أي في الجبال (فجاجا) أي مسالك واسعة (سبلا لعلهم يهتدون)

(بل أكثرهم لايعلمون الحق) ولايتأملون حجة التوحيد وهو قوله (فهم معرضون وماأرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون) يريد لم يبعث رسولا الا بتوحيد الله ولم يأت رسول أمته بأن لهم الها غير الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني الذين قالوا الملائكة بنات الله والمعنى قالوا اتخذ الرحمن ولدا من الملائكة (سبحانه) نزه نفسه عما يقولون (بل هم عباد مكرمون) أي باكرام الله اياهم (لايسبقونه بالقول) أي لا يتكلمون الا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) أي ماعملوا وماهم عاملون (ولايشفعون الا لمن ارتضى) أي لمن قال لااله الا الله (وهم من خشيته مشفقون) أي خائفون لأنهم لا يأمنون مكر الله تعالى (ومن يقل منهم) أي من الملائكة (اني اله من دونه) أي من دون الله (فذلك نجزيه جهنم) يعني ابليس حيث ادعى الشركة في العبادة ودعا الى عبادة نفسه (كذلك نجزي الظالمين) أي المشركين الذين يعبدون غير الله (أولم ير) أي أولم يعلم (الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا) أي مسدودة (ففتقناهما) يريد بالماء والنبات كانت السماء لا تمطر والأرض لاتنبت ففتحهما الله بالمطر والنبات (وجعلنا) أي وخلقنا (من الماء كل شيء حي) يعني أن جميع الحيوانات مخلوقة من الماء كقوله والله خلق كل دابة من ماء ثم بكتهم وعيرهم على ترك الايمان فقال (أفلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي) جبالا ثابتة (أن تميد بهم) أي لئلا تتحرك بهم وقوله (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (فجاجا سبلا) أي طرقا مسلوكة حتى يهتدوا

يهتدون) أي لكي يهتدوا الى منافعهم والى وحدانية الله بالاستدلال (وجعلنا السماء سقفا) على الأرض (محفوظا) من السقوط ومن الشياطين بالشهب (وهم عن آياتها) أي عن الآيات الكائنة فيها الدالة على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وارادته (معرضون) لا يتفكرون فيبقون على الكفر والضلال (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل) أي كل واحد منهما (في فلك) أي طاحونة مستديرة كهيئة فلك المغزل (يسبحون) أي يسيرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والجملة حال من الشمس والقمر والجمع باعتبار المطالع (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي البقاء في الدنيا (أفان مت) يا أشرف الخلق (فهم الخالدون) في الدنيا أي ان مت أنت يا خاتم الرسل أيبقى هؤلاء حتى يشمتوا بموتك نزلت هذه الآية في قولهم ننتظر محمدا حتى يموت فنستريح ويحتمل أنه لما ظهر أنه ﷺ خاتم الأنبياء جاز أن يقدر مقدر أنه لا يموت اذ لو مات لتغير شرعه فنبه الله تعالى على أن حاله كحال غيره من الأنبياء عليهم السلام في الموت (كل نفس ذائقة الموت) أي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها في الدنيا (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) أي نعاملكم بالشر والخير معاملة المختبر اختبارا لننظر أتصبرون عند الشر وتشكرون عند الخير أم لا فالشر هو المضار الدنيوية من الفقر والآلام وسائر الشدائد النازلة على المكلفين والخير هو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور والتمكين من المرادات (والينا ترجعون) أي الى حكمنا ترجعون بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا) يقولون في حال الهزء (أهذا الذي يذكر آلهتكم) بعيب ونقصان فان نافية وهي وما في حيزها جواب اذا ولا يجب اتيان الفاء في جواب اذا منفيا بان أو بما والمعنى واذا رآك الذين كفروا كأبي جهل وأبي سفيان ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا قائلين أهذا الذي الخ ويحتمل ان جواب اذا محذوف وهو القول وتكون الجملة المنفية معترضة بين الشرط وجوابه المقدر والتقدير يقول بعضهم لبعض في حال السخرية أهذا الذي الخ (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وهم الأول مبتدأ وخبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر وهم الثاني تأكيد لفظي للأول وهذه الجملة حال من فاعل القول المقدر والمعنى انهم يعيبون على النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر بالسوء آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع والحال انهم جاحدون بذكر الرحمن بما يليق به من التوحيد وهو المنعم عليهم الخالق المحيي المميت فانهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (خلق الانسان من عجل) أي خلق الانسان عجولا روي ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحرث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر الآية (سأريكم آياتي) أي نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره وفي الدنيا كوقعة بدر فانها ستأتي في وقتها (فلا تستعجلون) في طلب العذاب قبل الأجل (ويقولون) أي كفار مكة بطريق الاستهزاء والانكار لا بطريق الالزام في تعيين وقت العذاب (متى هذا الوعد) أي وعد اراءة الآيات التي تعدنا يا محمد (ان كنتم صادقين) في وعدكم بأن العذاب يأتينا (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) في دفع العذاب أي لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط النار بهم فيه من كل جانب لا يقدرون على دفعها عن أنفسهم بأنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم في دفعها لما استعجلوا العذاب ولما أقاموا على انكارهم

(وجعلنا السماء سقفا محفوظا) أي بالنجوم من الشياطين (وهم عن آياتها) أي عن شمسها وقمرها ونجومها (معرضون) أي لا يتفكرون فيها وقوله (كل) أي كلهم (في فلك يسبحون) أي يجرون ويسيرون والفلك مدار النجوم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي دوام البقاء (أفان مت فهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وقوله (ونبلوكم) أي نختبركم (بالشر) يعني بالبلاء والفقر (والخير) يريد المال والصحة (فتنة) أي ابتلاء لننظر كيف شكركم وصبركم (واذا رآك الذين كفروا) يعني المستهزئين (ان يتخذونك) أي ما يتخذونك (الا هزوا) يعني مهزوءا به قالوا (هذا الذي يذكر آلهتكم) أي يعيب أصنامكم (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) أي جاحدون لالهيته يريد أنهم يعيبون من جحد الهية أصنامهم وهم جاحدون الهية الرحمن وهذا غاية الجهل (خلق الانسان من عجل) يعني أن خلقته على العجلة وعليها طبع (سأريكم آياتي) يعني ما توعدون به من العذاب (فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد القيامة (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) وجواب لو محذوف على تقدير لآمنوا ولما أقاموا على الكفر

(بل تأتيهم) القيامة (بغتة) أي فجأة (فتبهتهم) أي تحيرهم (قل من يكلؤكم) أي يحفظكم بالليل (والنهار من الرحمن) ان نزل عليكم عذابه (بل هم عن ذكر ربهم) أي

عن كتاب ربهم (معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لايستطيعون نصر أنفسهم) فكيف تنصرهم وتمنعهم (ولا هم منا يصحبون) أي لا يجارون من عذابنا (بل متعنا هؤلاء) الكفار (وآباءهم حتى طال عليهم العمر) أي متعناهم بما أعطيناهم من الدنيا زمانا طويلا فقست قلوبهم (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) بالفتح على محمد (أفهم الغالبون) أم النبي وأصحابه (قل انما أنذركم) أي أخوفكم (بالوحي) أي بالقرآن الذي أوحي الي وأمرت فيه بانذاركم (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) كذلك أنتم يامعشر المشركين (ولئن مستهم) أي أصابتهم (نفحة) قليل شيء وأدنى شيء (من عذاب ربك) لأقروا على أنفسهم بسوء صنيعهم وهو قوله (ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط) أي ذوات القسط أي العدل (فلا تظلم نفس شيئا) أي لايزاد على سيئاته ولاينقص من حسناته (وان كان) أي ذلك الشيء (مثقال حبة من خردل أتينا بها) أي جئنا بها (وكفى بنا حاسبين) أي مجازين وهذا تهديد (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) أي البرهان الذي فرق به بين حقه وباطل فرعون (وضياء) يعني التوراة التي كان ضياء يعني هدى ونورا (وذكرا) أي وعظة (للمتقين) أي من قومه

ولرجعوا الى طلب الحق فقوله حين مفعول به ليعلم (بل تأتيهم) أي النار (بغتة فتبهتهم) أي فتحيرهم (فلا يستطيعون) بقوتهم (ردها) أي دفع النار عنهم بالكلية (ولا هم ينظرون) أي يمهلون ليستريحوا طرفة عين بشؤم الانكار والاستهزاء (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي و بالله لقد استهزئ برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين في زمان قبل زمانك (فحاق) أي أحاط عقب ذلك (بالذين سخروا منهم) أي من أولئك الرسل عليهم السلام وهو متعلق بحاق (ما كانوا به يستهزئون) أي جزاء الذي كانوا به يستهزئون فكذلك يحيق بمن استهزأ بك وبال استهزائهم (قل) يا أشرف الخلق للمستهزئين بك بطريق التقريع (من يكلؤكم بالليل والنهار) أي من يحفظكم في الليل اذا نمتم وفي النهار اذا انصرفتم الى معايشكم (من الرحمن) أي من عذاب الرحمن الذي تستحقونه ان نزل بكم (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أي بل هم لايخطرون ببالهم ذكره تعالى مع انعامه عليهم ليلا ونهارا بالحراسة فضلا أن يخافوا عذابه تعالى فلو تأملوا في أنه لاحافظ لهم سواه تعالى لتركوا عبادة الأصنام التي لاحظ لها في حفظهم ولا في الانعام عليهم (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أي بل ألهم آلهة تمنعهم مما يضرهم كائنة من غيرنا فمن دوننا صفة لآلهة (لايستطيعون) أي آلهتهم (نصر أنفسهم) أي حمايتها عن الآفات فكيف تقدر على حماية غيرها (ولا هم منا) أي من عذابنا (يصحبون) أي يمنعون فكيف يمنعون غيرهم من العذاب (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) فحسبوا أن لايزالوا كذلك وان ذلك بسبب ماهم عليه أي دع مازعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ماهم فيه من الحفظ انما هو منا حفظناهم من البأساء ومتعناهم بأنواع السراء لكونهم من أهل الاستدراج والانهماك فيما يؤديهم الى العذاب (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) أي ألا ينظر هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب فلا يرون أنا نأخذ أرض الكفرة واحدا بعد واحد ونفتح البلاد والقرى مما حول مكة لمحمد ونميت رؤساء المشركين المتمتعين بالدنيا وننقص من الشرك باهلاك أهله (أفهم الغالبون) على محمد وأصحابه أما كان لهم عبرة في ذلك فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا (قل) لهم (انما أنذركم بالوحي) الذي هو كلام ربكم فلا تظنوا ان ذلك من قبلي بل الله أمرني بانذاركم (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) قرأ ابن عامر ولا تسمع بالتاء المضمومة وكسر الميم وبنصب الاسمين أي ولا تقدر يا أشرف الرسل أن تسمع الدعاء من يتصامم (ولئن مستهم نفحة) أي وبالله لئن أصابهم شيء قليل (من عذاب ربك ليقولن ياويلنا) أي ياهلاكنا (انا كنا ظالمين) على أنفسنا (ونضع الموازين القسط) أي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الأعمال (ليوم القيامة) أي فيه أو لأجل أهله (فلا تظلم نفس شيئا) أي حقا من حقوقها بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر (وان كان) أي العمل (مثقال حبة) أي وزن حبة (من خردل أتينا بها) أي أحضرنا ذلك العمل للوزن وقرأ نافع برفع مثقال على ان كان تامة (وكفى بنا حاسبين) أي محصين في كل شيء (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) أي وبالله لقد آتيناهما كتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل لما فيه من الشرائع وذكرا يتعظ به الناس (الذين يخشون ربهم بالغيب) حال من الفاعل أي يخشون عذاب ربهم حال كونهم في

الخلوات

(الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه (وهذا ذكر مبارك) يعني القرآن (أفأنتم له منكرون) أي جاحدون (ولقد آتينا ابراهيم رشده) أي هداه وتوفيقه (من قبل) أي من قبل موسى وهرون (وكنا به عالمين) أي انه أهل لما آتيناه (اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل) أي الأصنام (التي أنتم لها عاكفون) أي على عبادتها مقيمون (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم (قالوا أجئتنا بالحق) يعنون أجاد أنت فيما تقول (أم أنت من اللاعبين) لاعب (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) أي أشهد على أنه خلقها (وتالله لأكيدن أصنامكم) أي لأمكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) قال ذلك في يوم عيد لهم وهم يذهبون الى الموضع الذي يجتمعون فيه (فجعلهم جذاذا) أي حطاما ورفاتا (الا كبيرا لهم) أي عظيم الآلهة فانه لم يكسره (لعلهم اليه) أي الى ابراهيم ودينه (يرجعون) اذا قامت الحجة عليهم فلما انصرفوا (قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) قال الذي سمع قوله لأكيدن أصنامكم

الخلوات منفردين عن الناس نخشيتهم من عقاب الله لازم لقلوبهم لا ان ذلك مما يظهرونه في الملأ أو حال من المفعول أي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم فيعملون له تعالى (وهم من الساعة) أي مما يجري في يوم القيامة من الحساب والسؤال والميزان (مشفقون) أي خائفون فيعدلون بسبب ذلك الخوف عن معصية الله تعالى (وهذا) أي القرآن (ذكر مبارك) أي كثير النفع غزير العلم (أنزلناه) على أشرف الرسل محمد صلى الله عليه وسلم (أفأنتم له منكرون) أي أبعد أن علمتم ان شأن القرآن كشأن التوراة في كونه منزلا من عندنا فأنتم يا أهل مكة جاحدون للقرآن خاصة دون كتاب اليهود فانهم كانوا يراجعون اليهود فيما عن لهم من المشكلات (ولقد آتينا ابراهيم رشده) أي اهتداءه لوجوه الصلاح في الدين والدنيا ونبوته (من قبل) أي من قبل ايتاء موسى وهرون التوراة (وكنا به عالمين) أي بأنه لائق بما آتيناه يقوم بحقه ويجتنب ماينفر قومه من القبول (اذ قال) ابراهيم (لأبيه) آزر (وقومه) نمروذ بن كنعان وأصحابه (ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) أي ماهذه الصور التي أنتم عابدون لها وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب وكان كبيرها من ذهب مكللا من جواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان تضيئان في الليل (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فنحن نعبدها اقتداء بهم فلم يجدوا في جوابه الا طريقة التقليد فأجابهم ابراهيم وأبطله على طريقة التوكيد القسمي بقوله (قال) لهم ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم) الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة (في ضلال مبين) أي في خطأ بين بحيث لا يخفى على أحد من العقلاء ذلك والتقييد انما جاز لمن علم في الجملة انه على الحق (قالوا أجئتنا) يا ابراهيم في قولك هذا (بالحق) أن بالجد (أم أنت من اللاعبين) أي من المازحين بنافيه (قال) ابراهيم (بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي خلقهن على غير مثال سبق وهو الذي خلقها لمنافع العباد وهو الذي يستحق أن يعبد لا من يقدر على ذلك يقدر على أن يضر وينفع في الدار الآخرة بالعقاب والثواب (وأنا على ذلكم) أي كون ربكم رب السموات والارض فقط (من الشاهدين) بذلك فأنا قادر على اثبات الحجة في ذلك واني لست مثلكم أقول بغير اثبات الحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على مجرد التقليد بآبائكم (وتالله لأكيدن) أي لأكسرن (أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) أي بعد أن تنطلقوا ذاهبين الى العيد روي أن آزر خرج في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الأصنام فدخلوا فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وذهب معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس حيث قال وتالله لأكيدن أصنامكم فسمع قوله الضعفاء فرجع ابراهيم الى بيت الأصنام (فجعلهم) أي الأصنام (جذاذا) أي قطعا (الا كبيرا لهم) لم يكسره (لعلهم اليه) أي الى مقالة ابراهيم (يرجعون) فيبكتهم فيعدلون عن الباطل أي ان ابراهيم عليه السلام لما دخل بيت الأصنام وجد قبالة الباب صنما عظيما والى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم أصغر من الذي يليه وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاما يأكلون منه اذا رجعوا من عيدهم اليهم فقال لهم ابراهيم ألا تأكلون فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الفأس في عنقه (قالوا) حين رجعوا من عيدهم ورأوا مارأوا (من فعل هذا) أي التكسير (بآلهتنا انه) أي من فعل (لمن الظالمين) اما لجراءته على اهانة الآلهة أو لافراطه في الكسر أو لتعريض نفسه للهلكة فانهم كانوا يعتقدون في الأصنام أنها تماثيل الكواكب وأنها طلسمات موضوعة بحيث ان

كل من عبدها انتفع بها وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد (قالوا) أى الذين سمعوا حلف ابراهيم وأخبروا أكابرهم (سمعنا فتى يذكرهم) أى يعيب الأصنام ويسبها فلعله هو الذى فعل بها هذا الفعل (يقال له ابراهيم) أى يطلق عليه هذا الاسم وهذه صفة ثانية لفتى (قالوا) أى فيما بينهم والقائل لذلك القول هو النمروذ (فأتوا به) أى بابراهيم (على أعين الناس) أى حال كونه ظاهر الناس (لعلهم) أى بعض الناس (يشهدون) عليه بفعله فكل حاكم يحكم على جماعة بالجناية من غير بينة أسوأ حالا فلا يحكم بعض الكفار على أهل الجناية الا بحضور عدول (قالوا) أى قال له نمروذ بعد اتيانه (أأنت فعلت هذا) أى الكسر (بآلهتنا يا ابراهيم) قال ابراهيم متهكما بهم وملزما بالحجة (بل فعله كبيرهم هذا) أى الذى الفأس على عنقه وهو مشير الى الذى لم يكسره وسلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذى هو الزامهم الحجة على ألطف وجه يحملهم على التأمل فى شأن آلهتهم فهذا يستلزم نفى فعل الصنم الكبير للكسر واثباته لنفسه عليه السلام وهو اشارة لنفسه على الوجه الابلغ مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل اذ القاعدة انه اذا دار فعل بين قادر عليه وعاجز عنه وأثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره فى القادر فهذا نعت لكبيرهم أو بدل منه وقيل هو خبر لكبيرهم وتم الكلام عند قوله بل فعله وفاعل الفعل محذوف أى فعله من فعله ويروى عن الكسائى أنه كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدى كبيرهم هذا. وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم بتشديد اللام أى فلعل الفاعل كبيرهم هذا (فاسألوهم) أى الأصنام عن كاسرهم (ان كانوا ينطقون) حتى يخبروكم من كسرهم وجواب الشرط هو ما قبله وهذا مرتبط بقوله بل فعله كبيرهم فيكون اسناد الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع أن يكون الكبير فاعلا والمعنى بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم وهذه التأويلات لنفى كذب سيدنا ابراهيم والأولى هو الاول فان التعريض لا يسمى كذبا وأيضا يجوز أن يكون الله تعالى قد أذن له فى ذلك الكلام لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف عليه السلام حين نادى مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا (فرجعوا الى أنفسهم) بالتفكر فلاموها (فقالوا) أى قال بعضهم لبعض فيما بينهم أو قال لهم ملكهم نمروذ (انكم أنتم الظالمون) بعبادة الأصنام لا من كسرها ومن قلتم فى حقه انه لمن الظالمين فانهم علموا بعد التفكر ان عبادة الأصنام باطلة وانهم على غرور فى ذلك أو أنتم الظالمون لأنفسكم حيث سألتم من ابراهيم عن كاسر الأصنام حتى أخذ يستهزئ بكم فى الجواب (ثم نكسوا على رءوسهم) أى انقلبوا عن الفكرة الصالحة الى الحالة الأولى فأخذوا فى المجادلة بالباطل قائلين والله (لقد علمت) يا ابراهيم (ما هؤلاء) الأصنام (ينطقون) أى لقد علمت أنه ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا بالبناء للفاعل أى نكسوا أنفسهم على رءوسهم وهى قراءة رضوان بن عبد المعبود (قال) ابراهيم مبكتا لهم (أفتعبدون من دون الله) أى أتعلمون ذلك فتعبدون متجاوزين عبادة الله تعالى (ما لا ينفعكم شيئا) أى نفعا قليلا (ولا يضركم أف لكم) أى قذرا وقبحا لكم (ولما تعبدون من دون الله) أى غيره واللام لبيان التضجر لأجله وعائد الموصول محذوف وهذا التضجر من سيدنا ابراهيم من اصرارهم على الباطل البين (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم من عبادة ما لا يضر فى ترك عبادته ولا ينفع فى عبادته (قالوا) أى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المجادلة وضاقت عليهم الحيل والقائل لهم ملكهم نمروذ بن كنعان وقيل القائل رجل من أكراد فارس اسمه هينون خسف الله به الارض

(سمعنا فتى يذكرهم) أى يعيبهم (يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس) أى على رءوس الناس يعنى بمرأى منهم (لعلهم يشهدون) عليه انه الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة فلما أتوا به (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا) غضب أن تعبدوا معه الصغار وأراد اقامة الحجة عليهم فقال (فاسألوهم) من فعل بهم هذا (ان كانوا ينطقون) أى ان قدروا على النطق (فرجعوا الى أنفسهم) أى تفكروا ورجعوا الى عقولهم (فقالوا انكم أنتم الظالمون) هذا الرجل بسؤالكم اياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رءوسهم) أى أطرقوا لما لحقهم من الخجل وأقروا بالحجة عليهم فقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فلما اتجهت الحجة عليهم (قال) ابراهيم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم) أى تبا لكم فلما عجزوا عن الجواب (قالوا

(حرقوه)

(حرقوه) أي ابراهيم بالنار (وانصروا آلهتكم) أي انتقموا منه لآلهتكم (ان كنتم فاعلين) لنصرتها فاختاروا أشد العقوبات وهي الاحراق وروى انهم لما اجتمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة في قرية كوثى فجمعوا له أصناف الحطب شهرا وأوقدوا نارا سبعة أيام حتى لو مر الطير في أقصى الهواء لاحترق ثم أخذوا ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيد مغلولا فرموه به في النار فجعل الله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى (قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) أي ابردي بردا غير ضار ومكث ابراهيم في النار سبعة أيام وكان عنده عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وقال ياابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابي ولم تحرق النار منه الا وثاقه فان الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والاحراق وأبقى ما فيها من الاضاءة والاشراق وروى انهم أوقدوا عليه النار سبعة أيام بعد القائه في ذلك البنيان ثم أطبقوا عليه ثم فتحوا عليه من الغد فاذا هو غير محترق و يعرق عرقا فقال لهم هاران أبو لوط عليه السلام ان النار لا تحرقه لانه سحر النار ولكن اجعلوه على شيء وأوقدوا النار تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بئر وأوقدوا النار تحته فطارت شرارة فوقعت في لحية أبي لوط فأحرقته (وأرادوا به) أي ابراهيم (كيدا) أي مكرا عظيما في الاضرار به (فجعلناهم الأخسرين) فانهم خسروا السعي والنفقة فلم يحصل لهم مرادهم وهلكوا بارسال الله عليهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغ نمروذ بعوضة فأهلكته (ونجيناه) أي ابراهيم من النار (ولوطا) ابن أخيه هاران الأصغر من الخسف وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر وأما هاران الأكبر فكان عما لابراهيم وكانت سارة بنت عم ابراهيم الذي هو هاران الأكبر (الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) في الدين والدنيا أي بلغناهما من العراق الى الشام فنزل ابراهيم بفلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة. وسبب بركة الشام في الدين لأن أكثر الأنبياء بعثوا منها فانتشرت شرائعهم فيها وفي الدنيا لان الله تعالى بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثمر (ووهبناله) أي لابراهيم عليه السلام (اسحق ويعقوب) أي وهبناهما لابراهيم (نافلة) أي عطية وفضلا من غير أن يكون جزاء مستحقا فنافلة منصوب على المصدر (وكلا) أي كل واحد من هؤلاء الأربعة (جعلنا صالحين) في الدين والدنيا فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في أمور الدين (يهدون) أي يدعون الناس الى الخيرات (بأمرنا) واذننا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي أن يعملوا الشرائع هم وأتباعهم (واقام الصلاة وايتاء الزكاة) وهذان من عطف الخاص على العام دلالة على انافتهما فان الصلاة أفضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (وكانوا لنا عابدين) أي مخلصين في العبادة لا يخطر ببالهم غير عبادتنا (ولوطا آتيناه حكما) أي فصلا بين الخصوم قال الزجاج أي هذه الجملة عطف على قوله وأوحينا اليهم وقال أبو مسلم عطف على قوله آتينا ابراهيم رشده أي وآتينا لوطا (وعلما) لائقا به (ونجيناه من القرية) أي من أهل قرية سذوم (التي كانت تعمل الخبائث) أي التي كان أهلها قبل انجائنا له منها يعملون الأعمال الخبائث من اللواط ورمي المارة بالبندق واللعب بالطيور والتضارط في أنديتهم وغير ذلك (انهم كانوا قوم سوء) أي قوما يحزنون الناس بأفعالهم (فاسقين) أي خارجين من كل خير (وأدخلناه) أي لوطا (في رحمتنا) بأن فتحت عليه أبواب المكاشفات وتجلت له أنوار الألهية (انه من الصالحين) أي من المستعدين لقبول ذلك وللدخول فيه (ونوحا) عطف على قوله ولوطا أي ونوحا آتيناه حكما (اذنادى) أي دعا على قومه بالعذاب بدل اشتمال من نوحا (من قبل) أي من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) الدعاء (فنجيناه وأهله) أي أهل دينه (من

النار (قلنا يانار كوني بردا وسلاما) أي ذات برد وسلامة لايكون فيها برد مضر ولاحر مؤذ (وأرادوا به) بابراهيم (كيدا) أي مكرا في اهلاكه (فجعلناهم الأخسرين) أي حيث لم يقع مرادهم ووقعوا في العذاب في الآخرة (ونجيناه) من نمروذ وقومه (ولوطا) ابن أخيه (الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) وهي الشام وذلك أنه خرج مهاجرا من أرض العراق الى الشام (ووهبنا له اسحق) ولدا لصلبه (ويعقوب نافلة) أي ولدا لولده (وكلا جعلنا صالحين) يعني هؤلاء الثلاثة (وجعلناهم أئمة) أي يقتدى بهم في الخير (يهدون) أي يدعون الناس الى ديننا (بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات) يعني أن يفعلوا الطاعات ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة (ولوطا آتيناه حكما) أي فصلا بين الخصوم بالحق (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني أهلها كانوا يأتون الذكران في أدبارهم (ونوحا اذ نادى من قبل) أي من قبل ابراهيم (ونجيناه وأهله من

الكرب العظيم) وهو الغرق وأذية قومه (ونصرناه من القوم) أى عصمناه من مكروه القوم كما قاله المبرد وقال أبو عبيدة من بمعنى على كقراءة أبى ابن كعب ونصرناه على القوم (الذين كذبوا بآياتنا) الدالة على رسالته عليه السلام (إنهم كانوا قوم سوء) لأجل تكذيبهم له (فأغرقناهم أجمعين) بالطوفان لاصرارهم على تكذيب الحق ولانهماكهم فى الشر وهذا بيان للوجه الذى خلصه الله منهم به (وداود وسليمان) أى آتيناهما حكما (إذ يحكمان فى الحرث) أى فى حق الزرع (إذ نفشت فيه غنم القوم) أى انتشرت فى الزرع غنم القوم فى الليل ترعى بلا راع (وكنا لحكمهم) أى داود وسليمان (شاهدين) أى أنا حكمنا بارشادنا لهما وأوقع الجمع موقع التثنية مجازا ويدل على ذلك قراءة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية (ففهمناها) أى الفتيا (سليمان وكلا) أى كل واحد منهما (آتيناه حكما وعلما) كثيرا روى أنه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال أحدهما ان غنم هذا دخلت فى حرثى ليلا فأفسدته وما أبقت منه شيئا فقال داود عليه السلام اذهب فان الغنم لك وقد روى أنه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف قضى بينكما فأخبراه بذلك فقال لو كنت أنا القاضى لقضيت بغير هذا وهو أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود عليه السلام فدعاه وقال كيف تقضى بينهما فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له منافعها من الدر والنسل والصوف وادفع الحرث الى أرباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود كهيئته يوم أكل ثم دفعت الغنم الى أهلها وقبض صاحب الحرث حرثه فقال داود القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك ورأى داود قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى المجنى عليه أو يفديه عند أبى حنيفة ببيعه فى ذلك أو يفديه عند الشافعى ورأى سليمان استحسان كما قال أصحاب الشافعى فيمن غصب عبدا فأبق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا وحكم هذه المسئلة فى مذهب الشافعى ان الغنم ان كانت وحدها ولو بصحراء فأتلفت شيئا كزرع ليلا أو نهارا ضمنه ذو يدان فرط فى ربطها أو ارسالها كأن ربطها بطريق ولو واسعا أو كأن أرسلها ولو فى نهار لمرعى بوسط مزارع فأتلفتها فان لم يفرط كأن أرسلها لمرعى لم تتوسطه مزارع لم يضمن. ومذهب أبى حنيفة وأصحابه عدم الضمان بالليل والنهار الا أن يكون معها سائق أو قائد (وسخرنا) أى ذللنا (مع داود الجبال يسبحن) أى ينطقن بالتسبيح وكان داود يسبح وحده فالله تعالى خلق فيها الكلام كما سبح الحصى فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع الناس ذلك (والطير) أى اذا ذكر داود عليه السلام ربه ذكرت الجبال والطير بهامعه (وكنا فاعلين) أى انا قادرون على أن نفعل هذا وان كان عجبا عندكم أى مستغربا فى اعتقادكم (وعلمناه صنعة لبوس) أى درع (لكم) أى لأجلكم يا أهل مكة فان الله تعالى ألان الحديد لداود فكان يعمل منه بغير نار كأنه طين (لتحصنكم من بأسكم) أى لتحرسكم من الجرح والسيف والسهم والرمح فقرأ شعبة بالنون وابن عامر وحفص بالتاء فالضمير للبوس والباقون بالياء التحتية فالضمير لداود أو للبوس وهذا بدل اشتمال من لكم مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة (فهل أنتم شاكرون) أى اشكروا الله يا أهل مكة على ما يسر عليكم من هذه الصنعة بتصديق الرسل (ولسليمان الريح عاصفة) أى شديدة الهبوب فاذا أمرت بكرسيه عليه السلام أبعدت به فى مدة يسيرة أى جعلنا الريح طائعة لسليمان فان أرادها عاصفة كانت عاصفة وان أرادها لينة كانت لينة (تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها) قال الكلبى كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله. قال وهب كان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا خرج الى مجلسه

الكرب العظيم) قيل الغم العظيم الذى كان فيه من أذى قومه (ونصرناه) أى منعناه من أن يصلوا اليه بسوء وقوله (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) قيل كان زرعا وقيل كان كرما (اذ نفشت) أى رعت ليلا (فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) أى لم يغب عن علمنا ففهمناها) أى فهمنا القصة (سليمان) دون داود وذلك أن داود حكم لأهل الحرث برقاب الغنم وحكم سليمان بمنافعها الى أن يعود الحرث كما كان (وسخرنا مع داود الجبال) يجاوبنه بالتسبيح (و) كذلك (الطير وكنا فاعلين) ذلك (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى عمل ما تلبسونه من الدروع (لتحصنكم) أى لتحرزكم (من بأسكم) أى من حربكم (فهل أنتم شاكرون) نعمتنا عليكم (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح (عاصفة) أى شديدة الهبوب (تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها) يعنى الشام وكان منزل سليمان بها

عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حين يجلس على سريره وكان أمرأ غازيا فلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الأرض بملك الا أتاه حتى يذله وروى أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر (وكنا بكل شئ عالمين) فنجرى ماسخرنا له بحسب ماتقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) أى وسخرنا لسليمان من الشياطين الكافرين من يدخلون فى البحار ويخرجون الجواهر منها له (ويعملون عملا دون ذلك) أى غير ذلك من بناء المدن والقصور وصنع النورة والطواحين والقوارير والصابون والحمام لأن ذلك من استخراجاتهم (وكنا لهم حافظين) حتى لايخرجوا من أمره وحافظين من أن يفسدوا ماعملوا فكان دأبهم أنهم يعملون بالنهار ثم يفسدونه فى الليل ومن أن يهيجوا أحدا على أحد فى زمانه عليه السلام (وأيوب) أى آتيناه حكما (اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وكان أيوب عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق وكانت أمه من ولد لوط وكان الله تعالى قد جعله نبيا وقد أعطاه من الدنيا حظا وافرا من النعم والدواب والبساتين وأعطاه ولدا من رجال ونساء وكان رحيما بالمساكين وكان يكفل الأيتام والارامل ويكرم الضيف فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض فى بدنه ثماني عشرة سنة فانه خرج من فرقه الى قدمه ثآليل وقد وقعت فى جسده حكة لايملكها وكان يحك بأظفاره حتى سقطت أظفاره ثم حكها بالمسوح الخشنة ثم حكها بالفخار والحجارة ولم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وأنتن فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا. روى ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام أو رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله تعالى أن أدعوه ومابلغت مدة بلائى مدة رخائى وروى أن ابليس أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا اله الارض فعلت بزوجك مافعلت لأنه تركنى وعبد اله السماء لو سجدت لى سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى أيوب وكان ملقى فى الكناسة لايقرب منه أحد فأخبرته بالقصة فقال عليه السلام كأنك افتتنت بقول اللعين لئن عافانى الله تعالى لأضربنك مائة سوط وحرام على أن أذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فذهبت فبقى طريحا فى الكناسة لايحوم حوله أحد من الناس فلما نظر أيوب فى شأنه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا فقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فقال تعالى ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة الا سقطت منه ولا جراحة الا برئت ثم ركض برجله مرة أخرى بعد أن مشى أربعين خطوة فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الاخرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله حتى صار أحسن ثم كسى حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الأهل والولد والمال الاوقد ضاعفه الله تعالى حتى روى أن الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فخرج حتى جلس على مكان مشرف. ثم ان امرأته قالت فى نفسها هب انه طردنى أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لأرجعن اليه فلما رجعت مارأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وهابت صاحب الحلة أن تأتيه وتسأله عنه

(ومن الشياطين) أى وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) أى يدخلون تحت الماء لاستخراج جواهر البحر (ويعملون عملا دون ذلك) أى سوى الغوص (وكنا لهم حافظين) أى من أن يفسدوا ما عملوا وليصيروا تحت أمره (وأيوب اذ نادى) أى دعا (ربه أنى مسنى الضر) أى أصابنى الجهد وقوله

فأرسل اليها أيوب ودعاها فقال ماتريدين ياأمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة فقال لها أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلى فقال أتعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى على فتبسم وقال أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال انك أمرتنى أن أذبح سخلة لابليس وانى أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله تعالى فرد على ماترين وذلك قوله تعالى (فاستجبنا له) الدعاء (فكشفنا مابه من ضر) أى مرض وهزال (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) روى أن امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا قال ابن عباس أبدل بكل شئ ذهب منه ضعفاه وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكا فقال ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى أندرك وهو الموضع الذى يداس فيه الطعام فخرج اليه فأرسل عليه جرادا من ذهب (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) أى آتيناه ماذكر لرحمتنا أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب (واسمعيل) ابن ابراهيم (وادريس) بن شيث بن آدم (وذا الكفل) واسمه بشر أى أعطيناهم ثواب الصابرين (كل من الصابرين) على أمر الله والرزايا (وأدخلناهم فى رحمتنا) أى فى النبوة (انهم من الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح فصلاحهم معصوم من كدر الفساد فاسماعيل فقد صبر عند ذبحه وعلى الاقامة فى بلد لازرع فيه ولاضرع ولابناء وصبر فى بناء البيت فأخرج منه خاتم النبيين وادريس فقد صبر على دراسة الكتب وسمى ادريس لكثرة دراسته وبعث الى قومه داعيا لهم الى الله تعالى فأبوا فأهلكهم الله ورفع الى السماء الرابعة وذو الكفل فقد صبر على قيام الليل وصيام النهار وأذى الناس فى الحكومة بينهم بأن لايغضب ومعنى الكفل هو النصيب وانما سمى ذا الكفل بذلك على سبيل التعظيم فيكون الكفل كفل الثواب لأنه كان له ضعف عمل الانبياء فى زمانه وضعف ثوابهم وقد كان فى زمنه أنبياء عليهم السلام (وذا النون) أى واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (اذ ذهب مغاضبا) أى غضبان على قومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر لأنهم لما لم يؤمنوا وعدهم بالعذاب فلما كشف العذاب عنهم بتوبتهم وهو لم يعرف الحال خرج منهم غضبان من ذلك (فظن أن لن نقدر عليه) أى ظن أنه لن نضيق عليه أى فانه ظن أنه مخير ان شاء أقام وان شاء خرج وانه تعالى لايضيق عليه فى اختياره فأتى بحر الروم فوجد قوما هيأوا سفينة فركب معهم فلما تلججت السفينة تكفأت بهم وكادوا أن يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص أوعبد آبق لأن السفينة لاتكون هكذا من غير ريح الاوفيها رجل عاص فلابد من أن نقترع ليظهر فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه فى البحر فان غرق واحد خير من أن تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها على يونس عليه السلام فقال أنا الرجل العاصى والعبد الآبق وألقى نفسه فى البحر فجاء حوت فابتلعه فأوحى الله تعالى الى ذلك الحوت لاتأكل له لحما ولاتهشم له عظما فانه ليس رزقا لك وانما جعلتك له سجنا (فنادى فى الظلمات) أى فى ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت آخر فحصل فى ظلمتى بطن الحوتين وظلمة البحر والليل (أن لااله الا أنت) أى بأنه فأن مخففة من ان المشددة أو بمعنى أى (سبحانك) أى أنزهك تنزيها لاتقا بلك من أن يعجزك شئ (انى كنت من الظالمين) بفرارى من قومى بغير اذنك فكان ذلك ظلما فعوقب على ترك الأفضل الذى هو المكث فيهم صابرا على أذاهم فانه خرج لاعلى تعمد المعصية بل لظنه أن خروجه موسع يجوز أن يقدم ويؤخر فقد وصف يونس عليه السلام ربه بكمال الربوبية ووصف نفسه بضعف البشرية والنقص فى أداء حق الربوبية وهذا القدر يكفى فى السؤال ولذا قال تعالى (فاستجبنا له) دعاءه. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مكروب يدعو بدعوة ذى النون فى بطن الحوت الااستجيب

(وآتيناه أهله ومثلهم معهم) هو ان الله تعالى أحيا من أمات من بنيه وبناته ورزقه مثلهم من الولد (رحمة) أى نعمة (من عندنا وذكرى للعابدين) أى عظة لهم ليعلموا بذلك كمال قدرتنا وقوله (وذا الكفل) هو رجل من بنى اسرائيل تكفل بخلافة نبى فى أمته فقام بذلك (وذا النون) واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (اذ ذهب) من بين قومه (مغاضبا) لهم قبل أمرنا له بذلك (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نقضى عليه ماقضينا من حبسه فى بطن الحوت (فنادى فى الظلمات) يعنى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) أى حين غاضبت قومى وخرجت من بينهم قبل الاذن

(وكذلك)أى وكما نجيناه (ننجى المؤمنين) أى من كربهم اذا استغاثوا بنا ودعونا وقوله (لاتذرنى فردا) أى وحيدا لاولد لى ولاعقب (وأنت خير الوارثين) أى خير من يبقى بعد من يموت وقوله (وأصلحناله زوجه)أن جعلنا لها ولدا بعدان صارت عقيما(انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون الى عمـل الطاعات (ويدعوننا رغبا) أى فى رحمتنا (ورهبا) أى من عذابنا (وكانوا لنا خاشعين) أى عابدين فى تواضع (والتى)أى واذكر التى (أحصنت فرجها)أى منعت فرجها من الحرام (فنفخنافيها من روحنا) أى أمرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها والمعنى أجرينا فيها روح المسيح المخلوقة لنا (وجعلناها وابنها آية للعالمين)أى دلالة على تمام قدرتنا وكانت الآية فيهما جميعا واحدة لذلك وحدت (ان هذه أمتكم) أى دينكم وملتكم (أمة) أى ملة (واحـدة) وهى الاسلام (وتقطعوا أمرهم بينهـم) أى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا (كل الينا راجعون) فنجزيهم بأعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) أى الطاعات (وهومؤمن)أى مصـدق بمحمد صلى الله عليه وسلم (فـلا كفران لسـعيه) أى لايبطل عمله بل نثيبه (وانا له كاتبون) أى ماعمل حتى نجازيه (وحرام على قرية) يعنى قرية كافرة (أهلـكناها) أى أهلها بعذاب الاستئصال ان يرجعوا الى الدنيا ولازائدة فى الآية ومعنى حرام عليهم انهم ممنوعون من ذلك لأن الله تعالى قضى على من أهلك أن يبقى فى البرزخ الى يوم القيامة (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) أى من سدها

له (ونجيناه من الغم) بسبب كونه فى بطن الحوت وبسبب خطيئتـه فألقاه الحوت فى الساحل من يومه أو بعد ثلاثة أيام (وكـذلك) أى كما أنجينا يونس من كرب الحبس اذ دعانا (ننجى المؤمنين) من كربهم اذا استغاثوا بنا داعين بهذا الدعاء (وزكريا) أى واذكر خـبره (اذ نادى ربه) بقوله (رب لاتذرنى فردا) أى وحيدا بلا ولد يرثنى ارث نبوة وعلم وحكمة (وأنت خـير الوارثين) أثنى عليه السلام على ربه لأنه ينـكشف عن علمه أن عاقبة الأمور راجعة الى الله تعالى فانه تعالى الباقى بعد فناء الخلق (فاستجبناله) دعاءه (ووهبناله يحيى) نبيا حكيما عظيما (وأصلحنا له زوجه) للولادة بعد انتهائها الى اليأس منها بحكم العادة. وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان سن زكريا مائة وسن زوجته تسعا وتسعين (انهم) أى زكريا وولده وأهله (كانوا يسارعون فى الخيرات) أى فى طاعة الله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) أى يفزعون الينا رغبة فى ثوابنا ورهبة من عقابنا (وكانوا لنا خاشعين) أى خائفين متواضـعين فى عبادتهم حذرين عن الانبساط فى الأمور (والتى أحصنت فرجها) أى واذكر خبر مريم التى أحصنت فرجها احصانا كليا من أن يصل اليـه أحد بحـلال أو حرام جميعا (فنفخنا فيها من روحنا) أى فنفخنا الروح فى عيسى فيها أى أحييناه فى جوفها أى أجريناه فيه اجراء الهواء بالنفخ من جهة روحنا جبريل (وجعلناها وابنهـا آية للعالمين) أما آيات مريم فظهور الحبل فيهـا لامن ذكر ورزقها كان يأتيها به الملائكة من الجنة وانهـا لم تلتقم ثديا يوما قط وتكلمت فى صباها كما تكلم عيسى فى صباه فجعلهما الله آية للناس فيستدلون بما خصا به من الآيات على قدرته تعالى وحكمته (ان هذه أمتكم أمة واحدة) أى ان ملة الاسلام وهى التوحيد هى ملتكم أيها الناس حال كونها غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم السلام أى يجب عليكم أن تـكونوا عليها لاتنحرفوا عنها وقرأ الحسن أمتكم بالنصب على البدل من هذه أو عطف بيان وأمة بالرفع خبران وبرفعهما معا خبرين (وأنا ربكم فاعبدون) أى وحدونى واعرفونى أيها الكفار أودوموا على عبادتى أيها المؤمنون (وتقطعوا أمرهم بينهم) أى تفرقوا فى أمرهم بأن آمنوا بالبعض وكفروا بالبعض (كل) من الثابت على الدين الحق والزائغ عنه الى غيره (الينا راجعون) فنجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) أى الفرائض والنوافل (وهو مؤمن) بالله ورسله (فلا كفران لسعيه) أى لاحرمان لثواب عمله (وانا له) أى لسعيه (كاتبون) أى مثبتون فى صحائف أعمالهم (وحرام على قرية أهلـكناها انهم لايرجعون) أى ممتنع على أهل قرية قدرنا هلاكهم بالموت عـدم رجوعهم الينا للجزاء بأن يذهبوا تحت التراب باطلا من غير احباس بالنعمة أو بالعذاب أو المعنى واجب على أهـل قرية أهلـكناها بالموت عـدم رجوعهم عن الشرك وعن الدنيا فان الحرام قد يجىء بمعنى الواجب كقوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئا وترك الشرك واجب وليس بمحرم (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) أى يستمرون على الهـلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون ياويلنا الخ أو لايرجعون عن الـكفر حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لاينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الانس والمراد حتى اذا فتحت سدهما وذلك بعد نزول عيسى الى الأرض وبين موت عيسى والنفخة الأولى قدر ثنتى عشرة سنة من السنين

المعتادة وقرأ ابن عامر بتشديد التاء (وهم من كل حدب ينسلون) أى والحال أن يأجوج ومأجوج من كل مكان مرتفع يخرجون وقرأ ابن عباس من كل جدث أى والناس يخرجون من قبورهم فيحشرون الى موقف الحساب (واقترب الوعد الحق) أى وهو البعث والحساب والجزاء (فاذا هى) فاذا للمفاجأة تسد مسد الفاء فاذا دخلتها الفاء تعاونت على وصل الجزاء بالشرط وتأكدت والضمير للقصة وما بعده خبر مقدم أى فالقصة (شاخصة أبصار الذين كفروا) أى ان القيامة اذا قامت ارتفعت أبصار هؤلاء من شدة الأهوال فلا تكاد تطرف من شدة ما يخافونه قائلين (ياويلنا) أى ياهلا كنا تعال فهذا أوان حضورك (قد كنا) فى الدنيا (فى غفلة) تامة (من هذا) أى الذى أصابنا من البعث والجزاء ولم نعلم أنه حق (بل كنا ظالمين) أى لم نكن غافلين عنه بل كنا ظالمين أنفسنا بتعمد الكفر والاعراض عن الايمان حيث كذبنا الرسل وعبدنا الأوثان (انكم) ياأهل مكة (وما تعبدون من دون الله) أى من غير الله من الأوثان وغيرها (حصب جهنم) أى حطب جهنم يرمون فيها (أنتم لها واردون) أى داخلون فيها وروى أن رسول الله ﷺ حين تلا هذه الآية وقال له ابن الزبعرى والد عبد الله القرشى خصمتك ورب الكعبة أليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى للمسيح وبنو مليح الملائكة رد ﷺ بقوله ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وقد أسلم ابن الزبعرى بعد هذه القصة (لو كان هؤلاء) أى أصنامهم (آلهة) كما يزعمون (ما وردوها) أى ما دخلوا النار (وكل) من العبدة والمعبودين (فيها خالدون) أى لا خلاص لهم عنها (لهم) أى للعبدة (فيها زفير) أى أنين وتنفس شديد (وهم فيها لا يسمعون) أصوات المعذبين لشدة الهول وفظاعة العذاب وقد جرت عادة الله تعالى انه متى شرح عقاب الكفار أردفه بشرح ثواب الأبرار فقال (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) أى الذين سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة (أولئك عنها) أى جهنم (مبعدون) عن ألمها فانهم فى الجنة وشتان بينها وبين النار (لا يسمعون حسيسها) أى صوت جهنم وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم فى الجنة وهذه الجملة بدل من مبعدون أو حال من ضميره أو خبر ثان وهى مذكورة للمبالغة فى انقاذهم منها (وهم) أى من تقدم لهم الوعد بالثواب (فيما اشتهت أنفسهم) أى تمنت نعيم الجنة (خالدون) أى دائمون فى غاية النعم (لا يحزنهم الفزع الأكبر) حين تغلق النار على أهلها وييأسون من الخروج منها وحين يذبح الموت فى صورة كبش أملح بين الجنة والنار وينادى ياأهل النار خلود بلا موت فييأس أهل النار من الخروج منها وحين يؤمر بالكافر الى الذهاب الى النار (وتتلقاهم الملائكة) أى الحفظة الذين كتبوا أعمالهم وأقوالهم على أبواب الجنة بالبشرى قائلين (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى هذا الوقت وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم به فى الدنيا فابشروا بفنون المثوبات بجميع ما يسركم بايمانكم وطاعاتكم (يوم نطوى السماء) بنون العظمة وقرئ يطوى بالياء والتاء على البناء للمفعول فالظرف منصوب باذكر أو بتتلقاهم (كطى السجل للكتب) أى يوم نطوى السماء طيا كطى الطومار للمكتوبات وقرأ حفص وحمزة والكسائى بصيغة الجمع والباقون بصيغة الأفراد واللام متعلقة بمحذوف وهو حال من السجل ومعنى طى الطومار للمكتوب كون الطومار ساترا لتلك الكتابة ومخفيا لها لأن الطى ضد النشر الذى يكشف (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى نعيد ما خلقناه أولا اعادة مثل بدئنا إياه فى كونها ايجادا بعد عدم أو جمعا للأجزاء المتبددة فهو تشبيه للاعادة بالابتداء فى تناول قدرة الله تعالى لهما على السواء

(وهم من كل حدب) أى نشز وتل (ينسلون) أى ينزلون مسرعين (واقترب الوعد الحق) يعنى القيامة والواو زائدة لأن اقترب جواب حتى (فاذا هى شاخصة) أى ذاهبة لا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم يقولون (ياويلنا قد كنا فى غفلة) أى فى الدنيا (من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) أى بالشرك وتكذيب الرسل (انكم) أيها المشركون (وما تعبدون من دون الله) يعنى الأصنام (حصب جهنم) أى وقودها (أنتم لها واردون) أى فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعنى الأصنام (آلهة) على الحقيقة ما دخلوا النار (وكل) من العابدين والمعبودين فى النار (خالدون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) أى السعادة والرحمة (أولئك عنها) أى عن النار (مبعدون لا يسمعون حسيسها) أى صوتها (لا يحزنهم الفزع الأكبر) يعنى الاطباق على النار وقيل ذبح الموت بمرأى من الفريقين (وتتلقيهم الملائكة) أى تستقبلهم يقولون لهم (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى للثواب ودخول الجنة (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب) وهو ملك يطوى كتب بنى آدم وقيل السجل الصحيفة والمعنى كطى السجل على ما فيه من المكتوب (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى كما خلقناكم ابتداء حفاة عراة غرلا كذلك نعيدكم يوم القيامة

(وعدا

(وعداعلينا) أي وعدنابالاعادة وعداحقا علينا انجازه بسبب الاخبار عن ذلك وتعلق العلم بوقوعه (انا كنافاعلين) أي انا سنفعل ذلك لابدفوقوع ماعلم الله وقوعه واجب (ولقدكتبنا في الزبور من بعدالذكر) أي و بالله لقدكتبنا في كتاب داود بعدما كتبنا في التوراة أولقدكتبنا في جميع كتب الأنبياء بعدماأثبتنا في اللوح المحفوظ (أن الارض يرثها عبادي الصالحون) أي أن أرض الكفار يفتحها المسلمون وهذاحكم من الله باظهار الدين واعزاز للمسلمين (ان في هذا) أي في المذكور في هذه السورة من البراهين الدالة على التوحيد وصحة النبوة (لبلاغا) أي لكفاية (لقوم عابدين) أي عاملين بعلومهم وهم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان (وما أرسلناك الارحمة للعالمين) أي وما أرسلناك يا أشرف الخلق بالشرائع الارحمة للعالمين أي الا لأجل رحمتنا العالمين قاطبة في الدين والدنيا فان الناس في ضلالة وحيرة فبعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فبين صلى الله عليه وسلم سبيل الثواب وأظهر الأحكام وميز الحلال من الحرام وان كل نبي قبل نبينا اذا كذبه قومه أهلكهم الله بالخسف والمسخ والغرق فالله تعالى أخر عذاب من كذب نبينا الى الموت ورفع عذاب الاستئصال عنهم به صلى الله عليه وسلم (قل) يا أكرم الرسل (انما يوحى الي أنما الهكم اله واحد) أي انما يوحى الي وحدانية الهكم (فهل أنتم مسلمون) أي يا أهل مكة خصصوا العبادة بالهكم الواحد وهو الله تعالى فالاستفهام بمعنى الأمر (فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ماتوعدون) أي فان أعرضوا عن توحيد المعبود فقل ياسيد الرسل اني أعلمتكم بأني محارب لكم على اعلان ولكن لاأدري متى يأذن الله لي في محاربتكم فتبين بهذا ان السورة مكية فان الأمر بالجهاد كان بعد الهجرة (انه) تعالى (يعلم الجهر من القول) أي ماتجاهرون به من الطعن في الاسلام (و يعلم ماتكتمون) من الاحقاد للمسلمين ومن النفاق فيجازيكم عليه (وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) أي ماأدري لعل تأخير الجهاد استدراج وضرر لكم وتمتع لكم الى انقضاء آجالكم (قال) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ حفص بصيغة الماضي والباقون بصيغة الأمر (رب احكم بالحق) أي احكم بيننا و بين أهل مكة بالعدل المستلزم لتعجيل العذاب وقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم حيث عذبوا في بدر وأحد والخندق وحنين (وربنا الرحمن) أي كثير الرحمة على عباده (المستعان) أي المطلوب منه المعونة (على ماتصفون) أي تقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد فكذب الله ظنونهم وخذلهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

﴿ سورة الحج مختلطة بين مكي ومدني وهي ست وسبعون آية. وألف ومائتان
واحدى وتسعون كلة. وخمسة آلاف ومائة وخمسة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يأيها الناس اتقوا ربكم) بأن تطيعوه بفعل المأمورات واجتناب المنهيات (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) أي ان شدة حركة الارض في قرب الساعة في نصف رمضان معها طلوع الشمس من مغربها أمر حادث جليل هائل لاتدرك العقول كنهه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الصور أنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعقة ونفخة القيام لرب العالمين وان عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة

(وعداعلينا) أي وعدناه وعدا (انا كنافاعلين) يعني الاعادة والبعث (ولقدكتبنافي الزبور من بعد الذكر) قيل في الكتب المنزلة بعد التوراة وقيل أراد بالذكر اللوح المحفوظ (أن الارض) يعني أرض الجنة (يرثها عبادي الصالحون) وقيل أرض الدنيا تصير للمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ان في هذا لبلاغا) يعني القرآن لوصولا الى البغية (لقوم عابدين) أي مطيعين لله (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) أي للبر والفاجر فمن أطاعه عجلت له الرحمة ومن كذبه لم يلحقه في الدنيا كما لحق الأمم المكذبة (فان تولوا) أي عن الاسلام (فقل آذنتكم) أي أعلمتكم بما يوحى الي (على سواء) لتستووا في ذلك يريد لم أظهر لبعضهم شيئا كتمته عن غيره (وان أدري) أي ما أعلم (أقريب أم بعيد ماتوعدون) يعني القيامة (وان أدري لعله) أي تأخير العذاب عنكم (فتنة) أي اختبار (لكم ومتاع الى حين) أن الى حين الموت (قل رب احكم بالحق) يريد اقض بيني و بين أهل مكة بالحق أمران يقول كما قالت الرسل قبله لقومهم ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق (وربنا) أي وقل ربنا (الرحمن المستعان على ما تصفون) أي من كذبكم وباطلكم

﴿تفسير سورة الحج﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يأيها الناس) يا أهل مكة (اتقوا ربكم) أطيعوه (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) وهي زلزلة يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها

(يوم ترونها) يعني الزلزلة (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي تترك كل امرأة ترضع ولدها الرضيع اشتغالا بنفسها وخوفا (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم (وترى الناس سكارى) من شدة الخوف (وماهم بسكارى) من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) فهم يخافونه

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث، وجماعة من قريش كانوا ينكرون البعث و يقولون القرآن أساطير الاولين ويجادلون النبي صلى الله عليه وسلم (ويتبع) في جداله ذلك (كل شيطان مريد) أي متمرد عات (كتب) اقضي (عليه) أي على الشيطان (أنه من تولاه) أي اتبعه (فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير) أي يدعوه الى النار بما يزين له من الباطل (يأيها الناس) يعني كفار مكة (ان كنتم في ريب من البعث) أي في شك من الاعادة (فانا خلقناكم) أي خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر (من تراب ثم) خلقنا ذريته (من نطفة ثم من علقة) وهي الدم الجامد (ثم من مضغة) وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ (مخلقة) أي مصورة تامة الخلق (وغير مخلقة) وهي ما تمجه الأرحام دما يعني السقط (لنبين لكم) كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم (ونقر في الأرحام ما نشاء) أي نترك فيها مالا يكون سقطا (الى أجل مسمى) الى وقت خروجه (ثم نخرجكم) ليعود من بطون الأمهات (طفلا) صغيرا (ثم لتبلغوا أشدكم) أي عقولكم ونهاية قوتكم (ومنكم من يتوفى) قبل بلوغ الأشد (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل وهو قوله (لكي لا يعلم من بعد علم شيئا) ثم ذكر دلالة أخرى على البعث فقال تعالى

وتكون الارض كالسفينة تضربها الأمواج أو كالقنديل المعلق ترجرجه الرياح (يوم ترونها) منصوب بتذهل أو بدل اشتمال من زلزلة أي وقت رؤية الزلزلة (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي تغفل مع دهشة عن طفلها الذي ألقمته ثديها بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تلقي الحوامل جنينها لغير تمام (وترى الناس سكارى وماهم بسكارى) فالخطاب لكل أحد أي يراهم كل أحد برؤية الزلزلة كأنهم سكارى وماهم بسكارى حقيقة. وقال ابن عباس والحسن أي وتراهم سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب وقرأ حمزة والكسائي سكرى بفتح السين وسكون الكاف وقرئ ترى الناس بالبناء للمجهول والضمير للمخاطب والناس بالنصب أي تظنهم سكارى و بالرفع نائب الفاعل على تأويله بالجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء أي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى (ولكن عذاب الله شديد) أي ولكن ما أرهقهم من هول عذاب الله تعالى هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم (ومن الناس) أي وبعض الناس كالنضر بن الحرث وأبي جهل وأبي بن خلف (من يجادل في الله) أي في دين الله وكتابه وقدرته (بغير علم) أي ملتبسا بغير علم فانهم ينكرون البعث وقالوا ان الله لا يقدر على احياء من صار ترابا ويكذبون القرآن ويقولون ما يأتيكم به محمد كما كنت أحدثكم بعض القرون الماضية فهو أساطير الاولين (ويتبع) في جداله (كل شيطان مريد) أي عات متجرد للفساد والمراد اما شياطين الانس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده (كتب عليه) مبني للمفعول صفة ثانية أي قد كتب على الشيطان في أم الكتاب لظهور ذلك من حاله (أنه) أي الشأن (من تولاه) أي من اتخذه وليا وأطاعه (فأنه يضله) بفتح الهمزة على انه خبر مبتدأ محذوف أي من يقبل الشيطان بقوله فشأنه ان الشيطان يضله عن طريق الجنة (ويهديه) أي يدعوه (الى عذاب السعير) أي الى ما يؤدي الى عذاب النار الوقود من السيئات (يأيها الناس) أي يا أهل مكة (ان كنتم في ريب من البعث) فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم (فانا خلقناكم) أي خلقنا كل فرد منكم (من تراب) لان المني ودم الطمث يتولدان من الأغذية وهي من النبات وهو يتولد من الارض والماء (ثم) خلقناكم (من نطفة) أي مني (ثم من علقة) أي دم جامد (ثم من مضغة) أي لحمة صغيرة قدر ما يمضغ (مخلقة) أي تامة الصور والحواس والتخاطيط (وغير مخلقة) أي وناقصة في هذه الأمور (لنبين لكم) أي أخبرناكم في القرآن بدء خلقكم لنبين لكم ما يزيل عنكم ذلك الريب في أمر بعثكم فان القادر على هذه الأشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى) أي ونحن نقر بعد ذلك في الأرحام ما نشاء أن نقره فيها من الولد الى وقت الوضع (ثم نخرجكم) من بطون أمهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الوقت المقدر بالارادة القديمة والحكمة الأزلية (طفلا) أي حال كونكم صغارا (ثم لتبلغوا أشدكم) أي ثم نسهل في تربيتكم أمورا لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) على كماله في ذلك (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي الى أخسه وهو الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي

ليعود كهيئته الأولى فى أوان الطفولية من ضعف البدن وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه وينكر ماعرفه ويعجز عماقدر عليه (وترى) أيها المجادل (الأرض هامدة) أى يابسة خالية من النبات (فاذا أنزلنا عليها الماء) أى ماء المطر والعيون والأنهار (اهتزت) أى تحركت فى رأى العين بسبب حركة النبات (وربت) أى انتفخت للنبات (وأنبتت من كل زوج بهيج) أى وأخرجت بالماء كل نوع من أنواع النبات حسن يسر ناظره (ذلك) أى الصنع البديع فى الانسان والأرض حاصل (بأن الله هو الحق) أى الموجود الثابت المتحقق فى الالهية فهذه الموجودات دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) أى شأنه احياء الموتى كما أحيي الأرض الميتة (وأنه على كل شئ قدير) فاذا دلت المشاهدة على قدرته تعالى على احياء بعض الأموات لزم اقتداره تعالى على احياء جميع الأموات فلابد وان يكون قادرا على اعادة الموتى الى الحياة (وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) وهذا كناية عن كونه تعالى حكيما لأنه من روادف الحكمة فالمعنى ذلك أى خلق الانسان واحياء النبات حاصل بسبب أنه تعالى قادر على احياء الموتى وأنه تعالى حكيم لايخلف وعده وقد وعد باتيان الساعة والبعث فلابد أن يفي بما وعد (ومن الناس) وهو أبو جهل بن هشام (من يجادل فى الله) أى فى شأنه تعالى (بغير علم) أى كائنا بغير علم ضرورى (ولا هدى) أى نظر صحيح هاد الى المعرفة (ولا كتاب منير) أى وحي مظهر الحق أى يجادل فى شأنه تعالى من غير تمسك بقياس ضرورى ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعى (ثانى عطفه) حال ثانية من فاعل يجادل أى معرضا بجانبه عن الحق متكبر. وقرأ الحسن بفتح العين أى مانعا لتعطفه قاسيا (ليضل عن سبيل الله) متعلق بيجادل أى فان المجادل أظهر التكبر لكي يتبعه غيره فيضله عن طريق الحق بالتمويهات فجمع بين الضلال والكفر واضلال الغير وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء فتكون اللام للعاقبة أى فان المجادل أظهر التكبر فيستمر ضلاله عن دين الله أو يزيد ضلاله عنه فى عاقبة أمره فلا هداية له بعده (له فى الدنيا خزى) وهو ماأصابه يوم بدر من القتل والاهانة (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أى عذاب النار المحرقة (ذلك) أى العذاب الدنيوى والأخروى (بما قدمت يداك) أى بسبب ماعملته من الكفر والمعاصى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) ومحل ان رفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من جهتهم (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أى على طرف من الدين لافى وسطه وعلى ضعف يقين والجار والمجرور حال من فاعل يعبد أى متزلزلا (فان أصابه خير) دنيوى وهو مايوافق الطبع (اطمأن به) أى ثبت على ذلك الدين بسبب ذلك الخير الذى يوافق هواه (وان أصابته فتنة) وهو مايثقل على طبعه (انقلب على وجهه) أى رجع الى دينه الأول وهو الشرك بالله ولما كانت الشدة ليست بقبيحة لم يقل تعالى وان أصابه شر لان ماينفر عنه الطبع ليس شرا فى نفسه بل هو سبب القرب بشرط التسليم والرضا بالقضاء نزلت هذه الآية فى أعراب كانوا يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا صح فى المدينة جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن واطمأن اليه وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية أو أجهضت رماكه ولم تلد فرسه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان وقال له ماجاءتك هذه الشرور الا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة والكلبى رضى الله عنهم (خسر الدنيا والآخرة) قرأ العامة خسر فعلا ماضيا وهو استئناف أو حال من فاعل انقلب أو بدل من انقلب وقرأ مجاهد خاسر بصيغة اسم الفاعل منصوبا

(وترى الأرض هامدة) أى جافة ذات تراب (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) أى تحركت بالنبات (وربت) يعنى وزادت (وأنبتت من كل زوج بهيج) أى من كل صنف حسن من النبات (ذلك) أى الذى تقدم ذكره من اختلاف أحوال خلق الانسان واحياء الارض (بأن الله هو الحق) الدائم الثابت الموجود (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى أبى جهل (ولا هدى) أى ليس معه من ربه رشاد ولابيان (ولا كتاب منير) له نور (ثانى عطفه) أى لاوى عنقه تكبرا (ليضل) الناس عن طاعة الله باتباع محمد صلى الله عليه وسلم (له فى الدنيا خزى) يعنى القتل ببدر (ذلك بما قدمت يداك) أى هذا العذاب بما كسبت (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أى لايعاقب بغير جرم (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أى على جانب لايدخل فيه دخول متمكن (فان أصابه خير) أى خصب وكثر ماله اطمأن به أى فى الدين بذلك الخصب (وان أصابته فتنة) أى اختبار بجدب وقلة مال (انقلب على وجهه) أى رجع عن دينه الى الكفر

على الحال وقرئ بالرفع على الفاعلية أو على انه خبر مبتدا محذوف وذلك لأنه يذهب فى الدنيا الكرامة واصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والامامة والقضاء وعصمة ماله ودمه ويفوت فى الآخرة الثواب الدائم ويحصل له العقاب الدائم (ذلك هو الخسران المبين) أى الواضح اذ لا خسران مثله (يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه) استئناف مبين لعظم الخسران وهى واردة فى المشركين الذين قدموا الى النبى صلى الله عليه وسلم على وجه النفاق وهم بنو الحلاف منافقو بنى أسد وغطفان أى أى يعبد من ذكر وهم بنو الحلاف متجاوزا عبادة الله تعالى جمادا لا يضره اذا لم يعبده ولا ينفعه ان عبده (ذلك) العبادة (هو الضلال البعيد) عن الصواب وهو الكفر العظيم (يدعوا) بالقول (لمن ضره أقرب من نفعه) استئناف مذكور لبيان عاقبة عبادته المذكورة فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدا الأول أى يقول ذلك الكافر يوم القيامة بصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه لمن ضره أقرب من نفعه والله (لبئس المولى) أى الناصر هو (ولبئس العشير) أى الصاحب هو (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) لأن عبادتهم حقيقية ومعبودهم يعطيهم أعظم المنافع وهو الجنة (ان الله يفعل ما يريد) بهم من أنواع الفضل والاحسان زيادة على أجورهم (من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أى من ظن أن لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم فى الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه فليطلب سببا يصل به الى سماء الدنيا فليقطع نصر الله لنبيه ولينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلة وهل يتهيأ له أن يقطع بذلك نصر الله عن رسوله فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وهذا زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه فان أعداءه صلى الله عليه وسلم كانوا يتمنون أن لا ينصره الله وأن لا يعليه على أعدائه فمتى شاهدوا ان الله نصره غاظهم ذلك (وكذلك) أى مثل ذلك الانزال (أنزلناه) أى القرآن (آيات بينات) أى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة فآيات حال من الهاء (وأن الله يهدى من يريد) هدايته بأن يخلق له المعرفة ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أى ولأن الله يهدى من يريد أنزله كذلك أو الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف والأمر أن الله يهدى من يريد هدايته ثم بين من يهديه ومن لا يهديه فقال (ان الذين آمنوا) بكل ما يجب أن يؤمن به (والذين هادوا) أى تدينوا بدين اليهودية (والصابئين) وهم شعبة من النصارى قيل سميت بذلك لنسبتها الى صابئ عم نوح عليه السلام (والنصارى) وهم الذين انتحلوا دين النصرانية (والمجوس) عبدة الشمس والنيران (والذين أشركوا) هم عبدة الأوثان (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) فى الاحوال والاماكن فيظهر المحق من المبطل فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم فى موطن واحد (ان الله على كل شئ شهيد) أى فهو عالم بما يستحقه كل منهم فلا يجرى فى ذلك الفصل حيف ولا يغيب عن علمه شئ. والأديان الحاصلة بسبب الاختلافات فى الأنبياء ستة فمن الناس من يعترفون بوجود الأنبياء ومن لا فالمعترفون بذلك فاما أن يكونوا أتباعا لمن كان نبيا أو لمن كان متنبيا فاتباع الأنبياء هم المسلمون واليهود والنصارى وفرقة أخرى بين اليهود والنصارى وهم الصابئون فهم مختلفون فى نبوة محمد وموسى وعيسى فاليهود نفوا نبوة محمد وعيسى والنصارى نفوا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والصابئون تارة يوافقون النصارى فى أصول دينهم فتحل لنا مناكحتهم وتارة يخالفونهم فلا تحل مناكحتهم ويطلق الصابئون أيضا على قوم أقدم

(يدعوا من دون الله ما لا يضره) ان عصاه (وما لا ينفعه) ان أطاعه (ذلك هو الضلال البعيد) أى الذهاب عن الحق (يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه) أى ضره لعبادته أقرب من نفعه ولا نفع عنده والعرب تقول لما لا يكون هو بعيد والمعنى فى هذا انه يضر ولا ينفع (لبئس المولى) أى الناصر (ولبئس العشير) أى الصاحب والخليط (من كان يظن أن لن ينصره الله) أى محمدا حتى يظهره على الدين كله فليمت غيظا وهو تفسير قوله (فليمدد بسبب الى السماء) أى فليشدد حبلا فى سقفه (ثم ليقطع) أى ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) أى غيظه وقوله (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) أى يحكم ويقضى بينهم بأن يدخل المؤمنين الجنة وغيرهم من هؤلاء الفرق النار (ان الله على كل شئ شهيد) يريد ان الله عالم بما فى قلوبهم

من النصارى يعبدون الكواكب السبعة ويضيفون الآثار اليها وينفون الصانع المختار فهؤلاء لا تحل مناكحتهم وأتباع المتنبىء هم المجوس قيل هم قوم يستعملون النجاسات. والمنكرون للانبياء على الاطلاق هم عبدة الأصنام وهم المسمون بالمشركين ويدخل فيهم البراهمة على اختلاف طبقاتهم وقال قتادة ومقاتل الأديان ستة واحد لله تعالى وهو الاسلام وخمسة للشيطان وهى ماعداه وقرأ نافع الصابين بالياء التحتية بعد الباء الموحدة وقال الزجاج قوله تعالى ان الله يفصل خبر لقوله تعالى ان الذين آمنوا كما تقول ان أخاك ان الدين عليه لكثير وأدخلت ان على واحد من جزأى الجملة لزيادة التأكيد (ألم تر) أى ألم تعلم يا أشرف الخلق بخبر الله تعالى لك (أن الله يسجد) أى ينقاد (له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) فهؤلاء ينقادون لتدبيره تعالى انقيادا تاما يقبلون لما أحدثه الله تعالى فيهم من غير امتناع (و) يسجد له تعالى (كثير من الناس) سجود طاعة وعبادة وهم المؤمنون (وكثير حق عليه العذاب) بامتناعه من السجود وهو من لا يوحد الله تعالى وقرىء حق بالرفع وحقا بالنصب أى حق عليه العذاب حقا (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) بالسعادة أى ان الذين وجب عليهم العذاب ليس لهم أحد يقدر على ازالة ذلك الهوان عنهم بطريق الشفاعة لهم وقرأ ابن أبى عبلة مكرم بفتح الراء على أنه مصدر ميمى أى فماله من اكرام (ان الله يفعل مايشاء) من الاكرام بالثواب والاهانة بالعقاب (هذان خصمان) أى طائفة المؤمنين وطائفة الكفار المنقسمة الى الفرق الخمس فريقان مختصمان وقرأ ابن كثير هذانّ بتشديد النون وروى عن الكسائى خِصمان بكسر الخاء (اختصموا فى ربهم) أى فى شأنه قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم فى ربهم فحكم الله بينهم فقال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أى قدرت على مقادير جثتهم نيران تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها فالمراد بالثياب احاطة النار بهم أى جعلت النار محيطة بهم كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش كما روى عن أنس وقال سعيد ابن جبير أى قطعت قمص وجباب من نحاس أذيب بالنار كقوله تعالى سرابيلهم من قطران فليس شىء حمى بالنار أشد حرارة منه (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أى الماء الحار (يصهر به مافى بطونهم والجلود) أى يذاب بالماء الحار اذا يصب على رؤسهم ظاهرهم وباطنهم من الجلود والأمعاء وفى الحديث الذى رواه الترمذى أن الحميم ليصب من فوق رؤسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص الى جوفه فيسلب مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان (ولهم) أى للكفرة (مقامع من حديد) أى مطارق من حديد فاللام للاستحقاق (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى من النار (من غم) شديد (أعيدوا فيها) بالمقامع روى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أى عذاب الغليظ من النار لعظيم الاهلاك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها) بالبناء للمفعول وبتشديد اللام أى يزينون وقرىء بسكون الحاء أى يلبسون فى الجنة أى تحليهم الملائكة بأمره تعالى وقرىء يحلون بفتح الياء وسكون الحاء أى يلبسون حليهم (من أساور من ذهب ولؤلؤا) بالجر فى قراءة الجمهور عطفا على ذهب بناء على أن الأساور مركبة منهما

(ألم تر أن الله يسجد له) أى يذل له وينقاد له (من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) وذلك أن كل شىء منقاد لله عز وجل على ماخلقه وعلى مارزقه وعلى ما أصحه وعلى ما أسقمه فالبر والفاجر والمؤمن والكافر فى هذا سواء (ومن يهن الله) أى يذله بالكفر (فما له من مكرم) أى أحد يكرمه (ان الله يفعل مايشاء) أى يهين من يشاء بالكفر ويكرم من يشاء بالايمان (هذان خصمان) يعنى المؤمنين والكافرين (اختصموا فى ربهم) أى فى دينه (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أى يلبسون مقطعات النيران (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أى ماء حار لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا أذابتها (يصهر) أى يذاب (به) يعنى بذلك الماء (مافى بطونهم) من الامعاء (والجلود) وتشوى جلودهم فتساقط (ولهم مقامع) أى سياط (من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى من جهنم (من غم) يصيبهم (أعيدوا فيها) أى ردوا اليها بالمقامع (و) تقول لهم الخزنة (ذوقوا عذاب الحريق) أى النار وقال فى الخصم الذى هم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا

بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وفى سورة الكهف ليس فيها ذكر لؤلؤ وفى سورة هل أتى لم يذكر فيها اللؤلؤ ولا الذهب وهنا قد ذكرا فيجتمع لهم التزين بهذه الأمور بالذهب وحده و بالفضة وحدها و بالذهب واللؤلؤ و بالنصب فى قراءة نافع وعاصم عطفا على محل من أساور ولأنه يقدر و يحلون حليا من أساور و يحلون لؤلؤا فمن ذهب بيان للاساور (ولباسهم فيها) أى الجنة (حرير) أى ان الحرير ثيابهم المعتادة فى الجنة فلا يمكن عراؤهم منه (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة الآية كما قاله ابن عباس فى رواية عطاء (وهدوا الى صراط الحميد) أى أرشدوا الى الطريق الى الله تعالى وهو دين الاسلام فالحميد هو الله فهو محمود فى أفعاله (ان الذين كفروا يصدون عن سبيل الله) أى يصرفون الناس عن دين الله (والمسجد الحرام) أى وعن دخوله (الذى جعلناه للناس سواء العاكف) أى المقيم (فيه والباد) أى الطارئ وقرأ حفص عن عاصم و يعقوب سواء بالنصب مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرفوع به على الفاعلية وللناس متعلق بسواء ظرف له والباقون سواء بالرفع على أنه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان لجعلناه وقرئ العاكف بالجر على أنه بدل من الناس (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فبالحاد و بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول أى ومن يرد فى مكة مرادا مائلا عن الاعتدال ظالما أحدا نذقه من عذاب أليم فان الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه و يسلك طريق العدل فى جميع ما يقصده وقرئ يرد بفتح الياء أى من أتى فيه بالحاد كاحتكار الطعام وكدخول مكة بغير احرام (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) أى واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مرجعا له بأن يكون موحدا بقلبه لرب البيت عن الشريك ومشتغلا بجسده بتنظيف البيت عن الأوثان (أن لا تشرك بى شيئا) فان مفسرة لبوأنا أى لا تشرك بى غرضا آخر فى بناء البيت ولا تجعل فى العبادة لى شريكا وكان البيت قد رفع الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها فكشفت ما حوله فبناه على أسه الأول (وطهر بيتى) من الأوثان والأقذار (للطائفين) حوله (والقائمين والركع السجود) أى المصلين الجامعين بين القيام والركوع والسجود (وأذن فى الناس بالحج) أى ناد فيهم بالامر بالحج روى أن سيدنا ابراهيم صعد أبا قبيس فقال يأيها الناس حجوا بيت ربكم فأجابه يومئذ بالتلبية من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء وأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج يحج من يومئذ الى يوم تقوم الساعة الا من كان أجاب ابراهيم يومئذ فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين ومن لبى أكثر حج بقدر تلبيته (يأتوك) أى يأتوا البيت الذى بنيته (رجالا) أى مشاة على أرجلهم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديدها وقرئ رجالى كعجالى عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) أى وركبانا على كل بعير مهزول لطول سفره (يأتين من كل فج عميق) أى تأتى جماعة الابل من كل طريق بعيد وقرئ يأتون أى الناس (ليشهدوا منافع لهم) أى ليحضروا منافع مختصة بهذه العبادة كائنة لهم دينية ودنيوية لا توجد فى غيرها من العبادة كحصول المغفرة والأموال وقوله تعالى ليشهدوا متعلق بيأتوك (ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات) وهى أيام عشر ذى الحجة كما اختاره الشافعى وأبو حنيفة لأنه معلوم عند الناس لحرصهم على علمه من أجل أن وقت الحج فى آخره وقال ابن عباس فى رواية عطاء ان أياما معلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده كما اختاره

ابو

ولباسهم فيها حرير) الآية وهو شهادة أن لا اله الا الله (وهدوا الى صراط الحميد) أى دين الله المحمود فى أفعاله (ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله) أى يمنعون عن طاعة الله (والمسجد الحرام) أى و يمنعون المؤمنين عنه (الذى جعلناه للناس) أى خلقناه و بيناه للناس كلهم لم يخص به بعض دون بعض (سواء العاكف فيه والباد) أى سواء فى تعظيم حرمته وقضاء النسك به الحاضر والذى يأتيه من البلاد وليس أهل مكة أحق به من النازح اليه (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) أى الحاد الظلم وهو أن يميل الى الظلم ومعناه صيد حمامه وقطع شجره ودخوله غير محرم وجميع المعاصى لأن السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) أى بينا له أين يبنيه (أن لا تشرك) يعنى وأمرناه أن لا تشرك (بى شيئا وطهر بيتى) مفسرة فى سورة البقرة (وأذن فى الناس) أى نادفيهم (بالحج يأتوك رجالا) أى مشاة على أرجلهم وركبانا (وعلى كل ضامر) وهو البعير المهزول (يأتين من كل فج عميق) أى طريق بعيد (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) أى من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات

أبو مسلم وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى والمراد بالذكر ما وقع عند النحر كان يقول الذابح باسم الله والله أكبر اللهم منك واليك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي لأجل ما رزقهم من الابل والبقر والغنم قال القفال وكأن المتقرب بها وباراقة دمائها متصور بصورة من يفدي نفسه بما يعادلها فكأنه يبذل تلك الشاة بدل مهجته طلبا لمرضاة الله تعالى واعترافا بأن تقصيره كاد يستحق مهجته (فكلوا منها) أي فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها (وأطعموا البائس الفقير) قال ابن عباس البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه والفقير الذي تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غناء قال الشافعي لا يأكل من الواجب شيئا وذلك مثل دم التمتع والقران وجزاء الصيد والنذر وغير ذلك وقال ابن عمر وأحمد واسحق لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر وعن أصحاب أبي حنيفة انه يأكل من دم التمتع ودم القران ولا يأكل من واجب سواهما (ثم ليقضوا تفثهم) أي ثم بعد خروجهم من الاحرام ليقطعوا أدرانهم كالشارب والأظفار والابط والعانة (وليوفوا نذورهم) أي ما أوجبوه على أنفسهم ما لم يكن الحج يقتضي وجوب ذلك من الضحايا وغيرها وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء أي ليتمموا ذلك (وليطوفوا) الطواف الذي يتم به التحلل (بالبيت العتيق) أي القديم لأنه أول بيت بني وقد أعتق من غرق الطوفان زمن نوح ومن تسلط كل جبار دخل فيه ليهدمه وهو بيت كريم لم يملك قط وفي قراءة أبي عمرو وتحريك اللامات الثلاثة بالكسر وفي قراءة ابن ذكوان بكسر اللامين الأخيرين وفي قراءة الباقين باسكان الكل (ذلك) خبر مبتدأ محذوف ويذكر للفصل بين كلامين أي الشأن ذلك المذكور من قوله تعالى واذ بوأنا الى هنا أو مبتدأ خبره محذوف أي ذلك الأمر لازم لكم أو مفعول لمحذوف أي احفظوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) أي ومن يعظم جميع تكاليف الله تعالى من مناسك الحج وغيرها بالعمل بموجبه فتعظيمه قربة عند الله يثاب عليها في الآخرة (وأحلت لكم الأنعام) أي رخصت لكم حال الاحرام ذبيحة الأنعام وأكل لحومها (الا ما يتلى عليكم) أي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه مما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) أي فاجتنبوا القذر الذي هو الأوثان فعبادة الأوثان قذر معنوي (واجتنبوا قول الزور) أي القول المنحرف عن الواقع كالافتراء على الله تعالى بأنه حكم بتحريم البحائر والسوائب ونحوهما (حنفاء لله) أي مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق (غير مشركين به) شيئا من الأشياء وهذان حالان من واو فاجتنبوا فالأولى مؤسسة والثانية مؤكدة (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) أي ان بعد من أشرك بالله عن الحق كبعد من سقط من السماء فتخطفه الطير حيث تشاء فان الأهواء المردية توزع أفكاره أو قذفت به الريح في مكان بعيد فان الشيطان قد طرحه في وادي الضلالة أو المعنى من أشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها باستلاب الطير لحمه وتفرق أجزائه في حواصلها أو بسقوطه في المكان البعيد بعصف الريح به (ذلك) أي الأمر ذلك التباعد لمن أشرك بالله أو امتثلوا ذلك أمر الله (ومن يعظم شعائر الله) أي معالم الحج وهي الهدايا (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب وتعظيمها

على ما رزقهم الله من بهيمة الأنعام) يعني التسمية على ما ينحر في يوم النحر وأيام التشريق (فكلوا منها) أمر اباحة وكان أهل الجاهلية لا يأكلون من نسائكهم فأمر المسلمون أن يأكلوا (وأطعموا البائس الفقير) أي الشديد الفقر (ثم ليقضوا تفثهم) يعني ما يخرجون به من الاحرام وهو الأخذ من الشارب وتقليم الأظفار وحلق العانة ولبس الثوب (وليوفوا نذورهم) يعني ما نذروه من بر وهدي في أيام الحج (وليطوفوا بالبيت العتيق) أي القديم وقيل المعتق من أن يتسلط عليه جبار يعني الكعبة (ذلك) أي الأمر الذي ذكرت (ومن يعظم حرمات الله) أي فرائضه وسننه (وأحلت لكم الأنعام) أن تأكلوها (الا ما يتلى عليكم) في قوله حرمت عليكم الميتة الآية ومعنى هذا النهي عن تحريم ما حرمه أهل الجاهلية من البحيرة والسائبة وغيرها (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) يعني عبادتها (واجتنبوا قول الزور) يعني الشرك بالله (حنفاء لله) أي مسلمين عادلين عن كل دين سواه (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أي سقط (من السماء) فاختطفته الطير من الهواء وألقته الريح (في مكان سحيق) بعيد يعني أن من أشرك فقد هلك وبعد عن الحق (ذلك ومن يعظم شعائر الله) أي يستسمن البدن فانها من علامات التقوى

(لكم فيها منافع) أى من الركوب والدر والنسل (الى أجل مسمى) وهو أن يسميها هديا (ثم محلها) أى حيث يحل نحرها (عند البيت العتيق) يعنى الحرم كله (ولكل أمة) أى جماعة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) أى ذبحا للقرابين (ليذكروا اسم الله) عند الذبح (على مارزقهم من بهيمة الأنعام) يعنى الأنعام كلها (فالهكم اله واحد) أى لاتذكروا على ذبائحكم الا الله وحده (فله أسلموا) أى أخلصوا العبادة (وبشر المخبتين) أى المتواضعين (والبدن) الابل والبقر (جعلناها لكم من شعائر الله) أى أعلام دينه (لكم فيها خير) أى النفع فى الدنيا والأجر فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) وهو أن تقول عند نحرها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر (صواف) أى قائمة معقولة اليد اليسرى (فاذا وجبت جنوبها) أى سقطت على الأرض (فكلوا منها

اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان روى أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة من ذهب وان عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار وسميت الهدايا شعائر لتعليمها بعلامة يعرف بها أنها هدايا كطعن حديدة فى سنامها وتعليق النعال فى أعناقها وتعليق آذان القرب فى آذان النعم (لكم فيها) أى الشعائر واجبة أومندوبة (منافع) مع تسمية الأنعام هديا بأن تركبوها ان احتجتم اليها وتركبوها لغيركم بلا أجرة فان كان اركابها بأجرة حرم وان تشربوا ألبانها الفاضلة عن ولدها اذا اضطررتم اليها (الى أجل مسمى) أى الى أن تنحروها ولاتسمى الأنعام شعارا قبل أن تسمى هديا كما اختاره الشافعى وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل يسوق بدنة وهو فى جهد فقال ﷺ اركبها ويلك (ثم محلها الى البيت العتيق) أى ثم أعظم هذه المنافع وقت وجوب نحر الهدايا منتهية الى الحرم كله فقال ﷺ كل فجاج منى منحر (ولكل أمة) من الأمم السالفة من عهد ابراهيم عليه السلام الى من بعده (جعلنا منسكا) أى قربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرأ أهل الكوفة الا عاصما منسكا بكسر السين أى مذبحا وهو موضع ذبح القربان وقرأ الباقون بالفتح وهو اراقة الدم لوجه الله تعالى وهو ذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام) أى عند ذبحها وفى هذا تنبيه على أن المقصود الأصلى من طلب الذبائح تذكر المعبود وعلى أن القربان يجب أن يكون من الأنعام (فالهكم اله واحد) فلاتذكروا على ذبائحكم غير اسم الله وفى هذا بيان أن الله تعالى واحد فى ذاته كما انه واحد فى إلهيته لكل الخلق (فله أسلموا) أى فاذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له الذكر بحيث لايشوبه اشراك البتة وانقادوا له تعالى فى جميع تكاليفه (وبشر المخبتين) أى المتواضعين فالحج من صفات المتواضعين كالتجرد عن اللباس وكشف الرأس والغربة من الأوطان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم) من مشاق التكليف والمصائب فأما مايصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل ان أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة (والمقيمى الصلاة) فى أوقاتها وقرأ الحسن والمقيمى الصلاة بنصب الصلاة على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخيرات وأمر الله تعالى رسوله أن يبشر بالجنة المتواضعين المتصفين بوجل القلوب اذا أمروا بأمر من الله تعالى وبالصبر اذا أصابهم البلاء من الله تعالى وباقامة الصلاة فى وقت السفر للحج وبصدقة التطوع أى لذلك الوجل آثار الصبر على البلايا التى من قبل الله تعالى والاشتغال بالخدمة بالنفس وبالمال وهما أعز الأشياء عند الانسان فالخدمة بالنفس هى الصلاة والخدمة بالمال هى انفاقه فى وجوه الخيرات (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) أى أعلام دينه وهو مفعول ثان ولكم متعلق به والبدن عند الشافعى خاصة بالابل وعند أبى حنيفة الابل والبقر (لكم فيها) أى البدن (خير) أى منافع دينية ودنيوية هى درها ونسلها وصوفها وظهرها (فاذكروا اسم الله عليها) أى على نحرها (صواف) أى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها و يدها اليمنى ويد أخرى معقولة فينحرها كذلك بأن تقولوا عند الذبح بسم الله والله أكبر اللهم منك واليك وقرئ صوافن بضم النون وقرئ صوافى أى خوالص لوجه الله تعالى لاتشركوا بالله فى التسمية أحدا على نحرها وخوالص من العيوب وعن عمرو بن عبيد صوافيا بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف (فاذا وجبت جنوبها) أى سقطت على الأرض وذلك عند خروج الروح منها (فكلوا منها) ان شئتم اذا كانت الاضاحى تطوعا

(وأطعموا القانع) أى الراضى بما يدفع اليه من غير سؤال (والمعتر) أى الذى يعتر بالسلام ولا يسأل بل يرى نفسه للناس كالزائر (كذلك) أى مثل ذلك التسخير (سخرناها لكم) مع كمال عظمها ونهاية قوتها أى فالله تعالى جعل الابل والبقر بالصفة التى يمكننا تصريفها على ما نريد وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى فى الدنيا والدين (لعلكم تشكرون) أى لتشكروا انعامنا عليكم بالاخلاص (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى لن يصل الى الله تعالى أى الى مرضاته لحوم القرابين ولا دماؤها ولكن يقبل الله الأعمال الطاهرة منكم فمنها التصدق باللحم وهو من عمل العبد فيرفع الى الله وأما نفس اللحم المتصدق به فلا يرفع الى الله والمعنى ان الله لا يثيبكم على لحمها الا اذا وقع موقعا من وجوه الخير وهو امتثال أمره تعالى وتعظيمه والاخلاص له تعالى وروى انهم كانوا فى الجاهلية يضربون لحم الاضاحى على حائط الكعبة ويلطخونها بدمها فأراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول الكعبة وتضميخ الكعبة بالدم تقربا الى الله تعالى فنزلت هذه الآية (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم) أى انما سخر الله تعالى البدن لكم هكذا لتشكروا الله تعالى على ارشادكم الى اعلام دينكم والى كيفية التقرب بها والى طريق تذليلها ولتقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) أى المخلصين فى كل ما يأتون وما يذرون فى أمور دينهم (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو يدفع بفتح الياء وسكون الدال وفتح الفاء والباقون بضم الياء وفتح الدال مع الألف وكسر الفاء أى يبالغ فى دفع ضرر المشركين عن الذين آمنوا (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانات الله تعالى وهى أوامره ونواهيه (كفور) لنعمته وهم المشركون فانهم أقروا بالصانع وعبدوا غيره فأى خيانة أعظم من هذا (أذن للذين يقاتلون) قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم فى رواية حفص اذن بالبناء للمجهول والباقون بالبناء للفاعل وقرأ أهل المدينة وعاصم يقاتلون بالبناء للمفعول وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ببناء الفعلين للفاعل وأبو عمرو وأبو بكر ببناء الاول للمفعول والثانى للفاعل وابن عامر عكس هذا أى أذن الله بعد الهجرة للذين يريدون قتال المشركين فى أن يقاتلوا (بأنهم ظلموا) قيل نزلت هذه الآية فى قوم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بسبب انهم مظلومون بالايذاء وقيل كان مشركو مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أذى شديدا وكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يشكون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله تعالى هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم) أى نصر المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون عليهم (لقدير) وعد الله للمؤمنين بالنصر على طريق الكناية كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم (الذين أخرجوا من ديارهم) مكة المعظمة فالموصول اما نعت للموصول الاول أو الثانى أو بيان له أو بدل منه واما منصوب على المدح أو مرفوع باضمار مبتدا على المدح (بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) وهذا بدل من حق أى أنهم أخرجوا من مكة بغير سبب الا بقولهم ربنا الله وحده ومحمد رسوله الينا فالتوحيد هو الذى ينبغى ان يكون سبب التمكين فى مكة لا سبب الاخراج فالاخراج به اخراج بغير حق (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين على الكافرين فى كل زمان (لهدمت صوامع) للرهبانية

(سخرناها لكم) يعنى البدن (لعلكم تشكرون) أى لكى تطيعونى (لن ينال الله) كان المشركون يلطخون جدار الكعبة بدماء القرابين فقال الله تعالى لن ينال الله أى لن يصل الى الله (لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى النية والاخلاص وما أريد به وجه الله (لتكبروا الله على ما هداكم) الى معالم دينه (وبشر المحسنين) أى الموحدين (ان الله يدافع) أى غائلة المشركين عن المؤمنين (ان الله لا يحب كل خوان) فى أمانته (كفور) لنعمته وهم الذين تقربوا الى الأصنام بذبائحهم (أذن للذين يقاتلون) يعنى المؤمنين وهذه أول آية نزلت فى الجهاد والمعنى أذن لهم بأن يقاتلوا (بأنهم ظلموا) يعنى بظلم الكافرين اياهم (وان الله على نصرهم لقدير) وعد من الله بالنصر (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) يعنى المهاجرين (الا أن يقولوا ربنا الله) أى لم يخرجوا الا بأن وحدوا الله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى لولا أن دفع الله بعض الناس ببعض (لهدمت صوامع

(وبيع) للنصارى (وصلوات) أى كنائس لليهود (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها) أى فى هذه المواضع الأربعة (اسم الله كثيرا) قال الزجاج أى ولولا دفاع الله أهل الشرك بالمؤمنين بالاذن لهم فى جهادهم لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان وعطلوا مواضع عبادات المؤمنين منهم فهدم فى شرع كل نبى المكان الذى يصلى فيه فلولا ذلك الدفع لهدم فى زمن موسى الكنائس التى كانوا يصلون فيها فى شرعه وهى المسماة بالصلوات وهى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا بفتح الصاد والثاء المثلثة والقصر وبه قرئ فى الشواذ ومعناه فى لغتهم مصلى وفى زمن عيسى الصوامع والبيع وهما للنصارى لكن الصوامع هى التى يبنونها فى الصحارى والبيع هى التى يبنونها فى البلدان وفى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المساجد وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفاء مع الألف وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بتخفيف الدال (ولينصرن الله من ينصره) أى من ينصر دينه وأولياءه بأن يظفرهم بأعدائهم بالتجلد فى القتال وبإيضاح الأدلة وبالاعانة على الطاعات (ان الله لقوى) على هذه النصرة التى وعدها للمؤمنين (عزيز) أى لا يمتنع شئ وقد أنجز الله وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) أى المأذون لهم فى القتال المخرجون من ديارهم هم الذين ان أعطيناهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق أتوا بالأمور الأربعة وهى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذا دليل على صحة امامة الخلفاء الأربعة لان الله تعالى لم يعط نفاذ الأمر غيرهم من المهاجرين أما الأنصار فلم يخرجوا من ديارهم وفى هذه الآية اخبار من الله تعالى بالغيب عما تكون عليه سيرة المهاجرين ان أعطاهم السلطنة على الارض وثناء منه تعالى عليهم قبل احداثهم الخير (ولله عاقبة الأمور) وفى هذا اشارة الى حضور سلطنة من أخرجهم كفار مكة ووقوع ملكه مع السيرة العادلة وهم الخلفاء الراشدون ثم ان الأمور ترجع الى الله تعالى فى العاقبة فانه تعالى هو الذى لا يزول ملكه أبدا وفى هذا تأكيد للوعد باعلاء دينه تعالى واظهار أوليائه (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) أى وان تحزن يا أشرف الخلق على تكذيب قومك اياك فأنت يا أكرم الرسل لست بأوحدى فى التكذيب فتسل بهم فانه قد كذب سائر الأمم أنبياءهم قبل تكذيب قومك اياك كذب قوم نوح الذين هم من أشد الناس نوحا عليه السلام وكذب قوم هود الذين هم ذوو الأبدان الشداد هودا عليه السلام وكذب قوم صالح الذين هم أولو الأبنية الطوال فى الجبال والسهول صالحا عليه السلام وكذب قوم ابراهيم المتكبرون ابراهيم عليه السلام وكذب قوم لوط الأنجاس لوطا عليه السلام وكذب قوم شعيب أرباب الأموال المجموعة شعيبا عليه السلام وكذب أهل مصر وهم القبط موسى عليه السلام (فأمليت للكافرين) أى أمهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم (ثم أخذتهم) بعذاب الاستئصال (فكيف كان نكير) أى فانظر يا سيد الرسل كيف كان تغييرى عليهم فان الله غير حياتهم باهلاكهم بعذاب الاستئصال وعمارتهم بالخراب (فكأين من قرية أهلكناها) وقرأ أبو عمرو ويعقوب أهلكتها على وفق فأمليت ثم أخذتهم أى فأهلكنا كثيرا من القرى باهلاك أهلها (وهى ظالمة) أى كافر أهلها وهذه جملة حالية من مفعول أهلكنا (فهى خاوية على عروشها) أى فهى ساقطة حيطانها على

وبيع) فى زمان عيسى (وصلوات) فى أيام شريعة موسى يعنى كنائسهم وهى بالعبرانية صلوثا (ومساجد) فى أيام شريعة محمد صلى الله عليه وسلم (ولينصرن الله من ينصره) يعنى من نصر دين الله نصره الله على ذلك (ان الله لقوى) على خلقه (عزيز) أى منيع فى سلطانه (الذين ان مكناهم فى الارض) أى هذه الأمة اذا فتح الله عليهم الارض (أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) أى آخر أمور الخلق ومصيرهم اليه ثم عزى نبيه فقال (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين) أى أمهلتهم (ثم أخذتهم) أى عاقبتهم (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بما فعلوا بالعذاب (فكأين) فكم (من قرية أهلكناها وهى ظالمة) يعنى بالكفر (فهى خاوية) أى ساقطة (على عروشها) أى على سقوفها

سقوفها بأن خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو فهي خالية عن الناس مع بقاء عروشها وهذه معطوفة على أهلكناها فلا محل لها من الاعراب ان جعلت أهلكناها مفسرة لمضمر ناصب لكأين ومحلها رفع ان جعل خبرا لكأين (وبئر معطلة) أي وكم بئر عامرة كثيرة الماء متروكة لايستقى منها لهلاك أهلها (وقصر مشيد) أي مرفوع البنيان أو مجصص أخليناه عن ساكنه روى أبو هريرة ان هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهم بحضرموت وانما سميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات ثم وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وأمروا عليها جاسر بن جلاس وجعلوا وزيره سنجاريب وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فى السوق فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم وعلى هذا فالمراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته (أفلم يسيروا فى الأرض) أي أغفل أهل مكة فلم يسافروا فى تجاراتهم (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) مايجب أن يعقل من التوحيد بسبب ماشاهدوه من مواد الاعتبار (أو آذان يسمعون بها) مايجب أن يسمع من أخبار الرسول (فانها) الضمير للقصة يفسره مابعده (لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) أي ليس الخلل فى مشاعرهم وانما هو فى عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى الغفلة والاعتماد فى التقليد (ويستعجلونك بالعذاب) أي تطلب قريش كالنضر بن الحرث أن تأتيهم بالعذاب عاجلا استهزاء بك وتعجيزا لك على زعمهم وكان رسول الله يهددهم بنقمات الله دنيا وأخرى وهم يقولون ان ماحذرتنا به لايقع وانه لابعث فذكر الله تعالى نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة بقوله تعالى (ولن يخلف الله وعده) فى انزال العذاب بكم فى الدنيا وقد أنجز الله وعده يوم بدر فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) أي وان يوما من أيام عذابكم فى الآخرة كألف سنة من سنى الدنيا فى كثرة الآلام وشدتها فلو عرفوا حال عذاب الآخرة انه بهذا الوصف لما استعجلوه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء التحتية فيكون مناسبا لقوله ويستعجلونك وقرأ الباقون بالتاء فيكون التفاتا (وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة) أي وكم من أهل قرية أخرت اهلاكهم مع استمرارهم على ظلمهم فاغتروا بذلك التأخر (ثم أخذتها والى المصير) أي ثم عاقبت أهل تلك القرية فى الدنيا بأن أنزلت العذاب بهم ومع ذلك فعذابهم مدخر فى الآخرة فاذا رجعوا الى أفعل بهم مايليق بأعمالهم (قل يأيها الناس) أي يا أهل مكة (انما أنا لكم نذير مبين) أي انما أنذركم انذارا بينا بما أوحى الى من أنباء الأمم المهلكة وليس بى تعجيل العذاب ولا تأخير وانما بعثت للانذار فاستهزاؤكم بذلك لايمنعنى منه (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الذنوب الصغائر والكبائر (ورزق كريم) أي ثواب حسن فى الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) أي الذين اجتهدوا فى ابطال آياتنا حيث قالوا فى القرآن شعر أو سحر أو أساطير الأولين (معاجزين) أي معارضين المؤمنين فكلما طلب المؤمنون اظهار الحق طلب هؤلاء ابطاله أو ظانين عجزنا عنهم بأن لايدركهم عذابنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بتشديد الجيم بعد العين المفتوحة أي مثبطين الناس عن الايمان أو طامعين فى عجز الرسول بالمكايد ظانين ذلك (أولئك) الموصوفون بالسعى فى ابطال القرآن واعتقاد العجز لله أو للرسول أو للمؤمنين (أصحاب الجحيم) أي ملازمو النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى) أي اذا قرأ النبى أو الرسول (ألقى الشيطان فى أمنيته)

(وبئر معطلة) أي متروكة بموت أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع طويل. (أفلم يسيروا فى الأرض) يعنى كفار مكة فينظروا الى مصارع الأمم المكذبة وهو قوله (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) فيتفكروا ويعتبروا ثم ذكر أن الابصار لاتعمى عن رؤية الآيات ولكن القلوب تعمى فلا تتفكر ولا تعتبر (ويستعجلونك بالعذاب) كانوا يقولون له ائتنا بما وعدتنا ان كنت من الصادقين فقال الله تعالى (ولن يخلف الله وعده) الذى وعدك من نصرك واهلاكهم ثم ذكر أن لهم مع عذاب الدنيا فى الآخرة عذابا طويلا وهو قوله (وان يوما عند ربك) أي من أيام عذابهم (كألف سنة مما تعدون) وذلك ان يوما من أيام الآخرة كألف سنة فى الدنيا ثم ذكر أنه قد أخذ قوما بعد الامهال فقال (وكأين من قرية أمليت لها) الآية (والذين سعوا فى آياتنا) أي عملوا فى ابطالها (معاجزين) أي مقدرين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا (وما أرسلنا من قبلك من رسول) وهو الذى يأتيه جبريل بالوحى عيانا (ولا نبى) وهو الذى تكون نبوته الهاما أو مناما (الا اذا تمنى) أي قرأ (ألقى الشيطان فى أمنيته) أي فى قراءته ما ليس مما يقرأ يعنى ماجرى على لسان النبى صلى الله عليه وسلم حين قرأ سورة والنجم فى مجلس من قريش فلما بلغ قوله ومناة الثالثة

الأخرى جرى على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ثم نبهه جبريل على ذلك فرجع وأخبرهم ان ذلك كان من جهة الشيطان
فذلك قوله (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها حتى لا يجد أحد سبيلا الى ابطالها
(والله عليم) بما أوحى الى نبيه (حكيم) فى خلقه ثم ذكر أن ذلك ليفتن به قوما فقال (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) أى ضلالة (للذين فى قلوبهم مرض) وهم أهل النفاق (والقاسية قلوبهم) أى المشركين (وان الظالمين) أى الكافرين (لفى شقاق بعيد) أى خلاف طويل مع النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وليعلم الذين أوتوا العلم) أى التوحيد والقرآن (أنه الحق) أى الذى أحكم الله من آيات القرآن وقوله (فتخبت له قلوبهم) أى فتخشع وتطمئن له (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) أى شك (منه) أى مما ألقى على لسان الرسول (حتى تأتيهم الساعة) يعنى القيامة (بغتة) أى فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعنى يوم بدر وكان عقيما عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة والعقيم معناه الذى لا يلد (الملك يومئذ) يعنى يوم القيامة (لله) وحده من غير منازع ولا مدع (يحكم بينهم) ثم بين حكمه
فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم الذين
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا) أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم (فى سبيل الله) فى طاعة الله (ثم
قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) يعنى فى الجنة

أى فى قراءة ذلك النبى أو الرسول وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرتل قراءته للقرآن فارتصد الشيطان سكتته ونطق بقوله تلك الغرانيق العلا * وان شفاعتهن لترتجى محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه فظنها من قول النبى وأشاعها وفى هذا اخبار من الله تعالى بأن رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا صوتهم فهذا نص فى ان الشيطان زاد فى قول نبينا صلى الله عليه وسلم لا أن نبينا قاله لأنه معصوم وفى هذه الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم لانه قد حزن بذلك وشبهت الاصنام بالغرانيق التى هى طيور الماء التى تعلو فى السماء وترتفع لاعتقاد الكفار أنها تقربهم من الله تعالى وتشفع لهم وانما سميت القراءة أمنية لان القارئ اذا انتهى الى آية رحمة تمنى حصولها واذا انتهى الى آية عذاب تمنى أن لا يبتلى به (فينسخ الله) أى يزيل (ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) أى يثبت الله القرآن لنبيه لكى يعمل بها (والله عليم) بمصالح عباده المخلصين (حكيم) فيما يجرى عليهم من الأعمال والأحوال ومن حكمته تعالى فيما يلقى الشيطان (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض) أى شك وهم المنافقون (والقاسية قلوبهم) وهم المشركون المصرون على جهلهم ظاهرا وباطنا فيرون الباطل حقا فأثبتوه ونفوا الحق فأبعدهم الله بهذا الامتحان عن حضرته (وان الظالمين) أى هؤلاء المنافقين والمشركين (لفى شقاق بعيد) أى عداوة شديدة قالت قريش ندم محمد على ذكر منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكانت الكلمتان اللتان زادهما الشيطان فى قول نبينا صلى الله عليه وسلم قد وقعتا فى فم كل مشرك فازدادوا شرا على ما كانوا عليه وشدة على من أسلم (وليعلم الذين أوتوا العلم) أى الذين رزقوا حسن بصيرة الذين يميزون بها بين الحق والباطل (أنه الحق من ربك) أى أن القرآن هو الحق النازل من عند ربك (فيؤمنوا به) أى فيثبتوا على الايمان بالقرآن (فتخبت له قلوبهم) أى فتنقاد قلوبهم بالقبول لما فى القرآن من الأوامر والنواهى (وان الله لهادى الذين آمنوا) فى الأمور الدينية (الى صراط مستقيم) أى الى نظر صحيح موصل الى الحق الصريح (ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه) أى فى شك من القرآن (حتى تأتيهم الساعة) أى القيامة نفسها (بغتة) أى فجأة من دون أن يشعروا (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أى عذاب يوم لا يوم بعده فيستمر ذلك اليوم كاستمرار المرأة على تعطل الولادة (الملك يومئذ) أى فى يوم عقيم (لله) وحده فلا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات فى أمر من الأمور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما فى الدنيا فانه تعالى ملك فيها الأمور غيره صورة (يحكم بينهم) أى بين المؤمنين بالقرآن والمارين فيه (فالذين آمنوا) بالقرآن ولم يماروا فيه (وعملوا الصالحات) امتثالا بما أمروا فيه (فى جنات النعيم) يكرمون بالتحف فضلا من الله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أى أصروا على ذلك (فأولئك لهم عذاب مهين) أى شديد بسبب معاصيهم أما اعطاء الثواب فبفضل الله لا بأعمالهم كما هو حكمة ذكر الفاء وتركه فى الجانبين (والذين هاجروا فى سبيل الله) أى هاجروا الى المدينة لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتقرب الى الله تعالى (ثم قتلوا) أى قتلهم العدو وقرأ ابن عامر بتشديد التاء (أو ماتوا) فى سفر أو حضر من غير قتل (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) لا ينقطع أبدا من نعيم الجنة لاستواء النوعين فى القصد وأصل العمل وروى أن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى الله هؤلاء

الذين قتلوا فى سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا
ان متنا معك فنزلت هذه الآيه (وان الله لهو خير الرازقين) فان مايرزقه لايقدر عليه أحد غيره والرزق
الصادر منه لمحض الاحسان وان غيره انما يدفع الرزق من يده ليد غيره ولا يفعل نفس الرزق ويرزق
لانتفاعه اما لأجل خروجه عن الواجب أو لأجل أن يستحق بالاعطاء ثناء أو عوضا أو لأجل الرقة
الجنسية وأما الله تعالى فان كماله صفة ذاتية له فلا يستفيد من أحد كمالا زائدا فهو يرزق بغير حساب
(ليدخلنهم مدخلا يرضونه) بأن يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم ادخالا فوق مايتمنونه ومدخلا فوق
الذى يهوونه وقيل هو خيمة من درة بيضاء لافصم فيها ولا وصم لها سبعون ألف مصراع وقال ابن
عباس انهم يرون فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ولا يبغون
عنها حولا وقرأ نافع مدخلا بفتح الميم أى مكانا (وان الله لعليم) بما يرضونه وبما يستحقونه فيعطيهم ذلك
فى الجنة ويزيدهم (حليم) فلا يعجل من عصاه بالعقوبة لتقع التوبة منه فيستحق الجنة (ذلك) أى
الأمر ذلك الذى قصصناه عليك من انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا أوماتوا (ومن عاقب بمثل
ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) أى والذى قاتل من كان يقاتله من الكفار ثم ان القاتل ظلم عليه
بأن ألجئ الى مفارقة الوطن وابتدئ بالقتال لينصرن الله المظلوم على الظالم. قوله بمثل ماعوقب به الباء
الأولى للآلة والثانية للسببية والعقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجئ الشئ بعد غيره قال مقاتل نزلت
هذه الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقال بعضهم لبعض ان
أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن يكفوا عن قتالهم
لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فحصل فى أنفس المسلمين من القتال
فى الشهر الحرام شئ فأنزل الله تعالى هذه الآية (ان الله لعفو) عن هذه الاساءة (غفور) لهم ماصدر
عنهم من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المطلوب اليهما وأما عفا عنهم ذلك مع كونه محرما اذ ذاك
لأنهم فعلوه دفعا للصائل فكان من نوع الواجب عليهم وهذا تنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة
اذ لايوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) أى النصر بسبب أنه تعالى قادر ومن آيات قدرته كونه
خالق الليل والنهار فذلك قوله تعالى (بأن الله) تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى
بسبب ان الله تعالى يزيد فى أحد الملوين ماينقص من الآخر من الساعات أو يحصل ظلمة أحدهما فى مكان
ضياء الآخر وعكسه (وأن الله سميع) بكل المسموعات (بصير) بجميع المبصرات أى ان الله كما يقدر
على مالا يقدر عليه غيره فكذلك يدوم الاتصاف بالسمع والبصر فلا يحتاج لسمعه الى سكون الليل
ولا لبصره الى ضياء النهار (ذلك) أى الاتصاف بكمال القدرة والعلم (بأن الله هو الحق) أى الثابت
الذى يمتنع عليه التغير فى ذاته وصفاته فعبادته هو الحق (وأن مايدعون من دونه هو الباطل) أى
وان مايعبده المشركون من غير الله هو الباطل ألوهيته وأنه معدوم فى حد ذاته وقرأ نافع وابن كثير
وابن عامر وشعبة بالتاء على خطاب المشركين وقرئ بالبناء للمفعول على أن الواو عائد لما فانه كناية
عن الآلهة (وأن الله هو العلى الكبير) أى وأن الله هو القاهر الذى لايغلب القادر على الضر والنفع
العظيم فى سلطانه الذى لاتدرك حقيقته (ألم تر) أى ألم تعلم أيها المخاطب (ان الله أنزل من السماء ماء
فتصبح الأرض مخضرة) أى فتصير الأرض نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد (ان الله لطيف)
أى رحيم بعباده فى اخراج النبات (خبير) أى عالم بمقادير مصالحهم وبما فى قلوبهم (له مافى السموات
ومافى الأرض) فكل ذلك منقاد له وهو تعالى غير ممتنع من التصرف فيه (وان الله لهو الغنى الحميد)
أى الغنى عن الأشياء كلها لأنه كامل لذاته والكامل لذاته غنى عن كل ما عداه فى كل الأمور ولكنها

(ليدخلنهم مدخلا) أى ادخالا أو يريد موضعا (يرضونه) وهو الجنة (ذلك) أى ذلك الأمر الذى قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ماعوقب به) أى جازى العقوبة بمثلها (ثم بغى عليه) أى ظلم (لينصرنه الله) يعنى المظلوم (ذلك) أى ذلك النصر للمظلوم بأنه القادر على مايشاء فمن قدرته أنه (يولج الليل فى النهار) أى يزيد من هذا فى هذا ومن ذلك فى هذا

والباقي ظاهر الى قوله (ان الانسان لكفور) يعني ان الكافر لجاحد لآيات الله الدالة على توحيده وقوله (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) أى شريعة هم عاملون بها (فلا ينازعنك) أى يجادلنك (فى الأمر) نزلت فى الذين جادلوا المؤمنين فقالوا ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله (وان جادلوك) أى بباطلهم مراء وتعنتا فادفعهم بقولك (الله أعلم بما تعملون) يريد من التكذيب والكفر (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك) أى كله (فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ان ذلك) يعنى علمه بجميع ذلك (على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به) بعبادته (سلطانا) أى حجة وبرهانا (وما ليس لهم به علم) يعنى لم يأتهم به كتاب ولا نبى (وما للظالمين) أى المشركين (من نصير) أى مانع من عذاب الله (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعنى القرآن (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) أى الانكار بالعبوس والكراهة

خلق الحيوان خلق الأشياء رحمة للحيوانات لا لحاجة الى ذلك وكان انعامه تعالى خاليا عن غرض عائد اليه فكان مستحقا للحمد فوجب أن يكون حميدا (ألم تر) أيها المخاطب (أن الله) تعالى (سخر لكم ما فى الأرض) أى جعل ما فيها معدا لمنافعكم فلا أصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهى مذللة لكم وذلل لكم الحيوانات حتى تنتفعوا بها من حيث الأكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر اليها فلولا تسخيره تعالى الابل والبقر والخيل لما انتفع بها أحد (والفلك) معطوف على ما أو على اسم ان (تجرى فى البحر) حال من الفلك أو خبر (بأمره) أى باذنه فلولا أن الله سخر السفن بالماء والرياح لجريها لكانت تغوص أو تقف (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) أى ويمنع السماء من أن تقع على الأرض (الا باذنه) أى الا بمشيئته وذلك يوم القيامة لأن النعم المتقدمة لا تكمل الا بامساك السماء من السقوط لأنه جرم ثقيل مسكن الملائكة لا بد له من السقوط لولا مانع يمنع منه وهو القدرة فأمسكها الله بقدرته لئلا تقع (ان الله بالناس لرءوف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية (وهو الذى أحياكم) بعد أن كنتم نطفا بعد ان كنتم معدومين (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يوم القيامة للثواب والعقاب (ان الانسان) أى المشرك كبديل بن ورقاء الخزاعى والاسود بن عبد الاسد وأبى جهل والعاص بن وائل وأبى بن خلف (لكفور) أى جحود لنعم الله مع ظهورها حيث ترك توحيده تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) أى لكل أمة معينة وضعنا شريعة خاصة لتلك الأمة المعينة عاملون بها فالأمة التى كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى منسكهم التوراة هم عاملون بها لا غيرهم والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث نبينا منسكهم الانجيل هم عاملون به لا غيرهم وأما الأمة الموجودة عند مبعث النبى ومن بعدهم الى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا (فلا ينازعنك فى الأمر) أى يجب على أرباب الملل أن يتبعوك وأن يتركوا مخالفتك فى أمر الدين وقد استقر الأمر الآن على شرعك (وادع الى ربك) أى ادعهم الى شريعتك ولا تخص بالدعاء الى توحيد ربك أمة دون أمة فكلهم أمتك (انك لعلى هدى مستقيم) أى على أدلة دين واضحة موصلة الى الله تعالى (وان جادلوك) أى ان عدلوا عن النظر فى هذه الأدلة الى طريق المجادلة والتمسك بالعادة (فقل) لهم على سبيل التحذير من حكم يوم القيامة الذى يتردد بين جنة لمن قبل ونار لمن أنكر (الله أعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها (الله يحكم بينكم) أى يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين (يوم القيامة) بالثواب والعقاب (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين فتعرفون حينئذ الحق من الباطل (ألم تعلم) أى قد علمت يا أشرف الخلق (أن الله يعلم ما فى السماء والارض) فلا يخفى عليه شىء مما يقوله الكفرة وما يعملونه (ان ذلك) أى ما فى السماء والأرض (فى كتاب) أى لوح محفوظ (ان ذلك) أى ان علم ما فى السماء والأرض بغير الكتاب جملة وتفصيلا (على الله يسير) أى هين وان تعذر على الخلق (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم) أى ويعبد كفار مكة متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل الله بجواز عبادته حجة من جهة الوحى وما ليس لهم بجواز عبادته علم من دليل عقلى أى ان عبادتهم لغير الله من الأصنام ليست مأخوذة من دليل سمعى ولا من دليل عقلى بل هو من تقليد أو جهل أو شبهة فوجب أن يكون ذلك باطلا (وما للظالمين) أى المشركين (من نصير) أى ليس لهم ناصر فى مذهبهم بالحجة ولا فى دفع عذاب الله عنهم (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى القرآن (بينات) أى واضحات فى الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الصادقة (تعرف) يا أشرف الخلق فى وجوه الذين كفروا) بالقرآن (المنكر) أى الكراهية

(يكادون يسطون) أى يقعون و يبطشون بالذين يتلون عليهم آياتنا (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذى تسمعون (النار) أى هى النار (يأيها الناس) يعنى أهل مكة (ضرب (٦١) مثل) يعنى بين لكم ولمعبوديكم شبه (فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله) أى من الأصنام (لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا) كلهم لخلقه (وان يسلبهم الذباب شيئا) أى مما عليهم من الطيب (لايستنقذوه) أى يستردوه (منه) لعجزهم (ضعف الطالب والمطلوب) يعنى العابد والمعبود فالطالب الذباب يطلب من الصنم ما لطخ به من الزعفران والطيب وهو مثل لعابده يطلب منه الشفاعة والنصرة والمطلوب الصنم (ماقدروا الله حق قدره) أى ما عظموا الله حق تعظيمه اذ أشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينتصر منه (الله يصطفى من الملائكة رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام (ومن الناس) النبيين (ان الله سميع) لقول عباده (بصير) بمن يختاره (يعلم ما بين أيديهم) أى ما عملوه (وما خلفهم) أى وما هم عاملون مما لم يعملوه (وجاهدوا فى الله) أى فى سبيل الله (حق جهاده) أى بنية صادقة (هو اجتباكم) أى اختاركم لدينه (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق لأنه سهل الشريعة بالترخيص (ملة أبيكم) أى اتبعوا ملة أبيكم (ابراهيم) وكان هو فى الحرمة كالأب ولذلك جعل أبا للمؤمنين

للقرآن وأثر الغضب (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى يكادون يثبون على من يقرؤ القرآن عليهم بالبطش من فرط الغضب (قل) ردا عليهم (أفأنبئكم بشر من ذلكم) أى أخاطبكم فأخبركم بأشر من غيظكم على التالين وقهركم عليهم ومن الضجر بسبب ماتلى عليكم (النار وعدها الله الذين كفروا) اذا ماتوا على الكفر فالنار اما مبتدأ وخبره ما بعده أو خبر مبتدأ مقدر وقرأه زيد بن على وابن أبى عبلة بالنصب على الاختصاص أو على انه منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده وقرأه ابن أبى اسحق وابراهيم بن نوح بالجر بدلا من شر (وبئس المصير) النار (يأيها الناس) أى يا أهل مكة (ضرب مثل) أى بين لكم حال عجيبة غريبة (فاستمعوا له) أى تدبروا المثل حق تدبره (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا) أى ان الأصنام الذين تعبدونهم لن يقدروا على خلق الذباب مع صغره (ولو اجتمعوا له) أى لخلقه أى تعاونوا على خلقه فكيف يليق بالعاقل جعل الأصنام معبودا (وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه) أى وان يأخذ الذباب من الأصنام شيئا من الطيب والعسل الذى لطخوا عليها لاتسترده من الذباب قال ابن عباس انهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران و رؤوسها بالعسل و يغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس أى ضعف الذباب والصنم فالذباب طالب ما يأخذه من الذى على الصنم وقال الضحاك أى ضعف العابد والمعبود ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال (ماقدروا الله حق قدره) أى ماعرفوا الله حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ماهو أبعد الأشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها وافناء الموجودات عن آخرها (عزيز) أى غالب على جميع الأشياء (الله يصطفى من الملائكة رسلا) الى بنى آدم كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والحفظة (ومن الناس) أى ويختار من الناس رسلا مختصين بالنفوس الزكية كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم نزلت هذه الآية لما قال الوليد بن المغيرة مع موافقة الباقى لم ينزل على محمد القرآن لأنه ليس بأكبرنا ولا بأشرفنا (ان الله سميع) لمقالتهم (بصير) بأفعالهم و بمن يستحق الرسالة (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يعلم الله ما عملوه وما سيعملونه من أمور الدنيا (والى الله ترجع الأمور) وهذا اشارة الى التفرد بالالهية والحكم والى الزجر عن مباشرة المعصية (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أى ارجعوا من تكبر قيام الانسانية الى تواضع الحيوانية وذلة النباتية قال ابن عباس ان الناس كانوا فى أول الاسلام يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الآية (واعبدوا ربكم) بسائر ما كلفكم به خالصا لوجهه (وافعلوا الخير) واجبا ومندوبا وتوجهوا الى الله تعالى فى جميع أحوالكم (لعلكم تفلحون) أى لتظفروا بنعيم الجنة أى افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الفلاح غير متيقنين انها مقبولة عند الله تعالى والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلق له (وجاهدوا فى الله) أى لله أعداء دينه الظاهرة والباطنة من أهل الضلال والهوى والنفس (حق جهاده) أى جهادا من أجل الله حقا لا رغبة فى الدنيا من حيث الاسم أو الغنيمة (هو اجتباكم) أى اختاركم للاشتغال بطاعته من بين سائر البريات (وما جعل عليكم فى الدين) أى فى أمر الدين (من حرج) أى ضيق بتكليف مايشق عليكم اقامته (ملة أبيكم ابراهيم) أى سهل الله عليكم الدين مثل ملة أبيكم ابراهيم فانه أبو رسول الله فهو

كالأب لأمته ولأن أكثر العرب كانوا من ذرية ابراهيم فغلبوا على غيرهم (هو) أي الله كما قرأ أبي ابن كعب (سماكم المسلمين من قبل) أي قبل هذا القرآن في كتب الأنبياء (وفي هذا) أي القرآن بقوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقيل الله سماكم المسلمين في الأزل من قبل أن خلقكم و بعد أن خلقكم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة بأنه بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) أي الأمم الماضية بتبليغ الرسل اليهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي فلما خصكم الله بهذه الكرامة فاعبدوه وتقربوا الى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لفضلهما (واعتصموا بالله) قال القفال أي اجعلوا الله عصمة لكم مما تحذرون وقال ابن عباس أي سلوا الله العصمة عن كل المحرمات أي ولا تطلبوا الاعانة في كل الأمور الا منه تعالى (هو مولاكم) أي حافظكم (فنعم المولى) أي الحافظ (ونعم النصير) بل فلا حافظ ولا ناصر في الحقيقة سواه تعالى

﴿ سورة المؤمنون مكية مائة وثمان عشرة آية عند الكوفيين وتسع عشرة عند البصريين. وألف وثمانمائة وأربعون كلمة. وأربعة آلاف وثمانمائة حرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قد أفلح المؤمنون) أي فازوا بالمراد وقرأ طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول أي قد أدخلوا في الفلاح الذي هو الوصول الى الله تعالى (الذين هم في صلاتهم خاشعون) أي خاضعون للمعبود بالقلب غير ملتفتين بالخواطر الى شيء سوى التعظيم ساكنون بالجوارح مطرقون ناظرون الى مواضع سجودهم لا يلتفتون يمينا ولا شمالاً ولا يرفعون أيديهم والخشوع من فروض الصلاة عند الغزالي والحضور عندنا ليس شرطا للاجزاء بل شرط للقبول كما قاله الرازي (والذين هم عن اللغو معرضون) أي الذين هم تاركون لما لا حاجة اليه في أمور الدين والدنيا من الأقوال والأفعال في عامة أوقاتهم (والذين هم للزكاة فاعلون) أي مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) أي ممسكون فلا يرسلونها على أحد (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أي سراريهم (فانهم غير ملومين) على عدم حفظها منهن اذا كان اتيانهن على وجه الحلال (فمن ابتغى وراء ذلك) أي فمن طلب غير ذلك المستثنى كاتيان بهيمة أو زنا أو لواط أو استمناء بيد (فأولئك هم العادون) أي الكاملون في مجاوزة الحدود (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أي قائمون بحفظ واصلاح فكل ما يكون تركه داخلا في الخيانة فهو أمانة والعهد هو ما عقده العبد على نفسه فيما يقربه الى الله تعالى وما أمر الله تعالى به وذلك كالوضوء والاغتسال من الجنابة والصلاة والصوم والودائع والأسرار وغير ذلك وقرأ نافع وابن كثير لأماناتهم بالأفراد (والذين هم على صلواتهم يحافظون) لشروطها من وقت وطهارة وغيرهما ولأركانها وقرأ حمزة والكسائي صلاتهم بالافراد (أولئك) أي المؤمنون المتصفون بتلك الصفات (هم الوارثون الذين يرثون الفردوس) روى أن الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال سلوا الله الفردوس فانها أعلى الجنان وان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وسمي استحقاقهم الفردوس ارثا بأعمالهم بحسب وعده تعالى لأن انتقال الجنة اليهم بدون محاسبة ومعرفة بمقاديرها (هم فيها) أي الفردوس (خالدون) لا يموتون ولا يخرجون منها أبدا (ولقد

(هو سماكم) أي الله تعالى سماكم (المسلمين من قبل) أي من قبل القرآن في سائر الكتب (وفي هذا) يعني القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) وذلك انه يشهد لمن صدقه وعلى من كذبه (وتكونوا شهداء على الناس) أي تشهدون عليهم أن رسلهم قد بلغتهم وقوله (واعتصموا بالله) أي تمسكوا بدينه (هو مولاكم) أي ناصركم ومتولي أموركم (فنعم المولى ونعم النصير)

﴿ تفسير سورة المؤمنون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) أي سعد المصدقون ونالوا البقاء في الجنة (الذين هم في صلاتهم خاشعون) أي ساكنون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم (والذين هم عن اللغو) أي عن كل ما لا يجمل في الشرع من قول وفعل (معرضون والذين هم للزكاة فاعلون) أي للصدقة الواجبة مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) أي يحفظونها عن المعاصي (الا على أزواجهم) من زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) من الاماء (فانهم غير ملومين) أي لا يلامون في وطئهن (فمن ابتغى وراء ذلك) أي ما بعد الزوجة والأمة (فأولئك هم العادون) أي المتعدون من الحلال الى الحرام (والذين هم لأماناتهم) ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وعهدهم) أي حلفهم الذي يؤخذ عليهم (راعون) أي يرعون ذلك و يقومون بتمامها (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أي بأدائها في مواقيتها (أولئك هم الوارثون) ثم ذكر ما يرثون فقال (الذين يرثون الفردوس) وذلك أن الله تعالى جعل لكل امرئ بيتا في الجنة فمن عمل عمل أهل الجنة ورث بيته والفردوس خير الجنان (ولقد خلقنا

خلقنا الانسان) أي جنس الانسان (من سلالة من طين) أي من خلاصة كائنة من طين (ثم جعلناه) أي السلالة (نطفة) أي منيا أو بعين يوما (في قرار مكين) أي مكان حريز فان الله تعالى خلق جوهر الانسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في صلب الأب فقذفه الصلب بالجماع الى رحم الأم فصار الرحم مستقرا حصينا لهذه النطفة (ثم خلقنا النطفة علقة) أي ثم صيرنا المني الأبيض دما جامدا أر بعين يوما (ثم خلقنا العلقة مضغة) أي ثم صيرنا الدم الجامد الأحمر لحما صغيرا مقدار ما يمضغ أر بعين يوما (فخلقنا المضغة عظاما) أي فصيرنا اللحم الصغير عظاما بلا لحم بأن صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات مخصوصة من رأس ورجلين ومابينهما (فكسونا العظام لحما) وشددناها بالأعصاب والعروق فاللحم يستر العظام كالكسوة وقرأ ابن عامر وأبو بكر عظما والعظم بالافراد في الموضعين (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي حولنا العظام المستورة باللحم عن صفاتها الى صفة لايحيط بها شرح الشارحين فان الله جعلها حيوانا ناطقا سميعا بصيرا عاقلا وأودع كل جزء من أجزائه عجائب وغرائب لايحيط بها وصف الواصفين (فتبارك الله أحسن الخالقين) أي فتعالى شأن الله تعالى أتقن المحولين (ثم انكم بعد ذلك) أي التركيب بالأمور العجيبة (لميتون) أي لصائرون الى الموت وقرأ ابن أبي عبلة وابن محيص لمائتون (ثم انكم يوم القيامة) أي عند النفخة الثانية (تبعثون) من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سموات طرائق بعضها فوق بعض وانما قيل للسموات طرائق لتطارقها أي لكون بعضها موضوعا فوق بعض طاقا فوق طاق كطارقة النعل فجعل الله في السموات موضعا لأرزاقنا بانزال الماء منها وكان نزول الوحي ومقرا للملائكة (وما كنا عن الخلق غافلين) بل كنا حافظين لهم عن أن تسقط عليهم الطباق السبع فتهلكهم ولسنا تاركين لهم بلا أمر ولا نهي ولا غافلين عن أعمالهم ومصالحهم (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) أي بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم. قال الرازي ان الله تعالى أصعد الأجزاء المائية من قعر الارض الى البحار ومن البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد ثم ينزلها الله على قدر الحاجة اليها اه وفي الأحاديث أن الماء كان موجودا قبل خلق السموات والارض ثم جعل الله منه في السماء ماء وفي الارض ماء (فأسكناه في الارض) أي جعلناه قارا فيها بعضه في بطنها وبعضه على ظهرها كالانهار والغدران والعيون (وانا على ذهاب به) أي على ازالته بالافساد أو بالتصعيد أو بالتغوير في الارض (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله (فأنشأنا لكم به) أي بذلك الماء (جنات من نخيل وأعناب) وانما ذكرهما الله تعالى لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام ومقام الادام ومقام الفواكه رطبا ويابسا (لكم فيها) أي البساتين (فواكه كثيرة) من ألوان شتى (ومنها تأكلون) أي ترزقون وتحصلون معايشكم أي تتنعمون بفوائد البستان وتتعيشون بها (وشجرة) أي وأنشأنا لكم زيتونة (تخرج من طور سيناء) وهو جبل نودي منه موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل في فلسطين ومن قرأ بفتح السين منع الصرف لألف التأنيث الممدودة ومن قرأ بكسرها وهو نافع وابن كثير وأبو عمرو فقد منع الصرف للعلمية والعجمة فان الهمزة ليست للتأنيث بل للالحاق بقرطاس قيل ان الزيتونة أول شجرة نبتت بعد الطوفان (تنبت بالدهن) أي تخرج الدهن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو تنبت بضم التاء وكسر الباء أي تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن أي تنبت الشجرة بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يغمس الخبز فيه للائتدام (وان لكم في الأنعام) أي الابل (لعبرة) تستدلون بأحوالها على عظيم قدرة الله تعالى وسابغ رحمته وتشكرونه (نسقيكم مما

خلقنا الانسان) أي ابن آدم (من سلالة) أي من ماء سل سلا واستخرج من ظهر آدم وكان آدم خلق (من طين ثم جعلناه نطفة) اي الانسان في أول بدء خلقه (في قرار مكين) يعني الرحم وقوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) قيل يريد الذكورية والأنوثية وقيل يعني نفخ الروح وقيل نبات الشعر والاسنان (فتبارك الله) استحق التعظيم والثناء بدوام بقائه (أحسن الخالقين) أي المصورين والمقدرين (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سموات كل سماء طريقة (وما كنا عن الخلق) أي عمن خلقنا من الخلق كلهم (غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر) أي بمقدار معلوم عند الله (فأسكناه) أي ثبتناه (في الارض) قيل هو النيل ودجلة والفرات وسيحان وجيحان وقيل هو جميع المياه في الارض (وانا على ذهاب به لقادرون) أي حتى تهلكوا أنتم ومواشيكم عطشا وقوله (وشجرة تخرج) يعني الزيتون (من طور سيناء) يعني جبلا معروفا أول ما نبت شجر الزيتون نبت هناك (تنبت بالدهن) لانه يتخذ الدهن من الزيتون (وصبغ) أي ادام (للآكلين) وقوله

في بطونها) أي تنتفعون بلبنها في الشرب وغيره ووجه الاعتبار في اللبن أنه يجتمع في الضرع و يتخلص من بين الفرث والدم بإذن الله تعالى فيستحيل الى طهارة ولون وطعم موافق للشهوة و يصير غذاء فهذا اللبن الذي يخرج من بطونها الى ضرعها تجدونه شرابا طيبا نافعا للبدن واذا بحثتم تجدله أثرا فمن استدل بذلك على قدرة الله تعالى وحكمته كان ذلك معدودا من النعم الدينية ومن انتفع به كان معدودا من النعم الدنيوية (ولكم فيها) أي الأنعام (منافع كثيرة) كالانتفاع بثمنها وأجرتها (ومنها) أي الأنعام بعد ذبحها (تأكلون) فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها (وعليها) أي الأنعام (وعلى الفلك تحملون) فان الانتفاع بالابل في المحمولات على البر بمنزلة الانتفاع بالسفن في البحر ولذلك جمع الله بينهما في انعامه لكي يشكر على ذلك و يستدل به (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) وهم جميع أهل الارض (فقال) متعطفا عليهم (ياقوم اعبدوا الله) وحده فلا تعبدوا سواه (مالكم من اله غيره) بالرفع صفة لاله باعتبار محله على أنه فاعل أو مبتدأ مؤخر أو محذوف الخبر ولكم للتبيين أي مالكم في العالم اله غيره تعالى وقرأ الكسائي بجر غيره صفة لاله على الاحتمالين الأولين باعتبار لفظه (أفلا تتقون) أي أتعرفون انتفاء الاله غيره تعالى فلا تتقون أنفسكم عذابه تعالى بسبب اشرا ككم به في العبادة مالا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه (فقال الملأ) أي الرؤساء (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ماهذا) أي نوح (الا بشر مثلكم) في الجنس والوصف من غير فرق بينكم و بينه (يريد أن يتفضل عليكم) أي يريد أن يطلب الفضل عليكم بادعاء الرسالة لتكونوا أتباعا له (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) أي لو شاء الله ارسال الرسول الينا لأنزل ملكا من الملائكة (ماسمعنا بهذا) أي بالامر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ماسواه (في آبائنا الأولين) أي الماضين قبل بعثة نوح عليه السلام وذلك لكون آبائهم في زمان فترة متطاولة واما لغلوهم في التكذيب وانهماكهم في الضلال و يقال ما سمعنا بنوح أنه نبي في الذين مضوا قبلنا في زمنه عليه السلام (ان هو الا رجل به جنة) أي مانوح الا رجل فيه جنون ومن كان مجنونا فكيف يجوز أن يكون رسولا (فتربصوا به حتى حين) أي انتظروه الى زمن موته أو المراد أنه مجنون فاصبروا الى زمان تظهر عاقبة أمره فيه فان أفاق فذاك واضح والا فاقتلوه (قال) نوح لما رآهم قد أصروا على التكذيب حتى يئس من ايمانهم بالكلية (رب انصرني بما كذبون) بالرسالة أي أبدلني من غير تكذيبهم سلوة النصر عليهم أو أهلكهم بسبب تكذيبهم اياي (فأوحينا اليه) عند ذلك (أن اصنع الفلك) فأن مفسرة لوقوعها بعد فعل فيه معنى القول (بأعيننا) أي بحفظنا لك عن أن تخطئ في صنعها أو يفسدها عليك غيرك فان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (ووحينا) أي وتعليمنا فأوحى الله اليه بجبريل فعلمه صنعة السفينة وصنعها في عامين وجعل طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين وجعلها ثلاث طبقات السفلى للسباع والهوام والوسطى للدواب والأنعام والعليا للانس (فاذا جاء أمرنا) أي وقت عذابنا عقب تمام الفلك (وفار التنور) لآدم عليه السلام عند طلوع الفجر وكان في موضع مسجد الكوفة عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام (فاسلك فيها من كل زوجين اثنين) فأدخل في الفلك من كل حيوان حضر في هذا الوقت فردين مزدوجين ذكرا وأنثى لكي لاينقطع نسل ذلك الحيوان وقرأ حفص بتنوين كل فزوجين مفعول به واثنين تأكيد أي من كل نوع وقرأ الباقون بغير تنوين فاثنين مفعول به (وأهلك) أي وأدخل في الفلك أهل بيتك من زوجك وأولادك (الا من سبق عليه القول منهم) أي الوعد الأزلي من الله تعالى بالاهلاك وهو ولده كنعان وأم كنعان فهي كافرة (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بالدعاء لانجائهم (انهم مغرقون) أي انهم محكوم عليهم

(يريد أن يتفضل عليكم) أي يتشرف عليكم فيكون أفضل منكم بأن يكون متبوعا وتكونوا له تبعا (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) تبلغنا عنه (ماسمعنا بهذا) الذي يدعونا اليه نوح (في آبائنا الأولين ان هو) أي ماهو (الا رجل به جنة) أي جنون (فتربصوا به حتى حين) أي انتظروا موته حتى يموت (قال رب انصرني) باهلاكهم (بما كذبون) أي بتكذيبهم اياي (فأوحينا اليه) الآية مفسرة في سورة هود وقوله (فاسلك فيها) أي أدخل في السفينة والباقي مفسر في سورة هود

بالغرق

بالغرق بالطوفان (فاذا استويت أنت) أى ركبت (ومن معك) من المؤمنين والدواب وغيرها (على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) ومن الغرق بالالتجاء الى السفينة (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) أى مكان نزول فيه خير كثير وهو نفس السفينة لان من ركبها خلصته من الغرق وقرأ أبو بكر منزلا بفتح الميم وكسر الزاى والباقون بضم الميم وفتح الزاى (وأنت خير المنزلين) فى الدنيا والآخرة (ان فى ذلك) أى فى قصة نوح وقومه (لآيات) جليلة فان اظهار تلك المياه العظيمة ثم الاذهاب بها لايقدر عليه الا القادر على كل المقدورات وظهور تلك الواقعة على وفق قول نوح عليه السلام يدل على المعجز العظيم وافناء الكفار وبقاء الارض لاهل الدين من أعظم أنواع العبر فى الدعاء الى الايمان والزجر عن الكفر (وان كنا لمبتلين) أى وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم مختبرين به عبادنا فيما بعد لننظر من يتذكر (ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) هم عاد (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود عليه السلا (أن اعبدوا الله) أى وقلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وحده (مالكم من إله غيره أفلا تتقون) عذابه (وقال الملأ) أى الرؤساء (من قومه) أى الرسول (الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أى بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب (وأترفناهم) أى نعمناهم بالأموال والأولاد (فى الحياة الدنيا) يخاطبون أتباعهم مضلين لهم (ماهذا) أى الرسول (الا بشر مثلكم) فى الصفات والأحوال (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) فكيف يكون رسولا (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أى ان امتثلتم آدميا مثلكم فى الخلق والحال بأوامره (انكم اذا) أى ان أطعتموه (لخاسرون) أى مغلوبون فى عقولكم جاهلون (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا) أى وصارت أجسامكم ترابا (وعظاما) نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب (أنكم مخرجون) من القبور أحياء كما كنتم (هيهات هيهات لما توعدون) أى بعد حصول ما توعدون من خروجكم من القبور فلا يقع هذا (ان هى الا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا حياتنا فى الدنيا (نموت ونحيى) أى يموت بعضنا ويحيى بعضنا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا) أى ما مدعى الرسالة الا رجل تعمد على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من أن الله يبعثنا (وما نحن له بمؤمنين) أى بمصدقين فيما يقوله من البعث بعد الموت ومن دعوى الرسالة (قال) أى هود بعد يأسه من ايمانهم (رب انصرنى بما كذبون) أى انتقم لى منهم بسبب تكذيبهم اياى (قال) تعالى عدة بالقبول (عما قليل ليصبحن نادمين) أى بعد زمان قليل ليصيرن نادمين على التكذيب وذلك عند معاينتهم العذاب (فأخذتهم الصيحة بالحق) أى دمرهم الله تعالى بالصيحة العظيمة وبالريح العقيم بالعدل من الله تعالى وقد روى أن شداد بن عاد حين أتم بناء ارم سار بأهله اليها فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا (فجعلناهم غثاء) أى فجعلناهم بعد موتهم مثل ورق يابس يحمله السيل فى عدم المبالاة بهم (فبعدا للقوم الظالمين) فبعدا مصدر منصوب بفعل لايستعمل اظهاره لانه بمعنى الدعاء عليهم والقوم متعلق بمحذوف واللام للبيان فالله تعالى ذكر ذلك على وجه الاهانة لهم وهو التبعيد من الخير وقد نزل بهم العذاب دالا على ذلك مع ان الذى ينزل بهم فى الآخرة من العذاب أعظم مما نزل بهم ليكون ذلك عبرة لمن يجىء بعدهم والمعنى أهلكوا وخابوا من رحمة الله تعالى دنيا وأخرى (ثم أنشأنا من بعدهم) أى بعد هلاكهم (قرونا آخرين) هم قوم صالح ولوط وشعيب ويونس وأيوب فالله تعالى ما أخلى الارض من مكلفين بل أوجدهم

(فاذا استويت) أى اعتدلت فى السفينة راكبا (وقل رب أنزلنى منزلا مباركا) أى أنزالا مباركا فاستجاب الله دعاءه حيث قال اهبط بسلام منا وبركات عليك فبارك فيهم بعد انزالهم فى السفينة حتى كان جميع الخلق من نسل نوح ومن كان معه فى السفينة (ان فى ذلك) الذى ذكرت (لآيات) لدلالات على قدرتنا (وان كنا لمبتلين) أى مختبرين طاعتهم بارسال نوح اليهم (ثم انشأنا من بعدهم) أحدثنا (قرنا آخرين) يعنى عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) وهو هود وقوله (وأترفناهم) أى نعمناهم ووسعنا عليهم وقوله (أنكم مخرجون) أى من قبوركم أحياء وقوله (هيهات هيهات) أى بعدا بعدا (لما توعدون) يعنى من البعث (ان هى) أى ما هى (الا حياتنا الدنيا) يعنى الحياة الفانية فى هذه الدار (نموت ونحيا) أى تموت الآباء وتحيا الأولاد (قال رب انصرنى) عليهم (بما كذبون) أى بتكذيبهم اياى (قال عما قليل) أى عن قريب (ليصبحن نادمين) يعنى يندمون اذا نزل بهم العذاب على التكذيب (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة العذاب (بالحق) أى بالأمر من الله (فجعلناهم غثاء) أى هلكى هامدين كغثاء السيل وهو ما يحمله من بالى الشجر (فبعدا) أى فهلاكا (للقوم الظالمين) أى المشركين

(ما تسبق من أمة أجلها) أى لا تموت قبل أجلها (وما يستأخرون) يعنى بعد الأجل طرفة عين وقوله (تترى)

أى متتابعة وقوله (وجعلناهم أحاديث) أى لمن بعدهم يتحدثون بهم وقوله (وكانوا قوما عالين) أى مستكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (وقومهما لنا عابدون) أى مطيعون متذللون (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون) أى لكى يهتدى به قومه (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أى دلالة على قدرتنا (وآويناهما الى ربوة) يعنى بيت المقدس وهو أقرب الأرض الى السماء (ذات قرار) أى أرض مستوية وساحة واسعة (ومعين) يعنى ماء ظاهرا وقيل هى دمشق (يأيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد به ان الله تعالى كأنه أخبر أنه قد قال لجميع الرسل قبله هذا القول وأمرهم بهذا والمعنى كلوا من الحلال (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) يعنى ان ملتكم أيها الرسل ملة واحدة وهى الاسلام (وأنا ربكم) شرعتها لكم وبينتها لكم وسننتها لكم (فاتقون) أى تخافونى (فتقطعوا أمرهم بينهم) يعنى المشركين واليهود والنصارى

وبلغهم حد التكليف حتى قاموا مقام من كان قبلهم فى عمارة الدنيا (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) فلا تهلك أمة قبل مجىء أجلها ولا يستأخرون عنه بساعة فالله تعالى عالم بالأشياء قبل كونها فلا توجد الاعلى وفق العلم والمقتول ميت بأجله اذ لو قتل قبل أجله لكان قد تقدم الأجل أو تأخر وذلك ينافيه هذا النص (ثم أرسلنا رسلنا) أى أرسلنا الى كل قرن من القرون رسولا خاصا به (تترى) أى واحدا بعد واحد بينهما زمان طويل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهى قراءة الشافعى تترى بالتنوين فألفه للالحاق بجعفر فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين وباقى السبعة تترى بألف صريحة دون تنوين والألف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة والتاء بدل من الواو فانه مأخوذ من الوتر وهو الفرد وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل وقع حالا أى متواترة أى متتابعة فرادى (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) وسلكوا فى تكذيب أنبيائهم مسلك من أهلكوا (فأتبعنا بعضهم بعضا) أى بالهلاك (وجعلناهم أحاديث) أى ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا فيعتبر منهم أهل السعادة ويتغافل منهم أهل الشقاوة (فبعدا لقوم لا يؤمنون) أى بعدوا من رحمة الله تعالى بعدا اذ لم يؤمنوا ولم يعتبروا منهم (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) أى حجة واضحة ملزمة للخصم فى الاستدلال على وجود الصانع واثبات النبوة (الى فرعون وملئه) أى أشراف قومه (فاستكبروا) عن الانقياد لهما (وكانوا قوما عالين) فى أمور الدنيا قاهرين بنى اسرائيل بالظلم (فقالوا) فيما بينهم بطريق المناصحة (أنؤمن) أى أننقاد (لبشرين) موسى وهرون (مثلنا) فى البشرية (وقومهما لنا عابدون) أى والحال أن قومهما بنى اسرائيل خاضعون لنا خادمون كالعبيد لنا (فكذبوهما) بالرسالة (فكانوا من المهلكين) أى فصاروا من المغرقين فى بحر القلزم (ولقد آتينا) بعد اهلاكهم وانجاء بنى اسرائيل (موسى الكتاب) أى التوراة (لعلهم يهتدون) أى لكى يهتدوا الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الأحكام (وجعلنا ابن مريم) عيسى (وأمه آية) دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر ونطقه فى الصغر (وآويناهما الى ربوة) أى أسكناهما فى أرض مرتفعة فقال عطاء عن ابن عباس هى بيت المقدس فهو أقرب بقاع الأرض الى السماء ويزيد على غيره فى الارتفاع ثمانية عشر ميلا وقال عبدالله بن سلام هى دمشق وعليه الأكثرون وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بالضم (ذات قرار) أى مستوية مبسوطة ذات نعيم (ومعين) أى ماء ظاهر جار على وجه الارض (يأيها الرسل) نودى بهذا المعنى كل رسول فى زمانه ليعتقد السامع ان أمرا نودى له جميع الرسل وأمروا بتحقيق أن يعمل به والمعنى نخبرك يا محمد انا أمرنا الرسل المتقدمين وقلنا لهم الخ دالا على بطلان ما عليه الرهبان من رفض الطيبات أى وقلنا لكل رسول (كلوا من الطيبات) أى الحلالات سواء كانت مستلذة أولا (واعملوا صالحا) أى عملا صالحا من فرض ونفل والأكل اذا كان بأمر الشرع لا بأمر الطبع يكون من نتائجه الأعمال الصالحة (انى بما تعملون) من الأعمال الظاهرة والباطنة (عليم) فأجازيكم عليه وهذا تحذير لهم من الله تعالى من مخالفة ما أمرهم به واذا كان هذا تحذيرا للرسل مع علو شأنهم فبأن يكون تحذير الغيرهم أولى (وأن هذه) أى العقائد (أمتكم) أى دينكم أيها المخاطبون (أمة واحدة) أى دينا واحدا والاختلاف فى الشرائع لا يسمى اختلافا فى الدين وقرأ الكوفيون بكسر همزة ان على الاستئناف الداخل فيما خوطب به الرسل والباقون بفتح الهمزة على حذف اللام أى ولان وقيل على العطف على ما أى انى عليم بأن هذه أمتكم وقرأ ابن عامر وان باسكان النون فاسمها ضمير الشأن وهذه مبتدأ وأمتكم خبر وأمة حال لازمة (وأنا ربكم) من غير أن يكون لى شريك فى الربوبية (فاتقون) أى فأطيعونى (فتقطعوا أمرهم بينهم

زبرا)

(زبرا) أى فرقا (كل حزب) أى جماعة (بمالديهم) أى بما عندهم من الدين (فرحون) أى معجبون مسرورون (فذرهم فى غمرتهم)
أى حيرتهم وضلالتهم (حتى حين) يريد حتى حين الهلاك بالسيف أو للموت (أيحسبون أنما نمدهم به من مال و بنين) أى ما ننبسط عليهم من الرزق والأولاد فى هذه الدنيا) نسارع لهم فى الخيرات) أى نعطيهم ذلك ثوابا لهم (بل لا يشعرون) أى أن ذلك استدراج ثم رجع الى ذكر أوليائه فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون عذابه ومكره (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا (وقلوبهم وجلة) أى خائفة أن ذلك لا يقبل منهم وقد أيقنوا (أنهم الى ربهم راجعون) أى صائرون بالموت وقوله (وهم لها سابقون) أى اليها ثم ذكر أنه لم يكلف العبد الا ما يسعه فقال (ولا نكلف نفسا الا وسعها) فمن لم يستطع أن يصلى قائما فليصل جالسا (ولدينا كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أى يبين بالصدق (وهم لا يظلمون) يعنى لا ينقصون من ثواب أعمالهم ثم عاد الى ذكر المشركين فقال (بل قلوبهم فى غمرة) جهالة وغفلة (من هذا) الكتاب الذى ينطق بالحق (ولهم أعمال من دون ذلك) أى للمشركين أعمال خبيثة دون أعمال المؤمنين الذين ذكرهم (هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى رؤساءهم وأغنياءهم

زبرا) أى فجعل أتباع الانبياء أمر دينهم مع اتحاده قطعا متفرقة وأديانا مختلفة بينهم فزبرا جمع زبرة بمعنى قطعة كغرفة وغرف فهو حال من أمرهم أو من واو تقطعوا (كل حزب بما لديهم فرحون) أى كل فريق منهم معجبون بما اتخذوه دينا فيرى كل منهم أنه المحق الرابح وأن غيره المبطل الخاسر (فذرهم فى غمرتهم حتى حين) أى اترك يا أشرف الخلق كفار مكة فى جهلهم الى موتهم على الكفر أو الى مجئ عذابهم بالقتل وغيره (أيحسبون أنما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات) أى أيظنون أن الذى نعطيهم اياه من المال والبنين نسارع به لهم فى اكرامهم ليكونوا فارغى البال من غير اشتغال بالتكاليف (بل لا يشعرون) حتى يتفكروا فى ذلك الامداد أهو استدراج أم مسارعة فى الخير أى فهم أشباه البهائم لا فطنة لهم (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى ان الذين هم من خوف عذاب ربهم حذرون من أسباب العذاب دائمون فى طاعته جادون فى طلب مرضاته (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) أى يصدقون بأن يستدلوا بهذه المخلوقات على وجود الصانع ويصدقوا بأن ما فى القرآن حق من ربهم (والذين هم بربهم لا يشركون) بأن يكون العبد مخلصا فى العبادة لا يقدم عليها الا لطلب رضوان الله تعالى ومن الشرك ملاحظة الخلق فى الرد والقبول والفرح بمدحهم والانكسار بذمهم وقصور النظر فى المسار والمضار على الأسباب عند انقطاع النظر عن المسبب الذى هو الله تعالى كنظر حصول الشفاء من الدواء والشبع من الطعام وليس المراد من عدم الاشراك هنا نفى الشريك لله تعالى لأن ذلك داخل فى ما تقدم (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أى والذين يعطون ما أعطوه من الصدقات والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف (أنهم الى ربهم راجعون) وقرأت عائشة وابن عباس والحسن والأعمش يأتون ما أتوا من الاتيان أى يفعلون ما فعلوه من الطاعات والحال أن قلوبهم خائفة من رجوعهم الى ربهم فلا يقبل منهم ذلك ولا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ وهذا مناط الوجل وقرأ الاعمش انهم بكسر الهمزة على الاستئناف (أولئك) أى أهل هذه الصفات الأربعة (يسارعون فى الخيرات) أى يناولون فى الدنيا أنواع النفع ووجوه الاكرام (وهم لها سابقون) أى هم فاعلون السبق لأجل الخيرات أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها وتفيد معنى الثبوت بعد ما تفيد معنى التجدد وقوله أولئك خبر عن ان الذين الخ وقرئ يسرعون فى الخيرات (ولا نكلف نفسا الا وسعها) أى عادتنا جارية على أن لا نكلف نفسا من النفوس الا ما فى طاقتها أى فان الله تعالى لا يكلف عباده الا ما فى وسعهم فان لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم (ولدينا كتاب) أى صحائف الأعمال التى يقرأونها عند الحساب (ينطق بالحق) أى يظهر المطابق للواقع فأعمال العباد كلها مثبتة فى صحائفهم فلا يضيع لعامل جزاء عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (وهم لا يظلمون) فى الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عقاب (بل قلوبهم) أى الكفرة (فى غمرة) أى غفلة (من هذا) الذى بيناه فى القرآن من أن لدينا ديوان الحفظة الذى يظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤوس الإشهاد فيجزون بها (ولهم) أى الكفار (أعمال من دون ذلك) أى أعمال سيئة غير كون قلوبهم فى غفلة عظيمة مما ذكر وهى فنون معاصيهم كطعنهم فى القرآن واقامة امائهم فى الزنا (هم لها عاملون) هم مستمرون على أعمال سيئة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى أكابرهم الذين أمدهم الله

(بالعذاب) أي بالقحط والجوع سبع سنين (اذاهم يجأرون) أي يضجون ويجزعون وتقول لهم (لاتجأروا) لاتتضرعوا (اليوم انكم منا لاتنصرون) أي لاتمنعون ولاينفعكم جزعكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي على أدباركم ترجعون القهقرى مكذبين (مستكبرين به) أي بالحرم يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم (سامرا) أي سمارا بالليل (تهجرون) يعني يهذون ويقولون الهجر من سب النبي صلى الله عليه وسلم (أفلم يدبروا القول) أي يتدبروا القرآن فيقفوا على صدقك (أم جاءهم) أي بل جاءهم (مالم يأت آباءهم الأولين) يريد أن انزال الكتاب قد كان قبل هذا فليس انزال الكتاب عليك ببديع ينكرونه (أم لم يعرفوا رسولهم) يريد الذي نشأ بينهم وعرفوه بالصدق (أم يقولون) بل يقولون (به جنة) أي جنون (بل جاءهم) أي ليس الأمر كما يقولون جاءهم الرسول (بالحق) أي بالقرآن من عند الله (ولو اتبع الحق) أي القرآن الذي يدعو الى المحاسن (أهواءهم) التي تدعوا الى القبائح أي لو كان التنزيل بما يحبون (لفسدت السموات والأرض) وذلك انها خلقت دلالة على توحيد الله ولو كان القرآن على مرادهم لكان يدعو الى الشرك وذلك يؤدي الى فساد أدلة التوحيد وقوله (ومن فيهن) لأنهم حينئذ يشركون بالله (بل أتيناهم بذكرهم) أي بشرفهم في الدنيا والآخرة

تعالى بالمال والبنين (بالعذاب) أي الاخروي (اذاهم يجأرون) أي يرتفع صوتهم بالاستغاثة في كشف العذاب عنهم لشدة ماهم عليه ويقال لهم على وجه التبكيت (لاتجأروا اليوم) أي لاتلتجئوا اليوم الينا (انكم منا لا تنصرون) أي لأنه لايلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما نزل بكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي فكنتم تعرضون عن تلك الآيات وتنفرون عمن يتلوها وهذا مثل يضرب فيمن تباعد عن الحق كل التباعد وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أدباركم بدل على أعقابكم (مستكبرين به سامرا) فالجار والمجرور متعلق بقوله مستكبرين والباء سببية والضمير يعود الى الحرم أي متعظمين بالحرم أو متعلق بسامرا والباء بمعنى في والضمير يعود الى البيت الحرام أي ساهرين في الليل للظلم يتحدثون حول البيت العتيق والذي يسوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت ويجوز أن يكون متعلقا بتهجرون والضمير يعود الى القرآن (تهجرون) قرأ نافع وابن محيصن بضم التاء وكسر الجيم أي تسبون القرآن وتسمونه سحرا وشعرا والباقون بفتح التاء وضم الجيم أي تتركون القرآن وتعرضون عنه وكانوا يجتمعون حول الكعبة في الليل يتحدثون وكان أكثر حديثهم ذكر القرآن والطعن فيه وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يقولون لايعلو علينا أحد لانا أهل الحرم وقوله مستكبرين وقوله سامرا وقوله تهجرون أحوال من الواو في تنكصون أو كل واحدة حال من ضمير ماقبلها وسامرا اسم جمع كحاج وراكب وحاضر وغائب فالكل يطلق على الجمع (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم) أي أفعلوا مافعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم والأخبار بالغيب انه الحق من ربهم بل أجاءهم من الكتاب وبعثة الرسل مالم يأت آباءهم الأولين كاسماعيل عليه السلام وأعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحرث بن كعب وأسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن ادفكلهم آمنوا بالله تعالى وكتبه ورسله فان مجيء الكتب من الله تعالى الى الرسل عادة قديمة له تعالى وان مجيء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه بل ألم يعرفوا رسولهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالامانة والصدق وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام (فهم له منكرون) أي فهم جاحدون برسالة رسولهم أي أنهم عرفوا منه صلى الله عليه وسلم قبل ادعاء الرسالة كونه في غاية القرار من الكذب فكيف كذبوه بعد اتفاق كلتهم على تسميته صلى الله عليه وسلم بالأمين (أم يقولون به جنة) أي بل أيقولون في رسولهم جنون ويقولون انما حمله على ادعائه الرسالة جنونه مع أنه أرجح الناس عقلا وأوفرهم رزانة (بل جاءهم بالحق) أي جاءهم رسولهم عليه الصلاة والسلام بالصدق الثابت الذي لايحيد عنه أصلا (وأكثرهم للحق) أي أي حق كان (كارهون) من حيث تمسكوا بالتقليد ومن حيث علموا أنهم لو أقروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لزالت مناصبهم واختلت رياساتهم فلذلك كرهوه وكان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه أو لعدم فكرته لا لكراهة الحق (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) أي لو كان الحق الذي كرهوه موافقا لأهوائهم الباطلة لخرجت السموات والأرض ومن فيهن عن الصلاح والانتظام بالكلية (بل أتيناهم بذكرهم) أي بل جئناهم بالقرآن الذي فيه شرفهم وقرأ

ابو

أبو عمرو في رواية آتيناهم بمد الهمزة أي أعطيناهم فخرهم فالباء مزيدة في بذكرهم وقرأ ابن أبي اسحق وعيسى بن عمرو وأبو عمرو وأيضا أتيتهم بتاء المتكلم وحده وقرأ الجحدري وأبو رجاء آتيتهم بالتاء على خطاب الرسول عليه الصلاة والسلام وقرأ عيسى بذكراهم بألف التأنيث أي بوعظهم وقرأ أبو قتادة نذكرهم بنون المتكلم مضارع ذكر مشدد الكاف وهي جملة حالية (فهم عن ذكرهم) أي فخرهم وشرفهم (معرضون) وكان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل اقبال (أم تسألهم خرجا) وقرأ حمزة والكسائي بفتح الراء وبالألف والباقون بسكونها (فخراج ربك خير) وقرأ ابن عامر بسكون الراء والباقون بفتحها وبالألف أي أم تسألهم على هدايتهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء ربك خير فلا يجوز أن ينفروا عن قبول قوله ﷺ لأجل هذه التهمة البعيدة وهم غير معذورين البتة وهم محجوجون من جميع الوجوه فهذا توبيخ بوجه آخر كأنه قيل أم يزعمون انك تسألهم على أداء الرسالة جعلا فلأجل ذلك لا يؤمنون بك ولا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والآخرة خير لك من ذلك (وهو خير الرازقين) أي أفضل المعطين في الدنيا والآخرة خير لك من ذلك (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة باستقامته (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالبعث والثواب والعقاب (عن الصراط) أي عن جنس الصراط (لناكبون) أي منحرفون فلا يطلق على ماذهبوا اليه اسم الصراط لغاية ضلالهم (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) أي ولو كشفنا عنهم ما أصابهم من جوع وسائر مضار الدنيا لتمادوا في ضلالهم وهم متحيرون عن الهدى لا يبصرون الحق وقد كان الأمر كذلك روي انه لما أسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة منع الميرة عن أهل مكة فأخذهم الله تعالى بالسنين سبع سنين حتى أكلوا الجلود والجيف والعلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله ﷺ وقال ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ثم قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فادع الله يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية وذلك بسبب دعوة النبي ﷺ عليهم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسني يوسف (ولقد أخذناهم بالعذاب) وهو ما نالهم يوم بدر من القتل والأسر (فما استكانوا لربهم) أي فما خضعوا لربهم بالتوحيد (وما يتضرعون) أي فما يؤمنون أي محناهم بكل محنة من القتل والأسر والجوع الذي هو أشد منهما فما رؤي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى في شيء وانما هو نوع خشوع الى أن يتم غرضه فجاء كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وأكثرهم مستمرون على ذلك (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) هو عذاب الآخرة (اذا هم فيه) أي في ذلك العذاب (مبلسون) أي آيسون من كل خير (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة) وخص الله هذه الثلاثة بالذكر لأن الاستدلال موقوف عليها (قليلا ما تشكرون) أي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة يا أهل مكة (وهو الذي ذرأكم في الأرض) أي هو الذي جعلكم في الأرض متناسلين (واليه تحشرون) أي تجمعون يوم القيامة الى موضع لا حاكم فيه سواه وجعل حشرهم الى ذلك الموضع حشرا اليه (وهو الذي يحيي ويميت) وينقل من نعمة الحياة الى دار الثواب والعقاب (وله اختلاف الليل والنهار) أي هو المؤثر في تعاقبهما واختلافهما ازديادا وانتقاصا (أفلا تعقلون) أي أتتفكرون فلا تعقلون بالنظر ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات التي من جملتها البعث بعد الموت (بل قالوا) أي فلم يعقل كفار مكة بل قالوا (مثل ما قال الأولون) من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم في انكار البعث مع وضوح الدلائل (قالوا) مقلدين للأولين (أئذا متنا وكنا

(أم تسألهم) أنت يا محمد على ما جئتهم به (خرجا) أي جعلا وأجرا (فخراج ربك) يعني فعطاء ربك أي ثوابه (خير) وقوله (لناكبون) أي عادلون مائلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي جدب وقحط (للجوا) أي لتمادوا (في طغيانهم يعمهون) نزلت هذه الآية حين شكوا الى النبي ﷺ وقالوا اقتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع (ولقد أخذناهم بالعذاب) أي بالجوع (فما استكانوا لربهم) أي ما تواضعوا (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعني يوم بدر وقيل عذاب الآخرة (اذا هم فيه مبلسون) يريد آيسون من كل خير وقوله (وله اختلاف الليل والنهار) أي هو الذي جعلهما مختلفين وقوله

ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) بعد ذلك (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) أى من قبل مجىء محمد أى لقد وعدنا وآباؤنا بالبعث فلم نر هذا الوعد صدقا أى فلما لم يوجد البعث مع طول الزمان ظنوا أنه يكون فى دار الدنيا ثم قالوا (ان هذا) أى ما هذا الذى تقول يا محمد (الا أساطير الأولين) أى الا أكاذيبهم التى كتبوها (قل) يا أشرف الرسل لكفار مكة (لمن الارض ومن فيها) من المخلوقات (ان كنتم تعلمون) فاخبرونى بخالقهما (سيقولون لله قل) لهم بعد أن تجيبوا بما ذكرتوبيخا لهم (أفلا تذكرون) أى أتعلمون ذلك فلا تتذكرون أن من قدر على خلق الأرض ومافيها ابتداء قادر على اعادته ثانيا (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل) افحاما لهم (أفلا تتقون) أى أتعلمون ذلك ولا تقون أنفسكم عقابه حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا فى الربوبية (قل من بيده ملكوت كل شىء) أى من تحت قدرته ملك كل شىء من انس وجن وغيرهما (وهو يجير) أى يغيث غيره اذا شاء (ولا يجار عليه) أى لا يغاث أحد منه اذا أراد هلاكه (ان كنتم تعلمون) ذلك فأجيبونى (سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو سيقولون الله فى الأخيرتين من غير لام جر مع رفع الجلالة جوابا على اللفظ لقوله من لأن المسئول به مرفوع المحل وهو من فجاء جوابه مرفوعا والباقون لله باللام فى الاخيرين وهو جواب على المعنى لأن التقدير فى الموضع الاول منهما قل من له السموات السبع والعرش وفى الثانى قل من له ملكوت كل شىء فلام الجر مقدرة فى السؤال فظهرت فى الجواب نظرا للمعنى وأما جواب السؤال الأول فهو لله باللام باتفاق السبعة لأنها قد صرح بها فى السؤال (قل) لهم يا أشرف الخلق (فأنى تسحرون) أى فمن أين تصرفون عن الرشد الى الغى (بل أتيناهم بالحق) الذى هو التوحيد والوعد بالبعث (وانهم لكاذبون) فى ادعاء الشرك وانكار البعث (ما اتخذ الله من ولد) لا من الملائكة ولا من غيرهم كما قال الكفار (وما كان معه من اله) يشاركه فى الالوهية كما يقوله الثنوية (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فاذا بمعنى لو الامتناعية أى لو كان معه آلهة كما يقولون لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ولغلب بعضهم على بعض كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده تعالى حينئذ ملكوت كل شىء وهو باطل لا يقول به عاقل قط (سبحان الله عما يصفون) من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة) وقرأ نافع وشعبة وحمزة والكسائى بالرفع خبر مبتدأ محذوف والباقون بالجر بدل من الجلالة وهذا دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم فى تفرده تعالى بذلك كأنه قيل الله عالم الغيب والشهادة وغيره لا يعلمهما فغيره ليس باله (فتعالى عما يشركون) فان تفرده تعالى بذلك موجب لتنزهه عن أن يكون له شريك وشبيه (قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) أى ان كان لابد من أن ترينى ما تعدهم من العذاب الدنيوى المستأصل فلا تجعلنى قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وأعيد لفظ الرب مبالغة فى التضرع وفى بمعنى مع (وانا على أن نريك ما نعدهم) من العذاب المستأصل (لقادرون) ولكنا نؤخره للحكمة الداعية الى التأخير وهذا يدل على صحة قدرته تعالى لا على خلاف علمه فانه تعالى أخبر أنه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك لحكمة فصحة القدرة غير المعلوم والكافرون ينكرون التهديد بالعذاب ويضحكون به (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) أى قابل اساءتهم بما أمكن من الاحسان وتكذيبهم بالكلام الجميل وبيان الأدلة على أحسن الوجوه. قيل هذه الآية محكمة لان المداراة محثوث عليها مالم تؤد الى وهن فى الدين أو نقصان فى المروءة (نحن أعلم بما يصفون) أى بما يصفونك به على خلاف ما أنت عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أى وساوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به

(ملكوت كل شىء) أى ملكه يعنى من يملك كل شىء (وهو يجير) أى يؤمن من يشاء (ولا يجار عليه) أى لا يؤمن من أخافه وقوله (فأنى تسحرون) يعنى تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته (بل أتيناهم بالحق) يعنى القرآن (وانهم لكاذبون) أن الملائكة بنات الله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق) أى ينفرد بمخلوقاته فيمنع الآلهة الأخر من الاستيلاء عليها (ولعلا بعضهم على بعض) يعنى بالقهر والمزاحمة كالعادة بين الملوك (سبحان الله) تنزيها له (عما يصفون) أى من الكذب (قل رب اما ترينى ما يوعدون) يعنى المشركين من العذاب فلا تجعلنى معهم أى ان أنزلت بهم النقمة فاجعلنى خارجا منهم (ادفع بالتى هى أحسن) من الحلم والصفح (السيئة) التى تأتيك منهم من الأذى والمكروه (نحن أعلم بما يصفون) فنجازيهم به وكان هذا قبل الأمر بالقتال (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أى نزغاتها ووساوسها

(وأعوذبك رب أن يحضر ون) أى من أن يحوموا حولى فى حال من الأحوال لأنهم انما يحضرون بقصد سوء (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت) وحتى متعلقة بيصفون أى هى معمولة لمحذوف يدل عليه ذلك أى يستمر كفار مكة على الوصف المذكور حتى اذا جاء أحدهم الموت وظهرت له أحوال الآخرة قال رب ردنى الى الدنيا لكى أعمل صالحا فيما قصرت فى الايمان وفى العبادات البدنية والمالية والحقوق وقوله ارجعون خطاب فهو جمع الضمير تعظيما لله أولتكرير قوله ارجعنى كأنه قال ارجعنى ارجعنى ارجعنى ثلاث مرات كما قالوا فى قوله ألقيا فى جهنم أنه بمعنى ألق ألق فثنى الفعل للدلالة على ذلك وقوله رب منادى وقيل الخطاب للملائكة الذين يقبضون الأرواح وهم جماعة ورب للقسم فكأنه عند معاينة مقعده من النار وملك الموت وأعوانه قال بحق الرب ارجعون الى الدنيا لكى أصلح ما أفسدت وأطيع فى كل ماعصيت ومكنونى من التدارك لعلى أتدارك فيما خلفت من المال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حضر الانسان الموت جمع كل شئ كان يمنعه من حقه بين يديه فعند ذلك يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت أى لكى أصير عند الرجعة مؤديا الحق الله تعالى فيما تركت التركة (كلا) أى لا يرد الى الدنيا وهذا كالجواب لهم فى المنع مما طلبوا روى أنه ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى دار الدنيا فيقول الى دار الهموم والأحزان لابل قدوما على الله تعالى وأما الكافر فيقال له نرجعك فيقول ارجعون فيقال له الى أى شئ ترغب الى جمع المال أو غرس الغراس أو بناء البنيان أوشق الأنهار فيقول لعلى أعمل صالحا فيما تركت فيقول الجبار كلا (انها) أى قوله رب ارجعون الى آخره (كلمة هو قائلها) لامحالة لتسلط الحسرة عليه ولكنها لاتفيده (ومن ورائهم) أى أمامهم (برزخ) أى حائل مانع لهم عن الرجوع الى الدنيا وهو مدة بين الموت والبعث وذلك قوله تعالى (الى يوم يبعثون) من قبورهم (فاذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة وهى النفخة الثانية التى يقع عندها البعث (فلا أنساب بينهم يومئذ) أى فلا يتفاخرون بأنسابهم ولا يتراحمون بها فى ذلك اليوم (ولا يتساءلون) عنها لاشتغال كل منهم بنفسه قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤخذ العبد والأمة يوم القيامة على رءوس الاشهاد وينادى مناد ألا ان هذا فلان فمن له عليه حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة حينئذ أن يثبت لها حق على أمها أو أختها أو أبيها أو أخيها أو ابنها أو زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وعن قتادة لاشئ أبغض الى الانسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يثبت له عليه شئ. والصور آلة ينفخ فيه وقال الحسن الصور مجموع الصورة وكان يقرأ بفتح الواو وقرأ أبو رزين بفتح الواو وكسر الصاد والمعنى فاذا نفخ فى الأجساد أرواحها فلا قرابة تنفعهم لزوال التعاطف من فرط الحيرة وأما قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فبعد ذلك (فمن ثقلت موازينه) أى فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها قدر عند الله تعالى (فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مرهوب (ومن خفت موازينه) أى ومن لم يكن له قدر عنده تعالى من العقائد والأعمال وهم الكفار (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بأن صارت منازلهم من الجنان للمؤمنين (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة (تلفح وجوههم النار) أى تضربها وتأكل لحومها وتحرق جلودها (وهم فيها كالحون) أى متقلصو الشفتين عن الاسنان من شدة الاحتراق ويقال لهم (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) فى الدنيا تبين لكم بالدلائل الواضحة كيفية سلوك الطريق الحق (فكنتم بها) أى بآياتى (تكذبون) فصرتم مستحقين للعذاب الأليم (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) بسوء اختيارنا وفى قراءة سبعية شقاوتنا

(وأعوذ بك رب أن يحضرون) فى شئ من أمورى وقوله (رب ارجعون) أى ردونى الى الدنيا (لعلى أعمل صالحا) أى أشهد بالتوحيد (فيما تركت) أى حين كنت فى الدنيا (كلا) أى لا يرجع الى الدنيا (انها كلمة هو قائلها) أى عند الموت ولا يجاب الى ذلك (ومن ورائهم) أمامهم (برزخ) أى حاجز بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (فاذا نفخ فى الصور) يعنى النفخة الأخيرة (فلا أنساب بينهم يومئذ) أى لا يفتخرون بالأنساب (ولا يتساءلون) كما يتساءلون فى الدنيا من أى قبيلة ونسب أنت (تلفح) أى تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) أى عابسون لتقلص شفاههم بالانشواء فيقال لهم (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أى قضيت علينا

بفتح السين وقرأ قتادة بالكسر (وكنا) بسبب ذلك (قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) أي يا ربنا أخرجنا من النار ومن هذه الدار الى دار الدنيا فان عدنا الى الاعمال السيئة فانا ظالمون على أنفسنا (قال) الله لهم بلسان مالك (اخسأوا فيها) أي ذلوا في النار (ولا تكلمون) بطلب الاخراج من النار وهذا آخر كلامهم في النار فلا يسمع لهم بعد ذلك الا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا فيجابون حق القول مني فينادون ألف سنة ثانية ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون ألفا ثالثة يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا رابعة ربنا أخرجنا منها فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال فينادون ألفا خامسة أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا سادسة رب ارجعون فيجابون اخسأوا فيها (انه) أي الشأن وقرأ أبي بفتح الهمزة أي لانه (كان فريق من عبادي يقولون) في الدنيا (ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) أي أنت أرحم علينا من الوالدين (فاتخذتموهم سخريا) وقرأ نافع وأهل المدينة وأهل الكوفة عن عاصم بضم السين في جميع القرآن وقرأ الباقون بالكسر ههنا وفي ص وقال الخليل وسيبويه هما لغتان وقال الكسائي والفراء الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى السخرية والعبودية (حتى أنسوكم ذكري) أي طاعتي (وكنتم منهم تضحكون) وذلك غاية الاستهزاء والمعنى اشتغلوا عن الدعاء بقولكم ربنا أخرجنا الى آخره لانكم كنتم تستهزئون بالداعين بقولهم ربنا آمنا الى آخره وتتشاغلون باستهزائهم حتى أنساكم الاستهزاء بهم عن توحيدي وطاعتي قال مقاتل ان رؤساء قريش مثل أبي جهل وعتبة وأبي بن خلف كانوا يستهزئون بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضحكون بالفقراء منهم مثل بلال وخباب وعمار وصهيب (اني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) وقرأ حمزة والكسائي انهم بكسر الهمزة تعليل للجزاء والباقون بالفتح ثاني مفعولي جزيت فمعنى الاول فانهم قد فازوا بسبب صبرهم على أذيتكم اياهم فجوزوا أحسن الجزاء ومعنى الثاني انهم انتفعوا بأذيتكم اياهم بسبب صبرهم على أذيتكم فاني جزيتهم اليوم بفوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به (قال) أي الله لهم بلسان مالك توبيخا (كم لبثتم في الارض) أي في الدنيا التي تطلبون أن ترجعوا اليها (عدد سنين) تمييز لكم والغرض من هذا السؤال التبكيت لانهم كانوا لا يعدون اللبث الا في دار الدنيا ويظنون أن الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا في النار وأيقنوا انهم مخلدون فيها سألهم الله كم لبثتم في الارض فانهم فيها تمكنوا من العلم والعمل تذكيرا لهم بأن الذي ظنوه طويلا فهو قليل بالنسبة الى ما أنكروه فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث أيقنوا خلافه (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) يشكون في ذلك لكثرة ما هم فيه من الأهوال وقد اعترفوا بالنسيان حيث قالوا (فاسأل العادين) أي الذين يحصون الاعمال وأوقات الحياة والممات أو الذين يعدون أيام الدنيا وساعاتها فانا قد نسيناه وقرئ العادين بتخفيف الدال أي الظلمة رؤساءنا الذين أضلونا وقرئ العاديين أي القدماء المعمرين (قال) الله لهم بلسان مالك (ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أي ما لبثتم في الدنيا الا زمانا قليلا لو علمتم البعث فان الدنيا قليل أيامها في مقابلة أيام الآخرة ولكنكم لما أنكرتم ذلك كنتم تعدون الدنيا طويلا ولو علمتم أن لبثكم في الآخرة لا نهاية له لأصلحتم أعمالكم في الدنيا ولتقربتم بها الى الله تعالى وقرأ الاخوان قل كم لبثتم قل ان لبثتم بالأمر في الموضعين خطاب للملك وابن كثير كالاخوين في الموضع الاول فقط والباقون قال بالماضي في الموضعين (أفحسبتم أنما خلقناكم

(وكنا قوما ضالين) أقروا على أنفسهم بالضلال وقوله (اخسأوا) أي تباعدوا تباعد سخط عليكم وقوله (فاتخذتموهم سخريا) أي سخرتم منهم واستهزأتم (حتى أنسوكم ذكري) لاشتغالكم بالاستهزاء بهم (اني جزيتهم اليوم) أي قابلت عملهم بما يستحقون من الثواب (بما صبروا) أي على أذاكم (أنهم هم الفائزون) أي الناجون من النار (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين) قال الله تعالى لمنكري البعث اذا بعثهم كم لبثتم أي في قبوركم وهذا سؤال توبيخ لهم لانهم كانوا ينكرون أن يبعثوا من قبورهم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) وذلك أن العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب فاستقصروا مدة لبثهم فلذلك قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم (فاسئل العادين) أي فاسئل الملائكة الذين يحفظون عدد ما لبثنا (قال ان لبثتم الا قليلا) أي ما لبثتم الا قليلا وان طال لبثكم في النار (لو أنكم كنتم تعلمون) أي مقدار لبثكم في القبور وذلك انهم لم يعلموا ذلك حيث قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فقيل لهم لو كنتم تعلمون ذلك كان قليلا لا عند طول لبثكم في النار (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا)

عبثا) أى ألم تعلموا ياأهل مكة شيئا فحسبتم أنما خلقناكم لاجل العبث بل لحكمة بالغة فخلقناكم بلا معنى يضركم أو ينفعكم حتى عشتم كما تعيش البهائم فما تقربتم الينا بالأعمال الصالحة حتى أنكرتم البعث (وأنكم الينا لاترجعون) فلولا القيامة لما تميز المطيع من العاصى والصديق من الزنديق فخلقكم بغير بعث من نوع العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله) أى تبرأ الله عن العبث وعن خلو أفعاله عن المصالح والغايات الحميدة (الملك) أى المتصرف فى كل شئ (الحق) أى الثابت الذى لايزول ملكه (لااله الا هو) فان كل ما عداه عبيده (رب العرش الكريم) أى مالك السرير الحسن وقرئ الكريم بالرفع صفة لرب أى الجامع لصفات الكمال (ومن يدع مع الله الها آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه) وقوله لابرهان صفة لازمة لالها وقوله فانما جواب الشرط أى ومن يعبد الها آخر لاحجة له بعبادته فهو تعالى مجازله فى الآخرة بقدر مايستحقه و يبلغ عقابه الى حيث لايقدر أحد على حسابه الا الله تعالى (انه لايفلح الكافرون) والجمهور على كسر همزة انه على الاستئناف المفيد للعلة وقرأ الحسن وقتادة بفتح الهمزة فيكون خبر حسابه المعنى حسابه فى الآخرة عدم الفلاح (وقل) ياأكرم الرسل (رب اغفر) أى تجاوز عنى وعن أمتى (وارحم) أمتى فلا تعذبهم (وأنت خير الراحمين) أى أرحم الراحمين وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

﴿ سورة النور مدنية وهى أربع وستون آية. وألف وثلاثمائة
وست عشرة كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وثمانون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم سورة) قرأ العامة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هذه الآيات الآتى ذكرها سورة وقرأ الحسن بن عبد العزيز وعيسى الثقفى وعيسى الكوفى ومجاهد وأبو حيوة بالنصب بفعل يفسره مابعده أو بفعل آخر نحو اقرأوا أو اتبعوا (أنزلناها) أى أعطيناها الرسول (وفرضناها) أى أوجبنا مافيها من الاحكام ايجابا قطعيا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء لكثرة المفروض عليهم (وأنزلنا فيها) أى فى أثناء السورة (آيات) نيطت بها الأحكام المفروضة (بينات) أى واضحة دلالتها على أحكامها كبراءة الصديقة ابنة الصديق (لعلكم تذكرون) أى تتذكرونها فتعلمونها وقرأ حفص وحمزة والكسائى بتخفيف الذال وحذف احدى التاءين والباقون بالتشديد (الزانية) أى المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه (والزانى) وهما بكران (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أى ضربة وجملة فاجلدوا خبر المبتدا والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التى زنت والذى زنى وقرأ عيسى الثقفى ويحيى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبو جعفر وأبو شيبة بنصب الاسمين على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ والزان بلا ياء (ولاتأخذكم بهما رأفة) أى رحمة (فى دين الله) أى فى طاعة الله واقامة حده فتعطلوه أو تسامحوه وقرأ العامة رأفة هنا وفى الحديد بسكون الهمزة وابن كثير بفتحها وقرأ ابن جريج كما روى عن ابن كثير وعاصم بمد الهمزة على وزن سحابة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحدود سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم منى فيؤمر به الى النار و يؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبى هريرة اقامة حد بأرض خير من مطر أربعين ليلة

عبثا) أى بالعبث والباطل لا لحكمة من ثواب الله للمطيع وعقابه للعاصى وقيل عبثا أى للعبث حتى تعبثوا وتغفلوا وتلهوا وقوله (رب العرش الكريم) أى السرير الحسن (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) أى لاحجة له بما يفعل من عبادته غير الله (فانما حسابه عند ربه) أى جزاؤه عند الله فهو يجازيه بما يستحقه (انه لايفلح الكافرون) أى لايسعد المكذبون ثم أمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين و يسأل لهم الرحمة فقال (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

﴿ تفسير سورة النور ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سورة) أى هذه سورة (أنزلناها وفرضناها) أى ألزمنا العمل بما فرض فيها (الزانية والزانى) اذا كانا حرين بالغين غير محصنين (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة) أى رقة ورحمة فتعطلوا الحدود وتخففوا الضرب حتى لايؤلم وقوله (فى دين الله) أى فى حكم الله

(وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أى وليحضر ندباحدهما جمع يحصل به التشهير والزجروعن ابن عباس هم أربعة الى أربعين رجلا من المصدقين بالله تعالى (الزانى لاينكح الازانية أومشركة والزانية لاينكحها الازان أومشرك) وهذا كما قال القفال المراد منه الاعم الاغلب وذلك لأن الفاسق الخبيث الذى من عادته الزنا والفسق لايرغب فى نكاح الصوالح من النساء وانمايرغب فى فاسقة أوفى مشركة والفاسقة الخبيثة لايرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وانما يرغب فيها الفسقة والمشركون فهذا على الاعم الاغلب كما يقال لايفعل الخير الا الرجل التقى وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقى فكذاههنا (وحرم ذلك على المؤمنين) أى ان صرف الرغبة بالكلية الى الزوانى وترك الرغبة فى الصالحات محرم على المؤمنين أى الحصر المذكور وهوان الزانى لايرغب الافى الزانية محرم عليهم ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية وهذاهو المعتمد فى تفسير هذه الآية قال مجاهد وعطاء بن أبى رباح وقتادة قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء ليس لهم أموال ولا عشائر وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة على بابها كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية وكان لايدخل عليها الا زان أومشرك فرغب فى كسبهن ناس من فقراء المهاجرين وقالوا نتزوج بهن الى أن يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فتقدير الآية أولئك الزناة لاينكحون الاتلك الزوانى وتلك الزوانى لاينكحهن الا أولئك الزناة وحرم نكاحهن بأعيانهن على المؤمنين فالألف واللام فى قوله الزانى وفى قوله المؤمنين وان كانت للعموم ظاهرا لكنه ههنا مخصوص بالاقوام الذين نزلت فى حقهم هذه الآية. ودليل جواز نكاح الزانية ماروى عن جابر أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امرأتى لاتمنع يد لامس قال طلقها قال فانى أحبها وهى جميلة قال استمتع بها (والذين يرمون المحصنات) أى يقذفون الحرائر المسلمات المكلفات العفائف بالزنا (ثم لم يأتوا) الى الحكام (بأربعة شهداء) ذكور يشهدون على صحة مارموهن به (فاجلدوهم) أيها الحكام (ثمانين جلدة) لظهور كذبهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء (ولاتقبلوا لهم شهادة) أى لاتقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمى (أبدا) أى مدة حياتهم وان تابوا وأصلحوا لان رد الشهادة منهم تتمة للحد لمافيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن فان القاذف قد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه وفائدة قوله تعالى لهم تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمى وهو السر فى قبول شهادة الكافر المحدود فى القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت له بعد اسلامه فلايتناولها الرد (وأولئك هم الفاسقون) أى المحكوم عليهم بالفسق (الا الذين تابوا من بعد ذلك) أى من بعد اقترافهم ذلك الذنب العظيم (وأصلحوا) أعمالهم بعد التوبة (فان الله غفور رحيم) فحينئذ لاينظمهم فى سلك الفاسقين ومحل المستثنى نصب لانه عن مثبت وهو راجع الى الفسق فقط كما قال أبو حنيفة ان الفاسق لاتقبل شهادته وان تاب أوهذا الاستثناء راجع الى رد الشهادة والى الفسق كما هو مذهب مالك والشافعى وكما يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وجمع من الصحابة فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير فى لهم فعند الشافعى ان التائب تقبل شهادته ويزول فسقه ومعنى الابد عنده مدة كونه قاذفا فتنتهى بالتوبة قال الشافعى التوبة من القذف اكذابه نفسه كما روى عن عمر بن الخطاب أنه ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته

(وليشهد عذابهما) أى وليحضر عذابهما أى جلدهما (طائفة) أى نفر (من المؤمنين الزانى لا ينكح) الآية نزلت فى فقراء من المهاجرين هموا أن يتزوجوا بغايا كن بالمدينة لعلتهم فأنزل الله تحريم ذلك لأنهن كن زانيات ومشركات وبين أنه لايتزوج بهن الا زان (أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) أى فان ذلك حرام على المؤمنين (والذين يرمون) بالزنا (المحصنات) أى الحرائر العفائف (ثم لم يأتوا) على ما رموهن به (بأربعة شهداء) يشهدون عليهن بذلك (فاجلدوهم) أى الرامين (ثمانين جلدة) يعنى كل واحد منهم (ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا) أى لاتقبل شهادتهم اذا شهدوا لانهم فسقوا برمى المحصنة الا أن يرجعوا أو يكذبوا أنفسهم ويتركوا القذف فحينئذ تقبل شهادتهم لقوله تعالى (الاالذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم

ومن لا يفعل لم أجز شهادته فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا وكان عمر يقبل شهادتهما وأما أبو بكرة فكان لا يقبل شهادته وما أنكر على عمر أحد من الصحابة وتوافق الأئمة الأربعة على عدم رجوع الاستثناء الى قوله تعالى فاجلدوهم فالقاذف يجلد عند الجميع سواء تاب أو لم يتب (والذين يرمون أزواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم) بدل من شهداء أو صفة لها على أن الا بمعنى غير أو وجدت البينة ولكن لم يريدوا اظهارها (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) وقرأ حفص وحمزة والكسائي برفع أربع خبر لشهادة وبالله متعلق بشهادات والباقون بنصب أربع على انه مفعول مطلق والعامل فيه شهادة وهو خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب شهادة أو مبتدأ محذوف الخبر أي فشهادة كل واحد منهم واجبة (والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا وقرأ نافع بسكون نون أن ورفع لعنة والباقون بتشديد النون ونصب لعنة وهو خبر والخامسة أو بدل منها أو على تقدير حرف الجر أي بأن لعنة الله ويجوز أن تكون الخامسة معطوفا على المبتدا فالخبر المحذوف خبر عن المعطوف والمعطوف عليه وجملة والخامسة أن لعنة الله الخ معترضة بين المبتدا وخبره المحذوف وقرئ والخامسة بالنصب على معنى ويشهد الخامسة كما قاله الرازي (ويدرأ عنها العذاب) أي يدفع عن المقذوفة حد الزنا الذي ثبت بيمين القاذف (أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة أن غضب الله عليها ان كان) أي زوجها (من الصادقين) فيما قال عليها وقرأ حفص والخامسة بالنصب أي وتشهد الشهادة الخامسة وما بعدها بدل منها أو على تقدير حرف الجر والباقون بالرفع وما بعدها خبرها وقرأ نافع ان بالسكون وغضب الله بكسر الضاد وضم الجلالة على انه فعل وفاعل والباقون بتشديد أن وقرئ غضب بالرفع مع تخفيف ان روى أن هلال بن أمية قذف امرأته بالزنا عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سمحاء فقال صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم حتى بلغ ان كان من الصادقين فلما سري عنه قال صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا قال قد كنت أرجو ذلك من الله تعالى فقرأ عليهم هذه الآيات فقال صلى الله عليه وسلم ادعوها فدعيت فكذبت هلالا فقال صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان أحدكما كاذب فهل منكما تائب وأمر بالملاعنة فشهد هلال أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال صلى الله عليه وسلم عند الخامسة اتق الله يا هلال فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد الخامسة ثم قال رسول الله أتشهدين فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فلما أخذت في الخامسة قال لها اتقي الله فان الخامسة هي الموجبة فتفكرت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي وشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ثم قال انظروها فان جاءت به أثيبج أصهب أحمش الساقين فهو لهلال وان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سمحاء فجاءت به كذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) لكان ما كان أي لولم يشرع الله لهم اللعان لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر انه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضيحة ولأنه أعرف بحال زوجته وانما أوجب الله لهم أربعة شهداء الستر على من اقترف الكبائر وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل أيمانه موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل أيمانها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له فجعل أيمان كل منهما دارئة للعائلة الدنيوية مع كذب أحدهما حتما وفي ذلك آثار التفضل والرحمة أما على الصادق

(والذين يرمون أزواجهم) أي يقذفونهن بالزنا (ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم) أي يشهدون على صحة ما قالوا الا هم (فشهادة أحدهم أربع شهادات) أي مرات انه صادق فيما قذفها به يسقط عنه الحد ثم يقول في الخامسة (أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فاذا فعل الزوج هذا وجب الحد على المرأة ويسقط عنها ذلك أن تشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما قذفني به أربع مرات وذلك قوله (ويدرأ عنها العذاب) أي يدفع عنها عقوبة الحد والخامسة أن تقول وعلى غضب الله ان كان من الصادقين (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) وجواب لولا محذوف على تقدير لفضحكم بارتكاب الفاحشة ولعاجلكم بالعقوبة ولكنه (تواب) يقبل التوبة ويرحم من يرجع عن السيئة (حكيم) فيما فرض من الحدود

فظاهر وأما على الكاذب فهو امهاله فى الدنيا بدرء الحد عنه لعله يتوب فى الدنيا فغفرله . وكما ستر الله عليهم فى الدنيا ولم يفضحهم باظهار صدقهم وكذبهم وأجلهم بالعقوبة الى الآخرة لدرك التوبة فى الدنيا كذلك جعل سنة اللعان باقية بين المسلمين لتكون الحكمة باقية بينهم سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته (ان الذين جاءوا بالافك) أى بأبلغ الكذب (عصبة منكم) أى جماعة من المؤمنين وهم زيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وعباد بن المطلب وحمنة بنت جحش وهى زوجة طلحة بن عبيد الله . والعصبة خبر ان وهى من العشرة الى الأربعين (لاتحسبوه) الافك (شرا لكم) والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم فان قصة الافك كانت فى حق النبى ﷺ وفى حق عائشة وأبويها وفى حق جميع الصحابة امتحانا لهم وتهذيبا فان البلاء للاولياء كاللهب للذهب كما قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الامثل فالامثل وقال صلى الله عليه وسلم يبتلى الرجل على قدر دينه أى وذلك لأن الله غيور على قلوب خواص عباده المحبوبين فاذا حصلت مساكنة بعضهم الى بعض أجرى الله تعالى ما يرد كل واحد منهم عن صاحبه ويرده الى حضرته وان النبى صلى الله عليه وسلم لما قيل له أى الناس أحب اليك قال عائشة فساكنها وقال ياعائشة حبك فى قلبى كالعقدة وفى بعض الأخبار أن عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله انى أحبك وأحب قربك اه فأجرى الله تعالى حديث أهل الافك حتى رد الله رسوله عن عائشة الى الله تعالى بانحلال عقدة حبها عن قلبه ورد عائشة عنه صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى حتى قالت لما ظهرت براءة ساحتها بحمد الله لا بحمدك ● وقصة الافك ان عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها معه فأقرع بيننا فى غزوة قبل غزوة بنى المصطلق فخرج فيها اسمى فخرجت معه صلى الله عليه وسلم وذلك بعد نزول آية الحجاب فحملت فى هودج فسرنا حتى اذا رجعنا وقربنا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودى بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقدى من جزع اظفار قد انقطع فرجعت والتمسته وحبسنى طلبه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فحملوا هودجى فظنوا أنى فى الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى فلما رجعت لم أجد فى المكان أحدا فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فلما رآنى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهى بجلبابى والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه فنزل حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها ثم قاد البعير حتى أتينا الجيش فتفقدنى الناس حين نزلوا وماج وا فى ذكرى فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس فى حديثى والذى بدأ بالافك وأذاعه بين الناس عبد الله بن أبى فقدمنا المدينة فلحقنى وجع ولم أر من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أعرفه منه حين أشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فلا أشعر بما جرى من الأفك حتى نقهت فخرجت فى بعض الليالى مع أم مسطح جهة المناصع وكان متبرزنا ثم أقبلت أنا وهى قبل بيتى فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أوما بلغك الخبر فقلت وما هو فقالت أشهد أنك من المؤمنات الغافلات ثم أخبرتنى بقول أهل الأفك فازددت مرضا على مرضى ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كيف تيكم فقلت له ائذن لى أن آتى أبوى فأذن لى فأتيت أبوى فقلت لأمى يا أماه ماذا يتحدث الناس فقالت يابنية هونى عليك فوالله ما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها ثم قالت

(ان الذين جاءوا بالافك) بالكذب على عائشة رضى الله عنها وصفوان (عصبة) أى جماعة (منكم) يعنى حسان بن ثابت ومسطحا وعبد الله بن أبى المنافق وحمنة بنت جحش (لا تحسبوه) أى لاتحسبوا ذلك الافك (شرا لكم بل هو خير لكم) لأن الله يؤجركم على ذلك ويظهر براءتكم

ألم تكونى علمت ماقيل فيك حتى الآن فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت فدخل على أبى وأنا أبكى فقال لأمى مايبكيها قالت لم تكن علمت ماقيل فيها حتى الآن فأقبل يبكى ثم قال اسكتى يابنية فمكثت يومى ذلك لايرقأ لى دمع وأبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى اذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى منذ قيل فى ماقيل ثم قال أما بعد ياعائشة بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته فاض دمعى ثم قلت لأبى أجب عنى رسول الله فقال والله ما أدرى ما أقول فقلت لأمى أجيبى عنى رسول الله فقالت والله ما أدرى ما أقول فقلت والله لقد علمت أنكم قد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم وصدقتم به فان قلت لكم انى بريئة لاتصدقونى وان اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى بريئة منه لتصدقونى والله لاأجد لى ولكم مثلا الا ماقال العبد الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشى والله أنا أعلم ان الله يبرئنى وكنت أرجو أن يرى رسول الله فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله ماقام رسول الله من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله الوحى على نبيه فوالله ماسرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت أن نفس أبوى ستخرجان فرقا من أن يأتى الله بتحقيق ماقال الناس فلما سرى عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشرى ياعائشة قد برأك الله فقلت بحمد الله لابحمدك ولا بحمد أصحابك فقالت أمى قومى اليه فقلت والله لاأقوم اليه ولاأحمد أحدا الا الله الذى أنزل براءتى قالت ولما نزل عذرى قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل ضرب الحد على عبدالله بن أبى ومسطح وحمنة وحسان (لكل امرئ منهم) أى على كل امرئ من أولئك العصبة (ما اكتسب من الاثم) أى جزاؤه فقدر العقاب يكون مثل قدر الخوض فى الاثم وصار حسان أعمى أشل اليدين فى آخر عمره ومسطح بن أثاثة وابن خالة أبى بكر الصديق مكفوف البصر وجلدت معهما امرأة من قريش (والذى تولى كبره منهم) أى الذى تحمل أكثر الافك من أولئك العصبة فابتدأ به ورغب فى اشاعته وهو عبدالله بن أبى (له عذاب عظيم) فى الآخرة بالنار وفى الدنيا باللعن وبالطرد وبأنه مشهود عليه بالنفاق (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين) أى هلا ظننتم بأمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم خيرا حين سمعتم الافك ولم تقولوا حينئذ هذا افك ظاهر فكيف بالصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله ﷺ كما روى ان أبا أيوب الأنصارى قال لأم أيوب ألاترين مايقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله ﷺ سوءا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ماخنت رسول الله ﷺ فعائشة خير منى وصفوان خير منك (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) أى هلا أتوا على ماقالوا بأربعة شهداء عاينوا الزنا (فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) أى فحين لم يقيموا بينة على ماقالوا فأولئك الخائضون فى حكمه تعالى هم الكاملون فى الكذب (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) أى ولولا فضل الله عليكم أيها السامعون والمسمعون ورحمته فى الدنيا بالامهال للتوبة وفى الآخرة بالمغفرة بعد التوبة لأصابكم عاجلا بسبب حديث الافك الذى خضتم فيه عذاب عظيم (اذ تلقونه بألسنتكم) أى وقت أخذكم حديث الافك من المخترعين حتى اشتهر بسبب افاضتكم (وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم) أى تقولون بأفواهكم كلاما ليس تفسيرا عن علم فى قلوبكم (وتحسبونه) أى حديث الافك (هينا) أى ذنبا صغيرا أولا اثم فيه حيث سكتم عن انكاره (وهو

(لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اجترح من الذنب (والذى تولى كبره) أى تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وهو عبدالله بن أبى (لولا) أى هلا (اذ سمعتموه) يعنى الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات) رجع من الخطاب الى الخبر والمعنى ظننتم أيها المؤمنون بالذين هم كأنفسكم خيرا والمؤمنون كلهم كالنفس الواحدة وقلتم (هذا افك مبين) أى كذب ظاهر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم) أى لأصابكم (فيما أفضتم) أى خضتم فيه من الافك (عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم) أى تأخذونه ويرويه بعضكم عن بعض (وتحسبونه هينا) أى وتظنونه سهلا وهو كبير عند الله تعالى (ولولا) أى هلا (اذ سمعتموه) أى سمعتم هذا الكذب (قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا

عند الله) أى والحال ان حديث الافك عنده تعالى (عظيم) فى الوزر واستجرار العذاب (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) أى وهلا قلتم تكذيبا للمخترعين والمشيعين حين سمعتم حديث الإفك مايليق لنا أن نتكلم بهذا القول وأن يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه (سبحانك) أى أتعجب ممن تفوه بهذا الكلام فانه أمر عظيم وأنزه الله تعالى عن أن تكون زوجة نبيه فاجرة (هذا بهتان عظيم) أى كذب عظيم عند الله تعالى لعظمة المتقول عليه ولاستحالة صدق هذا القول (يعظكم الله) بهذه المواعظ التى تعرفون بها عظم هذا الذنب كراهة (أن تعودوا لمثله أبدا) أى مدة حياتكم (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان وازع عنه (و يبين الله لكم الآيات) أى لأجلكم الآيات الدالة على محاسن الآداب دلالة واضحة لتتأدبوا بها (والله عليم) بجميع أحوال عباده (حكيم) فى جميع تدابيره وأفعاله (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا) أى ان الذين يريدون انتشار الخصلة المفرطة فى القبح فيما بين الناس فالجار متعلق بتشيع أومتعلق بمضمر هو حال من الفاحشة أى ان العصبة الذين يقصدون شيوع الفاحشة كائنة فى حق المؤمنين عائشة وصفوان (لهم عذاب أليم فى الدنيا) من الحد واللعن والعداوة من الله والمؤمنين ولقد ضرب رسول الله ﷺ عبد الله بن أبى فظهر كفره بعد ان كتمه وضرب رسول الله ﷺ حسانا ومسطحا حد القذف وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف فكف بصره (والآخرة) من عذاب القبر وعذاب النار وبما يعلمه الله تعالى فالحدود جوابر للذنب المحدود به كالقذف وأما ذنب الاقدام فلا يكفره الا التوبة وعذاب الآخرة لعبد الله بن أبى خاصة (والله يعلم) جميع الأمور ومن جملتها محبة ظهور الفاحشة (وأنتم لاتعلمون) مايعلمه الله تعالى لأن محبة القلب كامنة فالله تعالى لايخفى عليه شىء وان بالغ العبد فى اخفاء تلك المحبة فهو يعلم ذلك منه و يعلم قدر الجزاء منه أما نحن فلا نعلم محبة القلب الا بالأمارات (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بكم (وأن الله رؤف رحيم) لهلكتم (يأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) أى لاتتبعوا آثار الشيطان ولا تسلكوا مسالكه فى الاصغاء الى الافك واشاعة الفاحشة فى المؤمنين (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) أى ومن يتبع طرق تزيين الشيطان فقد فعل القبيح ومالايعرف فى شريعة ولا فى سنة لأن عادته يأمر بهما (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بالتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب و بشرع الحدود المكفرة لها (مازكى منكم من أحد أبدا) أى ماطهر أحد منكم من دنس الذنوب الى آخر الدهر فان العصبة قد تابوا وطهروا غير عبد الله بن أبى فانه استمر على الشقاوة حتى مات وقرأ يعقوب وابن محيصن مازكى بتشديد الكاف أى ماطهر الله تعالى أحدا من أولئك العصبة من تلك الذنوب أبدا (ولكن الله يزكى من يشاء) أى يطهر من الذنوب بحمله على التوبة و بقبولها (والله سميع) لما أظهروه من التوبة ولأقوالكم فى القذف وفى اثبات البراءة لعائشة (عليم) باخلاصكم فى التوبة و بمحبة اشاعة الفاحشة و بكراهيتها (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) أى ولا يقصر أولوا الفضل فى الدين والسعة فى المال فى أن يحسنوا اليهم كذا قاله أبو مسلم كما روى عن أبى عبيدة والمعنى عند أكثر المفسرين ولا يحلف أولوا الفضل منكم فى الدين و بالبذل والغنى بالمال على أن لاينفقوا عليهم وعلى أن لايعطوهم وقرأ الحسن ولايتأل (وليعفوا) أى وليتجاوزوا عن الخائضين فى الافك بالظاهر (وليصفحوا) أى ليعرضوا عن لومهم بالقلب بأن يتناسوا اجرامهم وقرىء الأفعال الثلاثة بتاء الخطاب (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) قال المفسرون نزلت هذه الآية فى أبى بكر حيث حلف أن لاينفق على مسطح وهو ابن خالته وكان

وصنتم ألسنتكم عن الخوض فيه (يعظكم الله أن تعودوا) كراهة أن تعودوا (لمثله) أى لمثل هذا الافك (أبدا ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) أى يفشوا الزنا (فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم) وهم المنافقون كانوا يشيعون هذا الكذب و يطلبون العنت للمؤمنين وأن يكثر فيهم الزنا (ولولا فضل الله عليكم و رحمته) لعجل لكم الذى تستحقونه من العقوبة (ولولا فضل الله عليكم و رحمته مازكى) أى ماصلح وطهر من هذا الذنب أحد منكم يعنى من الذين خاضوا فيه (ولكن الله يزكى) أى يطهر (من يشاء) من الاثم والذنب بالرحمة والمغفرة (ولا يأتل) أى ولا يحلف (أولوا الفضل منكم والسعة) يعنى أبا بكر الصديق رضى الله عنه (أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) يعنى مسطحا وكان مسكينا مهاجرا ابن خالة أبى بكر وكان قد حلف لاينفق عليه ولا يؤتيه شيئا (وليعفوا وليصفحوا) عنهم أى عن خوضهم فى حديث عائشة (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه

من

من فقراء المهاجرين وقد كان يتيمافي حجره وكان ينفق عليه وأن لاينفق على ذوي قرابته لما خاضوا في أمر عائشة فلما نزلت الآيات التي أبرأت عائشة من الافك قال لهم أبو بكر قوموا فلستم مني ولست منكم ولايدخلن أحد منكم على فقال مسطح ننشدك الله والاسلام والقرابة أن لاتحوجنا الى أحد فما كان لنا في أول الامر من ذنب وانما كنت أغشى مجلس حسان وأسمع ولاأقول فقال لمسطح ان لم تتكلم فقد ضحكت وشاركت فيما قيل فقال قد كان ذلك تعجبا من قول حسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا أيها القوم فان الله لم يجعل لكم عذرا ولافرجا فخرجوا لايدرون أين يذهبون وأين يتوجهون من الارض و بعض الصحابة أقسموا أن لايتصدقوا على من تكلم بشيء من الافك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال بلى يارب اني أحب أن تغفر لي فذهب أبو بكر الى بيته وأرسل الى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله تعالى على الرأس والعين وانما فعلت بكم مافعلت اذ سخط الله عليكم أما اذ عفا عنكم فمرحبا بكم فرجع الى مسطح نفقته وحلف أن لاينزعها منه أبدا والطف بقرابته وأحسن اليهم وهذا من أعظم أنواع المجاهدات فان مجاهدة النفس أشد من مجاهدة الكفار (ان الذين يرمون المحصنات) أي العفائف من الفاحشة (الغافلات) أي النقيات القلوب (المؤمنات) أي المتصفات بالايمان بكل مايجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا وهن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعنوا في الدنيا والآخرة) أي عذبوا في الدنيا بالحدود في الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهو عذاب الكفر فان كان القذفة مؤمنين فذلك الابعاد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبة العدالة وضرب الحد (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) فان الله تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها (يومئذ) أي يوم اذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة (يوفيهم الله دينهم الحق) أي يعطيهم الله جزاء عملهم المقطوع بحصوله لهم (و يعلمون) عند معاينتهم الأهوال (أن الله هو الحق المبين) أي الثابت في ذاته وصفاته وكلماته المثبتة عن الشؤون التي يشاهدونها المظهر للأشياء كما هي في أنفسها (الخبيثات للخبيثين) أي النساء الخبيثات مختصات بالرجال الخبيثين (والخبيثون للخبيثات) أي والخبيثون لائقون بالنساء الخبيثات ويقال المقالات الخبيثة من القذف مختصة بالخبيثين من أهل الافك من الرجال والنساء ويقال المقالات الخبيثة من اللعن والشتم ونحو ذلك مختصة بهم (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أي والنساء الطيبات للرجال الطيبين و بالعكس أو المعنى والكلمات الطيبات من قول منكري الافك للطيبين من الرجال والنساء و يقال والطيبون من الفريقين لائقون بالكلمات الحسنة وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيبين وأفضل الاولين والآخرين تبين كون زوجاته أطيب الطيبات بالضرورة (وأولئك) أي أهل البيت (مبرأون مما يقولون) أي مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلمات فالله تعالى برأ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من الأكاذيب الباطلة لكيلا يفتتح فيهن أحد كما أقدموا على عائشة ونزه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمثال هذا الامر فلا أحد أطهر منه فأزواجه اذا لايجوز أن يكن الا طيبات (لهم مغفرة) أي براءة من الله (ورزق كريم) في الآخرة وهذه الجملة خبر ثان لأولئك و يجوز أن يكون لهم خبر أولئك ومغفرة فاعله (يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أي التي تسكنونها (حتى تستأنسوا) أي تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لاوحتى يؤذن لكم (وتسلموا على أهلها) عند الاستئذان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان التسليم أن يقول السلام عليكم أ أدخل

(ان الذين يرمون المحصنات الغافلات) عن الفواحش أي كغفلة عائشة عما قذفت به (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالجلد (و) في (الآخرة) بالنار (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب (و يعلمون أن الله هو الحق المبين) لانه بين لهم حقيقة ما كان يعدهم به في الدنيا (الخبيثات) من القول وقيل من النساء (للخبيثين) من الرجال (والخبيثون) من الناس (للخبيثات) من القول وقيل من النساء (والطيبات) من القول وقيل من النساء (للطيبين) من الناس (والطيبون) من الناس (للطيبات) من القول وقيل من النساء (أولئك) يعني عائشة وصفوان (مبرأون مما يقولون) أي مما يقوله أهل الخبث والقاذفون (يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا (وتسلموا على أهلها) وهو أن يقول السلام عليكم أدخل

ثلاث مرات فان أذن له دخل والا رجع (ذلك خير لكم) أى التسليم مع الاستئناس خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن وفى الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر (لعلكم تذكرون) أى أمرتم بهذا التأديب لكى تتذكروا به وتعملوا به وقرأ حمزة والكسائى وحفص بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وسبب نزول هذه الآية أن امرأة من الأنصار قالت يارسول الله انى أكون فى بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتى الأب فيدخل على وانه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحال فنزلت هذه الآية فقال أبو بكر يارسول الله أفرأيت الخانات والمساكن فى طرق الشام ليس فيها ساكن أفلا ندخلها الا باذن فأنزل الله ليس عليكم جناح الآية (فان لم تجدوا فيها) أى البيوت (أحدا) ممن يملك الاذن (فلا تدخلوها) واصبروا (حتى يؤذن لكم) من جهة من يملك الاذن عند اتيانه واستثنى ما اذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوه (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أى ان أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع فارجعوا سواء كان الأمر ممن يملك الاذن أولا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى أن يأتى الاذن (ذلكم) أى الرجوع (أزكى لكم) أى أصلح لكم من الوقوف على أبواب الناس لانه قد يكرهه صاحب الدار (والله بما تعملون) من الدخول باذن و بغيره (عليم) فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح) أى اثم (أن تدخلوا) بغير استئذان (بيوتا غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس (فيها متاع لكم) أى حق انتفاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الأمتعة والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) من قصد صلاح أو فساد أو اطلاع على عورات فى دخول هذه المواضع (قل للمؤمنين) ومقول القول أمر قد حذف لدلالة جوابه عليه أى قل لهم غضوا (يغضوا من أبصارهم) أى يكفوا أبصارهم عن الحرام من زائدة أو للتبعيض لان الغالب ان الاحتراز عن النظرة الاولى لا يمكن فوقع عفو قصد أو لم يقصد ولا يجوز أن يكرر النظر الى الأجنبية لقوله ﷺ ياعلى لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى وليست لك الآخرة (و يحفظوا فروجهم) عن الحرام (ذلك) أى غض البصر عن محله وحفظ الفرج (أزكى لهم) أى أبعد لهم عن دنس الريبة وأصلح من كل شئ نافع (ان الله خبير بما يصنعون) من اجالة النظر وتحريك الجوارح للحظوظ والحقوق وقدم الأمر بمنع البصر على الأمر بحفظ الفرج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أكثر (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه (و يحفظن فروجهن) بالتصون عن الزنا (ولا يبدين زينتهن) وهى ثلاثة أمور أحدها الثياب وثانيها الحلى كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط وثالثها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة فى حاجبيها والغمرة فى خديها والحناء فى كفيها وقدميها (الا ما ظهر منها) عند مزاولة الأمور التى لابد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب فى اليدين والغمرة والثياب والسبب فى تجويز النظر اليها ان فى سترها حرجا بينا لان المرأة لابد لها من مناولة الأشياء بيديها والحاجة الى كشف وجهها فى الشهادة والمحاكمة والنكاح وفى ذلك مبالغة فى النهى عن ابداء مواضعها كما لا يخفى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أى وليرخين قناعهن على صدورهن وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتظهر نحورهن وقلائدهن من جيوبهن فأمرن بارسال مقانعهن على الجيوب ليتغطى بذلك أعناقهن ونحورهن (ولا يبدين زينتهن) الخفية المنهية عن ابدائها للأجانب (الا لبعولتهن) فانهن المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا

(فان لم تجدوا فيها) أى فى البيوت (أحدا) يأذن لكم فى دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا) أى انصرفوا (فارجعوا) ولا تقفوا على أبوابهم (هو) أى الرجوع (أزكى) أطهر وأصلح (لكم) فلما نزلت هذه الآية قيل يارسول الله أفرأيت الخانات والمساكن فى الطرق ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) بغير استئذان (فيها متاع لكم) أى منفعة لكم من قضاء حاجة أو نزول وغيره (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أى يكفوها عن النظر الى ما لا يحل (ويحفظوا فروجهم) عما لا يحل وقيل يستروها حتى لا تظهر وقوله (ولا يبدين زينتهن) يعنى الخلخالين والقرطين والقلائد والدمالج ونحوها مما يخفى (الا ما ظهر منها) وهو الثياب والكحل والخاتم والخضاب والسوار فلا يجوز للمرأة أن تظهر الا وجهها و يديها الى نصف الذراع (وليضربن بخمرهن) أى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهن (ولا يبدين زينتهن) يعنى الزينة الخفية لا الظاهرة (الا لبعولتهن) يريد أزواجهن وقوله (أو نسائهن) يعنى النساء المؤمنات ولا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدى امرأة مشركة

الى

الى جميع بدنهن حتى للوضع المعهود ولـكنه يكره نظره (أو آبائهن) وان علون من جهة الذكران والأناث (أو آباء بعولتهن أو أبنائهن) فى النسب أو اللبن (أو أبناء بعولتهن) من غيرهن وان سفلوا (أو اخوانهن) فى النسب أو اللبن (أو بنى اخوانهن) كذلك (أو بنى اخواتهن) كذلك لـكثرة المخالطة الضرورية بينهم و بينهن فلهم أن ينظروا منهن مايبدو عند الخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا من أن يصفوهن لأبنائهن (أو نسائهن) المختصة بهن من جهة الاشتراك فى الدين وهى حرائر المؤمنات (أو ماملـكت أيمانهن) من الاماء دون العبيد فانهم بمنزلة الأجانب من ساداتهم وقيل من الاماء والعبيد فيجوز لهن أن يكشفن لهم ماعدا مابين السرة والركبة و ينظروا له وكذا العكس وذلك بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) أى الذين يتبعون الناس لينالوا من فضل طعامهم ولا حاجة لهم الى النساء لأنهم بله لا يعرفون شيئا من أمورهن أو شيوخ صلحاء هم قد ذهبت شهوتهم اذا كانوا معهن غضوا أبصارهم أو للممسوحون وهم ذاهبوا الذكر والأنثيين وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر غير بالنصب على الاستثناء والحال (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أى الطفل الذين لم يتصوروا عورات النساء ولم يميزوا ماهى لعدم تمييزهم كما قاله ابن قتيبة أو الذين لم يبلغوا ان يطيقوا اتيان النساء كما قاله الفراء والزجاج فيجوز ان يبدين للتابعين والاطفال ماعدا مابين السرة والركبة (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) أى لا يضربن الأرض بأرجلهن ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال ومن فعل ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه ومن فعل ذلك منهن تبرجا للرجال فهو حرام مذموم وكذلك من ضرب بنعله الأرض من الرجال ان فعل ذلك عجبا حرم فان العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرجا لم يحرم (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) أى توبوا من نوع تفريط فى اقامة مواجب التـكاليف كما ينبغى وقال ابن عباس رضى الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة أى فانه وان جب الاسلام لـكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله كما قال بعض العلماء من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره ان يجدد التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه الى أن يلقى ربه وقرأ ابن عامر هنا وفى الزخرف وفى الرحمن بضم الهاء وصلا ووجهه أن الهاء كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين استثقلت الفتحة على حرف خفى فضمت الهاء اتباعا للرسم واتباعا لحركة ماقبلها وقد رسمت هذه الثلاثة دون ألف فوقف أبو عمرو والكسائى بألف والباقون بدونها اتباعا للرسم فالرسم سنة متبعة (وأنـكحوا الايامى منـكم) أى زوجوا أيها الأولياء والسادات من لا زوج له من الاحرار والحرائر (والصالحين) لأمر النـكاح (من عبادكم وامائكم) ليحصن دينهم وهم الذين تنزلونهم منزلة الاولاد فى المودة وفى بذل المال والمنافع وعدم اعتبار الصلاح فى الاحرار والحرائر لان الغالب فيهم الصلاح لمساعدة الأولياء لهم ولانهم مستقلون فى التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم (ان يكونوا) أى الاحرار (فقراء يغنهم الله من فضله) أى لا تنظروا الى فقر أحد الجانبين الخاطب والمخطوبة ففى فضل الله ما يغنى عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب (والله واسع) أى ذو سعة لخلقه (عليم) بمقادير مايصلحهم من الرزق يبسطه لمن يشاء و يضيق (وليستعفف الذين لا يجدون نـكاحا) أى وليجتهد فى قمع الشهوة من لا يتمكنون من الوصول الى النـكاح (حتى يغنيهم الله من فضله) أى فمن لا يتمكن من المال فليطلب العفة عن الحرام ولينتظران يوصله الله الى بغيته

الا اذا كانت المشركة مملوكة لها وهو قوله (أو ماملـكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) يعنى الذين يتبعون النساء يقدمونهن ليصيبوا شيئا لا حاجة لهم فيهن كالخصى والخنثى والشيخ الهرم والأحمق العنين (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لم يقووا عليها (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) أى لا يضربن باحدى الرجلين الأخرى ليصيب الخلخال الخلخال فيعلم أن عليها الخلخالين لان ذلك يحرك من الشهوة (وتوبوا الى الله جميعا) أى راجعوا طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من الآداب المذكورة فى هذه السورة (وأنـكحوا الأيامى منـكم) أى الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء (والصالحين من عبادكم) أى من (عبيدكم وامائكم) أى جواريكم (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) هذا وعد من الله بالغنى على النـكاح واعلام أنه سبب لنفى الفقر (وليستعفف) أى وليعف عن الحرام من لا يقدر على تزويج امرأة بأن لا يملك المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله

والذين يبتغون) أى يطلبون (الكتاب) أى المكاتبة (مما ملكت أيمانكم) أى من عبيدكم وهو أن يطلب من مولاه أن يبيعه منه بمال معلوم يؤديه اليه فى مدة معلومة فاذا أدى ذلك عتق (فكاتبوهم) أى فأعطوهم مايطلبون من الكتابة (ان علمتم فيهم خيرا) أى اكتسابا للمال الذى يقدرون به على أداء مال الكتابة (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) يعنى حطوا عنهم من المال الذى كاتبتموهم عليه ويستحب ذلك للسيد وهو أن يحط عنه ربع المال وقيل المراد بهذا أن يؤتوا سهمهم من الزكاة (ولا تكرهوا فتياتكم) يعنى اماءكم (على البغاء) أى الزنا نزلت فى عبد الله بن أبى وكانت له جوار يكرههن على الزنا ويأخذ منهن أجرا معلوما (ان أردن تحصنا) قيل ان هذا راجع الى قوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان أردن تحصنا وقيل ان بمعنى اذ والمعنى لاتكرهوهن على الزنا ان أردن التعفف عنه (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) يعنى مايؤخذ من أجورهن (ومن يكرههن) على الزنا (فان الله من بعد اكراههن) لهن (غفور رحيم) والوزر على المكره (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) يعنى القرآن (ومثلا) أى وخبرا وعبرة (من الذين خلوا) أى مضوا (من قبلكم) يعنى ماذكر من قصص القرون الماضية (الله نور السموات والارض) أى بنوره وهداه يهتدى من فى السموات والارض ثم ضرب مثلا لذلك النور الذى يقذفه فى قلب المؤمن حتى يهتدى به فقال (مثل نوره

من النكاح (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم) أى والذين يطلبون المكاتبة من عبيدكم وامائكم ليصيروا أحرارا (فكاتبوهم) أى فصيروهم أحرارا بعقد الكتابة والاسم الموصول منصوب بفعل مقدر يفسره المذكور (ان علمتم فيهم خيرا) أى وفاء بأداء مال الكتابة وصلاحا لايؤذى الناس بعد العتق وهذا لندب الكتابة وليس لشرط الصحة (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أى حطوا أيها السادة عن المكاتبين جزءا من مال الكتابة أو ادفعوا اليهم جزءا مما أخذ منهم وذلك الندب عند مالك وأبى حنيفة والوجوب عند الشافعى وقيل هو أمر باعطاء سهمهم من الزكوات فالأمر للوجوب حتما وقيل هو أمر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم وروى ان غلاما لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح سأله أن يكاتبه فأبى عليه فنزلت هذه الآية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) أى ولا تجبروا اماءكم على الزنا (ان أردن تحصنا) أى تعففا عن الزنا فالتقييد بهذا الشرط لاجل تحقق الاكراه المنهى عنه لانه لايتحقق الا عند ارادة التحصن اما عند ميلهن للزنا فهو باختيارهن فلايتصور الاكراه حينئذ وفائدة الشرط المبالغة فى النهى عن الاكراه أى انهن ان أردن العفة فالسيد أحق بارادتها وفى ذلك اشارة على ان السادة اكراههن على النكاح فليس للامة أن تمتنع على السيد اذا زوجها (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أى لتطلبوا بالاكراه الاموال بكسبهن وأولادهن (ومن يكرههن) على الزنا (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) لهن لأنهن آثمات لان الزنا لايباح باكراه روى انه كان لعبد الله بن أبى رئيس المنافقين ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل ان عبد بن أبى أسر رجلا فراود الأسير جارية عبدالله وكانت الجارية مسلمة فامتنعت لاسلامها وأكرهها ابن أبى على ذلك رجاء ان تحمل من الأسير فيطلب فداء ولده فنزلت هذه الآية (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائى بكسر الياء أى مبينات لكل مابكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك والباقون بفتحها أى موضحات فى هذه السورة من معانى الاحكام والحدود (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى وأنزلنا مثلا كائنا من نوع أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم فى الكتب السابقة والكلمة الجارية على ألسنة الأنبياء عليهم السلام فتنتظم قصة عائشة لقصة يوسف وقصة مريم وسائر الامثال الواردة فى السورة الكريمة انتظاما واضحا ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها وبرأ عائشة بتلك الآيات العظام (وموعظة) تنزجرون عما لاينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب (للمتقين) وهذا حث للمخاطبين على الاغتنام بالانتظام فى سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثار الموعظة المقتبسون من أنوارها ثم ذكر الله تعالى مثلين أحدهما فى بيان أن دلائل الايمان فى غاية الظهور والثانى فى بيان أن أديان الكفرة فى غاية الظلمة أما المثل الأول فقوله تعالى (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس أى الله هادى أهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون فمعنى النور هو الهداية أى ذو نور أى ذو هداية (مثل نوره)

أى صفة النور الفائض من الله تعالى على الأشياء المستنيرة به وهو القرآن (كمشكاة) أى كصفة كوة غير نافذة فى الجدار فى الاضاءة والتنوير (فيها مصباح) أى سراج ضخم ثاقب (المصباح فى زجاجة) أى قنديل من الزجاج الصافى الأزهر (الزجاجة كأنها كوكب درى) أى متلألئ وقاد شبيه بالدرفى صفائه وزهرته (توقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو وبتشديد القاف على صيغة الماضى وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائى بضم التاء الفوقية وسكون الواو على المضارع المبنى للمفعول وعن نافع وحفص بياء كذلك وعن عاصم بياء مضمومة وفتح الواو وتشديد القاف وزيتونة بدل من شجرة ولاشرقية صفة لها أى يبتدئ ايقاد المصباح وفتيلة الزجاجة من زيت شجرة كثيرة المنافع تبرز على جبل عال أو صحراء واسعة فتطلع الشمس عليها حالتى الطلوع والغروب أى تقع الشمس عليها طول النهار لاشرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية وغربية وكان زيتها فى نهاية الصفاء وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة واختيار الفراء والزجاج. وقال ابن عباس فى الزيتون منافع يسرج بزيته وهو ادام ودهان ودباغ ووقود يوقد بحطبه وثفله وليس فيه شئ الاوفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم وهو أول شجرة نبتت فى الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت فى منازل الأنبياء والأرض المقدسة ودعا له سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم فانه قال مرتين اللهم بارك فى الزيت والزيتون (يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار) وهذه الجملة صفة لشجرة أى يقرب زيت تلك الشجرة يضئ بنفسه من غير مساس نار أصلا لصفائه قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه فى قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافى يضئ قبل أن تمسه النار فان الزيت اذا كان خالصا رؤى من بعيد كأن له شعاعا فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاء العلم ازداد نورا على نور وهدى على هدى كقلب ابراهيم عليه السلام من قبل أن تجيئه المعرفة أى قبل أن يخبره أحد بأن له ربا فانه قال هذا ربى فلما أخبره الله بأنه ربه وقال له أسلم زاد هدى وقال أسلمت لرب العالمين (نور على نور) أى نور حاصل بالزيت كائن مع نور بالنار فى قنديل فالزيت نور والقنديل نور والمصباح نور والمشكاة التى هى الطاقة غير النافذة أجمع للنور فيكون فيها أقوى مما لو كانت نافذة فان المصباح اذا كان فى مكان متضايق كان أضوأ وأجمع لنوره بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينتشر فيه فالقنديل أعون على زيادة الانارة وكذلك ضوء الزيت والمعنى ذلك القرآن نور عظيم كائن على نور عظيم متضاعف من غير تحديد كتضاعف نور المشكاة بما ذكر (يهدى الله لنوره من يشاء) أى يهدى الله لنوره المتضاعف وهو القرآن من يشاء هدايته من عباده هداية موصلة الى المطلوب بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته من الاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان فالله تعالى بين الدلائل حتى بلغت فى الوضوح الى الحد الذى لا يمكن الزيادة عليه فوضوح الدلائل لا ينفع ما لم يخلق الله الايمان والعلم (ويضرب الله الأمثال للناس) كافة تقريبا للمعقول من المحسوس (والله بكل شئ عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا (فى بيوت) صفة لمشكاة أى كمشكاة فيها مصباح فى بيت من بيوت الله أو صفة لزجاجة والمعنى ذلك القنديل معلق فى مساجد (أذن الله أن ترفع) أى أمر الله أن تبنى رفيعة وتطهر عن الأنجاس والاقذار وقد كره بعض العلماء تعليم الصبيان فى المساجد ورأى انه من باب البيع وهذا اذا كان بأجرة فلو كان بغير أجرة فلمنع أيضا من وجه آخر وهو ان الصبيان لا يتحرزون عن الأقذار والأوساخ فيؤدى ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وجمروها فى الجمع واجعلوا المطاهر على أبوابها

كمشكاة) وهى الكوة غير النافذة والمراد بها هاهنا الذى وسط القنديل كالكوة توضع فيها الذبالة وهو قوله (فيها مصباح) يعنى السراج (المصباح فى زجاجة) لأن النور فى الزجاجة وضوء النار أبين منه فى كل شئ (الزجاجة كأنها كوكب) لبياضه وصفائه (درى) منسوب الى أنه كالدر (توقد) أى الزجاجة والمعنى المصباح ولكنه حذف المضاف ومن قرأ بالياء أراد به يوقد المصباح (من شجرة) أى من زيت شجرة (مباركة زيتونة لاشرقية) أى ليست مما تطلع عليها الشمس فى وقت شروقها فقط (ولا غربية) أو عند الغروب والمعنى ليس يسترها عن الشمس فى وقت من النهار شئ فهو أنضر لها وأجود لزيتها (يكاد زيتها يضئ) أى لصفائه دون السراج وهو قوله (ولو لم تمسسه نار نور على نور) يعنى نور السراج ونور الزيت ثم قال (يهدى الله لنوره من يشاء) الآية (فى بيوت) أى هذا المصباح بصفاته يوقد فى بيوت يعنى المساجد (أذن الله أن ترفع) أى تبنى وتعظم حرمتها وقوله

الطاهر (ويذكرفيها اسمه) بجميع اذكاره تعالى وقال ابن عباس يتلى فى المساجد كتابه تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم بالبناء للمفعول ونائب الفاعل لفظ له ورجال فاعل لفعل مقدر أو خبر مبتدأ محذوف أى يسبح له رجال أو المسبح رجال والوقف على الآصال حسن والباقون بالبناء للفاعل ورجال فاعل ولا يوقف على الآصال لعدم تمام الكلام والصلاة التى تؤدى فى الغداة صلاة الصبح وفى العشى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقرئ والايصال أى الدخول فى الأصيل (لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة) أى لايشغلهم نوع من أنواع التجارة ولا فرد من أفراد البياعات عن حضور المساجد لطاعة الله وعن أداء الصلاة فى وقتها جماعة روى سالم عن ابن عمر رضى الله عنهم انه كان فى السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر نزلت هذه الآية فى شأنهم وروى عن أبى أمامة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لايقصد الا ذلك كان أجره كأجر المعتمر وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن أحد يغدو ويروح الى المسجد يؤثره على ماسواه الا وله عند الله نزل يعد له فى الجنة وفى رواية سهل بن سعد مرفوعا من غدا الى المسجد وراح ليعلم خيرا وليتعلمه كان كالمجاهد فى سبيل الله يرجع غانما (وايتاء الزكاة) أى وعن اعطاء المال الذى فرض اخراجه للمستحقين قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أى يخافون يوما تتقلب فى ذلك اليوم القلوب بين طمع فى النجاة وخوف من الهلاك وتتقلب الأبصار من أى ناحية يؤمر بهم أمن ناحية اليمين أم من ناحية الشمال ومن أى ناحية يعطون كتابهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال أى فانهم وان بالغوا فى ذكر الله تعالى والطاعات خائفون لعلمهم بأنهم ماعبدوا الله حق عبادته فيخافون صفة ثانية لرجال أو حال من مفعول لاتلهيهم ويوما مفعول به وتتقلب صفته (ليجزيهم الله أحسن ماعملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم بحسب وعده لهم من أن حسنة واحدة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقوله ليجزيهم الله متعلق بمحذوف أى أيفعلون هذه القربات ليجزيهم الله فاللام لام العاقبة والصيرورة (ويزيدهم من فضله) مالم يستحقوه بأعمالهم ومالم يخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أى فالله يعطيهم غير جزاء أعمالهم مما لايفى بالحساب ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على أن مناط الرزق محض مشيئته تعالى وللاعلام بأنهم ممن شاء الله تعالى أن يرزقهم كما انهم ممن شاء الله تعالى أن يهديهم لنوره فان جميع ماذكر من أعمالهم الحسنة مقتبس من القرآن التى هو المراد بالنور وبذلك يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه (والذين كفروا أعمالهم) أى من أنواع البر كصدقة وعتق ووقف ونحو ذلك من كل مالايتوقف على نية (كسراب بقيعه) أى فى أرض منبسطة والسراب مايتراءى فى الفلوات شبيها بالماء الجارى وليس بماء ولكن الذى ينظر اليه من بعيد يظنه ماء جاريا وقيل هو لمعان الشمس على الفلوات يظن أنه ماء يجرى (يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه) أى ويقصد الظمآن ماظنه ماء ولايزال جائيا اليه حتى اذا جاءه (لم يجده شيئا) أصلا كما يراه من قبل فالكافر الذى يأتى بأعمال البر كصلة الرحم وسقاية الحاج وعمارة الكعبة وقرى الاضياف واغاثة الملهوفين يعتقد أن له ثوابا عند الله فاذا مات وأتى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم فعظمت حسرته وتناهى غمه فيشبه حاله حال العطشان الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به ويقوى طمعه فاذا جاءه أيس مما كان يرجوه فيعظم ذلك عليه (ووجد الله عنده) أى وجد واحكم الله عند المجئ

(تتقلب فيه القلوب) أى بين الطمع فى النجاة والحذر من الهلاك (والأبصار) تتقلب فى أى ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال ومن أى جهة يؤتون كتبهم أمن جهة اليمين أم من جهة الشمال (ليجزيهم الله أحسن) أى بأحسن (ما عملوا ويزيدهم من فضله) أى مالم يستحقوه بأعمالهم ثم ضرب مثلا لاعمال الكافرين فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب) وهو مايرى فى الفلوات عند شدة الحر (بقيعة) جمع قاع وهو المنبسط من الأرض (يحسبه الظمآن) أى يظنه العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أى جاء موضعه (لم يجده شيئا) كذلك الكافر يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيئا فاذا أتاه الموت واحتاج الى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيئا (ووجد الله عنده) أى ووجد الله بالمرصاد عند ذلك

يوم القيامة أو وجد الله بالمرصاد عليه (فوفاه حسابه) أى أعطاه جزاء عمله كاملا بالعقاب فتغير ظن النفع العظيم الى تيقن الضرر العظيم وافراد الضمير الراجع الى الذين كفروا لارادة الجنس أو لارادة كل واحد منهم وقد قيل نزلت هذه الآية فى شأن عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد فى الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (والله سريع الحساب) لأنه عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) وروى عن ابن كثير أنه قرأ سحاب وظلمات بالجر على البدل من ظلمات كقراءة قنبل بتنوين سحاب و بجر ظلمات بجعلها بدلا من ظلمات الأولى وروى عن ابن كثير أيضا على اضافة سحاب كقراءة البزى بجعل الموج المتراكم بمنزلة السحاب وقرأ الباقون سحاب وظلمات كلاهما بالرفع والتنوين و يغشاه صفة ثانية لبحر وجملة من فوقه موج من مبتدأ وخبر صفة لموج وجملة من فوقه سحاب صفة لموج الثانى وظلمات خبر مبتدأ محذوف وقوله أو كظلمات عطف على كسراب وأو للتقسيم أى ان عمل الكافر قسمان قسم كالسراب وهو العمل الحسن وقسم كالظلمات وهو العمل القبيح والمعنى أو الذين كفروا أعمالهم القبيحة كظلمات كائنة فى بحر عميق يعلوه موج كائن من فوقه موج كائن من فوق ذلك الموج سحاب ستر ضوء النجوم وما تقدم ذكره ظلمات متراكمة وهى ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الموج الثانى وظلمة السحاب وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور الا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به (اذا أخرج) أى من فى هذه الظلمات (يده) لينظر اليها (لم يكد يراها) أى لم يقارب أن يراها ولم يحصل له رؤيتها مع انها قريبة من عينه (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) أى ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذى هو القرآن ولم يوفقه للايمان به فما له هداية أصلا من أحد (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات) أى قد علمت يا أشرف الخلق بالوحى الصريح والاستدلال الصحيح أن الله ينزهه فى ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه ما فى السموات والأرض وتنزهه الطير تنزيها خاصا بها حال كونها باسطات أجنحتها فى جو السماء فان كل موجود يدل على وجوب صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شئونه الجليلة (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أى كل واحد من المخلوقات قد علم هو دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله تعالى إياه فالضمائر كلها عائدة على كل وروى عن ابن ثابت قال كنت جالسا عند محمد ابن جعفر الباقر فقال لى أتدرى ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس و بعد طلوعها قلت لا قال فانهن يقدسن ربهن و يسألنه قوت يومهن وقال بعض العلماء انا نشاهد أن الله تعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات أعمالا لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء وهذا دليل على أن الله يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون) أى بحقيقة ما يفعلونه بالكمال (ولله ملك السموات والأرض) أى ان جميع الموجودات فى تصرفه تعالى ايجادا واعداما لأنه خالق لها (والى الله المصير) أى رجوع الكل بالفناء والبعث (ألم تر أن الله يزجى) أى يسوق (سحابا) متفرقا (ثم يؤلف بينه) أى يجمع بين قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا (ثم يجعله ركاما) أى مجتمعا بعضه فوق بعض (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من فتوق السحاب (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) فمن الاولى ابتدائية وكذا الثانية بدل اشتمال من من الاولى ومن الثانية تبعيضية أى وينزل مبتدئا من السماء من جبال

(فوفاه حسابه) أى جزاء عمله (أو كظلمات) وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكافر (فى بحر لجى) وهو البعيد القعر الكثير الماء (يغشاه) أى يعلوه (موج) وهو ما ارتفع من الماء فوقه (من فوقه موج) أى متراكم بعضه على بعض (من فوقه) أى من فوق الموج (سحاب) وهذه كلها (ظلمات بعضها فوق بعض) ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (اذا أخرج) الناظر (يده) أى فيما بين هذه الظلمات (لم يكد يراها) أى لم يرها لشدة الظلمة وأراد بالظلمات أعمال الكافر و بالبحر اللجى قلبه و بالموج من فوق الموج ما يغشى قلبه من الشك والجهل والحيرة و بالسحاب الرين والختم على قلبه ثم قال (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) أى من لم يهده الله الاسلام لم يهتد (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض) المطيع يسبح له والعاصى يدل أيضا لخلق الله إياه على ما يشاء على أنه تعالى برىء من السوء (والطير صافات) باسطات أجنحتهن فى الهواء تسبح لله (كل قد علم) الله (صلاته) وهذا لبنى آدم خاص (وتسبيحه) وهو عام لغيرهم من الخلق (ألم تر أن الله يزجى) أى يسوق (سحابا) الى حيث يريد (ثم يؤلف) أى يجمع (بينه) أى بين قطع ذلك السحاب (ثم يجعله ركاما) أى بعضه على بعض (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى فرجه (وينزل من السماء من جبال) فى السماء (فيها من برد)

كائن في السماء بعض برد في السماء جبال من برد كما أن في الأرض جبالا من حجارة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون والباقون بفتحها وتشديد الزاي (فيصيب به) أي بالبرد (من يشاء) أن يصيبه فيضر مايقع عليه من حيوان ونبات (و يصرفه عمن يشاء) صرفه عنه فلا يسقط عليه (يكاد سنا برقه) أي يقرب ضوء برق السحاب (يذهب بالأبصار) أي يسلب الأبصار الناظرة له لشدة الاضاءة وسرعة ورودها (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما وبتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما (ان في ذلك) أي فيما تقدم ذكره (لعبرة) أي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وعلمه (لأولي الأبصار) أي لكل من له بصر يرجع الى بصيرة وهذا يدل ان الواجب على المرء أن يتفكر في هذه الأمور ويدل على فساد التقليد (والله خلق كل دابة من ماء) أي كل حيوان يدب على الأرض من ماء فمن صلة كل دابة لا صلة خلق فكل دابة متولدة من الماء فهي مخلوقة لله تعالى وقيل أصل جميع المخلوقات من الماء على ماروي ان أول ماخلق الله تعالى جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق منه النار والهواء والتراب والنور والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة فكان أصل الخلقة الماء وقرأ حمزة والكسائي خالق بصيغة اسم الفاعل وبالاضافة (فمنهم) أي الدواب (من يمشي على بطنه) كالحية والحيتان والديدان (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالنعم والوحش (يخلق الله مايشاء) كما يشاء (ان الله على كل شيء قدير) فلا يمنعه مانع (لقد أنزلنا آيات مبينات) لكل مايليق بيانه من الأحكام الدينية والأسرار التكوينية (والله يهدي من يشاء) هدايته بتوفيقه للنظر الصحيح فيها (الى صراط مستقيم) موصل الى الفوز بالجنة (و يقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) هما في الأمر والنهي (ثم يتولى) أي يعرض عن طاعتهما (فريق منهم من بعد ذلك) أي من بعد ماقالوا هذه الكلمة (وما أولئك) أي الذين يدعون الايمان والطاعة (بالمؤمنين) حقيقة وقال الحسن نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر (واذا دعوا) أي الذين ادعوا الايمان والطاعة (الى الله) أي الى كتاب الله (ورسوله ليحكم) الرسول (بينهم) بكتاب الله (اذا فريق منهم معرضون) عن كتاب الله وحكم الرسول ان كان الحكم عليهم (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه) أي الى الرسول (مذعنين) أي طائعين لجزمهم بأنه ﷺ يحكم لهم فقوله اليه متعلق بيأتوا لأنه متعد بالى أو بمذعنين لأنه بمعنى مسرعين في الطاعة (أفي قلوبهم مرض) أي اعراضهم لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم (أم ارتابوا) أي أم لأنهم شكوا في أمر نبوته صلى الله عليه وسلم بعد تقرير الاسلام في القلب (أم) لأنهم (يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أي يجور عليهم في الحكم فانهم بلغوا في حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه كما قال تعالى (بل أولئك) أي المعرضون عن حكم الله (هم الظالمون) أي ليس اعراضهم عن الحكم لواحد من هذه الثلاثة بل لأنهم هم الظالمون أي يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه ﷺ لعلمهم بأنه عليه الصلاة والسلام يقضي عليهم بالحق قال الضحاك نزلت هذه الآية في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسما فوقع الى علي منها مالا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم أرضها لأنه لا ينالها الماء فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك ودعاه الى أن يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلا آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي فنزلت تلك الآيات (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) أي الى كتابه (ورسوله) أي والى

فيصيب به) أي بذلك البرد (من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه) أي ضوء برق السحاب (يذهب بالأبصار) أي من شدة توقده (يقلب الله الليل والنهار) أي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما (ان في ذلك) الذي ذكرت من هذه الأشياء (لعبرة لأولي الأبصار) أي لذوي العقول (والله خلق كل دابة من ماء) أي من نطفة (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحيات والحيتان (ومنهم من يمشي على رجلين) كالجن والانس والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالأفراس والحمير وغيرها (و يقولون آمنا بالله) يعني المنافقين (ثم يتولى) أي يعرض عن قبول حكم الرسول (فريق منهم من بعد ذلك) الاقرار (وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله) الى كتابه (ورسوله

سنة رسوله (ليحكم) أى الرسول صلى الله عليه وسلم (بينهم) بحكم الله (أن يقولوا سمعنا) أى أجبنا الدعاء (وأطعنا) لاحكامهما وقرأ الجمهور قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وأن يقولوا اسمها وهذا أقوى صناعة لان الأولى جعل الاعرف الاسم وأن يقولوا أوغل فى التعريف لان الفعل المبتدا بأن لاسبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يجوز تنكيره بعزل الاضافة عنه والمعنى انما كان قول المؤمنين المخلصين عند الدعوة خصوصية قولهم المحكى عنهم وقرأ الحسن قول المؤمنين بالرفع على العكس وهذا أفيد بحسب المعنى لان مصب الفائدة هو الخبر فالأحق بالخبرية ماهو أكثر فائدة وأظهر دلالة على الحديث والمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين خصوصية هذا القول المحكى عنهم لاقولا آخر أصلا وهذا تعليم أدب الشرع بمعنى ان مايجب أن يسلك المؤمنون هكذا (وأولئك) المؤمنون القائلون بذلك (هم المفلحون) أى الفائزون بكل مطلب والناجون من كل غضب (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمرواه من الاحكام الشرعية فيما سرهم وساءهم (ويخش الله) على مامضى من ذنوبه (ويتقه) فيمابقى من عمره (فأولئك) الموصوفون بماذكر (هم الفائزون) بالنعيم الدائم فى الجنة وهذه الآية على ايجازها حاوية لكل ماينبغى للمؤمنين أن يفعلوه وقرأ أبو عمرو وشعبة وخلاد ويتقه بسكون الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وحفص بسكون القاف وقصر كسرة الهاء والباقون وخلاد فى أحد وجهيه باشباع كسرة الهاء (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى أقسم المنافقون به تعالى أقصى مراتب اليمين فى الوكادة (لئن أمرتهم) بالخروج الى الغزو (ليخرجن) نزلت هذه الآية لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قل) لهم اظهار العلم القبول لكونهم كاذبين فى تلك اليمين (لاتقسموا طاعة معروفة) وهذا خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهى أى لاتقسموا على ماتدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير موافقة للقلب وهي معروفة لكل أحد وقرأ اليزيدى بالنصب على معنى تطيعون طاعة معروفة لكل أحد مشهورة فى ذلك والمعنى ان الطاعة وان اجتهد العبد فى اخفائها لابد أن تظهر مخايلها على شمائله وكذا المعصية لانه ماأسر عبد سريرة الاألبسه الله رداءها كما رواه الطبرانى عن عثمان وعن سعيد لوأن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا من كان وعن عثمان بن عفان قال لوأن رجلا دخل بيتا فى جوف بيت فأدى هناك عملا أوشك الناس أن يتحدثوا به ومامن عامل عمل عملا الاكساه الله رداء عمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (ان الله خبير بما تعملون) مما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة بالأيمان الفاجرة وما تضمرونه فى قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها وهو مجازيكم على ذلك (قل أطيعوا الله) فيمايدعوكم اليه (وأطيعوا الرسول) فى مسلكه الى الله تعالى (فان تولوا فانما عليه ماحمل) أى فان تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فاعلموا أن ماعلى الرسول ماأمر به من تبليغ الرسالة وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (وعليكم ماحملتم) أى ماأمرتم به من الطاعة وعن نافع انه قرأ ماحمل بفتح الحاء والميم مع التخفيف أى عليه ماحمل من أعباء الرسالة (وان تطيعوه) فيما أمركم به من الطاعة (تهتدوا) أى تصيبوا الحق (وماعلى الرسول الا البلاغ المبين) أى ماعلى الرسول الا التبليغ عن الله الموضح لكل مايحتاج الى الايضاح (وعد الله الذين آمنوا منكم) ياأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) أى أقسم الله على من جمعوا بين الايمان والعمل الصالح من أصحاب محمد ليجعلنهم بدلا عن الكفار متصرفين فى الارض العرب والعجم تصرف الملوك فى

ليحكم بينهم) نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى كان اليهودى يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره الى كعب بن الأشرف هذا اذا كان الحق على المنافقين أعرضوا عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان لا يقبل الرشا وان كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه وهو قوله (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أى مطيعين منقادين قال الله تعالى (أفى قلوبهم مرض) جاء بلفظ التوبيخ ليكون أبلغ فى ذمهم (أم ارتابوا) أى شكوا (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أى يظلم (بل أولئك هم الظالمون) لأنفسهم بكفرهم ونفاقهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين حلفوا أنهم يخرجون الى حيث يأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم للغزو والجهاد فقال الله تعالى (قل لاتقسموا طاعة معروفة) خير وأمثل من يمين تحنثون فيها (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحمل) من تبليغ الرسالة (وعليكم ماحملتم) من طاعته الآية (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض)

أى ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم (كما استخلف الذين من قبلهم) يعنى بنى اسرائيل (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) حتى يتمكنوا فيه من غير خوف (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من العدو (أمنا) لايخافون معه العدو (ومن كفر) أى بهذه النعمة بعد وعصى الله وسفك الدماء (فأولئك هم الفاسقون) فكان أول من كفر بهذه النعمة بعد ما أنجز الله وعده الذين قتلوا عثمان ابن عفان رضى الله عنه فعادوا فى الخوف وظهر الشر والخلاف (يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من الاحرار (ثلاث مرات) ثم بينهن فقال (من قبل صلاة الفجر) وهو حين يخرج الانسان من ثياب النوم (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أى القائلة

ممالكهم (كما استخلف الذين من قبلهم) أى كما استخلف الله تعالى بنى اسرائيل فى مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة وكما استخلف هرون ويوشع وداود وسليمان وقرأ أبو بكر والمفضل عن عاصم بضم التاء وكسر اللام فالموصول مرفوع بخلاف قراءة الجمهور من فتح التاء واللام فان الموصول منصوب (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) أى وليثبتن الله لهم دينهم الذى اختار لهم وهو الاسلام (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الأعداء (أمنا) لانه كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة قبل الهجرة خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا فيها يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل منهم ماياتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لاتعبرون الايسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنجز وعده وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وقرأ ابن كثير وعاصم ويعقوب بسكون الباء الموحدة (يعبدوننى) حال من الموصول الاول الذى هو مفعول وعد أو استئناف بيان لجواب سؤال مقدر كأنه قيل مابالهم يستخلفون ويثبتون فى دين الاسلام ويأمنون فقيل يعبدوننى (لايشركون بى شيئا) حال من الفاعل أى يعبدوننى غير مشركين بى فى العبادة شيئا من الأوثان (ومن كفر) أى جحد حق هذه النعم بأن لايقيم مواجبها (بعد ذلك) أى بعد الاستخلاف والتمكين والتبديل (فأولئك هم الفاسقون) أى العاصون الخارجون عن حريم الامن وأول من كفر بتلك النعم قتلة عثمان رضى الله عنه (وأقيموا الصلاة) عطف على مقدر يطلبه نظام الكلام تقديره فلا تكفروا وأقيموا الصلاة فانها مواصلة بينكم وبين ربكم (وآتوا الزكاة) فانها مواصلة بينكم وبين اخوانكم (وأطيعوا الرسول) فى كل ماياً مركم به وينهاكم عنه (لعلكم ترحمون) أى راجين أن ترحموا (لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) والخطاب لكل أحد ممن يصلح له والموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان وفى الارض ظرف له لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع أجزاء الارض أى لاتحسبنهم معجزين الله تعالى عن ادراكهم بالاهلاك فى قطر من أقطار الارض وان هربوا كل مهرب وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على الغيبة والفاعل ضمير يعود على مادل عليه شأن الكلام أى لايحسبن حاسب الخ فانهم مدركون (ومأواهم النار) فى الآخرة (ولبئس المصير) أى والله لبئس المرجع هى (يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أى العبيد الصغار فى الدخول وعن ابن عباس ليس الكبير من المماليك أن ينظر الا الى مايجوز للحر أن ينظر اليه وقال ابن المسيب لاينبغى لمرأة أن ينظر عبدها الى قرطها وشعرها وشئ من محاسنها وقال الآخرون بل البالغ من المماليك أن ينظر الى شعر مالكته وماشابهه (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أى من الاحرار وهم الصبيان الذين حكوا عورات النساء وميزوا بين الجميلة وغيرها وظاهر الآية أمر المماليك والأطفال الأحرار بالاستئذان وفى الحقيقة أمر الاولياء بتأديبهم فان المقصود أمر المؤمنين بأن يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم فى هذه الأوقات الثلاث من غير اذن اذ لوكان المقصود أمرهم لزم تكليفهم ولما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه (ثلاث مرات) أى ثلاثة أوقات فى اليوم والليلة فيكفيهم أن يستأذنوا فى كل واحد من هذه الأوقات مرة واحدة فثلاث مرات منصوب على الظرف الزمانى أو على المصدرية أى ثلاثة استئذانات ثم بين الاوقات فقال (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة وهذا فى محل نصب على أنه بدل من ثلاث مرات أو فى محل رفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى أحدها من قبل الخ (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أى وحين تخلعون ثيابكم التى تلبسونها بين الناس لأجل القيلولة وهى شدة الحر عند انتصاف النهار

فمن بيان للحين أو تعليل لتضعون أي من أجل حر وقت الاستواء (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن ثياب اليقظة والالتحاف بالحاف (ثلاث عورات لكم) بالرفع خبر مبتدا مقدر ولكم صفة أي هي ثلاثة انكشافات كائنة لكم أو مبتدأ وخبر أي ثلاث عورات مخصوصة لكم بالاستئذان وعلى هذا فالوقف على العشاء هو وقف كاف وقرأ أهل الكوفة بالنصب على البدل من ثلاث مرات وكأنه قيل في أوقات ثلاث عورات لكم وعلى هذا فالوقف على لكم وهو وقف تام (ليس عليكم) في تمكينهم من الدخول عليكم (ولا عليهم) في ترك الاستئذان في الدخول (جناح) أي اثم (بعدهن) أي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وانما أباح الله تعالى ذلك في الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن لما في العادة أنه لا تكشف العورة فيها (طوافون عليكم) أي لانهم يكثرون التردد عليكم بالدخول والخروج للخدمة فلو كلفهم الاستئذان في كل طوفة لضاق الأمر عليكم (بعضكم على بعض) أي كما أن بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا لحاجة يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب فدق الغلام عليه الباب وحركه ورده ودفعه فناداه ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عمر وددت ان الله تعالى ينهى آباءنا وأبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وقد أنزلت عليه هذه الآية فحمد الله تعالى وخر ساجدا اشكر الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم وماذاك يا عمر فأخبره بما فعل الغلام فتعجب رسول الله من صنعه وقال ان الله يحب الحليم الحيي العفيف المتعفف و يبغض البذي الجريء السائل الملحف (كذلك) أي مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الاحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشا ومعادا (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب سن نزول المني سواء رأى منيا أم لا (فليستأذنوا) اذا أرادوا الدخول عليكم في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أي استئذانا كاستئذان الذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية (كذلك يبين الله لكم آياته) أي هكذا ينزل الله لكم آياته واضحة الدلالة على الاحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكيم) فيما دبره لهم (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا) أي والعجائز الكائنة من النساء اللاتي لا يحتجن الى الزوج لكبرهن بحيث اذا رآهن الرجل استقذرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي أن ينزعن بحضرة الرجال عنهن ثيابهن الظاهرة فوق الثياب الساترة كالملحفة وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيوخه أنه قرأ أن يضعن خمرهن عن رءوسهن وعن بعضهم أنه قرأ أن يضعن من ثيابهن (غير متبرجات بزينة) أي غير مظهرات لمحاسنها ولزينتها الخفية (وأن يستعففن خير لهن) أي استعفافهن بعدم القاء الجلباب خير لهن من الالقاء لبعده من المظنة فبسد الظنة يلزمهن أن لا يلقين ذلك كما يلزم مثله في الشابة (والله سميع) لما يجري بينهن و بين الرجال من المقاولة (عليم) بمقاصدهن (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) أي ليس على هؤلاء الطوائف مأثم في أكلهم مع السالمين من هذه النقائص الثلاثة فانهم تركوا مؤاكلة الأصحاء فقال الأعمى اني لا أرى شيئا فربما آخذ الأجود وأترك الأرد أو خاف الأعرج والمريض أن يفسدا الطعام على الاصحاء وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتبعدون عن مؤاكلة الاصحاء

(ليس عليكم ولا عليهم جناح) أن لا يستأذنوا بعد هذه الأوقات (طوافون) أي هم طوافون (عليكم) يريد انهم خدمكم فلا بأس عليكم أن يدخلوا في غير هذه الأوقات الثلاثة بغير اذن وهذه الآية منسوخة عند قوم وعند قوم لم تنسخ و يجب العمل بها (واذا بلغ الأطفال منكم) أي من أحراركم (الحلم فليستأذنوا) في كل وقت (كما استأذن الذين من قبلهم) يعني الكبار من الأحرار (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا) يعني العجائز اللاتي أيسن من البعولة (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي جلابيبهن (غير متبرجات بزينة) أي مظهرات زينتهن وهو أن لا تريد بوضع الجلباب ان ترى زينتها (وأن يستعففن) فلا يضعن الجلباب (خير لهن والله سميع عليم ليس على الأعمى حرج) الآية كان المسلمون يخرجون الى الغزو و يدفعون مفاتيح بيوتهم الى المؤمنين الزمنى الذين لا يخرجون و يقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فيها وكانوا يتوقون ذلك حتى نزلت هذه الآية وقوله

لأن الناس يستقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أى ليس عليكم مأثم فى أن تأكلوا من بيوت أولادكم بغير اذن بالعدل لقوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك وقوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم) من الأب أو الأم أو منهما بالنسب أو الرضاع (أو بيوت أخواتكم) قال السدى كان الرجل يدخل بيت أبيه أو بيت أخيه أو أخته فتتحفه المرأة بشئ من الطعام فيتحرج لأنه ليس ثم رب البيت فأنزل الله تعالى هذه الرخصة (أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه) روى الزهرى عن سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله فى هذه الآية ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يسلمون اليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك وقالوا لا ندخلها وهم غائبون فنزلت هذه الآية رخصة لهم وهذا قول عائشة رضى الله عنها (أو صديقكم) أى بيت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية ونزل هذا فى حق مالك بن زيد والحرث بن عمار وكانا صديقين ونقل عن ابن عباس ومقاتل بن حيان نزلت هذه الآية فى الحرث بن عمرو وذلك أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت أن آكل من طعامك بغير اذنك فأنزل الله هذه الآية والمعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر اذا علم رضاه بصريح الاذن أو بقرينة دالة عليه وان كانت ضعيفة كما علم بالعادة فى طيب أنفسهم فان العادة كالاذن فى ذلك والمقصود من هذه الآية اثبات الاباحة فى الجملة لا اثبات الاباحة فى جميع الاوقات (ليس عليكم جناح) أى مأثم فى (أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) قيل نزلت هذه الآية فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين فى كثرة الأكل وقلته وقال أكثر المفسرين نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حى من كنانة حيث كانوا يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل وحده يمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يواكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحافلات فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل فأعلم الله تعالى ان الرجل اذا أكل وحده لا حرج عليه هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى اذا دخلتم بيوتا من البيوت المذكورة فسلموا على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية فالله تعالى جعل أنفس المسلمين كالنفس الواحدة على مثال قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم وقال ابن عباس ان لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من قبل ربنا واذا دخل المسجد فليقل السلام على رسول الله وعلينا من ربنا وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق بالسلام ممن سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وحدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال القفال وان كان فى البيت أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى (تحية من عند الله) منصوب على المصدر من معنى فسلموا أى فحيوا تحية ثابتة بأمره مطلوبة من عنده (مباركة) أى مضاعفة فى الثواب كما قاله الضحاك (طيبة) أى تطيب بالتحية نفس المستمع وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الأوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) أى يفصل شرائعه لكم (لعلكم تعقلون) أى لتفهموا عن الله

(ولا على أنفسكم) أراد ولا عليكم (أن تأكلوا من بيوتكم) أراد بيوت أولادكم فجعل بيوت أولادهم بيوتهم لان ولد الرجل من كسبه وماله كماله وقوله (أو ماملكتم مفاتحه) يريد الزمنى الذين كانوا يخزنون للغزاة (ليس عليكم جناح ان تأكلوا) من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا ولم يعلموا من غير ان تحملوا وهذه رخصة من الله تعالى لعباده لطفا بهم ورغبة بهم عن دناءة الاخلاق وضيق النظر وقوله (أو صديقكم) يجوز للرجل أن يدخل بيت صديقه فيتحرم بطعامه من غير استئذان بهذه الآية وقوله (أن تأكلوا جميعا أو اشتاتا) يقول لا جناح عليكم ان اجتمعتم فى الأكل أو أكلتم فرادى وان اختلفتم فكان فيكم الزهيد والرغيب والصحيح والعليل وذلك ان المسلمين تركوا مواكلة الزمنى والمرضى بعد نزول قوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقالوا انهم لا يستوفون من الأكل فلا تحل لنا مواكلتهم فنزلت الرخصة فى هذه الآية (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى فليسلم بعضكم على بعض وقيل اذا دخلتم بيوتا خالية فليقل الداخل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقوله

أمر ونهيه (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) أى الرسول (على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أى انما الكاملون فى الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما فى جميع الأحكام كما اذا كانوا معه صلى الله عليه وسلم على أمر موجب للاجتماع فى شأنه لم يتفرقوا عنه حتى يطلبوا منه الاذن فيأذن لهم قال الكلبى كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة يعرض فى خطبته بالمنافقين ويعيبهم فينظرون يمينا وشمالا فاذا لم يرهم أحد خرجوا ولم يصلوا وان أبصرهم أحد لبثوا وصلوا خوفا فكان المؤمن اذا أراد أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر قام بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (ان الذين يستأذنوك) رعاية للادب معك وتعظيما لهذا الأمر (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أى يعملون بمقتضى الايمان قال الضحاك ومقاتل المراد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك أنه خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فاستأذنه فى الرجوع الى أهله لعلة كانت به فأذن له وقال ارجع الى المدينة فلست بمنافق (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أى أمرهم المهم (فأذن لمن شئت منهم) لما علمت فى ذلك من مصلحة. قال ابن عباس ان عمر استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فأذن له ثم قال يا أبا حفص لا تنسنا من صالح دعائك وهذه الآية تدل على أنه تعالى فوض الى رسوله بعض أمر الدين ليجتهد فيه برأيه (واستغفر لهم الله) فان الاستئذان وان كان لعذر قوى لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة أو ان الاستغفار فى مقابلة تمسكهم بآداب الله تعالى فى الاستئذان (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتسهيل عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لا تجعلوا دعاءه لكم فى الاعتقاد وغيره وأمره اياكم فى أمر من الأمور كدعوة بعضكم لبعض فتستبطئون عنه بل أجيبوه فورا وان كنتم فى الصلاة اذ كان أمره فرضا لازما وهذا قول المبرد والقفال ومختار أبى العباس وأقرب الى نظم الآية كما قاله ابن عادل والرازى وغيره وقيل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم فانه قد يجاب وقد يرد فان دعوات الرسول مستجابة فاحذروا واسخطه فان دعاءه مجاب ليس كدعاء غيره وهذا كما قاله ابن عباس وروى عنه أيضا لا تجعلوا نداءه صلى الله عليه وسلم كنداء بعضكم لبعض باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات بل نادوه بغاية التوقير وبلقبه المعظم وذلك بمثل قولك يا رسول الله يا نبى الله مع التواضع وخفض الصوت فلا تنادوه باسمه ولا بكنيته بأن تقولوا يا محمد يا أبا القاسم (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) أى قد علم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية مستترين ببعض فلواذا حال أو مصدر لفعل مضمر هو الحال فى الحقيقة أى يلوذون لواذا أى يستتر بعضهم بمن يخرج بالاذن اراءة أنه من أتباعه (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره (أن تصيبهم فتنة) أى محنة فى الدنيا من تسليط جائر عليهم واسباغ نعمه استدراجا بهم (أو يصيبهم عذاب أليم) فى الآخرة والكناية ترجع الى الله لأنه الآمر حقيقة أو للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه المقصود بالذكر (ألا ان لله ما فى السموات والأرض) من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا وهذا دليل على قدرته تعالى على المجازاة بثواب وعقاب وعلى علمه تعالى بما يخفيه المكلف ويعلنه (قد يعلم ما أنتم) أيها المكلفون (عليه) من المخالفة فى الدين والنفاق (ويوم يرجعون اليه) أى ويعلم يوم يرجع المنافقون اليه تعالى للجزاء (فينبئهم بما عملوا) فى الدنيا من الأعمال كمخالفة الأمر فلا يعاقبهم الا بعد اخبارهم بما عملوا (والله بكل شىء عليم) لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء

(واذا كانوا معه على أمر جامع) أى يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة فى جمعة أو تشاور فى أمر (لم يذهبوا) أى لم يتفرقوا عن النبى صلى الله عليه وسلم (حتى يستأذنوه) نزلت فى حفر الخندق وكان المنافقون ينصرفون بغير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لا تقولوا اذا دعوتموه يا محمد كما يقول أحدكم لصاحبه ولكن قولوا يا رسول الله يا نبى الله (قد يعلم الله الذين يتسللون) أى يخرجون فى خفية من بين الناس (لواذا) أى يستتر بغيره فيخرج مختفيا (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يخالفون أمر الرسول وينصرفون بغير أذنه (أن تصيبهم فتنة) أى بلية تظهر نفاقهم (أو يصيبهم عذاب أليم) أى عاجل فى الدنيا (ألا ان لله ما فى السموات والأرض) عبيدا وملكا وخلقا

﴿ سورة الفرقان مكية سبع وسبعون آية . وثمانمائة واثنتان وسبعون
كلمة . وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) أى تعالى الله الذى نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فى ذاته وصفاته وأفعاله فتعالت ذاته عن جواز التغير والفناء وعن مشابهة شئ من الممكنات وتعالت صفاته عن حدوث وتعالت أفعاله عن عبث ومن جملة أفعاله تنزيل القرآن المنطوى على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والاتيان بعنوان العبد اعلام بكون سيدنا محمد فى أقصى مراتب العبودية (ليكون) أى ذلك العبد أو الذى نزل الفرقان (للعالمين) أى المكلفين من الثقلين (نذيرا) أى مخوفا من عذاب الله بالقرآن (الذى له ملك السموات والأرض) بدل من الموصول الأول أو خبر مبتدا محذوف (ولم يتخذ ولدا) عطف على الصلة وهذا رد على النصارى واليهود و بعض مشركى العرب (ولم يكن له شريك فى الملك) أى فى ملك السموات والأرض فهو المنفرد بالالهية وهذا معطوف على الصلة أيضا وهو رد على الثنوية وعباد الأصنام والنجوم (وخلق كل شئ فقدره تقديرا) أى أحدث كل موجود احداثا جاريا على طريق التقدير بحسب ما اقتضته ارادته وهيأه لما أراد به مما يصلح له مثاله أنه تعالى خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المستوى الذى تراه فيقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى باب الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة فقدره لأمر ما ومصلحة ما موافقا لما قدر غير متأخر عنه (واتخذوا) أى المنذرون من كفار مكة كأبى جهل وأصحابه (من دونه آلهة لا يخلقون شيئا) أى جعلوا لأنفسهم متجاوزين الله غيره آلهة لا يقدرون على خلق شئ أصلا (وهم يخلقون) كسائر المخلوقات (ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا) أى لا يقدرون لأنفسهم على دفع ضرر ما وعلى جلب نفع ما فمن لا ينفع نفسه لا ينفع غيره (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أى ولا يقدرون على اماتة الأحياء واحياء الموتى و بعثهم فالاله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) أى قال النضر بن الحرث ما القرآن الا كذب مصروف عن وجهه اختلقه محمد من تلقاء نفسه وأعانه على اختلاقه غير قومه وهم اليهود جبر و يسار أبو فكيهة الرومى قال الكلبى ومقاتل نزلت هذه الآية فى النضر بن الحرث فهو الذى قال هذا القول وأعانه عليه عداس مولى حو يطب بن عبد العزى و يسار مولى العلاء عامر بن الحضرمى وجبر مولى عامر وهؤلاء كانوا من أهل الكتاب وكانوا يقرأون التوراة و يحدثون أحاديث منها فى مكة فلما أسلموا كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعهدهم فزعم النضر أنهم يلقون اليه صلى الله عليه وسلم أخبار الأمم الماضية وهو صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى اعانتهم له فمن أجل ذلك قال النضر ما قال فرد الله تعالى ذلك بقوله تعالى (فقد جاءوا) أى قالوا هذه المقالة (ظلما) عظيما حيث جعلوا الحق البحت افكا مفترى من قبل البشر (وزورا) أى كذبا كبيرا حيث نسبوا اليه صلى الله عليه وسلم ما هو برىء منه (وقالوا) أى النضر وأصحابه (أساطير الأولين اكتتبها) أى هذا القرآن ما سطره المتقدمون من الخرافات انتسخها محمد بن عداس و يسار وجبر أى أمرهم بكتابتها له وقراءتها عليه لأنه أمى (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) أى فتلك الاساطير تقرأ على محمد بعد طلبه منهم كتابتها غدوة وعشيا ليحفظها من أفواههم من ذلك المكتتب لكونه أميا لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة وهذا على قول جمهور المفسرين فان قوله على الى آخره من كلام القوم الكافرين وقال الضحاك معنى قولهم ذلك وما يملى على محمد بكرة يقرأه

عليكم

﴿ تفسير سورة الفرقان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبارك) أى ثبت ودام (الذى نزل الفرقان) يعنى القرآن الذى فرق بين الحق والباطل (على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) الجن والانس (نذيرا) أى مخوفا من العذاب (وخلق كل شئ) مما يطلق فى صفته المخلوق (فقدره تقديرا) أى جعله على مقداره وقوله (نشورا) أى حياة بعد الموت (وقال الذين كفروا ان هذا) أى ما هذا القرآن (الا افك) كذب (افتراه) أى اختلقه (وأعانه عليه قوم آخرون) يعنون اليهود (فقد جاءوا) أى بهذا القول (ظلما و زورا) أى كذبا (وقالوا أساطير الأولين) أى هو ما سطر الأولون (اكتتبها) أى كتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) يعنون أنه يختلف الى من يعلمه بالغدوة والعشى

عليكم عشية وما يملى عليه عشية يقرؤه عليكم بكرة خلافاً للحسن حيث قال ان ذلك من محض كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم كأنه تعالى قال ان هذه الآيات تلقى عليه ﷺ بالوحي مني حالا بعد حال فكيف ينسب الى أنه أساطير الأولين (قل) لهم رداً عليهم (أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض) أي ليس ذلك القرآن مما يفتعل باعانة قوم وكتابتهم من الأحاديث الملفقة بل هو أمر سماوي أنزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الأشياء فيعلم ما تسرونه من كيدكم لرسوله مع علمكم بأن ما يقوله حق وما تقولونه زور ويعلم براءة رسوله مما تتهمونه به وهو مجازيكم على ما علم منكم وما علم منه (انه كان غفوراً رحيما) أي انما أنزل القرآن لأجل الانذار فوجب أن يكون غير مستعجل في العقوبة وهذا تنبيه على انهم استحقوا بمكايدتهم هذه أن يصب الله عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم كونه غفوراً رحيما فيمهلهم ولا يعجل عليهم العذاب (وقالوا) أي أبو جهل وأصحابه والنضر وأصحابه وأمية ابن خلف وأصحابه (مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) أي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الأسواق لابتغاء الأرزاق كما نفعله فمن أين له الفضل علينا وهو مثلنا في هذه الأمور (لولا أنزل اليه) أي هلا ينزل على صورته (ملك) لا يأكل ولا يشرب (فيكون معه نذيرا) أي فيكون معينا له في الانذار يشهد له ويرد من خالفه (أو يلقى اليه كنز) من السماء فينفقه فلا يحتاج الى التردد لطلب المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) وقرأ الأعمش وقتادة يكون بالياء التحتية وقرأ حمزة والكسائي نأكل بالنون (وقال الظالمون) أي المشركون أبو جهل والنضر وأمية وأصحابهم للمؤمنين (ان تتبعون) أي ما تتبعون أيها المؤمنون (الا رجلا مسحورا) أي مختل النظر والعقل (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) أي انظر يا أفضل الخلق كيف اشتغل القوم بضرب هذه التي لا فائدة فيها من الأقوال العجيبة الخارجة عن العقول (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أي فأرادوا القدح في نبوتك فضلوا عن طريق المحاجة فلم يجدوا سبيلا الى القدح في نبوتك وفي معجزاتك وضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا موصلا اليه (تبارك الذي ان شاء) أي تكاثر خير من الذي ان شاء (جعل لك) في الدنيا شيئا (خيرا) لك (من ذلك) الذي قالوه (جنات) أي بساتين كثيرة (تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) أي بيوتا مشيدة رفيعة في الدنيا فقوله تعالى جنات بدل من خيرا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر برفع يجعل على انه معطوف على جواب الشرط لأن الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع أو مستأنف بوعد ما يكون له ﷺ في الآخرة وقرأ الباقون بادغام لام يجعل في لام لك اما بتقدير الجزم على انه معطوف على محل جواب الشرط وهو جزم أو بتقدير الرفع وانما سكن اللام لأجل الادغام فعلى الرفع حسن الوقف على الانهار فان المعنى وسيجعل لك قصورا في الآخرة وعلى الجزم لا يحسن الوقف على الانهار فان المعنى ان شاء يجعل لك قصورا في الدنيا روي عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل عليه السلام عنده قال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السماء استأذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم على رسول الله ﷺ وقال ان الله يخيرك بين أن يعطيك مفاتيح كل شيء لم يعطها أحدا قبلك ولا يعطيها أحدا بعدك من غير أن ينقصك مما ادخر لك شيئا وبين أن يجمعها لك في الآخرة فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها جميعا لي في الآخرة فنزل قوله تعالى تبارك الذي ان شاء الآية (بل كذبوا بالساعة) وهذا جواب ثالث كأنه تعالى قال ليس ما تعلقوا به شبهة علمية في نفس المسئلة لأنهم لا يعتقدون فيك كذبا بل الذي حملهم على تكذيبك تكذيبهم بوجود وقت الجزاء استثقالا للاستعداد له فانهم لا يتحملون مشقة النظر فلهذا لا ينتفعون

(قل) يا محمد لهم (أنزله) أي أنزل القرآن (الذي يعلم السر في السموات والارض) أي يعلم بواطن الامور فقد أنزله على ما يقتضيه علمه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا (يأكل الطعام) أنكروا أن يكون الرسول بصفة البشر (ويمشي في الأسواق) طلبا للمعاش يعنون انه ليس بملك ولا بملك (لولا) أي هلا (أنزل اليه ملك) يصدقه (فيكون معه نذيرا) أي داعيا الى الله يشاركه في النبوة (أو يلقى اليه كنز) يستغني به عن طلب المعاش (وقال الظالمون) أي المشركون (ان تتبعون) ما تتبعون (الا رجلا مسحورا) أي مخدوعا (انظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الامثال) أي اذ مثلوك بالمسحور والفقير الذي لا يصلح أن يكون رسولا والناقص عن القيام بالامور اذ طلبوا أن يكون معك ملك (فضلوا) أي بهذا القول عن الدين والايمان (فلا يستطيعون سبيلا) أي الى الهدى ومخرجا عن ضلالتهم (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك) الذي قالوا من القاء الكنز أو جعل الجنة ثم بين ذلك فقال (جنات تجري من تحتها الانهار) الآية يعني في الدنيا لانه قد شاء ان يعطيه ذلك في الآخرة وقوله

بمـا يورد عليهم من الدلائل (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) أى جعلنا نارا عظيمة شديدة الاشتعال معدة لمن كذب بوجود القيامة (اذا رأتهم من مكان بعيد) أى من مسيرة عام كما قاله الكلبي والسدى (سمعوا لها) أى النار (تغيظا) أى صوت غليانها (و زفيرا) أى صوتا شديدا كصوت الحمار (واذا ألقوا منها) أى النار (مكانا ضيقا) وقرأه ابن كثير بسكون الياء (مقرنين) فى السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم (دعوا هنالك) أى فى ذلك المكان (ثبورا) بأن يقولوا ياثبوراه هذا زمانك و يتمنوا الموت وقال الكلبي الأسفلون يرفعهم اللهب والأعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون فى تلك الأبواب الضيقة وقال ابن عمران جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزج على الرمح وتقول لهم خزنة جهنم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) أى لاتقتصروا على دعاء ثبور واحد (وادعوا ثبورا كثيرا) فان ماأنتم فيه من العذاب مستوجب لتكرير الدعاء فى كل آن لغاية شدته وطول مدته (قل) لهم تحسيرا على مافاتهم (أذلك) السعير التى هيئت لمن كذب بوجود القيامة (خير أم جنة الخلد) التى لاينقطع نعيمها (التى وعد المتقون) أى التى وعدها من يجتنبون الكفر وهذا يحسن فى مقام التقريع كما اذا أعطى السيد عبده مالا فأبى واستكبر فضربه ضربا وجيعا وقال له على سبيل التوبيخ هذا أحب اليك أم ذاك (كانت) أى تلك الجنة (لهم جزاء ومصيرا) أى مسكنا فما وعد الله به فهو كائن لابد من وقوعه فكأنه قد كان ولأنه كان مكتوبا فى اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم الله بأزمان متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومستقرهم (لهم فيها مايشاؤن) فكل فريق منهم مشتغل بما فيه من اللذات فلا يلتفتون الى مافوق ذلك من المراتب العالية و فى هذا تنبيه على أن حصول المرادات بأسرها لايكون الا فى الجنة (خالدين) حال من الهاء فى لهم فان من شرط نعيم الجنة أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مخلوطا بنوع من الغم كنعيم الدنيا ولذلك قال ﷺ من طلب مالم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل وما هو يارسول الله فقال سرور يوم (كان) أى مايشاؤنه (على ربك) ياأفضل الخلق (وعدا مسئولا) أى موعودا مطلوبا لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون فان المكلفين سألوه بلسان الحال لأنهم لما تحملوا المشقة الشديدة فى طاعته تعالى كان ذلك قائما مقام السؤال وما فى على من معنى الوجوب لاستحالة الخلف فى وعده تعالى فان تعلق ارادته تعالى بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز (و يوم نحشرهم) وقرأ ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالنون (وما يعبدون من دون الله) أى من غيره أى و يوم القيامة يحشر الله العابدين لغير الله ومعبوديهم (فيقول) قرأ ابن عامر بالنون والباقون بالياء كأن يخلق فى الأصنام الحياة فينطقها أو كأن جوابها بلسان الحال كما ذكره بعضهم فى تسبيح الموات و فى شهادة الأيدى والأرجل أى يقول الله للمعبودين تقريعا للعابدين (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) بأن دعوتموهم لعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) أى أم هم ضلوا عن السبيل بأنفسهم بتركهم النظر الصحيح واعراضهم عن المرشد وعبدوكم بهوى أنفسهم (قالوا) أى المعبودون متبرئين عن العابدين (سبحانك) أى قالوه تعجبا مما قيل لهم أو اشعارا بأنهم منزهون الله تعالى عما لايليق به فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدا لتنزيهه تعالى عن الأنداد (ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) فنتخذ متعد لواحد ومن أولياء مفعول ومن زائدة ومن دونك حال لأن نعت النكرة اذا تقدم عليها صار حالا وعن أبى جعفر وابن عامر أنهما قرآ نتخذ بالبناء للمفعول فهو متعد لمفعولين والمفعول الاول نائب الفاعل ومن أولياء مفعول ثان ومن للتبعيض وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام . ومعنى الآية لايستحق لنا أن نتخذ بعضنا أولياء والحاصل ان كان معبودهم ملائكة قالت نحن عبيدك فلا يستقيم لعبيدك أن يتخذوا من غيرك أحباء يحبونهم فاذا كنا نعتقد أن غيرك لايجوز أن يكون معبودا فكيف

(سمعوا لها تغيظا) أى صوتا بغيظ وهو الغضب (و زفيرا) أى صوتا شديدا (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) وذلك أنهم يدفعون فى النار كما تدفع الوتد فى الحائط (مقرنين) أى مقرونين مع الشياطين (دعوا هنالك ثبورا) أى و يلا وهلاكا فيقال لهم (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك) الذى ذكرت من موضع أهل النار ومصيرهم (خير أم جنة الخلد) الآية وقوله (وعدا مسئولا) لأن الملائكة سألت لهم ذلك فى قوله ربنا وأدخلهم جنات عدن الآية (و يوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) أى الأصنام والملائكة والمسيح وعزيرا (فيقول) لهم (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) وهذا توبيخ للكفار كقوله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى الآية (قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا) أن نوالى أعداءك و فى هذا بيان براءة معبوديهم عنهم

ندعو غيرنا الى عبادتنا وان كان أصناما قالت لايصح منا أن نكون من العابدين فكيف يمكننا أن ندعي أننا من المعبودين فما أضللناهم (ولكن متعتهم وآباءهم) أي ولكن ياالهنا أكثرت عليهم وعلى آبائهم من النعم فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم (حتى نسوا الذكر) أي تركوا الايمان بالقرآن (وكانوا قوما بورا) أي وصاروا قوما هالكين فاسدة القلوب (فقد كذبوكم بما تقولون) أي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم أيها الكفرة معبودكم في قولكم انهم آلهة فالباء بمعنى في أو هي صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب أي فقد كذبوا قولكم انهم آلهة وانظر كيف أظهر الله صدق الأصنام وكذب الكفار وتقولون بالتاء الفوقانية باتفاق العشرة وقرئ شاذة بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية (فلا يستطيعون صرفا ولا نصرا) وقرأ حفص بالتاء على الخطاب أي فما تستطيعون أيها الكفار صرف الأصنام والملائكة عن شهادتهم عليكم ولا نصر أنفسكم في اضافة الصدق الى أنفسكم ولا تستطيعون دفع العذاب عنكم ولا منعه عنكم بأنفسكم ولا بغيركم وقرأ الباقون بالياء على الغيبة أي فما تستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب و يحتالوا لكم ولا أن ينصروكم بوجه من الوجوه (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) أي ومن يكفر منكم يامعشر المؤمنين أو ومن يستمر منكم يامعشر الكفار على ما أنتم عليه من الكفر والعناد نذقه عذابا كبيرا في الدنيا والآخرة والعامة قرأوا نذقه بنون العظمة وقرئ بالياء والضمير عائد لله تعالى أو للظلم المفهوم من الفعل على سبيل المجاز باسناد اذاقة العذاب الى السبب (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون في الأسواق) وان مكسورة باتفاق العشرة واللام لام الابتداء زيدت في الخبر والجملة الواقعة بعد الا حالية أي وما أرسلنا قبلك يا أشرف الخلق أحدا من المرسلين الا وحالهم آكلون وماشون فأنت مثلهم في ذلك وقرئ يمشون على البناء للمفعول أي يمشيهم حوائجهم (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي وجعلنا كل أمة كافرة فتنة لرسولها المبعوث اليها كأن يقول بعض الكفار لبعض الأنبياء آتنا معجزة كمعجزة بني فلان (أتصبرون) يامعشر الأنبياء على ما تسمعون من أقاويلهم الخارجة من حدود الانصاف فالمعنى جرت سنتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم بايذائهم لهم لنعلم صبرهم (وكان ربك بصيرا) بأعمال كلهم وجزائها وهذا وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالأجر الجزيل لصبره الجميل (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يؤملون وعدنا على الطاعة من الثواب فلا يخافون العقاب لكفرهم بالبعث وهذه الجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الى آخره (لولا أنزل علينا الملائكة) أي هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة (أو نرى ربنا) فيخبرنا بصدق محمد في رسالته (لقد استكبروا في أنفسهم) أي انهم أضمروا الاستكبار في قلوبهم واعتقدوه (وعتوا عتوا كبيرا) أي تجاوزوا الحد في الظلم حتى اجترأوا على هذا القول العظيم الشنيع (يوم يرون الملائكة) منصوب بعامل دل عليه لابشرى أي يمنعون البشرى يوم يرون ملائكة العذاب قائلين (لابشرى يومئذ للمجرمين) أي الكافرين في كل الأوقات فانهم يشافهون في أول الأمر بما يدل على نهاية اليأس والخيبة فذلك هو النهاية في الايلام (و يقولون حجرا محجورا) أي يقول الكافرون الذين طلبوا نزول الملائكة اذا رأوا الملائكة وفزعوا منهم عند الموت و يوم القيامة حجرا محجورا وهي كلمة كانوا يقولونها عند لقاء العدو ونزول شدة و يضعونها موضع الاستعاذة والمعنى نسأل الله تعالى أن

(ولكن متعتهم وآباءهم) في الدنيا بالصحة والنعمة (حتى نسوا الذكر) أي تركوا ما وعظوا به (وكانوا قوما بورا) أي هلكى بكفرهم (فقد كذبوكم بما تقولون) أي بقولكم انهم كانوا آلهة (فما يستطيعون) يعني الآلهة (صرفا) للعذاب عنكم (ولا نصرا) لكم (ومن يظلم) أي يشرك (منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون في الأسواق) الآية هذا جواب لقولهم مال هذا الرسول الآية أخبر تعالى أن كل من خلا من الرسل كان بهذه الصفة (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) الصحيح للمريض والغني للفقير فيقول الفقير لو شاء الله لأغناني كما أغنى فلانا و يقول المريض لو شاء الله لعافاني كما عافى فلانا وكذلك كل الناس مبتلى بعضهم ببعض فقال الله (أتصبرون) أي على البلاء فقد عرفتم ما وعد الصابرون (وكان ربك بصيرا) أي بمن يصبر و بمن يجزع (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث (لولا) أي هلا (أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا أن محمدا صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا في أنفسهم) حيث طلبوا من الآيات مالم تطلبه أمة (وعتوا عتوا كبيرا) أي غلوا في كفرهم أشد الغلو (يوم يرون الملائكة) يعني أن ذلك اليوم الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وان الله حرم عليهم البشرى في ذلك اليوم وتقول الملائكة لهم (حجرا محجورا) أي حراما محرما عليهم البشرى

يمنع ذلك منعا وقيل يقول الحفظة للكفار اذا خرجوا من قبورهم حجرا محجورا ومعناه جعل الله الغفران والجنة والبشرى حراما محرما عليكم وقال الكلبي ان الملائكة على باب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا وقرأ الضحاك والحسن وأبو رجاء على ضمها وقرئ بفتحها (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) أي وقصدنا الى أعمالهم التي ظنوا انها تقربهم الى الله تعالى (فجعلناه هباء منثورا) أي أبطلناه وجعلناه مثل الهباء المنثور الذي لا يمكن القبض عليه في عدم امكان الانتفاع به بالكلية والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة (أصحاب الجنة) هم المؤمنون (يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا وأحسن مقيلا) أي موضع استراحة نصف النهار في الحر وقد أشارت الآية الى ان كلا من أهل الجنة وأهل النار قد استقروا في وقت القيلولة وان كان استقرار المؤمنين في راحة واستقرار الكافرين في عذاب فيكون الحساب لجميع الخلائق قد انقضى في هذا الوقت لان القائلة تكون في نصف النهار والحساب يكون من أوله والمراد من ذلك بيان ان ذلك الموضع أطيب المواضع كما ان موضع القيلولة يكون كذلك واشارة الى أنهم مزينون بفنون الزخارف (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) أي يوم القيامة تنفتح كل سماء بسبب طلوع الغمام منها وهو سحاب أبيض فوق السموات السبع ثخنه كثخن السموات السبع وثخنه كذلك فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله وهكذا حتى ينزل الى الارض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة السماء الدنيا وهم أكثر من أهل الارض من انس وجن ثم ينزل ملائكة السماء الثانية وهم أزيد من ملائكة سماء الدنيا وهكذا ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش فاذا نزل ملائكة سماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع في المحشر صفا واذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفا آخر وهكذا أي يحيطون بمن بعدهم حتى يصير واسبع صفوف حول العالم (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي السلطنة القاهرة الثابتة ثباتا لا يمكن زوالها صورة ومعنى ثابتة للرحمن يوم اذ تشق الغمام لا يشركه فيها أحد (وكان يوما) أي ذلك اليوم (على الكافرين عسيرا) أي شديدا بخلاف المؤمنين فقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا (ويوم يعض الظالم على يديه) أي يوم القيامة يأكل الكافر يديه الى المرفق ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا فلا يزال كذلك كما قاله الضحاك وعطاء وقال أهل التحقيق هذه اللفظة كناية عن الندامة والغم (يقول) حال من فاعل يعض (يا) لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه (ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) أي ليتني صاحبت رسول الله في اتخاذ سبيل الهدى واستقمت على دين الرسول (ياويلتى) أي يا هلاكي تعال فهذا أوانك (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) أي صديقا وافقته في أعماله (لقد أضلني عن الذكر) أي والله لقد صرفني عن القرآن وموعظة الرسول (بعد اذ جاءني) قال ابن عباس والمراد بالظالم عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الاصنع طعاما يدعو اليه جيرانه من أهل مكة ويكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ويعجبه حديثه فصنع طعاما ودعا الرسول فلما قرب اليه الطعام قال صلى الله عليه وسلم ما آكل من طعامك حتى تأتي بالشهادتين فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان أبي بن خلف الجمحي صديقه فعاتبه فقال له يا عقبة قد ملت الى دين محمد فقال عقبة والله ما ملت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي الا ان شهدت له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال أبي لا أرضى عنك أبدا حتى تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فأتاه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل عقبة ذلك فعاد بزاقه على وجهه فحرقه فقال صلى الله عليه وسلم له لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فنزل

(وقدمنا) أي وقصدنا (الى ما عملوا من عمل) أي مما كانوا يقصدون به التقرب الى الله (فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له لانهم عملوه للشياطين والهباء دقاق التراب والمنثور المفرق (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أي موضع قرار (وأحسن مقيلا) أي موضع قيلولة (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو السحاب الأبيض الرقيق (ونزل الملائكة تنزيلا) أي لاكرام المؤمنين (الملك يومئذ الحق) أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يومئذ (ويوم يعض الظالم) أي الكافر يعني عقبة بن أبي معيط وكان قد آمن ثم ارتد لرضى أبي بن خلف (على يديه) ندما وتحسرا يقول (ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) أي طريقا الى الجنة بالاسلام (ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا) يعني أبيا (خليلا لقد أضلني عن الذكر) القرآن (بعد اذ جاءني

وكان الشيطان للانسان خذولا) أى عند البلاء يعنى أن قبوله قول أبى بن خلف فى الكفر كان من عمل الشيطان (وقال الرسول) أى فى ذلك اليوم (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أى متروكا يعنى أعرضوا عنه (وكذلك)

قوله تعالى ويوم يعض الظالم الى آخره فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبرا ولم يقتل يومئذ من الاسارى غيره وغير النضر بن الحرث وأما أبى بن خلف فقتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده طعنه فى أحد فرجع الى مكة ومات وقال الشعبى كان عقبة خليل أمية فأسلم عقبة وقال أمية وجهى من وجهك حرام ان بايعت محمدا فارتد فأنزل الله تعالى ويوم يعض الظالم وعلم من ذلك أن المراد بفلان أبى أو أمية (وكان الشيطان) أى ابليس (للانسان) أى الكافر (خذولا) أى مبالغا فى ترك النصرة بعد المعاونة وكان يعد الانسان فى الدنيا بأنه ينفعه فى الآخرة وهذا من كلام الله تعالى فان آخر كلام الظالم بعد اذ جاءنى فالوقف عليه تام (وقال الرسول) محمد صلى الله عليه وسلم شكاية لله عما صنع قومه وفى هذا تخويف لقومه لأن الأنبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل الله لهم العذاب وهذا عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أى متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يتأثروا بتخويفه وفى هذا تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين) أى كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون مايقولون ويفعلون مايفعلون جعلنا لكل نبى من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمى قومهم فاصبر كما صبروا (وكفى بربك هاديا ونصيرا) أى كفاك مبلغك الى الكمال ومالك أمرك هاديا لك الى مصالح الدين والدنيا وناصرا لك على جميع من يعاديك (وقال الذين كفروا) من أهل مكة كأبى جهل وأصحابه (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أى هلا أنزل القرآن كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة التوراة والانجيل والزبور (كذلك لنثبت به فؤادك) أى مثل ذلك التنزيل المفرق نزلناه لنقوى بذلك فؤادك فان فيه تيسير الحفظ وفهم المعانى وهذا كلام الله ذكره جوابا لهم وردا لهذه الشبهة (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل المقدر الذى تعلق به كذلك أى كذلك أنزلناه وآتيناه بعضه بعد بعض على تؤدة وتمهل فى ثلاث وعشرين سنة (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق) أى ولا يأتى المشركون اياك بأشرف الخلق بسؤال عجيب يريدون به القدح فى نبوتك الا جئناك بالجواب الحق الذى يدفع قولهم (وأحسن تفسيرا) بيانا وبأقوى حجة (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم) أى يحشرون يوم القيامة كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وهذا الموصول صفة للموصول الأول أو بدل منه (أولئك) أى الذين أوردوا هذه الأسئلة على سبيل التعنت (شر مكانا) أى منزلا فى الآخرة وعملا فى الدنيا (وأضل سبيلا) عن الحق (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى أنزلنا التوراة على موسى بعد غرق فرعون وقومه (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) يعينه فى الدعوة واعلاء الكلمة (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى آيات الالهية وهى مصنوعات الله تعالى الدالة على انفراده بالملك والعبادة أى فذهبا اليهم فأرياهم الآيات التسع كلها وهى آيات النبوة فكذبوها كما كذبوا الآيات الالهية (فدمرناهم تدميرا) أى أهلكناهم عقب ذلك التكذيب اهلاكا عجيبا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أى نوحا ومن قبله فانهم اشتركوا فى

أى وكما جعلنا لك أعداء من المشركين (جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك) أى وكفى ربك (هاديا ونصيرا) يعنى يهديك وينصرك فلا تبال بمن يعاديك (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أى لماذا أنزل عليه متفرقا وهلا كان دفعة واحدة كالتوراة قال الله تعالى (كذلك) فرقنا تنزيله (لنثبت به فؤادك) أى لنقوى به قلبك وذلك انه كلما نزل وحى جديد ازداد بقوة قلب (ورتلناه ترتيلا) أى بيناه بيانا فى تثبت ومهلة (ولا يأتونك) يعنى المشركين (بمثل) يضربونه فى ابطال أمرك (الا جئناك بالحق) أى بما ترد به ما جاءوا من المثل (وأحسن تفسيرا) أى بيانا وتفصيلا مما ذكروا (الذين) أى هم الذين (يحشرون على وجوههم) أى يمشيهم الله عليها فهم يساقون على وجوههم (الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) من كل أحد (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أى معينا وملجأ (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم القبط فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) أى أهلكناهم اهلاكا (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) من كذب نبيا فقد كذب الرسل كلهم لانهم لا يفرقون بينهم فى الايمان بهم

المجيء بالتوحيد (أغرقناهم) فقال الكلبي أمطر الله عليهم السماء أربعين يوما وأخرج ماء الارض أيضا في تلك الاربعين فصارت الأرض بحرا واحدا (وجعلناهم) أي وجعلنا اغراقهم (للناس آية) أي عبرة لمن سمع قصتهم لكيلا يقتدوا بهم (وأعتدنا للظالمين) أي قوم نوح ومن سلك سبيلهم في تكذيب الرسل (عذابا أليما) هو عذاب الآخرة (وعادا) عطف على المفعول الأول لجعلنا (وثمود وأصحاب الرس) وهي بئر غير مطوية ولهم وجوه أحدها هم قوم يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول البئر خسف الله بهم وبديارهم وثانيها أن الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وثالثها هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان ابتلاهم بطير عظيم فيها من كل لون سمي بالعنقاء فتخطف صبيانهم وعروسا فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة عليه السلام فأهلكوا ورابعها أن الرس بئر بانطاكية كذبوا حبيبا النجار وقتلوه فدسوه في البئر وخامسها عن علي رضي الله عنه أنهم كانوا قوما يعبدون شجر الصنوبر وانما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوها في الارض بينهم وسادسها هم قوم كانت لهم قرى على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله اليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمنا فشكا الى الله تعالى منهم فحفروا بئرا ورسوه فيها فأرسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحرة فصارت الارض من تحتهم حجر كبريت متوقد وأظلتهم سحابة سوداء فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص (وقرونا بين ذلك كثيرا) أي أقواما كثيرا بين الطوائف المذكورة (وكلا ضربنا له الامثال) أي كل قرن بينا له القصص العجيبة الزاجرة عن الكفر والمعاصي بواسطة الرسل (وكلا تبرنا تتبيرا) أي كل واحد منهم فتتنا تفتيتا لما كذبوا الرسل فانا لم نهلكهم الا بعد الانذار وجواب ما أوردوه من الشبه حتى وضح لهم السبيل (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) أي وبالله لقد مر قريش على قرية سذوم من قرى قوم لوط التي أهلكت بالحجارة من السماء في أسفارهم الى الشام للتجارة (أفلم يكونوا يرونها) أي أفلم يكونوا في مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشورا) أي بل كانوا قوما ينكرون البعث ولا يؤمنون بالجزاء الأخروي فلا يرجون ثواب الآخرة حينئذ لا يتحملون متاعب التكاليف ومشاق الاستدلال (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) أي اذا رآك يا أشرف الخلق كفار مكة قصروا معاملتهم معك على اتخاذهم اياك هزوا فقوله ان يتخذونك جواب اذا واختصت اذا بكون جوابها لا يحتاج الى الفاء اذا كان منفيا بما أو ان أو لا بخلاف غيرها من أدوات الشرط (أهذا الذي بعث الله رسولا) وهذا محكي لقول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك أي اذا رأوك يستهزئون بك قائلين أبعث الله هذا رسولا الينا وهذا على سبيل الاستهزاء والمعنى أهذا الذي يزعم أنه بعثه الله رسولا (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ويروى ان هذا من قول أبي جهل وان مخففة من أن الثقيلة وضمير الشأن محذوف أي ان الشأن كاد هذا الرجل ليصرفنا عن عبادة آلهتنا صرفا كليا لولا أن ثبتنا عليها وهذا اعتراف منهم بأنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى التوحيد واقامة الحجج واظهار المعجزات الى حيث شارفوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) الذي يستحقه كفرهم وعنادهم عيانا في الآخرة (من أضل سبيلا) أي من أخطأ حجة فهذا وعيد شديد لهم على الاعراض عن الاستدلال والنظر (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) وهذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعجب من شناعة حالهم أي أرأيت يا أشرف الخلق الذي جعل معبوده ما يهواه وهو النضر وأصحابه أفأنت تكون عليه حفيظا تحفظه من اتباع هواه أي لست كذلك وقال سعيد بن جبير كان الرجل من المشركين يعبد الصنم فاذا

(أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) أي عبرة (وأعتدنا للظالمين) في الآخرة (عذابا أليما) أي سوى ما نزل بهم من عاجل العذاب وقوله (وأصحاب الرس) كانوا أهل بئر قعودا عليها وأصحاب مواش يعبدون الاصنام فأهلكوا بتكذيب نبيهم (وقرونا) أي جماعات (بين ذلك) أي بين الذين ذكرناهم (كثيرا وكلا ضربنا له الامثال) أي بينا لهم الاشباه في اقامة الحجة عليهم (وكلا تبرنا تتبيرا) أي أهلكنا اهلاكا (ولقد أتوا) يعني مشركي مكة (على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني الحجارة وهي قرية قوم لوط (أفلم يكونوا يرونها) اذا مروا بها مسافرين فيعتبروا (بل كانوا لا يرجون نشورا) لا يخافون بعثا (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) أي ما يتخذونك الا مهزوءا به يقولون (أهذا الذي بعث) ه (الله رسولا) الينا (ان كاد) أي انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) فيصدنا عن عبادتها (لولا أن صبرنا عليها) أي لصرفنا عنها (أرأيت من اتخذ الهه هواه) وهو أنهم كانوا يعبدون شيئا حجرا أو ما كان فاذا رأوا حجرا آخر أحسن طرحوا الأول وعبدوا الأحسن منه فهم يعبدون ما تهواه نفوسهم (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي حفيظا حتى ترده الى الايمان أي ليس عليك الا التبليغ

رأى

رأى أحسن منه رماه واتخذ الآخر وعبده (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) أى بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ماتتلو عليهم من الآيات سماع تفكر أو يفهمون مافيها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن وهذا انتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه صلى الله عليه وسلم لهم ممن يسمع أو يعقل فأم بمعنى بل والهمزة التى للاستفهام الانكارى وانما ذكر الأكثر لأنه كان فيهم من يعرف الله تعالى و يعقل الحق الا أنه ترك الاسلام لمجرد حب الرياسة لا للجهل (ان هم الا كالأنعام) فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات واقبالهم على اللذات الحاضرة (بل هم أضل سبيلا) من الانعام لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ماينفعها وتجتنب مايضرها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولايعرفون احسانه تعالى من اساءة الشيطان ولايطلبون الثواب ولايتقون العقاب ولأنها جارية الى ماخلقت هى له فلا تقصير منها فى طلب الكمال لأنه غير ممكن منها وهؤلاء معطلون لعقولهم مستحقون بتقصيرهم أعظم العقاب (ألم تر الى ربك) أى ألم تعلم يا أشرف الخلق الى حسن صنع ربك (كيف مد الظل) أى كيف بسطه فالظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأفنية الجدران وهو أطيب الأحوال لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وتسد النظر والضوء الخالص من شعاع الشمس يبهر البصر و يسخن الجو وهى مؤذية (ولو شاء لجعله ساكنا) أى دائما غير زائل بأن لاتذهبه الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) أى الظل (دليلا) فالناظر الى الجسم الملون وقت الظل لايشاهد شيئا سوى الجسم واللون ولا يعرف شيئا ثالثا فاذا طلعت الشمس و وقع ضوءها على الجسم زال ذلك الظل فعرف أن للظل وجودا لأن الأشياء انما تعرف بأضدادها فلولا الشمس لما عرف الظل ولولا الظلمة لما عرف النور فالله تعالى لما أطلع الشمس على الأرض وأزال الظل ظهر للعقول أن الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا أى خلقنا الظل أولا بالمنافع واللذات ثم انا هدينا العقول الى معرفة وجوده باطلاع الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود هذه النعمة والخطاب فى ألم تر عام وان كان ظاهره للرسول لأن المقصود بيان انعام الله تعالى بالظل وجميع المكلفين مشتركون فى تنبيههم على هذه النعمة وتوجيه الرؤية الى الله تعالى اشارة الى أن الذى ينبغى للعاقل أن يكون مطمح نظره معرفة شؤون الصانع الحكيم وأن يكون نظره غير مقصور على الآثار والصنائع (ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) أى ثم أزلنا الظل يسيرا يسيرا فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل وقبض الظل لو حصل دفعة لاختلت المصالح فاذا غربت الشمس فليس هناك ظل انما ذلك بقية نور النهار وقوله تعالى الينا للتصريح على كون مرجع الظل اليه تعالى كما أن حدوثه منه تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) أى مثل اللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس (والنوم سباتا) أى جعل النوم الواقع فى الليل قطعا عن الأفعال المختصة بحال اليقظة (وجعل النهار نشورا) أى زمان بعث من ذلك النوم وفى هذا اشارة الى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر (وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) أى قدام المطر وقرأ ابن كثير الريح بالافراد وقرأ نشرا نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم النون والشين أى ناشرات للسحاب وقرأه ابن عامر بضم النون وسكون الشين وقرأه حمزة والكسائى بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل أى متفرقة وقرأه عاصم بالباء الموحدة المضمومة وسكون الشين أى مبشرات فالرياح المبشرات هى الصبا والجنوب والشمال أما الدبور فهى ريح العذاب التى أهلكت بها عاد (وأنزلنا

وقيل ان هذا مما نسخته آية السيف (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) أى سماع تفهم (أو يعقلون) بقلوبهم ماتقول لهم (ان هم) أى ماهم (الا كالأنعام) أى فى جهل الآيات وما جعل لهم من الدليل (بل هم أضل سبيلا) لأن النعم تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم الذى أنعم عليهم (ألم تر الى ربك) أى ألم تعلم (كيف مد الظل) من وقت الاسفار الى طلوع الشمس (ولو شاء لجعله) أى لجعل الظل (ساكنا) يعنى ثابتا دائما (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) لأن بالشمس يعرف الظل (ثم قبضناه) أى الظل (الينا) بارتفاع الشمس (قبضا يسيرا) قيل خفيا وقيل سهلا (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) أى يستركم (والنوم سباتا) أى راحة لأبدانكم (وجعل النهار نشورا) أى حياة تنتشرون فيه من النوم وقوله

من السماء ماء طهورا) أي بليغا في الطهارة (لنحيي به بلدة ميتا) أي مكانا لا نبات فيه أي ليصير ذا نبات (ونسقيه) أي ذلك الماء (مما خلقنا أنعاما) أي بهائم (وأناسي) جمع انسان أصله أناسين (كثيرا) وهذا اما راجع للاناسي وذلك لأن أكثر الناس يجتمعون في البلاد القريبة من الأنهار ومنابع المياه فهم في غنية في شرب الماء عن المطر وكثير منهم نازلون في البوادي فلا يجدون المياه للشرب الا عند نزول المطر واما راجع الى ونسقيه وذلك لأن الحيوان يحتاج الى الماء حالا بعد حال ما دام حيا وهو مخالف للنبات الذي يكفيه من الماء قدر معين حتى لو زيد عليه بعد ذلك لكان أقرب الى الضرر (ولقد صرفنا بينهم) أي وبالله لقد أجرينا المطر في البلاد المختلفة والأوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة حتى انتفعوا بالزراعات وأنواع المعاش به كما روي مرفوعا عن ابن مسعود قال ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله تعالى قسم هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ورزق معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله تعالى ذلك الى غيرهم فما زيد لبعض نقص من غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار (ليذكروا) وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف أي ليذكروا نعمة الله به ويقوموا بشكره والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين أي ليعتبروا بالصرف اليهم وعنهم (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحودا للنعمة من حيث لا يتفكرون فيها ولا يستدلون بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه وقيل المعنى وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر بين الناس المتقدمين والمتأخرين في القرآن وسائر الكتب المنزلة على الرسل ليستدلوا به على الصانع فأبى أكثر الناس الا كفور النعمة القرآن والكتب ولنعمة المطر حيث أسندوها لغير خالقها (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء الرسالة ولكنا قصرنا الأمر عليك وفضلناك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) أي فلا توافقهم فيما يأمرونك (وجاهدهم به جهادا كبيرا) أي جاهدهم بسبب كونك نذيرا كافة القرى جهادا جامعا لكل مجاهدة أو وجاهدهم ملابسا بترك طاعتهم بل بالشدة لا بالمداراة جهارا كبيرا وذلك بتلاوة ما في القرآن من الزواجر والنواذر وتذكير أحوال الأمم المكذبة فان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف (وهو الذي مرج البحرين) أي أرسلهما في مجاريهما متلاصقين (هذا عذب) أي سائغ (فرات) أي بالغ في العذوبة حتى يصير الى الحلاوة (وهذا ملح) أي مر (أجاج) أي زعاق (وجعل بينهما) أي الطيب والمالح (برزخا) أي حائلا غير مرئي بقدرة الله تعالى (وحجرا محجورا) أي سترا ممنوعا به تغيير أحدهما طعم الآخر فالعذوبة أو الملوحة ان كانت بسبب طبيعة الأرض أو الماء فلا بد من الاستواء وان لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الأجسام بصفة خاصة (وهو الذي خلق من الماء) أي من ماء الذكر والأنثى (بشرا) أي خلقا كثيرا (فجعله نسبا وصهرا) أي فقسم البشر قسمين ذكورا ينسب اليهم واناثا يصاهر بهن أي يقارب ويخالط بهن وقيل النسب ما لا يحل تزويجه من القرابة والصهر ما يحل التزويج من القرابة وغيرها (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا مختلفا ألوانه وأعضاؤه وطباعه وربما خلق من نطفة واحدة توأمين فأكثر (ويعبدون) أي كفار مكة (من دون الله ما لا ينفعهم) بعبادته في الدنيا والآخرة (ولا يضرهم) بترك عبادته فيهما وهو الأوثان (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي وكان الكافر جماعة بعضهم معاون لبعض على اطفاء نور دين الله أو وكان الكافر معاونا للشيطان على عصيان ربه بالعداوة والشرك (وما أرسلناك الا مبشرا) للمؤمنين على الطاعة (ونذيرا) للكافرين على المعصية (قل) يا أكرم الرسل لأهل مكة

(طهورا) وهو الطاهر المطهر (لنحيي به) أي بالماء الذي أنزلناه من السماء (بلدة ميتا) أي بالجدوبة (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا) جمع انسي وهم الذين سقيناهم المطر (ولقد صرفناه) أي المطر (بينهم) بأنواعه وابلا وطشا ورذاذا (ليذكروا) أي ليتذكروا به نعمة الله (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أي جحودا حيث قالوا اسقينا بنوء كذا (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) ليخف عليك أعباء النبوة ولكن لم يفعل ذلك لتعظيم أجرك (فلا تطع الكافرين) في هواهم ولا تداهنهم (وجاهدهم به) أي بالقرآن (جهادا كبيرا) لا يخالطه فتور (وهو الذي مرج البحرين) أي خلطهما (هذا عذب فرات) شديد العذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما) أي بين العذب والملح (برزخا) أي حاجزا من قدرته حتى لا يختلط أحدهما بالآخر (وحجرا محجورا) أي حراما محرما أن يغلب أحدهما صاحبه (وهو الذي خلق من الماء) يعني النطفة (بشرا) أي آدميا (فجعله نسبا) لا يحل تزوجه (وصهرا) كابنة العم والخال وابنهما (وكان ربك قديرا) أي قادرا على ما يشاء وقوله (وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي معينا للشيطان على معصية الله (قل

(ما

(ماأسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أى لاأطلب على تبليغ الرسالة من أموالكم أجرا الافعل من أراد أن يطلب المنزلة عند الله تعالى بالايمان والطاعة كما أدعوكم اليهما وقيل لاأطلب من أموالكم جعلا لنفسى عن التبليغ لكن من شاء أن ينفق أمواله لاتخاذ السبيل الى ربه بالصدقة وغيرها فليفعل فالاستثناء على الأول متصل وعلى الثانى منقطع (وتوكل على الحى الذى لايموت) أى اعتمد بقلبك فى كل الأمور على الله تعالى والأسباب وسائط أمرنا بها من غير اعتماد عليها (وسبح بحمده) أى نزهه تعالى عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على كثير نعمه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) أى كفى الله مطلعا على ذنوب عباده ماظهر منها وما بطن (الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام) أى فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا فخلق الأرض فى يومين الأحد والاثنين وما بينهما فى يومين الثلاثاء والأربعاء والسموات فى يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة ومحل الموصول جر على أنه صفة ثانية للحى (ثم استوى على العرش الرحمن) فالوقف على العرش تام ان أعرب الرحمن على المدح خبر مبتدأ محذوف أى هو الرحمن الذى لاينبغى السجود الا له وهو فى الحقيقة صفة ثالثة للحى كما قرأ زيد بن على بالجر لأن المنصوب والمرفوع على سبيل المدح وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة تابعان له حقيقة ولا يوقف على العرش ان أعرب الرحمن بدلا من الضمير المستكن فى استوى فحينئذ فالوقف على الرحمن وهو وقف كاف ومعنى استوى على العرش أى ارتفع خالق السموات والأرض ارتفاعا يليق بجلاله وتصرف فى ملكه تصرفا تاما (فاسأل به خبيرا) أى فاسأل أيها الانسان عنه تعالى عالما بصفاته من الراسخين فى العلم (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) أى واذا قيل لكفار مكة اخضعوا للرحمن بالتوحيد والصلاة وغيرذلك (قالوا وما الرحمن) وما نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب أى فانهم اعترفوا بالله لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله تعالى (أنسجد لما تأمرنا) أى للذى تأمرنا بسجوده من غير أن نعرف المسجود له ماذا وقرأ حمزة والكسائى بالياء أى أنسجد لما يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ماهو وهل هو مسيلمة الكذاب أو غيره أو كان الضمير راجعا لسيدنا محمد على أن بعضهم قال لبعض أنسجد لأمر محمد ايانا بالسجود من غير معرفتنا للمسجود له (وزادهم) أى الأمر بسجود الرحمن (نفورا) أى تباعدا عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) أى منازل الكواكب السبعة السيارة المنظومة فى قول بعضهم

زحل شرى مريخه من شمسه ❊ فتزاهرت لعطارد الأقمار

وأسماء البروج منظومة فى قول بعضهم

حمل الثور جوزة السرطان ❊ ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدى ❊ نزح الدلو بركة الحيتان

وهذه البروج الاثنا عشر مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية (وجعل فيها) أى البروج (سراجا) وهو الشمس وقرأ حمزة والكسائى سرجا بضم السين والراء وهى الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) أى مضيئا بالليل وقرأ الحسن والأعمش وقمرا وهى جمع قمراء لأن الليالى تكون قمراء بالقمر (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) أى يتعقبان بأن يأتى أحدهما بعد الآخر (لمن أراد أن يذكر) قرأ حمزة بسكون الذال وضم الكاف والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين وعن أبى بن كعب ليتذكر

ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الوحى (من أجر) فتقولوا انه يطلب أموالنا (الامن شاء) لكن من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) يعنى بانفاق ماله وقوله (فاسأل به خبيرا) أى فاسأل أيها الانسان الذى لا تعلم صفته خبيرا يخبرك بصفاته (واذا قيل لهم) أى لهؤلاء المشركين (اسجدوا للرحمن) وهو اسم لله كانوا لايعرفونه لذلك (قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا) أنت يامحمد (وزادهم) قول القائل لهم اسجدوا للرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) يعنى منازل الكواكب السبعة (وجعل فيها سراجا) وهو الشمس (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) اذا ذهب هذا أتى هذا فأحدهما يخلف الآخر فمن فاته عمل بالليل فله مستدرك بالنهار وهو قوله (لمن أراد أن يذكر) أى أن يذكر الله بصلاة وتسبيح وقراءة

أى لينظر الناظر فى اختلافهما فيعلم انه لابد فى انتقالهما من حال الى حال من صانع رحيم للعباد (أو أراد شكورا) أى ليشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف فى النهار وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن معنى الآية من فاته شئ من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) أى هينين أى ان مشى عباد الله المقبولين فى لين وسكينة وتواضع لايضربون بأقدامهم ولا يتبخترون لأجل الخيلاء وعن زيد بن أسلم قال التمست تفسير هونا فلم أجد فرأيت فى النوم فقيل لى هم الذين لايريدون الفساد فى الأرض وعباد مبتدأ خبره الموصول وما عطف عليه (واذا خاطبهم الجاهلون) بالسوء (قالوا سلاما) أى ردوا معروفا كأن يقولوا لاخير بيننا وبينكم ولا شر فهو سلام توديع لاتحية كقول سيدنا ابراهيم عليه السلام لأبيه سلام عليك (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) أى يحيون الليل بالصلاة وسجدا خبر يبيتون (والذين يقولون) فى دعائهم (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أى هلاكا لازما أى فانهم مع اجتهادهم فى العبادة خائفون من عذاب الله (انها ساءت مستقرا ومقاما) وهذا يمكن أن يكون من كلام الله تعالى فهو مستأنف وأن يكون حكاية لقولهم تعليل بسوء حالها فى نفسها عقب تعليل بسوء حال عذابها والمعنى ان جهنم بئست جهنم هى حال كونها مستقرا للعصاة من أهل الايمان فانهم غير مقيمين فيها وحال كونها مقاما للكافرين فانهم مخلدون ويقال ان جهنم أحزنت داخليها من جهة موضع استقرار ومن جهة موضع اقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) أى لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) أى ولم يضيقوا تضييق الشحيح (وكان بين ذلك قواما) أى وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار وسطا وقرأ نافع وابن عامر يقتروا بضم التحتية وكسر الفوقية وابن كثير وأبو عمرو بفتح التحتية وكسر الفوقية والكوفيون بفتح التحتية وضم الفوقية فالقراءات السبعية ثلاثة والقاف على كل ساكنة وقرئ قواما بكسر القاف أى ما يقام به الحاجة لايفضل عنها ولا ينقص وكان أصحاب رسول الله ﷺ لايأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون مايسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون مايستر عوراتهم ويصونهم من الحر والبرد وروى أن رجلا صنع طعاما فى املاك فأرسل الى رسول الله ﷺ فقال حق فأجيبوا ثم صنع الثانية فأرسل اليه فقال خلق فمن شاء فليجب والا فليقعد ثم صنع الثالثة فأرسل اليه فقال رياء ولا خير فيه (والذين لايدعون) أى لايعبدون (مع الله الها آخر) والمقصود من هذا تنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار (ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق) أى بالردة وبالقتل قودا وبالزنا بعد الاحصان فالمقتضى لحرمة القتل قائم أبدا وجواز القتل انما ثبت بالمعارض فقوله تعالى حرم الله اشارة الى المقتضى وقوله الا بالحق اشارة الى المعارض (ولا يزنون) وعن ابن مسعود قلت يارسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال أن تزنى بحليلة جارك فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقا لرسول الله ﷺ (ومن يفعل ذلك) أى ماذكر من الثلاثة كما هو دأب الكفرة المذكورين (يلق أثاما) أى جزاء اثمه وقال الحسن الأثام اسم من أسماء جهنم وقال مجاهد الأثام واد فى جهنم وقرأ ابن مسعود أياما أى شدائد لأنه يقال لليوم الصعب يوم ذو أيام (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعف بتشديد العين واسقاط الألف (ويخلد فيه) أى فى ذلك العذاب (مهانا) أى مقرونا بالاذلال كما أن الثواب مقرون بالتعظيم وقرأ ابن عامر وشعبة يضاعف ويخلد كلاهما بالرفع على الاستئناف أو على الحال وقرأ حفص مع ابن كثير فيه بصلة الهاء بالياء

أو أراد شكورا) أى شكر النعمة بطاعته (وعباد الرحمن) أى خواص عباده (الذين يمشون على الأرض هونا) أى بالسكينة والوقار (واذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه (قالوا سلاما) أى سدادا من القول يسلمون فيه من الاثم وقوله (غراما) أى شرا لازما (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) أى لم يكن انفاقهم فى معصية الله (ولم يقتروا) أى لم يمنعوا حق الله (وكان) أى انفاقهم (بين ذلك) أى بين الاسراف والاقتار (قواما) أى قائما وقوله (يلق أثاما) أى عقوبة وقيل جزاء الأثام وقوله

(الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يغفر الله لهم تلك السيئات ويكتب موضع كافر مؤمن، وموضع عاص مطيع ولا يبعد في كرم الله تعالى اذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (وكان الله غفورا رحيما) روى البخاري عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أهل الشرك فلما نزل صدرها قال أهل مكة قد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش فأنزل الله الا من تاب الى رحيما (ومن تاب) عن المعاصي بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتدارك به ما فرط ولو كان نيته وعمله كلاهما ضعيفا (فانه يتوب) أي يرجع (الى الله متابا) أي رجوعا مرضيا عند الله أي ومن تاب عن المعاصي الى الطاعة فان التوبة منه في الحقيقة توبة الى الله أي فانه قد أتى بتوبة مرضية لله مكفرة للذنوب محصلة للثواب وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات (والذين لا يشهدون الزور) أي لا يحضرون مواضع الكذب فان حضور مجامع الفساق مشاركة لهم في تلك المعصية ولان النظر دليل الرضا بها أو لا يشهدون بالكذب وقال محمد بن الحنفية الزور الغناء (واذا مروا باللغو) أي بأهل اللغو على سبيل الاتفاق من غير قصد (مروا كراما) أي مكرمين أنفسهم عن مثل حال اللغو وهو كل ما يجب أن يترك واكرامهم لأنفسهم لا يكون الا بالاعراض وبالانكار وبترك المعاونة (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) أي والذين اذا وعظوا بالآيات المشتملة على الأحكام والمواعظ أكبوا على تلك الآيات حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان كالمنافقين والكفرة كأبي جهل والأخنس بن شريق فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل وهو الخرور كقولك لا يلقاني زيد مسلما فهو نفي للاسلام لا للقاء وذلك تعريض بما يفعله الكفرة والمنافقون (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) أي اجعل لنا ما يحصل به سرور أعين من أزواجنا وذرياتنا بأن نراهم صالحين مطيعين لك وعن محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده يطيعون الله وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ذرياتنا بألف على الجمع والباقون بغير ألف على الافراد (واجعلنا للمتقين اماما) أي يقتدون بنا في أمر الدين بافاضة العلم وبالتوفيق للعمل (أولئك) أي المتصفون بتلك الصفات الثمانية (يجزون الغرفة) أي يثابون أعلى منازل الجنة (بما صبروا) أي بسبب صبرهم على طاعة الله والفقر والرزايا (ويلقون فيها تحية وسلاما) قرأ حمزة والكسائي وشعبة يلقون بفتح الياء وسكون اللام أي يجدون في الغرفة اكرام الله تعالى لهم بالهدايا وسلامه عليهم بالقول والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف أي يجعلهم الله تعالى في الغرفة لاقين ذلك (خالدين فيها) أي في الغرفة لا يموتون ولا يخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) أي حسنت الغرفة من حيث موضع الاستقرار وموضع الاقامة هي (قل) يا أشرف الخلق لأهل مكة (ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) أي أي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى فانكم وسائر البهائم سواء أو لا يبالي بكم ربكم لولا دعاؤه اياكم الى طاعته فان مبالاة الله بشأن عباده حيث خلق السموات والارض وما بينهما انما هو ليعرفوا أحق النعم ويطيعوه فيما كلفهم به (فقد كذبتم) بما أخبرتكم به (فسوف يكون) أي جزاء التكذيب (لزاما) أي ملازما لكم وهو عقاب الآخرة

(يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام بالشرك ايمانا وبالزنا عفة واصلاحا واحصانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين (ومن تاب) أي عزم على التوبة (فانه يتوب الى الله متابا) وينبغي أن يبادر اليها ويتوجه الى الله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) أي لا يشهدون بالكذب (واذا مروا باللغو مروا كراما) أي اذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى صفحوا وأعرضوا وهو منسوخ بالقتال على هذا التفسير (والذين اذا ذكروا) أي وعظوا (بآيات ربهم) أي بالقرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) أي لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها أو عمي لم يروها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) بأن نراهم مطيعين لك صالحين (واجعلنا للمتقين اماما) أي اجعلنا ممن يهتدي به المتقون ويهتدي بالمتقين (أولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) أي الدرجة في الجنة (بما صبروا) على طاعة الله (ويلقون فيها) ويستقبلون فيها أي في الغرفة (تحية وسلاما) أي بالتحية والسلام (قل ما يعبؤا بكم ربي) أي ما يفعل بكم وما يصنع وأي وزن لكم يكون عنده (لولا دعاؤكم) أي توحيدكم وعبادتكم اياه (فقد كذبتم) يا أهل مكة خرجتم عن أن يكون لكم عنده مقدار (فسوف يكون لزاما) أي يكون العذاب لازما لكم

﴿ سورة الشعراء مكية الا أربع آيات من قوله والشعراء الى آخر السورة فمدنية ﴾
﴿ وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وسبع وستون كلمة ﴾
﴿ وخمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون حرفا ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طسم) ومحله رفع على أنه خبر مبتدا محذوف ان كان اسما للسورة وأما ان كان مسرودا على نمط التعديد بطريق التحدي فلا محل له من الاعراب وقيل قسم أقسم الله تعالى به وقال أهل الاشارة هو اشارة الى طاء طوله تعالى في كمال عظمته والى سين سلامته عن كل عيب ونقص وهو منفرد في تنزهه عنه والى ميم مجده في عزة كرم لانهاية لها واشارة أيضا الى طاء طهارة قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الكونين والى سين سيادته على الأنبياء والمرسلين والى ميم مشاهدته لجمال رب العالمين واشارة أيضا الى طاء طيران الطائرين بالله والى سين سير السائرين الى الله والى ميم مشى الماشين لله مشى العبودية لامشى التفخر والتكبر قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان أنيخ على صخرة استناخ وعن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المص مكان الانجيل وأعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ماقرأهن نبي قبلي (تلك) أي هذه السورة (آيات الكتاب المبين) أي آيات القرآن الظاهر اعجازه والمبين للاحكام فألفاظ القرآن من حيث تعذر عليهم أن يأتوا بمثله يمكن أن يستدل به على فاعل مخالف لهم كما يستدل بسائر مالايقدر العباد على مثله فهو دليل التوحيد من هذا الوجه ودليل النبوة من حيث الاعجاز ويعلم به بعد ذلك أنه اذا كان من عند الله تعالى فهو دلالة الأحكام أجمع واذا ثبت هنا صارت آيات القرآن كافية في كل الأصول والفروع أجمع (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) فلعل للاشفاق وهو بمعنى الأمر أي أشفق على نفسك أن تقتلها لعدم ايمان قريش بذلك الكتاب الفاصل بين الحق والباطل أولا تبالغ في الحزن على مافاتك من اسلام قومك لأنك يا أكرم الرسل ان بالغت فيه كنت بمنزلة من يقتل نفسه ثم لاينتفع بذلك أصلا والله تعالى نبه رسوله أن غمه على ذلك لانفع فيه كما أن وجود الكتاب على وضوحه لانفع لهم في الايمان لما أنه سبق حكم الله بخلافه (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي ان نشأ ننزل عليهم من السماء علامة مخوفة لهم قاصرة على الايمان كرفع الجبل فوق رؤسهم كما وقع لبني اسرائيل فيصيروا لتلك العلامة منقادين في قبول الايمان وذكر الأعناق لبيان موضع الخضوع واكتسبت اضافتها الى العقلاء حكمهم كما اكتسبت الاضافة الى المؤنث التأنيث كعكسه ولذلك كان الخبر مجموعا جمع سلامة لمذكر عاقل (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أي ما يأتي أهل مكة من موعظة من المواعظ القرآنية تنبههم عن الغفلة من جهة الله تعالى مجدد تنزيله بحسب المصلحة الا وقد جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب (فقد كذبوا) أي بلغوا النهاية في رد الذكر الذي يأتيهم ردا مقارنا للاستهزاء به حيث جعلوه تارة سحرا وأخرى أساطير وأخرى شعرا (فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) أي سيأتيهم مصداق استهزائهم من العقوبات العاجلة والآجلة (أولم يروا الى الارض) أي أفعل كفار مكة الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى عجائب الارض الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الايمان بالآيات (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي كثيرا من كل صنف مرضي في جماله وفي فوائده أنبتنا في الارض (ان في ذلك)

﴿ تفسير سورة الشعراء ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(طسم) أقسم الله بطوله وسنائه وملكه (تلك) أي هذه (آيات الكتاب المبين) يعني القرآن (لعلك باخع نفسك) قاتلها (ألا يكونوا مؤمنين) أي لتركهم الايمان وذلك أنه لما كذبه أهل مكة شق عليه ذلك فأعلم الله أنه لوشاء لاضطرهم الى الايمان فقال تعالى (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي يذلون لها فلا يلوي أحد منهم عنقه الى معصية الله عزوجل (وما يأتيهم من ذكر) أي وعظ (من الرحمن محدث) أي في الوحي والتنزيل (فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) أي فسيعلمون نبأ ذلك وهو وعيد لهم (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل نوع محمود مما يحتاج اليه الناس (ان في ذلك

الانبات (لآية) عظيمة دالة على كمال قدرة المنبت وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى وما أكثر قومه صلى الله عليه وسلم مؤمنين أى مع ذلك يستمر أكثرهم على كفرهم وكان صلة عند سيبويه (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أى ان ربك غالب على الأمور ومع ذلك رحيم بعباده ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترأوا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات (واذ نادى ربك موسى) أى واذكر يا أكرم الرسل لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى موسى عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عن التكذيب قال أبو الحسن الاشعرى المسموع هو الكلام القديم فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات مع أنها مرئية فى الآخرة من غير كيف ولا جهة فكذا كلامه منزه عن مشابهة الحروف والاصوات مع أنه مسموع وقال أبو منصور الماتريدى الذى سمعه موسى عليه السلام كان نداء من جنس الحروف والاصوات لانا حكمنا بأن كل موجود يصح أن يرى ولم يثبت أنا نسمع الاجسام فلم يلزم صحة كون كل موجود مسموعا (أن ائت القوم الظالمين) أى بالكفر والمعاصى واستعباد بنى اسرائيل وذبح أبنائهم وكان بنو اسرائيل فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا (قوم فرعون) عطف بيان (ألا يتقون) وهذا كلام مستأنف جئ به حملا لموسى على التعجب من حالهم فى الظلم والعسف ومن علم خوفهم أى تعجب ياموسى من علم تقواهم وقرئ بكسر النون والاصل ألا يتقوننى فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات الدال على زيادة الغضب عليهم أى قل لهم ألا تخافون عقاب الله فألا للتنبيه والعرض (قال) أى موسى اظهارا للعجزة وطلبا للمعونة (رب انى أخاف أن يكذبون) من أول الأمر (ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياى (ولا ينطلق لسانى) بسبب ضيق القلب وهذان الفعلان مرفوعان معطوفان على أخاف وقرأ زيد بن على وطلحة وعيسى والأعمش بالنصب فيهما معطوفان على صلة أن والأعرج بنصب الأول ورفع الثانى (فأرسل الى هرون) أى فأرسل جبريل الى أخى هرون ليكون رسولا مصاحبا لى فى دعوة فرعون وقومه وكان هرون اذ ذاك بمصر وموسى فى المناجاة فى الطور (ولهم على ذنب) أى تبعة قتل القبطى (فأخاف أن يقتلون) به قبل أداء الرسالة كما ينبغى ان أتيتهم وحدى فيفوت المقصود من الرسالة (قال) الله (كلا) أى ارتدع ياموسى عما تظن أو خفت الا أسلطهم عليك بالقتل (فاذهبا) أى اذهب أنت ومن طلبته وهو هرون (بآياتنا) الدالة على صدقكما أى فانها تدفع خوفكما (انا معكم مستمعون) أى لكما ولعدوكما ناصر لكما عليه وسامع لما يجرى بينكما وبينه فأعليكما عليه وأكسر شوكته عنكما (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) اليك والى قومك وافراد الرسول لاتحادهما بسبب الاخوة واتفاقهما على شريعة واحدة أو لان المعنى ان كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) وأن مفسرة أى أطلقهم وخلهم وشأنهم ليذهبوا معنا الى الشام فانطلقا الى فرعون وقالا له ما أمرا به وروى وهب وغيره أنهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد أخرج سباعا من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها فخاف خدامها أن تبطش بموسى وهرون فأسرعوا اليها وأسرعت السباع الى موسى وهرون فأقبلت تلحس أقدامهما وتبصبص اليهما بأذنابها وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ما أنتما قالا انا رسول رب العالمين فعرف هو موسى عليه السلام (قال) عند ذلك لموسى عليه السلام (ألم نربك فينا) أى فى منازلنا (وليدا) أى صغيرا (ولبثت فينا من عمرك سنين) ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثين سنة ثم بعد الغرق خمسين سنة وقيل مكث عليه الصلاة والسلام عند فرعون خمس

لآية) أى لدلالة على وحدانية الله (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى لما سبق فى علمى وقضائى فيهم (و) اذكر يا محمد (اذ نادى ربك موسى) ليلة رأى الشجرة والنار (أن ائت القوم الظالمين) لانفسهم بالكفر (قوم فرعون ألا يتقون) ألا يخافون الله فيؤمنوا به (ويضيق صدرى) من تكذيبهم اياى (ولا ينطلق لسانى) بأداء الرسالة للعقدة التى فيه (فأرسل الى هرون) أى ليظاهرنى على التبليغ (ولهم على ذنب) أى بقتل القبطى (قال كلا) لا يقتلونك (انا معكم) أى بالنصرة (مستمعون) يعنى مستمع يريد أسمع ما تقول لهم ويقال لك (فأتيا فرعون فقولا انا رسول) ذو رسالة (رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل) مفسر فى طه فلما أتاه بالرسالة عرفه فرعون (قال ألم نربك فينا وليدا) أى صبيا (ولبثت فينا من عمرك سنين) أى ثلاثين سنة

عشرة سنة (وفعلتك التي فعلت) وهي وكز القبطي حتى مات (وأنت من الكافرين) أي الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعلم اتخاذك عبدا لي كبني اسرائيل أو من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة (قال) موسى (فعلتها) أي تلك الفعلة (اذا) أي حين اذ كنت لابثا فيكم (وأنا من الضالين) أي الناسين عن معرفة ما يؤول اليه القتل لانه فعل الوكزة على وجه التأديب وقرئ من الجاهلين أي بأن ذلك الفعل يؤدي الى القتل (ففررت منكم) الى ربي (لما خفتكم) أن تؤاخذوني بما لا أستحقه بجنايتي لأني قتلت القتيل خطأ وأنا ابن اثنتي عشرة سنة مع كونه كافرا وروي عن حمزة لما خفتكم بكسر اللام و بما المصدرية أي لتخوفي منكم (فوهب لي ربي حكما) أي علما وفهما في الدين (وجعلني من المرسلين) بعد تلك الفعلة (وتلك) أي التربية (نعمة تمنها على أن عبدت بني اسرائيل) ومحل أن عبدت رفع عطف بيان لتلك أو بدل من نعمة أي وتلك جعلك بني اسرائيل عبيدك وقصدك اياهم بذبح أبنائهم هو السبب في وقوعي عندك وانفاقك علي مما أخذت من أموالهم فلو لم يكن منك ذلك الظلم لكنت مستغنيا عن تربيتك فلا نعمة لك علي بالتربية ولا فضيلة لك في عدم استعبادي الذي منت به علي لأن استعبادك لغيري ظلم كما أن عدم قتلك اياي لا يعد انعاما لأن قتلك غيري ظلم وقال الزجاج و يجوز أن يكون أن عبدت في محل نصب مفعولا لأجله والمعنى انما صارت التربية نعمة علي لأجل أن عبدت بني اسرائيل فلو لم تفعل ذلك لكفاني أهلي (قال فرعون) لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة (وما رب العالمين) أي أي شئ رب العالمين الذي ادعيت أنك رسوله (قال) موسى مجيبا له بابطال دعواه أنه اله (رب السموات والارض وما بينهما) أي خالق هذه الثلاثة (ان كنتم موقنين) باستناد هذه المحسوسات الى موجود هو واجب الوجود فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته فالسؤال عن الحقيقة سفه (قال) أي فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه كانوا خمسمائة لابسين للاساور ولم يلبسها الا السلاطين (ألا تستمعون) جوابه فقد سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله (قال) موسى (ربكم ورب آبائكم الأولين) جاء موسى عليه السلام بدليل يفهمونه لانهم يعلمون أنهم قد كان لهم آباء فنوا وأنهم كانوا بعد أن لم يكونوا وأنهم لابد لهم من مكون ومفن (قال) فرعون لخاصته وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب وقد خاف من تأثرهم من جواب سيدنا موسى عليه السلام (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) لا يفهم السؤال لأني أسأله عن شئ وهو يجيبني عن آخر وأسند فرعون الرسول الى من حوله تكبرا عن أن يكون مرسلا الى نفسه وسماه رسولا بطريق الاستهزاء (قال) موسى (رب المشرق والمغرب وما بينهما) أي هو خالق موضع طلوع الشمس وغروبها ووقتهما وما بينهما فتشاهدون في كل يوم انه يأتي الشمس من المشرق الى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم (ان كنتم تعقلون) أي ان كان لكم عقل علمتم أن لا جواب فوق ذلك وأن الأمر كما قلته (قال) فرعون لموسى عليه السلام لما عجز عن الحجج (لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين) أي لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادة اللعين أن يأخذ من يريد أن يسجنه فيطرحه في بئر عميقة فردا لا يبصر فيها ولا يسمع حتى يموت فكان ذلك أشد من القتل ولذلك لم يقل تعالى لأسجننك لانه لا يفيد الا صيرورته مسجونا وروي أن اللعين يفزع من موسى فزعا شديدا حتى كان لا يمسك بوله (قال) موسى له (أولو جئتك بشيء مبين) أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك بأمر بين في باب الدلالة على وجود الله تعالى وعلى أني رسوله أي وهل تستجيز أن تسجنني مع اقتداري على أن آتيك بالمعجزات الدالة على صدق دعواي (قال) فرعون له (فأت به) أي

(وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي (وأنت من الكافرين) أي الجاحدين لنعمتي عليك (قال) موسى (فعلتها اذا وأنا من الضالين) أي الجاهلين لم يأتني من الله شئ (وتلك نعمة تمنها علي) أقر بانعامه عليه فقال هي نعمة اذ ربيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني اسرائيل وعبدت معناه اتخذت عبيدا (قال فرعون وما رب العالمين) يعني وأي شئ رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله (قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أي أنه خالقهما (قال) فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه متعجبا لهم (ألا تستمعون) أي الى ما يقوله موسى ف(قال) موسى (ربكم ورب آبائكم الأولين قال) فرعون (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) أي يتكلم بكلام لا تعرف صحته (قال) موسى (رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) ف(قال) فرعون حين لزمته الحجة (لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين) أي من المحبوسين في السجن (قال) موسى (أولو جئتك بشئ مبين) يعني أوتفعل ذلك ان أتيتك على ما أقول بحجة بينة (قال فأت به) مفسر أكثره الى قوله

بذلك الشيء (ان كنت من الصادقين) فى دعوى الرسالة و فى أن لك برهانا وانما أمره عليه السلام
فرعون بالاتيان بالشيء الموضح لصدق دعواه عليه السلام لظنه انه يقدر على معارضته ولطمعه فى أن
يجد موضعا للانكار (فألقى عصاه) قال ابن عباس عصا موسى اسمها ماشا وقيل نبعة (فاذا هى ثعبان
مبين) أى حية عظيمة صفراء ذكر تبين للناظرين أنه ثعبان بحركاته و بسائر العلامات وليس بتمويه
كما يفعله السحرة (ونزع يده) من ابطه (فاذا هى بيضاء للناظرين) تضىء الوادى من شدة
بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس تعجب الناظرين اليها قيل لما رأى فرعون الآية الأولى
قال هل لك غيرها فأخرج موسى يده فقال لفرعون ماهذه فقال فرعون يدك فما فيها فأدخلها فى ابطه
ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار و يسد الأفق فعند هذا أراد فرعون تعمية هذه الحجة على قومه
فذكر أمورا ثلاثة (قال الملأ حوله ان هذا) الرسول (لساحر عليم) أى حاذق بالسحر فان الزمان
كان زمن السحرة وكان عند كثير منهم أن الساحر قد يجوز أن ينتهى بسحره الى هذا الحد فلهذا
روج فرعون عليهم هذا القول (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) أى يريد هذا الرجل أن
يخرجكم من مصر بما يلقيه بينكم من العداوات فيفرق جمعكم وهذا يجرى مجرى التنفير عن موسى
عليه السلام فان مفارقة الوطن أصعب الأمور فنفرهم عنه بذلك (فماذا تأمرون) أى فأى شىء تأمرونى
به فى شأنه فانى متبع لرأيكم ومنقاد لقولكم ومثل هذا الكلام يوجب انصراف القلوب عن العدو
فعند هذه الكلمات اتفقوا على جواب واحد (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر مناظرتهما لوقت اجتماع
السحرة وقيل احبسهما ولا تقتلهما لما روى أن فرعون أراد قتلهما ولم يصل اليهما فقالوا له لا تفعل
فانك ان قتلتهما أدخلت على الناس شبهة فى الدين ولكن أخر أمرهما الى أن تجمع السحرة ليقاوموهما
فلا تثبت لهما حجة عليك وقرأ قالون أرجه بغير همز و باختلاس كسرة الهاء و ورش والكسائى باشباع
كسرة الهاء وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة و بصلة الهاء المضمومة وأبو عمرو بضم الهاء مع
الاختلاس وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء مع الاختلاس وعاصم وحمزة بغير همز واسكان الهاء (وابعث فى
المدائن حاشرين) أى أنفذ الى مدائن الساحرين شرطا يحشرهم وذلك لظنهم اذا كثر السحرة غلبوا
موسى عليه السلام وكشفوا حاله (يأتوك) أى الحاشرون (بكل سحار عليم) أى فائق فى فن السحر
على موسى (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أى فى زمان يوم معروف و فى مكان معروف وعن ابن
عباس وافق يوم السبت من أول يوم النيروز وهو أول سنتهم وعن ابن عباس قال كانت السحرة سبعين
رجلا وسمى ابن اسحق رؤساءهم سابورا وغادور وحطحط ومصفى وشمعون وعن ابن جرير كان
اجتماعهم بالاسكندرية (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين)
والاستفهام للحث على المبادرة الى الاجتماع والترجى للغلبة لا لاتباع السحرة لانه مقطوع به
عندهم أى احضروا لتشاهدوا ما يكون من الجانبين فانا نرجو أن تكون الغلبة للسحرة فنتبعهم لا نتبع
موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا) أى جزاء من المال والجاه (ان كنا نحن
الغالبين) على موسى فبذل فرعون لهم البذل والمنزلة (قال) فرعون (نعم) أى لكم الأجر على عملكم
السحر (وانكم اذا) أى اذ كنتم غالبين (لمن المقربين) عندى فى الدخول على تكونون أول
من يدخل على وآخر من يخرج عنى وقرأ الكسائى نعم بكسر العين (قال لهم موسى) مريدا لابطال
سحرهم لانه لا يمكن منه الا بالقائهم (ألقوا ما أنتم ملقون) وهذا تهديد أى ان فعلتم ذلك أتينا بما
نبطله (فألقوا حبالهم وعصيهم) اثنين وسبعين حبلا واثنين وسبعين عصا (وقالوا) أى السحرة
عند الالقاء نقسم (بعزة فرعون انا لنحن الغالبين) على موسى (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف

مايأفكون) أي تبتلع بسرعة مايغيرونه عن حاله الاول من الجمادية الى كونه حية تسعى. روى عن ابن
عباس كانت حبالهم مطلية بالزئبق وعصيهم مجوفة مملوءة من الزئبق فلما حميت اشتدت حركتها فصارت
كأنها حيات تدب من كل جانب من الارض فألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ثم فتحت فاها فابتلعت
كل مارموه من حبالهم وعصيهم حتى أكلت الكل ثم أخذ موسى عصاه فاذا هي كما كانت فلما رأت السحرة
ذلك قالوا لفرعون كنا نسحر الناس فاذا غلبناهم بقيت الحبال والعصي وكذلك ان غلبونا ولكن هذا
حق (فألقى السحرة ساجدين) أى سقطوا على الارض ساجدين عقب ماشاهدوا ذلك من غير تلعثم
لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر الهى قد ظهر على يد موسى عليه الصلاة والسلام
لتصديقه (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى
الربوبية فأرادوا عزله وانما أسندوا الرب الى موسى وهرون لانهما اللذان دعواهم اليه (قال) أى
فرعون للسحرة (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى آمنتم لموسى بغير أن آذن لكم (انه لكبيركم الذى علمكم
السحر) أى ان موسى علمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم فانكم فعلتم ذلك عن موافقة بينكم وبين موسى
وقصرتم فى السحر لتظهروا أمر موسى والا ففى قوة السحرة أن يفعلوا مثل فعل موسى عليه السلام
وهذه شبهة قوية فى تنفير من يقبل قوله عليه السلام (فسوف تعلمون) وبال مافعلتم (لاقطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف) وهو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم أجمعين) على شاطئ نهر
مصر وهذا تهديد شديد وليس فى الاهلاك أقوى من ذلك وليس فى الآية أن فرعون فعل ذلك أو لم
يفعل (قالوا) أى السحرة (لاضير) أى لاضرر فى ذلك علينا (انا الى ربنا منقلبون) ومقصودهم
بالايمان محض الوصول الى مرضاته تعالى والاستغراق فى أنوار معرفته وهذا أعلى درجات الصديقين
(انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين) فانا الى ربنا وانا نطمع كلاهما تعليل لعدم الضير
وأن كنا تعليل لطمع غفران الخطايا أى لاضير علينا فى قتلك ايانا لانا نرجوا أن يغفر لنا ربنا شركنا
لكوننا أول المؤمنين من الجماعة الذين حضروا ذلك الموقف من رعية فرعون وقرئ ان كنا بالكسر
على الشرط على طريقة قول المدل كقول العامل لمستأجر يؤخر أجرته ان كنت عملت لك فوفنى
حقى (وأوحينا الى موسى) بعد ثلاثين سنة (أن أسر بعبادى) من آمن بك من بنى اسرائيل وقرأ نافع وابن
كثير بكسر النون ووصل الهمزة والباقون بسكون النون وقطع الهمزة وقرئ أن سر فأن حرف
تفسير (انكم متبعون) تعليل للأمر بالاسراء أى لانه يتبعكم فرعون وجنوده فلا يدركوكم قبل وصولكم
الى البحر ثم ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم
بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر قال القرطبى فخرج موسى عليه الصلاة
والسلام ببنى اسرائيل سحرا فترك الطريق الى الشام على يسار وتوجه نحو البحر فكان الرجل من
بنى اسرائيل يقول له فى ترك الطريق فيقول هكذا أمرت فلما أصبح فرعون وعلم بسرى موسى ببنى
اسرائيل خرج فى أثرهم وبعث الى مدائن مصر لتلحقه العساكر وقوى نفسه ونفس أصحابه بأن وصف
قوم موسى بوصفين من أوصاف الذم ووصف قوم نفسه بصفة المدح وذلك قوله تعالى (فأرسل فرعون فى
المدائن حاشرين) أى شرطا جامعين العساكر ليتبعوهم قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية
وقال لهم (ان هؤلاء) أى بنى اسرائيل (لشرذمة قليلون) أى لطائفة قليلة وكانوا ستمائة ألف مقاتل
ليس فيهم من دون عشرين ولا من بلغ ستين سوى الحشم وفرعون يقللهم لكثرة من معه أو لارادة
ذلتهم اذ روى أنه أرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور ومع كل ملك ألف وخرج فرعون

(قالوا لاضير) أى لاضرر (انا الى ربنا منقلبون) أى راجعون للثواب (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) يعنى لأن كنا (أول المؤمنين) أى من هذه الأمة (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين) يعنى الشرط ليجمعوا له الجيش وقال لهم (ان هؤلاء) يعنى بنى اسرائيل (لشرذمة) أى عصبة (قليلون

فى جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون فى ألف ألف حصان سوى الاناث وروى ان فرعون خرج على حصان أدهم وفى عسكره على لون فرسه ثلاثمائة ألف (وانهم لنا لغائظون) أى لفاعلون أفعالا تضيق صدورنا حيث خالفوا ديننا وذهبوا بأموالنا التى استعاروها وخرجوا من أرضنا بغير اذننا (وانا لجميع حذرون) أى لجماعة يستعملون الحزم فى الأمور وقرأ ابن ذكوان والكوفيون بألف بعد الحاء أى شاكون السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة أى أقوياء أشداء (فأخرجناهم) أى جعلنا فى قلوب فرعون وقومه داعية الخروج (من جنات) أى بساتين من اسوان الى رشيد (وعيون) أى أنهار جارية فى البساتين والدور (وكنوز) أى أموال وسميت كنوزا لانهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله تعالى قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق فى عنق كل فرس طوق من ذهب (ومقام كريم) أى منازل حسنة قيل كان فرعون اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم أقبية الديباج مرصعة بالذهب (كذلك) وهو مصدر تشبيهى أى أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفناه أو وصف لمقام أى وأخرجناهم من مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم أو خبر مبتدأ محذوف أى اخراجنا كما وصفنا (وأورثناها بنى اسرائيل) أى جعلناهم متملكين لتلك النعم بعد هلاك فرعون وقومه (فأتبعوهم مشرقين) أى فجعلوا أنفسهم تابعة لبنى اسرائيل وقت طلوع الشمس وقرئ فاتبعوهم أى فلحقوهم داخلين فى وقت الشروق (فلما تراءى الجمعان) أى رأى كل واحد من جمع موسى وجمع فرعون الآخر وقرئ تراءت الفئتان (قال أصحاب موسى) بنو اسرائيل وغيرهم (انا لمدركون) أى لملحقون وقرئ لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء أى لمتتابعون فى الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد (قال) موسى لهم (كلا) أى ارتدعوا عن ذلك التوهم أو حقا لن يدركونا لان الله وعدنا الخلاص منهم (ان معى ربى) بالنصرة (سيهدين) أى يدلنى على طريق النجاة منهم البتة روى ان رجلا مؤمنا من آل فرعون يكتم ايمانه كان بين يدى موسى عليه السلام فقال يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فحرك فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب فى الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فأوحى الله اليه يضرب البحر بعصاه فاذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتل سرجه وذلك قوله تعالى (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) فضربه (فانفلق) أى انشق بقدرة الله تعالى فصار اثنى عشر فرقا بعدد الأسباط بينهن مسالك (فكان كل فرق) حاصل بالانفلاق (كالطود العظيم) أى كالجبل المرتفع فى السماء فدخلوا فى شعاب تلك الفرق كل سبط فى شعب منها فقال كل سبط قتل أصحابنا فعند ذلك دعا موسى ربه فجعل فى تلك الجدران المائية مناظر كالكوى حتى نظر بعضهم الى بعض على أرض يابسة (وأزلفنا ثم الآخرين) أى قربنا فى موضع انفلاق البحر قوم فرعون حتى دخلوا عقب قوم موسى مداخلهم وعن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بنى اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى اسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويقول للقبط رويدكم ليلحق آخركم أولكم وقيل وقربناهم الى الموت لأنهم قربوا من أجلهم فى ذلك الوقت وقيل المعنى وحبسنا فرعون وقومه فى الضبابة عند طلبهم موسى بأن أظلمنا عليهم الدنيا بسحابة وقفت عليهم فوقفوا حيارى وقرئ وأزلقنا بالقاف أى أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم (وأنجينا موسى ومن معه) من قومه وغيرهم (أجمعين) بحفظ البحر على انفلاقه اثنى عشر فرقا الى أن عبروا الى البر (ثم أغرقنا الآخرين) باطباق البحر عليهم لما تكامل دخولهم البحر قيل هذا البحر بحر القلزم وقيل بحر اساف

وانهم لنا لغائظون) أى مغيظون لمخالفتهم إيانا (وانا لجميع حاذرون) أى مستعدون للحرب نأخذ أداتها وحذرون أى متيقظون (فأخرجناهم من جنات) يعنى حين خرجوا من مصر ليلحقوا موسى وقومه (ومقام كريم) أى مجلس حسن (كذلك) أى وكما وصفنا (أورثناها) بهلاكهم (بنى اسرائيل فأتبعوهم) أى لحقوهم (مشرقين) أى وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) أى رأى كل واحد الآخر (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى سيدركنا قوم فرعون (قال كلا) لن يدركونا (ان معى ربى) أى بالنصرة (سيهدين) طريق النجاة (فكان كل فرق) أى قطعة من الماء (كالطود) أى كالجبل (وأزلفنا ثم الآخرين) أى قربنا قوم فرعون الى الهلاك وقدمناهم الى البحر

وهو بحر وراء مصر (ان في ذلك) أي الذي حدث في البحر (لآية) أي عبرة عجيبة دالة على قدرته تعالى وذلك أن الله تعالى أراد أن تكون الآية متعلقة بفعل موسى والافضرب العصا ليس بفارق البحر ولا معينا على ذلك بذاته بل بما اقترن به من اختراع الله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) فكان زائدة على رأي سيبويه أي وما أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من رسول الله ﷺ من قريش مؤمنين لأنهم لا يتدبرون في حكايته ﷺ لقصتهم من غير أن يسمعها من أحد ويجوز أن يجعل كان بمعنى صار أي وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة للإيمان (وان ربك) يا أكرم الرسل (لهو العزيز الرحيم) أي لهو القادر على اهلاك المكذبين اياك بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة من طريق الوحي وهو المبالغ في رحمة عباده ولذلك لا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم مع كمال استحقاقهم لذلك (واتل عليهم) أي كفار مكة (نبأ ابراهيم) والفعل معطوف على الفعل المقدر العامل في اذ نادى الخ (اذ قال لأبيه) آزر (وقومه) ليريهم أن ما يعبدونه ليس ممن يستحق العبادة في شيء فاذ ظرف النبأ (ما تعبدون) أي أي شيء تعبدونه (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أي فنصير مديمين على عبادتها وانما ذكروا هذه الزيادة اظهارا لما في نفوسهم من الابتهاج بعبادة الأصنام (قال) ابراهيم منبها على فساد مذهبهم (هل يسمعونكم اذ تدعون) أي هل يسمعون دعاءكم حين دعوتموهم وهل يجيبونه وقرئ هل يسمعونكم بضم الياء وكسر الميم أي هل يسمعونكم جوابا عن دعائكم (أو ينفعونكم) في معايشكم بسبب عبادتكم لها (أو يضرون) في معايشكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة من جلب نفع أو دفع ضر (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) أي فمنعتهم هذه الحجة القوية لم يجدوا بوا وقومه ما يدفعون به هذه الحجة فعدلوا الى قولهم ما علمنا منهم ما ذكر من الأمور بل وجدنا آباءنا يعبدون مثل عبادتنا فاقتدينا بهم وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد وعلى وجوب الاستدلال (قال) ابراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون) أي أتأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه حق العلم أو أخبروني ما كنتم تعبدون هل هو حقيق بالعبادة أولا وهذا استهزاء بعبدة الاصنام (فانهم عدو لي الا رب العالمين) فالاستثناء اما منقطع فالمعنى فاعلموا أن معبودكم عدو لي لا أعبدهم لكن رب العالمين فأعبده أو متصل فالمعنى فان كل معبود عدو لي الا رب العالمين فانه ليس بعدوي بل هو وليي ومعبودي وصور سيدنا ابراهيم الأمر في نفسه تعريضا بهم فالمعنى اني تفكرت في أمري فرأيت عبادتي للاصنام عبادة للعدو لان من يغري على عبادتها هو الشيطان فانه أعدى عدو الانسان فاجتنبتها وأراهم سيدنا ابراهيم أن تلك الكلمة نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى للقبول وأبعث الى الاستماع منه (الذي خلقني) من النطفة على هيئة التصوير (فهو يهدين) الى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات في كل لحظة ولمحة (والذي هو يطعمني ويسقين) أي يرزقني بكل منافع الرزق (واذا مرضت فهو يشفين) وأكثر أسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك (والذي يميتني) في الدنيا بقبض روحي (ثم يحيين) يوم القيامة للمجازاة (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي) بترك الاولى (يوم الدين) أي الجزاء روي أن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين واستغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وتعليم لأممهم ليكونوا على حذر ثم ذكر الله تعالى مناجاة سيدنا ابراهيم بقوله (رب هب لي حكما) أي كمالا في العمل (وألحقني بالصالحين) أي بالانبياء المرسلين في درجات الجنة أي اجمع

(وما كان أكثرهم مؤمنين) لم يؤمن من أهل مصر الا رجل وامرأتان وقوله (فانهم عدو لي) أي هذه الآلهة التي تعبدونها عدو لي أي أعاديهم أنا ولا أعبدهم (الا رب العالمين) أي لكن رب العالمين أعبده (الذي خلقني) ظاهر الى قوله

بيني وبينهم في الجنة (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي اجعل لي جاها وذكرا جميلا باقيا الى يوم الدين فان من صار محبوبا بين الناس بسبب ما عنده من الفضائل يصير داعيا لغيره الى اكتساب مثل تلك الفضائل فيكون له مثل أجورهم أو اجعل من ذريتي في آخر الزمان من يكون داعيا الى الله تعالى وقد أجاب الله دعاءه فما من أمة الا وهي تثني عليه وجعله الله شجرة فرع الله منها الانبياء (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي اجعلني بعض الذين يرثون جنة النعيم وهذا اشارة الى أن الجنة لا تنال الا بكرمه تعالى (واغفر لأبي) أي اهده الى الايمان (انه كان من الضالين) من طريق الحق (ولا تخزني يوم يبعثون) أي ولا تجعلني من الذليلين ولا من المستحيين يوم يبعث العباد من القبور نخزي كل واحد على حسب مقامه فان حسنات الأبرار سيئات المقربين كما أن درجات الأبرار دركات المقربين (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) فيوم بدل من يوم قبله والا من أتى مفعول لينفع أي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه الخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء الا أحدا سلم قلبه عن الكفر والاخلاق الرذيلة فينفعه ماله الذي أنفقه في الخير وولده الصالح بدعائه وأما الذنوب فلا يسلم منها أحد (وأزلفت الجنة للمتقين) أي و يوم قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف فيتبهجون بأنهم المحشورون اليها (و برزت الجحيم للغاوين) أي و يوم جعلت النار ظاهرة للضالين عن طريق الايمان والتقوى بحيث يرونها مع ما فيها فيتحسرون على أنهم المسوقون اليها (وقيل لهم) على سبيل التوبيخ (أين ما كنتم تعبدون من دون الله) أي أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف (هل ينصرونكم) بدفع عذاب عنكم (أو ينتصرون) أي أو ينفعون أنفسهم بامتناعهم من العذاب فانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله تعالى (فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون) أي فألقي في الجحيم الأصنام والذين عبدوها والذين أضلوهم على وجوههم مرة بعد أخرى الى أن يستقروا في قعرها فيجتمعون في العذاب لاجتماعهم فيما يوجبه (قالوا) أي العابدون معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضلالة (وهم فيها يختصمون) أي والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم (تالله ان كنا لفي ضلال مبين) وهذا معمول لقالوا والجملة وهم فيها الخ في محل نصب على الحال وان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها و بين النافية أي ان الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه (اذ نسويكم برب العالمين) ظرف لكونهم في ضلال مبين أي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم أيها الأصنام برب العالمين الذي أنتم أذل مخلوقاته في استحقاق العبادة (وما أضلنا الا المجرمون) أي الذين دعونا الى عبادة الأصنام من رؤسائنا وكبرائنا (فما لنا من شافعين) كما نرى المؤمنين أن لهم شفعاء من الملائكة والنبيين (ولا صديق حميم) أي خالص مع موافقة الدين كما نرى أن المؤمنين أصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض وفي بعض الأخبار يجيء يوم القيامة عبد يحاسب فيستوي حسناته وسيئاته فيقول الله تعالى عبدي بقيت لك حسنة ان كنت تريد أن أدخلك الجنة انظر واطلب من الناس لعل واحدا يهب منك حسنة واحدة فيأتي العبد في الصفوف و يطلب من أبيه ثم من أمه ثم من أصحابه فلا يجيبه أحد وكل يقول له أنا اليوم مفتقر الى حسنة واحدة فيرجع الى مكانه فيسأله الله تعالى و يقول ماذا جئت به فيقول يارب لم يعطني أحد حسنة واحدة من حسناته فيقول الله تعالى ياعبدي ألم يكن لك صديق في فيذكر العبد و يقول فلان كان صديقا لي فيدله الله عليه فيأتيه فيكلمه في حاجته فيقول بلى لي عبادات كثيرة اقبلها مني فقد وهبتها منك فيجيء هذا العبد الى موضعه و يخبر بذلك ربه فيقول الله تعالى قد قبلتها

(واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ذكرا جميلا وثناء حسنا في الأمم التي تجيء بعدي (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي ممن يرث الجنة بفضلك ورحمتك وقوله (الا من أتى الله بقلب سليم) أي سلم من الشرك (وأزلفت الجنة) أي قربت (للمتقين و برزت) يعني وأظهرت (الجحيم للغاوين) أي الكافرين (فكبكبوا) أي طرح بعضهم على بعض في الجحيم (هم والغاوون) يعني الشياطين (وجنود ابليس) يعني أتباعه من الانس والجن (قالوا) الشياطين للمعبودين (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم) أي نعدلكم (برب العالمين) أي في العبادة (وما أضلنا) أي وما دعانا الى الضلال (الا المجرمون) الأولون الذين اقتدينا بهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) أي قريب يشفع لنا

منه ولم أنقص من حقه شيئا وقد غفرت لك وله (فلو أن لنا كرة) أى فليت لنا رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) منصوب فى جواب التمنى (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من نبأ ابراهيم المشتمل على بيان بطلان ماعليه أهل مكة من عبادة الأصنام (لآية) أى لعظة لمن أراد أن يعتبر وحجة لمن أراد أن يستبصر بها (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى وما أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على الكفر والضلال (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أى لهو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) بتكذيبهم نوحا فمن كذب واحدا من الرسل فقد كذب الكل لان الاخير جاء بما جاء به الاول من التوحيد وأصول الشرائع التى لاتختلف باختلاف الأزمنة (اذ قال لهم أخوهم) فى النسب (نوح ألاتتقون) الله حيث تعبدون غيره (انى لكم رسول) من الله تعالى (أمين) أى مشهور بالأمانة فيما بينكم فكيف تتهمونى اليوم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى (وما أسألكم عليه من أجر) أى وما أسألكم على هذا النصح أجرة (ان أجرى) أى ما ثوابى فى دعائى لكم (الا على رب العالمين) وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء فى أجرى فى المواضع الخمسة فى هذه السورة والباقون بالسكون (فاتقوا الله وأطيعون) أى اتبعوا وصيتى وكرر الأمر بالتقوى لان المعنى فى الاول ألا تتقون مخالفتى وأنا رسول الله وفى الثانى ألا تتقون مخالفتى ولست آخذ منكم أجرة فلا تكرار فيه لان المعنى مختلف (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) والواو للحال أى أنصدقك يانوح لأجل قولك هذا والحال أنه قد اتبعك فقراء الناس وضعفاؤهم من النسب قيل هم من أهل الصناعات الخسيسة كالحجامة والحياكة وقرأ يعقوب وأتباعك الأرذلون فهو مبتدأ وخبر والجملة حال والاتباع جمع تابع أوتبيع كاشهاد وابطال (قال) نوح (وما علمى بما كانوا يعملون) وهذا جواب عما أشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر واخلاص عمل وانما آمنوا بالهوى والطمع فى العزة والمال وكان زائدة أى ماوظيفتى الاعتبار الظواهر دون التفتيش عن بواطنهم ولم أكلف العلم بأعمالهم وانما كلفت أن أدعوهم الى الايمان فالاعتبار بالايمان لابالصنائع (ان حسابهم الا على ربى) أى ما محاسبة أعمالهم و بواطنهم الا على ربى فانه مطلع على السرائر (لو تشعرون) أى لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم (وما أنا بطارد المؤمنين) بأن لاأقبل الايمان منهم للطمع فى ايمانكم (ان أنا الانذير مبين) أى ما أنا الا مبعوث لانذاركم بالبرهان الواضح ولزجر المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا من الاعزاء أو من الأراذل وقد فعلت وليس على استرضاء بعضكم بطرد الفقراء لأجل اتباع الأغنياء (قالوا لئن لم تنته يانوح) عن مقالتك (لتكونن من المرجومين) أى من المقتولين كما قتلنا من آمن بك من الغرباء وقال الكلبى ومقاتل أى من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك أى من المشتومين (قال) نوح عند حصول اليأس من فلاحهم شاكيا الى الله تعالى (رب ان قومى كذبون) فى الرسالة وقتلوا من آمن بى من الغرباء (فافتح بينى و بينهم فتحا) أى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وافتح بابا من أبواب عدلك على مستحقيه بأن تنزل العقوبة بهم و بابا من أبواب فضلك على مستحقيه (ونجنى ومن معى من المؤمنين) مما تعذب به الكافرين وكان المؤمنون ثمانين أربعين من الرجال وأربعين من النساء (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) أى حال كونهم فى السفينة الموقرة بالناس والحيوان والطير و بما لابد لهم منه (ثم أغرقنا بعد الباقين) أى أغرقنا بعد ركوب نوح والمؤمنين على السفينة الباقين على الارض من قومه (ان فى ذلك) أى الانجاء والاهلاك (لآية) أى لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى ما أكثر

(فلو أن لنا كرة) أى رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) يعنى فيؤمنوا وقوله (انى لكم رسول أمين) على الوحى والرسالة لانكم عرفتمونى قبل هذا بالأمانة وقوله (واتبعك الأرذلون) يعنى السفلة والحاكة وقوله (من المرجومين) أى من المشتومين وقيل من المقتولين (فى الفلك المشحون) أى المملوء وقوله

هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنين (وان ربك لهو العزيز الرحيم) أى لهو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم لانه رحيم ذو حكمة (كذبت عاد المرسلين) أى كذبت قوم هود هودا وسائر الرسل الذين ذكرهم هود فعاد اسم قبيلة هود سميت باسم أبيها الاعلى وكان من نسل سام بن نوح (اذ قال لهم أخوهم) فى النسب نبيهم (هود ألا تتقون) الله فتفعلون ماتفعلون (انى لكم رسول أمين) على الرسالة (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمرتكم به من الايمان والتوبة (وما أسألكم عليه) أى الدعاء الى التوحيد (من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) وكان هود تاجرا جميل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر أربعمائة وأربعا وستين سنة (أتبنون بكل ريع آية تعبثون) أى أتبنون بكل مكان مرتفع علامة تعبثون فيها بمن يمر بكم وقيل انهم كانوا يبنون فى الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخرا (وتتخذون مصانع) أى حيضانا تجمعون فيها ماء المطر فهى من نوع الصهاريج وقيل القصور (لعلكم تخلدون) أى مؤملين أن تخلدوا فى الدنيا لانكاركم البعث فلعل للترجى وهو للتوبيخ وقيل للتعليل ويؤيده قراءة عبد الله كى تخلدون وقيل معناها التشبيه ويؤيده ما فى مصحف أبى كأنكم تخلدون وقرئ كأنكم خالدون وقرئ تخلدون بضم التاء مع تخفيف اللام وتشديدها (واذا بطشتم بطشتم جبارين) أى اذا أخذتم بالعقوبة على أحد بأن ضربتم أحدا بسوط أو قتلتم بالسيف فعلتم فعل الغاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة والحاصل أنهم أحبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وكل ذلك ينبه على أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وعنوان كل معصية (فاتقوا الله) بترك هذه الافعال (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه فانه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) أى واخشوا الذى أعطاكم ما لاخفاء فيه عليكم من أنواع النعم الحاصلة لكم ثم بين هود عليه السلام ما أعطاهم الله تعالى فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فأنتم تنتفعون بذلك كله فلا تغفلوا عن تقييده بالشكر (انى أخاف عليكم) ان لم تقوموا بشكر هذه النعم (عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فان كفران النعم مستتبع للعذاب (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لن نرجع عما نحن فيه لاجل وعظك ايانا (ان هذا الا خلق الأولين) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الخاء واللام أى ماهذا الذى جئتنا به من الكذب الا عادة الأولين كانوا يسطرونه أو ماهذا الذى نحن عليه من الدين الا عادة آبائنا الأولين يدينون به ونحن بهم مقتدون أو ماهذا الذى نحن عليه من الموت والحياة والبلاء والعافية ومن اعتقاد أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها من قديم الدهر وقرأ الباقون بفتح الخاء وسكون اللام أى ماهذا الذى جئت به الا كذب الأولين أو ما خلقنا هذا الا خلق الأمم الماضية نحيا كحياتهم ونموت كمماتهم ولا بعث ولا حساب (وما نحن بمعذبين) على ما نحن عليه من الاعمال كما تقول (فكذبوه) فى وعيده لهم بالعذاب (فأهلكناهم) بريح باردة شديدة الصوت (ان فى ذلك) الاهلاك (لآية) أى لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أى وما صار أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من قوم محمد صلى الله عليه وسلم (مؤمنين وان ربك لهو العزيز) أى الغالب على ما يريده من انتقام المكذبين (الرحيم) أى البالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم بعدم ايمانهم لحكمة يعلمها (كذبت ثمود المرسلين) أى كذبت جماعة صالح صالحا فثمود اسم قبيلة صالح سميت باسم أبيها وهو ثمود جد صالح وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (اذ قال لهم أخوهم) فى نسب نبيهم (صالح ألا تتقون) الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) فى جميع ما أرسلت به اليكم منه (فاتقوا الله وأطيعون) أى اتبعوا دينى وأمرى

(أتبنون بكل ريع) أى بكل شرف ومكان مرتفع (آية) أى علما (تعبثون) أى تلعبون يعنى أبنية الحمام وبروجها (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) أى تتخذون مبانى وقصور الخلود لا تفكرون فى الموت (واذا بطشتم بطشتم جبارين) أى اذا ضربتم ضربتم بالسياط وقتلتم قتل الجبارين الذين يقتلون على الغضب بغير حق وقوله (ان هذا) ماهذا الذى تدعونا اليه (الا خلق الأولين) أى كذبهم وافتراؤهم ومن قرأ خلق الأولين فمعناه عادة الأولين أى الذى نحن فيه عادة الأولين يعنى يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقوله

(وما أسألكم عليه) أى على ماجئتكم به (من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) وليعلم كافة الناس ان من عمل لله لاينبغى ان يطلب من غير الله و ينبغى للعلماء أن يتأدبوا بآداب الأنبياء فلايطلبوا من الناس شيئافى بث علومهم ولاينتفعوا منهم بالتذكير لهم ومن انتفع من المستمعين من الدين فلا بركة فيما يأخذه منهم (أتتركون فيما ههنا آمنين) أى أتظنون أنكم تتركون فى الدنيا آمنين من العذاب وأنه لادار للمجازاة أى لاينبغى لكم أن تعتقدوا أنكم تتقلبون فى النعم التى فى دياركم آمنين من الزوال والعذاب فلا تطمعوا فى ذلك ثم فسر ذلك المكان بقوله (فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) أى لطيف لين والطلع ثمر النخل فى أول مايطلع و بعده يسمى خلالاثم بلحاثم بسرا ثم رطبا ثم تمرا (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وقرأ ابن عامر والكوفيون بألف بعد الفاء أى ماهرين فى العمل و يعملون بنشاط وطيب قلب وقرأ الباقون بغير ألف أى متكبرين لا للحاجة فالغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهى طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة وأما الغالب على قوم هود فهو اللذات الخيالية وهى طلب الاستعلاء والتجبر (فاتقوا الله وأطيعون) فى كل ما أمرتكم به (ولا تطيعوا أمر المسرفين) أى المستكثرين من لذات الدنيا وشهواتها بل اكتفوا واقتصروا منها بقدر الكفاف (الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون) وهذا بيان أن فسادهم فساد خالص ليس معه شئ من الصلاح فان حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) أى ممن يأكلون الطعام و يشربون الشراب كما قال الفراء المسحر من له جوف (ما أنت الا بشر مثلنا) فكيف تكون نبيا (فأت بآية) أى بعلامة تدل على صدقك (ان كنت من الصادقين) فى دعواك انك رسول الينا فقال لهم صالح ماتريدون قالوا نريد ناقة عشراء من هذه الصخرة فتلد سقبا فأخذ صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة و بركت بين أيديهم وتنجت سقبا مثلها فى العظم وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا (قال) لهم صالح (هذه ناقة) دالة على نبوتى أخرجها ربى من الصخرة كما اقترحتم (لها شرب) أى نصيب من الماء تشرب منه يوما (ولكم شرب يوم معلوم) أى ولكم نصيب من الماء تشربون منه يوما ولاتزاحموا على شربها (ولاتمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها) روى أن مصدعا ألجأها الى مضيق فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار بالسيف فى ساقيها قال مقاتل وغيره فخرج فى أبدانهم خراج مثل الحمص فكان فى اليوم الأول أحمر ثم صار فى الغد أصفر ثم صار فى الثالث أسود وكان عقر الناقة يوم الاربعاء وهلاكهم يوم الاحد انفقعت فيه تلك الخراجات وصاح عليهم جبريل صيحة فماتوا بالأمرين وكان ذلك ضحوة (فأصبحوا نادمين) أى فصاروا نادمين على قتلها ندم الخائفين من العذاب العاجل أوندم التائبين عند معاينة العذاب فلم ينفعهم الندم (فأخذهم العذاب) الموعود على عقرها (ان فى ذلك) أى فى أخذهم بالعذاب (لآية) أى لعبرة لمن بعدهم (وما كان أكثرهم) أى أكثر هؤلاء الذين سمعوا القصة من قريش (مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) حيث لايعاجلهم بالعذاب (كذبت قوم لوط المرسلين) فمن كذب رسولا فقد كذب الكل (اذقال لهم أخوهم) فى البلد لافى النسب نبيهم (لوط) فان لوطا ابن أخى ابراهيم وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فلوط كان مجاورا لهم فى قريتهم (ألاتتقون) عبادة غير الله (انى لكم رسول) من الله (أمين) على الرسالة (فاتقوا الله) فيما أمركم به (وأطيعون) أى اتبعوا أمرى (وما أسألكم عليه) أى الدعاء الى الله تعالى (من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) أى جامع الخلق ومربيهم (أتأتون الذكران من العالمين) أى أتأتون

(أتتركون فيما ههنا) أى فى الدنيا (آمنين) أى من الموت والعذاب وقوله (ونخل طلعها) أى ثمرها (هضيم) أى لين نضيج (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) أى حاذقين بنحتها فرهين أى أشرين بطرين وكانوا معمرين لايبقى البناء مع عمرهم فنحتوا فى الجبال بيوتا وقوله (انما أنت من المسحرين) أى من الذين سحروا مرة بعد أخرى وقيل ممن له سحر وهو الرئة أى أنت بشر مثلنا وقوله (لها شرب) أى حظ ونصيب من الماء (ولا تمسوها بسوء) أى بعقر وقوله (أتأتون الذكران من العالمين) يريدما كان من فعل قوم لوط من اتيان الرجال فى أدبارهم

الذكران من أولاد آدم مع كون النساء أليق بالاستمتاع (وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم) أي وتتركون اناثا أباحها لكم ربكم هي أزواجكم لأجل استمتاعكم أو وتتركون فروجا أحل لكم ربكم حال كونها بعض أزواجكم (بل أنتم قوم عادون) أي متجاوزون الحد في جميع المعاصي بإتيانكم هذه الفاحشة أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زدتم على سائر الحيوانات (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن تقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) أي من جملة من أخرجناه من بلدنا سدوم (قال) لوط (اني لعملكم من القالين) أي اني لعملكم الخبيث لمبغض من المبغضين غاية البغض فلا أقف عن الانكار عليه بالابعاد عنكم ثم توجه لوط الى الله تعالى قائلا (رب نجني وأهلي مما يعملون) أي من شؤم عملهم (فنجيناه وأهله) أي بنتيه وامرأته المؤمنة ومن اتبعه في الدين (أجمعين) مما عذبناهم به باخراجهم من بينهم عند قرب حلول العذاب بهم (الاعجوزا) هي امرأة لوط المنافقة (في الغابرين) أي الا عجوزا مقدرا كونها من الباقين في العذاب لأنها كانت راضية بفعل القوم وقد أصابها الحجر في الطريق (ثم دمرنا الآخرين) أي أهلكنا المتأخرين عن اتباع لوط بقلب قراهم عليهم وجعل أعلاها سافلها (وأمطرنا عليهم) أي على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره (مطرا) غير معتاد حجارة من السماء فأهلكتهم (فساء مطر المنذرين) أي فبئس مطر جنس المنذرين مطر قوم لوط بالحجارة (ان في ذلك) أي فيما فعلنا بهم (لآية) أي دلالة على عزة الله وعظمته (وما كان أكثرهم) أي أكثر من تلوت عليهم القصة (مؤمنين) فان أكثر الخلق لئام وكرامهم قليلون كما قال الشاعر

تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل

(وان ربك لهو العزيز الرحيم) فلا يهتدي الى عديم النظير الا الاذلاء ويهتدي اليه برحمته القائمة من كانت همته عالية (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) أي كذب أصحاب شجر ملتف بقرب مدين شعيبا وجملة المرسلين وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر في هذه السورة وفي ص خاصة ليكة بلام واحدة وفتح التاء وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث واللام جزء الكلمة وهو اسم البلد لأصحاب الحجر وقال أبو عبيدة ان ليكة اسم القرية التي كانوا عليها والأيكة اسم للبلاد كلها (اذ قال لهم) نبيهم (شعيب ألا تتقون) الله الذي تفضل عليكم بنعمه (اني لكم رسول) من عند الله فهو أمرني أن أقول لكم ذلك (أمين) لا خيانة عندي (فاتقوا الله) المحسن اليكم بهذه الغيضة وغيرها (وأطيعون) لما ثبت من نصحي لكم (وما أسألكم عليه) أي على دعائي لكم الى الايمان بالله تعالى (من أجر ان أجري الا على رب العالمين) أي المحسن الى الخلائق كلهم فاني لا أرجو أحدا سواه (أوفوا الكيل) أي أتموه اذا كلتم للناس كما توفونه اذا أخذتم منهم (ولا تكونوا من المخسرين) أي الناقصين لحقوق الناس (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أي بالميزان العدل وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف والباقون بالضم (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوا شيئا من حقوق الناس في كيل ووزن أو غير ذلك (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) ولا تعملوا المعاصي في الأرض بقطع الطريق والغارة واهلاك الزرع والدعاء الى غير عبادة الله فانهم كانوا يفعلون ذلك (واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين) أي الخلائق الماضين الذين كانوا على خلقة عظيمة وطبيعة غليظة كقوم هود وقوم لوط وقرأ العامة الجبلة على كسر الجيم والباء وتشديد اللام وأبو حصين والأعمش والحسن بضمها وتشديد اللام والسلمي بفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء (قالوا انما أنت من المسحرين) أي المجوفين مثلنا لست بملك (وما أنت الا بشر مثلنا) تأكل وتشرب كما نفعل فلا وجه لتخصيصك بالرسالة (وان نظنك لمن الكاذبين) فان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وانا نظنك لمن الكاذبين في

(وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم) أي وتدعون أن تأتوا نساءكم (بل أنتم قوم عادون) أي ظالمون غاية الظلم (قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين) عن بلدنا (قال اني لعملكم) يعني اللواط (من القالين) أي من المبغضين وقوله (الاعجوزا) يعني امرأته (في الغابرين) أي الباقين في العذاب (ثم دمرنا) أي أهلكنا (كذب أصحاب الأيكة) وهي الغيضة وهم قوم شعيب (أوفوا الكيل) أتموها (ولا تكونوا من المخسرين) أي الناقصين للكيل والوزن وقوله (والجبلة الأولين) أي الخليقة السابقين

دعواك أنك رسول من الله ثم ان شعيبا كان هددهم بالعذاب ان استمروا على التكذيب فقالوا (فأسقط علينا كسفا من السماء) أى فأسقط علينا قطعا من السحاب (ان كنت من الصادقين) فى دعواك وقرأ حفص بفتح السين والباقون بالسكون وانما طلبوا ذلك لتصميمهم على التكذيب واستبعادهم وقوعه فعند ذلك فوض شعيب عليه السلام أمرهم الى الله تعالى ف(قال ربى أعلم بما تعملون) و بما تستحقون بسببه من العذاب (فكذبوه) أى أصروا على تكذيبه بالرسالة (فأخذهم عذاب يوم الظلة) وفى اضافة العذاب الى يوم دون الظلة اعلام بأن لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب السحاب كما روى أن الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم وأرسل عليهم هدة وحرا شديدا مع سكون الريح سبعة أيام بلياليها فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر فخرجوا هرابا فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا (انه) أى ذلك العذاب (كان عذاب يوم عظيم) فى الشدة والهول قال قتادة بعث الله شعيبا الى أمتين أصحاب الأيكة وأهل مدين فأهلكت أصحاب الأيكة بالظلة وأهل مدين بصيحة جبريل عليه السلام (أن فى ذلك) أى فيما فعلنابهم (لآية) أى دلالة واضحة على صدق الرسل (وما كان أكثرهم) أى أكثر قومك (مؤمنين) مع أنك قد أتيت قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم معرفة بك قبل ذلك فكيف وهم عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة وأغزرهم عقلا وأبعدهم عن كل ذى دنس (وان ربك لهو العزيز الرحيم) بالامهال وهذا آخر القصص السبع التى ذكرها الله تعالى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين له وكل قصة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من الله تعالى وما كان أكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة بأن لا يعتبروا بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان و بأن لا يتأملوا فى شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هى عليه مع علمهم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يسمع شيئا منها من أحد أصلا وصاروا كأنهم لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن الكفر والضلال واستمروا على ذلك (وانه) أى القرآن الذى من جملته هذه القصص (لتنزيل رب العالمين) أى منزل من خالق المخلوقين فليس بشعر ولا أساطير الأولين ولا غير ذلك مما قالوه فيه (نزل به الروح الأمين) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بتخفيف الزاى ورفع الروح والباقون بتشديد الزاى ونصب الروح وذكر الله تعالى دليل التنزيل بقوله تعالى نزل به الروح الى آخره فالروح هو جبريل عليه السلام سمى بالروح لأنه به نجاة الخلق فى باب الدين فهو كالروح الذى تثبت معه الحياة و بالأمين لأنه مؤتمن على ما يؤديه الى الأنبياء عليهم السلام (على قلبك) أى جعل الله تعالى جبريل نازلا بالقرآن على قدر حفظك أى فهمك القرآن وأثبته فى قلبك اثبات ما لا ينسى وهذا تنبيه على نبوة محمد ﷺ وعلى ان الأخبار عن هذه القصص ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله تعالى (لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) أى أنزل الله تعالى القرآن لتنذرهم بما فيه من العقوبات الهائلة وكان انزاله بلغة عربية واضحة المعنى لئلا يبقى لهم عذر ما له منه مناص لو نزله باللسان الأعجمى لقالوا له صلى الله عليه وسلم ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وقوله لتكون متعلق بنزل وكذا قوله بلسان ويجوز أن يكون بدلا من به وأما جعله متعلقا بالمنذرين فيفيد أن غاية الانزال كونه صلى الله عليه وسلم من جملة المنذرين باللغة العربية فقط وهذا لا ينبغى فان سبب كونه صلى الله عليه وسلم من جملة المنذرين مجرد انزال القرآن عليه ﷺ لا انزاله بخصوص اللسان العربى

(فأسقط علينا كسفا من السماء) أى قطعا (قال ربى أعلم بما تعملون) فيجازيكم به وما على الا الدعوة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) وذلك أن الحر أخذهم فلم ينفعهم ماء ولا كن فخرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة فوجدوا لها بردا واجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (وانه) يعنى القرآن (لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين) يعنى جبريل عليه السلام (على قلبك) حتى وعيته

والذين

والذين أنذروا باللسان العربي خمسة فقط محمد واسمعيل وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام (وانه لفي زبر الأولين) أي وان معنى القرآن وصفته لفي الكتب المتقدمة فان الله تعالى أخبر في كتب الأولين عن القرآن وانزاله في آخر الزمان والله تعالى بين أصول معانيه في كتبهم (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل) أي أغفل أهل مكة عن القرآن ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الأولين أن يعرفه علماء بني اسرائيل بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وكانوا خمسة أسد وأسيد وابن يامين وثعلبة وعبدالله بن سلام فهؤلاء الخمسة من علماء اليهود وقد حسن اسلامهم قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد نعته في التوراة فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عامر تكن بالتأنيث ورفع آية على أنه اسمها ولهم خبرها وأن يعلمه بدل من اسمها أو على أنه فاعل لها ولهم حال وان يعلمه بدل من الفاعل ولا يجوز أن يكون آية اسمها وان يعلمه خبرها لأنه يلزم عليه جعل الاسم نكرة والخبر معرفة والباقون يكن بالتذكير ونصب آية على انه خبرها وان يعلمه اسمها (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) أي ولو نزلنا القرآن كما هو على رجل أعجمي فقرأه على أهل مكة قراءة صحيحة خارقة للعادة ما كانوا مؤمنين به مع أن الأعجمي لا يتهم باكتسابه أصلا لفقد الفصاحة فيه ولا باختراعه لكونه ليس بلغته لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) أي مثل ذلك الادخال أدخلنا القرآن في قلوب كفار مكة ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على البشارة بانزاله و بعثة من أنزل عليه بأوصافه وكيف افضل بهم فلا سبيل الى أن يتغير واعماهم عليه من الانكار (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الملجئ للايمان به فيؤمنون حين لا ينفعهم الايمان (فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) باتيان العذاب (فيقولوا) تأسفا على مافات من الايمان (هل نحن منظرون) وهو استفهام طمع في الحال وهو امهالهم بعد مجيء العذاب وهم في الآخرة يعلمون أن لا ملجأ لهم لكنهم يذكرون ذلك استرواحا (أفبعذابنا يستعجلون) أي أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا في الدنيا بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك (أفرأيت) أي أخبرني أيها المخاطب (ان متعناهم) في الدنيا بطول الاعمار وطيب المعاش (سنين) متطاولة (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ماأغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي أي شيء أفادهم كونهم متمتعين ذلك التمتيع المديد من دفع العذاب وقرئ يمتعون بسكون الميم (وما أهلكنا من قرية) من القرى المهلكة (الا لها منذرون) أي رسل قد أنذروا أهلها الزاما للحجة (ذكرى) أي لأجل تذكيرهم العواقب وهو منصوب على أنه مفعول لاجله أو مفعول مطلق منصوب بمنذرون لان التذكرة في معنى الانذار أو منصوب بفعل مقدر هو صفة لمنذرون أي الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى ويجوز أن يكون ذكرى مفعولا له علة لأهلكنا والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعد ما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم عبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين وقبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) وهذا رد لقول الكفار لم لا يجوز أن يكون هذا القرآن من القاء الجن والشياطين الى محمد على لسانه كسائر ما ينزل على الكهنة من أخبار السماء (وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) أي ان الشياطين لممنوعون عن الاستماع للوحي كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه أصلا من

(وانه) أي وان ذكر محمد (لفي زبر) يريد في كتب (الأولين أولم يكن لهم) أي للمشركين (آية) أي دلالة على صدقه (أن يعلمه علماء بني اسرائيل) أي يعلمون محمدا بالنبوة والرسالة (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الأعجمين) جمع الأعجم وهو الذي لا يحسن العربية (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) أنفة من اتباعه (كذلك سلكناه) أي أدخلنا التكذيب (في قلوب المجرمين) فذلك الذي منعهم من الايمان الى قوله (هل نحن منظرون) فلما نزلت هذه الآية قالوا الى متى توعدنا فأنزل الله هذه الآية (أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم) بالدنيا وأبقيناهم فيها (سنين ثم جاءهم) العذاب لم ينفعهم امتاعهم بالدنيا فيما قبل (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) أي رسل ينذرونهم (ذكرى) أي انذارا بالموعظة (وما كنا ظالمين) أي في اهلاكهم بعد اقامة الحجة عليهم (وما تنزلت به) أي بالقرآن (الشياطين وما ينبغي لهم) أي ذلك (وما يستطيعون) ذلك (انهم عن) استراق (السمع) عن السماء (لمعزولون) يعني بالشهب

فنون الشرور قال بعضهم وهذا اشارة الى أنه ليس للشياطين استعداد تنزيل القرآن ولاقوة حمله وسمع فهمه لأنهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة حمل النور القديم ألا ترى أن نار الجحيم كيف تستغيث عند مرور المؤمنين عليها وتقول جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي فاذا لم يكن لهم استطاعة على حمل القرآن ولاقوة على سمعه كيف يمكن لهم تنزيله وان يوجد فيهم السمع الذى هو الادراك لأنهم حرموا الفهم المؤدى للاستجابة لما دعوا اليه (فلاتدع مع الله إلها آخر) أى فلا تعبد مع الله إلها غيره (فتكون من المعذبين) قال بعضهم وهذا يشير الى أن طلب غير الله من الدنيا والآخرة بتوجه القلب اليه أمارة عذاب الله وهو البعد من الله فمن يكون أبعد من الله يكون عذابه أشد فكل طالب شئ يكون قريبا اليه بعيدا عما سواه فطالب الدنيا قريب من الدنيا بعيد عن الآخرة وطالب الآخرة قريب من الآخرة بعيد عن الدنيا ولهذا قال ﷺ حسنات الأبرار سيئات المقربين فالأبرار أهل الجنة وحسناتهم طلب الجنة والمقربون أهل الله وحسناتهم طلب الله وحده بلاشريك له وهذا الخطاب له ﷺ والمقصود غيره كما هو شأن الحكيم اذا أراد أن يؤكد الخطاب لأحد وجهه الى الرؤساء فى الظاهر ولأنه تعالى أراد يتبعه مايليق بذلك فلهذا أفرده ﷺ بالمخاطبة بقوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) الأقرب منهم فالأقرب وروى أنه ﷺ قال يابنى عبد المطلب يابنى هاشم يابنى عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فانى لاأغنى عنكم شيئا ثم قال ياعائشة بنت أبى بكر وياحفصة بنت عمر ويافاطمة بنت محمد وياصفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فانى لاأغنى عنكن شيئا وروى محمد بن اسحق عن على رضى الله عنه انه قال لما نزلت على النبى ﷺ هذه الآية دعانى فقال ياعلى ان الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فاصنع لى صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع بنى عبد المطلب حتى أبلغهم ماأمرت به ففعلت ماأمرنى به ثم دعوتهم اليه وهم يومئذ أربعون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعته فجئت به فلما وضعته تناول ﷺ جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال كلوا باسم الله فأكل القوم حتى شبعوا ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بادره أبو لهب فقال سحركم محمد صاحبكم فتفرق القوم فقال ياعلى ان هذا الرجل قد سبق الى ماسمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فأعد لنا الطعام مثل ماصنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقدمته ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال يابنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرنى على أمرى ويكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم فأحجم القوم جميعا عن ذلك الكلام فقلت يارسول الله أنا أكون وزيرك عليه قال على فأخذ ﷺ برقبتى ثم قال ان هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب قد أمرك أن تسمع لعلى وتطيع وروى أبو يعلى عن الزبير بن العوام أن قريشا جاءته فأنذرهم فسألوه آيات سليمان فى الريح وداود فى الجبال وعيسى فى احياء الموتى ونحو ذلك وأن يسير الجبال ويفجر الأنهار ويجعل الصخرة ذهبا فأوحى الله تعالى اليه وهم عنده أخبرهم بأن أعطى ماسألوه ولكن ان أراهم كفروا عوجلوا فاختار ﷺ الصبر عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أى لين جانبك لهم ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو قرابة أو نسب (فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون) ولا تبرأ منهم وقل لهم قولا بالنصح

(وأنذر) أى خوف (عشيرتك الأقربين) من أدانى أهلك وأقاربك (واخفض جناحك) أى لين جانبك وقوله

لعلهم

لعلهم يرجعون الى قبول الدعوة منك والمعنى فبعد انذار عشيرتك فتواضع لمن آمن منهم وتبرأ من عمل من خالفك منهم (وتوكل على العزيز الرحيم) أى فوض أمرك الى الذى يقهر أعداءك بعزته و ينصرك عليهم برحمته وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب الشرط والباقون بالواو على العطف على أنذر (الذى يراك حين تقوم) من نوم أوغيره الى الصلاة منفردا (وتقلبك فى الساجدين) أى ويرى تصرفك فى الصلاة بالقيام والركوع والسجود والقعود مع المصلين جماعة اذ كنت اماما لهم ويقال ويراك متنقلا فى أصلاب المؤمنين وأرحام المؤمنات من لدن آدم وحواء الى عبدالله وآمنة بجميع أصول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رجالا ونساء مؤمنون فلا يدخلهم الشرك مادام النور المحمدى فى الذكر وفى الأنثى فاذا انتقل منه لمن بعده أمكن أن يعبد غير الله وآزر ماعبد الأصنام الابعد انتقال النور منه لابراهيم وأما قبل انتقاله فلم يعبد غير الله (انه هو السميع العليم) فيسمع ماتقوله ويعلم ماتنويه وتعمله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أى هل أخبركم يا كفار مكة على من تنزل الشياطين أى لما قال الكفار لم لايجوز أن يقال ان الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر على الشعراء فرق الله تعالى بين محمد صلى الله عليه وسلم و بين الكهنة والشعراء فقال (تنزل على كل أفاك أثيم) أى تنزل الشياطين على كل من اتصف بالكذب الكثير والاثم الكبير وهو مسيلمة الكذاب وسطيح وطليحة (يلقون السمع) وهذه الجملة اما حال من فاعل تنزل المستتر أى يعنى الشياطين سمعهم الى الملائكة ليسترقوا شيئا و يلقون الشئ المسموع الى الكهنة واما صفة لكل أفاك أثيم أى يصغى الكهنة سمعهم الى الشياطين أو يلقون ماسمعوه منهم الى عوام الخلق (وأكثرهم كاذبون) فالشياطين يسمعون الكهنة مالم يسمعوا من الملائكة كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيدفيها أكثر من مائة كذبة والكهنة يفترون على الشياطين مالم يوحوا اليهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) أى الراوون الذين يروون هجاء المسلمين أى وشعراء الكفار يتكلمون بالكذب منهم عبدالله بن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب ومسافع بن عبدمناف وأبو عزة عمرو بن عبدالله وأمية بن أبى الصلت وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد وقالوا شعرا واجتمع اليهم سفهاء قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويروون عنهم قولهم وقرأ نافع بسكون التاء وفتح الباء الموحدة (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) أى ألم تعلم أيها المخاطب أن الشعراء يسيرون فى طرق مختلفة سير الحائر بن من طرق القيل والقال فانهم قد يمدحون الشئ بعد أن ذموه وبالعكس وقد يعظمونه بعد أن استحقروه و بالعكس لانهم لايطلبون بشعرهم الصدق (وأنهم يقولون مالايفعلون) فانهم يمدحون الجود و يحثون عليه ولايفعلونه و يذمون البخل و يصرون عليه و يهجون الناس بأدنى شئ صدر منهم ثم انهم لايفعلون الا الفواحش وذلك يدل على الضلالة (الا الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) فلم يشغلهم الشعر عن ذكر الله و يكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته وفى الحكمة والموعظة والزهد فى الدنيا والزجر عن الاغترار بزخارفها (وانتصروا من بعد ماظلموا) أى فلايذكرون هجو أحد الا من يهجوهم من الكفار وذلك رد على هجو الكفار لرسول الله وأصحابه كما قال صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

(الذى يراك حين تقوم) الى صلاتك (وتقلبك) أى وتصرفك فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (فى الساجدين) أى فى المصلين (هل أنبئكم) أى أخبركم (على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك) أى كذاب (أثيم) أى فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة (يلقون السمع) أى يلقون اليهم ماسمعوا ويخلطون بذلك كذبا كثيرا وكان هذا قبل أن حجبوا عن السماء (والشعراء يتبعهم الغاوون) يعنى شعراء الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتبعهم الكفار (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) أى فى كل لغو يخوضون يمدحون بباطل و يشتمون بباطل ثم استثنى شعراء المؤمنين فقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا) ردوا على من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهب الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول شعرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فهى أسرع فيهم من نضح النبل وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه أشد عليهم من رشق النبل وعن أبى بن كعب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة وقال الشعبى كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على أشعر من الثلاثة (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) أى سيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجوا رسول الله وأصحابه وبالاعراض عن تدبر هذه الآيات أنهم ينقلبون كمال انقلاب لان مصيرهم الى النار وهو أقبح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو أشر مرجع فالمنقلب هو الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع هو العود من حال هو فيها الى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا وقرئ أى منفلت ينفلتون أى وسيعلم الظالمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات فانهم يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى وأى منصوب بينقلبون ولا يجوز أن يكون منصوبا بسيعلم لان أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها لان الاستفهام معنى وما سنى آخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعانى فى بعض

﴿ سورة النمل مكية وهى أربع وتسعون آية وألف ومائة وتسع وأربعون كلمة ﴾

﴿ وأربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طس) أى هذا مسمى بطس (تلك) أى تلك السورة (آيات القرآن وكتاب مبين) أى مظهر للحكم والأحكام وأحوال الآخرة وقرأ ابن أبى عبلة برفع كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) هما حالان من آيات أى هادية الى الله ومبشرة بالوصول الى الله بهدايته للمصدقين بتلك الآيات أو بدلان منها أو خبران آخران لتلك كما قال تعالى ألا من طلبنى وجدنى من طلبنى بدلالات القرآن وجدنى بالعيان (الذين يقيمون الصلاة) أى يأتون بالصلوات الخمس بشروطها ووضعها فى حقها (ويؤتون الزكاة) أى يعطونها بشرائطها (وهم بالآخرة هم يوقنون) أى هؤلاء هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) بأن خلقنا فى قلبه العلم بما فيها من المنافع واللذات ولا يخلق فى قلبه العلم بما فيها من المضار والآفات (فهم يعمهون) أى ينهمكون فيها (أولئك) أى الموصوفون بعدم الايمان بما فى الآخرة وبالعمد فى الأعمال (الذين لهم سوء العذاب) وهو عمى القلوب وصممه وبكمه (وهم فى الآخرة هم الأخسرون) أى أشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب ولانهم خسروا الدنيا والآخرة ولم يربحوا المولى وذلك لان قوما من المختصين بتوفيق من الله يحبهم ويحبونه فقد خسروا الدنيا والآخرة بتركهما وعدم الالتفات اليهما فى طلب المولى فربحوا المولى فلهذا لما وجد أبو يزيد فى البادية قحف رأس مكتوبا عليه خسر الدنيا والآخرة بكى وقبله وقال هذا رأس صوفى (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أى وانك يا أشرف الخلق لتؤتى القرآن من عند ذات مصيب فى أفعاله لا يفعل شيئا الا على وفق علمه عليم بكل شئ سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل أم لا وقال بعضهم أى انك جاوزت حد كمال كل رسول فانهم كانوا يتلقون الكتب بأيديهم من يد جبريل والرسالات من لفظه وحيا وانك تلقى حقائق القرآن من عند الله تعالى وان كنت تلقى القرآن بتنزيل جبريل على قلبك فالله تعالى علمك حقائق القرآن بأن جعلك بحكمته مستعدا لقبول فيض القرآن بلا واسطة وهو أعلم حيث يجعل

رسالته

(وسيعلم الذين ظلموا) أى أشركوا (أى منقلب ينقلبون) أى مرجع يرجعون اليه بعد مماتهم

﴿ تفسير سورة النمل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طس تلك آيات القرآن) أى هذه تلك الآيات التى وعدتم بها وذلك أنهم وعدوا بالقرآن فى كتبهم (وكتاب مبين) أى وآيات كتاب مبين (هدى) أى هو هدى (وبشرى للمؤمنين ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) أى جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم أعمالهم القبيحة حتى رأوها حسنة (فهم يعمهون) أى يتحيرون (أولئك الذين لهم سوء العذاب) فى الدنيا يعنى القتل ببدر (وهم فى الآخرة هم الأخسرون) أى بحرمان النجاة والمنع من الجنات (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أى يلقى اليك القرآن وحيا من الله عز وجل

رسالته (اذ قال موسى لأهله) أى زوجته بنت شعيب حيث تحير فى الطريق عند مسيره من مدين الى مصر (انى آنست نارا) أى أبصرتها (سآتيكم منها بخبر) يعرف به الطريق (أوآتيكم بشهاب قبس) وقرأ الكوفيون بتنوين شهاب فالقبس بدل منه أوصفة له أى بشعلة نار مأخوذة من أصلها والباقون بالاضافة أى بشهاب من قبس (لعلكم تصطلون) أى لكى تدفأوا بها (فلما جاءها) أى تلك التى ظنها موسى نارا (نودى) من قبل الله تعالى (أن بورك من فى النار ومن حولها) أى بورك من فى مكان النار وهى البقعة المباركة ومن حول مكانها ويدل عليه قراءة أبى تباركت الأرض ومن حولها وعنه أيضا بوركت النار وقيل المراد بمن فى النار هو موسى عليه السلام لقربه منها ومن حولها الملائكة أى نودى ببركة من فى النار أى بتطهيره عما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة أى ناداه الله تعالى بأنا قدسناك واخترناك للرسالة وهذه تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له (وسبحان الله رب العالمين) وهو من كلام الله مع موسى نزه الله تعالى نفسه عما لا يليق به فى ذاته وحكمته ليكون ذلك مقدمة فى صحة رسالة موسى عليه السلام واعلاما بأن ذلك الأمر مكونه رب العالمين ولدفع ما قد يتوهمه موسى بحسب الطبع البشرى الجارى على العادة الخلقية من أن الله المتكلم به فى مكان أوفى جهة ومن أن الكلام الذى يسمعه موسى فى ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق وقد علم موسى عليه السلام أن النداء من الله دال على ذلك من أن النار كانت مشتعلة على شجرة خضراء لم تحترق (ياموسى انه) أى ان مكلمك (أنا الله العزيز الحكيم) أى أنا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وأمر اليد الفاعل ما أفعله بحكمة بالغة وانا خبران والله بيان له والعزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما أراد الله أن يظهره على يد موسى عليه السلام من المعجزات (وألق عصاك) عطف على بورك فكلاهما تفسير لنودى فألقاها فانقلبت حية كبيرة جدا تسعى فأبصرها متحركة بسرعة واضطراب (فلما رآها تهتز) أى تضطرب فى تحركها (كأنها) أى العصا (جان) أى حية صغيرة فى سرعة الحركة (ولى مدبرا) أى هرب موسى منها مدبرا (ولم يعقب) أى لم يلتفت اليها من خوفها لظنه ان ذلك لأمر أريد به ولذلك قال تعالى (ياموسى لاتخف) منها (انى لايخاف لدى المرسلون) فى حالة الايحاء والارسال ولا يخاف من الملك العدل الاظالم كما قال تعالى (الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) أى لكن من ظلم ثم عمل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وهذا تعريض لطيف بما وقع من موسى عليه السلام من وكز القبطى. وجعل الاخفش والفراء وأبو عبيدة الاحرف عطف بمنزلة الواو فى التشريك فى اللفظ والمعنى وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه ومن شرطية وجوابها فانى غفور رحيم (وأدخل يدك فى جيبك) أى فى ابطك وكان له عليه السلام مدرعة صوف لاكم لها (تخرج بيضاء) لها اشراق (من غير سوء) أى آفة (فى تسع آيات الى فرعون وقومه) وقوله فى تسع متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج أى حال كون اليد مندرجة فى جملة تسع آيات وقوله الى فرعون متعلق بمحذوف حال من فاعل أدخل أى حال كونك مرسلا بها الى فرعون والظاهر ان قوله الى فرعون متعلق بمحذوف حال من فاعل ألق وأدخل وان قوله فى تسع متعلق بمحذوف حال من مفعولهما أى ألق وأدخل أى حال كون العصا واليد مع جملة الآيات التسع فان الآيات احدى عشرة العصا واليد والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وحال كونك مبعوثا الى فرعون والقبط (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن ربقة الانقياد لأمرى والعبودية لالوهيتى (فلما جاءتهم آياتنا) على يد موسى عليه السلام (مبصرة) كل من ينظر اليها ويتأمل فيها هادية الى الطريق الاقوم وقرأ على بن الحسين وقتادة

(اذ قال موسى) أى اذكر يا محمد قصة موسى اذ قال (لأهله) فى مسيره من مدين الى مصر وقد ضل الطريق وأصلد زنده (انى آنست نارا) أى أبصرتها من بعيد (سآتيكم منها بخبر) عن الطريق أين هو (أوآتيكم بشهاب قبس) أى شعلة نار اقتبسها (لعلكم تصطلون) أى تستدفئون من البرد (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار) أى من فى طلب النار وقصدها والمعنى بورك فيك ياموسى ويقال بورك فلان وبورك له وبورك فيه (ومن حولها) أى وفيمن حولها من الملائكة وهذا تحية من الله لموسى وتكرمة له (وسبحان الله رب العالمين) تنزيها لله من السوء وقوله (تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) أى حية خفيفة (ولى مدبرا) أدبر من خوفه (ولم يعقب) أى ولم يرجع ولم يلتفت قلنا (ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون الا من ظلم) أى لكن من ظلم نفسه (ثم بدل حسنا بعد سوء) أى تاب (فانى غفور رحيم) وقوله (فى تسع آيات) أى من تسع آيات أنت مرسل بها (الى فرعون وقومه) وقوله (مبصرة) أى مضيئة واضحة

مبصرة بفتح الميم والصاد أى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) أى هذا الذى أتى به موسى خيال لا حقيقة له واضح فى أنه خيال (وجحدوا بها) أى كذبوا بتلك الآيات بألسنتهم (واستيقنتها أنفسهم) أى وقد علمتها قلوبهم علما يقينا أنها حق (ظلما وعلوا) حال أخرى من الواو فى جحدوا أو علة للجحد أى ظالمين للآيات حيث سموها سحرا وحطوها عن رتبتها الرفيعة ومترفعين عن الايمان بها أو جحدوا بها للظلم للآيات والتكبر عنها وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) من اغراقهم فى البحر على الوجه الهائل الذى هو عبرة العالمين (ولقد آتينا داود وسليمان علما) أى أعطينا كل واحد منهما جزءا من العلم لائقا به من علم الحكم والسياسة ومختصا به كعلم داود صنعة لبوس وتسبيح الجبال والطير وعلم سليمان سائر نطق الطير والدواب (وقالا) شكرا لما أعطيناه من العلم (الحمد لله الذى فضلنا) بما أعطانا من العلم (على كثير من عباده المؤمنين) ممن لم يؤت علما مثل علمنا وفى هذا دليل على فضل العلم وشرف أهله وتحريض العالم بأن يحمد الله تعالى على ما أعطاه من العلم ويعتقد انه قد فضل عليه كثير وان فضل على كثير فلا يفتخر ولا يتكبر وان يشكر الله تعالى فى أنه ينفع بعلمه المسلمين (وورث سليمان داود) أى ملكه بأن قام مقامه فيه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وزيد له تسخير الريح والشياطين وداود أشد تعبدا من سليمان وروى أن سليمان أعطى هذا الملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة أما داود فقد عاش مائة سنة (وقال) سليمان لبنى اسرائيل على جهة الشكر لنعم الله تعالى والتنويه بها (يأيها الناس علمنا منطق الطير) وهذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان سليمان عليه السلام ملكا مطاعا لا يتكبر وقد يتعلق بتعظيم الملك مصالح فيصير ذلك التعظيم واجبا. روى عن كعب الاحبار رضى الله عنه ان سليمان عليه السلام أخبر عن منطق جملة من الطيور: الورشانة تقول لدوا للموت وابنوا للخراب والفاختة تقول ليت ذا الخلق لم يخلق والطاوس يقول كما تدين تدان والهدهد يقول من لا يرحم لا يرحم والصرد يقول استغفروا الله يا مذنبين وهو الذى دل آدم على مكان البيت ومن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله والطيطوى يقول كل حى ميت وكل جديد بال والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه وهو الذى آنس الله آدم به بعد خروجه من الجنة فهى لا تفارق بنى آدم أنسا لهم والحمام يقول سبحان ربى الاعلى والغراب يدعو على العشار فكان يقول اللهم العن العشار والحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاط تقول من سكت سلم والببغاء وهى الدرة تقول ويل لمن الدنيا همه والقمرى يقول سبحان ربى العظيم المهيمن والباز يقول سبحان ربى العظيم وبحمده والعقاب يقول فى البعد عن الناس أنس والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت (وأوتينا من كل شئ) أى أعطينا شيئا كثيرا وكان له عليه السلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منصته فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء عليهم السلام على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وحولهم الوحش وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك أن لا يتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (ان هذا) أى التعليم والاعطاء (لهو الفضل المبين) أى الذى لا يخفى على أحد وقصده عليه السلام

(وجحدوا بها) الآية معناها وجحدوا بها ظلما وترفعا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله (وورث سليمان داود) أى نبوته وعلمه دون سائر أولاده (وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير) أى فهمنا ما تقوله الطير

السلام بذلك القول الشكر والحمد أى أقول هذا القول شكرا لا فخرا (وحشر لسليمان جنوده) أى جمع له بقهر واكراه بأيسر أمر عساكره (من الجن والانس والطير فهم يوزعون) أى يمنعون من التقدم فى السير حتى يجتمعوا ليكون مسيره عليه السلام مع جنوده على ترتيب وروى عن كعب الاحبار أنه قال كان سليمان عليه السلام اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبى يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فبكى البيت فأوحى اليه ما يبكيك قال يارب أبكانى ان هذا نبى من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يصلوا عندى والأصنام تعبد حولى فأوحى الله تعالى اليه لا تبك فانى سوف أملأك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى الى وأجعل فيك عمارا من خلق يعبدوننى أفرض عليهم فريضة يحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الأوثان وعبدة الشيطان ثم ساروا (حتى اذا أتوا على وادى النمل) وهو واد بالشام كثير النمل على ماقاله مقاتل وقتادة وبالطائف على ماقاله كعب وهو نمل صغار على المشهور (قالت نملة) قولا مشتملا على حروف وأصوات وكانت عرجاء ذات جناحين وهى من الحيوانات التى تدخل الجنة فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال ويقال لها منذرة وقيل اسمها حرميا وقيل طاخية وقيل عيجلوف (يأيها النمل ادخلوا مساكنكم) أى جحركم (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أى لا تبرزوا فيدوسنكم سليمان وجنوده فى حال كونهم لا يشعرون بدوسهم لكم لاشتغالهم بما هم فيه من أحوال السير وكأنهم أرادوا النزول عند الوادى لأنه ما دامت الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف دوسهم (فتبسم ضاحكا من قولها) أى تعجبا من قول النملة بفصاحتها واهتدائها الى تدبير مصالح بنى نوعها وسرورا بما آتاه الله من سمعه كلامها وفهمه بمعناه وبشهرة حاله وحال جنوده فى باب التقوى والشفقة فيما بين أنواع المخلوقات (وقال) سليمان (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) أى اجعلنى أكف شكر نعمتك عندى عن أن ينقلب عنى حتى أكون شاكرا لك أبدا أو وفقنى لأن أؤدى شكر نعمتك (التى أنعمت على وعلى والدى) هما داود وأم سليمان وهى فى الأصل زوجة أوريا التى امتحن الله بها داود عليه السلام (وأن أعمل صالحا ترضاه) لأن العمل الصالح قد لا يرضاه المنعم لنقص فى العامل كما قيل

اذا كان المحب قليل حظ • فما حسناته الا ذنوب

(وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) ابراهيم واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين كما قاله ابن عباس لأن الصالح الكامل هو الذى لا يعصى الله تعالى ولا يهم بمعصية أى أثبت اسمى فى أسمائهم واحشرنى فى زمرتهم (وتفقد الطير) أى بحث أحوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها أى نزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فطلب الهدهد ليدل على الماء لأنه يعرف موضع الماء قربه وبعده فينقر الأرض ثم تجىء الشياطين فيحفرونها ويستخرجون الماء فى ساعة يسيرة (فقال مالى لا أرى الهدهد) اسمه عنبر كما أخرج ابن أبى حاتم عن الحسن أى مالى لا أراه لساتر ستره أو لسبب آخر ثم ظهر له أنه غائب فانتقل عن ذلك الكلام فقال (أم كان من الغائبين) فتقدر أم ببل أو بالهمزة أو بهما روى أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به

(وحشر) أى وجمع لسليمان جنوده) فى مسير له (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا (حتى اذا أتوا على واد النمل) كان هذا الوادى بالشام وكان نمله كأمثال الذباب (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) أى لا يكسرنكم بأن يطأكم (فتبسم) سليمان لما سمع قولها وتذكر ما أنعم الله عليه وقال (رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك) على الآية (وتفقد الطير) أى طلبها وبحث عنها (فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان) أى بل كان (من الغائبين) لذلك لم يره

ماشاء وكان ينحر في كل يوم طول مقامه فيه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل بها ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء فتفقد الهدهد وكان حين اشتغل سليمان بالنزول ارتفع نحو السماء فنزل الى بستان بلقيس فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح قال يعفور ومن ملك هذه البلاد قال عفير امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثناعشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل وذهب معه لينظر الى بلقيس وملكها فما رجع يعفور الا بعد العصر فلما دخل العصر سأل سليمان الانس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموه فتفقد الهدهد فلم يره فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان عند ذلك وقال (لأعذبنه) بسبب غيبته فيما لم آذن فيه (عذابا شديدا) بنتف ريشه فهذا عذاب الطير (أولأذبحنه) بالسكين ليعتبر به أبناء جنسه (أوليأتيني بسلطان مبين) أي الا أن يأتيني بحجة تبين عذره فلا أذبح ولا أعذب ثم دعا العقاب وهو أشد الطير طيرانا فقال له علي بالهدهد الساعة فارتفع العقاب في الهواء فالتفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي الا مارحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال له ويلك ان نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك فطارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان فقال الهدهد أوما استثنى نبي الله فقالوا بلى انه قال أوليأتيني بسلطان مبين فقال نجوت اذا ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله (فمكث) أي الهدهد (غير بعيد) أي زمانا غير طويل حتى جاءه وقرأ عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله فقال ما الذي أبطأك عني (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علمت ما لم تعلم أيها الملك وبلغت الى ما لم تبلغ (وجئتك من سبأ) وقرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمزة من غير تنوين يراد به القبيلة والمدينة والأصل اسم القبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام والباقون بالجر والتنوين اسم للحي سموا باسم أبيهم الأكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وعن ابن كثير في رواية سبا بالألف (بنبأ يقين) أي بخبر حق عجيب (اني وجدت امرأة تملكهم) يقال لها بلقيس بكسر الباء وهي بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية كما أخرج عن زهير بن محمد وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وورث الملك من أربعين أبا ولم يكن له ولد غيرها وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صور الظباء فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها (وأوتيت من كل شيء) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) أي سرير حسن كبير طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مصنوع

(لأعذبنه عذابا شديدا) أي لأنتفن ريشه وألقينه في الشمس (أو ليأتيني بسلطان مبين) أي بحجة واضحة في غيبته (فمكث غير بعيد) أي لم يطل الوقت حتى جاء الهدهد وقال لسليمان (أحطت بما لم تحط به) أي علمت مالم تعلمه (وجئتك من سبأ) وهي مدينة باليمن (بنبأ يقين) أي بخبر لاشك فيه وقوله (وأوتيت من كل شيء) أي مما يعطى الملوك (ولها عرش) أي سرير (عظيم) وقوله

من الذهب والفضة مكلل بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر و زمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها) أي لقيتهم مجوسا (يسجدون للشمس من دون الله) أي يعبدون الشمس متجاوزين عبادة الله (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أي سبيل الهدى (فهم لا يهتدون) بسبب ذلك (أن لا يسجدوا لله) مفعول له للصد أو التزيين على حذف اللام أي فصدهم لأن لا يسجدوا له تعالى أو زين لهم أعمالهم لأن لا يسجدوا أو بدل من أعمالهم أي وزين لهم الشيطان عدم سجودهم لله تعالى وقرأ الكسائي ألا يسجدوا بتخفيف اللام فألا حرف تنبيه واستفتاح و يا بعدها حرف تنبيه أيضا أو نداء والمنادى محذوف تقديره ياهؤلاء اسجدوا واسجدوا فعل أمر فكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون يااسجدوا ولكن الصحابة أسقطوا ألف يا وهمزة الوصل خطا لما سقطا لفظا و وصلوا الياء بسين اسجدوا فاتحدت القراءتان لفظا وخطا واختلفا تقديرا وعلى هذه القراءة فالوقف على يهتدون تام ولو وقف على يا بمعنى ألا ياهؤلاء ثم ابتدئ باسجدوا جاز بخلاف قراءة الباقين بادغام النون في لا فالوقف على لا يهتدون جائز وقرأ الأعمش هلا وهي حرف وعبد الله بقلب الهمزتهاء وقرأ أبي ألا يسجدون أي لم لا يسجدون لله كما قاله ابن عباس وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وهلا يحتمل أن يكون استئنافا من جهة الله تعالى أو من سليمان عليه السلام. قال أهل التحقيق قوله أن لا يسجدوا يجب أن يكون بمعنى الأمر لأنه لو كان بمعنى المنع من السجود لم يكن معنى لوصفه تعالى باستحقاق السجود للاتصاف بكونه تعالى قادرا على اخراج الخبء عالما بكل شيء (الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) والجار والمجر ور متعلق بالخبء أي الذي يظهر الخفي فيهما من المطر والنبات ومتعلق بيخرج على أن فيه معنى من كما قاله الفراء (و يعلم ما تخفون وما تعلنون) من الأحوال فيجازيكم بها وقرأ الكسائي وحفص بالتاء الفوقية فتأويل قراءة حفص في ألا يسجدوا أنه خرج الى خطاب الحاضر بن بعد أن تم قصة أهل سبأ والخطاب على قراءة الكسائي ظاهر والباقون بالغيبة لتقدم ضمائر الغيبة في قوله أعمالهم وصدهم فهم وهي غير ظاهرة وقرئ ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض و يعلم سركم وما تعلنون (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) أي فعرش الله عظيم بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما وقرئ العظيم بالرفع على أنه صفة الرب ولما ذكر الهدهد قصة بلقيس لم يتغير سيدنا سليمان عليه السلام لذلك ولم يستفزه الطمع لما سمع من ملكها كعادة الملوك في الطمع في ملك غيرهم فلما ذكر الهدهد عبادة بلقيس وقومها غير الله اغتاظ سيدنا سليمان وأخذته حمية الدين وجعل يبحث عن تحقيق (قال) سليمان للهدهد (سننظر) أي سنتعرف في مقالتك بالتجربة (أصدقت) فيه (أم كنت من الكاذبين) وفي هذا دليل على أن خبر الواحد لا يثبت العلم وعلى أن الوالي يجب أن يقبل عذر من في صورة المجرمين اذا صدق في اعتقاده (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) أي الى من يعبدون الشمس (ثم تول عنهم) أي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون مايقوله بمسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) أي تعرف أي شيء يرجع بعضهم الى بعض من القول فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فألقى الكتاب على نحرها وتوارى في الكوة فانتبهت فزعة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه فعند ذلك (قالت) لأشراف قومها (يا أيها الملأ) أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة ان أهل مشورتها كانوا ثلثمائة واثنى عشر رجلا (اني ألقي الي كتاب كريم) أي لأنه مكرم بختمه ولغرابة شأنه حيث وصل اليها على غير

(ألا يسجدوا) أي لأن لا يسجدوا (لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) أي القطر من السماء والنبات من الأرض وقوله (ثم تول عنهم) أي استأخر غير بعيد (فانظر ماذا يرجعون) أي بما يردون من الجواب فمضى الهدهد وألقى اليها الكتاب (قالت يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم) أي حسن مافيه ثم بينت مافيه فقالت

معتاد ولحسن ما فيه من كونه مشتملا على اثبات الصانع الحي المريد القادر الرحيم وعلى النهى عن التكبر والأمر بالانقياد ولكونه ممن عنده ملك كريم فقد عرفت أن الرسل أعظم ملكا منها (انه) أى ان عنوان الكتاب (من سليمان وانه) أى ان مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على) فأن مفسرة ولا ناهية أى لا تتكبروا على كما تفعل الملوك وقرأ ابن عباس لا تغلوا بالغين المعجمة أى لا تترفعوا على ولا تمتنعوا من الاجابة (وائتونى مسلمين) أى مؤمنين (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أى أجيبونى فى أمرى الذى حزبنى وذكرت لكم خلاصته (ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) أى عادتى معكم أن لا أفصل أمرا من الأمور المتعلقة بالملك حتى أحضركم وأشاوركم (قالوا نحن أولوا قوة) فى الأجساد والآلات (وأولوا بأس شديد) أى شجاعة مفرطة وثبات فى القتال (والأمر اليك) أى هو موكول اليك (فانظرى) أى تأملى (ماذا تأمرين) ونحن مطيعون لك فمرى بنا بأمرك ولما أحست منهم الميل الى الحراب لم ترض به لما علمت أن من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شئ يريده وذلك يدل دلالة بينة على رسالة مرسلها بل مالت للصلح ولذلك بينت السبب فى رغبتها فيه (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) من القرى على منهاج الحراب (أفسدوها) بتخريب عمارتها واتلاف ما فيها من الأموال (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالقتل والأسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة (وكذلك يفعلون) وهذا من جملة كلامها ذكرته توكيدا لما وصفته من حال الملوك أى ان الذين أرسلوا الكتاب يفعلون مثل الذى تفعله الملوك فان ذلك عادتهم المستمرة (وانى مرسلة اليهم) رسلا (بهدية) عظيمة (فناظرة بم يرجع المرسلون) روى انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وبعثت العود والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأى وعقل وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وأخبر بما فى الحق قبل أن يفتحه وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا من غير علاج انس وجن ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشاشا لطيفا فهو نبى فانطلق الرسول بالهدايا فأقبل الهدهد الى سليمان عليه السلام فأخبره بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر مختلفة ألوانها حتى ان لدواب البحر أجنحة وأعرافا ونواصى فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير أن أقيموا على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى على جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة بهتوا وتقاصرت اليهم أنفسهم ووضعوا ما معهم من الهدايا فى ذلك الموضع فلما وقفوا بين يدى سليمان أقبل عليهم بوجه طلق وسألهم عن حالهم فأخبر رئيس القوم بما جاؤا فيه وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأتى به فحركه فجاءه جبريل فأخبره بما فيه فقال سليمان لهم ان فيه درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة فى فيها ونفذت فى الدرة فجعل رزقها فى الشجرة فأمر بالدودة البيضاء فأخذت خيطا بفيها ونفذت فى الجزعة فجعل رزقها فى الفواكه وأمر الغلمان والجوارى بأن يغسلوا وجوههم

(انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على) أى لا تترفعوا على وان كنتم ملوكا (وأتونى مسلمين) أى طائعين منقادين (قالت يأيها الملأ أفتونى فى أمرى) أى بينوا لى ما أعمل (ما كنت قاطعة) أى قاضية وفاصلة (أمرا حتى تشهدون) أى تحضرون أى لا أقطع أمرا دونكم (قالوا) مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أى فى القتال (وأولوا بأس شديد) أى عند الحرب (والأمر اليك) أيتها الملكة (فانظرى ماذا تأمرين) نطعك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وغلبة (أفسدوها) يعنى خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أى أهانوا أشرافها ليستقيم لهم الأمر أشارت الى أنها لو جاءها سليمان محاربا احتاج الى التخريب والافساد وصدقها الله تعالى فى قولها فقال (وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية) أى أصانعه بها وأختبره أملك هو أم نبى فان كان ملكا قبلها وان كان نبيا لم يقبلها (فناظرة بم) أى بأى شئ (يرجع المرسلون) من عنده

وايديهم

وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تغسل به وجهها والغلام كما يأخذ الماء يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظهره فميز عليه السلام بين الغلمان والجوارى ثم رد الهدية كما أخبر الله عنه بقوله (فلما جاء) أى رسول الملكة بلقيس وهو منذر (سليمان قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم) اى قال سليمان عليه السلام مخاطبا للرسول والمرسل لا ينبغى لكم يا أهل سبأ أن تعاونونى بالمال لان الله تعالى قد أعطانى منه ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمنى بالنبوة والدين (بل أنتم بهديتكم تفرحون) فالمصدر اما مضاف لفاعله أى تفرحون بما تهدونه افتخارا على أمثالكم واعتدادا به من حيث انكم قدرتم على اهداء مثله واما مضاف لمفعوله أى تفرحون بما يهدى اليكم حبا فى كثرة أموالكم وحالى خلاف حالكم فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتى وقيل بل أنتم بهديتكم هذه تفرحون بأخذها ان ردت اليكم ثم قال للمنذر (ارجع) أيها الرسول (اليهم) أى الى بلقيس وقومها بهديتهم وقيل الخطاب للهدهد أى ارجع يا هدهد حاملا كتابا آخر (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أى فوالله لنأتينهم بجموع لا طاقة لهم بمقاومتها وقرأ ابن مسعود بهم بضمير جمع المذكور (ولنخرجنهم منها) أى من سبأ (أذلة) أى حال كونهم ذليلين بذهاب ملكهم وعزهم (وهم صاغرون) أى مهانون بوقوعهم فى أسر واستعباد وباغلال أيمانهم الى أعناقهم قال ابن عباس لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها الخبر قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة و بعثت الى سليمان انى قادمة اليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعوا اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعل فى آخر سبعة أبيات بعضها فى داخل بعض ثم غلقت عليه سبعة أبواب وجعلت عليها حراسا يحفظونه ثم تجهزت للسير فارتحلت الى سليمان فى اثنى عشر ألف ملك من ملوكها تحت كل ملك ألوف فخرج سليمان يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس وقد نزلت بهذا المكان أى الذى على مسيرة فرسخ من سليمان عليه السلام فأقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) فأراد سليمان أن يريها بعض ما خصه الله تعالى من اجراء العجائب على يده الدالة على عظيم قدرته تعالى وعلى صدقه فى نبوته وكان سليمان اذ ذاك فى بيت المقدس وعرشها فى سبأ بلدة باليمن و بينها و بين بيت المقدس مسيرة شهرين وان يعرف مقدار ملكها قبل وصولها اليه لان العرش سرير الملكة (قبل أن يأتونى مسلمين) أى مؤمنين فانها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها (قال عفريت) أى قوى (من الجن) كان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان مسخرا لسليمان واسمه ذكوان وقيل صخر وقيل كوزن (أنا آتيك به) وهو اسم الفاعل أى أنا آت بعرشها (قبل أن تقوم من مقامك) أى من مجلسك للقضاء وكان يجلس قضائه الى انتصاف النهار (وانى عليه) أى على الاتيان به (لقوى أمين) أى لقوى على حمله أمين على ما فيه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة (قال الذى عنده علم من الكتاب) المنزل على الأنبياء قبل سليمان كالتوراة قال ابن عباس وقتادة هو آصف بن برخيا كاتب سليمان (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد سليمان عينيه و نظر نحو اليمين ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجدون به تحت الارض حتى نبع بين يدى سليمان قيل كان الدعاء الذى دعا به ياحى ياقيوم كما روى ذلك عن عائشة قال بعضهم أراد سليمان أن يظهر كرامة أمته ليعلم أن فى أمم الأنبياء أهل الكرامات لئلا ينكروا من كرامات الأولياء وقال محمد بن المنكدر انما الذى عنده علم هو سليمان نفسه قال له عالم من بنى اسرائيل أنت النبى بن النبى وليس أحد أوجه منك عند الله فان دعوت الله كان العرش عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجئ بالعرش فى الوقت قال الرازى

(فلما جاء) البريد والرسول (سليمن قال أتمدونن بمال فما آتانى الله) من الدين والنبوة والحكمة (خير مما آتاكم) من الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لانكم أهل مكاثرة بالدنيا ثم قال للرسول (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل) أى لا طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) أى من أرضهم (أذلة وهم صاغرون) فجاءها الرسول فأخبرها بما رأى وشاهد فتجهزت للسير الى سليمان فلما علم سليمان بمسيرها اليه (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) أى بسريرها (قبل أن يأتونى مسلمين) لانه حينئذ لا يحل لى أخذ ما فى أيديهم (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوى (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أى من مجلسك الذى جلست فيه للحكم (وانى عليه) أى على حمله (لقوى أمين) على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب) وهو آصف بن برخيا كان قد قرأ كتب الله (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قبل أن يرجع اليك الشخص من منتهى طرفك

(فلما رآه) أي رأى سليمان العرش (مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر) نعمته (أم أكفر) ها (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لان نفع ذلك يعود اليه حيث يستوجب المزيد (ومن كفر فان ربي غني) عن شكره (كريم) بالافضال على من يكفر النعمة (قال نكروا) أي غيروا (لها عرشها) بتغيير صورته (ننظر أتهتدي) أي أتعلم أنه عرشها فتعرفه (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) شبهته لانه كان مغيرا وأراد سليمان أن يختبر عقلها لانه قيل له ان في عقلها شيئا ثم قالت (وأوتينا العلم) أي بصحة نبوة سليمان (من قبلها) أي من قبل هذه الآية التي رأيتها في احضار العرش (وكنا مسلمين) أي منقادين له قبل مجيئنا (وصدها) أي منعها عن الايمان (ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين) فنشأت فيهم ولم تعرف الا قومها يعبدون الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) وذلك انه قيل لسليمان ان قدميها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يرى قدميها فاتخذ لها ساحة من زجاج وتحته الماء والسمك وجلس سليمان في صدر الصرح وقيل لها ادخلي الصرح

وهذا القول أقرب والمخاطب به العفريت الذي كلمه وأراد سليمان عليه السلام اظهار معجزة فغالبه أولا ثم بين أنه يتحصل له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت قيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان وانما هذا أقرب لان سليمان كان أعرف بالكتاب من غيره لانه نبي وان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف لاقتضى ذلك تفضيله على سليمان ولو افتقر اليه في ذلك لاقتضى ذلك نقص حال سليمان في أعين الخلق ولان ظاهر قوله هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر يقتضي أن يكون اتيان العرش بدعاء سليمان (فلما رآه مستقرا عنده) أي رأى سليمان العرش حاضرا لديه (قال) سليمان شاكرا لربه لما آتاه الله تعالى من هذه الخوارق (هذا) أي اتيان العرش في هذه المدة القصيرة (من فضل ربي) أي من احسانه الي من غير استحقاق له من قبلي (ليبلوني) أي ليختبرني (أأشكر) فأعترف بكون ذلك فضلا منه تعالى (أم أكفر) بأن أثبت لنفسي تصرفا في ذلك أو أترك شكرا (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) فان نفع الشكر عائد الى الشاكر فانه يخرج عن علقة وجوب الشكر عليه وانه يستحق المزيد وانه مشتغل بالمنعم أما المعرض عن الشكر فهو مشتغل باللذات الحسية (ومن كفر) أي ترك شكر النعمة (فان ربي غني) عن شكره لا يضره تعالى كفرانه (كريم) أي لا يقطع عنه نعمه بسبب اعراضه عن الشكر (قال) سليمان (نكروا لها عرشها) أي غيروا سريرها من هيئته فزيدوا فيه وانقصوا منه وروي انه جعل أعلاه أسفله وجعل مكان الجوهر الأخضر أحمر وبالعكس فأراد سليمان عليه السلام اختبار عقلها (ننظر) بالجزم على أنه جواب الأمر وقرئ بالرفع على الاستئناف أي نعلم (أتهتدي) أي أتعرف أن ذلك العرش عرشها أو أتعرف الجواب اللائق بالمقام (أم تكون من الذين لا يهتدون) أي لا يعرفون ذلك (فلما جاءت) أي بلقيس سليمان (قيل) لها من جهة سليمان (أهكذا عرشك) أي أمثل هذا عرشك الذي تركته في قصرك وأغلقت عليه الأبواب وجعلت عليه حراسا (قالت كأنه هو) أي كأن عرشي هو هذا وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر ولو قيل لها أهذا عرشك لقالت نعم لمعرفتها العرش (وأوتينا العلم من قبلها) أي وأعطينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من رسولنا المنذر من الآيات الدالة على ذلك (وكنا مسلمين) من ذلك الوقت وهذا من تتمة كلام بلقيس كأنها ظنت أن سليمان أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) وهذا من كلام الله تعالى أي ومنع بلقيس عن اظهار الاسلام عبادتها القديمة للشمس فما كانت تعبد فاعل صد أو ان ما كان مجرورا بمن مقدرة وفاعل صد راجع الى سليمان أي وصرفها سليمان عن الذي كانت تعبده وهو الشمس (انها كانت من قوم كافرين) تعليل لعبادة غير الله أي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بينهم الى أن دخلت تحت ملك سليمان أو استئناف أخبر الله تعالى انها كانت من مجوس يعبدون الشمس فلا تعرف الا عبادتها وقرأ سعيد بن جبير وأبو حيوة بفتح الهمزة على أن هذه الجملة مجرورة بحرف العلة أو بدل من ما كانت تعبد أي ومنعها عن اظهار دعواها الاسلام كونها من قوم كافرين أو وصرفها سليمان عن صيرورتها كافرة (قيل لها ادخلي الصرح) أي البلاط المتخذ من زجاج روي أن سيدنا سليمان أمر الشياطين قبل قدوم بلقيس بأن يحفروا على طريقها حفيرة ويجعلوا سقفها زجاجا أبيض شفافا ويضعوا فيها ماء وسمكا وضفدعا وغير ذلك من حيوانات الماء وصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج فمن أراد مجاوزته يمر فوق السطح الذي تحته الماء ولا يمسه

الماء ومن لم يكن عالما بالحال يظن هذا ماء مكشوفا ليس له سقف يمنع من الخوض فيه ووضع سيدنا سليمان عليه السلام سريره فى صدر ذلك السطح فجلس عليه قال وهب ومحمد بن كعب والسبب فى ذلك ان الجن قالوا لسيدنا سليمان ان فى عقل بلقيس شيئا وان رجليها كرجلى حمار وانها شعراء الساقين وغرضهم فى ذلك تنفيره عن تزوجها لانهم ظنوا أنه يستر وجها وكرهوا ذلك لان أمها كانت جنية فخافوا أن تفشى له أسرار الجن ولانهم خافوا أن يأتى له منها أولاد فيسخرون الجن فيدوم عليهم الاستخدام والذل فأراد سليمان عليه السلام ان يختبر عقلها بتنكير عرشها فاذا فيها ما يدل على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها وان ينظر الى قدميها ببناء ذلك البلاط لانه أراد أن ينكحها ليعلم ان ما قالت الجن فى حقها صدق أو كذب (فلما رأته) أى رأت ذلك الصحن (حسبته لجة) أى ماء غمرا (وكشفت عن ساقيها) على عادة من أراد خوض الماء لاجل أن تصل الى سليمان قال وهب بن منبه فلما رأت اللجة فزعت وظنت أنها قصد بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ما هالها ولم يكن لها بد من امتثال الأمر فرفعت ثيابها عن ساقيها فرآهما فاذا هى أحسن النساء ساقا وقدما سليمة مما قالت الجن فيها الا أنها كانت كثيرة الشعر فى ساقيها فلما علم الحال صرف بصره عنها (قال) عليه السلام حين رأى منها الدهشة والرعب (انه صرح ممرد من قوارير) أى ان الذى ظننته ماء سقف مملس من زجاج تحته ماء فلا تخافى واعبرى عليه (قالت) بعد أن دعاها سليمان الى الاسلام وقد رأت حال العرش والصرح (رب انى ظلمت نفسى) بالثبات على الكفر فيما تقدم من الزمان وقيل بسوء ظنى بسليمان أنه يغرقنى فى اللجة (وأسلمت مع سليمان) أى ودخلت فى دين الاسلام مصاحبة له فى الدين مقتدية به (لله رب العالمين) قيل لما أراد أن يتزوجها وكره شعر ساقيها أمر الشياطين أن يتخذوا النورة والحمام لأجل ازالته فكانتا من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا كثيرا حتى بقيت على نكاحه الى أن مات عنها ورزق منها بولد اسمه داود وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة قصور لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وكان يزورها فى الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وكان يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان فسبحان من لا يزول ملكه (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذاهم فريقان يختصمون) أى فريق مؤمن وفريق كافر فالذين آمنوا لانهم عرفوا صحة حجة صالح فيكونون خصماء لمن لم يقبلها والاختصام فى باب الدين حق وابطال للتقليد (قال) صالح للفرقة الكافرة (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أى لما توعد صالح المكذبين بالعذاب فقالوا على وجه الاستهزاء ائتنا بعذاب الله فعند ذلك قال صالح ياقوم قد أمكنكم التوصل الى رحمة الله تعالى فلماذا تعدلون عنه الى استعجال عذابه وكانوا لجهلهم يقولون ان صدق ايعاد صالح بنزول العذاب تبنا حينئذ فحينئذ يدفع الله العذاب عنا والا فنحن على ما كنا عليه فخاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وقال (لولا تستغفرون الله) أى هلا تطلبون غفران الله قبل نزول العذاب بتوحيد الله وبالتوبة من الشرك (لعلكم ترحمون) بقبوله التوبة فان استعجال الخير أولى من استعجال الشر وان قبول التوبة لا يمكن عند نزول العذاب (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) أى تشاءمنا بك وبمن فى دينك حيث تتابعت علينا الشدائد من القحط والاختلاف منذ اخترعتم دينكم (قال) صالح (طائركم عند الله) أى السبب الذى منه يجىء شدتكم ورخاؤكم قدره تعالى ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم (بل أنتم قوم تفتنون) بزينة الدنيا فلا تعرفون قدر نعم الله فى حقكم وقال ابن عباس أى أنتم تختبرون بالخير والشر وقال محمد بن كعب أى تعذبون (وكان فى المدينة) أى فى الحجر (تسعة رهط) أى أشخاص قال ابن عباس أسماؤهم رعمى ورعيم

(فلما رأته حسبته لجة) ماء وهى مظلية (وكشفت عن ساقيها) لدخول الماء فرأى سليمان قدميها واذا هى أحسن الناس ساقا وقدما (قال) لها (انه صرح ممرد) أى أملس (من قوارير) ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام فأجابت و(قالت رب انى ظلمت نفسى) بالكفر (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقوله (فاذاهم فريقان يختصمون) أى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن وكافر يختصمون أى يقول كل فريق الحق معى وطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح العذاب ف(قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أى لم قلتم ان كان ما أتيت به حقا فأتنا بالعذاب (لولا) أى هلا (تستغفرون الله) أى بالتوبة من الكفر (لعلكم ترحمون) أى لكى ترحموا (قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك) وذلك أنهم قحطوا بتكذيبهم فقالوا أصابنا القحط بشؤمك وشؤم أصحابك ف(قال) صالح (طائركم عند الله) أى ما أصابكم من خير وشر فمن الله (بل أنتم قوم تفتنون) أى تختبرون بالخير والشر (وكان فى المدينة) أى مدينة ثمود (تسعة رهط)

وهرمى وهريم وداب وصواب ورياب ومسطع وقدار بن سالف عاقر الناقة وأسماؤهم عن وهب قد نظمهم بعضهم فى بيتين فقال

رياب وغنم والهذيل ومسطع * عمير سبيط عاصم وقدار
وسمعان رهط الماكرين بصالح * الا ان عدوان النفوس جوار

(يفسدون فى الارض) بالمعاصى (ولا يصلحون) أى لا يمزجون ذلك الفساد بشئ من الصلاح (قالوا تقاسموا) أى قال بعضهم لبعض فى أثناء المشاورة فى أمر صالح عليه السلام غب ما أنذرهم بالعذاب احلفوا (بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون) وقرأ حمزة والكسائى لتبيتنه بتاء فوقية بعد اللام و بالرفع للجمع ولتقولن بتاء فوقية و بالرفع للجمع وقرأ عاصم مهلك بفتح الميم وحفص بكسر اللام والباقون بضم الميم مع فتح اللام فقط والمعنى انهم توافقوا وحلفوا بالله لندخلن على صالح ومن آمن به وهم أربعة آلاف ليلا بغتة ونقتلهم جميعا ثم لنقولن لولى دم صالح ماحضرنا قتلهم أووقته أومكانه فلا ندرى من قتلهم وانا لصادقون فى انكارنا لقتلهم أى لو اتهمنا قوم صالح حلفنا لهم أنا لم نحضر (ومكروا مكرا) بهذه الكيفية (ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) قيل انهم خرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء صالح يصلى فى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة فطبقت فم الشعب عليهم فهلكوا وهلك الباقون بالصيحة وقيل جاؤا بالليل شاهرين سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الاحجار ولا يرون راميا (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) بصالح (انا دمرناهم وقومهم أجمعين) أى انا أهلكنا التسعة بالحجارة وأهلكنا قومهم أجمعين بصيحة جبريل عليه السلام وقرأ الكوفيون أنا دمرناهم بفتح الهمزة اما بدل من عاقبة على انه فاعل كان و كيف حال أى فتفكر فى أى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدا محذوف أى هى أى العاقبة تدميرنا اياهم (فتلك بيوتهم خاوية) أى خالية ساقطة وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف (بما ظلموا) أى ظلمهم بعبادتهم غير الله تعالى (ان فى ذلك) أى التدمير العجيب (لآية) أى لعبرة عظيمة (لقوم يعلمون) أى يفهمون اشارات القرآن (وأنجينا الذين آمنوا) أى صالحا ومن معه من المؤمنين (وكانوا يتقون) أى المعاصى وقتل الناقة وهم أربعة آلاف وخرج صالح بمن آمن معه الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنوا مدينة يقال لها حاضوراء (ولوطا) منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا فى صدر قصة صالح أى وأرسلنا لوطا (اذ قال لقومه) فاذ ظرف للارسال لما فارق عمه ابراهيم عليه السلام (أتأتون الفاحشة) أى الفعلة المتناهية فى السماجة (وأنتم تبصرون) أى والحال انكم تعلمون علما يقينا انها قبيحة (أئنكم لتأتون الرجال شهوة) أى لاجل الشهوة فقط فهو كالبهائم ليس فيها قصد اعفاف ولا قصد ولد (من دون النساء) أى حال كونكم متجاوزين النساء (بل أنتم قوم تجهلون) أى بل أنتم قوم سفهاء ماجنون (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى أخرجوا لوطا وابنتيه زعوراو رياو زوجته المؤمنة (من قريتكم) سذوم (انهم أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن الاقذار قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء (فأنجيناه وأهله الا امرأته) المنافقة (قدرناها من الغابرين) أى قدرنا عليها أن تكون من الباقين فى العذاب وقرأ شعبة بتخفيف الدال (وأمطرنا عليهم) أى على كل من كان منهم خارج المدينة (مطرا) هو طين محرق (فساء مطر المنذرين) مطرهم (قل الحمد لله) على هلاك الكفار (وسلام على عباده الذين اصطفى) أى اصطفاهم الله بالاسلام من السابقين واللاحقين (آلله

كانوا عتاة قوم صالح (قالوا تقاسموا) أى احلفوا (بالله لنبيتنه وأهله) أى لنأتين ليلا صالحا ولنقتلنه وأهله (ثم لنقولن لوليه) أى لولى دمه (ماشهدنا مهلك أهله) أى ماحضرنا اهلاكهم (وانا لصادقون) فى قولنا (ومكروا مكرا) أى لتبييت صالح (ومكرنا مكرا) أى جازيناهم على ذلك وقوله (أنا دمرناهم) أهلكناهم وذلك أنهم لما خرجوا ليلا لاهلاك صالح دمغتهم الملائكة بالحجارة من حيث لا يرونهم فقتلوهم وقوله (وقومهم أجمعين) أى باهلاك قوم ثمود بالصيحة (فتلك بيوتهم) أى مساكنهم (خاوية) أى ساقطة خالية (بما ظلموا) أى بكفرهم بالله وقوله (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) أى تعلمون أنها فاحشة فهو أعظم لذنوبكم وقوله (انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن أدبار الرجال يقولونه استهزاء وقوله (قدرناها من الغابرين) أى قضينا عليها أنها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم) أى على شذاذهم ومن كان منهم فى الأسفار (مطرا) وهو الحجارة (قل) يا محمد (الحمد لله) أى على اهلاك كفار الامم الخالية (وسلام على عباده الذين اصطفى) أى اصطفاهم بالرسالة (آلله

خير

خير أم مايشركون) وقرأ أبو عمرو وعاصم بالياء التحتية أى آلله الذى ذكرت شؤونه العظيمة خير أم مايشركون به تعالى من الأصنام والباقون بالتاء على الخطاب أى آلله خير أم آلهة تشركونها بالله تعالى ياأهل مكة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (أم من خلق السموات والأرض) أى بل من خلقهما (وأنزل لكم من السماء ماء) أى وأنزل لأجل منفعتكم من السماء نوعا من الماء هو المطر (فأنبتنا به حدائق) أى بساتين (ذات بهجة) أى حسن يفرح به الناظر (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أى ما كان لكم مقدرة أن تنبتوا شجر البساتين (أإله مع الله) أى أإله آخر كائن مع الله الذى ذكر بعض شؤونه وقرئ أإلها مع الله أى أتعبدون إلها آخر مع الله (بل هم قوم يعدلون) أى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق والانحراف عن الاستقامة فى كل أمر من الأمور وقيل قوم عادلون بالله غيره (أمن جعل الأرض قرارا) أى بل من جعل الأرض مسكنا فيستقر عليها الانسان والدواب (وجعل خلالها أنهارا) أى صير أوساطها أنهارا جارية ينتفعون بها (وجعل لها رواسى) أى جبالا ثوابت تمنعها أن تميد بأهلها (وجعل بين البحرين) أى العذب والمالح (حاجزا) أى برزخا معنويا مانعا للممازجة (أإله مع الله) فى ابداع هذه البدائع (بل أكثرهم لايعلمون) كمال قدرته تعالى وحكمته واستغنائه عن الشريك (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) أى بل من يجيب الذى أحوجه مرض أو فقر أو نازلة الى التضرع الى الله تعالى (ويكشف السوء) أى يدفع مايحزن الانسان مما يطرأ عليه (ويجعلكم خلفاء الأرض) أى متوارثين سكناها من قبلكم فتعمرون الدنيا وتزينونها بأنواع الصنائع والحرف (أإله مع الله) فى فعل ذلك (قليلا ماتذكرون) قرأ أبو عمرو وهشام بالتحتية على الغيبة والباقون بالخطاب وعلى كل من القراءتين فالذال مفتوحة مشددة لادغام التاء فيها ومامزيدة والقلة كناية عن العدم أى انكم ماتتعظون لا كثيرا ولاقليلا (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) أى بل من يهديكم الى مقاصدكم فى ظلمات الليالى فيهما أو مشتبهات الطرق فيهما (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) أى قدام المطر وقرأ حمزة والكسائى وابن كثير الريح بالافراد وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ونشرا بضم النون والشين وابن عامر بضم النون وسكون الشين وحمزة والكسائى بفتح النون وسكون الشين أى تجمع السحاب وقرأ عاصم بالموحدة المضمومة وبسكون الشين أى طيبة (أإله مع الله) أى ليس مع الله إله فعل ذلك (تعالى الله عما يشركون) أى تنزه الله عن وجود مايشركونه بالله تعالى بعنوان كونه إلها (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) أى بل من يبتدئ الخلق من النطفة ثم يعيده بعد الموت بالبعث وأم فى الجمل الخمس انتقال من التبكيت بماقبلها الى التبكيت بوجه آخر أدخل فى الالزام بجهة من الجهات (ومن يرزقكم من السماء والأرض) أى بأسباب سماوية وأرضية كالمطر والحر والبرد والنبات والمعادن والحيوان (أإله مع الله) أى أإله آخر موجود مع الله حتى يجعل شريكاله فى العبادة (قل هاتوا برهانكم) أى قل ياأشرف الخلق للمشركين هاتوا برهانكم عقليا أو نقليا يدل على أن معه الها (ان كنتم صادقين) فى دعواكم أن مع الله آلهة شتى (قل) ياأشرف الخلق للمشركين الذين سألوك عن وقت قيام الساعة (لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) فمن فى محل نصب مفعول والغيب بدل منها والله فاعل أى لايعلم الأشياء التى تحدث فى السموات والأرض الغائبة عنا إلا الله تعالى وان جعل من فاعلا ويعلم والغيب مفعوله كان اسم الجلالة مبتدأ خبره محذوف والاستثناء منقطع أى لايعلم الذى ثبت فى السموات والأرض وهم الملائكة والانس الغائب كوقت قيام الساعة ونزول العذاب لكن الله يعلمه قال بعضهم والغيب خمس مراتب أحدها غيب أهل الأرض فى الأرض وفى السماء وللانسان

خير أم مايشركون) به من الأصنام وقوله (حدائق ذات بهجة) أى بساتين ذات حسن (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أى ما قدرتم عليه (بل هم قوم يعدلون) أى يشركون (أمن جعل الأرض قرارا) أى لاتتحرك (وجعل خلالها) أى وسطها (أنهارا) جارية (وجعل لها رواسى) أى جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) أى البحر العذب والمالح (حاجزا) أى مانعا من قدرته حتى لا يختلطان (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) يعنى المجهود ذا الضرورة (ويكشف السوء) الضر (ويجعلكم خلفاء الأرض) أى سكانها باهلاك من قبلكم (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى من السماء المطر ومن الارض النبات وقوله

امكان تحصيل علمه وهو على نوعين الأول ماغاب فى الأرض الصور يةوسمائها فالغائب فى الأرض مثل غيبة شخص عنك أوغيبة أمر من الامور فلك امكان احضار الشخص والأطلاع على ذلك الأمر والغائب فى السماء مثل علم النجوم والهيئة فلك امكان تحصيله بالتعلم والثانى ماغاب فى أرض المعنى وهى أرض النفس فان فيها مخبآ ت من الأوصاف والاخلاق فلك امكان الوقوف عليها بطريق المجاهدة والرياضة والذكر والفكر وماغاب فى سماء المعنى وهى سماء القلب فان فيها مخبآ ت من العلوم والحكم والمعانى فلك امكان الوصول اليه بالسير عن مقامات النفس فى مقامات القلب وثانيها غيب أهل الارض فى الارض والسماء وليس للانسان امكان الوصول اليه الابارادة الله تعالى كماقال تعالى «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» وثالثها غيب أهل السماء فى السماء والأرض وليس لهم امكان الوصول اليه الابتعليم الله تعالى مثل الاسماء فان الله تعالى كرم آدم بكرامة لم يكرم بها الملائكة وذلك بتعليمه علم الاسماء كلهاورابعها سبيل غيب لاسبيل لأهل السموات والارض الى علمه الامن ارتضى له الله تعالى كماقال تعالى «فلا يظهر على غيبه أحدا الامن ارتضى من رسول» وبهذا يستدل على فضيلة الرسل على الملائكة لان الله تعالى اختصهم باظهاره تعالى اياهم على غيبه دون الملائكة ولهذا أسجدهم لآدم كماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم فتجلى فيه وخامسها غيب انفرد الله بعلمه وهو قيام الساعة فلايعلمه الاالله تعالى كماقال تعالى (ومايشعرون أيان يبعثون) أى متى ينشرون من القبور وقرئ بكسر الهمزة (بل ادارك علمهم فى الآخرة) وقرأ أبو عمرو وابن كثير بل أدرك بسكون اللام وفتح الهمزة وسكون الدال على وزن أكرم والباقون بكسر اللام ووصل الهمزة وتشديد الدال وبعدها ألف وأصله تدارك وبه قرأ أبى قال ابن عباس أى بل اجتمع علمهم على أن الآخرة لاتكون أى فلم يتفقدوها (بل هم فى شك منها) أى من نفس الآخرة كمن تحير فى أمر لايجد عليه دليلا (بل هم منها عمون) أى لايدركون دلائلها لاختلال بصائرهم والله تعالى وصف المشركين أولا بأنهم لايشعرون وقت البعث ثم وصفهم بأنهم لايعلمون أن القيامة كائنة ثم وصفهم بأنهم يخبطون فى شك ثم وصفهم بأن قلوبهم عمى فهم كالبهائم لايخطرون ببالهم حقا ولا باطلا ويستقرهمهم على البطون والفروج (وقال الذين كفروا) من أهل مكة (أئذا كناترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) أى أنخرج من القبور أحياء اذا صرنا وصار آباؤنا ترابا (لقدوعدنا هذا) أى الاخراج من القبور كما كنا أول مرة (نحن وآباؤنا من قبل) أى من قبل مجئ وعد محمد (ان هذا الا أساطير الأولين) أى ماهذا الذى تعدنا يامحمد الا أحاديث الأولين التى لاحقيقة لها (قل) ياأشرف الخلق لاهل مكة (سيروا فى الارض) أى سافروا فيها أيها الجاهلون (فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى كيف كان آخر أمر المنكرين للبعث المكذبين للرسل فيمادعوهم اليه من الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر وهوهلاكهم بالعذاب الدنيوى لان فى مشاهدة ذلك مافيه كفاية لمن اعتبر (ولا تحزن عليهم) ياأكرم الرسل فيمامضى لاصرارهم على الكفر (ولاتكن فى ضيق ممايمكرون) أى ولا تكن فى ضيق قلب من مكرهم فى المستقبل وقرأ ابن كثير بكسر الضاد (ويقولون متى هذا الوعد) أى العذاب الموعود (ان كنتم صادقين) فى اخباركم بمجئ العذاب (قل) لهم ياسيد الرسل (عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون) فعسى ولعل وسوف بمنزلة الجزم فى مواعيد الملوك أى لابد أن يكون بعض الذى تستعجلونه حاولة لحقكم وهوعذاب يوم بدر واللام مزيدة (وان ربك لذوفضل على الناس) أى انه متفضل عليهم بتأخير عقوبتهم على مايفعلونه من المعاصى (ولكن أكثرهم لايشكرون) بتأخير العذاب لانهم لايعرفون حق النعمة فيه (وان ربك ليعلم ماتكن

صدورهم)

(بل ادارك علمهم فى الآخرة) أى لحقهم علمهم بأن الساعة والبعث حق فى الآخرة حين لاينفعهم ذلك ومن قرأ ادارك فمعناه تدارك أى تكامل علمهم يعنى يوم القيامة لانهم يبعثون ويشاهدون ماوعدوا (بل هم فى شك منها) أى فى الدنيا (بل هم منها) أى من علمها (عمون) أى جاهلون وقوله (ولا تحزن عليهم) أى على تكذيبهم واعراضهم عنك (ولا تكن فى ضيق ممايمكرون) ولايضيق صدرك بمكرهم (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل بالمكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم) أى ردفكم والمعنى تبعكم ودنا منكم (بعض الذى تستعجلون) من العذاب وكان ذلك يوم بدر

صدورهم) أى ماتخفيه فليس تأخير العذاب لخفاء حالهم عليه تعالى وقرأ ابن محيصن وابن السميقع وحميد تكن بفتح التاء وضم الكاف (ومايعلنون) من الأفعال والأقوال (ومامن غائبة فى السماء والأرض الافى كتاب مبين) أى ومامن خافية فيهما الافى لوح محفوظ ظاهر لمن يطالعه من الملائكة (ان هذا القرآن) الذى تقرأ عليهم ياسيد الرسل (يقص على بنى اسرائيل) أى بين اليهود والنصارى (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كالتشبيه والتنزيه وشأن عزير والمسيح (وانه) أى القرآن (لهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) وذلك لأن بعض الناس لما تأمل القرآن فوجد فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والنبوة والحشر وبيان نعوت جلال الله تعالى ووجد مافيه من الشرائع مطابقة للعقول ووجده مبرأ عن التناقض ووجد القوى البشرية عاجزة عن جمع كتاب على هذا الوجه علم أنه ليس الا من عند الله تعالى فكان القرآن معجزا من هذه الجهة وكان هدى ورحمة من هذه الجهات (ان ربك يقضى بينهم) أى بين اليهود والنصارى أى بين المصيب والمخطىء منهم (بحكمه) أى بالحق لأنه تعالى لايحكم الا بالعدل أو بحكمته كما يدل عليه قراءة من قرأ بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة (وهو العزيز العليم) أى هو القادر الذى لايمنع فلا يرد حكمه العالم بالحكم فلا يكون الا الحق (فتوكل على الله) أى ثق بالله الذى هذه أوصافه فانها توجب على كل أحد أن يفوض جميع أموره اليه (انك على الحق المبين) أى الدين الظاهر فالمحق حقيق بنصرة الله تعالى ثم قطع الله تعالى طمع سيدنا محمد ﷺ عن بنى اسرائيل بتبيين أحوالهم أنهم لايلتفتون الى شىء من الدلائل فان قطع الطمع عنهم يقوى القلب على اظهار المخالفة وعلى اظهار الدين كما ينبغى فقال (انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أى انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كالميت الذى لاسبيل الى اسماعه وكالأصم الذى لايسمع برفع الصوت ولايفهم بالاشارة (وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم) أى ماأنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان وقرأ ابن كثير ولايسمع الصم بالتحتية وفتحها وبفتح الميم ورفع الصم وقرأ حمزة تهدى العمى بالمضارع المفيد للخطاب وبنصب العمى (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أى ماتسمع سماعا يجدى السامع الامن هو فى علم الله أنهم يصدقون بالقرآن لأنهم منقادون للحق (واذا وقع القول عليهم) أى واذا ثبت نزول العذاب على الكفار وذلك اذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وهو يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن (أخرجنا لهم دابة من الأرض) من جبل الصفا بمكة وهى فصيل ناقة صالح عليه السلام فانه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله تعالى فى آخر الزمان وعن على رضى الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الاثلثها وعن الحسن رضى الله عنه لايتم خروجها الابعد ثلاثة أيام وفى الحديث ان طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام لايدركها طالب ولايفوتها هارب (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون) قرأ الكوفيون بفتح أن بتقدير الباء كما يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود بأن بتصريح الباء أى تحدثهم بأن الناس كانوا لايوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجىء الساعة ومباديها وقرأ أى تنبئهم واضافة الآيات الى نون العظمة لأنها حكاية من الله تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقرأ الباقون بكسر ان على الاستئناف فعلى هذا فالوقف على تكلمهم تام وعليه أيضا يجوز أن يكون بمعنى تجرحهم مع افادة معنى التكثير ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وابن زرعة والجحدرى تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام والمراد بالجرح الوسم بالعصا والخاتم روى أن الدابة تخرج من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن بين عينيه بعصا موسى عليه السلام فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك

(ومامن غائبة) أى جملة غائبة عن الخلق (الافى كتاب مبين) وهو اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن) الآية وذلك أن بنى اسرائيل اختلفوا حتى لعن بعضهم بعضا فقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص (على بنى اسرائيل) معناه يقص عليهم الهدى مما اختلفوا فيه لو أخذوا به (ان ربك يقضى بينهم) أى بين المختلفين فى الدين (بحكمه) يوم القيامة (وهو العزيز) أى القوى فلا يرد له أمر (العليم) بأحوالهم (انك لاتسمع الموتى) يعنى الكفار (ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) يعنى الكفار الذين هم بمنزلة الصم لايسمعون النداء اذا أعرضوا (وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم) يريد أنه أعماهم حتى لايهتدوا فكيف يهدى النبى ﷺ عن ضلالتهم قوما عميا (ان تسمع) أى ماتسمع سماع افهام (الامن يؤمن بآياتنا) أى بأدلتنا (فهم مسلمون) أى فى علم الله (واذا وقع القول عليهم) أى وجب العذاب والسخط عليهم وذلك حين لايقبل الله من كافر ايمانه ولم يبق الامن يموت كافرا فى علم الله (أخرجنا لهم دابة من الارض) وخروجها من أول شروط القيامة (تكلمهم) أى تحدثهم بما يسوءهم (أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون) تخبر الدابة من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لايوقنون ومن كسران كان المعنى تقول لهم ان

النكتة فى وجهه حتى يضىء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يافلان من أهل الجنة وأنت يافلان من أهل النار (ويوم نحشر) للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق (من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أى واذكر لهم وقت جمعنا على وجه الاكراه من كل أمة من أمم الأنبياء جماعة كثيرة مكذبين بكتابنا فهم يوقف أولهم حتى يجتمعوا فى موقف التوبيخ والمناقشة (حتى اذا جاءوا) الى موقف السؤال والجواب (قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) أى قال الله تعالى موبخا لهم على التكذيب أكذبتم بآياتى الناطقة بلقاء يومكم هذا بادىء الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى العلم بحقيقتها وأنها حقيقة بالتصديق حتما (أم ماذا كنتم تعملون) أى بل أى شىء كنتم تعملون فى الكفر والمعنى لم يكن لكم عمل غير الكفر (ووقع القول عليهم) أى نزل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار (بما ظلموا) أى بسبب تكذيبهم بآيات الله (فهم لاينطقون) بحجة واعتذار (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) أى ألم يتفكر أهل مكة ولم يعلموا أنا جعلنا الليل مظلما ليستريحوا فيه بالقرار والنوم والنهار مضيئا ليطلبوا فيه معايشهم (ان فى ذلك) أى فى جعل الليل والنهار كما ذكر (لآيات) أى دلالات ظاهرة على التوحيد والبعث والنبوة (لقوم يؤمنون) أما وجه دلالته على التوحيد فلأن التقلب من النور الى الظلمة وعكسه لايحصل الا بقدرة قاهرة عالية وأما وجه دلالته على الحشر فلأنه لما ثبت قدرة القادر على هذا التقليب ثبت قدرته على التقليب من الحياة الى الموت مرة ومن الموت الى الحياة مرة أخرى وأما وجه دلالته على النبوة فلأن هذا التقليب لمنافع الخلق وأن فى بعثة الأنبياء الى الخلق منافع عظيمة فقد ثبت أن هذه الكلمة كافية فى اقامة الدلالة على تصحيح الأصول الثلاثة (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض) أى واذكر لهم وقت نفخ اسرافيل فى الصور النفخة الثانية فاذا سمع الخلق شدة صوت ذلك النفخ بحيث لاتتحمله طبائعهم يفزعون عنده ويموت كل من كان حيا ذلك الوقت لم يسبق له موت أو كان ميتا لكنه حى فى قبره كالأنبياء والشهداء (الا من شاء الله) أن لايفزع قيل هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول العرش فانهم أحياء عند ربهم لايصل الفزع اليهم وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش وقيل منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة وقال القشيرى والأنبياء داخلون فى الشهداء لأن لهم الشهادة مع النبوة (وكل أتوه داخرين) أى كل واحد من المبعوثين عند النفخة حضروا الموقف للسؤال والجواب والحساب ذليلين مطيعين وقرأ حفص وحمزة أتوه بصيغة الفعل الماضى وهو بقصر الهمزة وفتح التاء والباقون بصيغة اسم الفاعل فهو بمد الهمزة وضم التاء وقرىء أتاه باعتبار لفظ كل (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) أى وتبصر الجبال وقت النفخة تظنها ثابتة فى أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا سريعا فسير الجبال يوم القيامة لايرى لعظمها كما أن سير السحاب لايرى لعظمه (صنع الله الذى أتقن كل شىء) أى صنع الله الذى أحسن خلقه وأتى به على الحكمة ذلك النفخ فى الصور ومايتفرع منه من الأمور صنعا وصنع منصوب على أنه مصدر مؤكد لمضمون ماقبله أى فان نفخ الصور المؤدى الى الفزع العام وحضور الكل الموقف ومافعل بالجبال انما هو من صنع الله لايحتمل غيره (انه خبير بما تفعلون) أى انه تعالى عالم بما يعمله أهل السعادة والشقاوة من الخير والشر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالتحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب (من جاء بالحسنة فله خير منها) أى من جاء يوم القيامة بكلمة الشهادة فله من

الناس (ويوم نحشر) أى نجمع (من كل أمة فوجا) أى جماعة (ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا (حتى اذا جاءوا قال) الله تعالى لهم (أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) أى ولم تعرفوها حق معرفتها وهذا توبيخ لهم (أم ماذا كنتم تعملون) أى حين لم تتفكروا فيها (ووقع القول) أى وجبت الحجة (عليهم بما ظلموا) أى باشراكهم (فهم لاينطقون) بحجة وعذر ثم ذكر الدليل على قدرته وإلهيته فقال (ألم يروا أنا جعلنا الليل) الآية وقوله (الا من شاء الله) يعنى الشهداء (وكل أتوه) أى يأتون الله (داخرين) صاغرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) أى واقفة مستقرة (وهى تمر مر السحاب) وذلك أن كل شىء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته فهو فى حسبان الناظر واقف وهو يسير (صنع الله) أى صنيع الله وذلك صنعه (الذى أتقن) أى أحكم (كل شىء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة) وهى كلمة لااله الا الله (فله خير منها) أى فمنها يصل اليه الخير

الجزاء ماهو خير منها باعتبار أن الثواب دائم وأنه من فعل الله وأنه حاصل من جهة الله تعالى فان المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا جزاؤها المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) وقرأ الكوفيون فزع بالتنوين فحينئذ كان يومئذ ظرفا لآمنون أو المحذوف هو صفة لفزع أى والذين جاءوا بالحسنات آمنون من فزع كائن يوم اذ وقعت هذه الأحوال العظيمة وعلى هذا فالفزع على نوعين فزع من خوف العقاب وفزع شديد مفرط الشدة لخوف النار أما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك منه أحد وقرأ الباقون باضافة فزع وقرأ نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ وهو فتحة بناء لاضافة يوم للبنى والباقون بكسرها وهو كسرة اعراب وهذا يقتضى الأمن من جميع فزع ذلك اليوم (ومن جاء بالسيئة) أى بالشرك بالله (فكبت وجوههم فى النار) أى ألقوا فى النار على وجوههم وتقول لهم خزنة جهنم وقت كبهم على وجوههم فى النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) أى ما تجزون الآن الاجزاء أعمالكم من الشرك والمعاصى فى الدنيا ثم أمر الله تعالى نبيه أن يقول لأهل مكة تنبيها لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) وهى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما لا يسفك فيها دم انسان ولا يصاد صيدها ولا يقطع حشيشها الرطب قرأ الجمهور الذى صفة لرب وقرأ ابن عباس وابن مسعود التى صفة للبلدة (وله كل شئ) خلقا وتصرفا من غير أن يشاركه شئ فى شئ من ذلك (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى بأن أثبت على ملة الاسلام و بأن أكون من المنقادين لها وهذا اشارة الى أن المسلم الحقيقى من يستعمل الشريعة مثل استعمال النبى صلى الله عليه وسلم (وأن أتلو القرآن) أى أمرت أن أقرأ عليكم القرآن بطريق تكرير الدعوة وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أى فمن اهتدى باتباعه اياى فى العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أى ومن ضل بمخالفتى فيا ذكر فقل فى حقه انما أنا من المنذرين فلا على شئ من و بال ضلاله (وقل الحمد لله) على ما أعطانى من نعمة العلم والنبوة وعلى ما وفقنى من القيام بأداء الرسالة (سيريكم آياته) أى سيريكم الله تعالى فى الدنيا آياته الباهرة كخروج الدابة وسائر أشراط الساعة (فتعرفونها) أى فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة (وما ربك بغافل عما تعملون) وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب أى وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازى كلا منكم بعمله والباقون بالياء على الغيبة أى وما ربك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم المسببة للعذاب

﴿ سورة القصص وتسمى أيضا سورة موسى مكية وقيل الا قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فانها نزلت بالجحفة بين مكة والمدينة وهى ثمان وثمانون آية وألف وأربعمائة واحدى وأربعون كلة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) أى ان آيات هذه السورة آيات الكتاب الذى بين بفصاحته أنه من كلام الله و بين صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم و بين خبر الأولين والآخرين و بين كيفية التخلص عن شبهات أهل الضلال (نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) أى نقرأ عليك بواسطة جبريل بعض خبر موسى وفرعون ملتبسا بالحق لأجل قوم يصدقون بك و بالقرآن فانهم المنتفعون به (ان فرعون علا فى الارض) أى تجبر فى مملكته أرض مصر (وجعل أهلها) أى أهل

(ومن جاء بالسيئة) أى الشرك (فكبت) أى ألقيت وطرحت (وجوههم فى النار) وقيل لهم (هل تجزون الا ما كنتم) أى بما كنتم تعملون (قل) يا محمد (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) يعنى مكة (الذى حرمها) أى جعلها حرما آمنا (وله كل شئ) ملكا وخلقا وقوله (ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) أى ليس على الا البلاغ (وقل الحمد لله سيريكم) أيها المشركون (آياته) يعنى يوم بدر (فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)

﴿ تفسير سورة القصص ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) يعنى القرآن وهو مبين للأحكام (نتلوا) أى نقص (عليك من نبأ) أى خبر (موسى وفرعون بالحق) أى بالصدق الذى لا شك فيه لقوم (يؤمنون) أى يصدقون بأن ما يأتيهم به صدق (ان فرعون علا) أى استكبر وتعظم (فى الارض) يعنى أرض مصر (وجعل أهلها

بملكته (شيعا) أي أصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه السلام (يذبح أبناءهم) كثيرا صغارا وذلك لان الأنبياء الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيئه عليه السلام وفرعون كان قد سمع ذلك فلهذا كان يذبح أبناء بني اسرائيل عند الولادة وهذا الوجه أولى بالقبول قال وهب قتل القبط في طلب موسى عليه السلام تسعين ألفا من بني اسرائيل. قوله يستضعف حال من فاعل علا أو خبر ثان لان أو بدل اشتمال من علا وقوله يذبح بدل اشتمال من يستضعف (ويستحيي نساءهم) قيل أي يستخدمهن كبارا (انه كان من المفسدين) في كفره بدعائه الى غير عبادة الله وقتل خلق كثير من أولاد الأنبياء (ونريد) بارسال موسى (أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) أي أن نتفضل على من قهروا في أرض مصر وهم بنو اسرائيل بانجائهم من بأس فرعون وقوله تعالى ونريد الخ معطوف على قوله ان فرعون الخ لانهما وقعا تفسيرين لنبأ موسى وفرعون أو حال من طائفة بتقدير المبتدا أي ونحن نريد (ونجعلهم أئمة) أي قادة الى الخير متقدمين في أمور الدين بعد أن كانوا أتباعا مسخرين لآخرين (ونجعلهم الوارثين) لملك فرعون وأرضه وما في يده (ونمكن لهم في الارض) أي ننفذ أمرهم في أرض مصر والشام يتصرفون فيهما ما يشاءون (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أي ونري رؤية بصرية فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يخافونه من المستضعفين من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني اسرائيل وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء المفتوحة وبفتح الراء مع الامالة ورفع ما بعده (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) أي ألهمنا أم موسى يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب أي أرضعي هذا الصبي (فاذا خفت عليه) أي اشتد خوفك عليه من الذبح بأن يفطن به جيرانك ويسمعون صوته عند البكاء (فألقيه في اليم) أي بحر النيل (ولا تخافي) من هلاكه بالغرق ونحوه (ولا تحزني) بسبب فراقه (انا رادوه اليك) من قريب لتكوني أنت المرضعة له (وجاعلوه من المرسلين) الى أهل مصر والشام قال ابن عباس ان أم موسى لما تقارب ولادتها بأن أحست بالطلق أرسلت الى قابلة وكانت مصافية لأم موسى وقالت لها لينفعني اليوم حبك اياي فجلست القابلة تعالجها فلما نزل موسى الى الارض هالها نور بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها فقالت يا هذه ما جئتك الا لقتل مولودك ولكني وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظي ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحارس بالباب فلفته بخرقة ووضعته في تنور مسجور فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع فدخل فاذا التنور مسجور ورأى أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقال لم دخلت القابلة عليك قالت انها حبيبة لي دخلت للزيارة فخرج من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لأخت موسى أين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فأخذته ثم ان أم موسى عليه السلام لما رأت جد فرعون في طلب الولد خافت على ابنها فقذف الله في قلبها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت في النيل فذهبت الى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها ما تصنعين به فقالت لي ابن اخبؤه فيه فلما انصرفت ذهب النجار الى الذباحين ليخبرهم بذلك فلما جاءهم أمسك الله لسانه وجعل يشير بيده فضربوه وطردوه فلما عاد الى موضعه رد الله عليه نطقه فذهب مرة أخرى ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فجعل

شيعا) أي فرقا يتبع بعض تلك الفرق بعضا في خدمته (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) أي ننعم على بني اسرائيل (ونجعلهم أئمة) أي قادة في الخير (ونجعلهم الوارثين) أي يرثون ملك فرعون وقومه (ونمكن لهم في الارض) يريد أرض مصر والشام حتى يغلبوا عليها من غير منازع (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وذلك أنهم كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منهم (وأوحينا الى أم موسى) قيل انه وحي إلهام وقيل وحي اعلام

لله تعالى انه ان ردعليه بصره ولسانه لايدلهم عليه ففعل الله تعالى منه الصدق فرد الله عليه ذلك وانطلقت أم موسى وألقته فى النيل وكان لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة فى أمرها فقالوا أيها الملك لاتبرأ هذه الا من قبل البحر يوجد منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون فى جوار يها حتى جلست على شاطىء النيل اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هى بصبى صغير واذا نور بين عينيه فألقى الله محبته فى قلوب آسية وفرعون فأخرجوه من التابوت وعمدت بنت فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت فى الحال فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان هذا هو الذى تحذر منه رمى فى البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية من فرعون فوهبه لها فترك قتله وتبنته فقيل لآسية سميه فقالت سميته موشى بالشين المعجمة لانا وجدناه فى الماء والشجر فان معنى مو ماء ومعنى شا شجر فأصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة وذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) أى أخذت موسى جوارى فرعون من بين الماء والشجر يوم الاثنين وذهبن به الى امرأة فرعون (ليكون) أى موسى (لهم عدوا) من بعد ما يجىء اليهم بالرسالة (وحزنا) بذهاب ملكهم وقرأ حمزة والكسائى بضم الحاء وسكون الزاى والباقون بفتحهما (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) فيما كانوا عليه من الكفر والظلم فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقال الحسن معنى كانوا خاطئين أى كانوا لايشعرون ان موسى هو الذى يذهب بملكهم (وقالت امرأة فرعون) وهى آسية لفرعون حين أخرجته من التابوت وهم فرعون بقتله لقول الغواة (قرة عين لى ولك) أى هذا الغلام قرة عين لى ولك يافرعون قال ابن عباس لما قالت آسية ذلك قال فرعون يكون لك واما أنا فلا حاجة لى فيه قال ابن اسحاق ان الله تعالى ألقى محبته عليه السلام فى قلبها لانه كان فى وجهه ملاحة فكل من رآه أحبه ولأنها حين فتحت التابوت رأت النور ولانها لما فتحته رأته يمتص أصبعه ولان ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال (لاتقتلوه) خاطبته بلفظ الجمع تعظيما لأجل ان يعاونها فيما تريده (عسى أن ينفعنا) فنصيب منه خيرا ولو كان له أبوان معروفان (أو نتخذه ولدا) اذ لم يعرف له أبوان وكانت آسية لاتلد (وهم لايشعرون) وهذا ابتداء كلام من الله تعالى أى وهم لايشعرون ان هلاكهم على يدته و بسببه وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل وقال ابن عباس أى وهم لايشعرون الى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام وقال آخرون هذا من تمام كلام امرأة فرعون أى بنو اسرائيل وأهل مصر لايشعرون أنا التقطناه وانه ليس منا (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى وصار قلب يوحانذ صفرا من العقل لفرط الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون وقيل أى خاليا من الحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها ان فرعون تبناه (ان كادت لتبدى به) أى انها كادت لتظهر بأمر موسى من فرط الدهشة أو من شدة الفرح بتبنى امرأة فرعون وقال ابن عباس كادت تخبر بأن الذى وجدتموه ابنى بعد ان نسب الى فرعون وقال أيضا فى رواية عكرمة كادت تقول وا ابناه من شدة حزنها عليه حين رأت الموج يرفع و يضع وقال الكلبى ذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعد ما شب انه ابن فرعون (لولا أن ربطنا

(فالتقطه) أى أخذه عن الماء (ليكون لهم عدوا وحزنا) أى ليصير الأمر الى ذلك (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى عاصين آثمين (وقالت امرأة فرعون قرة عين) أى هو قرة عين (لى ولك لاتقتلوه) فانه أتانا به الماء من أرض أخرى وليس من بنى اسرائيل (وهم لايشعرون) أى بما هو كائن من أمرهم وأمره (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أى خاليا من كل شىء الا من ذكر موسى وهمه (ان كادت لتبدى به) أى بأنه ابنها (لولا أن ربطنا

على قلبها) أى لولا حفظنا قلبها بالهام الصبر لابدت قصة موسى (لتكون من المؤمنين) أى من المصدقين بوعد الله تعالى برده اليها بأن يكون من المرسلين أو من الواثقين بحفظ الله تعالى لا بتبنى امرأة فرعون وتعطفها (وقالت) أم موسى (لأخته) الشقيقة مريم وقال الضحاك اسمها كلثمة وقال السهيلى اسمها كلثوم (قصيه) أى فتشى خبره وانظرى الى أين وقع (فبصرت به عن جنب) أى فأبصرت مريم ذلك الغلام كائنة من مكان بعيد اختفاء عن الناس (وهم لايشعرون) بغرضها وبأنها أخت موسى (وحرمنا عليه المراضع من قبل) أى منعناه ان يرتضع من المرضعات التى أحضرها فرعون من قبل مجىء أمه قال الضحاك كانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر حتى عرف ريحها وروى ان موسى مكث ثمان ليال لايقبل ثديا وهو يصيح فقالوا الأخت موسى بعد نظرها له وقربها منه هل عندك مرضعة تدلينا عليها لعله يقبل ثديها (فقالت) أى أخت موسى لآل فرعون عند عدم قبوله ثدى أحد من المرضعات (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى يضمنون رضاعه و يقومون بجميع مصالحه لأجلكم (وهم له ناصحون) أى وهم لا يمنعونه ماينفعه فى تربيته واغذائه ولا يخونونكم فيه قال السدى لما قالت مريم ذلك أخذوها وقالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه وقالت انما أردت أنهم للملك ناصحون فتخلصت منهم بذلك وقيل قالوا لها من هم قالت أمى قالوا أولأمك ابن قالت نعم هرون قالوا صدقت فأتينا بها فانطلقت الى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبى ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأت جنباه ريا فقالوا أقيمى عندنا فقالت لاأقدر على فراق بيتى ان رضيتم ان أكفله فى بيتى والا فلا حاجة لى به وأظهرت عدم الرغبة فيه نفيا للتهمة فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها قال الضحاك لما قبل ثديها قال هامان انك لامه قالت لا قال فما حالك قبل ثديك من بين النسوة قالت أيها الملك انى امرأة طيبة الريح حلوة اللبن ماشم ريحى صبى الا أقبل على ثديى قالوا صدقت فلم يبق أحد من آل فرعون الا أهدى اليها وأتحفها بالذهب والجواهر (فرددناه) أى موسى (الى أمه كى تقر عينها) أى تطيب نفسها بوصول موسى اليها وتربيتها له فى بيتها (ولا تحزن) على موسى بفراقه (ولتعلم أن وعد الله) فى رده اليها وجعله من المرسلين (حق ولكن أكثرهم لايعلمون) أن المقصود الأصلى من رده اليها علمها بأن وعد الله حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه فهذا هو الغرض الدينى وما سواه من قرة العين وذهاب الحزن تبع فمكث موسى عند أمه الى ان فطمته وأمر فرعون باجراء أجرتها لكل يوم دينار فأتت به فرعون واستمر عنده يأكل من مأكوله و يشرب من مائه و يلبس من ملبوسه الى أن كمل (ولما بلغ أشده) أى كمال قوته الجسمانية (واستوى) أى تكامل عقله (آتيناه حكما وعلما) أى أعطيناه علم الحكماء والعلماء (وكذلك) أى ومثل ذلك الذى أعطينا موسى من الحكم والعلم (نجزى المحسنين) أى الصالحين بالعلم والحكمة (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) أى ودخل موسى مدينة منف فى وقت اشتغال أهلها عند نصف النهار ومنف بفتح الميم وسكون النون أصلها مافة ومعناها بلغة القبط ثلاثون لانها أول مدينة عمرت بعد الطوفان نزلها مصر بن حام فى ثلاثين رجلا فسميت مافة ثم عربت منف قيل ان موسى عليه السلام لما بلغ أشده وآتاه الله العلم فى دينه ودين آبائه علم أن فرعون وقومه على الباطل فتكلم بالحق وعاب دينهم واشتهر ذلك منه حتى آل الأمر الى أن خافوه وأخافهم وكان له من بنى اسرائيل شيعة يقتدون به و يسمعون منه و بلغ فى الخوف بحيث ما كان يدخل مدينة فرعون الا خائفا فدخلها يوما وقت كونهم قائلين (فوجد فيها) أى المدينة (رجلين يقتتلان) أى يلازمان مقدمات القتل من الضرب والخنق (هذا

على قلبها) أى قوينا قلبها وألهمناها الصبر (لتكون من المؤمنين) أى المصدقين بوعد الله (وقالت لأخته) لأخت موسى (قصيه) اتبعى أثره فاتبعته (فبصرت به عن جنب) أى أبصرته عن بعيد (وهم لايشعرون) أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أى منعنا موسى ان يقبل ثدى مرضع (من قبل) أن نرده على أمه (فقالت) أخته حين تعذر عليهم رضاعه (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى يضمونه اليهم (وهم له ناصحون) أى مخلصون بشفقته (فرددناه الى أمه) وذلك انها دلتهم على أم موسى فدفع اليها تربيه لهم وقوله (ولكن أكثرهم لايعلمون) يعنى آل فرعون كانوا لا يعلمون أن الله وعدها رده عليها (ولما بلغ أشده) أى منتهى قوته وهو مافوق الثلاثين (واستوى) أى وبلغ أربعين سنة (آتيناه حكما وعلما) أى عقلا وفهما وعلما قبل النبوة (ودخل المدينة) يعنى مدينة بأرض مصر (على حين غفلة من أهلها) أى فيما بين المغرب والعشاء (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أحدهما اسرائيلى وهو الذى

من

من شيعته والآخر قبطي وهو الذي (من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) أي استغاثه الاسرائيلي على الفرعوني (فوكزه موسى) أي ضربه بجمع كفه (فقضى عليه) يعني فقتله ولم يتعمد قتله فندم على ذلك لانه لم يؤمر

بقتلهم ف(قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) ثم استغفر (قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على) أي بالمغفرة (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) أي لن أعين بعدها على خطيئة (فأصبح في) تلك (المدينة خائفا) أي من قتله القبطي (يترقب) أي ينتظر الأخبار (فاذا) الاسرائيلي (الذي استنصره بالأمس يستصرخه) أي يستغيثه (قال له موسى انك لغوي مبين) أي ظاهر الغواية قد قتلت لك بالأمس رجلا وتدعوني الى آخر وأقبل اليهما فظن الذي يستغيثه انه يريده فقال (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس ان تريد الا أن تكون جبارا في الأرض) تقتل فلما فلما قال الاسرائيلي هذا علم القبطي أن قاتل القبطي بالامس فأتى فرعون وأخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى فأتاه رجل وأخبره بذلك وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) وهو مؤمن من آل فرعون

(قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك) أي يأمر بعضهم بعضا ويتسارون (ليقتلوك فاخرج) من هذه المدينة (اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب) أي ينتظر الطلب (قال رب نجني من القوم الظالمين) يعني قوم فرعون (ولما توجه) أي قصد بوجهه

من شيعته) أي ممن تابع موسى على دينه وهم بنو اسرائيل (وهذا من عدوه) أي ممن يخالف موسى في دينه وهم القبط فالقبطي الذي سخر الاسرائيلي كان طباخ فرعون استسخره لحمل الحطب الى مطبخه واسمه فليثون أو فاثون (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) أي طلب الاسرائيلي من موسى أن ينصره على القبطي وأن يخلصه منه (فوكزه موسى) أي دفعه بأطراف الأصابع وقيل بقبضها وقرأ ابن مسعود فلكزه موسى وقال بعضهم الوكز في الصدر واللكز في الظهر (فقضى عليه) أي أنهى موسى حياة القبطي وخفي هذا على الناس فلم يعرف به أحد لما هم فيه من الغفلة فندم موسى عليه السلام عليه فدفنه في الرمل (قال هذا من عمل الشيطان) أي هذا القتل من عمل الشيطان لأني لم أومر به أو هذا المقتول من جند الشيطان (انه عدو مضل مبين) أي ظاهر العداوة والاضلال (قال) مناجيا مع الله تعالى (رب اني ظلمت نفسي) بقتل القبطي من غير أمر فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به (فاغفر لي) أي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون (فغفر له) أي فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم) أي المبالغ في ستر ذنوب عباده وفي رحمتهم (قال) موسى (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) أي أقسم بانعامك علي بالقوة والمعرفة فلن أكون معينا لأحد من المشركين بل أكون معاونا للمسلمين أي اني وان أسأت في هذا القتل الذي لم أومر به فلا أترك نصرة المسلمين على المجرمين ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع قال الفراء وفي قراءة عبد الله فلا تجعلني ظهيرا للمجرمين (فأصبح في المدينة خائفا يترقب) أي فصار موسى في المدينة التي قتل فيها القبطي خائفا من أن يظهر انه هو القاتل فيطلب بذلك القتل يترقب أي ينتظر نصرة الله اياه (فاذا الذي استنصره بالأمس) أي فاذا الاسرائيلي الذي استعان بموسى على القبطي (يستصرخه) أي يطلب من موسى نصرته بصياح على قبطي آخر يريد أن يستخدم الاسرائيلي (قال له) أي القبطي (موسى انك لغوي مبين) في تسخير هذا الاسرائيلي (فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما) أي فلما أراد موسى أن يأخذ عدوه وعدو الاسرائيلي بسطوة لخلاصه من عدوهما لأن القبطي لم يكن على دينهما ولأن القبط أعداء بني اسرائيل (قال) أي القبطي وكان عرف القصة من الاسرائيلي أو كان توهم من زجر موسى للاسرائيلي انه هو الذي قتل الرجل بالأمس (ياموسى أتريد أن تقتلني) اليوم (كما قتلت نفسا) قبطيا (بالأمس ان تريد الا أن تكون جبارا في الأرض) أي ما تريد ياموسى الا أن تفعل ما تريده في أرض مصر من ضرب وقتل من غير نظر في العواقب (وما تريد أن تكون من المصلحين) أي المتورعين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وانتشر حديث هذه الواقعة في المدينة وانتهى الى فرعون وهموا بقتله (وجاء رجل) هو مؤمن آل فرعون اسمه سمعان وكان ابن عم فرعون (من أقصى المدينة) أي من آخرها (يسعى) أي يسرع في مشيه (قال ياموسى ان الملأ) أي أولياء المقتول (يأتمرون بك ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك فاتفقوا على أن يحتالوا فيك ليهلكوك (فاخرج) من هذه المدينة (اني لك من الناصحين) أي المشفقين (فخرج) موسى عليه السلام (منها) أي المدينة (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يترقب) أي ينتظر لحوق الطالبين ويكثر الالتفات وينظر هل يلحقه أحد يطلبه (قال) عند ذلك (رب نجني من القوم الظالمين) أي خلصني منهم واحفظني من لحوقهم وهذا يدل على ان قتله عليه السلام لذلك القبطي لم يكن ذنبا (ولما توجه

تلقاء مدين) أى لما قصد الذهاب الى مدين لأنها ليست تحت ملك فرعون ولأنه وقع فى نفسه ان بينه و بين أهل مدين قرابة لأنهم من ولد مدين بن ابراهيم عليه السلام وهو منهم. ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) وهى من اضافة الصفة للموصوف أى الطريق الوسط وكان لمدين ثلاث طرق فأخذ موسى الطريق الوسطى وأخذ الطلاب الأخريين . وقال ابن اسحق خرج موسى من مصر الى مدين بغير زاد ولا مركوب و بينهما مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الأرض وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه (ولما ورد ماء مدين) أى لما وصل الى بئر مدين (وجد عليه) أى فوق شفيرها (أمة) أى جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم وكانوا أربعين رجلا (و وجد من دونهم امرأتين تذودان) أى تحبسان غنمهما عن الماء من ضعفهما حتى يفرغ القوم وقال ابن اسحق اسم الكبرى صفوراء والصغرى ليا (قال) موسى لهما (ما خطبكما) أى ما شأنكما لا تسقيان غنمكما (قالتا لا نسقى) أى لا نقدر أن نسقى غنمنا (حتى يصدر الرعاء) قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح الياء وضم الدال أى حتى يرجعوا من سقيهم والباقون بضم الياء وكسر الدال أى حتى يصرفوا مواشيهم عن الماء (وأبونا شيخ كبير) لا يستطيع أن يسقى وليس له أحد يعينه غيرنا (فسقى لهما) أى فسقى موسى غنمهما لأجلهما قيل عمد موسى الى بئر على رأسه صخرة لا يرفعها الا عشرة رجال فنحاها بنفسه واستقى الماء من ذلك البئر (ثم تولى) أى انصرف موسى (الى الظل) أى ظل سمرة فجلس فيه ليستريح من حر الشمس وهو جائع لم يذق طعاما فى سبعة أيام (فقال رب انى لما أنزلت الي من خير فقير) أى رب انى بسبب ما أنزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا وذلك لأن موسى كان عند فرعون فى ثروة فقال ذلك رضا بهذا البدل وفرحا به. وشكرا له روى أنهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى وهى الكبرى عند الأكثرين (فجاءته احداهما) واسمها صفوراء (تمشى على استحياء) أى مائلة عن الرجال رافعة كمها على وجهها (قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) مواشينا روى أن موسى عليه السلام أجابها فانطلقا وهى أمامه فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليه السلام (فلما جاءه) أى جاء موسى شعيبا (وقص) موسى (عليه القصص) أى فراره من فرعون (قال) شعيب له (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) من أهل مصر فان فرعون لا سلطان له فى أرضنا. قال الضحاك لما دخل على شعيب قال له من أنت يا عبد الله فقال أنا موسى ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وذكر له جميع أمره من لدن ولادته وأمر القوابل والمراضع والقذف فى اليم وقتل القبطى وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين أى لأنا لسنا فى مملكة فرعون وروى أن موسى لما دخل على شعيب فاذا الطعام موضوع فقال شعيب تناول يا فتى فقال موسى عليه السلام أعوذ بالله قال شعيب ولم ذلك قال لانا من أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف عوضا فقال شعيب عادتى وعادة آبائى اطعام الضيف فجلس موسى فأكل وانما كره أكل الطعام خشية أن يكون ذلك أجرة له على عمله (قالت احداهما) وهى التى دعته الى أبيها وهى التى تزوجها موسى (يا أبت استأجره) أى

(تلقاء مدين) أى نحوها (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى قصد الطريق وذلك أنه لم يكن يعرف الطريق (ولما ورد ماء مدين) وهى بئر كانت لهم (وجد عليه أمة) أى جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم و وجد من دونهم امرأتين تذودان) أى تحبسان غنمهما عن الماء حتى يصدر الرعاء مواشى الناس (قال) موسى لهما (ما خطبكما) أى ما شأنكما لا تسقيان مع الناس (قالتا لا نسقى) مواشينا (حتى يصدر الرعاء) عن الماء لأنا لا نطيق أن نستقى وأن نزاحم الرجال فاذا صدروا سقينا من فضل مواشيهم (وأبونا شيخ كبير) لا يمكنه أن يرد وأن يستقى (فسقى لهما) أغنامهما من بئر أخرى رفع عنها حجرا كان لا يرفعه الا عشر أنفس (ثم تولى الى الظل) أى ظل شجرة (فقال رب انى لما أنزلت الى من خير) طعام (فقير) أى محتاج وكان قد جاع فسأل الله ما يأكل فلما رجعتا الى أبيهما أخبرتاه بما فعل موسى فقال لاحداهما اذهبى فادعيه فذلك قوله (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) أى مستترة بكم درعها (قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص) أى أخبره بأمره والسبب الذى أخرجه من أرضه (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يعنى فرعون وقومه فانه لا سلطان له بأرضنا (قالت احداهما يا أبت استأجره) اتخذه أجيرا ليرعى أغنامنا

اتخذه

اتخذه أجيرا لرعى أغنامنا (ان خير من استأجرت القوى الأمين) روى ان شعيبا أخذته الغيرة فقال وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت ماشاهدته منه عليه السلام من كيفية السقى ورفع الصخرة من فم البئر ومن غض بصره حال ذودهما الماشية وحال سقيه لهما وحال مشيه أمامها الى أبيها (قال) أى شعيب لموسى عند ذلك (انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين) أى الحاضرتين (على أن تأجرنى ثمانى حجج) أى مشروطا على أن تأجرنى نفسك فى رعى غنمى ثمانى سنين (فان أتممت عشرا) من السنين فى العمل (فمن عندك) أى فالتمام من عندك بطريق التفضل لامن عندى بطريق الالزام عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الأجلين ولا كلفك الاحتياط الشديد فى كيفية الرعى بل أساهلك فيها بقدر الامكان (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) فى حسن المعاملة وغيره وانما قال شعيب ان شاء الله للتبرك وتفويض أمره الى معونته تعالى لالتعليق صلاحه بمشيئته تعالى (قال) موسى (ذلك بينى و بينك) أى ذلك الشرط ثابت بيننا جميعا لايخرج عنه واحد منا (أيما الأجلين قضيت فلاعدوان على) أى أى أحد الوقتين وفيتكه بأداء الخدمة فيه فلا إثم على فكما لاأثم على فى قضاء الأكثر لاأثم على فى قضاء الأقصر فقط (والله على مانقول) من الشرط الجارى بيننا (وكيل) أى شاهد ولما تم العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وفى بعض الأخبار ان موسى لما انعقد العقد مع شعيب وأصبح من الغدو أراد الرعى قال له شعيب عليه السلام اذهب بهذه الأغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان بها تنينا عظيما فأخشى عليك وعلى الأغنام منه فذهب موسى بالأغنام فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى على ان يردها فلم يقدر فسار على اثرها فرأى عشبا كثيرا ثم ان موسى عليه السلام نام والأغنام ترعى واذا بالتنين قد جاء فقامت عصا موسى فقاتلته حتى قتلته وعادت الى جنب موسى وهى دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعلم أن لله تعالى فى تلك العصا آية وعاد الى شعيب وكان ضريرا فمس الأغنام فاذا هى أحسن حالا مما كانت فسأله عن ذلك فأخبره موسى بالقصة ففرح بذلك وعلم أن لموسى وعصاه شأنا فأراد أن يجازى موسى على حسن رعيه اكراما لموصلة لابنته فقال انى وهبت لك من السخال التى تضعها أغنامى فى هذه السنة كل أبلق و بلقاء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء التى تسقى الغنم منه ففعل ثم سقى الأغنام منه فما أخطأت واحدة منها الا وضعت حملها مابين أبلق و بلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وامرأته فوفى له بشرطه (فلما قضى موسى الأجل) أى أتمه (وسار) نحو مصر لصلة رحمه و زيارة أمه وأخيه (بأهله) أى بزوجته وابنه منها والخادم باذن من شعيب عليه السلام (آنس من جانب الطور نارا) أى رأى من جهة جبل الطور عن يسار الطريق نارا ولما عزم على السير قال لزوجته اطلبى من أبيك أن يعطينا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك (قال لأهله امكثوا) أى انزلوا ههنا (انى آنست نارا) وقرأ حمزة لأهله فى الوصل بضم الهاء وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء (لعلى آتيكم منها بخبر) أى من عند النار بخبر الطريق وقد كان موسى تحير فى الطريق (أوجذوة) أى عود غليظ (من النار) وقرأ عاصم بفتح الجيم وحمزة بضمها والباقون بالكسر (لعلكم تصطلون) أى لكى تدفأوا بها روى أنه أظلم عليه الليل فى الصحراء وهبت ريح شديدة فرقت ماشيته وأصابهم مطر فوجدوا بردا شديدا فعند ذلك أبصر نارا بعيدة فسار اليها يطلب من يدله على الطريق (فلما أتاها) أى النار التى أبصرها (نودى من

(ان خير من استأجرت القوى الأمين) وانما قالت ذلك لأنها عرفت قوته برفع الحجر من رأس البئر وأمانته لأن موسى قال لها لمدعته الى أبيها امشى خلفى فأنا بنو يعقوب لانتظر الى أعجاز النساء (قال) عند ذلك الشيخ لموسى (انى أريد أن أنكحك) أزوجك (احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى) أى تكون أجيرا لى (ثمانى حجج) أى سنين (فان أتممت عشرا فمن عندك) وليس بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) بأن أشرط العشر (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) أى من الوافين بالعهد (قال) موسى (ذلك) الذى وصفت (بينى و بينك) أى لك ماشرطت على ولى ما شرطت لى من تزويج احداهما (أيما الأجلين قضيت فلاعدوان على) أى لاظلم على بأن أطالب بأكثر منه (والله على مانقول وكيل) أى والله شاهد بيننا على ماعقدنا (فلما قضى) مفسر فيما مضى الى قوله (أو جذوة) يعنى قطعة وشعلة (من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودى من

شاطئ الوادى الأيمن) أى أتاه النداء من الشاطئ الأيمن بالنسبة الى موسى (فى البقعة المباركة) فانه حصل لموسى عليه السلام فى تلك البقعة ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى إياه والجار والمجرور متعلق بنودى (من الشجرة) أى من جهة الشجرة وهى شجرة عناب أو شوك وهذا بدل اشتمال من شاطئ (أن ياموسى) فان مفسرة (انى أنا الله رب العالمين) والعامة على كسر همزة انى على تضمين النداء معنى القول وقرئ بالفتح فهى معمولة لفعل مضمر تقديره أى ياموسى اعلم أنى أنا الله (وأن ألق عصاك) من يدك وهذا معطوف على أن ياموسى مفسر أيضا لنودى فألقاها فصارت ثعبانا فتحرك ترافعة رأسها (فلما رآها تهتز كأنها جان) أى شبيهة بالحية الصغيرة فى سرعة حركتها مع غاية عظم جثتها ولم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعت حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر فى جوفها (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت اليها قال الله (ياموسى أقبل) اليها (ولا تخف) منها (انك من الآمنين) من شرها فأخذها موسى فاذا هى عصا كما كانت قال الله له (اسلك يدك فى جيبك) أى أدخل كفك اليمين فى طوق قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) لها ضوء كضوء الشمس (من غير سوء) أى عيب (واضمم اليك جناحك من الرهب) أى أدخل الكف اليمين التى حصل فيها البياض فى جيبك فتعود الى حالتها فيزول عنك الفزع الذى حصل لك وقيل من أجل الخوف اذا أرهبت بها الناس وقال ابن عباس ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يضم يده الى صدره ليذهب عنه الخوف عند معاينة الحية فمعنى من أجل الرهب أى اذا أصابك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقال مجاهد وكل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع (فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه) أى فالعصا واليد حجتان نيرتان كائنتان من الله تعالى واصلتان الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن عبودية الله فكانوا أحقاء بأن نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين (قال رب انى قتلت منهم نفسا) هو القبطى (فأخاف أن يقتلون) بمقابلتها فيفوت المقصود بقتلى (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا) أى أبين منى كلاما (فأرسله معى ردا) أى معينا وقرأ نافع ردا بتنوين الدال وحذف الهمزة (يصدقنى) أى أرسل معى أخى حتى يعاضدنى على اظهار الحجة فربما حصل المقصود من تصديق فرعون والمراد بتصديق هرون تلخيصه بلسان فصيح وجوه الدلائل وجوابه عن الشبهات ومجادلته الكفار وقرأ عاصم وحمزة بالرفع صفة لردا وروى عن أبى عمرو أيضا والباقون بالجزم وهو المشهور عن أبى عمرو (انى أخاف أن يكذبون) بالرسالة لأن لسانى لا يطاوعنى عند الحاجة بسبب العقدة التى حصلت بسبب الجمرة (قال) الله تعالى (سنشد عضدك بأخيك) أى سنقوى ظهرك بهرون ونعين أمرك به (ونجعل لكما سلطانا) أى غلبة بالحجة فى الحال وغلبة فى المملكة فى ثانى الحال (فلا يصلون اليكما بآياتنا) فالآية التى هى قلب العصا حية تمنع من وصول ضرر فرعون الى موسى وهرون عليهما السلام لأنهم اذا علموا انه متى ألقاها صارت حية عظيمة وان أراد ارسالها اليهم أهلكتهم زجرهم ذلك عن الاقدام عليهما بسوء فصارت مانعة من وصولهم اليهما بالقتل وغيره (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) على فرعون وقومه بالبرهان والدولة وقوله بآياتنا متعلق بلا يصلون أو بالغالبون (فلما جاءهم موسى بآياتنا) وهى العصا واليد ففى كل منهما آيات عديدة (بينات) أى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى من الله تعالى (قالوا ما هذا) أى الذى جئتنا به (الا سحر مفترى) أى موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر أو سحر كذب هو من تلقاء نفسك لا ان الذى أظهرته معجزة صادرة من الله تعالى وانما أنت تفترى على الله تعالى (وما سمعنا بهذا) أى الذى تدعونا اليه من التوحيد والذى تدعيه من الرسالة عن الله تعالى

شاطئ الوادى الأيمن) أى من جانب الوادى الأيمن عن يمين موسى (فى البقعة) أى فى القطعة الأرض (المباركة) أى بتكليم الله فيها موسى واتيانه النبوة (من الشجرة) أى من جانب الشجرة (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) والباقى مفسر فيما سبق الى قوله (واضمم اليك جناحك) أى يدك (من الرهب) أى من الخوف والمعنى سكن روعك واخفض عليك جانبيك وذلك أنه كان يرتعد خوفا (فذانك) أى اليد والعصا (برهانان من ربك) الآية وقوله (ردا) أى معينا (قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا) أى حجة بينة (بآياتنا) أى بالعصا واليد وسائر ما أعطيا (فلا يصلون اليكما) بسوء

واقعا (فى آبائنا الأولين) وقد كذبوا فانهم سمعوا بذلك على أيام يوسف عليه السلام (وقال) لهم (موسى) وقرأ ابن كثير بغير واو (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) أى ربى عالم بمن جاء بالرسالة من عنده و بمن تكون له العاقبة المحمودة فى الدنيا وهى أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت فالدنيا خلقت مزرعة للآخرة ومجازا اليها والمقصود بالذات هو الثواب للطيعين العابدين فيكون الثواب هو العاقبة الأصلية ولا اعتداد بعاقبة السوء لانها من نتائج أعمال الفجار ويكون العقاب انما قصد بالتبعية (انه لا يفلح الظالمون) أى يظفر المشركون بالنجاة والمنافع كما قال القائل من بحر الطويل

فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر * و بينى و بين العالمين خراب

(وقال فرعون) بعدما جمع السحرة لمعارضة موسى فكان من أمرهم ما كان (يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين) أى بعد اتخاذه لبنا ولم يقل فرعون اطبخ لى الآجر لانه أول من عمل الآجر فهو يعلم صنعته لهامان (فاجعل لى) منه (صرحا) أى قصرا عاليا (لعلى أطلع الى إله موسى) أى أنظر اليه (وانى لأظنه) أى موسى عليه السلام (من الكاذبين) فى ادعاء وجود إله غيرى فليس فى السماء من إله. واعلم أن عادة فرعون متى ظهرت حجة موسى يدفعها بشبهة يروجها على أغمار قومه وهى قوله لا دليل على وجود إله غيرى فلا أثبته بل أظن موسى كاذبا فى دعواه وذلك نفى إله غير نفسه وقوله لا تكليف على الناس الا أن يطيعوا ملكهم و ينقادوا لأمره فهذا هو ادعاؤه الالهية لا ادعاؤه كونه خالق السماء والارض ومن مكر فرعون ودهائه انه لما دل سيدنا موسى عليه السلام فرعون بقوله رب السموات والارض أوهم فرعون أغمار قومه ان موسى قال ان إلهه فى السماء وأمر فرعون وزيره ببناء الصرح قيل لما أمر فرعون ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وسبك المسامير فبنوا الصرح ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه راكبا على البراذين فأمر بنشابة فضرب بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منه ألف ألف رجل وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا وقد هلك (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أى أرض مصر (بغير الحق) أى ملتبسين بغير استحقاق (وظنوا) أى فرعون وجموعه القبط (أنهم الينا) أى الى حكمنا (لا يرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء وكسر الجيم فهو من الرجوع وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الجيم فهو من الرجع (فأخذناه وجنوده) عقب ما بلغوا أقصى الغايات فى العتو وفى هذا استحقار لهم واستقلال لعددهم وان كانوا كثيرا كثيرا وتعظيم لشأن الأخذ فشبههم الله تعالى بحصيات أخذهن آخذ فى كفه فطرحهن فى البحر وذلك قوله تعالى (فنبذناهم فى اليم) أى فألقيناهم فى البحر قيل هو بحر يسمى اسافا من وراء مصر حكاه ابن عساكر (فانظر) يا أشرف الخلق (كيف كان عاقبة الظالمين) أى كيف صار آخر أمر المشركين و بينه لقومك ليعتبروا به (وجعلناهم أئمة) أى رؤساء (يدعون الى النار) أى الى ما يؤدى الى النار من الكفر والمعاصى وقرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير أيمة بابدال الهمزة الثانية ياء (و يوم القيامة لا ينصرون) فلا يمكن التخلص من العقاب الذى سينزل بهم لانهم بلغوا أقصى النهايات فى باب المعاصى حتى صاروا

(وقال موسى) لما كذب ونسب الى السحر (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يعنى نفسه أى ربى أعلم بى ان الذى جئت به من عنده (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العقبى المحمودة فى الدار الآخرة وقوله (فأوقد لى ياهامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر (فاجعل لى صرحا) أن بناء مشرفا طويلا (لعلى أطلع الى إله موسى) أى أنظر اليه وأقف عليه (وجعلناهم أئمة) أى قادة ورؤساء (يدعون الى النار) أى الى الضلالة التى عاقبتها النار

قدوة للضلال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى ابعادا من الرحمة ولا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون خلفا عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين عن الرحمة ومن الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (بصائر للناس) أى حال كون الكتاب أنوارا لقلوب الناس فانه يستبصر به فى باب الدين (وهدى) الى كل خير فان الكتاب يستدل به والمتمسك به يفوز بمطلوبه من الثواب (ورحمة) لان الكتاب من نعم الله تعالى على من تعبد به فكل من عمل به ينال رحمة الله تعالى (لعلهم يتذكرون) أى ليكونوا على حال يرجى منه التذكر وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أهلك الله تعالى قرنا من القرون بعذاب من السماء ولا من الارض منذ أنزل التوراة غير أهل القرية التى مسخها قردة (وما كنت) يا أفضل الخلق (بجانب الغربى) أى فى المكان الواقع فى شق الغرب من جبل الطور وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى عليه السلام الذى رأى فيه النار (اذ قضينا الى موسى الأمر) أى حين أوحينا الى موسى أمر الرسالة حيث أمرناه بالاتيان الى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) لموسى وما جرى عليه (ولكنا أنشأنا قرونا) أى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى أمما كثيرة (فتطاول عليهم العمر) فتغيرت الأحكام وخفيت عليهم الأخبار لاسيما على آخرهم فاقتضى الحال اظهار الأحكام الجديدة فأوحينا اليك فاخبارك عن هذه الأشياء من غير حضورها دلالة ظاهرة على نبوتك (وما كنت ثاويا فى أهل مدين) أى وما كنت ياسيد الرسل مقيما فى أهل مدين من شعيب والمؤمنين به (تتلوا عليهم آياتنا) أى تقرأ على أهل مدين آياتنا الناطقة بالقصة على طريق التعلم منهم ويقال وما كنت مقيما فى أهل مدين وقت تلاوتك القرآن على قومك أهل مكة تخبرهم قصة أهل مدين مع موسى ومع شعيب حتى تنقلها بطريق المشافهة وانما أتتك بطريق الوحى الالهى فاخبارك لأهل مكة انما هو عن وحى لا عن مشاهدة للمخبر عنه وذلك قوله تعالى (ولكنا كنا مرسلين) اياك وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) أى وما كنت ياسيد الخلق بجانب جبل زبير حين نادينا موسى ليلة المناجاة والتكليم لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة ويقال اذ نادينا أمتك قال وهب لما ذكر الله لموسى فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال رب أرنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت أسمعتك أصواتهم قال بلى يارب فقال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم فأسمعه الله تعالى أصواتهم ثم قال أجبتكم قبل أن تدعونى (ولكن رحمة من ربك) أى ولكن أرسلناك بالقرآن لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقرأ عيسى ابن عمر بالرفع أى لكن هى رحمة (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) أى لكى تخوف بالقرآن من العقاب على المعصية قوما لم يأتهم رسول مخوف قبلك لوجودهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين اسماعيل بناء على القول بأن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل (لعلهم يتذكرون) أى يتعظون بانذارك (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) أى ولولا أنهم قائلون بلسان الحال اذا عوقبوا يوم القيامة بسبب اكتسابهم فى كفرهم أنواع المعاصى لم لم ترسل الينا رسولا مع الكتاب قبل هذا العذاب فيتسبب عن ارسال رسولك ان نتبع كتابك ونصدق بكل ما أتى به رسولك ما أرسلناك اليهم وانما أرسلنا الرسول قطعا لمعاذيرهم بالكلية أى لكى لا يكون لهم حجة علينا (فلما جاءهم الحق من عندنا) أى فلما جاء الرسول بالكتاب المعجز أهل مكة (قالوا)

(وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) وذلك انهم لما أهلكوا لعنوا فهم يعرضون على النار غدوة وعشيا الى يوم القيامة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من الممقوتين المهلكين (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس) أى بينا لهم (وما كنت بجانب الغربى) أى الجبل الغربى الذى هو فى جانب الغرب (اذ قضينا الى موسى الأمر) أى أحكمناه معه وعهدنا اليه بأمرنا ونهينا (وما كنت من الشاهدين) أى الحاضرين هناك (ولكنا أنشأنا) أى أحدثنا وخلقنا (قرونا) أى أمما (فتطاول عليهم العمر) فنسوا عهد الله وتركوا أمره (وما كنت ثاويا) أى مقيما (فى أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين) أى أرسلناك رسولا وأنزلنا عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى (ولكن) أوحينا اليك هذا القصص (رحمة من ربك) (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) أى عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) وجواب لولا محذوف تقديره لعاجلناهم بالعقوبة (فلما جاءهم الحق) محمد بالحق (من عندنا قالوا

أى كفار مكة تعنتا (لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) أى هلا أعطى محمد مثل ما أعطى موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وغير ذلك قال تعالى ردا عليهم (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) أى ألم يكفر كفار مكة من قبل هذا القول بما أعطى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا القرآن فان كفار قريش كانوا منكرين لجميع النبوات فلما طلبوا من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معجزات سيدنا موسى عليه السلام رد الله تعالى عليهم بذلك القول لأنه لا غرض لهم من هذا الاقتراح الا التعنت (قالوا) أى كفار مكة (سحران تظاهرا) وقرأ الكوفيون بكسر السين وسكون الحاء والمعنى أن ما أوتى محمد وما أتى موسى سحران تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وقرأ الباقون ساحران بصيغة اسم الفاعل أى محمد وموسى ساحران أعان كل منهما صاحبه على سحره روى أن مشركى مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة ليسألهم عن شأن محمد صلى الله عليه وسلم فسألوهم عنه فقالوا انا نجده فى التوراة بصفته فلما رجع الرهط اليهم وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ان موسى كان ساحرا كما أن محمدا ساحر فقال تعالى فى حقهم أولم يكفروا بما أوتى موسى (وقالوا) أى كفار مكة (انا بكل) من التوراة والقرآن أو من محمد وموسى (كافرون) أى غير مصدقين (قل) لهم تعجيزا لهم وتوبيخا (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أى اذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين وقلتم فيهما ما قلتم فأتوا بكتاب من عند الله هو أوضح فى هداية الخلق منهما (أتبعه) أى فان أتيتم به أتبعه (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم ان التوراة والقرآن سحران مختلقان (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) أى فان لم يمكنهم أن يأتوا بكتاب أفضل منهما فاعلم أنهم ليس لهم مستند وانما لهم محض هواهم الفاسد (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أى لا أضل منه لانه أضل من كل ضال (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) لانفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق (ولقد وصلنا لهم القول) أى أنزلنا القرآن منجما يتصل بعضه ببعض ليكون ذلك أقرب الى تنبيه كفار مكة فانهم كل يوم يطلعون على فائدة فيكونون عند ذلك أقرب الى التذكر أو جعلنا القرآن أنواعا من المعانى من قصص وعبر ونصائح (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون بما فى القرآن (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى من قبل مجئ القرآن (هم به يؤمنون) وهم مؤمنو أهل الكتاب (واذا يتلى) أى القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه) أى القرآن (الحق من ربنا انا كنا من قبله) أى من قبل قراءة القرآن علينا (مسلمين) أى مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) بايمانهم بمحمد قبل بعثته و بعد بعثته (بما صبروا) على طعن الكفار وأذاهم متى بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم ودخلوا فى دينه قال مقاتل هؤلاء لما آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شتمهم المشركون فصفحوا عنهم فلهم أجران أجر على الصفح وأجر على الايمان وقال السدى ان اليهود عابوا عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم (ويدرءون بالحسنة السيئة) أى و يدفعون بالطاعة المعصية و بالعفو الاذى و بالامتناع من المعاصى(١) فان نفس الامتناع حسنة (ومما رزقناهم ينفقون) وقال سعيد بن جبير وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالمسلمين من

لولا أوتى) محمد (مثل ما أوتى موسى) أى كتابا جملة واحدة (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) أى فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد (قالوا سحران تظاهرا) أى تعاونا وذلك حين سئل اليهود عنه فأخبروهم أنهم يجدونه فى كتابهم بنعته وصفته فقالوا ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمد تعاونا على السحر (وقالوا انا بكل) أى من موسى ومحمد وما أنزل عليهما (كافرون قل) لهم (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أى من كتابيهما (أتبعه ان كنتم صادقين) أى انهما كانا ساحرين (فان لم يستجيبوا لك) أى يجيبوك الى الاتيان بالكتاب (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) أى يؤثرون أهواءهم على الدين (ولقد وصلنا لهم القول) أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضا (لعلهم يتذكرون) يتعظون و يعتبرون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى من قبل محمد (هم به يؤمنون) يعنى مؤمنى أهل الكتاب (واذا يتلى عليهم) يعنى القرآن (قالوا آمنا) أى صدقنا (به انه الحق من ربنا) وذلك أنهم عرفوا بما ذكر فى كتبهم من نعت النبى صلى الله عليه وسلم وكتابه (انا كنا من قبله) أى من قبل القرآن ومن قبل محمد صلى الله عليه وسلم (مسلمين) لانا كنا نؤمن به و بكتابه (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) مرة بايمانهم بكتابهم ومرة بايمانهم بالقرآن (بما صبروا) أى بصبرهم على ما أوذوا (و يدرءون بالحسنة السيئة) أى يدفعون بما يعملون من الحسنات ما تقدم لهم من السيئات (ومما رزقناهم ينفقون) أى يتصدقون

(١) هكذا بالأصل ولعله و بالامتناع من المعاصى السيئة اهـ

الخصاصة قالوا له يا نبي الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الثلاث (واذا سمعوا اللغو) أى مالا ينفع فى دين ودنيا (أعرضوا عنه) أى اللغو (وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) وهو سلام اعراض وفراق لا سلام تحية فلا نقابلكم بمثل مافعلتم بنا (لانبتغى الجاهلين) أى لانطلب صحبتهم ولا نجازيهم بالباطل على باطلهم فان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب ويقولون تبالكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (انك) ياأشرف الخلق (لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) قال الزجاج أجمع المسلمون على أن هذه الآية نزلت فى أبى طالب وذلك ان أباطالب قال عند قرب موته يامعشر بنى عبدمناف أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصح لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد ياابن أخى قال أريد منك كلمة واحدة فانك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله تعالى قال ياابن أخى قد علمت أنك صادق ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصحك ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف ثم مات اه وهذه الآية لادلالة فى ظاهرها على كفر أبى طالب لأن الله هو الذى هداه بعد أن أيس منه النبى صلى الله عليه وسلم أما الاحاديث الدالة على عذابه ودخوله النار فهو اما الترك النطق بالشهادتين أولغيره وذلك ان لم يعتد بما نطق به من الشهادة فالعذاب يكون لترك النطق بالشهادة وان اعتد به فالعذاب يكون فى مقابلة ترك فرض آخر ومما يدل على انه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد وصى قريشا عند موته باتباع رسول الله وقال والله لقد دانت له العرب والعجم فلا يسبقنكم اليه سائر العرب فيكونوا أسعد به منكم فعلى هذا قد حصل منه التصديق بقلبه وعن عبدالله بن ثعلب العذرى ان أباطالب لما حضرته الوفاة دعا بنى عبدالمطلب فقال لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا وأنه قال ألم تعلموا انا وجدنا محمدا رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب وأنه قال عند قرب موته مخاطبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ودعوتنى وعلمت أنك صادق * ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار منية * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

واعلم أنه لو ترك شخص النطق بالشهادتين بعد المطالبة لا لاباء عن الاسلام ولا لعناد له بل لخوف من ظالم أو من ملامة أو مسبة عند من يعظم ذلك وقلبه مطمئن بالايمان فلا يكون كافرا بينه وبين الله بل لو تكلم بالكفر والحالة هذه لايضره وقال الحليمى لاخلاف فى ان الايمان ينعقد بغير كلمة لا إله إلا الله حتى لو قال لا إله غيرالله أو لا إله ماعدا الله أو ماسوى الله أو مامن إله إلا الله أو لا إله إلا الرحمن أو لارحمن إلا الله أو إلا البارى فهو كقوله لا إله إلا الله اه وكذا لو قال محمد نبى الله أو مبعوثه أو نحو ذلك أو مايؤدى الى ذلك باللغات العجمية صح اسلامه وحكم بكونه مسلما وفى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائى وان عبدالمطلب يعطى نور الأنبياء وجمال الملوك وعن جعفر بن محمد الصادق قال يحشر عبدالمطلب له نور الأنبياء وجمال الملوك ويحشر أبو طالب فى زمرته أى انما يعطى عبد المطلب نور الأنبياء لانه كان على التوحيد ولانه مستقل لاتابع وهو من أهل الفترة وانما يعطى جمال

(واذا سمعوا اللغو) أى القبيح من القول (أعرضوا عنه) أى لم يلتفتوا اليه يعنى اذا شتمهم الكفار لم يشتغلوا بمعارضتهم بالشتم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) ليس هذا تسليم التحية وانما هو تسليم المتاركة أى بيننا وبينكم المتاركة والتسليم وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال (لانبتغى الجاهلين) أى لانصحبهم (انك لاتهدى من أحببت) نزل حين حرص النبى صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه عند موته فلم يؤمن فأنزل الله هذه الآية والمعنى لاتهدى من أحببت هدايته (ولكن الله يهدى من يشاء) هدايته (وهو أعلم بالمهتدين) أى بمن اهتدى فى معلومه

الملوك لأنه كان سيد قريش فى زمانه فهو فى ذلك ملحق بالملوك الذين عدلوا وما ظلموا ومما يدل على أن أباطالب مؤمن ما روى عن اسحاق بن عبد الله بن الحرث قال قال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أترجو لأبى طالب خيرا قال كل الخير أرجو من ربى ورجاؤه صلى الله عليه وسلم محقق ولا يرجو كل الخير الا لمؤمن وما روى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وأمى وعمى أبى طالب وأخ كان لى فى الجاهلية أورده المحب الطبرى أى وهو الأخ من الرضاعة وفى الحديث انى ادخرت شفاعتى جعلتها لمن مات من أمتى لايشرك بالله شيئا اه وما أخبر صلى الله عليه وسلم أن أباطالب أخرج من طمطام النار وغمراتها الى ضحضاح منها وخفف عنه من ثقلها وجعل أخف أهل النار عذابا ألبس نعلين من النار فما مست النار الا تحت قدميه ولو كان كافرا لكان عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعا ولو وجد مؤمن عاص أخف عذابا من أبى طالب لزم الخلف فى قوله صلى الله عليه وسلم حيث جعله أخف أهل النار على الاطلاق فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين فى مقابلة كبيرة كذا فى رسالة السيد رسول البرزنجى (وقالوا) أى أهل مكة (ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أى ان نوحد الله معك يا محمد نطرد من مكة روى أن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا أى ان يجتمعوا على محاربتنا ويخرجونا من مكة فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) أى ألم نجعل مكانهم حرما ذا أمن (يجبى اليه ثمرات كل شىء) أى يحمل اليه من كل ناحية ألوان كل شىء من الثمرات وقرأ نافع بالتاء الفوقية (رزقا من لدنا) فاذا كان حالهم ما ذكر مع كونهم عبدة أصنام فكيف يخافون أن نسلط عليهم الكفار ان ضموا الى حرمة البيت حرمة الايمان فرزقا اما مصدر مؤكد ليجبى أو مفعول له أو حال من ثمرات بمعنى مرزوق (ولكن أكثرهم لايعلمون) أنا جعلنا الحرم آمنا وأنا سقنا اليه الرزق من كل جهة (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحالكم فى ادرار الرزق حتى طغوا بالنعمة فى زمن حياتها فأهلكناهم وخربنا ديارهم (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم) أى من بعد هلاكهم (الاقليلا) أى الا فى زمن قليل يسكنها المسافرون ومارو الطريق (وكنا نحن الوارثين) أى المالكين لها بعد هلاك أهلها (وما كان ربك مهلك القرى) أى مهلك أهل القرى (حتى يبعث فى أمها) أى فى أعظمها (رسولا) فعادة الله أن يبعث الرسل فى المدن لأن أهلها أفطن وغيرهم يتبعهم (يتلو عليهم آياتنا) الدالة على الحق والداعية اليه بالترغيب والترهيب وذلك لقطع المعذرة (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) أى وما كنا مهلكين لأهل القرى بعدما بعثنا فى أشرافهم رسولا يدعوهم الى الحق فى حال من الأحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا وبالكفر بآياتنا (وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أى وما أعطيتم يا معشر قريش من أسباب الدنيا كالمال والخدم فهو شىء عادته أن يتنفع به ويتزين به أيام حياتكم وقرىء فمتاعا الحياة بنصب الكلمتين على المصدر وعلى الظرف أى يتمتعون متاعا فى الحياة الدنيا (وماعند الله خير وأبقى) أى فمنافع الآخرة لمن آمن بالله وبرسوله أعظم وأدوم مما لكم فى الدنيا فنصيب كل أحد فى الآخرة بالقياس الى منافع الدنيا كلها كالذرة بالقياس الى البحر فكيف قلتم تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون أن الدنيا فانية والآخرة باقية (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أى أفمن وعدناه وعدا بالجنة فهو مدرك للموعود به من غير شك كمن أعطيناه المال والخدم فى الدنيا ثم هو يوم القيامة تحضره للعذاب قال محمد بن كعب نزلت

(وقالوا) يعنى مشركى مكة (ان نتبع الهدى معك) بالايمان بك (نتخطف) أى نسلب ونؤخذ (من أرضنا) لاجماع العرب على خلافنا فقال الله تعالى (أولم نمكن لهم حرما آمنا) أخبر الله أنه آمنهم بحرمة البيت ومنع منهم العدو فكيف يخافون أن تستحل العرب قتالهم فيه (يجبى) يجمع (اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك مما تفضل الله به عليهم (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى عاشوا فى البطر وكفران النعمة (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم الا قليلا) أى لا يسكنها الا المسافرون والمار يوما أو ساعة (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها) أى أعظمها الآية (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعنى الجنة (فهو لاقيه) أى مدركه ومصيبه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) فى النار نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى جهل

هذه الآية فى حمزة وعلى وفى أبى جهل وقال غيره فى حمزة أو عثمان بن عفان وفى أبى جهل (ويوم يناديهم) معطوف على يوم القيامة (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى ويوم ينادى الله المشركين فيقول توبيخا لهم أين الذين عبدتموهم من دونى وأثبتم لهم شركة فى استحقاق العبادة وتزعمون أنهم يشفعون لكم أين هم لينصروكم من هذا الذى نزل بكم (قال الذين حق عليهم القول) أى الذين ثبت عليهم مدلول قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا) قال أبو على الذين أغوينا خبر لاسم الاشارة وأغويناهم مستأنف والمعنى هؤلاء هم الذين أضللناهم فصاروا أتباعنا آثروا الكفر على الايمان فضلوا باختيارهم ضلالا مثل ضلالنا باختيارنا ولو كنا سببا فى كفرهم فقبلوا منا وما أكرهناهم عليه (تبرأنا اليك) منهم ومن عقائدهم وأعمالهم (ما كانوا ايانا يعبدون) أى ما كانوا يطيعوننا وانما كانوا يطيعون أهواءهم (وقيل) للكفار تبكيتا لهم (ادعوا شركاءكم) أى استغيثوا بآلهتكم التى عبدتموها فى الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أى فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم ولا انتفعوا بهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) أى أبصر المشركون العذاب لو أنهم يبصرون شيئا فانهم لما خاطبهم الله تعالى بقوله ادعوا شركاءكم اشتد الخوف عليهم حتى يصيروا بحيث لا يبصرون شيئا أو المعنى لما قيل ادعوا شركاءكم دعوا الأصنام مرارا كثيرة حتى كان الأصنام يشاهدون العذاب لو كانوا من الأحياء المهتدين أو المعنى وعلم الكفار حقيقة هذا العذاب فى الدنيا لو كانوا يهتدون قال الرازى وهذه الوجوه عندى خير من الوجوه المبنية على أن جواب لو محذوف (ويوم يناديهم) عطف على ما قبله سئلوا أولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم الرسل الذين نهوهم عن ذلك (فيقول) الله تعالى (ماذا أجبتم المرسلين) اليكم بما دعوكم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) أى نخفيت عليهم الأخبار يوم اذ سئلوا عن ذلك (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب النافع لأنهم يتساوون جميعا فى العجز عن الجواب المنجى لفرط الدهشة فلا نطق ولا عقل (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم (وعمل صالحا) أى خالصا فيما بينه وبين الله (فعسى أن يكون من المفلحين) أى فليطمع فى الفلاح والنجاة من العذاب (وربك يخلق ما يشاء) أن يخلقه (ويختار) ما يشاء اختياره (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم الاختيار المؤثر عنهم وليس لهم أن يختاروا على الله أن يفعل قال العلماء لا ينبغى لأحد أن يقوم على أمر من أمور الدنيا الا حتى يسأل الله تعالى الخيرة فى ذلك بأن يصلى صلاة الاستخارة بالكيفية المشهورة وأهل الرضا حطوا الرحال بين يدى ربهم وسلموا الأمور اليه بصفاء النفوس فلا يرضيهم الا ما يرضيه ولا يريدون الا ما يريده فيمضيه وروى أن هذه الآية نزلت فى شأن الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ويقصد بذلك الوليد بن المغيرة أو أبا مسعود الثقفى فأجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى وربك آخره والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أى تنزيها له تعالى عن أن يزاحم اختياره تعالى اختيار والمقصود أن يعلم العبد أن الاعزاز والاذلال مفوض اليه تعالى ليس لأحد فى الخلق والاختيار شركة له تعالى (وربك يعلم ما تكن صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يعلنون) من الطعن فى الرسول بألسنتهم (وهو الله لا اله الا هو) أى وهو المستحق للعبادة لا أحد يستحقها الا الله (له الحمد فى الاولى والآخرة) لأن الثواب غير واجب عليه بل هو تعالى يعطيه فضلا واحسانا منه تعالى فله الحمد فى الدنيا والآخرة لأنه معطى النعم كلها فيحمده المؤمنون فى الآخرة فرحا بفضله والتذاذا بحمده بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده (وله الحكم) النافذ فى

(ويوم يناديهم) أى المشركين (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى فى الدنيا أنهم شركائى (قال الذين حق عليهم القول) أى وجب عليهم العذاب (ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون) كعادة الشيطان فى التبرى ممن يطيعه اذا أورده الهلكة (وقيل) للكفار (ادعوا شركاءكم) أى من كنتم تعبدون من دون الله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أى لم يجيبوهم بشىء ينفعهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) لما اتبعوهم ولما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء) أى عميت عليهم الحجة لأن الله قد أعذر اليهم فى الدنيا فلا تكون لهم حجة يومئذ فسكتوا فذلك قوله (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عما يحتجون به (وربك يخلق ما يشاء) أى كما يشاء (ويختار) أى ويختار مما يشاء ما شاء فاختار من كل ما خلق شيئا (ما كان لهم الخيرة) أى ليس لهم أن يختاروا على الله وليس لهم الاختيار والمعنى لا يرسل الرسل اليهم على اختيارهم والباقى ظاهر الى قوله

كل شيء من غير مشاركة فيه لغير في الدنيا والآخرة (واليه ترجعون) بالخروج من القبور (قل) يا أفضل الخلق لأهل مكة (أرأيتم) أي أخبروني (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أي دائما (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض أو تحريكها حول الأفق غير المرئي (من إله غير الله يأتيكم بضياء) يخرجكم من مشقة الظلام (أفلا تسمعون) هذا الكلام الحق سماع تفهم تطيعون من يفعل ذلك (قل) لهم (أرأيتم) أي أخبروني (ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) باسكان الشمس في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة عن متاعب الأشغال (أفلا تبصرون) هذه المنفعة الظاهرة ولا تنظرون بعقولكم ما أنتم عليه من الخطأ (ومن رحمته) أي نعمته تعالى (جعل لكم الليل والنهار) لأغراض ثلاثة (لتسكنوا فيه) أي في أحدهما وهو الليل (ولتبتغوا من فضله) في الآخر وهو النهار بأنواع المكاسب ففي هذا مدح للسعي في طلب الرزق كما ورد في الحديث الكاسب حبيب الله وهو لا ينافي التوكل (ولعلكم تشكرون) أي لكي تشكروا على المنفعتين معا (ويوم يناديهم) أي اذكر يوم ينادي الله المشركين يوم القيامة (فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي أين الذين ادعيتم إلهيتهم لتخلصكم من الهلاك (ونزعنا من كل أمة شهيدا) أي أخرجنا من كل أمة نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه في كل زمان فيدخل فيه الأحوال التي في أزمنة الفترات وفي الأزمنة التي حصلت بعد سيدنا محمد ﷺ (فقلنا) لهم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) أي كل أمة يومئذ (أن الحق لله) أي أن حقيقة الالهية لله تعالى لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي زال عنهم ما كانوا يعبدون في الدنيا بالكذب (ان قارون كان من قوم موسى) وروى أبو امامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال كان قارون من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله تعالى قيل هو ابن عم موسى وعن ابن عباس كان ابن خالته ثم قيل انه كان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل التوراة الا أنه نافق كما نافق السامري (فبغى عليهم) أي طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره كما قاله القفال وقال ابن عباس تكبر عليهم اه ثم حسد موسى على رسالته وهرون على امامته في الذبح فكفر بعدما آمن بهما بسبب كثرة ماله. ويروى أن موسى عليه السلام لما قطع البحر جعل الحبورة والقربان لهرون فقال قارون ياموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وهي امامة الذبح ولست في شيء ولا أصبر أنا على هذا فقال موسى عليه السلام والله ما صنعت ذلك لهرون ولكن جعله الله فقال لا والله لا أصدقك أبدا حتى تأتيني بآية أعرف بها أن الله جعل ذلك لهرون فأمر موسى عليه السلام رؤساء بني اسرائيل أن يجيء كل رجل منهم بعصا فجاءوا بها فحزمها موسى فألقاها في قبة له فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هرون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون أما ترى ما صنع الله لهرون فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون ومعه ناس كثير من أتباعه من بني اسرائيل فما كان يأتي موسى عليه السلام ولا يجالسه (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) أي وأعطينا قارون من الأموال المدخرة الذي ان مفاتح صناديقه لتثقل الجماعة الكثيرة الاقوياء. وأخرج الدينوري عن خيثمة قال قرأت في الانجيل أن مفاتيح كنوز قارون وقر ستين بغلا كل مفتاح منها على قدر اصبع لكل مفتاح منها كنز (اذ قال له قومه) أي المؤمنون من بني اسرائيل (لا تفرح) بكثرة المال فالفرح بالدنيا من حيث انها دنيا مذموم مطلقا (ان الله لا يحب الفرحين) بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلب ثواب الله تعالى بسبب المال بأن تصرفه الى

(ونزعنا من كل أمة شهيدا) أي أخرجنا شهيدا يعني رسولهم الذي أرسل اليهم (فقلنا هاتوا برهانكم) أي ما اعتقدتم أنه برهان لكم أنكم كنتم على الحق (فعلموا أن الحق لله) أي أن الحق ما دعا اليه الله وأتاهم به الرسول (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي لم ينتفعوا بما عبدوه من دون الله (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه (فبغى عليهم) بالكبر والبذخ وكثرة المال (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه) جمع المفتح وهو ما يفتح به (لتنوء بالعصبة) أي تثقل الجماعة (أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح) بكثرة المال ولا تأشر (ان الله لا يحب الفرحين) أي الأشرين البطرين (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلبها بانفاق مالك في رضى الله

مايؤديك الى الجنة كصدقة وصلة رحم واطعام جائع وكسوة عار ونفقة على محتاج (ولاتنس نصيبك من الدنيا) أى لاتترك العمل فى الدنيا للآخرة وخذ ماتحتاجه من الدنيا وأخرج الباقى كما فى الحديث اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (وأحسن كما أحسن الله اليك) أى وأحسن الى عباد الله تعالى احسانا كاحسان الله تعالى اليك فيما أنعم اليك فيدخل فى الاحسان الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر (ولاتبغ الفساد فى الأرض) أى لاتطلب الفساد بعمل المعاصى فى الأرض (ان الله لايحب المفسدين) أى انه تعالى يعاقب المفسدين بسوء أفعالهم (قال) قارون مجيبا الناصحه (انما أوتيته على علم عندى) أى انما أعطيت هذا المال حال كونى متصفا بالعلم الذى عندى وفضلت به على الناس بالمال والجاه فكان ذلك لفضل علمى بالتوراة واستحقاق لذلك أى لأنه أقرأ بنى اسرائيل للتوراة كما قاله قتادة ومقاتل والكلبى اهـ وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه السلام أنزل عليه علم الكيمياء من السماء فعلم قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا وكان ذلك سبب كثرة أمواله (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أى أعلم قارون ماادعاه ولم يعلم أن الله قد أهلك من هو أقوى منه وأغنى وأكثر جماعة حتى لايغتر بكثرة ماله وقوته (ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون) أى لايسأل الله عن صفة ذنوب المجرمين وعددها اذا أراد أن يعاقبهم لأنه تعالى عالم بكل المعلومات (فخرج على قومه فى زينته) أى فخرج قارون يوم السبت متزينا مع أتباعه كانوا أربعة آلاف على زيه وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وكانت بغلته شهباء سرجها من ذهب وكان على سرجها الأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر ومعهم ألوان السلاح وقال ابن زيد خرج فى تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) من المؤمنين جريا على طريقة الجبلة البشرية من الرغبة فى السعة (يا) التنبيه (ليت لنا مثل ماأوتى قارون) من هذه الأموال وهذه الزينة (انه) أى قارون (لذو حظ عظيم) أى لذو بخت وافر من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) بأحوال الدنيا والآخرة للراغبين فى الدنيا (ويلكم) أى ضيق الله عليكم الدنيا وهذا زجر عن ذلك التمنى (ثواب الله) فى الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) من هذه النعم لأن الثواب منافع عظيمة وخالصة عن شوائب المضار ودائمة وهذه النعم العاجلة على الضد من هذه الصفات الثلاثة (ولايلقاها الا الصابرون) أى ولايعطى هذه الطريقة التى هى الايمان والعمل الصالح الا الصابرون على أمر الله والمرازى أو ولايعطى الجنة التى هى الثواب الا الصابرون على مخالفات النفس وموافقات الشريعة (فخسفنا به) أى بقارون (وبداره الأرض) روى أن قارون كان يؤذى نبى الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم وعن كل ألف شاة على شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيئا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت سيدنا وكبيرنا فمرنا بما شئت قال نبرطل فلانة البغى كى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك رفضه بنو اسرائيل فدعوها فجعل قارون لها طشتا من ذهب مملوءا ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى خطيبا فقال يابنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان كان محصنا رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بنى اسرائيل يقولون انك فجرت

(ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى لاتترك أن تعمل فى دنياك لآخرتك (وأحسن) الى الناس (كما أحسن الله اليك ولاتبغ الفساد فى الأرض) أى العمل بالمعاصى (قال انما أوتيته على علم عندى) على فضل علم عندى فكنت بذلك العلم مستحقا لفضل المال وكان أقرأ بنى اسرائيل للتوراة قال الله تعالى (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للمال منه (ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون) لأنهم يدخلون النار بغير حساب (فخرج على قومه فى زينته) أى فى ثياب حمر عليه وعلى دوابه والركبان الذين معه (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) ظاهر الى قوله (ولا يلقاها) أى ولايلقن ويوفق لهذه الكلمة (الا الصابرون) أى عن زينة الدنيا

بفلانة قال موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يافلانة أنافعلت بك مايقول هؤلاء وسألها بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا تصدقين فتداركها الله بالتوفيق فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى الله تعالى اليه انى أمرت الارض أن تطيعك فمرها بماشئت فقال يابنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلازم مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال موسى ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الأعناق وهم فى كل ذلك يتضرعون الى موسى ويقول له قارون بالله والرحم وموسى عليه السلام لايلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال ياأرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم فأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله (فما كان له) أى لقارون (من فئة) أى جماعة (ينصرونه من دون الله) أى غيره بدفع العذاب عنه (وما كان من المنتصرين) أى من الممتنعين بأنفسهم من عذاب الله تعالى (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) أى وصار الذين تمنوا مثل رتبة قارون من الدنيا من زمان قريب (يقولون) متنبهين على خطأهم فى تمنيهم لما شاهدوا الخسف (ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أى أعجب أنا لان الله يوسع المال على من يشاء من عباده وهو مكر منه تعالى كما كان لقارون ويقتر على من يشاء وهو نظر منه تعالى فان القوم لما شاهدوا ما نزل بقارون من الخسف تندموا على تمنيهم حيث علموا أن بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله ولا تضييقه لهوانه عنده فتعجبوا من أنفسهم كيف وقعوا فى مثل هذا الخطأ ووى اسم فعل بمعنى أعجب أنا والكاف للتعليل. وقال أبو الحسن وى اسم فعل والكاف حرف خطاب وأن على اضمار اللام وقيل وى اسم فعل وكأن للتحقيق أى أعجب أنا وقد علمت أن كلا من البسط والقبض بمقتضى مشيئته تعالى وليس البسط للكرامة والقبض للهوان (لولا أن من الله علينا) بالايمان والرحمة (لخسف بنا) كما خسف بقارون (ويكأنه لايفلح الكافرون) وقيل وى كلمة الزجر والكاف حرف خطاب وأن معمولة لمحذوف أى انزجر عن تمنيك واعلم أنه لاينجو المكذبون برسول الله من عذاب الله (تلك الدار الآخرة) أى الجنة (نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض) أى نعطيها لمن لايريدون غلبة وتكبرا (ولا فسادا) أى ظلما على العباد كدأب فرعون وقارون (والعاقبة) الحميدة وهى الجنة (للمتقين) أى للذين يتقون مالا يرضاه الله تعالى من الأفعال والاقوال (من جاء بالحسنة) أى من جاء يوم القيامة متصفا بالحسنة المقبولة الأصلية المعمولة (فله خير منها) أى فله بمقابلتها ثواب خير منها ذاتا ووصفة وقدرا بالمضاعفة ومثل المعمولة ما فى حكمها كما لو تصدق عن غيره فخرج بالمعمولة مالو هم بحسنة فلم يعملها لمانع فانها يجازى عليها من غير تضعيف وخرجت الحسنة المأخوذة فى نظير الظلامة فلا تضاعف له وخرج بالأصلية الحسنات الحاصلة بالتضعيف فلا تضاعف (ومن جاء بالسيئة) وهى مايذم فاعلها شرعا (فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) أى الا جزاء مثل ما كانوا يعملون (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) أى ان الذى أوجب عليك تبليغ القرآن والعمل بما فيه من الأحكام لرادك الى مكة فانه صلى الله عليه وسلم خرج من الغار ليلا وسار فى غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها وذكر مولده ومولد أبيه فنزل جبريل وقال له أتشتاق الى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل ان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أى مكة غالبا عليهم (قل) ياأشرف الخلق

(وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) أى صار الذين كانوا يقولون ياليت لنا مثل ماأوتى قارون (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع لمن يشاء ويضيق (لولا أن من الله علينا) أى عصمنا عن مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغى (لخسف بنا) كما خسف به (تلك الدار الآخرة) يعنى الجنة (نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض) تكبرا وتجبرا فيها (ولا فسادا) أى عملا بالمعاصى وأخذ المال بغير حقه (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) (ان الذى فرض عليك القرآن) أى أنزله وقيل فرض عليك العمل بما فى القرآن (لرادك الى معاد) أى الى مكة ظاهرا عليها وذلك حين اشتاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مولده

للمشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) ومايستحقه من الثواب والاعزاز بالاعادة الى مكة (ومن هو فى ضلال مبين) ومايستحقونه من العقاب والاذلال فى بلدهم يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه والمشركين (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الارحمة من ربك) أى وما كنت قبل مجىء الرسالة اليك ترجو انزال القرآن عليك وكونك نبيا فانزاله عليك ليس عن ميعاد وكونك نبيا ليس عن تطلب سابق منك ولكن أنزل اليك القرآن وتجعل نبيا لأجل الترحم من ربك (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) أى معينا لهم بالاجابة الى طلبتهم (ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك) أى لا تركن الى أقوال الكافرين فيصدوك عن اتباع آيات الله بعد وقت انزالها عليك وايجاب العمل بها (وادع الى ربك) أى ادع الناس الى دين ربك (ولا تكونن من المشركين) باعانتهم فى الأمور لان من رضى بطريقتهم أومال اليهم كان منهم (ولا تدع مع الله الها آخر) أى لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلا فى أمورك (لا اله الا هو) لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا هو (كل شىء هالك) أى معدوم فى حد ذاته فان وجوده كلا وجود لان وجوده ليس ذاتيا (الا وجهه) أى ذاته تعالى وقيل معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك والمستثنى من الهلاك والفناء ثمانية أشياء نظمها السيوطى فى قوله

ثمانية حكم البقاء يعمها ＊ من الخلق والباقون فى حيز العدم
هى العرش والكرسى ونار وجنة ＊ وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

(له الحكم) النافذ فى الخلق (واليه) أى الى جزائه بالعدل عند البعث (ترجعون)

﴿ سورة العنكبوت مكية تسع وستون آية . وألف وتسعمائة واحدى وثمانون كلمة . وأربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أى أظن الذين نطقوا بكلمة الشهادة أنهم يتركون غير ممتحنين بمجرد ذلك النطق لا بل يمتحنون ليتميز الراسخ فى الدين من غيره نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر وعياش بن أبى ربيعة والوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة فكانت صدورهم تضيق بذلك والمقصود الأقصى من الخلق العبادة والمقصد الأعلى فى العبادة حصول محبة الله وكل من كان قلبه أشد امتلاء من محبة الله فهو أعظم درجة عند الله لكن للقلب ترجمان وهو اللسان وله مصدقات هى الأعضاء ولها مزكيات فاذا قال الانسان باللسان آمنت فقد ادعى محبة الله فى الجنان فلا بد له من شهود فاذا استعمل الأركان فى الاتيان بما عليه من أركان الاسلام حصل له على دعواه شهود مصدقات فاذا بذل نفسه وماله فى سبيل الله وزكى أعماله بترك ماسوى الله زكى شهوده الذين صدقوه فيما قاله فحينئذ يحرر اسمه فى جرائد المحبين و يقرر قسمه فى أقسام المقربين (ولقد فتنا الذين من قبلهم) أى ابتلينا الماضين كسيدنا ابراهيم ألقى فى النار وكقوم نشروا بالمناشير فى دين الله فلم يرجعوا عنه (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أى فليظهرن الصادقين فى قولهم آمنا من الكاذبين فى ذلك فمن الناس من لا يصبر فى البلاء ولا يشكر فى النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يصبر فى حال البلاء و يشكر فى حال النعماء فهذه صفة الصادقين ومنهم من لا يستمتع فى العطاء بل يؤثر فى حال الرخاء و يسترح الى البلاء و يستعذب مقاساة العناء وهذا أجل الكبراء (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أى بل أحسب المشركون أنهم يفرون منا و يفوتون عذابنا فلا نقدر على مجازاتهم بعصيانهم (ساء ما يحكمون) أى بئس الذى يحكمونه حكمهم ذلك (من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله

(وما كنت ترجو أن يلقى وأنزل عليك الوحى (ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك) وهذا حين دعى الى دين آبائه وقوله (كل شىء هالك الا وجهه) أى الا اياه (له الحكم) يحكم ما يريد (واليه ترجعون

﴿تفسير سورة العنكبوت﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(الم أحسب الناس أن يتركوا) نزلت فى الذين جزعوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين ومعناه أحسبوا أن يقنع منهم بأن يقولوا انا مؤمنون فقط ولا يمتحنون بما يتبين به حقيقة ايمانهم (ولقد فتنا الذين من قبلهم) أى اختبرنا وابتلينا (فليعلمن الله) صدق (الذين صدقوا) فى قولهم آمنا بوقوعه منهم وهو الصبر على البلاء (وليعلمن) كذب (الكاذبين) فى قولهم آمنا بارتدادهم عن الدين عند البلاء ومعنى العلم هنا العلم به موجودا كائنا (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أى يفوتونا (ساء ما يحكمون) أى بئس حكما يحكمون لانفسهم بهذا الظن (من كان يرجوا لقاء الله) أى يخشى البعث (فان أجل الله) أى وعده بالثواب والعذاب

لآت) أى من كان يطمع فى ثواب الله فليعمل عملا صالحا فان الوقت المضروب له لجاء لاشك فى مجيئه (وهو السميع العليم) فيسمع ماقالوه ويعلم مايعملونه فللعبد أمور ثلاثة من أصناف حسناته عمل قلبه فهو لايرى ولا يسمع وانما يعلم وعمل لسانه فهو يسمع وعمل أعضائه وهو يرى فاذا أتى بهذه الأشياء يجعل الله لمسموعه مالا أذن سمعت ولمرئيه مالا عين رأت ولعمل قلبه مالا خطر على قلب أحد (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه) أى ومن صبر على الشدة فى محاربة الكفار وفى مخالفة النفس فان منفعة صبره له لا لله تعالى (ان الله لغنى عن العالمين) فلا حاجة له الى طاعتهم وانما أمرهم بطاعة الله توجيها لهم للثواب بمقتضى رحمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى بأحسن جزاء أعمالهم فتكفير السيئات فى مقابلة الايمان والجزاء بالاحسن فى مقابلة العمل الصالح فالمؤمن يدخل الجنة بايمانه وتكفر سيئاته به فلا يخلد فى النار فحينئذ يكون الجزاء الاحسن غير الجنة وهو مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ان يكون هو رؤية الله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى أمرنا الانسان بالبر بوالديه والعطف عليهما لانهما سبب وجود الولد (وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما) أى وان أمراك أن تشرك بى ماليس لك بالهيته علم فلا تطعهما فى الاشراك فقوله ماليس لك به علم اشارة الى ان مالا يعلم صحته لايجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه روى ان حمنة بنت أبى سفيان بن أمية ابن عبد شمس لما سمعت باسلام ولدها سعد بن أبى وقاص الزهرى وهو من السابقين الى الاسلام قالت له ياسعد بلغنى انك قد صبأت فوالله لايظلنى سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد فأبى سعد وكان أحب أولادها اليها ولبثت هى ثلاثة أيام لاتنتقل من الضح ولا تأكل ولا تشرب حتى غشى عليها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد عليه السلام فان شئت فكلى وان شئت فلا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت ثم جاء سعد الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من أمرها فأنزل الله تعالى وان جاهداك الآية (الى مرجعكم) أى عاقبتكم الى وان كان اليوم مجالستكم بالآباء والأولاد والأقارب (فأنبئكم بما كنتم تعملون) فلا تظنوا أنى غائب عنكم وآباؤكم حاضرون فتوافقون الحاضرين فى الحال فانى حاضر معكم أعلم ماتفعلون ولا أنسى فأنبئكم بجميعه فأجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) أى لنجعلنهم فى عداد المجردين الذين لافساد لهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله) أى فى دين الله (جعل فتنة الناس) مع ضعفها وانقطاعها (كعذاب الله) الأليم الدائم فى الآخرة حتى كفر نزلت هذه الآية فى المنافقين كعياش بن أبى ربيعة المخزومى فانهم قالوا للمؤمنين ايماننا كايمانكم فاذا آذاهم الكفار بالضرب بالسياط جعلوا ذلك الاذى صارفا لهم عن الايمان كان عذاب الله فى النار دائما صارف للمؤمنين عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) وهو فتح مكة وغنيمتها (ليقولن) أى عياش وأصحابه (انا كنا معكم) أى فى الايمان وانما أكرهنا حتى قلنا ماقلنا فاشركونا فى الغنيمة لانا على دينكم قال تعالى تكذيبا لهم فى قولهم انا على دينكم (أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) من الاخلاص فى الايمان والنفاق فيه ثم أسلم عياش وأصحابه بعد ذلك وحسن اسلامهم (وليعلمن الله الذين آمنوا) بالاخلاص فثبتوا على الاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) بترك الايمان عند البلاء أى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق (وقال الذين كفروا) وهو الوليد بن المغيرة وأبو جهل وأصحابهما (للذين آمنوا) كعلى

(لآت) أى لكائن وقوله (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى بأحسن أعمالهم وهو الطاعة (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى أمرناه أن يحسن اليهما (وان جاهداك) أى اجتهدا عليك (لتشرك بى ماليس لك بعلم) انه لى شريك (فلا تطعهما) نزلت فى سعد بن أبى وقاص حلفت أمه أنها لا تأكل ولا تشرب ولايظلها سقف بيت حتى يكفر بمحمد ويرجع اليها كان عليه فأمر أن يترضاها ويحسن اليها ولايطيعها فى الشرك وقوله (لندخلنهم فى الصالحين) أى فى زمرتهم وجملتهم ومعناه لنحشرنهم معهم وقوله (جعل فتنة الناس) أى أذاهم وعذابهم (كعذاب الله) أى جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولم يصبر على الأذية فى الله (ولئن جاء) المؤمنين (نصر من ربك ليقولن) يعنى هؤلاء الذين ارتدوا حين أوذوا (انا كنا معكم) وهم كاذبون فقال الله تعالى (أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) يعنى أنه عالم بايمان المؤمنين وكفر الكافرين (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) هذا اخبار عن الله تعالى أنه يعلم ايمان المؤمن ونفاق المنافق (وقال الذين كفروا) من أهل مكة (للذين آمنوا

وسلمان وأصحابهما (اتبعوا سبيلنا) أى ديننا فى عبادة الأوثان (ولنحمل خطاياكم) أى ذنوبكم عنكم يوم القيامة وقرأ الحسن وعيسى بكسر لام الأمر وهو لغة الحجاز وليس هذا أمرا فى الحقيقة ورد الله عليهم بقوله (وماهم) أى الكفار (بحاملين من خطاياهم) أى من ذنوب المؤمنين (من شئ) يوم القيامة (انهم لكاذبون) فى مقالتهم (وليحملن) أى الكفرة (أثقالهم) أى أوزار مااقترفته أنفسهم كاملة (وأثقالا مع أثقالهم) أى وأوزار الذين يضلونهم مع أوزارهم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) فى قولهم ولنحمل خطاياكم فانه صادر من اعتقادهم أن لاخطيئة فى الكفر ومن اعتقادهم أن لاحشر ويقال لهم أما قلتم أن لاحشر ويقال لهم احملوا خطاياهم فلا يحملون فيسألون ويقال لهم لم افتريتم (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الاخمسين عاما) يدعوهم الى التوحيد فلم يجيبوه قال ابن عباس كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين سنة ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة (فأخذهم الطوفان) أى الماء الكثير المحيط بهم والمرتفع على أعلى جبل أربعين ذراعا (وهم ظالمون) أى والحال انهم مصرون على كفرهم (فأنجيناه) أى نوحا (وأصحاب السفينة) أى ومن ركب فى السفينة معه عليه السلام من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين (وجعلناها) أى السفينة (آية للعالمين) أى علامة دالة على قدرة الله تعالى وعلمه ووحدته ليتعظوا بها وذلك أن السفينة اتخذت قبل ظهور الماء ولولا اعلام الله نوحا بذلك لما اشتغل بها فلا تحصل لهم النجاة وان الله أمر نوحا بأخذ قوم معه وأقواتهم ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصل لهم النجاة وان الله سلم السفينة عن الرياح المرجفة وعن الحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصل لهم النجاة. قال أبو السعود عاش نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا ومائتين وأربعين سنة (وابراهيم اذ قال لقومه) أى وارسلناه حين تكامل عقله وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق (اعبدوا الله) وحده (واتقوه) أن تشركوا به شيئا فقوله اعبدوا الله اشارة الى اثبات الاله الواحد وقوله واتقوه اشارة الى نفى غيره وأيضا فاعبدوا الله اشارة الى الاتيان بالواجبات فيدخل فيه الاعتراف بالله واتقوه اشارة الى الامتناع عن المحرمات فيدخل فيه الامتناع من الشرك (ذلكم) أى عبادة الله وتقواه (خير لكم) عقلا واعتبارا (ان كنتم تعلمون) الدلائل والاعتبارات فان ضد عبادة الله تعطيل وضد تقواه تشريك وكلاهما شر عقلا واعتبارا أما عقلا فلان الممكن لابد له من مؤثر واجب الوجود ثم ان شريك الواجب ان لم يكن واجب الوجود فكيف يكون شريكا وان كان كذلك لزم وجود واجبين فيشتركان فى الوجوب ويختلفان فى الالهية وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيلزم التركيب فيهما فلا يكونان واجبين لكونهما مركبين فيلزم التعطيل وأما اعتبارا فلان الشرف اما ان يكون ملكا أو قريب ملك فالانسان لا يكون ملكا للسموات والأرضين فأعلى درجاته ان يكون قريب الملك فلا يكون قربه الا بعبادة فالمعطل لاملك ولاقريب ملك لعدم اعتقاده بوجود ملك فلا مرتبة له أصلا ثم من يكون سيده لانظير له يكون أعلا رتبة ممن يكون لسيده شركاء خسيسة فان من يقول ان ربى لايماثله شئ أعلى مرتبة ممن يقول سيدى صنم منحوت فثبت ان عبادة الله وتقواه خير للناس (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أى أحجارا لاتستحق العبادة (وتخلقون افكا) أى وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم وقرئ تخلقون بتشديد اللام للتكثير فى الخلق الذى بمعنى الكذب وقرئ تخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب. وذكر سيدنا ابراهيم بطلان مذهبهم بأبلغ الوجوه وذلك لأن المعبود انما يعبد لاحد أمور أربعة اما لكونه مستحقا

(اتبعوا سبيلنا) أى الطريق الذى نسلكه فى ديننا (ولنحمل خطاياكم) أى ان كان فيه اثم فنحن نحتمله قال الله تعالى (وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ) يخفف عنهم العذاب (انهم لكاذبون) فى قولهم لانهم فى القيامة لايحملون عنهم خطاياهم ثم أعلم الله عز جل أنهم يحملون أثقالهم أى أوزار أنفسهم وأثقالا أخرى بسبب اضلالهم مع أثقال أنفسهم لان من دعا الى ضلالة فاتبع فعليه مثل أوزار الذين اتبعوه ثم ذكر أنه يوبخهم على ما قالوا فقال (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أى سؤال توبيخ وقوله (وتخلقون افكا) أى تقولون كذبا ان الأوثان شركاء الله وقوله

للعبادة

للعبادة بذاته كالعبد يخدم سيده الذى اشتراه واما لكونه نافعا فى الحال كمن يخدم غيره لخير يوصله اليه كالمستخدم بأجرة واما لكونه نافعا فى المستقبل كمن يخدم غير مراجيا منه أمرا فى المستقبل واما لكونه خائفا منه (ان الذين تعبدون من دون الله) من الأوثان (لا يملكون لكم رزقا) أى لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئا من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) أى فاطلبوا من الله تعالى كل الرزق (واعبدوه) لكونه مستحقا للعبادة لذاته (واشكروا له) لكونه سابق النعم بالخلق ومعطى النعم بالرزق (اليه ترجعون) فيرجى الخير منه لا من غيره (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أى وان تكذبونى فيما أخبرتكم به من انكم اليه تعالى ترجعون بالبعث فلا تضروننى بتكذيبكم فان من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أى الا ذكر المسائل واقامة البرهان عليه (أولم يروا) أى ألم ينظر هؤلاء القوم ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية فى الظهور (كيف يبدئ الله الخلق) أى يخلقهم ولم يكونوا شيئا مذكورا ويخلقهم من نطفة من غذاء هو ماء وتراب وهذا القدر كاف فى حصول العلم بامكان الاعادة فان الاعادة مثل البدء (ثم يعيده) أى الخلق كما بدأهم (ان ذلك) أى الاعادة (على الله يسير) اذ لا يفتقر فعله تعالى الى شئ أصلا (قل) يا ابراهيم لقومك (سيروا فى الارض) أى سيروا فكركم فى الارض وأجيلوا ذهنكم فى الحوادث الخارجة عن أنفسكم (فانظروا كيف بدأ الخلق) أى فانظروا الى الاشياء المخلوقة ليحصل لكم علم بأن الله بدأ خلقا (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها (ان الله على كل شئ قدير) فان من علم قدرته تعالى على جميع الأشياء لا يتصور أن يتردد فى وقوع الاعادة بعد ما أخبر الله به (يعذب) بعد النشأة الآخرة (من يشاء) أن يعذبه وهم المنكرون لها (ويرحم من يشاء) أن يرحمه وهم المصدقون بها (واليه تقلبون) أى فان تأخر عنكم ذلك فلا تظنوا انه فات فان اليه تعالى ايابكم وعليه حسابكم وعنده يدخر ثوابكم وعقابكم (وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء) بممتنعين منه تعالى أى لو صعدتم الى محل السماك فى السماء أو هبطتم الى موضع السموك فى الماء لا تخرجون من قبضة قدرة الله وهذا خطاب لقوم فيهم النمروذ الذى حاول الصعود الى السماء (وما لكم من دون الله من ولى) أى قريب ينفعكم (ولا نصير) أى مانع يمنعكم من عذاب الله (والذين كفروا بآيات الله) أى بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله (ولقائه) أى بالبعث بعد الموت (أولئك يئسوا من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم) وذلك لان لله تعالى فى كل شئ آية دالة على وحدانيته فاذا أشرك أحد كفر بآيات الله واذا أنكر الحشر كفر بلقاء الله وأخرج نفسه عن محل رحمة الله واذا جعل له آلهة لم يقر بالحاجة الى طريق متعين فييأس من رحمة الله ولما أنكر الحشر وقال لا عذاب عذبه الله تحقيقا للأمر عليه فعدم الرحمة يناسب الاشراك والعذاب الأليم يناسب انكار الحشر (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) أى قال بعضهم لبعض لا تجيبوا ابراهيم عن براهينه الدالة على التوحيد والنبوة والحشر واقتلوه بسيف أو نحوه فتستريحوا منه عاجلا أو حرقوه بالنار فاما أن يرجع الى دينكم اذا أوجعته النار واما أن يموت بها اذا أصر على دينه فقذفوه فى النار (فأنجاه الله من النار) أى بجعلها بردا روى أنه فى ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أى فى انجاء الله تعالى ابراهيم من النار لعبرات لقوم يصدقون بقدرة الله فان الله حفظ ابراهيم من حرها وجعلها خامدة فى زمان يسير فلا تؤذيه ولكن أحرقت وثاقه وأنشأ فى وسطها بستانا (وقال) ابراهيم بعد انجائه من النار (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى برفع مودة غير منونة وجر بينكم ونافع وابن

(أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده) كما بدأ وليس المعنى على أولم يروا كيف يعيده لانهم لم يروا الاعادة (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) يعنى الأمم الماضية كيف قدر الله على خلقهم ابتداء (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أى يبعثهم ثانية بانشائه اياهم (وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء) أى لو كنتم فيها ثم عاد الكلام الى قصة ابراهيم فقال (فما كان جواب قومه) حين دعاهم الى الله (الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) (وقال) لهم ابراهيم (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم) أى لتتوادوا بها فهى مودة بينكم ما دمتم

عامر وأبو بكر بنصب مودة منونة ونصب بينكم وحمزة وحفص بنصب مودة غير منونة وجر بينكم ونقل عن عاصم انه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم لاضافته الى المبنى فالرفع خبر ان أى ان الذين اتخذتموهم أوثانا صلة بينكم والنصب مفعول له وخبر ان محذوف أى ان الذين اتخذتموه أوثانا معبودة لكم لأجل المودة لاينفعونكم (فى الحياة الدنيا) والمعنى ان اتخاذكم أصناما مودة بينكم ليس الافى الحياة الدنيا وقد أجريتم أحكامه حيث فعلتم بى مافعلتم لأجل مودتكم لها انتصارا منى أى لما خرج ابراهيم من النار عاد الى عذل الكفار وقال اذا بينت لكم فساد مذهبكم وما كان لكم جواب فليس هذا الا تقليدا فان بين بعضكم محبة طبيعية فلا يريد أحدكم ان يفارقه صاحبه فى الأحوال و بينكم و بين آبائكم صلة فورثتموهم وأخذتم مقالاتهم ولزمتم ضلالتهم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) فيقول العابد ماهذا معبودى و يقول المعبود ماهؤلاء عبدتى (و يلعن بعضكم بعضا) فيقول المعبود لذلك أنت أوقعتنى فى العذاب حيث عبدتنى و يقول العابد لهذا أنت أوقعتنى فيه حيث أضللتنى بعبادتك و يريد كل واحد أن يبعد صاحبه باللعن ولا يتباعدون بل هم مجتمعون فى النار كما هم مجتمعون فى هذه الدار كما قال تعالى (ومأواكم النار) أى هى منزلكم فلا ترجعون منه أبدا (ومالكم من ناصرين) يخلصونكم من تلك النار كما خلصنى ربى من النار التى ألقيتمونى فيها (فآمن له لوط) أى صدقه لوط فى جميع مقالاته فقال لابراهيم صدقت يا ابراهيم ولوط هو ابن أخيه هاران (وقال) ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) أى انى خارج من قومى الى مكان أمرنى ربى بالتوجه اليه روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سذوم وكان عمر ابراهيم اذ ذاك خمسا وسبعين سنة (انه هو العزيز الحكيم) فيمنع أعدائى عن ايذائى ولا يأمرنى الا بما فيه صلاحى (و وهبنا له) بعد اسماعيل بأربع عشرة سنة (اسحق) من عجوز عاقر (و يعقوب) نافلة (وجعلنا فى ذريته) أى ذرية ابراهيم (النبوة) فكل الأنبياء بعده من ذريته (والكتاب) فلم ينزل بعده كتاب الا على أولاده (وآتيناه أجره) على هجرته (فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) فان الله بدل جميع أحواله فى الدنيا بأضدادها فبدل وحدته فى النار بكثرة ذريته حتى ملأت الدنيا و بدل أقاربه الضالين المضلين بأقارب مهتدين هادين و بدل ذلته وخموله بالجاه وكثرة المال حتى قيل انه كان له اثنا عشر ألف كلب حارس بأطواق ذهب وكانت الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على سائر الأنبياء الى يوم القيامة فصار معروفا بشيخ المرسلين وكان فى الآخرة باقيا على ماينبغى (ولوطا) أى وأرسلنا لوطا الى قومه (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أى اللواطة (ماسبقكم بها) أى بتلك الفاحشة (من أحد من العالمين) كلهم من الانس والجن (أئنكم لتأتون الرجال) أى أدبار الرجال (وتقطعون السبيل) أى سبيل الولد بالاعراض عن الحرث واتيان ماليس بحرث و يقال وتقطعون على من مر بكم من الغرباء (وتأتون فى ناديكم المنكر) أى وتعملون فى مجلسكم الجامع لأصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار والحذف بالبندق ومضغ العلك والفرقعة قيل انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان يأخذ مامعه و يلوطه و يغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى قولك بمجىء عذاب الله علينا ان لم نؤمن أى ان لوطا كان مداوما على ارشاد قومه فقالوا أولا استهزاء ائتنا بعذاب الله ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عن فعلهم قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم ثم ان لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) أى بانزال العذاب على هؤلاء المفسدين وهم الذين ابتدعوا الفاحشة وأصروها

(فى) هذه (الحياة الدنيا) ثم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة وهو قوله (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) أى تتبرؤ الاوثان من عابديها وقوله (فآمن له لوط) هو أول من آمن بابراهيم (وقال انى مهاجر الى ربى) هاجر من سواد الكوفة الى الشام وقوله (وآتيناه أجره فى الدنيا) قيل هو الذكر الحسن وقيل الولد الصالح وقوله (وتقطعون السبيل) أى سبيل الولد وقيل تأخذون الناس من الطرق لطلب الفاحشة (وتأتون فى ناديكم) أى مجلسكم (المنكر) وكان بعضهم يجامع بعضا فى مجالسهم (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أنه نازل بنا وقوله

واستعجلوا

(ولقد تركنا منها) يعنى من قرية لوط (آية بينة) أى عبرة ظاهرة وهى خرابها وآثارها وقوله (وكانوا مستبصرين) أى فى ضلالتهم معجبين بها وقيل حسبوا أنهم على الهدى وهم على الباطل وقيل أنوا ما أتوا وقد بين لهم أن عاقبته العذاب (فكلا) أى من الكفار (أخذنا) أى عاقبنا (بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) قوم ثمود (ومنهم من خسفنا به الأرض) قارون وقومه (ومنهم من أغرقنا) قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) لأنه قد بين لهم بارسال الرسول (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أى بكفرهم

واستعجلوا العذاب بطريق الاستهزاء (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أى لما جاء جبريل ومن معه من الملائكة الى ابراهيم بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا) لابراهيم (انا مهلكوا أهل هذه القرية) أى قرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين) باصرارهم على أنواع المعاصى (قال) ابراهيم (ان فيها) أى فى تلك القرى (لوطا) فكيف تهلكونها (قالوا) أى الرسل من الملائكة (نحن أعلم بمن فيها) أى من لوط وغيره (لننجينه وأهله) ابنتيه زاعورا وريثا (الا امرأته) المنافقة واعلة (كانت من الغابرين) أى من المنغمسين فى العذاب بسبب ان الدال على الشر نصيبا كفاعله وهى كانت تدل القوم على أضياف لوط (ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) أى جاءه ما أحزنه بمجيئهم على صورة البشر بأحسن صورة خلق الله فخاف عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) أى ضاق بتدبير أمرهم طاقته وعجز عن مدافعة قومه (وقالوا) للوط (لا تخف) علينا (ولا تحزن) لأجلنا فانا ملائكة (إنا منجوك وأهلك) مما يصيبهم من العذاب ونصب أهلك معطوف على محل الكاف (الا امرأتك كانت من الغابرين) أى من الباقين فى الهلاك ومن الراحلين الماضى ذكرهم (انا منزلون على أهل هذه القرية) هى سدوم (رجزا) أى عذابا مزعجا (من السماء بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم المستمر وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاى (ولقد تركنا منها) أى القرية (آية بينة) أى علامة ظاهرة (لقوم يعقلون) وهى آثار ديارهم الخربة وظهور الماء الأسود على وجه الأرض وهى بين القدس والكرك (والى مدين أخاهم شعيبا) أى وأرسلنا الى مدين نبيهم شعيبا (فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أى اعملوا اليوم الآخر وانما قال شعيب بلفظ الرجاء لأن عبادة الله يرجى منها الخير فى الدارين (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) أى لا تعملوا المعاصى فى الأرض ويمكن أن يقال نصب مفسدين على المصدر كما يقال قم قائما أى قياما (فكذبوه) فيما أخبرهم به لأن شعيبا كأنه قال الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه وهذه الأشياء فيها اخبارات فالتكذيب راجع الى الاخبارات الضمنية (فأخذتهم الرجفة) أى التى ترجف الأرض والأفئدة اذ قيل ان جبريل صاح فتزلزلت الأرض من صيحته ورجفت قلوبهم منها (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى فصاروا فى مجمعهم ميتين لا يتحركون (وعادا وثمود) أى وأهلكنا قوم هود وقوم صالح (وقد تبين لكم من مساكنهم) أى وقد ظهر لكم يا أهل مكة اهلاكنا إياهم من جهة منازلهم الكائنة فى الحجر واليمن اذا نظرتم اليها عند مروركم عليها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أى عبادتهم غير الله (فصدهم عن السبيل) أى عن عبادة الله (وكانوا مستبصرين) أى عاقلين ألباء صحيحى النظر (وقارون) أى وأهلكناه وهو ابن عم موسى (وفرعون وهامان) وزير فرعون (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أى بالحجج الظاهرات (فاستكبروا فى الأرض) عن الايمان بالآيات وعن عبادة الله (وما كانوا سابقين) أى فارين من عذاب الله (فكلا) أى كل واحد من المذكورين (أخذنا بذنبه) أى عاقبناه بسبب ذنبه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى حجارة محماة يقع على واحد منهم وينفذ من الجانب الآخر وهم قوم لوط وعاد (ومنهم من أخذته الصيحة) هو هواء متموج فان الصوت سببه وصول الهواء المتموج الى الصماخ وهم قوم شعيب وصالح (ومنهم من خسفنا به الأرض) أى غمرناه فى التراب وهو قارون ومن معه (ومنهم من أغرقنا) بالماء وهم قوم نوح وفرعون وقومه فحصل العذاب بالعناصر الأربعة النار والريح والتراب والماء والانسان مركب منها وسببها بقاؤه فاذا أراد الله هلاك الانسان جعل ما منه وجوده سببا لعدمه وما به بقاؤه سببا لفنائه (وما كان الله ليظلمهم) بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاشراك أى وما كان الله يضعهم فى غير موضعهم فان موضعهم

الكرامة لكنهم ظلموا أنفسهم حيث وضعوها مع شرفهم في عبادة الوثن مع خسته (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) فان أدنى مراتب البيت أن لا يصير سبب افتراق فبيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت فانه اذا داوم في زاوية لا يخرج منها فاذا انسج على نفسه بيتا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه و يمسحه بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت فكذلك العابد ينبغي ان يستحق الثواب بسبب العبادة أو لا يستحق العذاب به والكافر يستحق العذاب بسبب عبادته وان بيت العنكبوت اذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير هباء منثورا فكذلك أعمالهم للأوثان وهذا اشارة الى ابطال الشرك الخفي أيضا فان من عبد الله رياء فقد اتخذ وليا غير الله فمثله مثل العنكبوت تتخذ نسجها بيتا فلا يقيها من حر ولا برد (لو كانوا يعلمون) شيئا من الأشياء لجزموا ان مثلهم كمثل العنكبوت وان أضعف ما يعتمد به في الدين دينهم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ) أي ان الله يعلم الذين يعبدونهم من غير الله من شئ صنم أو انسي أو جني (وهو العزيز الحكيم) أي وهو قادر على اهلاكهم لكنه حكيم مهلهم ليكون الهلاك عن بينة وقرأ عاصم وأبو عمرو يدعون بالتحتية والباقون بالفوقية (وتلك الأمثال نضربها للناس) أي نبينها لهم تقريبا لما بعد من أفهامهم (وما يعقلها الا العالمون) أي وما يفهم صحتها وفائدتها الا المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي متقنا مراعيا للمصالح (ان في ذلك) أي في خلقهما (لآية للمؤمنين) أي لدلالة للمؤمنين على شئونه تعالى واختص المؤمنون بالذكر لأنهم المنتفعون بتلك الآية (اتل ما أوحي اليك من الكتاب) تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق (وأقم الصلاة) أي داوم على اقامتها (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أي تنهى عن التعطيل والاشراك فالتعطيل هو انكار وجود الله والاشراك اثبات ألوهية لغير الله فالعبد أول ما يشرع في الصلاة يقول الله أكبر فبقوله الله ينفي التعطيل وبقوله أكبر ينفي التشريك لأن الشريك لا يكون أكبر من الشريك الآخر فيما فيه الاشتراك فاذا قال بسم الله نفي التعطيل واذا قال الرحمن الرحيم نفي الاشراك لأن الرحمن من يعطي الوجود بالخلق والرحيم من يعطي البقاء بالرزق فاذا قال الحمد لله أثبت خلاف التعطيل واذا قال رب العالمين أثبت خلاف الاشراك فاذا قال اياك نعبد نفي التعطيل والاشراك وكذا اذا قال واياك نستعين واذا قال اهدنا الصراط نفي التعطيل لأن طالب الصراط له مقصد والمعطل لا مقصد له واذا قال المستقيم نفي الاشراك لأن المستقيم هو الأقرب والمشرك يعبد الأصنام و يظنون انهم يشفعون لهم وعبادة الله من غير واسطة أقرب وعلى هذا الى آخر الصلاة فاذا قال فيها أشهد أن لا اله الا الله فقد نفي الاشراك والتعطيل ومعنى نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر انها سبب للانتهاء عنهما لأنها مناجاة لله تعالى فلا بد أن تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه (ولذكر الله أكبر) أي ذكر الله اياكم بالمغفرة والثواب أكبر من ذكركم اياه بالصلاة وقيل ذكركم الله بسائر أنواعه أفضل من الطاعات التي ليس فيها ذكر الله وقيل المراد بالذكر نفس الصلاة أي والصلاة أكبر من سائر الطاعات (والله يعلم ما تصنعون) من الذكر ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم) أي ولا تخاصموا اليهود والنصارى الا بالأحسن أي بعدم استخفاف آرائهم وبعدم نسبة آبائهم الى الضلال لأنهم جاءوا بكل حسن غير الاعتراف بالنبي ﷺ فانهم آمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل و بالحشر ففي مقابلة احسانهم يجادلون بالأحسن الا الذين أشركوا منهم باثبات الولد

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) يعني الأصنام في قلة غنائها عنهم (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لا يدفع عنها بردا ولا حرا (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) وذلك أنه لا بيت أضعف منه فيما يتخذه الهوام (لو كانوا يعلمون) موضعه عند قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت فهو مؤخر معناه التقديم وقوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) يعني ان في الصلاة منهاة ومزدجرا عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن المنكر فليست صلاته بصلاة (ولذكر الله أكبر) أي من كل شئ في الدنيا وأفضل (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) وهو الجميل من القول بالدعاء الى الله تعالى والتنبيه على الحجج (الا الذين ظلموا منهم) أي الا الذين ظلموكم بالقتال ومنع الجزية

لله و بالقول بثالث ثلاثة فتجادلون بالأخشن من تهجين مقالتهم وتبيين جهالتهم كالمشرك الذى جاء بالمنكر من غيرهم فاللائق أن يجادل بالأخشن و يبالغ فى تهجين مذهبه وتوهين شبهه (وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا) من القرآن (وأنزل اليكم) من التوراة والانجيل روى كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم الآية وفى رواية وقولوا آمنا بالله و بكتبه و برسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد) لاشريك له فى الألوهية (ونحن له مسلمون) أى مطيعون لا لغيره (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب) أى كما أنزلنا سائر الكتب على من تقدمك أنزلنا عليك القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب) وهم الأنبياء (يؤمنون به) أى بالقرآن (ومن هؤلاء) أى من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (من يؤمن به) أى بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) أى بالقرآن الذى ظهرت دلالته على المعانى وعلى كونه من عند الله تعالى (الا الكافرون) ككعب بن الأشرف وأصحابه وأبى جهل وأصحابه (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك) أى وما كنت يا أشرف الخلق تقرأ كتابا قبل أنزالنا القرآن اليك ولاتكتب الكتاب بيدك والاصح انه صلى الله عليه وسلم كان لايحسن الخط والشعر ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه (اذا لارتاب المبطلون) أى لو كنت قارئا أو كاتبا لشك اليهود والنصارى لان فى كتابهم انك أمى لاتقرأ ولاتكتب (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) أى بل القرآن آيات واضحات ثابتة فى قلوب الذين أعطوا العلم بالقرآن فليس بما يشك فيه لكونه محفوظا من غير أن يلتقط من كتاب بحيث لايقدر على تحريفه بخلاف غيره من الكتب فانه لايقرأ الا فى المصاحف والمعنى ان المؤمنين يقرأون القرآن بالحفظ عن قلب تلقيا منك و بعضهم من بعض وأنت تلقيته عن جبريل عن اللوح المحفوظ فلم تأخذه من كتاب بطريق تلقيه منه (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) أى المتجاوزون الحدود فى الشر من اليهود والنصارى والمشركين (وقالوا) أى الظالمون (لولا أنزل عليه آيات من ربه) أى هلا أنزل على محمد آيات مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات بالجمع والباقون بالافراد (قل انما الآيات عند الله) ينزلها أو لا ينزلها فلا تتعلق بى (وانما أنا نذير مبين) أى لست الا رسولا مخوفا لأهل المعصية بالنار بلغة تعلمونها وليس لى عليه تعالى حكم بشئ (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب) الدال على نبوتك (يتلى عليهم) فى كل زمان ومكان فهو معجزة ظاهرة باقية أتم من كل معجزة وقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل أحد بخلاف قلب العصا ثعبانا فانه لم يبق لنا منه أثر ولم يره من لم يكن فى ذلك المكان (ان فى ذلك) أى الكتاب (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أى فان الكتاب رحمة على العباد ليعلموا بها الصادق فان اظهار المعجزة على يد الصادق رحمة من الله فلو لم يظهر الكتاب لبقى الخلق فى ورطة تكذيب الصادق أو تصديق الكاذب لانه لو لم تكن هذه المعجزة لزم أن لا يتميز النبى عن المتنبئ و بهذا الكتاب يتذكر كل من يكون من المؤمنين ما بقى الزمان (قل كفى بالله بينى و بينكم شهيدا) بأنى رسوله روى أن كعب بن الأشرف وغيره قالوا يا محمد من يشهد لك أنك رسول الله ونزلت هذه الآية (يعلم ما فى السموات والارض) من الأمور التى منها شأنى وشأنكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما سوى الله (وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) لانهم ضيعوا الأدلة السمعية الموجبة للايمان (و يستعجلونك بالعذاب) على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد ونحو ذلك نزلت هذه الآية فى النضر بن الحرث حين قال فأمطر

(وكذلك) أى وكما آتيناهم الكتاب (أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) أى بمحمد يعنى من كانوا قبل عصره كانوا يؤمنون به لما يجدونه من نعته فى كتابهم (ومن هؤلاء) أى الذين هو بين ظهرانيهم (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله) أى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلنا اليك (من كتاب ولا تخطه) أى ولا تكتبه (بيمينك اذا لارتاب المبطلون) أى لشكوا فيك واتهموك لو كنت تكتب وأراد بالمبطلين كفار قريش يعنى لقالوا انه كتبه وتعلمه من كتاب (بل هو) يعنى محمدا والعلم بأنه أمى (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) من أهل الكتاب قرأوها من التوراة وحفظوها (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) كما أنزل على من كان قبله من الانبياء (قل انما الآيات عند الله) فاذا شاء أرسلها وليست بيدى (قل كفى بالله بينى و بينكم شهيدا) يشهد على صدق وعلى تكذيبكم وقوله

علينا حجارة من السماء ان كنت من الصادقين (ولولا أجل مسمى) لوقت عذابهم (لجاءهم العذاب) وقت استعجالهم (وليأتينهم بغتة) فاتيان العذاب بغتة حكمة لانه لو كان وقته معلوما عندهم لكان كل أحد يعتمد على علمه بوقته فيفجر معتمدا على التوبة قبل الموت (وهم لايشعرون) باتيانه و يظنون انه لا يأتيهم أصلا (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى يستعجلونك بالعذاب فى الدنيا والحال أن العذاب سيحيط بهم يوم يأتيهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى يوم يلحقهم العذاب من جميع جهاتهم فنار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفئ بالدوس عليها بوضع القدم (ويقول) قرأ نافع والكوفيون بالياء أى الله تعالى أو بعض ملائكته بأمره والباقون بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا قال تعالى (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) أى ان تعذرت العبادة عليكم فى بعض الارض فهاجروا ولا تتركوا عبادتى بحال وقرأ بفتح الياء ابن عامر والباقون بتسكينها (كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون) أى كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الأوطان ومفارقة الاخوان فقال لهم ان ما تكرهون لابد من وقوعه فان كل نفس ذائقة مشاق الموت والموت مفرق الأحباب فالأولى أن يكون ذلك فى سبيل الله فيجازيكم عليه فلا تخافوا من بعد الوطن أو للمنى اذا تعلقتم بى فموتكم رجوع الى وليس بموت كما قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون لايموتون بل ينقلون من دار الى دار وقرأ أبو بكر بالياء التحتية (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى الطاعات (لنبوئنهم من الجنة غرفا) أى لننزلنهم بيوتا عالية من الجنة وقرأ حمزة والكسائى لنثوينهم بالمثلثة أى لنقيمنهم فى علال من الجنة (تجرى من تحتها الانهار) أى فى موضع الانهار بساتين كبار وزروع ورياض وأزهار فيشرفون عليها من تلك العلالى (خالدين فيها) أى فى الغرف (نعم أجر العاملين) أى نعم أجر العاملين الاعمال الصالحة هذا الأجر (الذين صبروا) على شدائد المهاجرة وعلى أمر الله والمرازى (وعلى ربهم يتوكلون) أى الذين لم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى (وكأين من دابة لاتحمل رزقها) أى وكثيرا من الدواب لاتطيق حمل رزقها لضعفها ولا تدخر شيئا لساعة أخرى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت هذه الآية (الله يرزقها) أى الدابة على ضعفها وهى لاتدخر (واياكم) مع قوتكم لان رزق الكل بأسباب هو تعالى وحده المسبب لها فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة (وهو السميع العليم) فيسمع قولكم هذا ويعلم ضمائركم وحاجتكم و يسمع اذا طلبتم الرزق ويعلم مقدار حاجتكم اذا سكتم (ولئن سألتهم) أى أهل مكة (من خلق السموات والارض) على هذا النظام (وسخر الشمس والقمر) لاصلاح الأقوات ومعرفة الأوقات وغير ذلك من المنافع (ليقولن الله) اذ لا سبيل لهم الى انكار ذلك (فأنى يؤفكون) أى فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى فى الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فى الخلق والتسخير (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أى الله يوسع المال و يقتر على من يشاء فى أى وقت يوافق الحكمة فيفعل كلا من البسط والتضييق فى وقته ومحله (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم مقادير الأرزاق ومقادير الحاجات ألا ترى أن الملوك يفاوتون فى الرزق بين عمالهم بحسب مايعلمون بأحوالهم فماظنك بملك الملوك العالم بكل شئ (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها) أى يبوستها (ليقولن الله) معترفين بأنه تعالى الموجد للمكنات بأسرها ثم انهم يشركون به تعالى بعض مخلوقاته (قل الحمد لله) على أن أظهر حجتك عليهم

(وتقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أى جزاءه من العذاب (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة) نزلت فى حق من كان بمكة لايقدرون على اظهار دينهم على الهجرة (كل نفس ذائقة الموت) أينما كانت فلا تقيموا بدار الشرك وقوله (لنبوئنهم من الجنة غرفا) أى لننزلنهم منها قصورا (وكأين) وكم (من دابة لاتحمل رزقها) فتخبؤه لغد (الله يرزقها واياكم) يوما بيوم وذلك ان الذين كانوا بمكة من المؤمنين اذا قيل لهم اخرجوا الى المدينة قالوا فمن يطعمنا بها ولا مال لنا هناك فأنزل الله تعالى الله يرزقها واياكم (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله) على انزاله الماء لاحيائه الارض

(بل أكثرهم لايعقلون) شيئا من الأشياء فلذلك لايعلمون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به تعالى أخس مخلوقاته ولايعرفون فساد هذا التناقض (وما هذه الحياة الدنيا الالهو ولعب) أى ان الدنيا سريعة الزوال فالاشتغال بلذاتها كاشتغال الصبيان بلهوهم وعبثهم فانهم يجتمعون عليه ويفرحون به ساعة ثم يتفرقون عنه فالاعراض عن الحق لهو والاقبال على الباطل لعب (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى ان الحياة الثانية لهى الحياة الدائمة التى لاموت فيها (لو كانوا يعلمون) أن الحياة المعتبرة هى حياة الآخرة لما آثروا عليها الدنيا (فاذا ركبوا) أى كفار مكة (فى الفلك) فى البحر ولقوا شدة (دعوا الله مخلصين له الدين) صورة حيث لايدعون غير الله تعالى بالنجاة وألقوا الأصنام التى حملوها معهم فى البحر وقالوا يارب يارب لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم الا الله تعالى (فلما نجاهم) من البحر (الى البر اذا هم يشركون) أى عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركوا بالله الأوثان (ليكفروا بما آتيناهم) من عرض الدنيا (وليتمتعوا) أى وليتلذذوا بمتاع الدنيا وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بكسر اللام وهى اما لام العاقبة والمآل واما لام الأمر على سبيل التهديد والباقون بالتسكين فهى لام الأمر (فسوف يعلمون) فساد عملهم حين يرون العذاب (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أى ألم ينظر كفار مكة ولم يشاهدوا أنا جعلنا بلدهم مكة حرما مصونا من النهب والحال أنه يختلس من حولهم قتلا وسبيا مع كون أهل مكة قليلين قارين فى مكان غير ذى زرع أبعد ظهور الحق بالباطل خاصة من الأديان يصدقون وبنعمة الله التى أعطاهموها يكفرون والمعنى انكم يا أهل مكة فى أخوف ما كنتم دعوتم الله تعالى وفى آمن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دعاءكم فى وقت الخوف على سبيل الاخلاص لم يكن الا لقطعكم بأن النعمة من الله لاغير وقد اعترفتم بأن تلك النعمة العظيمة من الله كيف تكفرون بها وقد قطعتم فى حال الخوف انه لا أمن من الأصنام حيث ألقيتموها فى البحر كيف آمنتم بها فى حال الامن (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه) فالله تعالى لا يمكن ان يكون له شريك فمن جعل الشريك لله مستقل فى الملك كان ظالما يستحق العقاب منه فكيف اذا جعل الشريك لمن لا يمكن أن يكون له شريك ومن كذب صادقا يجوز عليه الكذب كان ظالما فكيف من كذب صادقا لايجوز عليه الكذب فاذا ليس أحد أظلم ممن يكذب على الله بالشرك ويكذب الله فى تصديقه نبيه صلى الله عليه وسلم ويكذب النبى فى رسالته ويكذب القرآن المنزل من الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى ألا يستحقون الاقامة فى جهنم وقد فعلوا افتراء على الله تعالى وتكذيبا بالحق الصريح أو يقال ألم يعلموا ان فى جهنم منزلا للكافرين حتى اجترأوا هذه الجراءة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أى والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ويقال والذين نظروا فى دلائلنا لنحصل فيهم العلم بنا (وان الله لمع المحسنين) أى لمعينهم فى القول والفعل بالتوفيق والعصمة وهذا اشارة الى درجة أعلى من الاستدلال كأن الله تعالى يقول من الناس من يكون بعيدا لايتقرب وهم الكفار ومنهم من يتقرب بالنظر والسلوك فيهديهم الله تعالى ويقربهم ومنهم من يكون الله معه ويكون قريبا منه تعالى يعلم الأشياء منه تعالى ولايعلمه من الأشياء فقوله تعالى ومن أظلم اشارة الى الأول وقوله والذين جاهدوا فينا اشارة الى الثانى وقوله وان الله لمع المحسنين اشارة الى الثالث

﴿ سورة الروم مكية وهى ستون آية . وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا ﴾

(بل أكثرهم لايعقلون) أى العقل الذى يعرفون به الحق من الباطل (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) يعنى لنفادها عن قريب (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى هى الحياة الدائمة (لو كانوا يعلمون) أنها كذلك ولكن لايعلمون (فاذا ركبوا فى الفلك) وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أى ليجحدوا بما أنعمنا عليهم من انجائهم والظاهر أن هذا لام الأمر أمر التهديد ويدل عليه قوله (وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا) يعنى أهل مكة (أنا جعلنا حرما آمنا) أى ذا أمن لايغار على أهله (ويتخطف الناس من حولهم) بالقتل والنهب والسلب (أفبالباطل يؤمنون) يعنى الأصنام (وبنعمة الله) يعنى محمدا والقرآن (يكفرون) (والذين جاهدوا فينا) أعداء الدين والكفار (لنهدينهم سبلنا) أى سبل الشهادة والمغفرة وقيل من اجتهد فى عمل الله زاده هدى على هدايته (وان الله لمع المحسنين) أى بنصره اياهم

﴿ تفسير سورة الروم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم غلبت الروم فى أدنى الأرض) أى فى أقرب أرض العرب منهم وهى أطراف الشام فالروم اسم قبيلة وسميت باسم جدها وهو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وسمى عيصو لأنه كان مع يعقوب فى بطن فعند خروجهما تزاحما وأراد كل أن يخرج قبل أخيه فقال عيصو ليعقوب ان لم أخرج قبلك خرجت من جنب أمى فتأخر يعقوب شفقة لها فلذا كان أبا الأنبياء وعيصو أبا الجبارين (وهم) أى الروم (من بعد غلبهم) أى من بعد مغلوبيتهم (سيغلبون) فارس (فى بضع سنين) وسبب نزول هذه الآية انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريار وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بخنس فالتقيا باذرعات و بصرى وهى أقرب الشام الى أرض العرب فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فنزلت هذه الآية فخرج أبو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له أبى بن خلف الجمحى كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله فقال له اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه فى أحد بعد رجوعه الى مكة ثم أقبل قيصر فى خمسمائة ألف رومى الى الفرس وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين من مناحبتهم ومات كسرى وذلك يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات تدل على علم النبى صلى الله عليه وسلم بوقت الغلبة لكن لم يأذن الله تعالى فى اظهاره لان الكفار كانوا معاندين فالمعاند يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف فى الكلام والوقت يمكن فيه الاختلاف وقرى غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون فى السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم (لله الأمر من قبل ومن بعد) أى من قبل غلبة الروم على فارس ومن بعدها فكل من كون الروم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله تعالى وقضائه (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أى ويوم اذ يغلب الروم على فارس يفرح المؤمنون بتغليب الله من له كتاب على من لا كتاب له ويفرحون بغلبتهم المشركين ببدر قال السدى فرح النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك والجار والمجرور متعلق بيفرح (ينصر من يشاء) أى ينصره من عباده على عدوه من ضعيف وقوى (وهو العزيز الرحيم) أى وهو تعالى البالغ فى الغلبة والبالغ فى الرحمة (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه أى وعدهم الله بالنصر وبالفرج وعدا (لا يخلف الله وعده) أى وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه تعالى (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) وعده تعالى بنصرهم ووعد الله لا خلف فيه (يعلمون) أى أكثرهم (ظاهرا من الحياة الدنيا) من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم ولا يعلمون باطنها وهى مضارها ومتاعبها وفناؤها (وهم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(الم غلبت الروم) أى غلبتها فارس (فى أدنى الارض) أدنى أرض الشام من أرض العرب وفارس وهى اذرعات وكسكر (وهم) أى الروم (من بعد غلبهم) أى غلبة فارس اياهم (سيغلبون) فارس (فى بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع (لله الأمر من قبل) أن تغلب الروم (ومن بعد) أى ومن بعد ما غلبت (ويومئذ) يوم تغلب الروم فارس (يفرح المؤمنون بنصر الله) الروم لانهم أهل كتاب فهم أقرب الى المؤمنين وفارس مجوس فكانوا أقرب الى المشركين فالمؤمنون يفرحون بنصر الله الروم على فارس والمشركون يحزنون لذلك (وعد الله) أى وعد ذلك وعدا (ولكن أكثر الناس) يعنى مشركى مكة (لا يعلمون) ذلك ثم بين مقدار ما يعلمون فقال (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) يعنى أمر معاشهم وذلك انهم كانوا أهل تجارة وتكسب بها

عن

عن الآخرة هم غافلون) أى وهم جاهلون بأمر الآخرة تاركون لعملها ولا يعلمون أن الدنيا مجاز الى الآخرة (أولم يتفكروا فى أنفسهم) فلو تفكروا فى أنفسهم لعلموا وحدانية الله وصدقوا بالحشر أما دلالة الانسان على الوحدانية فلأن الله خلقهم على أحسن تقويم ولنذكر من حسن خلقهم جزءا من ألف جزء وهو ان الله تعالى خلق للانسان معدة فيها غذاؤه لتقوى به أعضاؤه ولها منفذان أحدهما لدخول الطعام فيه والآخر لخروجه منه فاذا دخل الطعام فيها انطبق المنفذ الآخر بعضه على بعض بحيث لا يخرج منه ذرة وتمسكه الماسكة الى أن ينضج نضجا صالحا ثم يخرج من المنفذ الآخر وخلق تحت المعدة عروقا دقاقا صلابا كالمصفاة فينزل منها الصافى الى الكبد و ينصب الثفل الى الامعاء ويكون مع الغذاء المتوجه من المعدة الى الكبد فضل ماء مشروب ليرقق و ينذرف فى العروق الدقاق المذكورة وفى الكبد يستغنى عن ذلك الماء فيتميز عنه ذلك الماء و ينصب من جانب حدبة الكبد الى الكلية ومعه دم يسير تغتذى به الكلية وغيرها و يخرج الدم الخالص من الكبد فى عرق كبير ثم يتشعب ذلك النهر الى جداول والجداول الى سواق والسواقى الى رواضع و يصل فيها الى جميع البدن فهذه حكمة واحدة فى خلق الانسان وهذه كفاية فى معرفة كون الله فاعلا مختارا قادرا عالما ومن يكون كذلك يكون واحدا والا لكان عاجزا عند ارادة شريكه ضد ما أراده وأما دلالة الانسان على الحشر فذلك لانه اذا تفكر فى نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال وأجزاءه مائلة الى الانحلال فله فناء ضرورى فلو لم يكن له حياة أخرى لكان خلقه تعالى على هذا الوجه للفناء عبثا لان من يفعل شيئا للعبث لو بالغ فى اتقانه يضحك منه فاذا خلق الله الانسان للبقاء ولا بقاء دون اللقاء فالآخرة لا بد منها (ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى) أى ما خلقها عبثا بغير حكمة بالغة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة الدالة على وجود صانعها ووحدته وقدرته وعلمه وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها الى أن تنتهى اليه وهو وقت قيام الساعة وقوله الا بالحق اشارة الى وجه دلالتها على الوحدانية وقوله وأجل مسمى اشارة الى معاد الانسان فان مجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) أى وان كفار مكة لمنكرون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى أقعد كفار مكة فى أماكنهم ولم يسيروا فى أقطار الارض فيشاهدوا كيف كان جزاء الامم الذين كذبوا رسلهم كعاد وثمود (كانوا) أى من قبلهم (أشد منهم قوة) فى الجسم وأقدر منهم على التمتع بالحياة (وأثاروا الارض) أى قلبوها للزراعة والغرس أكثر مما حرث أهل مكة (وعمروها) بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها (أكثر مما عمروها) أى أكثر مما عمر أهل مكة كما وكيفا وزمانا (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج الظاهرات و بالمعجزات فكذبوهم فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) باهلاكه اياهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بتكذيب الرسل (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو عاقبة بالرفع على أنها اسم كان والسوأى خبرها وهى جهنم أى ثم كان آخر أمر الذين عملوا السيئات نار جهنم وقرأ الباقون بنصب عاقبة على أنها خبر كان واسمها السوأى تأنيث الاسوأ أو أن كذبوا أى ثم كان تكذيبهم واستهزاؤهم آخر أمر الذين أشركوا بالله وعملوا الفعلة السوأى وهى اسم النار كما تقدم (أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) بدل من السوأى وقيل كذبوا الخ تفسير لأساءوا (الله يبدؤ الخلق) أى ينشئهم من النطفة (ثم يعيده) بعد الموت بالبعث (ثم اليه ترجعون) الى موقف الحساب والجزاء وقرأ أبو عمرو وشعبة بالياء على الغيبة والباقون على الخطاب للمبالغة فى الترهيب (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) أى وقت رجعهم

(أولم يتفكروا فى أنفسهم) فيعلموا (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) أى للحق وهى الدلالة على توحيده وقدرته (وأجل مسمى) أى مؤقت معلوم عنده يعنى القيامة وقوله (وأثاروا الارض) أى قلبوها للزراعة (وعمروها أكثر مما عمروها) يعنى ان الذين أهلكوا من الامم الخالية كانوا أكثر حرثا وعمارة من أهل مكة (ثم كان عاقبة الذين أساءوا) أى أشركوا (السوأى) أى النار (أن كذبوا بآيات الله) أى بأن كذبوا وقوله (يبلس المجرمون) أى يسكتون لانقطاع حجتهم ويأسهم من الرحمة

اليه تعالى يسكت المشركون متحيرين و ييأسون من كل خير (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه (وكانوا بشركائهم كافرين) أى وكان عبدة الأصنام بآلهتهم متبرئين منهم يقولون والله ربنا ما كنا مشركين (ويوم تقوم الساعة يومئذ) بعد تمام الحساب (يتفرقون) أى جميع الخلق فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون) أى فهم فى جنة يسرون بكل مسرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم أعرابى فقال يارسول الله هل فى الجنة من سماع قال صلى الله عليه وسلم يا أعرابى ان فى الجنة نهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة وروى أن فى الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) بالبعث بعد الموت (فأولئك فى العذاب محضرون) أى لاغيبة لهم عن العذاب ولا فتور له عنهم أما من يؤمن و يعمل السيئات فليس دائم الحضور فى العذاب وليس من المحبورين غاية الحبور فى رياض بل له منزلة بين المنزلتين (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) أى نزهوه تعالى عن صفات النقص وصفوه بصفات الكمال فى هذه الاوقات واحمدوه وانما خص بعض الأوقات بالأمر بالتسبيح لان الانسان لا يمكنه أن يصرف جميع أوقاته الى التسبيح لكونه محتاجا الى تحصيل مأكول ومشروب وملبوس ومركوب وكما أن العبد ينزه الله فى أول النهار وآخره ووسطه فان الله يطهره فى أوله وهو دنياه وفى آخره وهو عقباه وفى وسطه وهو حالة كونه فى قبره وقوله تعالى وله الحمد فى السموات والارض كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه لطيفة وهو أن الله تعالى لما أمر العباد بالتسبيح كأنه بين لهم أن تسبيحهم الله لنفعهم لا لنفع يعود على الله فعليهم أن يحمدوا الله اذا سبحوه ثم ان التنزيه المأمور به يشمل التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم واللسان وهو الذكر الحسن و بالأركان وهو العمل الصالح فالانسان اذا اعتقد شيئا ظهر من قلبه على لسانه واذا قال ظهر صدقه فى مقاله من أحواله وأفعاله واللسان ترجمان الجنان والاركان برهان اللسان لكن الصلاة أفضل أعمال الاركان وهى مشتملة على الذكر باللسان والقصد بالجنان وهو تنزيه فى التحقيق فيجب حمل التسبيح على كل ما هو تنزيه فيكون هذا أيضا أمرا بالصلاح (يخرج الحى من الميت) كالانسان من نطفة والطير من البيضة (ويخرج الميت من الحى) أى يخرج النطفة والبيضة من الحيوان وقال بعضهم يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن و يقال يخرج اليقظان من النائم والنائم من اليقظان فاحياء الميت عنده تعالى كتنبيه النائم واماتة الحى كتنويم المتنبه (ويحيي الارض) بالنبات (بعد موتها) أى بعد يبوستها (وكذلك) أى ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء وضم الراء (ومن آياته) الدالة على أنكم تبعثون (أن خلقكم من تراب) فانا خلقناكم من نطفة وهى من الغذاء وهو من النبات وهو من التراب (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) أى ثم بعد أطوار كثيرة فاجأتم وقت كونكم بشرا تتمتعون على وجه الأرض (ومن آياته) الدالة على البعث والجزاء (أن خلق لكم) أى لأجلكم (من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) أى اناثا (لتسكنوا اليها) أى لتميلوا اليها وتطمئنوا بها (وجعل بينكم) أى بين المرأة والزوج (مودة) أى محبة (ورحمة) أى شفقة و يقال مودة الصغير على الكبير ورحمة الكبير على الصغير (ان فى ذلك) أى فى خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من جنسهم والقاء المودة والرحمة بينهم

(ولم يكن لهم من شركائهم) اى أوثانهم التى عبدوها رجاء الشفاعة (شفعاء وكانوا بعبادتهم كافرين) أى قالوا ما عبدتمونا وقوله (يومئذ يتفرقون) يعنى المؤمنين والكافرين ثم بين كيف ذلك التفرق فقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون) أى يسرون و يستمتعون فى الجنة (فسبحان الله) أى صلوا لله (حين تمسون) يعنى صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) يعنى صلاة الصبح (وعشيا) يعنى صلاة العصر (وحين تظهرون) يعنى الظهر (ومن آياته أن خلقكم من تراب) يعنى آباكم آدم (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) يعنى ذريته ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) يعنى الالفة بين الزوجين

(لآيات لقوم يتفكرون) فيما خلق الله (ومن آياته) الدالة على أمر البعث (خلق السموات والأرض) من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم العربية والفارسية وغير ذلك والأصح أنه اختلاف كلامكم فان الأخوين اذا تكلما بلغة واحدة يعرف أحدهما من الآخر (وألوانكم) ببياض الجلد وسواده وتوسطه (ان فى ذلك) أى فى خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان (لآيات للعالمين) وقرأ حفص وحده بكسر اللام أى لآيات عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها للمتصفين بالعلم والباقون بفتح اللام أى فى ذلك دلالة على كمال وضوح الآيات على أحد من الخلق كافة (ومن آياته) الدالة على القدرة والعلم (منامكم بالليل والنهار) فالنوم بالنهار مما تعده العرب نعمة من الله ولاسيما فى أوقات القيلولة فى البلاد الحارة (وابتغاؤكم من فضله) فيهما وهذا اشارة الى أن العبد ينبغى أن لا يرى الرزق من كسبه وبحذقه بل يرى كل ذلك من فضل ربه (ان فى ذلك) أى فى الليل والنهار (لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم حيث يستدلون بذلك على شئونه تعالى (ومن آياته يريكم البرق) أى ومن آياته الدالة على عظيم قدرته تعالى اراءته كم البرق (خوفا) للمسافر من المطر أن يبل ثيابه (وطمعا) للمقيم فى المطر أن يسقى حروثه (وينزل من السماء ماء) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (فيحيى به) أى بذلك الماء (الأرض) بالنبات (بعد موتها) أى بعد يبوستها (ان فى ذلك) أى المطر (لآيات لقوم يعقلون) أى الدلالات على الفاعل المختار لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) أى ومن آياته الدالة على القدرة استمرار السماء والأرض على ما هما عليه بارادته تعالى له (ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون) أى ثم اذا دعاكم الله على لسان اسرافيل بعد انقضاء الأجل من الأرض وأنتم فى قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجابتم الخروج منها وقوله من الأرض متعلق بدعاكم (وله) خاصة (من فى السموات والأرض) من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا (كل له قانتون) أى منقادون لفعله (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد موتهم (وهو أهون عليه) بالقياس على قوانينكم من أن الاعادة للشئ أهون من ابتدائه والا فالأفعال كلها بالنسبة الى قدرته تعالى متساوية فى السهولة (وله المثل الأعلى) أى وله تعالى الوصف الأعلى الذى ليس لغيره ما يدانيه (فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) أى وهو كامل القدرة على الممكنات شامل العلم بجميع الموجودات فيجرى الأفعال على سنن الحكمة (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أى بين الله لكم يا معشر الكفار مثلا مأخوذا من أحوال أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) أى هل شركاء فيما رزقناكم من الأموال كائنون بالنوع الذى ملكت أيمانكم (فأنتم فيه سواء) أى فأنتم وعبيدكم فيما رزقناكم مستوون فى التصرف (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أى تخافون أن تنفردوا بالتصرف فيه بدون رأيهم خيفة كائنة مثل خيفتكم من الأحرار المشاركين لكم فيما ذكر أى أنتم لا ترضون بأن يشارككم مماليككم وهم أمثالكم فى البشرية فكيف تشركون به تعالى فى المعبودية مخلوقه تعالى (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) أى نبينها بالدلائل القطعية والأمثلة والحكايات الاقناعية (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى تدبر الامور (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) أى لا يجوز أن يشرك بالمالك مملوكه ولكن الذين أشركوا اتبعوا أهواءهم الزائغة من غير علم وأثبتوا شركاء من غير دليل

(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أى الليل لتناموا فيه والنهار لتبتغوا فيه من فضله (ومن آياته يريكم البرق خوفا) للمسافرين (وطمعا) للحاضرين وقوله (ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون) من الأرض هكذا تقدير الآية على التقديم والتأخير وقوله (كل له قانتون) أى مطيعون لا طاعة العبادة ولكن طاعة الارادة وخلقهم على ما أراد فكانوا على ما أراد لا يقدر أحد أن يتغير عما خلق عليه وقوله (وهو أهون عليه) أى هين عليه وقيل أهون عليه عندكم وفيما بينكم لأن الاعادة عندنا أيسر من الابتداء (وله المثل الأعلى) أى الصفة العليا وهو أنه لا اله الا هو ولا رب غيره (ضرب لكم مثلا) أى بين لكم شبها فى اتخاذكم الاصنام شركاء مع الله (من أنفسكم) ثم بين ذلك فقال (هل لكم مما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (من شركاء فيما رزقناكم) من المال والولد أى هل يشاركونكم فيما أعطاكم الله حتى تكونوا أنتم وهم فيه سواء (تخافونهم) أن يرثوكم كما يخاف بعضكم بعضا أن يرثه ماله والمعنى كما لا يكون هذا فكيف يكون ما هو مخلوق لله مثله حتى يعبد كعبادته فلما ألزمتهم الحجة بهذا ذكر أنهم انما يعبدون باتباع الهوى فقال (بل اتبع الذين ظلموا) فى عبادة الأصنام (أهواءهم

(فمن يهدى من أضل الله) أى لايقدر أحد على هداية من خلق الله فيه الضلال (ومالهم) أى لمن أضله الله تعالى (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال (فأقم وجهك للدين) أى أقبل بكلك على الدين غير ملتفت يميناوشمالا (حنيفا) أى مائلا عن كل ماعدا الدين (فطرت الله التى فطر الناس عليها) أى الزم دين الله وهو التوحيد فان الله خلق الناس عليه فى بطون أمهاتهم وحيث أخذهم الله من ظهر آدم وسألهم ألست بربكم فقالوا بلى (لاتبديل لخلق الله) أى لاتبدلوا دين الله كما قاله مجاهد وابراهيم وقيل أى لاتغير للوحدانية حتى ان سألتهم من خلق السموات والأرض يقولون الله لكن الايمان الفطرى غير كاف (ذلك) أى لزوم دين الله (الدين القيم) أى الحق الذى لاعوج فيه (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لايعلمون) أن ذلك هو الدين الحق فيصدون عنه صدودا (منيبين اليه) أى أقيموا وجوهكم للدين مقبلين عليه (واتقوه) من مخالفة أمره بل داوموا على العبادة (وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين) أى ولاتشركوا بعد الايمان وههنا وجه آخر وهو ان الله أثبت التوحيد الذى هو مخرج عن الاشراك الظاهر بقوله تعالى منيبين اليه وأراد الله اخراج العبد عن الشرك الخفى بقوله تعالى ولاتكونوا من المشركين أى لاتقصدوا بعملكم الاوجه الله ولاتطلبوا به الارضا الله ثم أبدل الله قوله من المشركين قوله تعالى (من الذين فرقوا دينهم) أى اختلفوا فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بألف أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وكانوا شيعا) أى وصاروا فرقا فيما يعبدونه (كل حزب بما لديهم فرحون) أى كل أهل دين مسرورون بما عندهم من الدين يظنون انه حق (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه) أى واذا أصاب كفار مكة شدة دعوا ربهم برفع الشدة مقبلين اليه بالدعاء (ثم اذا أذاقهم منه) أى من الضر (رحمة) أى خلاصا (اذا فريق منهم) أى الكفار (بربهم يشركون) و يقول تخلصت بسبب اتصال الكوكب الفلانى بفلان و بسبب الصنم الفلانى (ليكفروا بما آتيناهم) فاللام للعاقبة (فتمتعوا) ياأهل مكة (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على أن تمتعوا فعل ماض وقرئ وليتمتعوا (أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أى هل أنزلنا على أهل مكة كتابا فذلك الكتاب يدل على الأمر الذى بسببه يشركون فأم بمعنى الهمزة فقط عند الكوفيين و بمعنى بل والهمزة عند البصريين كما هو شأن أم المنقطعة (واذا أذقنا الناس رحمة) من صحة وسعة (فرحوا بها) بطرا لاشكرا فان قيل لك الفرح بالرحمة مأمور به فى قوله تعالى قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم الله على الفرح بالرحمة فكيف ذلك قلت هناك فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله تعالى وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم بما اذا كان من الله وهو كما أن الملك لو حط عند أمير رغيفا على السماط أو أمر غلمانه بأن يحطوه عنده ففرح ذلك الأمير به ولو أعطى الملك فقيرا غير ملتفت اليه رغيفا فرح به ففرح الأمير بكون ذلك الرغيف من الملك وفرح الفقير بكون ذلك رغيفا (وان تصبهم سيئة) أى شدة وضيق (بما قدمت أيديهم) أى بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) أى ييأسون من رحمة الله غير صابرين بها وقرأ أبو عمرو والكسائى بكسر النون (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء امتحانا هل يشكر أم يكفر و يضيقه لمن يشاء اختبارا هل يصبر أم يجزع (ان فى ذلك) أى التوسيع والتضييق (لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) من الصلة والصدقة وسائر المبرات (والمسكين) سواء كان ذا قرابة أم لا (وابن السبيل) أى المسافر من صدقة التطوع (ذلك) أى المذكور من الصلة والعطية والاكرام (خير) أى

فأقم وجهك للدين حنيفا) أى أقبل عليه ولا تعرض عنه (فطرت الله) أى اتبع فطرة الله يعنى خلقة الله (التى فطر الناس عليها) وذلك أن كل مولود يولد على مافطره الله عليه من أنه لارب له غيره كما أقر به لما أخرج من ظهر آدم (لاتبديل لخلق الله) أى لم يبدل الله دينه فدينه انه لارب غيره (ذلك الدين القيم) أى المستقيم (منيبين اليه) أى راجعين الى ما أمر به وهو حال من قوله فأقم وجهك والمعنى فأقيموا وجوهكم لان أمره أمر لامته وقوله (من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا) مفسر فى سورة الأنعام (كل حزب) جماعة من الذين فارقوا دينهم (بما لديهم فرحون) أى يظنون أنهم على الهدى ثم ذكر أنهم مع شركهم لايلتجئون فى الشدائد الى الأصنام فقال (واذا مس الناس ضر) الآية وقوله (ليكفروا بما آتيناهم) مفسر فى سورة العنكبوت (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أى كتابا (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أى ينطق بعذرهم فى الاشراك (واذا أذقنا الناس) هذا من صفة الكافر يبطر عند النعمة و يقنط عند الشدة لايشكر فى الأولى ولا يحتسب فى الثانية

ثواب في الآخرة (للذين يريدون وجه الله) أي يقصدون بمعروفهم جهة التقرب اليه تعالى لا جهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) أي الناجون من السخط (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله) أي وما أعطيتم من عطية خالية من العوض ليزيد في أموال الناس بأن تعطوا شيئا وتطلبوا ما هو أفضل منه فليس لكم فيه أجر وليس عليكم فيه اثم وقرأ نافع لتربوا بتاء الخطاب وسكون الواو أي لتصيروا ذوي زيادة وقرأ ابن كثير وما أتيتم بقصر الهمزة أي وما جئتم به من اعطاء عطية واختلف العلماء فيمن وهب هبة يطلب عوضها وقال انما أردت العوض فان كان مثله ممن يطلب العوض من الموهوب له فله ذلك عند مالك رضي الله عنه وذلك كهبة الفقير للغني وهبة الخادم لصاحبه وهبة الشخص لمن فوقه ولأميره وقال أبو حنيفة لا يكون له عوض اذا لم يشترط وهذان القولان جاريان للشافعي رضي الله عنهم (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أي وما أعطيتم من صدقة تطوع الى المساكين تبتغون وجهه تعالى فأولئك هم الذين أضعفت صدقاتهم في الآخرة بكثرة الثواب وبحفظ أموالهم في الدنيا وبالبركة لها (الله الذي خلقكم) نسما في بطون أمهاتكم ثم أخرجكم وفيكم الروح (ثم رزقكم) الى الموت (ثم يميتكم) عند انقضاء مدتكم (ثم يحييكم) للبعث بعد الموت (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء) أي هل من آلهتكم يا أهل مكة من يقدر أن يفعل من ذلك شيئا (سبحانه وتعالى عما يشركون) أي لا تصفوه تعالى بالاشراك وقرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) أي تبين الفساد في البر والبحر كالجدب وكثرة الحرق والغرق وموت دواب البر والبحر وقلة اللؤلؤ بسبب كسب الناس المعاصي قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الأسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوانات بعضها بعضا (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي بعض جزاء الذي عملوا فان تمامه في الآخرة وقرأ قنبل لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما كانوا عليه (قل) يا محمد لأهل مكة (سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) كقوم نوح وعاد وثمود لتشاهدوا آثارهم (كان أكثرهم مشركين) وكان بعض الهلاك بغير الشرك كالفسق ومخالفة الأمر (فأقم وجهك للدين القيم) قال الزجاج أي أقم صدرك واجعل وجهك اتباع دين الاسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) متعلق بيأتي أو بمرد أي لا يقدر أحد على رده من الله تعالى ولا يرده الله تعالى لتعلق ارادته تعالى بمجيئه (يومئذ يصدعون) أي يوم اذ يأتي ذلك اليوم يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير (من كفر فعليه كفره) أي من كفر بالله فعليه عقوبة كفره وهو خلوده في النار (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أي ومن عمل صالحا في الايمان فيفرشون منازلهم في الجنة (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) والجار والمجرور متعلق بيمهدون أو بيصدعون أي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي الله كلا منهما بحسب أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) أي يعاقبهم (ومن آياته) الدالة على وحدانيته تعالى وقدرته (أن يرسل الرياح مبشرات) خلقه بالمطر وبصلاح الأهوية والأحوال فان الرياح لو لم تهب لظهر الوباء والفساد فرياح الرحمة هي الشمال والصبا والجنوب وأما الدبور فهي ريح العذاب (وليذيقكم من رحمته) وهي المنافع التابعة للرياح (ولتجري الفلك) أي السفن بسوقها (بأمره) أي بمشيئته في البحر (ولتبتغوا من فضله) بتجارة البحر (ولعلكم تشكرون) نعمة الله فيه اذكر (ولقد أرسلنا من قبلك) يا أكرم الرسل (رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات) أي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت

(وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس) يعني ما يعطونه من الهدية ليأخذوا بها أكثر منها وهو من الربا الحلال (فلا يربو عند الله) لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله تعالى وقوله (فأولئك هم المضعفون) أي أصحاب الاضعاف يضاعف لهم بالواحد عشر (ظهر الفساد) أي القحط وذهاب البركة (في البر) أي القفار (والبحر) أي القرى والريف (بما كسبت أيدي الناس) يعني بشؤم ذنوبهم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي كان ذلك ليذاقوا الشدة بذنوبهم في العاجل (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم) القيامة فلا ينفع نفسا ايمانها (يومئذ يصدعون) أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره وعذابه (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أي يفرشون ويسوون المضاجع والمثوى لأنفسهم يبغون الخير (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) أي نعمته بالمطر يرسلها (ولتجري الفلك بأمره) وذلك أنها تجري بالرياح (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة في البحر وقوله

(فانتقمنا من الذين أجرموا) أى عاقبنا الذين أشركوا (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فى العاقبة على من عاداك (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) أى تزعجها وتخرجها من أماكنها (فيبسطه) الله (فى السماء كيف يشاء و يجعله كسفا) أى قطعا يريد أنه مرة يبسطه ومرة يقطعه (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) أى وسطه وشقوقه (فاذا أصاب به) أى بالودق (من يشاء من عباده اذاهم يستبشرون) أى يفرحون (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) كرر قيل للتأكيد (لمبلسين) أى آيسين (فانظر الى آثار رحمة الله) يعنى آثار المطر الذى هو رحمة الله (كيف يحيي الارض) أى يجعلها تنبت (بعد موتها ان ذلك) الذى فعل ذلك وهو الله عز وجل (لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا) أى رأوا النبت قد اصفر وجف (لظلوا من بعده يكفرون) يريد أن الكفار يستبشرون بالغيث فاذا جف النبت ولم يحتاجوا الى الغيث ظلوا يكفرون بنعمة الله فلم يؤمنوا ولم يشكروا انعامه بالمطر (فانك لاتسمع الموتى) مضت الآية فى سورة الأنبياء والآية التى بعدها فى سورة النمل (الله الذى خلقكم من ضعف) أى من نطفة الآية (ويوم تقوم الساعة يقسم) أى يحلف (المجرمون) أى الكافرون (مالبثوا) أى فى قبورهم (غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون) أى يكذبون فى هذا الوقت كما كانوا يكذبون فى الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم والايمان)

قومك ببيناتك فكذبوهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) أى أهلكنا الذين كذبوهم (وكان حقا) أى واجبا (علينا نصر المؤمنين) أى وكان الانتقام حقا فلم يكن ظلما ثم استأنف الله بقوله تعالى علينا نصر المؤمنين وهذا بشارة لمن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم و يقال نصر المؤمنين كان واجبا علينا وهذا تأكيد البشارة لان كلة على تفيد معنى اللزوم فاذا قال حقا أكد ذلك المعنى والنصر هو الغلبة التى لاتكون عاقبتها وخيمة والكافر ان هزم المسلم فى بعض الأوقات لا يكون ذلك نصرة اذلا عاقبة له (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) أى فترفع سحابا ثقالا بالمطر (فيبسطه فى السماء كيف يشاء) أى فينشر الله السحاب كمال الانتشار متصلا بعضه ببعض تارة فى جو السماء كيف يشاء سائرا وواقفا ومطبقا وغير مطبق (ويجعله كسفا) أى ويجعل الله السحاب قطعا تارة أخرى (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من خلال السحاب (فاذا أصاب) أى الله (به) أى بالودق (من يشاء من عباده) أى أراضيهم (اذاهم يستبشرون) أى يفرحون بمجىء الخصب (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) أى وان الشأن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبل الاستبشار لآيسين من المطر (فانظر الى آثار رحمة الله) من النبات والأشجار والثمار فالرحمة هى المطر وأثرها هو النبات وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص آثار بالألف والباقون بغير ألف (كيف يحيي الارض بعد موتها) أى فانظر الى احياء الله تعالى للأرض باخراج النبات بعد يبوستها (ان ذلك) أى الذى يحيي الارض (لمحيي الموتى) أى لقادر على احيائهم (وهو على كل شئ قدير) أى مبالغ فى القدرة على جميع الأشياء (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون) أى و بالله لئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوا الزرع مصفرا بعد خضرته لصاروا من بعد صفرته يكفرون بنعمته تعالى السالفة (فانك) يا أشرف الخلق (لاتسمع الموتى) أى لاتجزع ولاتحزن على عدم ايمانهم فانهم موتى صم عمى ومن كان كذلك لايهتدى (ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أى اذا أعرضوا مدبرين عن الحق (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) أى ليس شغلك هداية العميان الى الحق وقرأ حمزة تهدى بتاء الخطاب الداخل فى المضارع ونصب العمى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) أى ماتسمع دعوتك الا من يؤمن بكتابنا فان ايمانهم يدعوهم الى قبوله (فهم مسلمون) أى مطيعون (الله الذى خلقكم من ضعف) أى من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف) أى من بعد كونه جنينا وطفلا مولودا ورضيعا ومفطوما (قوة) أى حالة البلوغ والشباب (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) الكهولة (وشيبة) وهو بياض الشعر الأسود (يخلق مايشاء) أى فان ذلك الضعف والقوة والشباب والشيبة ليس طبعا بل هو بمشيئة الله تعالى (وهو العليم القدير) فالترديد فى الأطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) أى توجد القيامة (يقسم المجرمون) أى يحلف الكافرون بالله (مالبثوا) فى القبور (غير ساعة) أى غير قدر ساعة (كذلك) أى مثل ذلك الصرف (كانوا يؤفكون) أى يصرفون من الحق الى الباطل ومن الصدق الى الكذب (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) من الملائكة والانس

والانس (لقد لبثتم) في القبور (في كتاب الله) أي بحسب ما علمه الله وقدره (الى يوم البعث) من القبور (فهذا يوم البعث) الذي كنتم توعدون في الدنيا والذي أنكرتموه (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق ولا تقرون بوقوعه فتستعجلون به استهزاء وتطلبون الآن تأخير الساعة فصار مصيركم الى النار (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) وقرأ الكوفيون لا ينفع بالياء التحتية أي فيوم القيامة لا ينفع الذين أشركوا اعتذارهم في انكارهم له (ولاهم يستعتبون) أي لا يطلب منهم ازالة العتب من التوبة كما طلبت منهم في الدنيا لانها لا تقبل منهم (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي و بالله لقد بينا لهم في هذا القرآن كل حال وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كأنها في غرابتها مثل (ولئن جئتهم) يا أشرف الخلق (بآية) من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك (ليقولن الذين كفروا) من أهل مكة (ان أنتم الا مبطلون) أي ما أنتم يا معشر المؤمنين الا كاذبون و يقال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل يقولون أنتم كلكم أيها المدعون للرسالة مزورون (كذلك) أي مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي لا يطلبون العلم ولا يقصدون الحق (فاصبر) على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والأفعال السيئة (ان وعد الله حق) وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) أي لا يحملنك على الخفة وترك الصبر الذين لا يصدقون بالآيات وهذا اشارة الى وجوب مداومة النبي صلى الله عليه وسلم على الدعاء الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافر انه منقلب الرأي لا ثبات له والله أعلم بالصواب

﴿سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) قيل قسم أقسم الله به (تلك آيات الكتاب الحكيم) أي هذه السورة آيات القرآن ذي الحكمة (هدى ورحمة) بالنصب على الحالية من الآيات و بالرفع على قراءة حمزة خبران آخران لاسم الاشارة (للمحسنين) أي العاملين الحسنات (الذين يقيمون الصلاة) أي يتقنون جميع ما أمروا به فيها (و يؤتون الزكاة) كلها (وهم بالآخرة هم يوقنون) أي وهم يصدقون بالبعث بعد الموت فالصلاة ترك التشبه بالسيد فالله تعالى تجب له العبادة ولا تجوز عليه العبادة والزكاة تشبه بالسيد فانها دفع حاجة الغير والله دافع الحاجات والتشبه لازم على العبد في أمور كما أن ترك التشبه لازم على العبد في أمور فلا يجلس العبد عند جلوس السيد ولا يتكئ عند اتكائه وعبد العالم لا يتلبس بلباس الاجناد وعبد الجندي لا يتلبس بلباس الزهاد و بهما تتم العبودية (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) أي الناجون من كل مهروب والفائزون بكل مطلوب (ومن الناس) وهو النضر بن الحرث (من يشتري لهو الحديث) أي أباطيل الحديث (ليضل) بذلك (عن سبيل الله) أي على دينه الحق الموصل اليه تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء أي ليستمر على ضلاله عن قراءة كتاب الله تعالى الهادي اليه (بغير علم) أي يشتري بغير علم بحال ما يشتريه (و يتخذها هزوا) وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنصب عطفا على يضل والباقون بالرفع عطفا على يشتري والضمير البارز للسبيل وهو دين الاسلام أو القرآن (أولئك) أي من يشتري ذلك (لهم عذاب مهين) أي ذو اهانة لاهانتهم الحق (واذا تتلى عليه) أي المشتري (آياتنا) أي التي هي آيات الكتاب الحكيم (ولى مستكبرا) أي أعرض عنها مبالغا في التكبر عن الايمان بها (كأن لم يسمعها) أي كأنه لم يسمع الآيات (كأن في أذنيه وقرا) أي مشبها حاله حالا من في أذنيه ثقل مانع من السماع (فبشره بعذاب أليم) أي فاعلمه يا أشرف الخلق بأن العذاب

لقد لبثتم في كتاب الله) أي فيما بين في كتابه وهو اللوح المحفوظ (الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أي انه يكون وقوله (ولاهم يستعتبون) أي لا يطلب منهم أن يرجعوا الى ما يرضى الله (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي بينا لهم الامثال للاعتبار (ولئن جئتهم بآية) لهم فيها بيان واعتبار (ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون) أي ما أنتم الا أصحاب الاباطيل (كذلك) أي كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي أدلة التوحيد (فاصبر ان وعد الله) في نصرك وتمكينك (حق ولا يستخفنك) أي يستفزنك عن دينك (الذين لا يوقنون) أي الضلال الشاكون

﴿تفسير سورة لقمان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذه السورة مفسرة فيما مضى الى قوله (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) يعني النضر بن الحارث كان يخرج تاجرا الى فارس فيشتري أخبار الاعاجم ثم يأتي فيقرؤها في أندية قريش فيستملحونها و يتركون استماع القرآن وقوله (و يتخذها هزوا) أي يتخذ آيات الكتاب هزوا وقوله

للفرط فى الايلام لاحق به لامحالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) أى نعيم
جنات فلهم خبران وجنات مرفوع على الفاعلية (خالدين فيها) حال من جنات النعيم أو من ضمير
لهم (وعد الله حقا) أى وعدهم الله جنات النعيم وعدا وحق ذلك حقا فهما مصدران مؤكدان الاول
لنفسه والثانى لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد
بالوعد وأما حقا فدل على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم (وهو
العزيز) الذى لايغلبه شئ (الحكيم) الذى لايفعل الا ماتقتضيه الحكمة (خلق السموات بغير
عمد) أى بغير دعائم (ترونها) فهذا اما راجع للسموات وهو استئناف جئ به للاستشهاد على خلقه
تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أى ليست هى بعمد وأنتم ترونها كذلك واما راجع
للعمد وهو صفتها أى بغير عمد مرئية وان كان هناك عمد غير مرئية فهى قدرة الله وارادته (وألقى فى
الأرض رواسى) أى جبالا ثوابت قال ابن عباس هى الجبال الشامخات من أوتاد الأرض وهى سبعة
عشر جبلا منها قاف وأبو قبيس والجودى ولبنان وطور سينين وثبير وطور سيناء أخرجه ابن جرير
(أن تميد بكم) أى كراهة أن تميل الارض بكم (وبث فيها من كل دابة) أى فرق الله فى الارض من كل
نوع من أنواع ذى روح (وأنزلنا من السماء ماء) وهو المطر (فأنبتنا فيها) أى فى الارض بسبب
ذلك الماء (من كل زوج كريم) أى من كل جنس حسن فتحت كل جنس نوعان لان النبات اما
شجر أو غير شجر فالشجر اما مثمر أو غير مثمر (هذا) أى الاشياء المعدودة (خلق الله) أى مخلوقه
(فأرونى) أى فأخبرونى يا أهل مكة (ماذا خلق الذين من دونه) أى من غير الله مما تعبدونه فكيف
تتركون عبادة الخالق وتشتغلون بعبادة المخلوق (بل الظالمون فى ضلال مبين) أى بل المشركون فى
خطأ بين وأنتم يا أهل مكة منهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو توفيق العمل بالعلم فكل من أوتى
توفيق العمل بالعلم فقد أوتى الحكمة فمن تعلم شيئا ولا يعلم مصالحه ومفاسده لايسمى حكيما وانما يكون
مبخوتا ألا ترى أن من يلقى نفسه من مكان عال ووقع على موضع فانخسف به وظهر له كنز وسلم لايقال
انه حكيم لعدم علمه به أولا بل هو يعلم أن الالقاء فيه اهلاك النفس والانسان اذا علم أمرين أحدهما
أهم من الآخر فان اشتغل بالاهم كان عمله موافقا لعلمه وكان حكمة وان أهمل الاهم كان مخالفا للعلم
ولم يكن من الحكمة فى شئ قيل ولقمان هو ابن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه السلام
وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتى قبل مبعثه وروى انه كان نائما فى نصف
النهار فنودى يالقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الارض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت
فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة فانى أعلم ان الله تعالى
ان فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت وهو لايراهم يالقمان هل لك فى الحكمة قال
فان الحاكم يغشاه الظلوم من كل مكان ان عدل نجا وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن
فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت
الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها (أن اشكر لله) فأن
مفسرة فان ايتاء الحكمة فى معنى القول فان شكر الله تعالى أهم الأشياء (ومن يشكر فانما يشكر
لنفسه) أى ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته مقصورة عليها (ومن كفر فان الله
غنى حميد) أى ومن كفر النعمة فالله غير محتاج الى شكره حتى يتضرر بكفران الكافر وهو تعالى فى
نفسه محمود سواء شكره الناس أو لم يشكروه (واذ قال لقمان لابنه) ثاران وقيل أنعم وقيل مشكم
(وهو يعظه) ويبدأ فى الوعظ بالاهم (يابنى) تصغير محبة وقرأ حفص بفتح الياء وسكنها ابن كثير

(ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر) أى وقلنا له أن اشكر (لله) وقوله

وكسرها الباقون (لا تشرك بالله) قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على تشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) لان الشرك وضع النفس الشريف ولأنه وضع العبادة في غير موضعها (ووصينا الانسان بوالديه) أي أمرناه بالبر بهما (حملته أمه وهنا على وهن) أي حملته أمه في بطنها تضعف ضعفا فوق ضعف كلما كبر الولد في بطنها كان أشد عليها (وفصاله في عامين) أي وفطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي ومدة الرضاع عند أبي حنيفة ثلاثون شهرا (أن اشكر لي) بالطاعة (ولوالديك) بالتربية لانهما سبب لوجودك قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين (الي المصير) أي الي الرجوع فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) أي ان خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله أما اذا أفضى اليه فلا تطعهما (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة (واتبع سبيل من أناب الي) بالتوحيد والاخلاص في الطاعة وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل هو أبو بكر الصديق وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام بارشاد أبي بكر رضي الله عنه (ثم الي مرجعكم) أي مرجعك أيها الانسان ومرجع والديك ومرجع من أناب (فأنبئكم) عند رجوعكم (بما كنتم تعملون) بأن أجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر (يا بني) روى أن ابن لقمان قال يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال يا بني (انها ان تك مثقال حبة من خردل) أي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرأ نافع مثقال بالرفع وكان تامة وضمير انها القصة أي ان الشأن أن يوجد وزن حبة الخردل (فتكن) أي تلك الخصلة (في صخرة) تحت الارضين وهي التي عليها الثور وهي لا في الارض ولا في السماء (أو في السموات أو في الارض يأت بها الله) أي يحضرها ويحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفي (خبير) بكنهه (يا بني أقم الصلاة) بجميع حدودها (وأمر بالمعروف) أي بالاحسان (وانه عن المنكر) أي القبيح من القول والعمل (واصبر على ما أصابك) من الشدائد والمحن لاسيما بسبب الامر والنهي (ان ذلك) أي الصبر أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (من عزم الأمور) أي من الأمور الواجبة المقطوعة فلم يرخص في تركه (ولا تصعر خدك للناس) أي لا تعرض بوجهك من الناس تكبرا ويقال لا تحتقر فقراء المسلمين (ولا تمش في الارض مرحا) أي اختيالا (ان الله لا يحب كل مختال فخور) فالمختال من يكون به خيلاء وهو الذي يرى الناس عظمة نفسه وهو التكبر والفخور من يكون مفتخرا بنفسه وهو الذي يرى عظمة لنفسه في عينه (واقصد في مشيك) أي توسط في المشي بين الدبيب والاسراع (واغضض من صوتك) أي وانقص منه وهذا اشارة الى التوسط في الأقوال (ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) أي ان أقبح أصوات الحيوانات صوت الحمير أوله صوت قوي وآخره صوت ضعيف (ألم تروا) أي ألم تعلموا أيها المشركون (أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض) أي ان الله جعل لاجلكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر وما في الارض من الشجر والدواب منقادا لامر فان الكائنات مسخرة

(حملته أمه وهنا على وهن) أي لزمها لحملها اياه ان تضعف مرة بعد مرة (وفصاله) أي وفطامه (في عامين) لانها ترضع الولد عامين (أن اشكر لي ولوالديك) المعنى ووصينا الانسان أن اشكر لي ولوالديك (وان جاهداك) مفسر فيما مضى وقوله (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي مصاحبا معروفا وهو المستحسن (واتبع سبيل من أناب) أي رجع (الي) يعني اسلك سبيل محمد وأصحابه نزلت في سعد ابن أبي وقاص وقد مر (يا بني انها ان تك) يروى أن ابنه قال له ان عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال انها أي الخطيئة ان تك (مثقال حبة من خردل) أو السيئة ثم كانت (في صخرة) أو في أخفى مكان (أو في السموات أو في الارض) أينما كانت (يأت بها الله) ولن تخفى عليه أي يأت بها الله للجزاء عليها (ان الله لطيف) أي باستخراجها (خبير) بمكانها وقوله (ان ذلك من عزم الأمور) أي الامور الواجبة (ولا تصاعر خدك للناس) أي لا تعرض عنهم تكبرا (ولا تمش في الارض) أي متبخترا مختالا (واقصد في مشيك) أي ليكن مشيك قصد الاخيلاء ولا باسراع (واغضض) أي واخفض (من صوتك ان أنكر الأصوات) أي أقبحها (لصوت الحمير ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات) من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها (وما في الارض) من البحار والأنهار والدواب

لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة) أى وأتم عليكم نعمه محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بفتح العين و بالهاء آخره والباقون بسكون العين و بتاء منونة آخره (ومن الناس من يجادل فى الله) نزلت هذه الآية فى النضر ابن الحرث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم فى الله تعالى وفى صفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا هدى) من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا كتاب منير) أنزله الله تعالى بل بمجرد التقليد (واذا قيل لهم) أى لمن يخاصم (اتبعوا ما أنزل الله) على نبيه من القرآن (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) أى قالوا انترك القول النازل من الله ونتبع الفعل من آبائنا وهو عباد الأصنام (أولو كان الشيطان يدعوهم) أى قال الله تعالى أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم فيما هم عليه من الشرك (الى عذاب السعير) فهم يقتدون بهم (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى ومن يفوض اليه تعالى مجامع أموره و يقبل عليه تعالى بكليته وهو آت بأعماله جامعة بين الحسن الذاتى والوصفى فقد تمسك بحبل لا انقطاع له وترقى بسببه الى أعلا المقامات (والى الله عاقبة الأمور) فيجازيه أحسن الجزاء (ومن كفر فلا يحزنك كفره) أى لا تحزن اذا كفر كافر (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بالعقاب (ان الله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم فينبئهم بما أضمرته صدورهم (نمتعهم قليلا) أى زمانا قليلا مدة حياتهم (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) ثم نردهم فى الآخرة الى عذاب شديد أى فانهم لما كذبوا الرسل ثم تبين لهم الأمر وقع عليهم من الخجالة ما يدخلون ولا يختارون الوقوف بين يدى ربهم بمحضر الانبياء (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وهذا يصدقك فى دعوى الوحدانية و يبين كذبهم فى الاشراك (قل الحمد لله) على ظهور صدقك وكذب مكذبيك (بل أكثرهم لا يعلمون) أى ليس لهم علم يمنعك من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك (لله ما فى السموات والارض) فلا يستحق العبادة فيهما غيره تعالى (ان الله هو الغنى الحميد) أى الغنى عن العالمين المستحق للحمد وان لم يحمده أحد (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أى ولو كانت الأشجار أقلاما والبحار السبعة من بعد نفاد البحر المحيط مدادا فكتب بها عجائب صنع الله الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجائب فان العجائب بقوله تعالى كن وكن كلة واطلاق اسم السبب على المسبب جائز كما يقول الشجاع لمن يبارزه أنا موتك وكما يقال للدواء فى حق المريض هذا شفاؤك ودليل صحة هذا هو أن الله تعالى سمى المسيح كلة لانه كان أمرا عجيبا لوجوده من غير أب واذا قلنا بأن عجائب الله لا نهاية لها دخل فيها كلامه تعالى فالمخلوق هو الحرف والتركيب هو عجيب أما الكلمات فهى من صفات الله تعالى (ان الله عزيز) أى كامل القدرة فلا يعجزه شئ (حكيم) أى كامل العلم فلا يخرج عن علمه أمر (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أى ما خلقكم و بعثكم الا كخلق نفس واحدة و بعثها فى سهولة الحصول اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية (ان الله سميع بصير) أى سميع لما يقولون كيف يبعثنا بصير بما يعملون (ألم تر) أى ألم تعلم أيها الغافل (أن الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل) أى يدخل كل واحد منهما فى الآخر و يضمه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا (وسخر الشمس والقمر) أى ذللهما (كل يجرى الى أجل مسمى) أى الى وقت معلوم فى منازل معروفة لهما (وأن الله بما تعملون) فى كل وقت من الخير والشر (خبير) فمن شاهد مثل ذلك الصنع لا يغفل عن كون صانعه محيطا بجلائل

(وأسبغ) أى وأوسع وأتم وقد مضى تفسيره الى قوله (أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) أى موجباته فيتبعونه (ومن يسلم وجهه الى الله) أى يقبل على طاعته وأوامره (وهو محسن) أى مؤمن موحد (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى بالطرف الاوثق الذى لا يخاف انقطاعه (والى الله عاقبة الأمور) أى مرجعها (نمتعهم قليلا) بالدنيا (ثم نضطرهم) أى نلجئهم (الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) الذى خلقهما (بل أكثرهم لا يعلمون) اذ أشركوا بعد اقرارهم بأنه خالقهما (ولو أن ما فى الارض) الآية ان المشركين قالوا فى القرآن ان هذا كلام سينفد و ينقطع فأعلم الله تعالى أن كلامه لا ينقطع ولا ينفد وقوله (والبحر يمده) أى يزيد فيه ثم كتب بها كلمات الله (ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أى كخلق نفس واحدة وكبعث نفس واحدة لان قدرة الله على بعث الخلق كلهم كقدرته على بعث نفس واحدة (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله شئ عن شئ (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار)

أعمـاله ودقائقه (ذلك) أى ماذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع (بأن الله هو الحق) أى الثابت الوجود وألوهيته (وأن مايدعون من دونه الباطل) و بسبب بيان بطلان إلهية مايعبدونه من غيره تعالى وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص يدعون بالغيبة (وأن الله هو العلى الكبير) أى و بيان انه تعالى هو العلى فى صفاته الكبير فى ذاته أكبر من كل مايتصور فلا يكون جسما فى مكان (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله) أى بالريح التى هى بأمر الله و باحسانه تعالى فى تهيئة أسباب الجرى (ليريكم من آياته) أى ليريكم باجراء السفينة بنعمته بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته (ان فى ذلك) أى فيماذكر (لآيات) عظيمة فى ذاتها كثيرة فى عددها (لكل صبار) فى الشدة (شكور) فى الرخاء فالتكاليف أفعال وتروك فالتروك صبر عن المألوف والأفعال شكر على المعروف (واذا غشيهم) أى أحاط بهم (موج كالظلل) أى كالجبال فى الارتفاع (دعوا الله مخلصين له الدين) أى مفردين له تعالى بالدعوة بأن ينجيهم (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أى مقيم على الطريق المستقيم الذى هو التوحيد ومنهم من يعود الى الشرك وهو المراد بقوله تعالى (ومايجحد بآياتنا) أى الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (الا كل ختار) أى كثير الغدر ولا يكون الغدر الا من قلة الصبر (كفور) أى مبالغ فى كفران نعم الله تعالى (يأيها الناس اتقوا ربكم) أى ياأهل مكة أطيعوا ربكم (واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده) أى لايقضى فيه والد عن ولده فى دفع الآلام (ولامولود هو جاز عن والده شيئا) فى دفع الاهانة فمولود مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبره والجملة خبر مولود وقرئ لايجزئ بضم الياء ورفع الهمزة أى لايغنى (ان وعدالله) بالثواب والعقاب (حق) أى لايمكن اخلافه أصلا (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فانها زائلة لوقوع اليوم الذى لامجازاة بين الوالد وولده بالوعد الحق (ولا يغرنكم بالله) أى بسبب حلم الله (الغرور) أى الشيطان أو الدنيا فمن الناس من تدعوه الدنيا الى نفسها فيميل اليها ومنهم من يوسوس فى صدره الشيطان ويزين فى عينه الدنيا ويقول انك تحصل بها الآخرة أو تلتذبها ثم تتوب فتجتمع لك الدنيا والآخرة أى كونوا من الذين لايلتفتون الى الدنيا ولا الى من يحسن الدنيا فى الأعين (ان الله عنده علم الساعة) أى علم وقت قيام القيامة (وينزل الغيث) الى محله فى ابانه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاى (ويعلم مافى الأرحام) من ذكر أو أنثى تام أوناقص (وماتدرى نفس ماذاتكسب غدا) من خير أوشر (وماتدرى نفس بأى أرض تموت) كما لاتدرى فى أى وقت تموت روى أن ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح أن تحملنى وتلقينى ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان كان دوام نظرى اليه تعجبا منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك (ان الله عليم) أى مبالغ فى العلم بكل شئ (خبير) أى عالم ببواطن الأشياء كما يعلم ظواهرها

﴿ سورة السجدة وتسمى سورة المضاجع مكية عندأكثرهم وهى تسع وعشرون آية وستمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) فتنزيل خبرعن الم أى هذه السورة المسماة الم منزل الكتاب ولاريب فيه حال من الكتاب ومن رب متعلق بتنزيل (أم يقولون افتراه) أى بل أيقول كفار مكة اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه (بل هو الحق من ربك) أى بل القرآن هو الثابت من ربك نزل به جبريل عليك (لتنذر قوما ماأتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) أى لكى تخوف بالقرآن

الى قوله (ذلك) أى جعل الله ذلك (لتعلموا أن الله هو الحق) الاله الذى لا اله الا هو وقوله (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى لكل مؤمن بهذه الصفة (واذا غشيهم موج) أى علاهم موج (كالظلل) أى كالجبال التى تظل من تحتها وقيل كالسحاب وقوله (دعوا الله مخلصين له الدين) أى الدعاء بأن ينجيهم أى لايدعون معه غيره (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) أى مؤمن موف بماعاهد الله فى البحر (وما يجحد بآياتنا) ومنها الانجاء من الموت وقوله (كل ختار) أى غدار (كفور) جحود (يأيها الناس) أى أهل مكة (اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده) أى لايكفى ولا يغنى عنه شيئا (ولا مولود هو جاز عن والده) فيه (شيئا ان وعدالله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا) عن الاسلام (ولايغرنكم بالله) فى حلمه وامهاله (الغرور) الشيطان (ان الله عنده علم الساعة) أى متى تقوم (وينزل الغيث) أى المطر (ويعلم مافى الأرحام) ذكرا كان أو أنثى ولا يعلم واحدا من الثلاثة غيرالله (وماتدرى نفس ماذاتكسب غدا) من خير وشر يعلمه الله تعالى (وماتدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير) بباطنه وظاهره وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه حديث مفاتيح الغيب خمسة ان الله عنده الى آخر السورة ﴿تفسير سورة السجدة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوما لم يأتهم رسول يخوف قبلك راجيا أنت لاهتدائهم (الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام) أولها أحد وآخرها جمعة (ثم استوى على العرش) أى ثم استقام الله على ملكه وتصرف فيه تصرفا تاما والعرش موجود قبل السموات والأرض (مالكم) ياأهل مكة (من دونه) أى من غير الله (من ولى) أى قريب ينفعكم (ولاشفيع) ينصركم من عذاب الله فعبادتكم لهذه الأصنام ضائعة لاهم خالقوكم ولاناصروكم (أفلاتتذكرون) أى أتسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون (يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أى يدبر أمر الدنيا من السماء على عباده و يصعد اليه آثار الأمر وهى أعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة ذلك الامر فان نزول الأمر وعروج العمل في مسافة ألف سنة مما تعدون عليهم أى على غير الملائكة فان بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة فينزل في مسيرة خمسمائة سنة و يعرج في مسيرة خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة قال عبد الرحمن بن سابط يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء وأما ملك الموت فموكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان مادون العرش موضع التفصيل قال الله تعالى ثم استوى على العرش ومادون السموات موضع التصريف (ذلك) أى المدبر (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ماغاب عن العباد وما يكون وما علمه العباد وما كان فيدبر أمرهما (العزيز الرحيم) فهو قادر على الانتقام من الكفرة واسع الرحمة على البررة (الذى أحسن كل شىء خلقه) بجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن (و بدأ خلق الانسان من طين) أى بدأ آدم عليه السلام من أديم الارض على فطرة عجيبة (ثم جعل نسله) أى ذريته (من سلالة) أى من نطفة (من ماء مهين) أى من ماء ضعيف مخلوط من ماء الرجل والمرأة (ثم سواه) أى عدله بتكميل أعضائه في الرحم (ونفخ فيه من روحه) أى جعل الروح فيه (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) على مقتضى الحكمة وذلك لأن الانسان يسمع أولا من الناس أمورا فيفهمها ثم يحصل له بسبب ذلك بصيرة فيبصر الأمور و يجربها ثم يحصل له بسبب ذلك ادراك تام وذهن كامل فيستخرج الأشياء من قلبه (قليلا ماتشكرون) أى فتشكرون شكرا قليلا (وقالوا) أى أبو جهل وأصحابه (أئذا ضللنا في الأرض) أى أئذا غبنا في الأرض بالدفن بأن صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لانتميز منه (أئنا لفي خلق جديد) أى أئنا يجدد خلقنا (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أى ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع أحوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) أى قل ياأشرف الخلق يقبض أرواحكم ملك الموت الذى وكل بكم بقبض أرواحكم وذلك دليل على بقاء الأرواح فلابد من الحياة بعد الموت لا كما تزعمون أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة (ثم الى ربكم ترجعون) بالبعث للحساب والجزاء (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا) أى ولو ترى أيها المخاطب اذ المشركون خافضوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزى عند ظهور قبائحهم يقولون ربنا أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وأبصرنا الحشر (وسمعنا) قول الرسول وأن مردنا الى النار (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) أى انا آمنا في الحال أى لو ترى حالهم وتشاهدها استقبحت حالهم لترى عجبا (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أى قال تعالى جوابا عن قولهم ذلك انى لو أرجعتكم الى الايمان لهديتكم في الدنيا ولما لم أهدكم تبين انى ماشئت ايمانكم فلا أردكم الى الدنيا (ولكن حق القول منى) أى سبقت كلمتى حيث قلت لابليس فالحق والحق أقول

لأملأن

قوله (يدبر الأمر من السماء الى الأرض) أى يقضي القضاء من السماء فينزله الى الأرض مدة أيام الدنيا (ثم يعرج اليه) أى يرجع الأمر والتدبير الى السماء و يعود اليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) وهو يوم القيامة وذلك اليوم يطول على قوم و يشتد حتى يكون كخمسين ألف سنة و يقصر على قوم فلا آخر له معلوم وقوله (الذى أحسن كل شىء خلقه) أى أتقنه وأحكمه (و بدأ خلق الانسان) يعنى آدم (من طين ثم جعل نسله) أى ذريته (من سلالة) أى نطفة (من ماء مهين) أى ضعيف حقير (وقالوا) يعنى منكرى البعث (أئذا ضللنا في الأرض) أى صرنا ترابا و بطلنا (أئنا لفي خلق جديد) أى نخلق بعد ذلك جديدا (قل يتوفاكم) أى يقبض أرواحكم (ولو ترى) يامحمد (اذ المجرمون) أى المشركون (ناكسوا رءوسهم عند ربهم) أى مطأطئوها حياء من ربهم يقولون (ربنا أبصرنا) أى ما كنا به مكذبين (وسمعنا) منك صدق ماأتت به الرسل (فارجعنا) أى فارددنا الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أى رشدها الآية و يقال لأهل النار

لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المراد بقوله تعالى (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفارهم (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي لارجع لكم الى الدنيا فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه (انا نسيناكم) أي انا تركناكم بالكلية غير ملتفت اليكم قطعا لرجائكم (وذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم (بما كنتم تعملون) في الكفر (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أي بتلك الآيات (خروا سجدا) أي انقادت أعضاؤهم للسجود (وسبحوا بحمد ربهم) أي وتحرك ألسنتهم بتنزيهه تعالى عن الشرك (وهم لا يستكبرون) عن الخرور والتسبيح والتحميد (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أي تتنحى جنوبهم عن مواضع المنام قال أنس نزلت هذه الآية فينا كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضا قال نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهي صلاة الأوابين وهو قول ابن حازم ومحمد ابن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (يدعون ربهم خوفا) من عدم قبول عبادته ومن سخطه تعالى وعذابه (وطمعا) في رحمته (ومما رزقناهم) من المال (ينفقون) في وجوه البر والحسنات (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) أي فلا تعلم نفس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما ذخر لهم (من قرة أعين) أي مما يحصل به الفرح والسرور (جزاء بما كانوا يعملون) أي للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أي أفبعد ظهور التباين بين المؤمن والكافر يتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه الفاضلة كالكافر الذي ذكرت أحواله الشنيعة (لا يستوون) أي المؤمنون كعلي رضي الله عنه والكافرون كالوليد بن عقبة بن أبي معيط وذلك انه كان بينهما تنازع يوم بدر فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فانك صبي وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال علي اسكت فانك فاسق فأنزل الله تعالى هذه الآية (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا) أي حالة كونها ثوابا معدا لهم كما يعد ما يحصل به الاكرام للضيف (بما كانوا يعملون) أي بسبب أعمالهم الصالحة في الدنيا (وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن دائرة الايمان (فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أي النار (أعيدوا فيها) بمقامع الحديد (وقيل لهم) أي قالت الزبانية زيادة في غيظهم (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) أي الذي كنتم في الدنيا تكذبون بعذاب النار وقلتم انه لا يكون (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) أي ولنصيبن كفار مكة من عذاب الدنيا بالقحط سبع سنين والقتل والأسر يوم بدر قبل عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أي لنذيقنهم ولا يرجعون فيكونون قد ذكروا بآيات الله من النعم أولا والنقم ثانيا ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم (انا من المجرمين منتقمون) أي لما لم ينفعهم العذاب الأدنى فأنا لننتقم منهم بالعذاب الأكبر (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فلا تكن في مرية من لقائه) أي فلا تكن يا أشرف الخلق في شك من لقاء الكتاب الذي هو القرآن أي انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب فلا تكن في شك من أنك لقيت نظيره (وجعلناه) أي الكتاب الذي آتيناه موسى (هدى لبني اسرائيل) كما جعلنا كتابك هاديا للأمة (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الى دين الله (بأمرنا) اياهم بذلك كما جعلنا من أمتك صحابة يهدون (لما صبروا) أي حين صبروا على مشاق

(ذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم الايمان به (انا نسيناكم) أي تركناكم في النار (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) أي وعظوا (خروا سجدا) خوفا منه (وسبحوا بحمد ربهم) أي نزهوا الله بالحمد له (وهم لا يستكبرون) أي عن الايمان به والسجود له (تتجافى جنوبهم) أي ترتفع أضلاعهم (عن المضاجع) أي الفرش ومواضع النوم (يدعون ربهم خوفا) من النار (وطمعا) في الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) أي يتصدقون (فلا تعلم نفس) أي من هؤلاء (ما أخفي لهم) ما أعد لهم (من قرة أعين) أي مما تقر به عيونهم اذا رأوه (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) قيل المصيبات في الدنيا وقيل القتل ببدر وقيل عذاب القبر وقيل الجوع سبع سنين والاولى المصيبات والجوع لقوله (لعلهم يرجعون) وقوله (فلا تكن في مرية من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج وعده الله أن يريه موسى ليلة الاسراء به (وجعلنا منهم) أي من بني اسرائيل (أئمة) أي قادة (يهدون) أي يدعون الخلق (بأمرنا لما صبروا) أي حين صبروا على الحق

الطاعات ومقاساة الشدائد فى نصرة الدين وقرأ حمزة والكسائى بكسر اللام وتخفيف الميم أى لصبرهم على ذلك (وكانوا بآياتنا) التى فى تضاعيف الكتاب (يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل) أى يقضى (بينهم) أى بين المبتدع والمتبع كما يفصل بين المؤمن والكافر أو يفصل بين المختلفين من أمة واحدة كما يفصل بين المختلفين من الأمم الكثيرة (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمور الدين (أولم يهد لهم كم أهلكنا) أى أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم كثرة اهلاكنا وقد يجوز أن يكون الفاعل ضميرا يعود على الله كما يدل عليه قراءة نهد بنون العظمة فيكون كم أهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى (من قبلهم من القرون) مثل عاد وثمود وقوم لوط (يمشون فى مساكنهم) أى يمرون فى أسفارهم الى التجارة على ديارهم و بلادهم و يشاهدون آثار هلاكهم (ان فى ذلك) أى فى كثرة اهلاكنا الأمم الخالية العاتية (لآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها (أفلا يسمعون) هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أى التى أزيل نباتها بالمرة قال ابن عباس هى أرض اليمن والشام وقال قوم هى مصر (فنخرج به) أى بذلك الماء من تلك الارض (زرعا تأكل منه) أى من ذلك الزرع (أنعامهم وأنفسهم) قدم الأنعام فى الأكل لان الزرع أول ما ينبت يصلح للدواب ولان الزرع غذاء الدواب وهو لابد منه (أفلا يبصرون) أى ألا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وعلى فضله (و يقولون) أى المشركون للمؤمنين بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء (متى هذا الفتح) أى النصر (ان كنتم صادقين) وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين وان الله ينصرنا عليكم (قل) يا أشرف الخلق لبنى خزيمة وبنى كنانة (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) اذا جاءهم العذاب وقتلوا لان ايمانهم حال القتل ايمان اضطرار (ولاهم ينظرون) أى يمهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هرب قوم من بنى كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فأظهروا الاسلام فلم يقبله منهم خالد وقتلهم (فأعرض عنهم) أى عن بنى خزيمة ولا تبال بتكذيبهم (وانتظر) هلاكهم يوم فتح مكة (انهم منتظرون) هلاكك ويقال وانتظر النصر من الله فانهم ينتظرون النصر من آلهتهم ويقال وانتظر عذابهم بنفسك فانهم ينتظرونه بلفظهم استهزاء

﴿ سورة الأحزاب مدنية بالاجماع وهى ثلاث وسبعون آية . وألف ومائتان وثمانون كلمة . وخمسة آلاف وتسعمائة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين) أى المجاهرين بالكفر (والمنافقين) المضمرين له نزلت هذه الآية فى أبى سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبى الأعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبى رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا فى قتلهم فقال انى أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى هذه الآية (إن الله كان عليما حكيما) أى مبالغا

(ان ربك هو يفصل) أى يحكم (بينهم) أى بين المكذبين بك يوم القيامة (فيما كانوا فيه يختلفون) أى من أمرك (أولم يهد لهم) أى يبين لهم يعنى صدقك (كم أهلكنا) من كذب الرسل (قبلهم) وهم (يمشون فى مساكنهم) اذا سافروا فيرون خراب منازلهم (ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) آيات الله وعظاته (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز) أى الغليظة التى لا نبات فيها (فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم (و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) وذلك أن المؤمنين قالوا للكفار ان لنا يوما يحكم الله فيه بيننا يريدون يوم القيامة فقالوا متى هذا الفتح فقال الله تعالى (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) أى يمهلون للتوبة (فأعرض عنهم) منسوخ بآية السيف (وانتظر) عذابهم (انهم منتظرون) هلاكك فى زعمهم الكاذب

﴿ تفسير سورة الأحزاب ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأيها النبى اتق الله) أى اثبت على تقوى الله ودم عليه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) وذلك أن الكافرين قالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وآزرهم المنافقون على ذلك (ان الله كان عليما) بما يكون قبل كونه (حكيما) فيما يخلق

في العلم والحكمة فيعلم جميع الأشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عن ما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة البالغة (واتبع) في كل ما تأتي وما تذر من أمور الدين (ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تهتم بشأنهم فان الله تعالى كافيكه وقرأ أبو عمرو بما يعملون بالغيبة فالواو ضمير يعود على الكفرة والمنافقين (وتوكل على الله) أي فوض جميع أمورك اليه (وكفى بالله وكيلا) أي حافظا موكولا اليه كل الأمور (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت هذه الآية في أبي معمر جميل بن أسد الفهري كان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء الا من أجل أن له قلبين وكان هو يقول لي قلبان أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه بيده والأخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس فقال انهزموا فقال ما بال احدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا أنهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) أي كأمهاتكم في الحرام نزلت هذه الآية في أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت وامرأته خولة (وما جعل أدعياءكم) الذين تبنيتم (أبناءكم) أي كأبنائكم من النسب وقرأ عاصم تظاهرون بضم التاء وفتح الظاء مع المد وكسر الهاء وحمزة والكسائي بفتح التاء والظاء مع المد والتخفيف وفتح الهاء وابن عامر كذلك الا أنه يشدد الظاء والباقون بفتح التاء والظاء والهاء المشددتين ولا ألف بعد الظاء روى الأئمة عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وكان زيد فيما روى عن أنس بن مالك وغيره مسبيا من الشام بسته خيل من تهامة فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم خيراه فان اختاركما فهو لكما دون فداء فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم فرضي بذلك عمه وأبوه وانصرفا (ذلكم) أي دعاؤكم بقولكم هذا ابني (قولكم بأفواهكم) فقط فهو قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل في قلب فهو قول بالفم مثل أصوات البهائم (والله يقول الحق) فان العاقل ينبغي أن يكون قوله اما عن عقل أو عن شرع فاذا قال فلان ابن فلان ينبغي أن يكون عن حقيقة أو عن شرع بأن يكون ابنه شرعا وان لم يعلم الحقيقة كمن تزوج بامرأة فولدت لستة أشهر ولدا وكان الزوجة من قبل زوجة شخص آخر يحتمل ان يكون الولد منه فانا نلحقه بالزوج الثاني لقيام الفراش ونقول انه ابنه وفي الدعي لم توجد الحقيقة ولا ورد الشرع به لان أباه ظاهر مشهور ومن قال ان تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب لم يكن حسنا لانها زوجة الابن يكون قد ترك قول الله الحق هي حلال لك وقد أخذ بقول خرج من الفم (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله تعالى (ادعوهم لآبائهم) أي انسبوهم اليهم (هو أقسط عند الله) أي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل في حكم الله تعالى (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) أي بنو عمكم أي فان لم تعرفوا آبا شخص تنسبونه اليه وأردتم خطابه فقولوا له يا أخي ويا ابن عمي ويقال فادعوهم باسم اخوانكم في الدين كأن تقولوا عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الرزاق (وليس عليكم جناح) أي اثم (فيما أخطأتم به) بالسهو أو سبق اللسان فقول القائل لغيره يا بني بطريق الشفقة أو يا أبي بطريق التعظيم فانه مثل الخطأ ألا ترى أن اللغو في اليمين مثل الخطأ وسبق اللسان (ولكن ما

(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) هذا تكذيب لبعض من قال من الكفار ان لي قلبين أفهم بكل واحد منهما أكثر مما يفهم محمد فأكذبه الله قيل انه ابن خطل (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) أي لم يجعل نساءكم التي أنتم تقولون هن علينا كظهور أمهاتنا في الحرام كما تقولون وكان هذا من طلاق الجاهلية فجعل الله في ذلك كفارة (وما جعل أدعياءكم) أي من تبنيتموهم (أبناءكم) في الحقيقة كما تقولون (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي قول بالفم لا حقيقة له (والله يقول الحق) وهو أن غير الابن لا يكون ابنا (وهو يهدي السبيل) أي الى السبيل المستقيم (ادعوهم لآبائهم) أي انسبوهم الى الذين ولدوهم (هو أقسط) أي أعدل (عند الله فان لم تعلموا آباءهم) من هم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين ومواليكم) أي بنو عمكم وقيل أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) وهو أن يقول لغير ابنه يا بني من غير أن يتعمد أن يجريه مجرى الولد في الميراث وهو قوله (ولكن ما

تعمدت قلوبكم) يعنى ولـكن الجناح فى الذى تعمدت قلوبكم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى اذا دعاهم النبي الى شئ ودعتهم أنفسهم الى شئ كانت طاعة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (وأزواجه أمهاتهم) أى فى حرمة نـكاحهن عليهم (وأولوا الأرحام) أى الأقارب (بعضهم أولى ببعض) يعنى فى الميراث (فى كتاب الله) أى فى حكمه (من المؤمنين والمهاجرين) وذلك أنهم كانوا فى ابتداء الاسلام يرثون بالايمان والهجرة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) أى لـكن أن توصوا لهم بشئ من الثلث فهو جائز (كان ذلك فى الـكتاب مسطورا) أى كان هذا الحكم مكتوبا فى اللوح المحفوظ (واذ أخذنا) واذكر اذ أخذنا (من النبيين ميثاقهم) أى على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضا (ليسأل الصادقين عن صدقهم) أى المبلغين من الرسل عن تبليغهم وفى تلك المسألة تبكيت للكفار (وأعد للكافرين) بالرسل (عذابا أليما يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير حاصروا المسلمين يوم الخندق (فأرسلنا عليهم ريحا) كفأت قدورهم وقلعت فساطيطهم (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة (وكان الله بما تعملون بصيرا) من حفر الخندق (اذ جاؤكم من فوقكم) من قبل المشرق يعنى قريظة (ومن أسفل منكم) قريش من ناحية مكة (واذ زاغت الأبصار) أى مالت وشخصت وتحيرت لشدة الأمر وصعوبته عليكم (وبلغت القلوب الحناجر) أى ارتفعت الى الحلقوم لشدة الخوف (وتظنون بالله الظنونا) ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون بنصر الله (هنالك) أى فى تلك الحال (ابتلى المؤمنون) أى اختبروا ليتبين المخلص من المنافق (وزلزلوا) أى حركوا وخوفوا وكانت

تعمدت قلوبكم) فيه جناح (وكان الله غفورا رحيما) يغفر الذنوب ويرحم المذنب فالمغفرة هو أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته والرحمة هو أن يميل الى شخص بالاحسان لعجز المرحوم اليه لا للعوض (النبى أولى) أى أشفق (بالمؤمنين من أنفسهم) فى كل أمر من أمور الدين والدنيا فان نفوسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم وهو صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم والمعنى ان طاعتهم للنبي أولى من طاعتهم لأنفسهم (وأزواجه أمهاتهم) أى منزلات منزلة الأمهات فى استحقاق التعظيم وفى تحريم نـكاحهن تحريما مؤبدا لا فى غير ذلك سواء دخل صلى الله عليه وسلم بها أولا وسواء مات عنهن أو طلقهن (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) أى ذوو القرابات بعضهم أولى ببعض فى التوارث بحق القرابة من الارث بحق الايمان وبحق الهجرة فى القرآن وهو آية المواريث والوصية (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) أى الى أصدقائكم وصية من الثلث أى ان أوصيتم فغير الوارثين أولى وان لم توصوا فالوارثون أولى بميراثكم وبما تركتم (كان ذلك) أى الميراث للقرابة والوصية للاجانب بالموادة (فى الـكتاب) أى القرآن (مسطورا) أى مكتوبا (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أى اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أى عهدا مؤكدا وهو الاخبار بأنهم مسئولون عما فعلوا فى الارسال (ليسأل الصادقين عن صدقهم) أى ليسأل الرسل عن صدقهم فى تبليغ الرسالة تبكيتا لمن أرسلوا اليهم وليسأل الوافين عن وفائهم والمؤمنين عن ايمانهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) أى فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين بالرسل عذابا أليما (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) أى أحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) وهى ريح الصبا (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا ألفا ولم يقاتلوا يومئذ وانما ألقوا الرعب فى قلوب الاحزاب (وكان الله بما تعملون) من التجائكم اليه ورجائكم فضله (بصيرا) فنصركم على الاعداء عند الاستعداد وقرئ بما يعملون بالياء أى الاحزاب (اذ جاؤكم) أى الاحزاب (من فوقكم) أى من أعلى الوادى من جهة المشرق وهم بنو غطفان وأسد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن ومعهم اليهود من قريظة والنضير (ومن أسفل منكم) أى من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش وبنو كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف (واذ زاغت الأبصار) أى واذكروا حين مالت أبصار المنافقين عن موضعها عن طريقها فلم تلتفت الى العدو لـكثرته (وبلغت القلوب الحناجر) أى بلغت قلوب المنافقين بأن انتفخت عند منتهى الحلقوم من الخوف (وتظنون بالله الظنونا) أى ظن المخلصون أن الله تعالى ينجز وعده فى اعلاء دينه أو يمتحنهم فخافوا الزلل (هنالك) أى فى ذلك الزمن الهائل والمكان الدحض (ابتلى المؤمنون) أى امتحنهم الله فتميز الصادق عن المنافق (وزلزلوا زلزالا شديدا) أى حركوا تحريكا شديدا من الهول والفزع

وكانت غزوة الأحزاب فى شوال سنة أربع وسببها أنه لما وقع اجلاء بنى النضير من أماكنهم سار منهم جمع من أكابرهم منهم سيدهم حيى بن أخطب الى أن قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان وقيس وغيلان فطلبوهم لحرب محمد فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن فلما سمع رسول الله ﷺ باقبالهم شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفر الخندق باشارة سلمان الفارسى وكان النبى يقطع لكل عشرة أربعين ذراعا فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفا فنزلوا حول المدينة حتى نزلوا الى جانب أحد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه ﷺ وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام فلما رأت قريش الخندق قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا فى ذلك الحصار أربعة وعشرين يوما فاشتد على المسلمين الخوف فبعث الله عليهم ريحا فى ليلة شديدة البرد والظلمة فقلعت بيوتهم وقطعت أطنابهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى الرجل على الأرض وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل بل نفثت فى قلوبهم الرعب فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح بهم قام فقال يا معشر قريش ليستعرف كل منكم جليسه واحذروا الجواسيس ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش والله انكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله وشرع القوم يقولون الرحيل الرحيل والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة ولم تجاوز عسكرهم ورحلوا وتركوا ما استثقلوه من متاعهم وحين انجلى الأحزاب قال ﷺ الآن نغزوهم ولا يغزونا (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من اعلاء الدين (الا غرورا) أى الا وعد غرور أى قال معتب بن قشير وأصحابه يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر والحال أنا لا نقدر أن نخرج للغائط خوفا وما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) هم أوس بن قيظى من رؤساء المنافقين وأتباعه وقال السدى هم عبد الله بن أبى وأصحابه (يا أهل يثرب) هو اسم المدينة المطهرة (لا مقام لكم) أى لا وجه لاقامتكم مع محمد (فارجعوا) عن محمد واتفقوا مع الأحزاب تخرجوا من الأحزان (ويستأذن فريق منهم النبى) أى يستأذن النبى فى الرجوع الى المدينة فريق من المنافقين أوس بن قيظى وأبو عرابة بن أوس من بنى حارثة (يقولون) للنبى ﷺ ائذن لنا يا نبى الله بالرجوع الى المدينة (ان بيوتنا عورة) أى غير حصينة نخاف عليها سرق السراق (وما هى بعورة) أى والحال أن البيوت ليس فيها خلل (ان يريدون الا فرارا) أى ما يريدون بالاستئذان الا فرارا من القتل (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا) أى ولو دخل الأحزاب بيوتهم من جميع جوانبها ثم سألهم الداخلون أو غيرهم الرجعة الى الكفر لجاؤها وهاوقرأ نافع وابن كثير لأتوها بقصر الهمزة أى لفعلوها والباقون بالمد أى لأعطوها اجابة لسؤال من سألهم وما أخروا الردة الا قدر ما يسع السؤال والجواب أى لأسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة نفوسهم به (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى من قبل غزوة الخندق (لا يولون الأدبار) أى منهزمين من المشركين فان بنى حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله تعالى أن لا يعودوا لمثل ذلك (وكان عهد الله مسئولا) أى وكان ناقض عهد الله مسئولا يوم

(واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) أى اذ وعدنا أن فارس والروم يفتحان علينا (واذ قالت طائفة منهم) أى من المنافقين (يا أهل يثرب) يعنى المدينة (لا مقام لكم) أى لا مكان لكم تقيمون فيه (فارجعوا) الى منازلكم بالمدينة أمروهم بترك رسول الله ﷺ وخذلانه وذلك أن النبى ﷺ كان قد خرج من المدينة الى سلع لقتال القوم (ويستأذن فريق منهم) أى من المنافقين (النبى) فى الرجوع الى منازلهم (يقولون ان بيوتنا عورة) أى ليست بحصينة نخاف عليها العدو قال الله تعالى (وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا) أى من القتال (ولو دخلت عليهم) أى لو دخل عليهم هؤلاء الذين يريدون قتالهم المدينة (من أقطارها) أى جوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أى سألوهم الشرك بالله (لآتوها) أى لأعطوا مرادهم (وما تلبثوا بها الا يسيرا) أى وما احتبسوا عن الشرك الا يسيرا يعنى لأسرعوا الاجابة اليه (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أى عاهدوا الرسول قبل غزاة الخندق (لا يولون الأدبار) أى لا ينهزمون عن العدو (وكان عهد الله مسئولا) يريد و الله يسألهم عن ذلك يوم القيامة

(قل) لهم (لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) يعني الذي كتب عليكم (واذا لا تمتعون الا قليلا) أي لا تبقون في الدنيا الا الى آجالكم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي الذين يعوقون الناس عن نصرة رسول الله ﷺ (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أي يقولون خلوا محمدا فانه مغرور وتعالوا الينا (ولا يأتون البأس الا قليلا) أي لا يحضرون

الحرب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الا تعذيرا يوهمونهم أنهم معهم (أشحة عليكم) أي بخلاء عليكم بالخير والنفقة (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) في رؤوسهم من الخوف (كـ) دوران عين (الذي يغشى عليه من الموت) أي قرب أن يموت فانقلبت عيناه (فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) آذوكم بالكلام وجادلوكم في الغنيمة (أشحة) أي بخلاء على الخير يعني الغنيمة (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) أي لجبنهم وشدة خوفهم يظنون انهم بعد انهزامهم لم ينصرفوا بعد (وان يأت الأحزاب) أي يرجعوا كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون) أي خارجون من المدينة (في الأعراب يسألون عن أنبائكم) أي يودوا لو أنهم غائبون عنكم يسمعون أخباركم بسؤالهم عنها من غير مشاهدة قال الله تعالى (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا) أي رياء من غير حسبة ولما وصف الله حال المنافقين في الحرب وصف حال المؤمنين فقال (لقد كان لكم) أيها المؤمنون (في رسول الله أسوة حسنة) أي سنة صالحة واقتداء حسن حيث لم تخذلوه ولم تتولوا عنه كما فعل هو يوم أحد شج حاجبه وكسرت رباعيته فوقف ولم ينهزم ثم بين لمن كان هذا الاقتداء برسول الله ﷺ فقال (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يخافهما (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا) تصديقا لوعد الله (هذا ما وعدنا الله ورسوله

القيامة عن نقصه (قل) يا أشرف الخلق لبني حارثة (لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) لأنه لا بد لكل انسان من الموت في وقت معين سبق به قضاء الله تعالى وجرى عليه القلم (واذا لا تمتعون الا قليلا) أي ولو فررتم من الموت في يومكم مثلا لما دمتم ولما متعتم بعد الفرار الا تمتيعا قليلا (قل) يا أكرم الرسل لبني حارثة (من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة) أي من يمنعكم من مراد الله ان أراد بكم عذابا بالقتل أو أراد بكم نجاة من القتل (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي ليس لكم ولي يشفع لمحبته اياكم ولا نصير يدفع عنكم السوء اذا أتاكم (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أي قد علم الله المانعين من الرجوع الى الخندق والقائلين لأصحابهم المنافقين قربوا أنفسكم الينا أي وهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة وكان هؤلاء عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير (ولا يأتون البأس الا قليلا) أي وهم لا يأتون القتال الا زمانا قليلا رياء وسمعة (أشحة عليكم) أي بخلاء عليكم بأبدانهم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) أي فاذا جاء خوف العدو رأيت المنافقين في الخندق يا أشرف الخلق ينظرون اليك تدور أعينهم في أحداقهم نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت (فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم بألسنة حداد) أي غلبوكم بألسنة ذربة وآذوكم بكلامهم يقولون نحن الذين قاتلنا وبنا انتصرتم وكسرتم العدو وقهرتم ويطالبونكم بالقسم الأوفر من الغنيمة وكانوا من قبل راضين من الغنيمة بالاياب (أشحة على الخير) أي حرصا على المال ويقال انهم قليلو الخير في الحالتين كثير والشر في الوقتين (أولئك) الموصوفون بما ذكر (لم يؤمنوا) بقلوبهم وان أظهروا الايمان لفظا (فأحبط الله أعمالهم) أي أظهر الله بطلان أعمالهم التي كانوا يأتون بها مع المسلمين (وكان ذلك) أي الاحباط (على الله يسيرا) أي هينا (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) أي هؤلاء المنافقون لجبنهم يظنون قريشا وغطفان واليهود لم ينهزموا عند ذهابهم ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا) أي وان يأت الكفار بعد ما ذهبوا كرة ثانية تمنى هؤلاء المنافقون أن لو كانوا ساكنين خارج المدينة بين الأعراب بعداء عن تلك الكفار يسألون كل قادم من جانب المدينة عما جرى عليكم مع الكفار والحال أن هؤلاء المنافقين لو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة ووقع قتال آخر ما قاتلوا معكم الا قليلا رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي خصلة حسنة حقها أن يقتدى بها على سبيل الايجاب في أمور الدين وعلى سبيل الاستحباب في أمور الدنيا (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يرجو ثواب الله واليوم الآخر خصوصا (وذكر الله كثيرا) باللسان والقلب (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) أي الكفار الكثيرة الأجناس (قالوا هذا) أي المرئي (ما وعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى ألا ان نصر الله

الله قريب و بقوله ﷺ سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم و بقوله ﷺ ان الأحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال أو عشر (وصدق الله ورسوله) فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء (وما زادهم الا ايمانا وتسليما) أى وما زادهم الوعد الا ايمانا بوقوعه وتسليما عند وجوده و يقال وما زادهم ما رأوه الا ايمانا بالله و بمواعيده وتسليما لأوامره ومقاديره وقرأ ابن أبى عبلة وما زادوهم بضمير الجمع و يعود للأحزاب لأن النبى ﷺ أخبرهم أن الأحزاب تأتيهم بعد تسع أو عشر (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى أتوا بالصدق فى عهدهم من الثبات مع الرسول أى من الصحابة رجال نذروا أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن وعمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أى نذره كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم وأخرج الترمذى عن معاوية أن النبى ﷺ قال طلحة ممن قضى نحبه وقد روى أن طلحة ثبت مع رسول الله يوم أحد حتى أصيبت يده فقال ﷺ أوجب طلحة الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم فى رواية عائشة من سره أن ينظر الى شهيد يمشى على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة (ومنهم من ينتظر) قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك فانهم مستمرون على نذورهم (وما بدلوا تبديلا) أى وما غيروا العهد تغييرا بالنقض (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أى بصدق ما وعدهم بالقول والفعل فى الدنيا والآخرة (و يعذب المنافقين) الذين كذبوا وأخلفوا بما صدر عنهم من الأعمال والأقوال الحكية (ان شاء) تعذيبهم فيمنعهم من الايمان فماتوا على النفاق (أو يتوب عليهم) ان تابوا قبل الموت ان أراد ذلك (ان الله كان غفورا) لمن تاب حيث ستر ذنوبهم (رحيما) حيث رزقهم الايمان (ورد الله) أى صرف الله (الذين كفروا) وهم الأحزاب (بغيظهم) أى ملتبسين به (لم ينالوا خيرا) أى غير ظافرين بخير من دين ودنيا (وكفى الله المؤمنين القتال) أى رفع الله مؤنة القتال عن المؤمنين بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على نصر المؤمنين فلم يحوجهم الى قتال الكفار (عزيزا) أى قادرا على اهلاك الكافرين واذلالهم روى البخارى عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله ﷺ حين انجلى الأحزاب يقول الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم (وأنزل الذين ظاهروهم) أى عاونوا كفار مكة (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة والنضير كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب وأصحابهما (من صياصيهم) أى حصونهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف الشديد حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبى (فريقا تقتلون) وهم الرجال كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذرارى وكانوا سبعمائة (وأورثكم أرضهم) من الحدائق والمزارع (وديارهم) أى منازلهم (وأموالهم) من النقد والماشية والسلاح والاثاث وغيرها (وأرضا لم تطأوها) أى لم تقبضوها الآن وهى خيبر فانها فتحت بعد بنى قريظة بسنتين كما قاله السدى ومقاتل أو هى أرض الروم وفارس كما قاله الحسن (وكان الله على كل شئ قديرا) و يعلمكم غيرها روى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التى انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح وهو على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس والسرج فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل فقال من متابعة قريش فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن

بهذه الآية أنهم يبتلون فلما ابتلوا بالأحزاب علموا أن الجنة والنصر قد وجبا لهم ان سلموا وصبروا وذلك قوله (وما زادهم الا ايمانا) أى تصديقا بالله و رسوله (وتسليما) لله أمره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى كانوا صادقين فى عهودهم بنصرة النبى صلى الله عليه وسلم (فمنهم من قضى نحبه) أى فرغ من نذره واستشهد يعنى الذين قتلوا بأحد (ومنهم من ينتظر) يعنى ينتظر أن يقتل شهيدا (وما بدلوا) أى عهدهم ثم ذكر جزاء الفريقين فقال ليجزى الله الصادقين) الآية (ورد الله الذين كفروا) أى قريشا والأحزاب (بغيظهم) أى على ما فيهم من الغيظ (لم ينالوا خيرا) يعنى لم يظفروا بالمسلمين (وكفى الله المؤمنين القتال) أى بالريح والملائكة (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) يعنى الذين عاونوا الأحزاب من قريظة (من صياصيهم) أى حصونهم وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حاصرهم واشتد ذلك عليهم حتى نزلوا على حكمه وذلك قوله تعالى (وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون) أى الرجال (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذرية وقوله (وأرضا لم تطأوها) يعنى خيبر ولم يكونوا نالوها فوعدهم الله اياها

سرجه فقال يارسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح منذ أربعين ليلة ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة فانهض اليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وألقيت الرعب في قلوبهم فأمر رسول الله ﷺ مناديا ينادي ان من كان مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله ﷺ أتنزلون على حكمي فأبوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال رسول الله ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحرث من نساء بني النجار ثم خرج الى سوق المدينة الذي هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقا ثم بعث اليهم فأتى بهم اليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير وكعب بن أسد رئيس بني قريظة وكانوا ستمائة فأمر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الاحزاب وحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذي نفس محمد بيده اني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر واني في حجرتي (يأيها النبي قل لأزواجك) قال عكرمة كان تحته ﷺ يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية ثم صفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث من بني المصطلق روي أنهن سألنه ﷺ ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت هذه الآية (ان كنتن تردن الحياة الدنيا) أي التنعم فيها (وزينتها) أي زخارفها (فتعالين) أي أقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين (أمتعكن) أي أعطكن المتعة (وأسرحكن سراحا جميلا) أي أخرجكن من البيوت من غير ضرار بعد اعطاء المتعة (وان كنتن تردن الله ورسوله) أي تردن طاعة الله وطاعة رسوله (والدار الآخرة) أي الجنة (فان الله أعد للمحسنات منكن) أي لمن عمل الصالحات منكن (أجرا عظيما) وهو الكبير في الذات الحسن في الصفات الباقي في الأوقات وروى عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم فأذن لأبي بكر فدخل ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لأقولن شيئا أضحك به النبي ﷺ فقلت يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي ﷺ وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول لاتسألن رسول الله ﷺ ماليس عنده فقلن والله لانسأل رسول الله أبدا شيئا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا ثم نزلت هذه الآية فبدأ بعائشة فقال ياعائشة اني أريد أن أعرض عليك أمرا لا أحب أن تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وماهو يارسول الله فتلا عليها الآية فقالت أفيك يارسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن ذلك (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة) أي بكبيرة (مبينة) أي ظاهرة القبح وقرأ ابن كثير وشعبة بفتح الياء التحتية أي بين الله قبحها (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن وقرأ أبو عمرو يضعف بتشديد العين على البناء للمفعول وقرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين على البناء للفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك) أي التضعيف (على الله يسيرا) لايمنعه تعالى عن التضعيف كونهن

(يأيها النبي قل لأزواجك) الآية نزلت حين سألت نساء رسول الله ﷺ شيئا من عرض الدنيا وآذينه بزيادة النفقة فأنزل الله هذه الآيات وأمره بأن يخيرهن بين الاقامة معه على طلب ماعند الله أو السراح ان أردن الدنيا وهو قوله (ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن) أي متعة الطلاق فقرأ عليهن رسول الله ﷺ هذه الآيات فاخترن الآخرة على الدنيا والجنة على الزينة فرفع الله درجتهن على سائر النساء بقوله (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي بمعصية ظاهرة (يضعف لها العذاب ضعفين) أي ضعفي عذاب غيرها من النساء

نساء النبي صلى الله عليه وسلم وليس أمرالله كأمر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الأعزة بسبب كثرة شفعائهم (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أى من يطع الله ورسوله منكن (وتعمل صالحا) أى خالصا فيما بينها وبين ربها (نؤتها أجرها مرتين) أى نعطها ثوابها مثلى ثواب غيرها من النساء فمرة على الطاعة ومرة لطلبهن رضا رسول الله بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى بالياء التحتية فى يعمل و يؤتها (وأعتدنا لها) أى هيأنا لها (رزقا كريما) أى مرضيا فى الجنة زيادة على أجرها المضاعف (يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن) أى اتصفتن بالتقوى لان فيكن أمرا لا يوجد فى غيركن وهو كونكن أمهات جميع المؤمنين وزوجات خير المرسلين كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس كأحد من الرجال (فلا تخضعن بالقول) أى فلا ترفقن بالقول عند الرجال (فيطمع) فى الخيانة (الذى فى قلبه مرض) أى شهوة الزنا (وقلن قولا معروفا) أى قولا حسنا مع كونه خشنا (وقرن فى بيوتكن) أى امكثن فى بيوتكن وليكن عليكن حسن الهيئة وقرأ نافع وعاصم بفتح القاف فهو أمر من قر يقر من باب علم أو من قار يقار اذا اجتمع وقرأ غيرهما بكسر القاف من وقر يقر وقارا (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) أى ولا تتزين بزينة الكفار فى الثياب الرقاق الملونة والمراد بالجاهلية الأولى هى التى قبل الاسلام (وأقمن الصلاة) أى أتممن الصلوات الخمس (وآتين الزكاة) أى أعطين زكاة أموالكن (وأطعن الله ورسوله) فى كل ما تأتين وما تذرن (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى عمل الشيطان وما ليس فيه رضا الرحمن كما قاله ابن عباس أو الذنب المدنس بعرضكم (أهل البيت) أى يا أهل بيت النبوة وأخرج الترمذى حديثا أنه لما نزلت هذه الآية دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا وعليا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وأخرج ابن أبى حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة (و يطهركم تطهيرا) أى يلبسكم خلع الكرامة فذهاب الرجس كناية عن زوال عين النجاسة والتطهير كناية عن تطهير المحل (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) أى اذكرن للناس بطريق العظة ما يتلى فى بيوتكن من القرآن وكلمات النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين (ان المسلمين والمسلمات) أى ان المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث (والمؤمنين والمؤمنات) أى المصدقين بما يجب تصديقه من الفريقين (والقانتين والقانتات) أى المداومين على الطاعات (والصادقين والصادقات) فى القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصى (والخاشعين والخاشعات) أى المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب فى مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم) بسبب ما عملوا من تلك الحسنات المذكورة (مغفرة) للصغائر (وأجرا عظيما) على الطاعات نزلت هذه الآية فى قول أم سلمة ونسيبة بنت كعب الأحبار يا رسول الله ما نرى الله يذكر النساء فى شىء من الخير انما ذكر الرجال ثم نزلت فى زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله وأميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فأبت هى وأخوها عبد الله وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود وقالت أنا بنت عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسى وقيل نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وأخيها وكانت وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد بعد ما طلق زينب بنت جحش فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله

(ومن يقنت) أى تطع (نؤتها أجرها مرتين) يعنى مثلى ثواب غيرها من النساء (وأعتدنا لها رزقا كريما) يعنى الجنة وقوله (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى لا تقلن قولا يجد منافق به سبيلا الى أن يطمع فى موافقتكن له (وقلن قولا معروفا) أى قلن قولا بما يوجبه الدين والاسلام بغير خضوع فيه بل بتصريح (وقرن فى بيوتكن) أمر لهن من الوقار والقرار جميعا (ولا تبرجن) أى ولا تظهرن المحاسن كما كان يفعله أهل الجاهلية وهو ما بين عيسى ومحمد ﷺ (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) وهو كل مستنكر ومستقذر من عمل أهل البيت يعنى نساء النبى ﷺ ورجال أهل بيته (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن) يعنى القرآن (والحكمة) يعنى السنة (ان المسلمين والمسلمات) قالت النساء ذكر الله الرجال بخير فى القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير فأنزل الله هذه الآية

(وما كان لمؤمن ولامؤمنة) الآية نزلت في عبدالله بن جحش وأخته زينب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة وظنت أنه خطبها رسول الله لنفسه فلما علمت أنه يريدها لزيد كرهت ذلك فأنزل الله وما كان لمؤمن يعني عبدالله ولامؤمنة يعني زينب أخته (اذاقضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أي الاختيار فأعلم الله أنه لا اختيار على ماقضاه الله ورسوله وزوجها من زيد فمكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصرها قائمة في درع وخمار فأعجبته وكأنها وقعت في نفسه وألقي في نفس زيد كراهتها فأراد فراقها فأتى رسول الله ﷺ فقال اني أريد أن

فزوجناعبده (وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذاقضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أي وماصح لكل مؤمن وكل مؤمنة اذا أراد رسول الله أمرا أن يختاروا من أمرهم ماشاءوا بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختياره صلى الله عليه وسلم (ومن يعص الله ورسوله) في أمر من الأمور كأن يعمل فيه برأيه (فقدضل) طريق الحق (ضلالا مبينا) أي بين الانحراف عن سنن الصواب فلما نزلت هذه الآية رضيت زينب وأخوها وجعلا الأمر بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحها زيدا وساق اليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (واذتقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) أي واذكر وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه بالاعتاق وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) زينب أي لاتطلقها وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أبصرها قائمة في درع وخمار بعدما أنكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شئ فقال لا والله يارسول الله مارأيت منها الاخيرا ولكنها تتعاظم علي بشرفها فقال له أمسك عليك زوجك أي لاتفارقها (واتق الله) في أمرها فلا تطلقها تعللا بتكبرها عليك بسبب النسب وعدم الكفاءة (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي والحال أنك تخفي في نفسك ما أعلمك الله أنها ستصير من أزواجك بعد طلاق زيد (وتخشى الناس) وتستحي من تعيير الناس اياك بأن يقولوا أخذ محمد زوجة ابنه (والله أحق أن تخشاه) أي والحال أن الله وحده أحق أن تستحي منه (فلما قضى زيد منها وطرا) أي فلما وطئها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) أي جعلنا زينب زوجتك بلا واسطة عقد فدخل صلى الله عليه وسلم عليها بغير اذن ولاتجديد عقد ولاتقرير صداق ولاشئ مما يكون شرطا في حقوقنا وأولم عليها بشاة وأطعم الناس خبزا ولحما حتى تركوه وعن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على أحد من نسائه كما أولم على زينب (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذاقضوا منهن وطرا) أي لكيلا يكون على المؤمنين ضيق في تزوج نساء من تبنوهم اذاقضوا منهن حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة فان لهم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني ولو بعد الدخول بها وفي هذا التعليل اشارة الى أن التزوج من النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لقضاء شهوته بل لبيان الشريعة بفعله فان الشرع يستفاد من فعل النبي وقوله (وكان أمر الله مفعولا) أي وكان مراد الله موجودا في الخارج لامحالة (ما كان على النبي

أفارق صاحبتي فانها تؤذيني بلسانها فذلك قوله (واذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالاسلام يعني زيدا (وأنعمت عليه) بالاعتاق (أمسك عليك زوجك واتق الله) فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يتزوج بها الا أنه آثر ما يجب في الأمر بالمعروف وقوله (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أن لو فارقها تزوجها وذلك أن الله كان قد قضى ذلك وأعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا يطلقها (وتخشى الناس) أي تكره مقالة الناس لو قلت طلقها فيقال أمر رجلا بطلاق امرأته ثم تزوجها (والله أحق أن تخشاه) في كل الأحوال ليس أنه لم يخش الله في شئ من هذه القصة ولكن ذكر هذا الكلام ههنا على الجملة وقيل والله أحق أن تستحي منه فلا تأمر زيدا بامساك زوجته بعد اعلام الله اياك أنها من ستكون زوجتك وأنت تستحي من الناس وتقول أمسك عليك زوجك (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته من نكاحها (زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) الآية يعني لكي لايظن أن امرأة المتبنى لاتحل للمتبني وكانت العرب تظن ذلك وقوله (وكان أمر الله مفعولا) أي كائنا لامحالة وقد كان قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما كان على النبي

من حرج فيما فرض الله له) أى ليس على النبي مأثم فيما رخص الله له من التزوج (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى سن الله ذلك سنة فى الذين مضوا من قبل محمد فان داود عليه السلام افتتن بامرأة أوريا وسليمان عليه السلام تزوج بلقيس ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فان اليهود عابوا النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة النساء فرد الله عليهم بقوله سنة الله أى كسنة الله فى الأنبياء الذين من قبل محمد (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أى وكان قضاء الله حكما مبتوتا والقضاء ما كان مقصودا فى الاصل والقدر ما يكون تابعا له مثاله من كان يقصد مدينة فنزل بطريق تلك المدينة فى قرية يصح منه فى العرف أن يقول فى جواب من يقول لم جئت الى هذه القرية انى ما جئت الى هذه القرية وانما قصدت المدينة الفلانية وهذه وقعت فى طريق وان كان قد جاءها ودخلها اذا عرفت هذا فان الخير كله بقضاء وما فى العالم من الضرر بقدر ثم وصف الله تعالى الذين خلوا بقوله تعالى (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه) فى تبليغ الرسالة (ولا يخشون أحدا الا الله) أى الذين هم كانوا رسلا مثل محمد (وكفى بالله حسيبا) أى كافيا للمخاوف فينبغى أن لا يخشى غيره أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة حتى يثبت بينه و بينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها فليس محمد أبا زيد (ولكن رسول الله) أى ولكن كان محمد رسول الله والعامة على تخفيف لكن ونصب رسول على اضمار كان وقرأ أبو عمرو فى رواية بتشديدها على أن رسول اسمها والخبر محذوف أى ولكن رسول الله هو وقرأ زيد بن على وابن أبى عبلة بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء وخبره مقدر أى هو أو بالعكس أى ولكن هو رسول الله (وخاتم النبيين) أى وكان آخرهم الذين ختموا به وقرأ عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها أى فان رسول الله كالأب للأمة فى الشفقة من جانبه وفى التعظيم من طرفهم بل أقوى فان النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والأب ليس كذلك ثم ان النبي الذى يكون بعده نبى ان ترك شيئا من النصيحة يستدركه من يأتى بعده وأما من لا نبى بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم اذ هو كالوالد لولده الذى ليس له غيره من أحد (وكان الله بكل شئ عليما) ومن جملته الحكم الذى بينه لكم وكنتم منه فى شك والحكمة فى تزوجه صلى الله عليه وسلم بزوجة من تبناه اكمال شرعه وذلك أن قول النبي يفيد شرعا لكن اذا امتنع هو عنه يبقى فى بعض النفوس نفرة ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم أحل أكل الضب ثم لم يأكله بقى فى النفوس شئ ولما أكل لحم الجمل طاب أكله عند هامع أنه فى بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله) بما هو أهله من التهليل والتحميد باللسان والقلب (ذكرا كثيرا) يعم الأوقات والاحوال أى بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم فى السر والعلانية عند المعصية والطاعة (وسبحوه) أى نزهوه عما لا يليق به (بكرة وأصيلا) وهذا اشارة الى المداومة وذلك لان مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) أى فالله تعالى وملائكته يعتنون بما فيه خيركم وصلاح أمركم فالله يهديكم برحمته والملائكة يستغفرون لكم (ليخرجكم من الظلمات الى النور) أى يخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) أى وكان الله بكافة المؤمنين رحيما (تحيتهم يوم يلقونه سلام) أى ما يحيون به يوم لقاء الله عند الموت أوعند الخروج من القبور أوعند دخول الجنة تسليم عليهم من الله تعالى تعظيما لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم (وأعد لهم أجرا كريما) أى ثوابا حسنا فى الجنة وهذا ترغيب ببيان أن الاجر الذى هو المقصد الاقصى موجود بالفعل مهيؤ لهم (يأيها النبي انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم

من حرج فيما فرض الله له) أى أحل له من النساء (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) يقول هذه سنة قد مضت أيضا لغيرك يعنى كثرة أزواج داود وسليمان والمعنى سن الله سنة واسعة لا حرج عليه فيها (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أى قضاء مقضيا (الذين يبلغون رسالات الله) من نعت قوله فى الذين خلوا من قبل (يخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) أى لا يخشون مقالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم (وكفى بالله حسيبا) أى حافظا لاعمال خلقه (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) فتقولوا انه تزوج امرأة ابنه يعنى زيدا ليس له بابن وان كان قد تبناه (ولكن) كان (رسول الله وخاتم النبيين) أى لا نبى بعده (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) وهو أن لا ينسى على حال (وسبحوه) أى صلوا له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة العصر والعشاءين (هو الذى يصلى عليكم) أى يغفر لكم ويرحمكم (وملائكته) يستغفرون لكم (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات الجهل والكفر الى نور اليقين والاسلام (تحيتهم) أى تحية الله للمؤمنين (يوم يلقونه) أى يرونه (سلام) يسلم عليهم (وأعد لهم أجرا كريما) وهو الجنة (يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا)

أى على أمتك بابلاغ الرسالة (وداعيا الى الله) أى الى مايقرب منه من الطاعة والتوحيد (باذنه) يعنى بأمره أى أنه أمرك بهذا لا أنك تفعله من قبلك يعنى لايطيعك أحد الا باذن الله فى ذلك وقضائه وقدره (وسراجا

منيرا) يستضاء بك من ظلمة الكفر وقوله (ودع أذاهم) لاتجازهم عليه الى أن تؤمر فيهم بأمر (يأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أى تزوجتموهن (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) أى تحصونها عليهن بالاقراء والاشهر لأن المطلقة قبل الجماع لاعدة عليها (فمتعوهن) أى أعطوهن مايستمتعن به وهو أمر ندب لان الواجب لها نصف الصداق (وسرحوهن سراحا جميلا) أى بالمعروف كما أمر الله ثم ذكر مايحل من النساء للنبى صلى الله عليه وسلم فقال (يأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) أى مهورهن (وما ملكت يمينك) أى من الاماء (مما أفاء الله عليك) أى جعلهن غنيمة تسبى وتسترق بحكم الشرع (وبنات عمك وبنات عماتك) أى تتزوجهن يعنى نساء عبد المطلب (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعنى نساء بنى زهرة (اللاتى هاجرن معك) فمن لم تهاجر منهن لايحل نكاحها (و) احللنا لك (امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها) فلهذلك (خالصة لك من دون المؤمنين) أى فليس لغير النبى ﷺ أن يستبيح وطء امرأة بلفظ الهبة من غير ولى ولامهر ولاشاهد

تشاهد أعمالهم فالنبى بعث فى الدنيا متحملا للشهادة ويكون فى الآخرة مؤديا لما تحمله (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار (وداعيا الى الله) أى الى دينه (باذنه) وهذا راجع الى داعيا وذلك كما اذا قال شخص من يطع الملك يسعد ومن يعصه يشق فيكون مبشرا ونذيرا ولايحتاج فى ذلك الى اذن من الملك وأما اذا قال تعالوا الى سماطه واحضروا على خوانه فيحتاج فى ذلك الى اذنه (وسراجا منيرا) يستضاء به فى ظلمات الجهل ويهتدى بأنواره الى مناهج الرشد (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الأمم المؤمنين فى الزيادة على أجور أعمالهم قوله وبشر عطف على مفهوم والتقدير انا أرسلناك شاهدا ومبشرا فاشهد وبشر وقيل لما نزل قوله تعالى انافتحنالك فتحامبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال المؤمنون هنيئا لك يارسول الله بالمغفرة فما لنا عند الله تعالى فقال الله تعالى وبشر المؤمنين الآية (ولاتطع الكافرين والمنافقين) أى ولاتطع الكافرين من أهل مكة أباسفيان وأصحابه والمنافقين من أهل المدينة عبدالله بن أبى وأصحابه أى لاتترك ابلاغ شىء مما أمرت (ودع أذاهم) أى دع أذيتهم اياك الى الله فانه يعذبهم بأيديكم وبالنار أولاتبال باذيتهم لك بسبب تصلبك فى الدعوة والانذار (وتوكل على الله) فى كل ماتأتى وماتذر فانه تعالى يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) أى موكولا اليه الأمور فى كل الاحوال (يأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أوالكتابيات (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء ومدالميم أى من قبل أن تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة) بالشهور أوالحيض (تعتدونها) أى تستوفون أتم عددها (فمتعوهن) أى أعطوهن مايتمتعن به وهو المتعة الواجبة للمفارقة فى الحياة اذا كانت مدخولا بها أو غير مدخول بها وكانت مفوضة ولم يفرض لها شىء قبل الفراق (وسرحوهن سراحا جميلا) أى اخرجوهن من منازلكم من غير ضرار ولامنع حق (يأيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن) أى أعطيت مهورهن (وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أى مما فتح الله عليك مثل صفية بنت حيى النضرية وريحانة القرظية وجويرية بنت الحرث الخزاعية (وبنات عمك وبنات عماتك) من بنى عبدالمطلب (وبنات خالك وبنات خالاتك) من بنى عبدمناف بن زهرة (اللاتى هاجرن معك) ذكر للتنبيه على ماهو الأولى فان الزوجة التى أوتيت مهرها أطيب قلبا من التى لم تؤت والمملوكة التى سباها الرجل بنفسه أطهر من التى اشتراها الرجل فان المشتراة لايتحقق بدء أمرها وماجرى عليها ومن هاجرت من أقارب النبى صلى الله عليه وسلم معه من مكة الى المدينة أشرف ممن لم تهاجر (وامرأة مؤمنة) وهى أم شريك بنت جابر العامرية وخولة بنت حكيم وزينب بنت خزيمة الانصارية وميمونة بنت الحرث (ان وهبت نفسها للنبى) أى ان ملكته بضعها بأى عبارة كانت بلامهر فتصير كالمستوفية مهرها (ان أراد النبى أن يستنكحها) أى ان يتملك بضعها بلامهر فارادة النكاح جارية منه صلى الله عليه وسلم مجرى القبول (خالصة لك) أى حال كون المرأة خصوصية لك أوهبة مرخصة لك فخالصة اما حال أونعت مصدر مقدر (من دون المؤمنين) قال الشافعى والمعنى ان اباحة الوطء بالهبة وحصول التزوج بلفظها من خواصك وقرىء خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى تلك المرأة أو تلك الهبة رخصة لك وخصوصية لك لاتتجاوز للمؤمنين حيث لاتحل المرأة لهم بغير مهر ولاتصح الهبة بل يجب

(قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم) وهوان لانكاح الابولى وشاهدين (وماملكت ايمانهم) يريدانه لايحل لغير النبى الأربع بولى وشهود والاملاك اليمين والنبى ﷺ يحل له ماذكر فى هذه الآية (لكيلا يكون عليك حرج) فى النكاح (ترجى من تشاء) أى تؤخر (وتؤوى) أى وتضم (اليك من تشاء) أباح الله له أن يترك التسوية والقسمة بين أزواجه

يجب مهر المثل (قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم) أى ما أوجبنا على المؤمنين فى حق أزواجهم بأن لايزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا الابولى وشهود ومهر (وماملكت أيمانهم) بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية وان تستبرأ قبل الوطء (لكيلا يكون عليك حرج) أى ضيق فاللام متعلق بأحللنا والمعنى أحللنا لك أزواجك وماملكت يمينك والموهوبة لك لتكون فى فسحة من الأمر فلا يبقى لك شغل قلب فينزل جبريل بالآيات على قلبك الفارغ وتبلغ رسالات ربك بجدك (وكان الله غفورا رحيما) فيغفر الذنوب ممايعسر التحرز عنه ويرحم العبيد بتوسعة الأمر فى مواضع الضيق (ترجئ من تشاء منهن) أى تترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) أى وتضم اليك من تشاء مضاجعتها فالله أحل له صلى الله عليه وسلم وجوه المعاشرة بهن كيف يشاء ولا يجب عليه القسم فان شاء أن يقسم قسم وان شاء أن يترك القسم ترك وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى أمته نسبة السيد المطاع وروى أنه صلى الله عليه وسلم أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ماشاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فأرجأ خمسا وآوى أربعا وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى ترجى بياء ساكنة والباقون بهمزة مضمومة (ومن ابتغيت ممن عزلت فلاجناح عليك) أى اذا طلبت رد من كنت تركتها الى فراشك فلاجناح عليك فى شئ من ذلك (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولايحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) من تقريب وارجاء وعزل وايواء أى تفويض الأمر الى مشيئتك أقرب الى طيب نفوسهن والى قلة حزنهن والى رضاهن جميعا لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن (والله يعلم مافى قلوبكم) من الرضا والسخط فاجتهدوا فى احسان الخواطر (وكان الله عليما حليما) أى ان أضمرن خلاف ماأظهرن فانه يعلم ضمائر القلوب فان لم يعاتبهن فى الحال فلا يغترن فانه حليم لايعجل (لايحل لك النساء من بعد) أى من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بمايؤتيهن الرسول من الوصل والهجران والنقص والحرمان وقرأ أبو عمرو ولا تحل بالفوقية أو لايحل لك النساء غير اللاتى ذكرنا لك من المؤمنات المهاجرات من بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك وأما غيرهن من الكتابيات فلا يحل لك التزوج بهن (ولاأن تبدل بهن من أزواج ولوأعجبك حسنهن) وهذا نهى عن شغل الجاهلية فانهم كانوا يبادلون زوجة بزوجة فينزل أحدهم عن زوجته و يأخذ زوجة صديقه و يعطيه زوجته روى الدار قطنى عن أبى هريرة قال كان البدل فى الجاهلية أن يقول الرجل للرجل تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزيدك فأنزل الله تعالى ولاأن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن (الا ماملكت يمينك) فتحل لك وقد ملك مارية القبطية وولدت له ابراهيم ومات فى حياته صلى الله عليه وسلم (وكان الله على كل شئ رقيبا) أى حافظا شاهدا فاحذروا مجاوزة حدوده (يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الاأن يؤذن لكم) أى لاتدخلوا بيوت النبى فى حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم بالدخول (الى طعام غير ناظرين اناه) أى منتظرين نضجه نزلت هذه الآيه

حتى انه ليؤخر من يشاء منهن عن وقت نوبتها ويطأ من يشاء فى غير نوبتها ويكون الأمر فى ذلك اليه يفعل فيه مايشاء وهذا من خصائصه (ومن ابتغيت) أى طلبت وأردت اصابتها (ممن عزلت) أى هجرت وأخرت نوبتها (فلاجناح عليك) أى فى ذلك (ذلك أدنى ان تقر أعينهن) الآية أى اذا كانت هذه الرخصة منزلة من الله عليك كان أقرب الى ان يرضين (بما آتيتهن كلهن والله يعلم مافى قلوبكم) اى من أمر النساء والميل الى بعضهن ولما خير النبى صلى الله عليه وسلم نساءه فاخترنه ورضين به قصره الله عليهن وحرم عليه طلاقهن والتزويج بسواهن وجعلهن أمهات المؤمنين وهو قوله (لاتحل لك النساء من بعد) أى من بعد هؤلاء التسع (ولاأن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) أى ليس لك أن تطلق واحدة من هؤلاء وتتزوج بدلها أخرى أعجبتك بجمالها (الا ماملكت يمينك) من الاماء فانهن حلال لك (يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا) الآية نزلت فى اناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبى ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام الى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون فكان النبى ﷺ يتأذى بهم وهو قوله (غير ناظرين اناه) أى منتظرين ادراكه

فى قوم كانوا يدخلون فى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فيجلسون وينتظرون وقت الطعام حتى يأكلوا ثم يتحدثون مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فاغتم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم واستحيا أن يأمرهم بالخروج وينهاهم عن الدخول فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآيات (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أى أكلتم الطعام (فانتشروا) أى فتفرقوا ولا تلبثوا (ولا مستأنسين لحديث) أى وغير مستأنسين لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له (ان ذلكم) أى الدخول واللكث لحديث (كان يؤذى النبي) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله (فيستحيي منكم) أى من اخراجكم (والله لا يستحيي من الحق) أى لا يترك الأمر بخروجكم ولا يترك النهى عن الدخول بغير اذن (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أى واذا سألتم نساء النبي شيئا ينتفع به فاسألوهن من خلف ستر ❊ قيل انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (ذلكم أطهر لقلوبكم) أى ان عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث بعد الدخول بالاذن وسؤال المتاع من وراء حجاب أطهر للخواطر التى تعرض للرجال فى أمر النساء (وقلوبهن) أى وأطهر للخواطر التى تعرض للنساء فى أمر الرجال أى فان ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى فى الحماية (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أى وما صح لكم أن تفعلوا فى حياته صلى الله عليه وسلم ما يكرهه ويتأذى به كالدخول عليه بغير اذنه والحديث مع أزواجه وما صح لكم أن تنكحوا أزواجه صلى الله عليه وسلم أبدا من بعد فراقه صلى الله عليه وسلم بموت أو طلاق سواء أدخل بها أم لا ونزلت هذه الآية فى رجل من الصحابة قال فى نفسه اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة وندم هذا الرجل على ما حدث به نفسه فمشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة أفراس فى سبيل الله وأعتق رقيقا فكفر الله عنه قيل هذا الرجل هو طلحة بن عبيد الله (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ان ايذاء الرسول بنكاح زوجته أو غيره كان عند الله ذنبا عظيما (ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما) أى ان تظهروا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على ألسنتكم أو تعزموا على ايذائه صلى الله عليه وسلم أو نكاح أزواجه بعده فى قلوبكم فالله يجازيكم على ذلك (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن) أى لا اثم على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فى عدم الاحتجاب عن محارمهن وهذا استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء الحجاب فنزلت هذه الآية (ولا نسائهن) أى ولا جناح على زوجات النبي فى عدم الاحتجاب عن النساء المسلمات ويجب عليهن الاحتجاب عن النساء الكافرات ما عدا ما يبدو عند المهنة (ولا ما ملكت ايمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقيل من كان دون البلوغ من العبيد (واتقين الله) فى كل ما تأتين وما تذرن وقال الرازى واتقين الله عند المماليك وذلك دليل على ان التكشف لهم مشروط بالسلامة والعلم بعدم المحذور (ان الله كان على كل شئ شهيدا) فهو شاهد عند اختلاء بعضكم ببعض فخلوتكم مثل ملئكم فاتقوا شهادة الله (ان الله وملائكته يصلون على النبي) أى ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له ﷺ وقرأ ابن عباس وكذا أبو عمرو فى رواية وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين ومبتدأ محذوف الخبر عند البصريين (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

(ولا مستأنسين لحديث) أى طالبين الانس (والله لا يستحيي من الحق) أى لا يترك تأديبكم وحملكم على الحق (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) اذا أردتم أن تخاطبوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فى أمر فخاطبوهم من وراء حجاب وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال فلما نزلت هذه الآية ضرب عليهن الحجاب فكانت هذه آية الحجاب بينهن وبين الرجال (ذلكم) أى الحجاب (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) فان كل واحد من الرجل والمرأة اذا لم ير الآخر لم يقع فى قلبه شئ (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) أى ما كان لكم أذاه فى شئ من الأشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) وذلك ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنكحن عائشة رضى الله عنها فأعلم ان ذلك محرم بقوله (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ذنبا عظيما (ان تبدوا شيئا أو تخفوه) الآية نزلت فى هذا الرجل الذى قال لأنكحن عائشة أخبر الله أنه عالم بما يظهر ويضمر فلما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى (لا جناح عليهن) الى قوله (ولا ما ملكت ايمانهن) أى فى ترك الاحتجاب من هؤلاء (ان الله وملائكته يصلون على النبي) الله تعالى يثنى على النبي ويرحمه والملائكة يدعون له (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا

تسليما) أي قولوا اللهم صل على محمد وسلم (ان الذين يؤذون الله ورسوله) يعني اليهود والنصارى والمشركين في قولهم يد الله مغلولة وان الله فقير ونحن أغنياء والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وشجوا وجه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ساحر وشاعر (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أي يرمونهم بغير ما عملوا (يأيها النبي قل لأزواجك) الآية كان قوم من الزناة يتبعون النساء اذا خرجن ليلا ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن لم تكن يومئذ تعرف الحرة من الأمة فان زيهن كان واحدا انما يخرجن في درع وخمار فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالاماء فأنزل الله قوله (يدنين عليهن من جلابيبهن) أي يرخين أرديتهن وملاحفهن ليعلم انهن حرائر فلا يتعرض لهن وهو قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا) أي لما سلف منهن في ترك الستر (رحيما) بهن اذ سترهن (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة) أي الذين يوقعون أخبار السرايا بأنهم هزموا بالكذب والباطل (لنغرينك بهم) أي

تسليما) وهذا دليل على وجوب الصلاة والسلام عند الشافعي لأن الأمر للوجوب ولا يجبان الا في الصلاة فيجبان في التشهد وهما قولنا فيه سلام عليك أيها النبي وقولنا اللهم صل على محمد وانما أمرنا الله بالصلاة عليه ﷺ مع أنه يكفيه ﷺ صلاته تعالى عليه لاظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم منا شفقة علينا ليثيبنا عليه كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه تعالى ولا حاجة له اليه (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله) أي أبعدهم من رحمته (في الدنيا والآخرة) بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها (وأعد لهم) مع ذلك (عذابا مهينا) يصيبهم في الآخرة خاصة واذاية الله تكون بالكفر كانكار وجوده تعالى و وصفه تعالى بما لا يليق به كقول اليهود يد الله مغلولة وان الله فقير وعزير ابن الله وقول النصارى ثالث ثلاثة والمسيح ابن الله وقول المشركين الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه واذاية الرسول كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وطعنهم في نكاح صفية٧ وقولهم له ﷺ هو شاعر ساحر كاهن مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) بقول أو فعل (بغير ما اكتسبوا) أي بغير جناية يستحقون بها الأذية (فقد احتملوا بهتانا) أي زورا (و إثما مبينا) أي ذنبا ظاهرا موجبا للعقاب في الآخرة قيل ان هذه الآية نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا و يسمعونه مالا خير فيه وقيل نزلت في أهل الافك في شأن عائشة وصفوان وقيل في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما يقع منهم التعرض للحرائر أيضا لأن زي الكل كان واحدا لأنهن يخرجن في درع وخمار فشكون ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ثم نهى الله تعالى الحرائر أن يتشبهن بالاماء بقوله تعالى (يأيها النبي قل لأزواجك و بناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن) أي يرخين على نحورهن وجيوبهن (من جلابيبهن) أي ثيابهن التي يلتحفن بها (ذلك) أي تغطي الأبدان (أدنى أن يعرفن) أي أحق بأن يعرفن أنهن حرائر وأنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن لأن من تستر وجهها لا يطمع فيها أن تكشف عورتها (فلا يؤذين) بالتعرض لهن من جهة من يتعرض للاماء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بعباده حيث يراعي مصالحهم (لئن لم ينته المنافقون) عبد الله بن أبي وأصحابه عن المكر والخيانة (والذين في قلوبهم مرض) أي شهوة الزنا التي يؤذي المؤمن باتباع نسائه (والمرجفون في المدينة) بقولهم غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ (لنغرينك بهم) أي لنأمرنك باخراجهم من المدينة أو بقتالهم (ثم لا يجاورونك فيها) أي لا يساكنون معك في المدينة وتخلو المدينة منهم بالاخراج أو بالموت (الا قليلا) أي الا زمانا يسيرا (ملعونين) أي مطرودين من باب الله ومن بابك وهو نصب على الشتم و يجوز عند الكسائي والفراء منصوبا بأخذوا الذي هو جواب الشرط وعلى الوقف ملعونين وقف كاف أي على غير هذا الاعراب (أينما ثقفوا) أي في أي مكان وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) وهذه الآية خبر بمعنى الأمر أي خذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اذا كانوا مقيمين على النفاق والأرجاف (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي سن الله ذلك في الأمم الذين من قبلهم سنة وهي أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء عليهم السلام وسعوا في توهين أمرهم بالارجاف ونحوه أينما وجدوا

لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) أي لا يساكنونك في المدينة (الا قليلا) حتى يخرجوا منها (ملعونين) أي مطرودين (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل) سن الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم ان يقتلوا حيثما ثقفوا وقوله

(ولن تجدلسنة الله تبديلا) أى هذه السنة ليست مثل الحكم الذى ينسخ فان النسخ يكون فى الأحكام أما الأفعال والاخبار فلا تنسخ (يسألك الناس) أى كفار مكة واليهود عن (الساعة) أى عن وقت قيام القيامة فان المشركين يسألونه ﷺ عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود سألوا عنه امتحانا (قل انما علمها عند الله) لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (ومايدريك) أى أى شىء يعلمك بوقت قيامها أى لا يعلمك به شىء أصلا (لعل الساعة تكون قريبا) وهذا تخويف أى هى فى علم الله فلا تستبطئوها فربما تقع عن زمان قريب (ان الله لعن الكافرين) فى الدنيا والآخرة (وأعدلهم سعيرا) أى نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا لايجدون وليا) أى حافظا يحفظهم من عذاب الله (ولا نصيرا) يخلصهم منه (يوم تقلب وجوههم فى النار) وهو ظرف لايجدون (يقولون) حال من ضمير وجوههم (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا) عطف على يقولون (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) أى فصرفونا عن الدين وقرأ ابن عامر ساداتنا بألف بعد الدال و بالنصب بالكسرة الظاهرة أى ان الكافرين يقولون يوم تصرف أبدانهم فى النار من جهة الى جهة كلحم يشوى فى النار أو يطبخ فى القدور فى الدنيا فلا تبتلى بهذا العذاب فيتحسرون و يندمون حيث لا تنفعهم الندامة والحسرة ثم يقولون أطعنا السادة بدل طاعة الله تعالى وأطعنا الكبراء بدل طاعة الرسول وتركنا طاعة سادة السادات وأكبر الأكابر فبدلنا الخير بالشر ففاتنا خير الجنات وأعطينا شر النيران ثم انهم يطلبون بعض التشفى بتعذيب المضلين و يقولون (ربنا آتهم) أى أعط الرؤساء (ضعفين من العذاب) أى مثلى العذاب الذى أعطيتناه (والعنهم لعنا كبيرا) أى شديدا وقرأ عاصم بالباء الموحدة أى لعنا عظيما والباقون بالثاء المثلثة أى كثير العدد (يأيها الذين آمنوا لاتكونوا) فى ايذاء نبيكم (كالذين آذوا موسى) بأنواع الأذية كنسبته الى عيب فى بدنه من ادرة أو برص وكاغراء مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بدفع مال عظيم اليها وكغير ذلك (فبرأه الله مما قالوا) أى أظهر الله براءته عليه السلام من قولهم روى مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا انه آدر فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى يجرى عقبه و يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فوقف الحجر فأخذ موسى ثوبه فاستتر به وضرب الحجر حتى ظهر فيه ستة جروح اه (وكان) موسى (عند الله وجيها) أى معظما رفيع القدر قال ابن عباس كان عظيما عند الله تعالى لا يسأله شيئا الا أعطاه وقال الحسن كان مجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) أى صوابا والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب المائل عن العدل (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس أى يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكى أعمالكم (و يغفر لكم ذنوبكم) باستقامتكم فى القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) فى الأوامر والنواهى (فقد فاز) فى الدارين (فوزا عظيما) أى نال جميع مراداته (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) والمراد بالأمانة الفرائض التى فرضها الله تعالى على عباده (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أى خفن من حملها أن لا يؤدينها فيلحقهن من العقاب أى فقال لهن أتحملن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وتعظيما لدين الله تعالى لا لمخالفة لأمره وكان العرض عليهن تخيير الا الزاما (وحملها الانسان) أى آدم قال الله تعالى لآدم انى عرضت

(انا أطعنا سادتنا) أى قادتنا ورؤساءنا فى الشرك والضلالة (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) أى مثلى عذابنا (يأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى) أى لا تؤذوا نبيكم كما آذوا هم موسى وذلك انهم رموه بالبرص والادرة حتى برأه الله مما رموه بآية معجزة (وكان عند الله وجيها) أى ذا جاه ومنزلة (وقولوا قولا سديدا) أى حقا وصوابا وقيل هو لا اله الا الله (إنا عرضنا الأمانة) أى الفرائض التى افترضها الله على العباد وشرط عليهم أن من أداها جوزى بالاحسان ومن خان فيها عوقب (على السموات والأرض والجبال) أى أفهمهن الله خطابه وأنطقهن (فأبين أن يحملنها) مخافة وخشية لا معصية ومخالفة وهو قوله (وأشفقن منها) أى خشين منها (وحملها الانسان) يعنى آدم

الأمانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فحملها آدم فقال بين أذني وعاتقي قال الله تعالى أما اذا تحملت فسأعينك وأجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر الى مالا يحل فارخ عليه حجابه وأجعل للسانك لحيين وغلافا فاذا خشيت فأغلق عليه وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ماحرمت عليه (انه) أي الانسان (كان ظلوما) أي متعبا لنفسه بحملها وهذا الظلم ممدوح من الانبياء (جهولا) بعاقبته وان النفس لا تطيق الدوام على حملها (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) فاللام للعاقبة متعلق بحمل أي حملها الانسان وكان عاقبة حملها أن يعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي كان عاقبة حملها أن يقبل توبتهم (وكان الله غفورا) للظلوم (رحيما) على الجهول لان الله تعالى وعد عباده بأنه يغفر الظلم جميعا الا الظلم العظيم الذي هو الشرك

﴿سورة سبأ مكية أربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاث﴾
﴿وثمانون كلمة . وألف وخمسمائة واثنا عشر حرفا﴾
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذي له مافي السموات ومافي الارض) أي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ماوجد فيهما (وله الحمد في الآخرة) أي له المنة على أهل الجنة فيحمدونه (وهو الحكيم الخبير) فالحكيم هو الفاعل على وفق العلم فان من يعلم أمرا ولم يأت بما يناسب علمه لا يقال له حكيم ومن يأت بأمر عجيب على سبيل الاتفاق من غير علم لا يقال له حكيم والخبير هو الذي يعلم عواقب الأمور وبواطنها فهو حكيم في الابتداء يخلق كما ينبغي وخبير بالانتهاء يعلم ماذا يصدر من المخلوق ومالا يصدر ومصير كل أحد (يعلم مايلج في الارض) من الغيث والكنوز والدفائن والأموات ونحوها (ومايخرج منها) كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها (ومايعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والأدخنة (وهو الرحيم الغفور) أي الرحيم بانزال الرزق وللحامدين عليه والغفور عندما تعرج اليه الارواح والاعمال وللمفرطين في الحمد (وقال الذين كفروا) أبو جهل وأصحابه (لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم) أي الساعة (عالم الغيب) قرأ نافع وابن عامر بالرفع على المدح فالوقف على لتأتينكم حينئذ كاف وابن كثير وأبو عمرو وعاصم بالجر نعت لربي أو بدل منه وقرأ حمزة والكسائي علام بالجر والوقف حينئذ على بلى وهو كاف كالوقف على الغيب (لا يعزب عنه مثقال ذرة) أي لا يغيب عن الله وزن نملة حمراء صغيرة وقرأ الكسائي بكسر الزاي (في السموات ولا في الارض) فقوله في السموات اشارة الى علمه تعالى بالأرواح لانها في السماء وقوله ولا في الارض اشارة الى علمه تعالى بالأجساد لان أجزاءها في الارض واذا علم الله الارواح والأشباح وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد في المعاد (ولا أصغر من ذلك) أي من مثقال ذرة (ولا أكبر) منه (الا في كتاب مبين) أي الا مكتوب في اللوح المحفوظ وجملة ولا أصغر الى آخرها من مبتدأ وخبر مؤكدة لنفي العزوب أما على قراءة الفتح في أصغر وأكبر فهو اسم لا والخبر الا في كتاب (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهذا علة لقوله تعالى لتأتينكم (أولئك) الموصوفون بالصفات الجليلة (لهم مغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) فان الرزق يأتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه مالم يتسبب فيه لا يأتي ثم ان المغفرة جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور له كما في حديث البخاري يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من ايمان

(انه كان ظلوما) لنفسه (جهولا) أي غرا بأمر الله وما احتمل من الأمانة ثم بين أن حمل آدم هذه الأمانة كان سببا لتعذيب المنافقين والمشركين في قوله (ليعذب الله المنافقين) الآية الى قوله (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) يعني اذا خانوا في الأمانة بمعصية أمر الله تاب الله عليهم بفضله (وكان الله غفورا رحيما)
﴿تفسير سورة سبأ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله) على جهة التعظيم (الذي له مافي السموات ومافي الارض) ملكا وملكا وخلقا (وله الحمد في الآخرة) لان أهل الجنة يحمدونه (يعلم ما يلج في الارض) أي يدخل فيها من الماء والأموات (وما يخرج منها) من النبات (وما ينزل من السماء) من الأمطار (وما يعرج) أي يصعد (فيها) من الملائكة (وقال الذين كفروا) يعني منكري البعث (لا تأتينا الساعة) أي لا نبعث (قل) لهم يا محمد (بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب) بالخفض نعت قوله وربي ويقرأ بالرفع على معنى هو عالم الغيب وقوله (لا يعزب) مفسر في سورة يونس وقوله (ليجزي) يعود الى قوله لتأتينكم الساعة معناه لتأتينكم الساعة ليجزي (الذين آمنوا) الآية

والرزق الكريم جزاء العمل الصالح (والذين سعوا فى آياتنا) بالإبطال أى كذبوها (معاجزين) أى متأخرين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بتشديد الجيم وبغير ألف بعد العين أى مريدين التعجيز أو ظانين انهم يفوتون الله أو مثبطين عن الايمان من أراده (أولئك لهم عذاب من رجز) أى من جنس سوء العذاب (أليم) أى شديد وقرأ ابن كثير وحفص بالرفع صفة لعذاب والباقون بالجر صفة لرجز (ويرى الذين أوتوا العلم) أى ويعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله ومن علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما (الذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن (هو الحق) بالنصب على أنه مفعول ثان (ويهدى الى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد (وقال الذين كفروا) أبو سفيان وأصحابه للسفلة (هل ندلكم على رجل ينبئكم) أى يحدثكم بعجب عجاب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد) أى انكم تنشأون خلقا جديدا بعد أن تفرقت أجسادكم كل تفريق بحيث تصير ترابا ويقصدون بذلك الرجل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم (أفترى على الله كذبا) أى أهو الرجل تعمد على الله كذبا ان كان يعتقد خلاف اخباره بأنهم يبعثون (أم به جنة) أى أم فيه جنون ان كان لا يعتقد خلافه وهذا اما من تمام القائل أولا أو من كلام السامع المجيب لذلك القائل قال الله تعالى جوابا لترددهم مناديا عليهم بسوء حالهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال (فى العذاب والضلال البعيد) لان من يسمى المهتدى ضالا يكون هو الضال ومن يسمى الهادى ضالا يكون أضل (أفلم يروا الى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أى أفعلوا مافعلوا من التكذيب فلم ينظروا الى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم فذلك يدل على وحدانية الله وكمال قدرته وذلك دليل على الاعادة (ان نشأ نخسف بهم الارض) كما خسفناها بقارون وأصحابه (أو نسقط عليهم كسفا) أى قطعا (من السماء) كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستحقاقهم ذلك وقرأ حفص بفتح السين والباقون بسكونها وقرأ حمزة والكسائى ان يشأ يخسف أو يسقط بالياء فى الثلاثة (ان فى ذلك) أى المحيط بالناظر من جميع الجوانب (لآية لكل عبد منيب) أى لكل من يرجع الى الله ويترك التعصب تدل على قدرة الله على احياء الموتى (ولقد آتينا داود منا فضلا) أى أعطيناه لصحة توبته نوعا من الفضل على سائر الأنبياء عليهم السلام وهو ماذكر بعد (ياجبال أوبى معه) أى رجعى مع داود النوحة على الذنب (والطير) بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه تسخيرها له وقيل كان داود ينوح على ذنبه بترجيع وتحزن وكانت الجبال تساعده على نوحه باصدائها والطير بأصواتها وقوله ياجبال الخ بدل من آتينا باضمار قلنا أو من فضلا باضمار قولنا (وألنا له الحديد) أى جعلناه لينا فى نفسه كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة (أن اعمل سابغات) أى أمرناه بأن اعمل دروعا واسعات (وقدر فى السرد) أى توسط فى نسج الدروع بحيث تتناسب حلقها أو لا تصرف جميع أوقاتك الى النسج بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقى فاصرفه الى العبادة (واعملوا صالحا) أى لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فأكثروا منه وقدروا فى الكسب (انى بما تعملون بصير) فمن يعمل للملك شغلا ويعلم أنه بمرأى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه (ولسليمان الريح) أى وسخرله الريح عوضا عن الخيل

(والذين سعوا فى آياتنا) مفسر فى سورة الحج (ويرى الذين أوتوا العلم) يعنى مؤمنى أهل الكتاب (الذى أنزل اليك من ربك) وهو القرآن (هو الحق ويهدى) أى القرآن (وقال الذين كفروا) انكار البعث وتعجبا منه (هل ندلكم على رجل) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق) أى مزقتم وصرتم رفاتا (انكم لفى خلق جديد) أى تبعثون (أفترى على الله كذبا) أى فيما يخبر به من البعث (أم به جنة) أى حالة جنون قال الله تعالى (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) الآية (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) يقول أما يعلمون انهم حيثما كانوا فهم يرون ما بين أيديهم من الأرض والسماء مثل الذى خلفهم وانهم لا يخرجون منها فكيف يأمنون أن (نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) عذابا (ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب) أى لعلامة تدل على قدرة الله على احياء الموتى لكل من أناب الى الله وتأمل ما خلق الله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا) ثم بين ذلك فقال (ياجبال) أى قلنا ياجبال (أوبى معه) أى سبحى معه (والطير) كان اذا سبح جاوبته الجبال وعكفت عليه الطير من فوقه تسعده على ذلك (وألنا له الحديد) أى جعلناه لينا فى يده التى كالطين المبلول والعجين وقلنا له (أن اعمل سابغات) أى دروعا كوامل (وقدر فى السرد) أى لا تجعل مسمار الدروع دقيقا فيقلق ولا غليظا فيفصم الحلق أى اجعله على قدر الحاجة والسرد نسج الدروع (واعملوا) يعنى داود وآله (صالحا) أى عملا صالحا من طاعة الله (ولسليمان الريح)

التي عقرها الله تعالى وقرأ شعبة برفع الريح على الابتداء والخبر مجرور قبله لان الريح كانت لسليمان كالمملوك المختص به يأمرها بما يريد حيث يريد (غدوها شهر ورواحها شهر) أي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر ويروح من اصطخر فيبيت ببابل (وأسلنا له عين القطر) أي النحاس المذاب يعمل به ما يشاء كما يعمل بالطين وكان ذلك بأرض اليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام (ومن الجن من يعمل بين يديه) بالسخرة من البنيان وغيرها (باذن ربه) أي بأمره تعالى (ومن يزغ) أي يمل (منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) أي عذاب النار الوقود في الآخرة (يعملون له) أي في أي وقت شاء (مايشاء من محاريب) أي أبنية مرتفعة يصعد اليها بدرج (وتماثيل) أي صور من نحاس و زجاج ورخام ونحو ذلك وقيل هي صور الملائكة والأنبياء والعباد كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة و يعبدوا ربهم على مثالهم وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد على الكرسي بسط الأسدان له ذراعيهما واذا جلس أظله النسران بأجنحتهما (وجفان كالجواب) أي قصاع كالحياض الكبار وقيل كان يجتمع على جفنة واحدة ألف رجل وقرأ ورش وأبو عمرو باثبات الياء في الوصل دون الوقف وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا والباقون بالحذف وقفا ووصلا (وقدور راسيات) أي ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها وكان يصعد عليها بالسلالم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) فآل منادى وشكرا مفعول به روي أن سليمان عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادي الشكور) أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته (فلما قضينا عليه) أي سليمان (الموت مادلهم) أي آله (على موته الا دابة الارض) وهي الارضة (تأكل منسأته) أي عصاه (فلما خر) أي وقع سليمان على الارض بعد أن قصمت الارضة عصاه (تبينت الجن) أي علمت الجن علما بينا (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أي أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كموت سليمان ما لبثوا في العذاب المهين وحينئذ يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب بل كانوا يسترقون السمع و يموهون على الناس أنهم يعلمون الغيب وقال سليمان لملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض الله روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الأعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته و ينظرون الى سليمان عليه السلام فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبونه حيا فلا ينكرون خروجه الى الناس لطول صلاته فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته حينئذ فشكروا ذلك للارضة فأينما كانت يأتونها بالماء والطين وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما وحكي أن سليمان عليه السلام ابتدأ بناء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملكه وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة سنة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد فراغه منه اثني عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه الى الله تعالى بالدعاء وقال اللهم أنت وهبت لي هذا

أي وسخرنا له الريح يعني داود وآله (غدوها شهر) أي مسيرها الى انتصاف النهار مسيرة شهر ومن انتصاف النهار الى الليل مسيرة شهر وهو قوله تعالى (ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر) أي أذبنا له عين النحاس فسالت له كما يسيل الماء (ومن الجن) أي وسخرنا له من الجن (من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ) أي يمل و يعدل (منهم عن أمرنا) الذي أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) وذلك أن الله وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته (يعملون له مايشاء من محاريب) أي مجالس ومساكن ومساجد (وتماثيل) يعني صور الأنبياء كانت تصور في المساجد ليراها الناس ليزدادوا عبادة (وجفان) أي قصاع كبار (كالجوابي) يعني كالحياض التي تجمع الماء (وقدور راسيات) أي ثوابت لا تحرك عن مكانها لعظمها وقلنا (اعملوا) بطاعة الله (آل داود شكرا) له على نعمه (فلما قضينا عليه الموت مادلهم) الآية كان سليمان يقول اللهم عم على الجن موتي ليعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فمات سليمان متكئا على عصاه سنة ولم يعلم الجن ذلك حتى أكلت الارضة عصاه فسقط ميتا وهو قوله (ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته) أي عصاه (فلما خر) أي سقط (تبينت الجن) أي علمت أنهم (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) أي فيما سخرهم فيه سليمان واستعملهم

(لقد كان لسبإ) وهو اسم قبيلة (في مساكنهم) باليمن (آية) أي دلالة على قدرتنا (جنتان) أي هي جنتان (عن يمين وشمال) أي بستان يمنة و بستان يسرة وقيل لهم (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) على ما أنعم عليكم (بلدة طيبة) أي بلدتكم طيبة ليست بسبخة (و) الله (رب غفور)

والمعنى تمتعوا ببلدتكم الطيبة واعبدوا ربا يغفر ذنوبكم (فأعرضوا) من أمر الله بتكذيب الرسل (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وهو السكر الذي يحبس الماء وكان لهم سكر يحبس الماء عن جنتيهم فأرسل الله فيه جرذا فنقبته وانشق الماء عليهم فغرق جناتهم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) أي ذواتي ثمار مر (وأثل) وهو الطرفاء (وشيء من سدر قليل) وذلك أن الله أهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها الأراك والطرفاء والسدر (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي جزيناهم ذلك الجزاء بكفرهم (وهل يجازى الا الكفور) أي بسوء عمله وذلك أن المؤمن تكفر عنه سيئاته والكافر يجازى بكل سوء عمله (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) يعني قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة ترى من هذه القرية القرية الأخرى وكانوا يخرجون من سبأ الى الشام فيمرون على القرى العامرة (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا سيرهم بمقدار اذا غدا أحدهم من قرية قال في الأخرى واذا راح من قرية أوى الى قرية أخرى (وقلنا لهم سيروا فيها) أي في تلك القرى (ليالي وأياما) يعني أي وقت شئتم من ليل أو نهار (آمنين) أي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا

السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت وتوفني على ملتك ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني اللهم اني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة الا غفرت له وتبت عليه ولا خائف الا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا أغنيته والخامسة أن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه الا من أراد الحادا أو ظلما يارب العالمين (لقد كان لسبإ في مسكنهم آية) أي علامة دالة على قدرتنا وقرأ حمزة وحفص بسكون السين وفتح الكاف والكسائي بكسرها والباقون مساكنهم بلفظ الجمع أي عند مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها و بين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام آية دالة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء (جنتان عن يمين وشمال) أي عن يمين بلدهم وشمالها جماعتان من الجنات وكان سبأ ثلاث عشرة قرية فبعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فقال لهم الأنبياء (كلوا من رزق ربكم) من الثمار ونحوها (واشكروا له) بالتوحيد ليديم لكم النعمة (بلدة طيبة ورب غفور) أي بلدتكم بلدة طاهرة عن المؤذيات لا حية فيها ولا عقرب ولا وباء ولا وخم وربكم الذي رزقكم الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره (فأعرضوا) عن الايمان ولم يشكروا قال وهب أرسل الله الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله تعالى علينا من نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي سلطنا عليهم سيل الوادي والعرم وادي اليمن يقال له وادي الشجر وكان فيه مسناة يحبسون الماء في الوادي وكان لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجاتهم فأخصبوا وكثرت أموالهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفأرة فنقبت الردم فهدم الله تلك المسناة واهلكهم بذلك الماء وأهلك ما كان لهم من البساتين والبيوت وغير ذلك (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) أي أذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتي ثمر بشع وقرأ أبو عمرو أكل بغير تنوين أي ثمر أراك (وأثل) أي طرفاء (وشيء من سدر قليل) أي قليل ثمره كثير شوكه له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه في غسل اليد وهو سدر بري وهذان معطوفان على أكل لا على خمط وقرئ وأثلا وشيئا عطفا على جنتين (ذلك) أي التبديل (جزيناهم بما كفروا) أي بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها (وهل نجازي الا الكفور) أي وما نجازي هذا الجزاء الا للبالغ في الكفران وقرأ حفص وحمزة والكسائي بنون العظمة والباقون بالياء على البناء للمفعول ورفع الكفور وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وجعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها) بالماء والشجر (قرى ظاهرة) أي وجعلنا بين أهل سبأ وهم باليمن و بين أهل الاردن وفلسطين وهم بالشام قرى يرى بعضها من بعض لتقاربها يرى سواد القرية من القرية الأخرى قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا السير بين قراهم والشام سيرا مقدرا من قرية الى قرية فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فلا يحتاجون في السفر الى حمل زاد وماء وقلنا لهم (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) وهو أمر

(فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) وذلك أنهم سئموا الراحة وبطروا النعمة فتمنوا أن تتباعد قراهم ليبعد سفرهم فيها (وظلموا أنفسهم
بالكفر والبطر (فجعلناهم أحاديث) أى لمن بعدهم يتحدثون بقصتهم (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم

بمعنى الخبر أى تسيرون فى تلك القرى ان شئتم ليالى وان شئتم أياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة
فان بعضها يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بسيرها وبعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو اذا كان غير مجاهر
بالقصد والعداوة قال قتادة كانوا يسيرون غير خائفين ولا جائعين ولا ظامئين كانوا يسيرون مسيرة
أربعة أشهر فى أمان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقى الرجل قاتل أبيه لا يحركه (فقالوا) على وجه الدعاء
(ربنا باعد بين أسفارنا) أى باعد بين المنازل التى تنزل فيها بأن يكون بين كل واحد والآخر مسافة
بعيدة أى سألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام قفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد
ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا
لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد بتشديد العين من غير ألف (وظلموا
أنفسهم) حيث عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة وتركوا شكر تلك النعم (فجعلناهم أحاديث)
لمن بعدهم فيتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ويضربون مثلا فيقولون
تفرقوا أيدى سبأ والأيدى بمعنى الانفس أو الاولاد (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم كل تفريق
أى فلما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد فغسان لحقوا بالشام والازد بعمان وخزاعة بتهامة والأوس
والخزرج بيثرب (ان فى ذلك) أى التمزيق والاهلاك (لآيات) أى لعبرات (لكل صبار) عن
الشهوات وعلى مشاق الطاعات (شكور) على النعم (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) أى وجد
ابليس ظنه صادقا فى أنه يغوى بنى آدم أو فى أنه خير منهم فالمتبوع خير من التابع فابليس امتنع من عبادة
غير الله والمشركون يعبدون غير الله فابليس كفر بأمر أقرب الى التوحيد والمشركون كفروا
بالاشراك وقرأ الكوفيون صدق بتشديد الدال والباقون بالتخفيف أى صدق فى ظنه أو جعل ظنه
صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع ظن مع تشديد صدق بمعنى وجد ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له
الصدق حين خيل له اغواءهم وبرفعهما مع التخفيف على الابدال (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) أى
الا فريقا هم المؤمنون فان المؤمنين كلهم لم يتبعوه فى أصل الدين أو الا فريقا من فرق المؤمنين فان
المخلصين لم يتبعوه فى العصيان (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى
شك) أى وما كان تسلط ابليس على بنى آدم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو فى شك
منها فنجازى كلا منهما (وربك على كل شئ حفيظ) أى الله تعالى قادر على منع ابليس عنهم عالم بما
سيقع (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أى قل يا أشرف الخلق لكفار مكة بنى مليح وكانوا
يعبدون الجن ويظنون أنهم الملائكة ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من دون الله ليكشفوا عنكم الضر
الذى نزل بكم فى سنى الجوع قال الله تعالى (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) أى لا
يملك آلهتهم وزن ذرة من نفع وضر فى أمر من الأمور (وما لهم فيهما من شرك) أى وما لآلهتهم فى
السموات والارض من شركة مع الله لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا (وما له) تعالى (منهم) أى من آلهتهم
(من ظهير) أى معين فى تدبير أمرهما وفى خلق شئ بل الله تعالى هو المنفرد بالايجاد فهو الذى يجب أن
يكون معبودا (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أى ولا تنفع الشفاعة عنده تعالى فى حال من
الأحوال الا كائنة لمن أذن الله له فى الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة

فى البلاد فصاروا يتمثل بهم فى الفرقة وذلك أنهم ارتحلوا عن أماكنهم وتفرقوا فى البلاد (ان فى ذلك) الذى فعلنا (لآيات لكل صبار شكور) أى لكل مؤمن لان المؤمن هو الذى اذا ابتلى صبر واذا أعطى شكر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) الذى ظن بهم من اغوائهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) أى وجدهم كما ظن بهم الا المؤمنين (وما كان له عليهم من سلطان) أى من حجة نستتبعهم بها (الا لنعلم) والمعنى لكن امتحناهم بابليس لنعلم (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) أى علم وقوعه منه (قل) يا محمد لمشركى قومك (ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة (من دون الله) ثم وصفهم فقال (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما) أى فى السموات والارض (من شرك) أى شركة (وما له) أى لله (منهم من ظهير) أى عون يريد لم يعن الله على خلق السموات والارض
آلهتهم فكيف يكونون شركاء له ثم أبطل قولهم انهم شفعاؤنا عند الله فقال (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أى أذن الله له أن يشفع

وقرأ أبو عمرو و وحمزة والكسائى أذن له مبنيا للمجهول (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أى حتى اذا أزيل الفزع الذى عند الوحى أى حين انحدر عليهم جبريل فان الله عندما يوحى يفزع من فى السموات ثم يزيل الله عنهم الفزع فرفعوا رؤسهم فحتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل (قالوا) أى الملائكة السائلون من جبريل (ماذا قال ربكم) ياجبريل (قالوا) أى جبريل ومن تبعه (الحق) أى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق بالرفع أى ماقاله الحق (وهو العلى الكبير) أى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من أشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه (قل) يا أشرف الخلق لكفار مكة (من يرزقكم من السموات) بالمطر (والأرض) بالنبات (قل الله) أى فان أجابوك وقالوا الله فذلك ظاهر وان لم يقولوا ذلك فقل الله يرزق اذ لا جواب سواه وهذا اشارة الى أن جر النفع ليس الا به تعالى ومنه تعالى فاذا ان كنتم من الخواص فاعبدوه لعلوه وكبريائه سواء دفع عنكم ضررا أولم يدفع وسواء نفعكم بخير أولم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضر وجر النفع (وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) أى وان أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجماد الذى لايوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين واختلاف الجارين للاعلام بأن المهتدى كمن استعلى منارا ينظر الأشياء والضال كأنه منغمس فى ظلام لايرى شيئا (قل لاتسألون عما أجرمنا) أى أذنبنا (ولانسئل عما تعملون) فى كفركم لأنا برئون منكم وهذا أبعد من الجدل وأبلغ فى التواضع حيث أسندوا الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) أى يحكم (بيننا بالحق) أى بالعدل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) أى البليغ الفتح لما انغلق (العليم) بما ينبغى ان يحكم به (قل) ياأشرف الخلق لأهل مكة (أرونى الذين ألحقتم به) تعالى (شركاء) لأنظر بأى صفة ألحقتموها بالله فى استحقاق العبادة هل يخلقون أو يرزقون (كلا) أى حقا لم يخلقوا شيئا ولم يرزقوا بشئ أولا تشركوا بالله شيئا (بل هو) أى الله الذى ألحقتم به شركاء (الله العزيز الحكيم) أى الله الموصوف بالغلبة القاهرة و بالحكمة الباهرة فأين شركاؤكم التى هى أخس الأشياء (وما أرسلناك) ياأشرف الخلق (الا كافة للناس) أى عامة لجميع الناس تكف الناس عن الكفر (بشيرا) بالجنة لمن آمن بالله (ونذيرا) من النار لمن كفر به (ولكن أكثر الناس لايعلمون) عموم رسالته وكونه بشيرا وكونه نذيرا لغفلتهم لا لخفاء ذلك (ويقولون) بطريق الاستهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدنا أن يجمع بيننا ثم يقضى بيننا (ان كنتم صادقين) مخاطبين لرسول الله والمؤمنين به (قل) لهم ياأكرم الرسل (لكم ميعاد يوم) أى وعد يوم (لاتستأخرون عنه ساعة) ان طلبتم التأخير عنه (ولا تستقدمون) أى ان طلبتم الاستعجال والاضافة فى ميعاد يوم للتبيين وقرئ ميعاد يوم برفع الاسمين مع التنوين على البدل وقرئ برفع ميعاد ونصب يوم مع التنوين فيهما أى أعنى يوما وذلك يفيد التعظيم والتهويل (وقال الذين كفروا) أبو جهل بن هشام وأصحابه (لن نؤمن بهذا القرآن) الذى يقرؤه علينا محمد عليه الصلاة والسلام (ولا بالذى بين يديه) أى ولا بالذى قبل القرآن من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب الدالة على البعث (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض

(حتى اذا فزع) أى أذهب (عن قلوبهم) يعنى كشف الفزع عن قلوب المشركين بعد الموت باقامة الحجة عليهم وتقول لهم الملائكة (ماذا قال ربكم) فيما أوحى الى أنبيائه (قالوا الحق) فأقروا حين لاينفعهم الاقرار (قل من يرزقكم من السموات) المطر (و) من (الأرض) النبات ثم أمره أن يخبرهم فقال (قل الله) أى الذى يفعل ذلك الله وهذا احتجاج عليهم ثم أمره بعد اقامة الحجة عليهم أن يعرض بكونهم على الضلال فقال (وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) أى نحن وأنتم اما على هدى أو فى ضلال والمعنى أنتم الضالون حين أشركتم بالذى يرزقكم من السماء والأرض وهذا كما تقول لصاحبك اذا كذب أحدنا كاذب وأنت تعنيه ثم بين براءته منهم ومن أعمالهم فقال (قل لاتسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون) وهذا كقوله لكم دينكم ولى دين ثم أخبر أنه يجمعهم فى القيامة ثم يحكم بينهم وهو قوله (قل يجمع بيننا ربنا) الآية (قل أرونى الذين ألحقتم) أى ألحقتموهم بالله فى العبادة يعنى الأصنام أى أرونيهم هل خلقوا شيئا وهذه الآية مختصرة تفسيرها قوله قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ثم قال (كلا) أى ليس الامر على ما تزعمون (بل هو الله العزيز الحكيم وما أرسلناك الا كافة للناس) أى جامعا لهم كلهم بالانذار والتبشير (ولكن أكثر الناس لايعلمون) ذلك وقوله (ولا بالذى بين يديه) أى من الكتب المتقدمة وقوله (يرجع بعضهم الى

بعض القول) أى ولو ترى اذ المنكرون للبعث محبوسون فى موقف المحاسبة راجعا بعضهم القول الى بعض لرأيت أمرا عجيبا ثم فسر قوله تعالى يرجع الخ بقوله تعالى (يقول الذين استضعفوا) أى قهروا وهم السفلة (للذين استكبروا) أى تعظموا عن الايمان وهم القادة (لولا أنتم) مضلون إيانا وصادون إيانا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام (قال الذين استكبروا لرؤسائهم (للذين استضعفوا) وهم الأتباع (أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم) على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (بل كنتم مجرمين) أى بل أنتم الصادون بأنفسكم بسبب كونكم راسخين فى الاجرام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) ابطالا لانكارهم الصد (بل مكر الليل والنهار) أى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار (اذ تأمروننا أن نكفر بالله) قبل اتيان الرسل (ونجعل له أندادا) أى أعدالا (وأسروا الندامة) أى أخفى كل من الفريقين الندامة عن الآخر مخافة التعيير ويقال أظهر القادة والسفلة الندامة على ترك الايمان بالله (لما رأوا العذاب) أى حين رأوه (وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا) الأتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) أى لا يجزون الا بما كانوا يعملونه فى الدنيا (وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى أغنياؤها (إنا بما أرسلتم به كافرون) أى جاحدون (وقالوا) للرسل (نحن أكثر أموالا وأولادا) منكم بسبب لزومنا لديننا (وما نحن بمعذبين) فى الآخرة بديننا هذا كأنهم قالوا حالنا عاجلا خير من حالكم ولا نعذب آجلا قالوا ذلك انكارا منهم للعذاب بالكلية أو اعتقادا لحسن حالهم أيضا قياسا على حالهم فى الدنيا (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسط له (ويقدر) أى يقتر على من يشاء فسعة الرزق لا تدل على حال المحق كما أن ضيقه لا يدل على حال المبطل فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعقاب الذين مناطهما الطاعة وعدمها (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يعلمون) أن ضنك العيش وخصبه بالمشيئة من غير اختصاص بالفاسق والصالح (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا) أى وما الأموال والاولاد تقرب أحدا الى الله الا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير وربأهم على الصلاح (فأولئك لهم جزاء الضعف) فى الحسنات (بما عملوا) من الصالحات (وهم فى الغرفات) أى غرفات الجنة (آمنون) من جميع المكاره وقرأ حمزة الغرفة على التوحيد على ارادة الجنس (والذين يسعون فى آياتنا) أى يكذبونها (معاجزين) أى متأخرين عنها وفى قراءة معجزين أى معتقدين عجزنا (أولئك فى العذاب محضرون) أى لا يخرجون منه (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله (وما أنفقتم من شىء) فى سبيل الله (فهو يخلفه) أى يعوضه فى الدنيا بالمال أو بالقناعة وفى الآخرة بالحسنات (وهو خير الرازقين) أى الواهبين للرزق وأفضل المعوضين (ويوم يحشرهم) أى بنى مليح والملائكة (جميعا ثم يقول للملائكة) اهانة لهؤلاء الكفار وقرأ حفص يحشرهم ثم يقول بالياء (أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) بأمركم (قالوا) أى الملائكة متبرئين منهم (سبحانك) أى ننزهك عن أن يكون غيرك معبودا وأنت معبودنا ومعبود كل خلق (أنت ولينا) أى أنت الذى نواليك أى نتقرب منك بالعبادة (من دونهم) أى لم يكن لنا دخل فى عبادتهم لنا وقال الرازى معنى أنت ولينا من دونهم أى كونك ولينا بالمعبودية أحب الينا من كون هؤلاء الضالين أولياء بالعبادة لنا (بل كانوا يعبدون الجن) أى كانوا ينقادون لأمر الشياطين فهم فى الحقيقة كانوا

بعض القول) فى التلاوة ثم ذكر أى شىء يرجعون فقال (يقول الذين استضعفوا) الى قوله (بل مكر الليل والنهار) أى مكركم بنا فيهما (اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا) أى وأظهروا (وما أرسلنا فى قرية من نذير) أى نبى ينذرهم (الا قال مترفوها) أى رؤساؤها وأغنياؤها الآية (وقالوا) للرسل نحن أكثر أموالا وأولادا) منكم يعنون أن الله رضى عنا حيث أعطانا المال (وما نحن بمعذبين) كما تقولون (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وليس ذلك مما يدل على العواقب (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) أى قربى يعنى تقريبا (الا من) أى لكن من (آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف) من الثواب بالواحد عشر (وهم فى الغرفات) قصور الجنة (آمنون وما أنفقتم من شىء) أى تصدقتم من صدقة (فهو يخلفه) أى يعطى خلفه اما عاجلا فى الدنيا واما آجلا فى الآخرة (ويوم نحشرهم جميعا) أى العابدين والمعبودين (ثم نقول للملائكة) توبيخا للكفار (أهؤلاء

اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك) تنزيها لك (أنت ولينا) الذى نتولاه ويتولانا (من دونهم بل كانوا يعبدون الجن)

يعبدون الشياطين وكنا نحن كالقبلة لهم (أكثرهم بهم مؤمنون) أى كل للشركين مصدقون للشياطين وهذا محض كلام الله تعالى والوقف على الجن تام وأما اذا قلنا ان هذا من كلام الملائكة فمعنى أكثرهم على أصله وانما قالوا ذلك لئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما فى القلوب أو على من فى جميع الوجود (فاليوم) أى يوم الحشر (لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) أى لا يقدر المعبودون وهم الملائكة على نفع العابدين وهم الكفار بالثواب ولا على دفع ضررهم (ونقول للذين ظلموا) وهذا معطوف على قوله تعالى تقول للملائكة أى ونقول (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها) أى بالنار (تكذبون واذا تتلى عليهم) أى كفار مكة بلسان الرسول ﷺ (آياتنا) الناطقة بحقيقة التوحيد و بطلان الشرك (بينات) أى واضحات (قالوا ماهذا) أى التالى (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) من الآلهة (وقالوا ماهذا) أى القول بالوحدانية (الا إفك) أى كلام مصروف عن وجهه (مفترى) باسناده الى الله تعالى (وقال الذين كفروا للحق) أى للقرآن (لما جاءهم) من غير تأمل فيه (ان هذا) أى ماهذا القرآن (الا سحر) أى خيال (مبين) أى ظاهر سحريته قال الرازى وان أعيد اسم الاشارة الثانى الى القرآن كان اسم الاشارة هذا عائدا الى المعجزات فانكار التوحيد كان مختصا بالمشركين وأما انكار القرآن والمعجزات كان متفقا عليه بين المشركين وأهل الكتاب ولذلك قال تعالى وقال الذين كفروا للحق على وجه العموم وهو بدل عن قوله تعالى وقالوا للحق (وما آتيناهم) أى ما أعطينا كفار مكة (من كتب) دالة على صحة الاشراك (يدرسونها) أى يقرءونها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أى برسول يدعوهم الى الاشراك و ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا (وكذب الذين من قبلهم) الأمم المتقدمة (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أى وما بلغ هؤلاء المشركون معشار ما آتينا المتقدمين من القوة وكثرة المال وطول العمر (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) أى تغييرى عليهم بالتدمير وما نفعتهم قوتهم ومالهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء و يقال وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما أعطينا قوم محمد من البيان والبرهان فان محمدا أفضل من جميع الرسل وأفصح و برهانه أوفى و بيانه أشفى وكتابه أكمل من سائر الكتب وأوضح ثم ان المتقدمين لما كذبوا الكتب والرسل أنكر عليهم وكيف لا أنكر على هؤلاء الامة وقد كذبوا أفصح الرسل وأوضح السبل فليحذر هؤلاء من مثل ذلك (قل) يا أكرم الرسل لكفار مكة (انما أعظكم بواحدة) أى ما أنصح لكم الا بخصلة واحدة (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) فقوله تعالى أن تقوموا بدل من واحدة أو عطف بيان لها أى ان تنهضوا بالهمة لأجل الله حال كونكم اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الأفهام و يخلط الأفكار بالأوهام ثم تتفكروا فى أمر محمد وما جاء به أما الاثنان فيتفكران و يعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظر فيه وأما الواحد فيتفكر فى نفسه بعدل فيقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جربنا عليه كذبا وقد علمتم أن محمدا ﷺ ما به من جنون بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال واذا علمتم بذلك كفاكم أن تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين أنه نبى صادق فيما جاء به ثم نبه الله تعالى على طريقة النظر بقوله تعالى (ما بصاحبكم من جنة) نفى مستأنف فالوقف على تتفكروا تام عند أبى حاتم أى ما بصاحبكم محمد من جنون و يجوز أن يكون تتفكروا معلقا عن الجملة المنفية فهى فى موضع نصب على اسقاط فى أى ثم تتفكروا فى عدم الجنون فى صاحبكم و يجوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا أى شىء بمحمد من آثار الجنون وعلى هذين الاحتمالين لا وقف على تتفكروا (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) أى ما محمد الا رسول مخوف لكم بعذاب

أى يطيعون ابليس وأعوانه (أكثرهم بهم مؤمنون) أى مصدقون ما يمنونهم و يسولونهم وقوله (وما آتيناهم) يعنى مشركى مكة لم يكونوا أهل كتاب ولا بعث اليهم نبى قبل محمد ﷺ (وكذب الذين من قبلهم) من الأمم (وما بلغوا) يعنى مشركى مكة (معشار) أى عشر (ما آتيناهم) من النعمة والقوة (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم ما فعلوا بالاهلاك والعقوبة (قل انما أعظكم بواحدة) أى بخصلة واحدة وهى الطاعة لله (أن تقوموا) أى لأن تقوموا (لله مثنى وفرادى) مجتمعين ومتفرقين (ثم تتفكروا) فتعلموا (ما بصاحبكم) محمد ﷺ (من جنة) أى جنون (ان هو) أى ماهو (الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) ان عصيتموه

(قل ماسألتكم من أجر) أي على تبليغ الرسالة (فهو لكم ان أجري الا على الله) أي انما أطلب ثواب الله لاعرضا من الدنيا (قل ان ربي يقذف بالحق) أي يلقيه الى أنبيائه (قل جاء الحق) أي جاء أمر الله الذي هو الحق (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي ما يخلق ابليس أحدا ولا يبعثه انما يفعل ذلك الله (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) أي على نفسي يكون وبال

حاضر يمسكم عن قريب قبل عذاب شديد في الآخرة ان لم تؤمنوا به (قل) لهم يا أشرف الخلق (ما سألتكم من أجر) أي أي شيء سألتكم من أجر على تبليغ الرسالة (فهو لكم) والمراد نفي السؤال بالكلية أي لا أسألكم على انذاركم أجرا (ان أجري الا على الله) فلا أطلب شيئا الا عنده تعالى (وهو على كل شيء شهيد) يعلم صدق وخلوص نيتي (قل) لمن أنكر التوحيد والرسالة (ان ربي يقذف بالحق) أي يلقيه في قلوب المحقين فان الأمر بيده تعالى أو يقذف بالحق على الباطل فهو اشارة الى ظهور البراهين على التوحيد والنبوة (علام الغيوب) أي ما غاب في السموات والارض عن خلقه و(قل) لهؤلاء (جاء الحق) أي ظهر الاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي زهق الشرك بحيث لم يبق له ابداء ولا اعادة فما نافية وهذا جعل مثلا في الهلاك بالمرة (قل) للكفار الذين قالوا لك يا محمد تركت دين آبائك فضللت (ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي) أي ضلالي على نفسي كضلالكم وأما اهتدائي فليس كاهتدائكم بالنظر والاستدلال وانما هو بالوحي المبين (انه سميع قريب) يسمع قول كل من المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما (ولو ترى اذ فزعوا) أي ولو ترى حالهم وقت فزعهم بخسف البيداء لرأيت أمرا هائلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة في آخر الزمان ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم الارض وماتوا (فلا فوت) أي فلا يفوت منهم أحد (وأخذوا من مكان قريب) أي من تحت أقدامهم وخسف بهم الارض (وقالوا) عندما خسف بهم الارض (آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وأنى لهم التناوش) أي ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) أي بعد الموت فلا يكون الايمان الا في الدنيا وهم في الآخرة فالدنيا من الآخرة بعيد (وقد كفروا به) أي بمحمد أو بالعذاب الذي أنذرهم اياه (من قبل) أي من قبل نزول العذاب (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) أي ويقولون ما لا يعلمون من وهمهم الفاسد وظنهم الخاطئ فانهم قالوا في حق النبي ساحر شاعر كاهن وفي حق القرآن سحر شعر كهانة ويقال أي يسألون الرجعة الى الدنيا بعد الموت (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من العود الى الدنيا أو من لذات الدنيا (كما فعل بأشياعهم) أي بأشباههم في الكفر (من قبل) أي من قبلهم من الكفار فكل من جاءه الملك طلب التأخير ولم يعط وأرادوا أن يؤمنوا عند ظهور اليأس ولم يقبل الايمان منهم (انهم كانوا في شك مريب) أي ذي ريبة من أمر الرسل والبعث والجنة والنار

﴿سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة أيضا مكية خمس وأربعون آية. وسبعمائة وتسع وتسعون كلمة. وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله فاطر السموات والارض) أي خالقهما من غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أي وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة أو بينه تعالى وبين خلقه حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه وهم جبريل وميكائيل

ضلالي وهذا اخبار أن من ضل فانما يضر نفسه (وان اهتديت فبما يوحي الى ربي) يعني لولا الوحي ما كنت أهتدي (ولو ترى) يا محمد (اذ فزعوا) أي عند البعث (فلا فوت) لهم منا (وأخذوا من مكان قريب) على الله وهو القبور (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنا به وأنى لهم التناوش) أي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريد أن التوبة تقبل منهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت عن الآخرة (وقد كفروا به) أي بمحمد والقرآن (من قبل) أي في الدنيا (ويقذفون بالغيب) أي يرمون محمدا بالكذب والبهتان ظنا لا يقينا (من مكان بعيد) وهو أن الله تعالى بعثهم أن يعلموا صدق محمد (وحيل بينهم) أي منعوا انما يشتهون من التوبة والايمان والرجوع الى الدنيا (كما فعل بأشياعهم من قبل) بمن كانوا على مثل رأيهم من تكذيب الرسل قبلهم حين لم يقبل منهم الايمان والتوبة (انهم كانوا في شك) من أمر الرسل والبعث (مريب) أي موقع الريبة والتهمة

﴿تفسير سورة فاطر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله فاطر السموات والارض) أي خالقهما على ابتداء (جاعل الملائكة رسلا

واسرافيل وملك الموت والرعد والحفظة (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة فى العدد فمنهم من له جناحان يطير بهما ومن له ثلاثة أجنحة ومن له أربعة أجنحة (يزيد فى الخلق) أى خلق الملائكة (ما يشاء) ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان منها يلفون بهما أجسادهم وجناحان منها للطيران يطيرون بهما فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى (ان الله على كل شئ) من الزيادة والنقصان (قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) أى أى شئ يرسل الله للناس من خزائن رحمته أى برحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك فلا أحد يقدر على امساكها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) أى أى شئ يمسك الله فلا أحد يقدر على ارساله من بعد امساكه (وهو العزيز الحكيم) أى كامل القدرة فى الارسال والامساك وكامل العلم فى ذلك (يأيها الناس) أى يا أهل مكة (اذكروا نعمة الله عليكم) أى انعام الله عليكم بنعمة الايجاد ونعمة الابقاء (هل من خالق غير الله) أى هل خالق مغاير له تعالى موجود وقرأ حمزة والكسائى بجر غير نعت لخالق على اللفظ (يرزقكم من السماء) بالمطر وغيره (والارض) بالنبات وغيره (لا اله الا هو) فهو الخالق الرازق (فأنى تؤفكون) أى فمن أين تصرفون عن التوحيد الى الاشراك فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت وبأى سبب تعبدون غيره تعالى فانه لا يقدر على خلق ولا على رزق ولا على غيرهما (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أى وان استمروا على أن يكذبوك يا أشرف الخلق فيما بلغت اليهم من التوحيد والبعث والحساب والجزاء وغير ذلك بعدما أقمت عليهم الحجة فتأس بأولئك الرسل فى المصابرة على ما أصابهم من قبل قومهم (والى الله ترجع الأمور) فى الآخرة فيجازى المكذبين والصابرين (يأيها الناس ان وعد الله حق) أى يا أهل مكة ان وعد الله بالبعث بعد الموت والجزاء ثابت من غير خلف (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهى بزخارفها عن الطاعة لله وعن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد (ولا يغرنكم بالله الغرور) بفتح الغين أى ولا يغرنكم بسبب حلم الله وامهاله المبالغ فى الغرور وهو الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصى قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فتعاطى الذنوب بهذا التمنى مثل تناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة (ان الشيطان لكم عدو) عظيم فان عداوته عداوة قديمة لا تكاد تزول (فاتخذوه عدوا) بمخالفتكم له فى عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه فى جميع أحوالكم فاذا فعلتم فعلا فتنبهوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح (انما يدعو حزبه) أى أتباعه فى الضلال (ليكونوا) أى تلك الأتباع (من أصحاب السعير) أى النار الموقدة (الذين كفروا لهم عذاب شديد) فى الدنيا بفوات مطلوبهم وفى الآخرة بالسعير (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك (لهم مغفرة) أى ستر لذنوبهم فى الدنيا (وأجر كبير) فى الآخرة (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) أى أبعد كون حالى الفريقين كما ذكر يكون من زين الكفر له الشيطان ونفسه الأمارة وهواه القبيح فرآه صوابا فانهمك فيه كمن عرف الحق فاختار الايمان والعمل الصالح نزلت هذه الآية فى أبى جهل ومشركى مكة (فان الله يضل من يشاء) أن يضله لاستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده أسفل سافلين (ويهدى من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى أعلى عليين (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أى فلا تهلك نفسك على عدم ايمانهم لكثرة التحزن وقرأ أبو جعفر وقتادة والأشهب بضم التاء وكسر اللام مسند الضمير المخاطب نفسك مفعول به (ان الله عليم بما يصنعون) من القبائح فيجازيهم عليه (والله الذى أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح بالتوحيد

أولى) أصحاب (أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق) أى فى خلق الملائكة وأجنحتها (ما يشاء ما يفتح الله للناس من رحمة) أى من رزق ومطر فلا يقدر أحد أن يمسكه والذى يمسك لا يرسله أحد (يأيها الناس) خطاب لأهل مكة (اذكروا نعمة الله عليكم) أى بالرزق والمطر وسائر ذلك (هل من خالق غير الله) أى هل يخلق أحد سواه (يرزقكم من السماء) المطر (و) من (الارض) النبات (لا اله الا هو فأنى تؤفكون) أى من أين يقع لكم الافك والكذب بتوحيد الله ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (وان يكذبوك) الآية (أفمن زين له سوء عمله) باضلال الله اياه فرأى قبيح ما يعمله (حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أى لا تغتم لكفرهم ولا تتحسر على تركهم الايمان

أى أوجدها من العدم فهو بها دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى الشمال وفى حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على تسخير مدبر ومؤثر مقدر (فتثير سحابا) أى فتحركه وترفعه (فسقناه) أى السحاب (الى بلد ميت) أى الى مكان لا نبات فيه وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائى بتشديد الياء (فأحيينا به) أى بماء السحاب (الأرض بعد موتها) أى بعد يبسها وأسند الله تعالى الارسال الى الغائب والسوق والاحياء الى المتكلم لان فى الاول تعريفا بالفعل العجيب وهو الارسال والاثارة وفى الثانى تذكيرا بالنعمة فان كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والاحياء (كذلك النشور) أى احياء الاموات فى سهولة الحصول فان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضاء الميتة تقبل الحياة وكما انا نسوق الريح والسحاب الى البلد الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت وكما أنا نجمع القطع السحابية بالريح كذلك نجمع أجزاء الاعضاء المتفرقة بالروح (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) أى من كان يريد العزة فليطلبها من عند الله بطاعته لانه لا عزة الا لله فان المشركين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام ومن اعتز بالعبيد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله (اليه يصعد الكلم الطيب) الذى يطلب به العزة وهى كلمة لا إله إلا الله (والعمل الصالح يرفعه) والضمير المستكن عائد للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل أو عائد للعمل فانه لا يقوى الايمان بلا عمل فاذا رجع الضمير البارز للعمل كان الضمير المستكن عائد الكلم كما تقدم أو لله تعالى (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد) أى والذين يكسبون أصناف المكرات السيئات لهم عذاب شديد (ومكر أولئك هو يبور) أى صنع أولئك هو يفسد ويهلك قيل هى مكرات قريش بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة فى احدى ثلاث حبسه وقتله واخراجه من مكة وقال مجاهد نزلت هذه الآية فى أهل الربا وقال مقاتل فى أهل الشرك بالله وقال الكلبى المعنى يعملون السيئات وعلى هذا فيكون هذا فى مقابلة قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه وهو اشارة الى بقاء العمل الصالح وقوله ومكر أولئك هو يبور اشارة الى فناء العمل السيء (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة) فكل أولاد آدم من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهى الى الماء والتراب (ثم جعلكم أزواجا) أى أصنافا ذكرانا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) فى وقته ونوعه وغير ذلك (وما يعمر من معمر) أى وما يمد فى عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أى عمر أحد (الا فى كتاب) أى لوح محفوظ وعن سعيد يكتب عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتى الى آخره وقيل ان الله كتب عمر الانسان مائة سنة ان أطاع وتسعين ان عصى فأيهما بلغ فهو كتاب والله تعالى بين كمال قدرته بقوله خلقكم من تراب وكمال علمه بقوله تعالى وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه فان ما فى الارحام قبل الانخلاق وما فى البطن بعده لا يعلم أحد حاله كيف هو والأم الحامل لا تعلم منه شيئا ونفوذ ارادته بقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب فبين الله انه هو القادر العالم المريد والأصنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة فكيف يستحق واحد منها العبادة (ان ذلك) أى الخلق من تراب وكتابة الآجال (على الله يسير) لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث (وما يستوى البحران هذا عذب) أى لذيذ (فرات) أى يكسر العطش (سائغ شرابه) أى يسهل انحداره الى الحلق (وهذا ملح أجاج) أى مر زعاق لا يستطاع شربه (ومن كل) من البحرين (تأكلون لحما طريا) أى سمكا شهى الطعم (وتستخرجون) من الملح خاصة (حلية) أى زينة وهى اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) وقوله تعالى وما يستوى البحران اشارة الى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته

(من كان يريد العزة) أى علم العزة لمن هى (فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب) أى اليه يصل الكلام الذى هو توحيده وهو قول لا إله إلا الله (والعمل الصالح يرفعه) أى يرفع ذلك الكلم الطيب فالكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ومعنى الرفع رفعه الى محل القبول (والذين يمكرون السيئات) يعنى الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (ومكر أولئك هو يبور) أى يفسد ويبطل وقوله (وما يعمر من معمر) أى ما يطول عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أى ولا يكون أحد ناقص العمر (الا) وهو محصى (فى كتاب) يعنى عدد عمر الطويل العمر وعمر القصير العمر (وما يستوى البحران هذا عذب فرات) شديد العذوبة (وهذا ملح أجاج) شديد المرارة (ومن كل) أى من الملح والعذب (تأكلون لحما طريا) أى من السمك (وتستخرجون) من الملح (حلية تلبسونها) يعنى المرجان وأنما ذكر هذا أدلة على قدرته وقوله

ونفوذ ارادته وهودليل آخرعلى القدرة والوحدانية (وترى الفلك) أى وترى السفن أيها الناس (فيه) أى فى كل منهما (مواخر) أى شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) بالتجارة وغيرها واللام متعلقة بمواخر (ولعلكم تشكرون) أى ولتشكروا الله على نعمه (يولج الليل) أى يدخل زيادته (فى النهار) فيكون النهار أطول من الليل بقدر نقصانه (ويولج النهار) أى يدخل زيادته (فى الليل) فيكون الليل أطول من النهار بقدر نقصانه (وسخر الشمس والقمر) أى ذلل ضوء الشمس والقمر لبنى آدم (كل) منهما (يجرى) فى فلكه (لاجل مسمى) أى الى وقت معلوم فى منازل معروفة ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر (ذلكم الله ربكم) أى الذى فعل هذه الأفعال هو الله الموجد لكم من العدم المربى بجميع النعم (له الملك) كله وهو مالك كل شئ (والذين تدعون) أى تعبدون (من دونه) تعالى وهم الأصنام (مايملكون من قطمير) أى لايقدرون أن يفعلوا من ذلك قدر الشئ الذى تتعلق به النواة مع القمع وقيل القطمير هو القشرة الرقيقة البيضاء التى بين الثمرة والنواة وهذا استدلال على تفرده تعالى بالألوهية (ان تدعوهم) أى المعبودات من غير الله (لايسمعوا دعاءكم) لأنها جمادات (ولوسمعوا) على سبيل التقدير (مااستجابوا لكم) أى ما أجابوكم بجلب نفع ودفع ضرر لعجزهم عن الأفعال بالمرة (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى حين ينطقهم الله ينكرون عبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون (ولاينبئك مثل خبير) أى ولا يخبرك أيها السامع أحد مثلى لأنى عالم بالأشياء وغيرى لايعلمها (ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله) أى الى مغفرته ورحمته ورزقه فى الدنيا والى جنته فى الآخرة وهذا يوجب عبادته (والله هو الغنى الحميد) أى والله مع استغنائه يدعوكم كل الدعاء يقضى فى الدنيا حوائجكم وان آمنتم به يقضى فى الآخرة حوائجكم فهو المستوجب للحمد (ان يشأ يذهبكم) أى يهلككم ياأهل مكة (ويأت بخلق جديد) أى بقوم آخرين مستمرين على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وماذلك) أى الاذهاب بهم والاتيان بآخرين (على الله بعزيز) أى بمتعسر (ولاتزر وازرة وزر أخرى) أى لاتحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى بل انما تحمل كل منهما اثمها (وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ) أى وان تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا الى حمل بعض ذنوبها لم تجب تلك النفس المدعوة بحمل شئ من تلك الاوزار ويروى عن الكسائى لاتحمل بفتح التاء الفوقية وكسر الميم شيئا أى لاتحمل تلك النفس المدعوة شيئا من الوزر (ولو كان ذاقربى) أى ولو كان المدعو ذاقرابة من الداعى قال ابن عباس يلقى الأب والأم الابن فيقولان له يابنى احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لاأستطيع حسبى ماعلى (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أى انما ينفع انذارك ياأشرف الرسل بهذه الانذارات الذين يخشون عذاب ربهم وهو غائب عنهم (وأقاموا الصلاة) أى راعوها كما ينبغى (ومن تزكى) أى تطهر من المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) أى فتطهيره لنفسه اذ نفعه لها كما ان من تدنس بالاوزار لايتدنس الاعلى نفسه (والى الله المصير) فالمتزكى ان لم تظهر فائدته عاجلا فهى تظهر عنده فى يوم اللقاء فى دار البقاء كما ان الوازر ان لم تظهر تبعة وزره فى الدنيا فهى تظهر فى الآخرة اذ المرجع الى الله (وما يستوى الاعمى والبصير) أى الكافر والمؤمن (ولاالظلمات ولاالنور) أى ولاالباطل والحق (ولاالظل ولا الحرور) أى ولاالثواب والعقاب (ومايستوى الاحياء ولاالأموات) أى ومايستوى المؤمنون والكفار أو العلماء والجهلة (ان الله يسمع من يشاء) أى ان الله يفهم من يشاء ممن كان اهلا لفهم آياته تعالى (وما أنت بمسمع من فى القبور) أى وما أنت ياأشرف الخلق بمفهم من هو مثل الميت الذى فى القبور شبه الله الكفار بالموتى فى عدم التأثر بدعوته صلى الله عليه وسلم (ان أنت الانذير) أى ما أنت الارسول

(من قطمير) يعنى لفافة النواة وقوله (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) وهو الله عز وجل وقوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لاتحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى (وان تدع مثقلة) نفس مثقلة أى بالذنوب (الى حملها) يعنى ذنوبها (لايحمل منه شئ ولو كان) المدعو (ذاقربى) أى مثل الأب والابن (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أى انما ينفع انذارك الذين يخافون الله ولم يروه (ومن تزكى) أى عمل خيرا (وما يستوى الأعمى) أى عن الحق وهو الكافر (و) لا (البصير) أى الذى يبصر رشده وهو المؤمن (ولا الظلمات ولاالنور) يعنى الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعنى الجنة التى فيها ظل دائم والنار التى لها حرارة شديدة (ومايستوى الأحياء ولاالأموات) يعنى المؤمنين والكفار (ان الله يسمع من يشاء) أى فينتفع بذلك (وما أنت بمسمع من فى القبور) يعنى الكفار شبههم بالأموات أى كما لا يسمع من فى القبور كذلك لا يسمع الكفار وقوله

منذر وليس لك من الهدى شيء (انا أرسلناك بالحق) أى ارسالا مصحوبا بالحق (بشيرا ونذيرا) و يجوز أن يتعلق بالحق بما بعده أى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة الا خلا فيها نذير) أى ما من أمة الا مضى فيها نبى أو عالم ينذرهم (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) أى وان يكذبك أهل مكة فلا تبال بتكذيبهم لانه قد كذب الذين من قبلهم من الأمم العاتية رسلهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) أى المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أى بخبر الاولين كصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) أى الموضح لطريق الخير والشر كالتوراة والانجيل والزبور (ثم أخذت الذين كفروا) بالكتب والرسل بأنواع العذاب (فكيف كان نكير) أى انكارى بالعقوبة (ألم تر) أى ألم تعلم أيها المخاطب (أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) أى بذلك الماء (ثمرات مختلفا ألوانها) من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها (ومن الجبال جدد) أى طرائق تخالف لون الجبل (بيض وحمر مختلف ألوانها) فمختلف صفة لجدد أيضا وألوانها فاعل وقال الرازى الظاهر ان الاختلاف راجع الى كل لون أى بيض مختلف ألوانها وحمر مختلف ألوانها لان الأبيض قد يكون على لون الجص وقد يكون على لون التراب الأبيض وكذلك الأحمر (وغرابيب) أى شديدة السواد (سود) وهو بدل من غرابيب (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) أى ألوان ذلك البعض (كذلك) أى اختلافا كائنا كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) فالخشية بقدر معرفة المخشى والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد ومعنى الآية فى قراءة من قرأ بنصب العلماء ورفع اسم الجلالة انما يعظم الله العلماء (ان الله عزيز غفور) فكونه تعالى عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف التام وكونه تعالى غفورا للتائب عن العصيان يوجب الرجاء البالغ (ان الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءة القرآن (وأقاموا الصلاة) أى أداموها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيفما اتفق من غير قصد اليهما (يرجون تجارة) أى تحصيل ثواب بالطاعة (لن تبور) أى لن تهلك بالخسران أصلا وقوله تعالى سرا وعلانية حث على الانفاق كيفما تهيأ فان تهيأ سرا فذاك والا فعلانية ولا يمنعه ظنه أن يكون رياء فان ترك الخير مخافة أن يقال فيه انه مراء هو عين الرياء (ليوفيهم أجورهم) متعلق بلن تبور أى تنفق التجارة عند الله ليوفيهم الله أجور أعمالهم ما يرجونه (ويزيدهم من فضله) أى يعطيهم ما لم يخطر ببالهم عند العمل (انه غفور) عند اعطاء الاجور (شكور) عند اعطاء الزيادة (والذى أوحينا اليك من الكتاب) أى هو القرآن (هو الحق) أى الصدق (مصدقا لما بين يديه) أى مصدقا لما قبله من الكتب السماوية فيوافقه فى العقائد وأصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير) أى عالم بالبواطن (بصير) أى عالم بالظواهر فلا يكون الكتاب باطلا فى وحيه لا فى الباطن ولا فى الظاهر (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) أى ثم أعطينا القرآن أمتك الذين اخترناهم على سائر الأمم (فمنهم ظالم لنفسه) أى راجح سيئاته ومنهم مقتصد) أى تساوت سيئاته وحسناته (ومنهم سابق بالخيرات) وهو الذى ترجحت حسناته (باذن الله) أى بتوفيق الله وهو متعلق بسابق (ذلك) أى السبق بالخيرات (هو الفضل الكبير) من الله تعالى (جنات عدن يدخلونها) خبر لجنات أى هؤلاء الثلاثة أصناف يدخلون جنات عدن ومن دخلها لم يخرج منها وقرأ أبو عمرو بالبناء للمفعول (يحلون فيها) أى يلبسون على سبيل التزين فى الجنة (من أساور من ذهب) فمن الأولى للتبعيض والثانية للتبيين (ولؤلؤا) قرأ عاصم ونافع بالنصب عطفا على محل من أساور والباقون بالجر عطفا على ذهب (ولباسهم فيها) أى الجنة (حرير) واكثار

(ومن الجبال جدد) أى طرائق تكون فى الجبال كالعروق (بيض وحمر) (وغرابيب سود) وهى الجبال ذات الصخور السود (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) أى كاختلاف الجبال والثمرات فى اختلاف الألوان (انما يخشى الله من عباده العلماء) أى من كان عالما بالله اشتدت خشيته وقوله (يرجون تجارة لن تبور) أى لن تكسد ولن تفسد (انه غفور) لذنوبهم (شكور) لحسناتهم (ثم أورثنا) أى أعطينا بعد هلاك الأمم (الكتاب) أى القرآن (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمة محمد ثم ذكر أصنافهم فقال (فمنهم ظالم لنفسه) وهو الذى زادت سيئاته على حسناته (ومنهم مقتصد) وهو الذى استوت حسناته وسيئاته (ومنهم سابق بالخيرات) وهو الذى رجحت حسناته على سيئاته (باذن الله) أى بقضائه وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعنى ايتاء الكتاب وقوله

الزينة يدل على الغنى فلايعجز عن الوصول الى الأشياء الكثيرة عند الحاجة ويدل على الفراغ (وقالوا) أى ويقولوا أهل الجنة فى الجنة (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) أى كل حزن بحصول كل مطلوبه (أن ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذى أحلنا دار المقامة) أى دار الاقامة التى لاانتقال عنها أبدا (من فضله) من غير ان يوجبه شئ من جهتنا (لايمسنا فيها نصب) أى تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) أى فتورنا شئ عن التعب (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم) أى لايحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) أى لايستريحون بالموت بل عذابهم دائم (ولايخفف عنهم من عذابها) أى جهنم طرفة عين (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزى كل كفور) وقرأ أبو عمرو يجزى بالبناء للمفعول وكل بالرفع (وهم يصطرخون فيها) أى يصيحون فى جهنم بقولهم (ربنا أخرجنا) منها (نعمل صالحا) أى خالصا فى الايمان (غير الذى كنا نعمل) فى الدنيا من الشرك فيقول الله لهم توبيخا (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر) أى ألم نمهلكم يامعشر الكفار ولم نطل أعماركم زمانا يتعظ فيه من أراد أن يتعظ وهو ستون سنة كما قاله ابن عباس أو أربعون سنة كما قاله الحسن (وجاءكم النذير) أى رسول من الله تعالى أو عقل أو شيب أو حمى أو موت الاقارب فالشيب والحمى وموت الاهل كله انذار بالموت والمراد أى رسول كان لأن هذا الكلام مع الكفار على الاطلاق قال تعالى (فذوقوا) ما أعددناه لكم من العذاب دائما أبدا (فما للظالمين من نصير) أى لانه ليس للذين وضعوا أعمالهم فى غير موضعها وأتوا بالمعذرة فى غير وقتها مانع من عذاب الله (ان الله عالم غيب السموات والارض) فلا يخفى عليه تعالى أحوالهم لوردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه (انه عليم بذات الصدور) وكان يعلم من الكافر ان فى قلبه تمكن الكفر بحيث لودام فى الدنيا الى الابد لما أطاع الله (هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض) أى خلفاء ممن قبلكم من الأمم تعلمون أحوال الماضين ممن كذب الرسل (فمن كفر فعليه كفره) أى عقوبة كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الاخسارا) أى ان الكفر لاينفع عند الله فلا يزيدهم الا بغضه الشديد ولا ينفعهم فى أنفسهم بل لايفيدهم الاالخسار فان العمر كرأس المال فمن اشترى برضا الله ربح ومن اشترى بسخطه خسر (قل) ياأشرف الخلق لأهل مكة (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض) وجملة قوله أرونى بدل اشتمال من أرأيتم أى اخبرونى عن آلهتكم التى زعمتم أنها شركاء الله تعالى الذين تعبدونها من غير الله أرونى أى جزء خلقوا من الأرض (أم لهم شرك فى السموات) أى بل ألهم شركة مع الله فى خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة ذاتية فى الالوهية (أم آتيناهم كتابا) أى بل أعطينا الشركاء كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن كثير وحفص بينة بالافراد والباقون بينات بالجمع أى فالشركاء على حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغرورا) أى بل مايعد الاسلاف للاخلاف والرؤساء للسفلة فى الدنيا بأن شركاءهم تقربهم الى الله تعالى للزلفى وبأنها تشفع لهم فى الآخرة فتضر وتنفع الاباطلا (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أى ان الله يمنعهما من أن تزولا عن مكانهما لان مقتضى شركهم زوالهما (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) أى والله لئن زالتا عن مكانهما مايمسكهما أحد من بعد زوالهما (انه كان حليما) اذا أمسكهما فما ترك الله تعذيب المشركين الاحلما منه تعالى والاكانوا يستحقون اسقاط السموات وانطباق الارض عليهم (غفورا) أى محاء لذنوب من تاب وان استحق العقاب

(الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) يعنى كل مايحزن له الانسان من أمر المعاش والمعاد (الذى أحلنا) أى أنزلنا (دار المقامة) أى دار الخلود (من فضله) أى ذلك بتفضله لا بأعمالنا (لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) أى اعياء (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) الموت (فيموتوا) (وهم يصطرخون) أى يستغيثون وقوله (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) أى العمر الذى يتعظ ويرجع فيه الى الله من يتعظ وهو ستون سنة (وجاءكم النذير) يعنى الرسول وقيل الشيب (هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض) أى جعلكم أمة خلفت من قبلها من الأمم (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أخبرونى عنهم (ماذا خلقوا من الأرض) أى بأى شئ أوجبتم لهم الشركة مع الله الخلق خلقوه من الأرض (أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا) أى أعطينا المشركين كتابا بما يدعونه من الشركة (فهم على بينة) أى من ذلك الكتاب (بل ان يعد) ما يعد (الظالمون بعضهم بعضا الا) أباطيل (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أى لئلا تزولا وتتحركا (ولئن زالتا ان أمسكهما) أى ماأمسكهما (من أحد من بعده) أى سوى الله

(وأقسموا)

(وأقسموا) أى كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) أى غاية اجتهادهم فى الأيمان (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم) أى لما بلغ قبل مبعث رسول الله ﷺ قريشا ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أسرع اجابة من كل الأمم (فلما جاءهم نذير) أى فلما صح لهم مجيء رسول وهو سيدنا محمد ﷺ الذى كانوا يشهدون أنه خيرهم نفسا وأشرفهم نسبا وأكرمهم خلقا (مازادهم الا نفورا) أى تباعدا عن الحق (استكبارا فى الأرض) اعراضا عن الايمان وهو بدل من نفورا (ومكر السيء) وهو معطوف على نفورا وهو جميع ماصدر منهم من القصد الى الايذاء به ﷺ ومنع الناس من الدخول فى الايمان واظهار الانكار (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) أى ولا يحيط المكر السيء الا بفاعله (فهل ينظرون الا سنة الأولين) أى ماينتظرون الا عادة الله فى الأولين من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم فان سنة الله الاهلاك بالشرك والاكرام على الاسلام (فلن تجد لسنة الله تبديلا) لأنه سنة من سنن الله (ولن تجد لسنة الله تحويلا) فان العذاب مع أنه لاتبديل له بالثواب لاينقل عن مستحقه الى غيره فبهذا يتم تهديد المسيء (أولم يسيروا فى الأرض) أى اقعدوا فى الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا) أى من قبلهم (أشد منهم قوة) وقد كانوا مارين على ديارهم رائين لآثارهم وأملهم كان فوق أملهم لطول أعمارهم وشدة اقتدارهم وعملهم كان دون عملهم لأنهم لم يكذبوا محمدا ولا مثل محمد وأنتم يا أهل مكة كذبتم محمدا ومن تقدمه من الرسل فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم فما نفعهم طول المدى ومادفع عنهم شدة القوى (وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض) أى ان الأولين مع شدة قوتهم ما أعجزوا الله فهؤلاء أولى بأن لايعجزوه (انه كان عليما) بأفعالهم وأقوالهم (قديرا) على اهلاكهم واستئصالهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من السيئات كما فعل بأولئك الأولين (ماترك على ظهرها) أى على وجه الأرض (من دابة) أى من ذوى روح تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أى الى وقت معلوم عند الله تعالى فللعذاب أجل والله لايؤاخذ الناس بنفس الظلم فان الانسان ظلوم جهول وانما يؤاخذ بالاصرار على المعاصى وحصول يأس الناس عن ايمانهم فاذا لم يبق فيهم من يؤمن يهلك الله المكذبين ولو آخذهم بنفس الظلم لكان كل يوم اهلاك. (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) أى فاذا جاء أجلهم وهو يوم القيامة أو يوم لايوجد فى الخلق من يؤمن أو يوم القتل والأسر فان الله يجازيهم عند ذلك بأعمالهم لأن الله تعالى كان بصيرا بعباده وهذا تسلية للمؤمنين وذلك لأن الله تعالى لما قال ماترك على ظهرها من دابة قال فاذا جاء الهلاك فى الدنيا فالله بصير بالعباد اما أن ينجى المؤمنين أو يميتهم تقريبا من الله لاتعذيبا

﴿ سورة يس وتسمى أيضا القلب والدافعة والقاضية والمعممة مكية وهى ثلاث وثمانون آية. وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة. وثلاثة آلاف حرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يس) أى هذه يس أو اقرأ يس (والقرآن الحكيم) أى المتضمن الحكمة اعلم ان العبادة قلبية ولسانية وجارحية وكل واحدة منها قسمان قسم علم معناه وقسم لم يعلم أما القلبية فمنها مالم يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان به كالصراط الذى هو أرق من الشعرة وأحد من السيف ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف والميزان الذى توزن به الأعمال التى لاثقل لها فى نظر الناظر وكيفيات الجنة والنار لأن هذه الأشياء وجودها لم يعلم بدليل عقلى وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها مقطوع به بالسمع ومنها ماعلم

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعنى المشركين كانوا يقولون قبل بعث محمد ﷺ لئن أتانا رسول (لنكونن أهدى من احدى الأمم) أى من اليهود والنصارى والمجوس (فلما جاءهم نذير) وهو النبى ﷺ (مازادهم) مجيئه (الا نفورا) عن الحق (استكبارا فى الأرض) أى استكبروا عن الايمان استكبارا ومكروا المكر السيء وهو مكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) فحاق بهم يوم بدر مكرهم (فهل ينظرون) بعد تكذيبك (الا سنة الأولين) يعنى العذاب (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أى من الجرائم (ماترك على ظهرها) أى على ظهر الأرض (من دابة) من الانس والجن وكل مالا يعقل (ولكن يؤخرهم) الآية

﴿ تفسير سورة يس ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يس) يا انسان (والقرآن الحكيم) أقسم الله بالقرآن الحكيم أن محمدا من المرسلين وهو قوله

كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق الرسول وفى العبادات الجارحية ماعلم معناه ومالم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات فالعبد اذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم مافيه من الفائدة فلا يكون الاتيان به الا لمحض العبادة بخلاف مالو علم الفائدة فربما يأتى للفائدة فقط وان لم يؤمن كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما فى النقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك فانه ينقلها وان لم يؤمن فكذلك العبادات اللسانية فمنها مالايفهم معناه فاذا تكلم به العبد علم انه لا يقصد غير الانقياد لأمر المعبود الآمر الناهى فاذا قال يس حم الم طس علم انه لايذكر ذلك لمعنى يفهمه بل هو يتلفظ به اقامة لما أمر به (انك) يا أشرف الخلق (لمن المرسلين على صراط مستقيم) أى ثابت على شريعة شريفة فان شريعته ﷺ أقوم الشرائع وقوله على صراط خبر ثان لأن (تنزيل العزيز الرحيم) وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بالنصب على الحال أو على المدح باضمار أعنى أى حال كون القرآن تنزيل المانع عن أشياء المطلق لأشياء أو المنتقم لمن لا يؤمن الرحيم لمن آمن والباقون بالرفع أى هذا تكليم العزيز وقرئ بالجر على انه بدل من القرآن كأنه تعالى قال والقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين (لتنذر قوما ماأنذر آباؤهم) أى لم ينذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة لأن قريشا لم يبعث اليهم نبى قبل نبينا ﷺ فما نافية والجملة صفة لقوما ويصح كونها موصولة أى الذين أنذر آباؤهم الأقدمون ويصح كونها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد أى لتنذر قوما انذارا كائنا مثل انذار آبائهم الاقدمين من العذاب (فهم) أى القوم وآباؤهم الاقربون (غافلون) عن أمر الآخرة جاحدون بها أو فهؤلاء القوم غافلون عما أنذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة (لقد حق القول على أكثرهم) أى لقد حقت كلمة العذاب العاجل على أكثر أهل مكة أبى جهل وأصحابه (فهم لايؤمنون) أى فى علم الله وقتلوا يوم بدر على الكفر (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان) أى فالاغلال منتهية الى أذقانهم فلاتدعهم يلتفتون الى الحق ولا يطعفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رءوسهم له (فهم مقمحون) أى رافعون رءوسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أى وجعلنا مع ماذكر من أمامهم سدا عظيما ومن ورائهم كذلك (فأغشيناهم فهم لايبصرون) أى فغطينا بهذين السدين أبصارهم فهم بسبب ذلك لايقدرون على ابصار شئ ما أصلا وقوله تعالى انا جعلنا الخ كناية عن منع الله اياهم عن الاهتداء وهو تمثيل حالهم بحال من غلت أعناقهم وقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا اشارة الى أنهم لايتهجون سبيل الرشاد فلايبصرون الحق لمكان السد ولا ينقادون له لمكان الغل وقيل نزلت هذه الآيات فى أبى جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك ان أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بحجر فلما رآه يصلى ذهب اليه فرفع حجرا ليرميه فلما أومأ اليه رجعت يداه الى عنقه والتصق الحجر بيده الى عنقه فلما عاد الى أصحابه أخبرهم بما رأى قال الوليد بن المغيرة أنا أرضخ رأسه فأتاه وهو يصلى على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولايراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال والله مارأيته ولقد سمعت صوته فقال الرجل الثالث والله لأشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ماشأنك قال شأنى عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبه مارأيت قط فحلا أعظم منه حال بينى وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلنى فأنزل الله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون أى انا جعلنا أيمانهم الى الاذقان حين أرادوا ان يرجموا النبى ﷺ بالحجارة وهو فى الصلاة فهاهم

(انك لمن المرسلين على صراط مستقيم) أى على طريق الأنبياء الذين تقدموك (تنزيل) أى القرآن تنزيل (العزيز الرحيم لتنذر قوما ماأنذر آباؤهم) فى الفترة (فهم غافلون) أى عن الايمان والرشد (لقد حق القول) أى وجب عليهم كلمة العذاب (فهم لايؤمنون) ثم بين سبب تركهم الايمان فقال (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) أراد فى أعناقهم وأيديهم لأن الغل لا يكون فى العنق دون اليد (فهى الى الأذقان) أى فأيديهم مجموعة الى أذقانهم لأن الغل يجعل فى اليد مما يلى الذقن (فهم مقمحون) أى فهم رافعون رءوسهم لايستطيعون الاطراق لأن من غلت يده الى ذقنه ارتفع رأسه هذا مثل معناه أمسكنا أيديهم عن النفقة فى سبيل الله بموانع كالأغلال (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) هذا وصف اضلال الله اياهم فهم بمنزلة من سد طريقه من بين يديه ومن خلفه يريد انهم لايستطيعون أن يخرجوا من ضلالتهم (فأغشيناهم) أى فأعميناهم عن الهدى (فهم لايبصرون) ثم ذكر أن هؤلاء لاينفعهم الانذار فقال

مغاولون من كل خير محرومون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون أى وجعلنا من أمامهم سترا حيث أرادوا أن يرجموا النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وهو فى الصلاة فلم يبصروا النبي عليه السلام ومن خلفهم سدا حتى لايبصروا أصحابه فغطينا أبصارهم فهم لايبصرون النبي ﷺ فيؤذوه وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بفتح السين والباقون بالضم فى الموضعين (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أى مستو عند بني مخزوم أبي جهل وأصحابه انذارك بالقرآن اياهم وعدمه وأما الانذار بالنسبة الى النبي ﷺ فهو سبب فى زيادة سيادته عاجلا وسعادته آجلا (لايؤمنون) فى علم الله (انما تنذر من اتبع الذكر) أى انما ينفع انذارك ياسيد الرسل من آمن بالقرآن (وخشى الرحمن بالغيب) أى خاف عقابه وهو تعالى غائب عنه أى عمل صالحا فالعاقل لاينبغى أن يترك الخشية فان كل من كانت نعمته بسبب رحمته أكثر فالخوف منه أتم مخافة أن يقطع عنه النعم المتواترة (فبشره بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) أى ثواب حسن فى الجنة فالغفران جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور والأجر الكريم جزاء العمل الصالح (انا نحن نحيي الموتى) أى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن انا نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب) فى صحف الملائكة (ماقدموا) أى ماأسلفوا من الأعمال صالحة كانت أو فاسدة (وآثارهم) أى التى أبقوها من السنن الحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والحبائس التى وقفوها من المساجد والرباطات ومن السنن السيئة كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وآلات الملاهى وأدوات المناهى المعمولة الباقية (وكل شىء) من الأشياء (أحصيناه فى امام مبين) أى كتبناه فى أصل مظهر لجميع الأشياء مما كان وماسيكون وهو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) أى بين لاهل مكة صفة أهل انطاكية كيف أهلكناهم (اذجاءها المرسلون) وهم رسل عيسى عليه السلام الى أهلها فرسول رسول الله بأذن الله رسول الله وهذا يؤيد مسئلة فقهية وهى ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل لاوكيل الوكيل حتى لاينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول (اذ أرسلنا اليهم اثنين) أى رسولين وهما يحنا وبولس وقيل سمعان وتومان (فكذبوهما) أى فأتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما فى الرسالة (فعززنا بثالث) أى قويناهما برسول ثالث هو شمعون وقرأ شعبة بتخفيف الزاى (فقالوا) أى جميعا (انا اليكم مرسلون قالوا) أى أهل انطاكية مخاطبين للثلاثة (ماأنتم الابشر مثلنا) فلايجوز رجحانكم علينا (وما أنزل الرحمن من شىء) أى مما نزلتم من عند الله وما أنزل الله اليكم أحدا فكيف صرتم رسلا لله أو يقال ان الله ليس بمنزل شيئا فى هذا العالم فان تصرفه فى العالم العلوى وللعلويات التصرف فى السفليات على مذهبهم فالله تعالى لم ينزل شيئا من الأشياء فى الدنيا فكيف أنزل اليكم (ان أنتم الاتكذبون) أى ماأنتم الا كاذبون فى دعوى رسالته تعالى (قالوا) أى الرسل (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم مع تحذيرهم معارضة علم الله تعالى (وما علينا الا البلاغ المبين) أى وماعلينا من جهة ربنا الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بحجة تعلمونها بالآيات الشاهدة بالصحة فلامؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا (قالوا) للرسل لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (انا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا بكم بناء على أن الدعوة لاتخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بأنفسهم وأهليهم وأموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقيل انما تطيروا لما بلغهم من ان كل نبي اذا دعا قومه فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) بالحجارة (وليمسنكم مناعذاب أليم) أى وليصيبنكم منا بسبب الرجم عذاب أليم أى نديم الرجم

(وسواء عليهم) الآية (انما تنذر من اتبع الذكر) أى انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل به (وخشى الرحمن بالغيب) أى خاف الله ولم يره (انا نحن نحيي الموتى) أى عند البعث (ونكتب ماقدموا) من الأعمال (وآثارهم) أى ما استن به بعدهم وقيل خطاهم الى المساجد (وكل شىء أحصيناه) أى عددناه وبيناه (فى امام مبين) وهو اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) وهى انطاكية (اذجاءها المرسلون) أى رسل عيسى (اذ أرسلنا اليهم اثنين) من الحواريين (فكذبوهما فعززنا بثالث) أى قوينا الرسالة برسول ثالث وقوله (انا تطيرنا بكم) أى تشاءمنا بكم وذلك أنهم حبس المطر عنهم فقالوا هذا بشؤمكم (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) يعنى لنقتلنكم رجما بالحجارة

عليكم الى الموت (قالوا) أى الرسل (طائركم معكم) أى سبب شؤمكم معكم لامن قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم (أئن ذكرتم) أى ان وعظتم بما فيه سعادتكم تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب (بل أنتم قوم مسرفون) أى ليس التذكير سبب الشؤم بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك أتاكم الشؤم (وجاء من أقصى المدينة رجل) وهو حبيب النجار وهو ينحت أصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم و بينهما ستمائة سنة كما آمن به ﷺ تبع وورقة ابن نوفل وغيرهما وقيل انه كان اسكافا وقيل انه كان قصارا (يسعى) أى يسرع فى المشى حيث سمع بالرسل (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل (اتبعوا من لايسألكم أجرا) فانهم لو كانوا متهمين بعدم الصدق لسألوكم المال (وهم مهتدون) أى عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق قالوا له تبرأت منا ومن ديننا ودخلت فى دين عدونا فقال لهم (ومالى لاأعبد الذى فطرنى) أى خلقنى اختراعا وهو مالكى (واليه ترجعون) بعد الموت فكيف لاتعبدونه والعابد على أقسام ثلاثة عابد يعبد الله لكونه الها مالكا سواء أنعم بعد ذلك أولم ينعم وعابد يعبد الله للنعم الواصلة اليه وعابد يعبد الله خوفا فجعل القائل نفسه من القسم الاول وهو الاعلى (أأتخذ من دونه) أى من غير الذى خلقنى (آلهة) أى لاأعبد آلهة من غيره تعالى (ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولاينقذون) أى ان يصبنى الرحمن بعذاب لاتنفعنى تلك الأصنام نفعا ولاتدفع عنى ذلك العذاب (انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه آلهة (لفى ضلال مبين) أى خطا ظاهر (انى آمنت بربكم فاسمعون) وهذا خطاب من حبيب للرسل وذلك لما أقبل القوم عليه يريدون قتله أقبل هو على المرسلين وقال انى آمنت بربكم فاسمعوا قولى واشهدوا لى بالايمان عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة خاطبهم بذلك اظهارا للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل ففيه بيان للتوحيد وذلك لانه لما قال أعبد الذى فطرنى ثم قال آمنت بربكم فهم أنه يقول ربى وربكم واحد وهو الذى فطرنى وهو الذى بعينه ربكم بخلاف مالو قال آمنت بربى فيقول الكافر وأنا آمنت بربى أيضا وعلى هذا فمعنى الآية آمنت بربكم فاسمعوا مقالته لكم وأطيعونى بالايمان فأخذوه وقتلوه وصلبوه ووطئوه بأرجلهم حتى خرجت أمعاؤه من دبره وألقى فى بئر وهى الرس وهم أصحاب الرس (قيل ادخل الجنة) أى انه قتل ثم قيل له بعد القتل ادخل الجنة اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء (قال) بعد موته (يا) حرف تنبيه (ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بالذى غفر لى ربى وهو التوحيد أو بغفران ربى لى ويقال قيل ادخل الجنة عقب قوله آمنت الخ قال فى حياته كأنه سمع الرسل أنه من الداخلين الجنة وصدقهم ياليت قومى يعلمون كما علمت فيؤمنون كما آمنت بأى شئ غفر لى ربى (وجعلنى من المكرمين) فان الايمان والعمل الصالح يوجبان الغفران والاكرام وحاصل هذه القصة ان عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية فلما قربا الى المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب بن اسرائيل النجار فسلما عليه فقال من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرئ الأكمه والأبرص باذن الله تعالى فقال ان لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله فأتى بهما الى منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا آمن حبيب وفشا الخبر فى المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخا وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما اليه فدعابهما فقال لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة مالايسمع ولايبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا

(قالوا طائركم معكم) أى شؤمكم معكم بكفركم (أئن ذكرتم) أى وعظتم وخوفتم تطيرتم (بل أنتم قوم مسرفون) أى مجاوزون الحد بشرككم (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب النجار وكان قد آمن بالرسل وكان منزله فى أقصى المدينة فلما سمع أن القوم كذبوهم وهموا بقتلهم أتاهم يأمرهم بالايمان ف(قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا) على أداء النصح وتبليغ الرسالة (وهم مهتدون) يعنى الرسل فقيل له أنت على دين هؤلاء فقال (ومالى لاأعبد الذى فطرنى) الى قوله فاسمعون فلما قال ذلك وثبوا اليه وقتلوه فأدخله الله الجنة فذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) فلما شاهدها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بغفران ربى

نعم من أوجدك وآلهتك فقال لهما قوما حتى أنظر فى أمركما وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة ثم بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون لينصرهما فدخل البلد متنكرا وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به وأوصلوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه فقال يوما للملك بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال لا فقد حال الغضب بينى و بين ذلك قال ان رأى أيها الملك ان تدعوهما حتى تطلع على ماعندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا انه يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال لهما شمعون وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا الملك بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فتعجب الملك فقال شمعون له أيها الملك ان شئت أن تغلبهم فقل للآلهة التى تعبدونها تفعل شيئا من ذلك فقال الملك لايخفى عليك أنها لاتبصر ولاتسمع ولا تقدر ولاتعلم فقال شمعون فاذا ظهر الحق من جانبهما فآمن الملك وقوم وكفر آخرون وكانت الغلبة للمكذبين وأجمعوا على قتل الرسل وقومهم فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم و يدعوهم الى طاعة المرسلين والمقتاوه غضب الله له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه) أى قوم ذلك الرجل الذى هو حبيب وهم أصحاب القرية الذين رجموه (من بعده) أى من بعد قتله (من جند من السماء) لاهلاكهم (وما كنا منزلين) أى أنا لم ننزل ملائكة لاهلاك الكفار فى الازمنة الماضية بل نهلكهم بغير الملائكة اما بالحاصب أو بالصيحة أو بالخسف أو بالاغراق وانما جعلنا انزال الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك تعظيما لشأنك (ان كانت الا صيحة واحدة) أى ما كانت عقوبتهم الا صيحة واحدة من جبريل أخذ جبريل بعضادتى الباب فصاح فيهم صيحة واحدة وذلك لحقارة أمرهم عندنا (فاذاهم خامدون) أى ميتون لايتحركون (ياحسرة على العباد) وهذا اما من كلام الملائكة أو من كلام المؤمنين أى ياشدة التحزن على العباد تعالى هذا وقتك فاحضرى وهو وقت الاستهزاء بالرسل فالمستهزئون بالناصحين أحقاء بأن يتحزنوا و يتحزن عليهم المتحزنون (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به) أى بذلك الرسول (يستهزئون) وهذا سبب الندامة (ألم يروا) أى ألم يعلم أهل مكة الذين أنكروا رسالتك (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى الأمم الماضية (أنهم اليهم لايرجعون) أى انهم أهلكوا اهلاكا لارجوع لهم الى من فى الدنيا ويقال ان الباقين لايرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولادة أى أهلكناهم وقطعنا نسلهم والوجه الأول أشهر نقلا والثانى أظهر عقلا (وان كل لما جميع لدينا محضرون) وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم بمعنى الا أى ما كلهم الا مجموعون عندنا محضرون للحساب والجزاء والباقون بالتخفيف والمعنى عند الكوفيين كما تقدم وعند البصريين وان كلهم لمجموعون عندنا محضرون للحساب (وآية لهم الارض الميتة أحييناها) أى وعلامة عظيمة لهم على قدرتنا على البعث وعلى وحدانيتنا الارض الميتة أحييناها بانواع النبات فيها فالذى أحيا الأرض احياء كاملا منبتا للزرع يحيي الموتى احياء كاملا (وأخرجنا منها) أى الأرض (حبا) أى جنس الحب كالحنطة والشعير والأرز (فمنه) أى من ذلك الحب (يأكلون) فهو أكثر مايعاش به (وجعلنا فيها) أى الأرض (جنات) أى بساتين (من نخيل وأعناب) أى من أنواع النخل والعنب (وفجرنا فيها من العيون) أى فتحنا فى الارض بعضا من العيون (ليأكلوا من ثمره) أى من ثمرما

(وما أنزلنا على قومه) يعنى على قوم حبيب (من بعده من جند من السماء) لنصرة الرسل الذين كذبوهم يريد لم نحتج فى اهلاكهم الى ارسال جند (ان كانت) أى ما كانت عقوبتهم (الا صيحة واحدة) أى صاح بهم جبريل عليه السلام فماتوا عن آخرهم وقوله (فاذاهم خامدون) أى ساكنون قد ماتوا (ياحسرة على العباد) يعنى على هؤلاء حين استهزأوا بالرسل فتحسروا عند العقوبة (ألم يروا) يعنى أهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لايرجعون) يعنى ألم يروا أن الذين أهلكناهم قبلهم من القرون لايرجعون اليهم (وان كل) أى ما كل من الخلق (لما) أى الا (جميع لدينا محضرون) أى عند البعث يوم القيامة نحضرهم ليقفوا على ماعملوا (وآية لهم) على البعث (الارض الميتة أحييناها) وقوله

ذكر من الجنات أومن ثمر الله لانه الذى خلقه وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم (وما عملته أيديهم) وهو ما يتخذ من ذلك الثمر من العصير والدبس ونحوهما فما موصولة عطف على ثمره ويؤيد هذا قراءة حمزة والكسائى وشعبة بحذف الهاء من عملته فان حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها وقيل ما نافية ومحل الجملة نصب على الحالية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم (أفلا يشكرون) أى أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها فيرجعون عن عبادة غير الله وفى ذلك استدلال على وحدته تعالى وتعديد للنعم فالأرض مكان لهم لابد لهم منها فهى نعمة ثم احياؤها بالنبات نعمة ثانية فانها تصير أنزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير فى مكانهم ثم جعل الجنان فيها نعمة رابعة لأن الأرض تنبت الحب فى كل سنة وكل ذلك مفيد الى بيان احياء الموتى فيقول الله تعالى كما فعلنا فى موت الأرض كذلك نفعل فى الأموات فى الأرض فنحييهم ونعطيهم ما لابد لهم منه فى بقائهم من الاعضاء المحتاج اليها وقواها كالعين والاذن وغير ذلك ونزيد لهم ما هو زينة كالعقل الكامل والادراك الشامل فكأنه تعالى قال نحيي الموتى احياء تاما كما أحيينا الارض احياء تاما (سبحان الذى خلق الازواج كلها) أى تنزيها للذى خلق الانواع كلها (مما تنبت الارض) من نجم وشجر ومعدن (ومن أنفسهم) من ذكر وأنثى (ومما لا يعلمون) مما فى أقطار السموات وتخوم الارضين وغيره تعالى لم يخلق شيئا وانما ذكر الله تعالى كون الكل مخلوقا لينزه الله تعالى عن الشريك فان المخلوق لا يصلح شريكا للخالق والتوحيد الحقيقى لا يحصل الا بالاعتراف بأن لا إله إلا الله فلا تشركوا بالله شيئا مما تعلمون ومما لا تعلمون (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) أى وعلامة عظيمة لاهل مكة على قدرتنا على البعث الليل نزيل عنه النهار الذى هو كالساتر له (فاذا هم مظلمون) أى داخلون فى الظلام (والشمس تجرى لمستقر لها) أى لحد معين ينتهى اليه دورها فتقف فى مستقرها ولا تنتقل عنه ومستقرها هو مكان تحت العرش تسجد فيه كل ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فى طول الليل فعند طلوع النهار يؤذن لها فى أن تطلع من مطلعها أولا فاذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من المغرب وقرئ الى مستقر لها وعن ابن عباس لا مستقر لها أى لا سكون لها ولا وقوف فانها جارية أبدا الى يوم القيامة وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس (ذلك) أى جرى الشمس (تقدير العزيز العليم) أى تدبيره وتسخيره اياها (والقمر قدرناه منازل) أى جعلناله منازل ثمانية وعشرين منزلة فى ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما ويستتر ليلة ان كان الشهر تسعة وعشرين يوما (حتى عاد كالعرجون القديم) أى حتى يصير فى رأى العين كالعذق المقوس اليابس اذا حال عليه الحول (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) أى فالشمس لم تصلح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر والالكان فى شهر واحد صيف وشتاء فلا تدرك الثمار (ولا الليل سابق النهار) أى ولا الليل يطلع سلطان النهار فيذهب ضوءه ولكن يعاقبه (وكل) من الشمس والقمر (فى فلك) أى دائرة (يسبحون) أى يدورون ولفظ كل يجوزان يوحد نظرا الى كونه لفظا موحدا ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا والشمس فلكان أحدهما مركزه العالم وثانيهما مركزه فوق مركز العالم وهو مثل بياض البيض بين صفرته والقيض والشمس كرة فى الفلك الخارج المركز تدور بدورانه فى السنة دورة فاذا حصلت فى الجانب الاعلى تكون بعيدة عن الارض فيقال انها فى الاوج واذا حصلت فى الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فتكون فى الحضيض والقمر فلك شامل لجميع أجزائه وأفلاكه وفلك آخر هو بعض من الفلك الاول محيط به كالقشرة الفوقانية من البصلة وفلك ثالث فى الفلك التحتانى كما كان فى الفلك الخارج المركز فى فلك الشمس وفى الفلك الخارج المركز كرة

(وما عملته أيديهم) أى ولم تعمله ولا صنع لهم فى ذلك (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) أى الاجناس من النبات والحيوان (ومما لا يعلمون) أى مما خلق الله من جميع الأنواع والأشياء (وآية لهم) أى ودلالة لهم على توحيد الله وقدرته (الليل نسلخ منه النهار) اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار والمعنى ننزع النهار فنذهب به ونأتى (فاذاهم مظلمون) أى داخلون فى الظلام (والشمس) أى وآية لهم الشمس (تجرى لمستقر لها) أى عند انقضاء الدنيا (والقمر قدرناه منازل) ذا منازل (حتى عاد) فى آخر منازله (كالعرجون) وهو عود الشمراخ اذا يبس أعوج (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) فيجتمعا معا (ولا الليل سابق النهار) أى يسبقه فيأتى قبل انقضاء النهار (وكل) من الشمس والقمر والنجوم (فى فلك يسبحون) أى يسيرون

مثل جرم الشمس وفى الكرة القمر مركوز كمسمار فى كرة مغرق فيها ويسمى الفلك الفوقانى الجوزهر والخارج المركز الفلك الحامل والفلك التحتانى الذى فيه الفلك الحامل المائل والكرة التى فى الحامل تسمى فلك التدوير (وآية لهم) أى لأهل مكة على قدرتنا على البعث (أنا حملنا ذريتهم) وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم على الجمع أى أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم (فى الفلك المشحون) أى المملوء ومع ذلك نجاها الله من الغرق وقال على بن أبى طالب حمل الله تعالى النطف فى بطون النساء فالبطون تشبيه بالفلك المشحون (وخلقنا لهم من مثله) أى مما يماثل الفلك (ما يركبون) فى البر من الابل ونحوها وفى البحر من الزواريق ونحوها (وان نشأ نغرقهم) مع ركوبهم فى الفلك ونحوه (فلا صريخ لهم) أى فلا مغيث لهم من الغرق (ولا هم ينقذون) أى ولا ينجون من الغرق بعد وقوعه (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) فالانقاذ ينقسم الى قسمين اما أن ينقذه الله لرحمة منه فيمن علم الله منه أنه يؤمن أو ينقذه للتمتيع باللذات زمانا الى انقضاء أجله وليزداد اثما فيمن علم الله أنه لا يؤمن فالانقاذ غير مفيد للدوام بل الزوال فى الدنيا لابد منه (واذا قيل لهم) أى لأهل مكة بطريق الانذار (اتقوا ما بين أيديكم) أى ما أمامكم من أمر الآخرة فانهم مستقبلون لها (وما خلفكم) من أمر الدنيا فانهم تاركون لها (لعلكم ترحمون) أى راجين أن ترحموا فان الله لا يجب عليه شئ أعرضوا حسبما اعتادوه ويقال اتقوا ما بين أيديكم من أنواع العذاب مثل الغرق والحرق وغيرهما وما خلفكم من الموت الطالب لكم فانكم ان نجوتم من هذه الأشياء فلا نجاة لكم منه (وما تأتيهم) أى كفار مكة (من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها) أى تلك الآية (معرضين) على وجه التكذيب والاستهزاء فلا تنفعهم الآيات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب بالكل وقوله تعالى من آية فمن زائدة وقوله من آيات ربهم تبعيضية وقوله الا كانوا الخ جملة حالية (واذا قيل لهم) بطريق النصيحة (أنفقوا مما رزقكم الله) أى بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره (قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم (ان أنتم الا فى ضلال مبين) حيث تأمروننا بما يخالف مشيئته تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة من قريش اذا أمروا بالتصدق على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وكانوا يسمعون من المؤمنين يعلقون أفعال الله بمشيئته يقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأعز ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب استهزاء بالمؤمنين وما كانوا يقولون بتعليق الأمور بمشيئة الله تعالى وقيل ان المؤمنين لما قالوا لكفار قريش أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم انه لله تعالى وهو ما جعلوه لله من حرثهم وأنعامهم قالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه لكنا ننظره تعالى لا يشاء ذلك فانه لم يطعمهم بما نرى من فقرهم فنحن أيضا لا نشاء ذلك موافقة لمراد الله تعالى فيه (ويقولون) أى كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (متى هذا الوعد) بقيام الساعة (ان كنتم صادقين) فيما تعدوننا به منه قال الله تعالى (ما ينظرون الا صيحة واحدة) أى ما ينتظر قومك اذ كذبوك الا النفخة الأولى المميتة (تأخذهم وهم يخصمون) أى يتخاصمون فى السوق قرأ حمزة بسكون الخاء وكسر الصاد والمعنى يخصم بعضهم بعضا والباقون بحركة الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصمون فأدغمت التاء فى الصاد بعد قلبها صادا فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحة الصاد الى الساكن قبلها نقلا كاملا وأبو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيها على أن الخاء أصلها السكون والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان

وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أى آباءهم (فى الفلك المشحون) يعنى سفينة نوح (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) أى فى البحر (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) أى لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) أى ينجون (الا رحمة منا) أى الا أن نرحمهم (ومتاعا الى حين) أى ونمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم) أى العذاب الذى عذب به الأمم قبلكم (وما خلفكم) يعنى عذاب الآخرة (لعلكم ترحمون) أى لكى تكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا أعرضوا ودل على هذا قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) كان فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون للمشركين أعطونا من أموالكم ما زعمتم أنها لله وكانوا يقولون استهزاء (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) قال الله تعالى (ان أنتم الا فى ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) أى البعث (ما ينظرون) أى ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) وهى نفخة إسرافيل (تأخذهم وهم يخصمون) أى يختصمون يعنى يخاصم بعضهم بعضا يعنى تقوم الساعة وهم فى غفلة عنها

لذلك فكسر وا أولهما لأن الساكن اذا حرك حرك بالكسر (فلا يستطيعون توصية) فى شئ من أمورهم ان كانوا فيما بين أهليهم (ولا الى أهلهم يرجعون) ان كانوا خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتوا حيثما كانوا وقد صح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها (ونفخ فى الصور) أى وينفخ فى القرن النفخة الثانية بينها وبين الأولى أربعون سنة (فاذاهم من الأجداث الى ربهم) أى الى مالك أمرهم (ينسلون) أى يخرجون بسرعة بطريق الاجبار دون الاختيار (قالوا) أى الكفار بعد ما خرجوا من القبور (ياويلنا) أى ياهلاكنا احضر فهذا أوانك (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهبنا وقرأ ابن عباس والضحاك وغيرهما من بعثنا على أنها جار ومجرور متعلق بويل وقرئ من هبنا بمن الجارة والمصدر (هذا ماوعد الرحمن) أى هذا البعث ماوعدنا به الرحمن (وصدق المرسلون) أى صدقونا فيه وقيل الوقف على هذا بجعله بدلا من مرقدنا وجعل ماوعد الرحمن خبر مبتدا محذوف أى هو ماوعدنا الرحمن به فى الدنيا من البعث وعلى ذلك التفسير فهذا الخ من كلام الكافرين حيث يتذكرون ماسمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به أنفسهم أو يجيب بعضهم بعضا وقيل قالت لهم الحفظة تذكيرا لكفرهم هذا ماوعد الرحمن على ألسنة الرسل فى الدنيا وصدق المرسلون فيما أخبروكم به من البعث بعد الموت (ان كانت) أى ما كانت نفخة البعث (الا صيحة واحدة) حصلت من نفخ اسرافيل فى الصور (فاذا هم جميع لدينا) أى مجموع عندنا (محضرون) للحساب (فاليوم) وهو يوم القيامة (لا تظلم نفس شيئا) أى لا ينقص من حسنات أحد ولا يزاد على سيئات أحد (ولا تجزون) فى الآخرة (الا ما كنتم تعملون) أى الا بسبب ما كنتم تعملونه فى الدنيا (ان أصحاب الجنة) أى أهل الجنة (اليوم) وهو يوم القيامة (فى شغل) أى شأن يشغلهم عما سواه (فاكهون) أى متلذذون فى النعمة كالتزاور وضيافة الله وافتضاض الابكار وضرب الأوتار وسماعه (هم وأزواجهم فى ظلال) يجدون فيها برد الاكباد وغاية المراد (على الأرائك) أى السرر المزينة بالثياب والستور التى هى داخل الحجال (متكئون) أى جالسون مع التمكن أو الميل على شق وفى هذا اشارة الى الفراغ (لهم فيها) أى الجنة (فاكهة) كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه (ولهم) فيها (ما يدعون) أى يشتهون وقال الزجاج أى ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم وعلى هذا فيكون الافتعال بمعنى الفعل ويعضده القراءة بسكون الدال (سلام قولا من رب رحيم) أى سلام عليهم أخص قولا من رب رحيم وعلى هذا فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ كما فى قوله تعالى وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى أحسن الى عباده المؤمنين كما أحسن الى عباده المرسلين عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى ويقال للمشركين انفردوا اليوم أيها المجرمون عن المؤمنين حين يسار بهم الى الجنة اذ لا دواء لأسقامكم ولا شفاء لسقمكم (ألم أعهد اليكم) أى ألم أوص اليكم (يا بنى آدم) على لسان رسلى (أن لا تعبدوا الشيطان) أى لا تطيعوه (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة فاذا جاءك شخص يأمرك بشئ فانظر اما أن يكون ذلك موافقا

(فلا يستطيعون توصية) أى بعد ذلك أن يوصوا فى أمورهم بشئ (ولا الى أهلهم يرجعون) أى لا ينقلبون الى أهلهم من الاسواق بل يموتون فى مكانهم (ونفخ فى الصور) هى نفخة البعث (فاذاهم من الأجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) أى يخرجون بسرعة (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) أى منامنا وذلك أنهم كانوا قد رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين فيرقدون ثم يقولون (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) أقروا حين لا ينفعهم (ان كانت الا صيحة واحدة) الآية يريد أن بعثهم واحياءهم كان بصيحة يصاح بهم وهو قول اسرافيل أيتها العظام البالية (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) أى بافتضاض الابكار (فاكهون) أى ناعمون فرحون (ولهم مايدعون) أى يتمنون (سلام) أى لهم سلام (قولا) أى يقول الله قولا (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى انفردوا عن المؤمنين (ألم أعهد اليكم) أى ألم آمركم (يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين)

لأمر الله أولا فان لم يكن موافقاله فذلك الشخص معه الشيطان يأمرك بما يأمرك به فان أطعته فقد عبدت الشيطان وان دعتك نفسك الى فعل فانظر أهو مأذون فيه من جهة الشرع أولا فان لم يكن مأذونا فيه فنفسك هي الشيطان أومعها الشيطان يدعوك فان اتبعته فقد عبدته ثم ان الشيطان يأمر أولا بمخالفة الله ظاهرا فمن أطاعه فقد عبده ومن لم يطعه فيقول له اعبدالله كي لاتهان وليرتفع شأنك عند الناس وينتفع بك اخوانك فان أجاب اليه فقد عبده (وأن اعبدوني) أي أطيعوني موحدين بي (هذا) أي التوحيد (صراط مستقيم) أي طريق قريب آمن فاسلكوه وفي ضمن قوله تعالى هذا صراط اشارة الى أن الانسان مار في الدنيا لامقيم فيها (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أي وبالله لقد أضل الشيطان منكم يابني آدم خلقا كثيرا قبلكم عن ذلك الصراط المستقيم الذي أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لأجل ذلك ماأصابهم من العقوبات الهائلة (أفلم تكونوا تعقلون) أي أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم أوأفلم تكونوا تعلمون ماصنع الشيطان بهم وقرأ نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وأبو عمرو وابن عامر بضم الجيم وسكون الموحدة والباقون بضمهما واللام مخففة (هذه جهنم التي كنتم توعدون) أي كنتم توعدون بها في الدنيا على ألسنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان وبهذا يخاطب الكفار بعد تمام التوبيخ عند اشرافهم على شفير جهنم (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) أي ادخلوا جهنم من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) أي يعملون من الشر ورأى انهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون ينكرون كفركم فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فيختم الله على أفواههم وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيقرون بذنوبهم ولا يقدرون على الانكار فكل عضو ينطق بما صدر منه فشهادتهم هواقرارهم (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أي ولو نشاء أن نطمس على أعينهم لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة بحيث لايبدو لها جفن ولا شق (فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون) أي فلوأرادوا سلوك الطريق الواضح المألوف لهم لايقدرون عليه والمراد ان في قدرتنا ازالة نعمة البصر عنهم فيصيروا عميا لايقدرون على التردد في الطريق لمصالحهم ولكن أبقينا عليهم نعمة البصر فضلا وكرما فحقهم ان يشكروا عليها ولا يكفروا فهذا توبيخ لهم كالتوبيخ (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) وقرأ شعبة مكاناتهم على الجمع (فما استطاعوا مضيا ولايرجعون) أي ولونشاء مسخهم لحولنا صورهم وأبطلنا قواهم في منازلهم فلايقدرون أن يبرحوا مكانهم باقبال ولاادبار ولايرجعون الى الحال الأول وعن ابن عباس أي حولناهم قردة وخنازير وقيل أي حولناهم حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي ومن نطل عمره اطالة كثيرة نقلبه في خلق جسده وقواه الباطنية فكل منهما ينقلب حاله فيرجع من القوة الى الضعف حتى صار كأنه طفل وقرأ عاصم وحمزة بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة والباقون بفتح الاولى وتسكين الثانية وضم الكاف (أفلايعقلون) أي أيرون ذلك فلايعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرأ نافع وابن ذكوان تعقلون بالخطاب (وماعلمناه الشعر) أي وماعلمنا محمدا الشعر وليس القرآن بشعر وهذا رد لما كانوا يقولون في حقه صلى الله عليه وسلم من أن محمدا شاعر ومايقوله شعر (وماينبغي له) أي وما كان الشعر يليق به صلى الله عليه وسلم ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن فالشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون

(ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أي خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) عداوته واضلاله (اصلوها اليوم) أي ادخلوها وقاسوا حرها (بما كنتم تكفرون) (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أي لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم (فاستبقوا الصراط) يعني فتبادروا الى الطريق (فأنى يبصرون) أي فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو نشاء لمسخناهم) أي حجارة (على مكانتهم) أي في منازلهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) أي لم يقدروا على ذهاب ولامجيء (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما (أفلايعقلون) أنا نفعل ذلك (وماعلمناه الشعر) أي لم نعلم محمدا ﷺ قول الشعر (وما ينبغي له) أي ومايتسهل له ذلك

(ان هو) أي ليس الذي أتى به (الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا) أي عاقلا يعقل ما يخاطب

المعنى منه تبعا للفظ لأنه يقصد لفظا يصح به وزن الشعر أو قافيته فيحتاج الى التحيل لمعنى يأتى به لأجل ذلك اللفظ ولو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ وانما قصد المعنى فجاء على تلك الألفاظ (ان هو الا ذكر) أي ما القرآن الا عظة من الله تعالى للثقلين (وقرآن) أي كتاب جامع للأحكام كلها (مبين) أي ظاهر أنه ليس من كلام البشر (لينذر) أي محمد كما يدل له قراءة نافع وابن عامر بالتاء على الخطاب أو القرآن (من كان حيا) أي عاقلا منهما أو مؤمنا في علم الله تعالى وتخصيص الانذار به لأنه المنتفع به (ويحق القول على الكافرين) أي وتثبت كلمة العذاب على المصرين على الكفر أو وليثبت القول في الوحدانية والرسالة والحشر وسائر المسائل الدينية على كفار مكة فان في القرآن ذكر الدلائل التي تثبت بها المطالب (أولم يروا) أي ألم يتفكروا ولم يعلموا علما يقينا (أنا خلقنا لهم) أي لأجل انتفاعهم (مما عملت أيدينا) أي مما عملناه بقدرتنا وارادتنا (أنعاما) هي الابل والبقر والغنم وهو مفعول خلقنا (فهم لها مالكون) بتمليكنا اياهم لها بحيث يتصرفون فيها بوجوه التصرفات (وذللناها لهم) أي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها (فمنها ركوبهم) أي فبعض منها مركوبهم (ومنها يأكلون) أي وبعض منها يأكلون لحمه (ولهم فيها) أي الأنعام (منافع) غير الركوب والأكل كالجلود والأصواف والأوبار والنسل والحرث عليها والحمل (ومشارب) من ألبانها (أفلا يشكرون) أي أيشاهدون هذه النعم فلا يشكرون المنعم بها فيعبدونه (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أي وعبد كفار مكة من غير الله أصناما راجين أن ينصروهم من عذاب الله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) أي لا تقدر آلهتهم على نصرهم (وهم لهم جند محضرون) أي والمشركون لآلهتهم بمنزلة الجند فهم قائمون بين أيديهم كالعبيد ويخدمونها ويغضبون لها في الدنيا أو المعنى وآلهتهم وهي الأصنام جند للعابدين محضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض ويقال والمشركون جند لآلهتهم يشيعونها عند مساقها الى النار (فلا يحزنك) يا أشرف الخلق (قولهم) أي تكذيبهم اياك وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاي وهو لغة بني تميم أما القراءة المشهورة التي هي بفتح الياء وضم الزاي فهي لغة قريش (انا نعلم ما يسرون) من النفاق أو من المنكر بك أو من العقائد الفاسدة (وما يعلنون) من الشرك أو من الكفر بك أو من الافعال القبيحة أي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية (أولم ير الانسان) أي ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينا (أنا خلقناه من نطفة) قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم) أي ناطق بالباطل (مبين) أي مبين النطق في نفي البعث (وضرب لنا مثلا) أي أورد الانسان في شأننا أمرا عجيبا وهو انكاره قدرتنا على احياء الموتى مع شهادة العقل والنقل في ذلك (ونسي خلقه) أي وترك الانسان ذكر بدء خلقه من المني (قال من يحيي العظام وهي رميم) أي بالية أشد البلاء بعيدة عن الحياة غاية البعد ونزلت هذه الآيات في العاصي بن وائل كما نقل عن مجاهد أو في أبي بن خلف كما قاله عكرمة والسدي أو في عبد الله بن أبي كما نقل عن ابن عباس أو أمية بن خلف كما حكاه ابن عساكر وروي ان جماعة من كفار قريش تكلموا فقال لهم أبي بن خلف ألا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأذهبن اليه ولأخصمنه فأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده وأتى النبي ﷺ وقال انك يا محمد تقول ان إلهك يحيي هذه العظام فقال ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك جهنم (قل) له يا أكرم الرسل (يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي يحيي العظام من خلقها من العدم أول مرة من النطفة فكما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا (وهو بكل خلق عليم) أي فيعلم الله أجزاء الأشخاص المتفتتة المتفرقة في المشارق والمغارب

به لأن الكافر كالميت (ويحق القول على الكافرين) أي تجب الحجة عليهم (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أي عملناه من غير واسطة ولا توكيل ولا شريك أعاننا (أنعاما فهم لها مالكون) أي ضابطون (وذللناها لهم) أي سخرناها لهم (فمنها ركوبهم) أي منها يركبون (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أي يمنعون من عذاب الله (لا يستطيعون نصرهم) أي لا تنصرهم آلهتهم (وهم لهم جند محضرون) أي في النار لأن أوثانهم معهم فيها (فلا يحزنك قولهم) فيك بالسوء والقبيح (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) يعني فنجازيهم بذلك (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) يعني العاص بن وائل وقيل أبي بن خلف (فاذا هو خصيم مبين) أي جدل بالباطل خاصم النبي ﷺ في انكار البعث وهو قوله (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) وهو أنه (قال) متى يحيي الله العظم البالي المتفتت ونسي ابتداء خلقه لأنه لو علم ذلك ما أنكر الاعادة وهذا معنى قوله (من يحيي العظام وهي رميم) أي بالية (قل يحييها الذي أنشأها) خلقها (أول مرة وهو بكل خلق عليم)

والتي

والتى بعضها فى أبدان السباع و بعضها فى جدران الرباع سواء كانت أجزاء أصلية أو فضلية للآكل أولما كول فيعيد الله كلا من ذلك النمط السابق مع القوى التى كانت قبل ويجمعه وينفخ روحه (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) والموصول بدل من الموصول الاول أى الذى خلق لأجل منفعتكم نارا من المرخ والعفار فالمرخ شجر سريع القدح والعفار بفتح العين شجر تقدح منه النار فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى وهذا قول ابن عباس وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم) يا أهل مكة (منه) أى من الشجر الأخضر (توقدون) فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان أقدر على اعادة الأجساد بعد فنائها (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) أىَ أليس الذى أنشأ العظام أول مرة وليس الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا وليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما يقدر على أن يخلق مثل الأناسى فى الصغر ثم أجاب الله نفسه بقوله (بلى) هو قادر على ذلك (وهو الخلاق العليم) أى وهو كامل القدرة وشامل العلم (انما أمره) أى شأنه (اذا أراد شيئا) من الأشياء (أن يقول له كن فيكون) أى أن يعلق بذلك الشئ قدرته تعالى (فيكون) أى فيحدث من غير توقف على شئ آخر أصلا وقرأ ابن عامر والكسائى بالنصب عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) أى تنزه عن الشريك والعجز من فى قبضته مملكة كل شئ وخزائنه (واليه) لا الى غيره (ترجعون) بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم وقرأ زيد بن على بالبناء للفاعل

﴿ سورة الصافات مكية وهى مائة واثنان وثمانون آية وثمانمائة وستون ﴾

﴿ كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والصافات) أى والملائكة الناظمات لأنفسها فى سلك الصفوف بقيامها فى مقاماتها المعلومة أو الصافات أقدامها فى السماء لاداء العبادات أو الباسطات أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد (صفا) بديعا (فالزاجرات) أى الملائكة التى تزجر السحاب أى يأتون بها من موضع الى موضع أو الزاجرات لبنى آدم عن المعاصى بالالهامات أو الزاجرات للشياطين عن التعرض لبنى آدم بالشر والايذاء وعن استراق السمع (زجرا) بليغا (فالتاليات ذكرا) أى الملائكة التاليات الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد (ان الهكم) يا أهل مكة (لواحد) بلا شريك اذ لو لم يكن واحدا لاختل هذا الاصطفاف والزجر والتلاوة فكان غير حكيم (رب السموات والارض) أى مالكهما (وما بينهما) من الموجودات (ورب المشارق) أى مشارق الشمس فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق الشمس كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم فى مغرب منها (انا زينا السماء الدنيا) أى القربى من أهل الارض (بزينة الكواكب) قرأ أبو بكر عن عاصم بتنوين زينة ونصب الكواكب أى بتزييننا الكواكب فى كونها مضيئة حسنة فى أنفسها وحمزة وحفص كذلك الا انهما خفضا الكواكب بدل من زينة والباقون باضافة زينة الى الكواكب أى بتزيين ضوء الكواكب السماء وقرأ ابن عباس وابن مسعود بتنوين زينة ورفع الكواكب أى بزينة هى الكواكب أو بتزيين الكواكب فالاول فى قوة البدل والثانى فى قوة المضاف للفاعل (وحفظا) عطف على زينة باعتبار المعنى أى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) أى عال على الله خارج عن طاعته يرمى

أى من الابتداء والاعادة عليم (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) يعنى المرخ والعفار ومنها زنود الاعراب (فاذا أنتم منه توقدون) أى تورون النار ثم احتج عليهم بخلق السموات والارض فقال (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) ثم ذكر كمال قدرته فقال (انما أمره اذا أراد شيئا) أى خلق شئ (أن يقول له كن فيكون) ذلك الشئ (فسبحان) تنزيها لله من أن يوصف بغير القدرة على الاعادة (الذى بيده ملكوت كل شئ) أى القدرة على كل شئ (واليه ترجعون) أى تردون فى الآخرة

﴿ تفسير سورة والصافات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والصافات صفا) يعنى صفوف الملائكة فى السماء (فالزاجرات زجرا) يعنى الملائكة تزجر السحاب وتسوقه (فالتاليات ذكرا) أى جماعة قراء القرآن (ان الهكم لواحد) أقسم الله بهؤلاء ان الهكم لواحد (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) أى مطالع الشمس (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) أى بضوئها (وحفظا) أى وحفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) أى خبيث

الشهب (لايسمعون الى الملأ الأعلى) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بفتح السين وتشديدها وتشديد الميم أي كيلا يتطلب الشياطين السماع الى كلام أشرف الملائكة والباقون بسكون السين (ويقذفون) أي يرمون بالشهب (من كل جانب) أي من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها (دحورا) أي الطرد (ولهم عذاب واصب) أي دائم بالشهب في الدنيا الى النفخة الاولى وبالنار في الآخرة (الا من خطف الخطفة) ومن في محل رفع بدل من الواو في لايسمعون أي لايسمع الشياطين الا الشيطان الذي اختلس الكلمة من كلام الملائكة على وجه المسارقة (فأتبعه شهاب ثاقب) أي لحقه شهاب مضيء يحرقه أو يخبله أو يقتله (فاستفتهم) أي سل يا أشرف الخلق هؤلاء المنكرين للبعث من مشركي مكة (أهم أشد خلقا) أي أصعب خلقا وأشق ايجادا (أم من خلقنا) أي أم التي خلقناها من هذه الأشياء أصعب وهي السموات والارض ومابينهما والمشارق والمغارب والشياطين الذين يصعدون الفلك والملائكة والكواكب والشهب الثواقب (انا خلقناهم) أي كل انسان (من طين لازب) أي لاصق لشدة اختلاط بعضه ببعض فان الحيوان انما يتولد من المني وهو يتولد من الغذاء ثم النبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب (بل عجبت ويسخرون) أي بل عجبت يا أشرف الرسل من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك ومن تقريرك للبعث فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من سمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به فعجب من ذلك النبي وقرأ حمزة والكسائي عجبت بضم التاء وهو قراءة ابن عباس وابن مسعود وابراهيم ويحيى بن وثاب والأعمش والمعنى عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفاعيله وممن كثرت مخلوقاته وكملت قدرته ويسخروا ممن يجوز البعث وقال بعض الائمة معنى قوله بل عجبت بالضم بل جازيتهم على عجبهم أي ان هؤلاء المنكرين أقروا بأن الله تعالى قادر على تكوين أشياء أصعب من اعادة الحياة الى هذه الأجساد وقد تقرر في صرائح العقول أن القادر على الأشق الأشد يكون قادرا على الاسهل الأيسر ومع قيام هذه الحجة البديهية بقي هؤلاء القوم مصرين على انكار البعث والقيامة وهذا في موضع التعجب الشديد (واذا ذكروا) أي اذا وعظوا بشيء من المواعظ (لايذكرون) أي لايتعظون ولاينتفعون بذكر دلائل صحة البعث لغاية بلادتهم وقصور فكرهم (واذا رأوا آية) أي معجزة تدل على صدق القائل بالبعث كانشقاق القمر (يستسخرون) يبالغون في السخرية (وقالوا ان هذا) أي ماهذا الذي نرونه (الا سحر مبين) أي ظاهر سحريته أي ان الرسول أثبت جهة رسالته بالمعجزات ثم قال لما ثبت بهذه المعجزة كوني رسولا من عند الله صادقا فأنا أخبركم بأن البعث والقيامة حق ثم ان هؤلاء المنكرين لاينتفعون بهذا الطريق أيضا لانهم اذا رأوا معجزة باهرة حملوها على كونها سحرا واستهزأوا منها (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو على أنها معطوفة على الضمير في مبعوثون والباقون بفتحها على انها همزة الاستفهام دخلت على واو العطف فالمعنى أو تبعث آباؤنا ويقال أو آباؤنا الأولون مبعوثون أيضا أي ان القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة ويقولون من مات وصار ترابا وتفرقت أجزاؤه في العالم كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يستسخرون ممن سلك هذا المذهب الحق (قل) لهم تبكيتا (نعم وأنتم داخرون) أي نعم تبعثون أنتم وآباؤكم الأولون حال كونكم وهم ذليلين حقيرين (فانما هي زجرة واحدة) أي لاتستبعدوا البعث لانه انما هي صيحة واحدة (فاذاهم) أي الخلائق قائمون من مراقدهم أحياء

(لايسمعون الى الملأ الأعلى) يعني الملائكة (ويقذفون من كل جانب) أي ويرمون (دحورا) أي يدحرون دحورا يعني يباعدون (ولهم عذاب واصب) أي دائم (الا من خطف الخطفة) أي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة (فأتبعه) أي لحقه (شهاب ثاقب) أي كوكب مضيء (فاستفتهم) أي فاسألهم يعني أهل مكة (أهم أشد خلقا أم من خلقنا) من الأمم السالفة قبلهم وغيرهم من السموات والارضين (انا خلقناهم من طين لازب) أي لاصق لازم (بل عجبت) يا محمد من تكذيبهم اياك (ويسخرون) أي وهم يسخرون من تعجبك (واذا رأوا آية يستسخرون) أي معجزة سخروا (وقالوا ان هذا الاسحر مبين قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) أي صاغرون أذلاء (فانما هي) يعني القيامة (زجرة) نفخة (واحدة فاذاهم) أحياء

(ينظرون) أى يبصرون كما كانوا و ينتظرون مايفعل بهم (وقالوا) أى الكفار اذا قاموا من القبور (ياويلنا) أى ياهلاكنا احضر فهذا أوان حضورك (هذا يوم الدين) أى هذا اليوم الذى نجازى فيه بأعمالنا (هذا يوم الفصل) أى يوم القضاء بينكم و بين المؤمنين (الذى كنتم) فى الدنيا (به) أى بهذا اليوم (تكذبون) والوقف على ويلنا تام ان جعل هذا يوم الدين من كلام الملائكة جوابا لهم فالمعنى هذا يوم جزاء الأعمال وان جعل من كلام الكفار لانهم كانوا يسمعون فى الدنيا انهم يبعثون و يجزون بأعمالهم فالوقف التام على يوم الدين لان هذا يوم الفصل الى آخره من كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ وقيل هو من كلام بعضهم لبعض فيقول الله للملائكة (احشروا الذين ظلموا) ى رؤساء الكفار من مقامهم الى الموقف (وأزواجهم) أى أحزابهم ونظراءهم من الكفرة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) أى من غيره من الأصنام ونحوها (فاهدوهم الى صراط الجحيم) أى سوقوهم الى طريق جهنم (وقفوهم) أى احبسوهم فى الموقف أو على النار (انهم مسئولون) عن عقائدهم وأعمالهم وقيل المراد سألتهم خزنة النار بنحو قولهم ألم يأتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام العلة أى قفوهم لاجل سؤال الله اياهم وتقول لهم خزنة جهنم (مالكم لاتناصرون) أى أى شئ لكم لاينصر بعضكم بعضا كما كنتم فى الدنيا كما قاله ابن عباس وذلك لان أبا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فيقال لهم يوم القيامة مالكم غير متناصرين كما كنتم تزعمون فى الدنيا (بل هم اليوم مستسلمون) أى منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم فى دفع تلك المضار (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أى يتخاصمون يقول الاتباع غررتمونا و يقول الرؤساء لم قبلتم منا (قالوا) أى الاتباع للرؤساء (انكم كنتم تأتوننا) فى الدنيا (عن اليمين) أى عن القوة والقهر وتقصدوننا عن الغلبة حتى تحملونا على الضلال أو عن الحلف فان أئمة الكفار كانوا قد حلفوا لهؤلاء المستضعفين ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم (قالوا) أى الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم (وما كان لنا عليكم من سلطان) أى من قهر والمعنى فلاقدرة لنا عليكم حتى نقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) أى غالين فى معصية الله تعالى (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون) أى فثبت وعيد ربنا انا لذائقوا العذاب والمعنى ان الله تعالى لما أخبر عن وقوعنا فى العذاب فلو لم يحصل وقوعنا فى العذاب لما كان خبر الله حقا ولما كان خبر الله أمرا ثابتا كان الوقوع فى العذاب الأليم لازما ولما حق علينا وعيد ربنا وجب أن نكون ذائقين لهذا العذاب (فأغويناكم انا كنا غاوين) أى انا انما أقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين فى أنفسنا بالغواية فلا لوم علينا (فانهم) أى الاتباع والمتبوعين (يومئذ) أى يوم القيامة (فى العذاب) أى فى وقوعهم فى العذاب (مشتركون) كما كانوا فى الدنيا مشتركين فى الغواية (انا كذلك) أى كما نفعل بعبدة الأوثان (نفعل بالمجرمين) أى المشركين غير هؤلاء كالنصارى واليهود (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أى عبدة الأوثان كانوا اذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله يتعاظمون عن النطق بكلمة التوحيد وعلى من يدعوهم اليها (ويقولون) فى تكذيب النبوة (أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) أى أئنا لتاركوا عبادة آلهتنا لاجل قول محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله تعالى كذبهم فى ذلك الكلام فقال (بل جاء بالحق) أى بل جاء محمد بالدين الحق لانه ثبت بالعقل انه تعالى منزه عن الشريك (وصدق المرسلين) أى وصدق محمد المرسلين فى مجيئهم بالتوحيد ونفى الشريك فان التوحيد دين كل الأنبياء (انكم

(ينظرون وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) أى يوم نجازى فيه بأعمالنا (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا) أى كفروا (وأزواجهم) أى قرناءهم من الشياطين وأوثانهم (فاهدوهم) أى دلوهم الى النار (وقفوهم) أى احبسوهم (انهم مسئولون) أى عن أقوالهم وأفعالهم (مالكم لاتناصرون) أى لاينصر بعضكم بعضا (بل هم اليوم مستسلمون) أى منقادون (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الاتباع والرؤساء (يتساءلون) أى يتخاصمون (قالوا) يعنى الاتباع للرؤساء (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى من قبل الدين فتضلوننا عنه (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) أى انما الكفر من قبلكم (فحق علينا جميعا (قول ربنا) أى كلمة العذاب

بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام (لذائقوا العذاب الأليم) وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون وقرئ لذائقون العذاب على الاصل (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أي الا بما كنتم تعملونه من السيئات وكأنه قيل فكيف يليق بالرحيم الكريم المتنزه عن النفع والضر أن يعذب عباده فأجاب الله عن ذلك بقوله وما تجزون الخ والمعنى ان الحكم يقتضى الأمر بالحسن والنهى عن القبيح ولا يكمل المقصود منهما الا بالترغيب فى الثواب و بالترهيب بالعقاب واذا وقع الاخبار عن ذلك وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب فلهذا السبب وقعوا فى العذاب (الا عباد الله المخلصين) وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام أى المعصومين من الكفر والباقون بالكسر أى المخلصين الطاعة وهذا استثناء منقطع من ضمير ذائقو فالمعنى انكم لذائقو العذاب الاليم لكن عباد الله الموحدين المخلصين بالعبادة ليسوا كذلك ثم قال أبو السعود ولا وجه لجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون أضعافا مضاعفة اه (أولئك) أى المخلصون (لهم رزق معلوم) أى معروف الصفة لكونه مخصوصا بخصائص خلقها الله فيه من طيب طعم ورائحة ولذة طعم وحسن منظر وقيل معنى المعلوم انهم يتيقنون دوام الرزق لا كرزق الدنيا الذى لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معناه ان الرزق على قدر يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله وكرامته عليهم (فواكه) وهو ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت وهو بدل كل من رزق فالفواكه مساوية للرزق فتشمل الخبز واللحم لانهما يؤكلان فى الجنة تلذذا (وهم مكرمون) عند الله تعالى لا يلحقهم هوان لأن الأكل الخالى عن التعظيم يليق بالبهائم (فى جنات النعيم) أى فى جنات ليس فيها الا النعيم (على سرر) مكللة بالدر والياقوت والزبرجد (متقابلين) أى متواجهين فى الزيارة لا يرى بعضهم قفا بعض وفى بعض الاخبار انهم اذا أرادوا القرب سار السرير تحتهم (يطاف عليهم بكأس) أى بخمر أو باناء فيه خمر فالكأس يطلق عليهما (من معين) أى من نهر جار على وجه الأرض خارج من العيون (بيضاء) مثل اللبن (لذة للشاربين لا فيها غول) أى ليس فى شربها صداع فى الرأس كما قاله ابن عباس والليث ولا وجع البطن كما قاله قتادة ولا إثم كما قاله الكلبى (ولا هم عنها ينزفون) قرأ حمزة والكسائى بضم الياء وكسر الزاى أى يسكرون والباقون بفتح الزاى أى يذهب عقولهم وعن سببية أى بسبب الخمر (وعندهم) فى الجنة (قاصرات الطرف) أى حور قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يعددن طرفا الى غيرهم (عين) أى كبار الاعين حسانها (كأنهن) فى الصفاء (بيض) للنعام (مكنون) أى مصون عن الغبرة شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فان ذلك أحسن ألوان الابدان (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وهذا معطوف على يطاف أى يشربون و يتحادثون على الشراب فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم وعن المعارف (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة فى تضاعيف محاوراتهم وهو يهوذا (انى كان لى قرين) أى مصاحب فى الدنيا يقال له مطروس وهما شريكان فى بنى اسرائيل أحدهما مؤمن وهو يهوذا والآخر كافر وهو مطروس (يقول) لى يوبخنى على التصديق بالبعث والقيامة (أئنك لمن المصدقين) بالبعث و يقول تعجبا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى لمحاسبون ومجازون وقرئ المصدقين بتشديد الصاد وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فافتقر فاستجدى بعض اخوانه فقال أين مالك فقال تصدقت به ليعوضنى الله تعالى فى الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد

انكار

(الا عباد الله المخلصين) أى المؤمنين (أولئك لهم رزق معلوم) أى بكرة وعشيا وقوله (بكأس من معين) أى خمر يجرى على وجه الارض (بيضاء لذة) أى ذات لذة (لا فيها غول) أى داء ووجع (ولا هم عنها ينزفون) أى لا تذهب بعقولهم (وعندهم قاصرات الطرف) أى نساء لا ينظرن الى غير أزواجهن (عين) أى نجل العيون (كأنهن بيض) أى فى صفاء لونها (مكنون) يستره ريش النعام (فأقبل بعضهم) يعنى أهل الجنة (على بعض يتساءلون) أى عما بينهم (قال قائل منهم انى كان لى قرين) يعنى للذين قص الله خبرهما فى سورة الكهف كان (يقول) له قرينه (أئنك) ممن يصدق بالبعث والجزاء وقوله (أئنا لمدينون) أى لمجزيون

انكار الجزاء المبنى على انكار البعث (قال) ذلك الرجل الذى هو من أهل الجنة لجلسائه (هل أنتم مطلعون) الى أهل النار لأريكم ذلك القرين فذهب الى بعض أطراف الجنة (فاطلع) عندها الى النار (فرآه فى سواء الجحيم) أى فرأى ذلك الرجل قرينه فى وسط النار (قال) له موبخا (تالله ان كدت لتردين) أى انه أى الشأن قاربت لتهلكنى بدعائك اياى الى انكار البعث والقيامة وقرئ لتغوين أى لتضلنى عن الدين (ولولا نعمة ربى) بالارشاد الى الحق والعصمة عن الباطل (لكنت من المحضرين) فى النار مثلك ثم عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة فقال (أفما نحن بميتين) أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين (الا موتتنا الأولى) التى كانت فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) وهذا استفهام تلذذ فهو من سؤال بعضهم لبعض لأن الذى تتكامل سعادته اذا عظم تعجبه بها قد يقول أيدوم هذا لى أيبقى هذا لى وان كان على يقين من دوامه ثم عند فراغهم من هذه المباحثات يقولون (ان هذا) أى الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) والوقف هنا تام وقيل هو من قول الله تعالى تصديقا لقولهم وقرئ ان هذا أى الذى ذكر لأهل الجنة لهو الرزق العظيم قال الله تعالى ترغيبا للمكلفين فى عمل الطاعات (لمثل هذا فليعمل العاملون) أى لطلب مثل هذه السعادات المحكية يجب أن يعمل العاملون فليجتهد المجتهدون بالعلم والعبادة (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) أى أذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير حاصلا أم شجرة الزقوم التى حاصلها الألم والغم أمر الله رسوله أن يورد ذلك على كفار قومه ليصير ذلك زاجرا لهم عن الكفر والمعنى ان الرزق المعلوم ضيافة أهل الجنة وأهل النار ضيافتهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه ضيافة وهذا الكلام جىء به على سبيل السخرية بهم لأنه لا نسبة لأحدهما الى الآخر فى الخيرية (انا جعلناها) أى شجرة الزقوم (فتنة للظالمين) أى شبهة فى قلوبهم حتى صارت سببا لتماديهم فى الكفر فانهم لما سمعوا ان شجرة الزقوم فى النار قالوا كيف يعقل أن تنبت الشجرة فى النار مع أنها تحرق الشجر ولم يعلموا أن خالق النار قادر على أن يمنع النار من احراق الشجر لأنه اذا جاز أن يكون فى النار زبانية والله يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثل ذلك فى هذه الشجرة (انها) أى الزقوم (شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها وقرئ نابتة فى أصل الجحيم (طلعها) أى ثمرها (كأنه رءوس الشياطين) فى القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك فى قوله تعالى حكاية لقول النساء ان هذا الا ملك كريم وذلك ان الناس اعتقدوا فى الملائكة كمال الفضل فى الصورة والسيرة واعتقدوا فى الشياطين نهاية القبح فى الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة تقرير الكمال حسن التشبيه برءوس الشياطين فى قبح النظر كأنه قيل ان أقبح الأشياء فى الخيال هو رءوس الشياطين وقيل ان الشياطين حيات هائلة لها رءوس وأعراف وهى من أقبح الحيات والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون فى تهامة (فانهم) أى الكفار (لآكلون منها) أى من الزقوم (فمالئون منها البطون) لغلبة الجوع أو القسر على أكلها تكميلا لعذابهم (ثم ان لهم عليها) أى الزقوم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش (لشوبا من حميم) أى لخلوطا بماء متناه فى الحرارة والمعنى اذا غلبهم العطش الشديد سقوا من الماء الحار فحينئذ يخلط الزقوم بماء حميم فيقطع أمعاءهم نعوذ بالله من ذلك (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) فان الزقوم والحميم ضيافة تقدم اليهم قبل دخولها وقرئ ان مصيرهم أى منقلبهم (انهم ألفوا آباءهم ضالين) أى انهم وجدوهم ضالين فى نفس الأمر (فهم على آثارهم يهرعون) أى فهم يتبعون آباءهم على دينهم اتباعا فى سرعة من غير تدبر أى انما استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين وترك اتباع الدليل (ولقد ضل قبلهم) أى قبل

(قال) الله تعالى لأهل الجنة (هل أنتم مطلعون) أى الى النار (فاطلع) المسلم فرأى قرينه الكافر (فى سواء الجحيم) أى وسطها (قال) له (تالله ان كدت لتردين) أى تهلكنى وتضلنى (ولولا نعمة ربى) أى عصمته ورحمته (لكنت من المحضرين) أى فى النار (أفما نحن بميتين الا موتتنا الأولى) يقوله أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) الآيات (أذلك) الذى ذكرتم من نعيم أهل الجنة (خير أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين) أى افتتنوا بها وكذبوا بكونها فصارت فتنة وذلك انهم أنكروا أن تكون فى النار شجرة قال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى أصلها فى قعر جهنم (طلعها) أى ثمرها (كأنه رءوس الشياطين) أى فى القبح وكراهة المنظر (ثم ان لهم عليها) أى على شجرة الزقوم (لشوبا) أى خلطا ومزاجا (من حميم) أى ماء حار (ثم ان مرجعهم) أى مرجع الكفار (لالى الجحيم) أى التى تجمع هذه الأشياء وقوله (يهرعون) أى يزعجون الى أتباعهم

قريش (أكثر الأولين) من الأمم السالفة (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى أنبياء أولي عدد كثير وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما عليهم فلم يؤمنوا بهم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في كفر قومه وتكذيبهم له ليكون له أسوة بمن تقدم من الرسل ليصبر كما صبروا (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) والمقصود من هذا الخطاب خطاب الكفار وان كان في الظاهر خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم سمعوا بالأخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام أى الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل وبكسرها أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى وهذا استثناء من قوله تعالى كيف كان عاقبة المنذرين فانها كانت أقبح العواقب فانا أهلكناهم الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها كانت مقرونة بالخير والراحة لانا لم نهلكهم أو استثناء من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين الا عباد الله المخلصين أى فانهم لم يضلوا لأنهم لم يكذبوا رسلهم (ولقد نادانا نوح) في أن تنجيه من الغرق أو في ايذاء قومه وقصدهم لقتله (فلنعم المجيبون) أى فوالله لنعم المجيبون نحن (ونجيناه) أى نوحا (وأهله من الكرب العظيم) أى الحاصل بسبب الخوف من الغرق أو الحاصل من أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) الى يوم القيامة وكان له ثلاث بنين سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو الحبش والبربر والسند ويافث أبو الترك والتتار ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين) أى وتركنا على نوح في الباقين بعده من الأمم هذه الكلمة وهى سلام على نوح في العالمين أى يسلمون عليه تسليما ويدعون له بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا على الدوام أى أثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين فيسلمون عليه بكليتهم (انا كذلك نجزى المحسنين) أى انا مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى الكاملين في الاحسان (انه من عبادنا المؤمنين) والمقصود من هذا بيان ان أعظم الدرجات الايمان بالله والانقياد لطاعته (ثم أغرقنا الآخرين) وهم كفار قومه أجمعين (وان من شيعته) أى ممن تابعه في أصول الدين (لابراهيم) وان اختلفت فروع شرائعهما وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (اذ جاء ربه بقلب سليم) أى اذ أقبل ابراهيم الى طاعة ربه بقلب خالص من كل عيب. وقال الأصوليون المراد أنه عاش ومات على طهارة القلب من كل دنس المعاصى فيكون سليما عن الشرك والغش والحقد والحسد وعن ابن عباس أنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه وسلم جميع الناس من غشه وظلمه (اذ قال لأبيه وقومه) ظرف لجاء أو لسليم وأما العامل في اذ الأولى فهو ما دل عليه قوله تعالى وان من شيعته من معنى المتابعة (ماذا تعبدون) أى أى شىء تعبدونه. (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى أتعبدون آلهة من غير الله لأجل الكذب (فما ظنكم برب العالمين) أنه من جنس هذه الأجسام حتى جعلتموها مساوية له في المعبودية أو انه يجوز جعل هذه الجمادات مشاركة له في العبودية (فنظر نظرة في النجوم) أى في علم النجوم وأراد أن يتخلف عنهم في عيد يخرجون اليه ليبقى خاليا في بيت الأصنام فيقدر على كسرها ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان قومه يتعاملون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاملون به ليتركوه ويعذروه في التخلف عنهم (فقال انى سقيم) أى سأسقم سقم الموت لأن من كتب الله عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت كما قاله الضحاك أو سقيم القلب عليكم لعبادتكم الأصنام وذلك تورية ليتركوه وقيل انه نظر الى نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمى وأشار لهم الى مرض يعدى كالطاعون وكانوا يهربون من الطاعون (فتولوا عنه مدبرين) أى فارين مخافة العدوى وتركوه وعذروه في أن لا يخرج اليوم ذاهبين الى عيدهم فكان ذلك مراده وكانوا في قرية بين

(ولقد نادانا نوح) يعنى قوله انى مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) أى نحن (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) يعنى الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) لأن الخلق كلهم أهلكوا الا من كان معه في سفينته وكانوا من ذريته (وتركنا عليه في الآخرين) أى فيمن يأتى بعده ثناء حسنا وهو أن يصلى عليه ويسلم وهو معنى قوله (سلام على نوح في العالمين) (وان من شيعته) أى أهل دينه وملته (لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم) أى من الشرك (فما ظنكم برب العالمين) قال ابراهيم لقومه وهم يعبدون الأصنام أى شىء ظنكم برب العالمين وأنتم تعبدون غيره (فنظر نظرة) الآية وذلك أنه كان لقومه من الغد عيد يخرجون اليه ويضعون أطعمتهم بين يدى الأصنام لتبرك عليها على زعمهم فقالوا لابراهيم ألا تخرج معنا الى عيدنا فنظر الى نجم وقال لهم (انى سقيم) وكانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه واعتل في التخلف عن عيدهم بأنه يعتل وتأول قوله سقيم أى سأسقم (فتولوا عنه مدبرين) أى أدبروا عنه الى عيدهم وتركوه

السكوفة والبصرة يقال لها هرمز (فراغ الى آلهتهم) أي ذهب الى الأصنام في خفية (فقال) استهزاء بها (ألا تأكلون) أي من الطعام الذي كانوا يصنعونه عندها لتبرك عليه (مالكم لا تنطقون) بجواب كلامي (فراغ عليهم ضربا باليمين) أي أقبل عليهم مستخفيا ضاربا ضربا شديدا قويا (فأقبلوا اليه يزفون) أي انهم لما رجعوا من عيدهم الى بيت الأصنام وجدوها مكسرة فسألوا عن المكسر فظنوا أنه ابراهيم عليه السلام فأتوا به يسرعون المشي وقرأ حمزة يزفون بضم الياء أي يحملون غيرهم على الاسراع في المشي (قال) لهم ابراهيم أي بعد أن أتوا به عليه السلام وعاتبوه على كسر الأصنام (أتعبدون ما تنحتون) بأيديكم من العيدان والحجارة (والله خلقكم وما تعملون) أي والحال أن الله تعالى خلقكم وخلق معمولكم فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم) أي في النار الشديدة الاتقاد قال ابن عباس بنوا حائطا من حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا فطرحوا سيدنا ابراهيم فيها (فأرادوا به كيدا) أي شرا حرقا بالنار (فجعلناهم الأسفلين) أي الأذلين بابطال كيدهم بجعل النار عليه بردا وسلاما أي ان ابراهيم عليه السلام في وقت الحاجة حصلت التلبية له وعندما ألقوه في النار صرف الله عنه ضرر النار فصار هو الغالب عليهم (وقال) ابراهيم لما انقضت هذه الواقعة (اني ذاهب الى ربي) أي الى مواضع دين ربي وهي أرض الشام فالمراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة من الديار (سيهدين) الى ما فيه صلاح ديني فلما هاجر الى الأرض المقدسة أراد الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) أي ولدا من المرسلين فاستجبنا له (فبشرناه) على لسان الملائكة (بغلام) أي بولد ذكر (حليم) أي ذي حلم كثير وهو اسمعيل عليه السلام (فلما بلغ معه السعي) أي فوهبناه فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغاله وحوائجه (قال) ابراهيم لاسمعيل عليهما السلام (يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك) أي اني أرى في المنام ما يوجب أن أذبحك في اليقظة روي أن ابراهيم رأى ليلة التروية في منامه كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر (فانظر ماذا ترى) بفتح التاء والراء أي أي شيء تشير الي برأيك وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء أي أي الذي ترى من نفسك الصبر والتسليم وقرئ مبنيا للمفعول أي ما تظن ذلك الرؤيا (قال) أي ذلك الغلام (يا أبت افعل ما تؤمر) أي ما أمرت به (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على قضاء الله وعلى الذبح (فلما أسلما) أي انقادا لأمر الله تعالى واتفقا وقال قتادة أسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه (وتله للجبين) أي أضجعه على جنبه وجواب لما محذوف أي نادته الملائكة من الجبل يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا حكي أن ابراهيم لما أراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر به فقال يا أبت اشدد رباطي كي لا أضطرب واكفف عني ثيابك كي لا ينضح عليها شيء من دمي فتراه أمي فتحزن واستحد شفرتك وأسرع امرارها على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد واقرأ على أمي سلامي وان رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تؤثر شيئا فقال الابن كبني على وجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت فعند ذلك نودي يا ابراهيم قد صدقت

(فراغ) أي مال (الى آلهتهم فقال) اظهارا لضعفها وعجزها (ألا تأكلون) من هذه الأطعمة (فراغ) أي فمال (عليهم) يضربهم (ضربا باليمين) أي بيده اليمنى (فأقبلوا اليه) أي من عيدهم (يزفون) أي يسرعون (فقال) لهم ابراهيم محتجا (أتعبدون ما تنحتون (والله خلقكم وما تعملون) أي من نحتكم وجميع أعمالكم (قالوا ابنوا له بنيانا) أي حظيرة واملأوه نارا وألقوا ابراهيم في تلك النار (فأرادوا به كيدا) أي حين قصدوا احراقه بالنار (فجعلناهم الأسفلين) أي المقهورين لأنه علاهم بالحجة والنصرة (وقال اني ذاهب الى ربي) أي الى المكان الذي أمرني بالهجرة اليه (سيهدين) أي يثبتني على الهدى (رب هب لي) ولدا (من الصالحين فبشرناه بغلام حليم) أي نبي يوصف بالحلم (فلما بلغ) ذلك الغلام (معه السعي) أي أدرك معه العمل (قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك) وذلك أنه أمر في المنام بذبح ولده (فانظر ماذا ترى) أي ما الذي تراه فيما أقول لك هل تستسلم له فاستسلم الغلام و(قال) له (يا أبت افعل ما تؤمر) فلما أسلما أي انقادا لأمر الله (وتله للجبين) أي صرعه على أحد جنبيه

الرؤيا فذلك قوله تعالى (وناديناه أن يا ابراهيم) فان مفسرة (قد صدقت الرؤيا) أى قد أتيت ما أمرت به فى المنام وقد حصل المقصود من تلك الرؤيا (انا كذلك نجزى المحسنين) أى كما جزينا ابراهيم وابنه بتفريج الكرب نجزى كل محسن بامتثال الأمر (ان هذا) أى الذبح (لهو البلاء المبين) أى لهو المحنة البينة الصعوبة التى لا محنة أصعب منها (وفديناه بذبح عظيم) أى وفدينا اسمعيل بكبش سمين اسمه جرير وهو الكبش الذى تقرب به هابيل الى الله تعالى فقبله وكان فى الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به اسمعيل وقال السدى نودى ابراهيم فالتفت فاذا هو بكبش أملح انحط من الجبل فقام عند ابراهيم فأخذه فذبحه ثم اعتنق ابنه وقال يا بنى اليوم وهبت لى وروى أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى ذلك سنة والفادى فى الحقيقة هو ابراهيم فالله هو المعطى له والآمر به (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم) أى وتركنا على ابراهيم فى الباقين من الأمم هذه الكلمة والمعنى أثبت الله التسليم على ابراهيم وأدامه فى الآخرين فيسلمون عليه أى يدعون له بثبوت هذه التحية (كذلك نجزى المحسنين) أى مثل ذكره الجميل فيما بين الأمم نجزى المحسنين بالثناء الحسن (انه) أى ابراهيم (من عبادنا المؤمنين) أى الراسخين فى الايمان (وبشرناه) أى ابراهيم (باسحق نبيا من الصالحين) أى مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين فالصلاح غاية النبوة (وباركنا عليه وعلى اسحق) أى أبقينا الثناء الحسن على ابراهيم واسحق الى قيام القيامة وأخرجنا جميع أنبياء بنى اسرائيل من صلب اسحق (ومن ذريتهما محسن) بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) أى ظاهر ظلمه (ولقد مننا على موسى وهرون) أى أنعمنا عليهما بمنافع الدنيا كالحياة والعقل والصحة وبمنافع الدين كالعلم والطاعة وأعلى هذه الدرجات النبوة (ونجيناهما وقومهما) وهم بنو اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق الذى أغرق الله به فرعون وقومه ومن ايذاء فرعون (ونصرناهم) على فرعون وقومه (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم بظهور الحجة ثم بالرفعة (وآتيناهما الكتاب المستبين) أى البليغ فى البيان وهو التوراة فانه كتاب مشتمل على جميع العلوم التى يحتاج اليها فى مصالح الدين والدنيا (وهديناهما الصراط المستقيم) أى دللناهما على طريق الحق عقلا وسمعا وأمددناهما بالتوفيق والعصمة (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون) أى وتركنا عليهما فى أمة محمد ﷺ قولهم سلام على موسى وهرون أى دعاءهم لهما بثبوت هذه التحية (انا كذلك) أى مثل الجزاء الكامل (نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) وهذا تنبيه على أن الفضيلة الحاصلة بسبب الايمان أعلى من كل الفضائل ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل المرسلين بكونهم من المؤمنين (وان الياس لمن المرسلين) وهو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى عليهم السلام وهو نبى من أنبياء بنى اسرائيل قال ابن عباس وهو ابن عم اليسع عليهما السلام (اذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أى أتعبدون بعلا وهو اسم صنم لأهل بك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه وكانوا اعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبه بعلبك سميت مدينتهم (وتذرون أحسن الخالقين) أى وتتركون عبادة أعظم المصورين (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على البدل والباقون بالرفع على الاستئناف (فكذبوه) أى الياس فانهم بسبب تكذيبهم (لمحضرون) النار غدا (الا عباد الله المخلصين) فى التوحيد والعبادة وهذا استثناء من الواو فى فكذبوه (وتركنا

(وناديناه أن يا ابراهيم) الآية (ان هذا لهو البلاء المبين) أى الاختبار الظاهر يعنى حين اختبره بذبح ولده فانقاد وأطاع (وفديناه بذبح عظيم) أى بكبش عظيم لأنه قد رعى فى الجنة أربعين خريفا وكان الكبش الذى تقبل من ابن آدم (ولقد مننا على موسى وهارون) أى بالنبوة (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) يعنى الغرق وقوله (أتدعون بعلا) أى صنما كان لهم (فكذبوه فانهم لمحضرون) أى فى النار (الا عباد الله المخلصين) أى من قومه

عليه في الآخرين سلام على الياسين) أي وتركنا عليه في الآخرين دعاءهم له بثبوت التسليم قرأ نافع
وابن عامر ويعقوب بفتح الهمزة ممدودة وكسر اللام على اضافة لفظ آل الى لفظ ياسين والمراد به إلياس
ابن ياسين كأن الياس آل ياسين والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام كما يقال ميكال وميكائيل وميكالين
فكذا ههنا يقال الياس والياسين كذا قال الزجاج (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين) الى قومه (اذ نجيناه وأهله) ابنتيه زاعورا وريثا (أجمعين الا عجوزا
في الغابرين) أي الا امرأته المنافقة تخلفت مع المتخلفين بالهلاك (ثم دمرنا الآخرين) أي أهلكنا
من بقي بعد لوط وابنتيه (وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم) أي على قريات قوم لوط سذوم وعمورا
وصبورا ودادوما (مصبحين وبالليل) فان أهل مكة كانوا يسافرون الى الشام والمسافر في أكثر
الأمر انما يمشي في الليل وفي أول النهار فلهذا السبب عين الله تعالى هذين الوقتين (أفلا تعقلون) أي
أتشاهدون ذلك فليس فيكم عقول تعتبرون به وتخافون أن يصيبكم مثل ما أصابهم (وان يونس لمن
المرسلين اذ أبق) أي هرب من قومه بغير اذن ربه (الى الفلك المشحون) أي الى السفينة الموقرة
(فساهم) أي قارع في السفينة (فكان من المدحضين) أي فصار من المغلوبين بالقرعة (فالتقمه
الحوت) يقال له نجم (وهو مليم) أي مستحق اللوم (فلولا أنه كان من المسبحين) أي كان يقول في بطن
الحوت لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين أو كان قبل أن التقمه الحوت من المصلين (للبث
في بطنه) أي ذلك الحوت (الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء) أي أمرنا الحوت بلفظه بالمكان الخالي
عما يغطيه من شجر أو نبت قال جعفر بشاطئ دجلة وقيل بأرض اليمن حكاه ابن كثير روى أن الحوت
سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر
فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا (وهو سقيم) أي مريض صار بدنه كبدن الطفل حين يولد
(وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أي من قرع وخص الله القرع لانه يجمع برد الظل ولين الملمس وكبر
الورق وأن الذباب لا يقربه فان جسد يونس حين ألقي على الارض الواسعة لم يكن يتحمل الذباب قال
مقاتل ابن حيان كان يونس عليه السلام يستظل بالشجرة وكانت وعلة تتردد اليه فيشرب من لبنها
بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره (وأرسلناه) الى قوم بنينوى وهي قرية من أرض الموصل (الى
مائة ألف أو يزيدون) قال ابن عباس ان أو بمعنى الواو وقد قرئ بالواو (فآمنوا) بعدما شاهدوا علائم
حلول العذاب ايمانا خالصا (فمتعناهم) بالحياة الدنيا (الى حين) أي الى الوقت الذي جعله الله أجلا
لكل واحد منهم أي ان أولئك القوم لما آمنوا أزال الله عنهم الخوف وأمنهم من العذاب (فاستفتهم)
أي سل بعض أجناس العرب ممن قالوا الملائكة بنات الله كبني مليح وبني سلمة وجهينة وخزاعة (ألربك
البنات) اللاتي هي أوضع الجنسين (ولهم البنون) الذين هم أرفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له
أدنى شيء من العقل (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أي بل أخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون
حينئذ (ألا انهم من افكهم) أي كذبهم (ليقولون ولد الله) فعل وفاعل حيث قالوا الملائكة بنات الله
وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدا محذوف أي الملائكة ولد الله (وانهم لكاذبون) في مقالتهم ذلك
كذبا بينا (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة وهي استفهام انكار وتقريع أي أاختار الله
الاناث على الذكور (ما لكم كيف تحكمون) بهذا الحكم الجائر وهو انهم نسبوا أخس الجنسين الى
الله تعالى وأحسنهما اليهم فالاول استفهام انكار عما استقر لهم والثاني استفهام تعجب من هذا الحكم
(أفلا تذكرون) أي ألا تلاحظون ذلك فلا تنطقون به (أم لكم سلطان مبين) أي بل ألكم حجة

(سلام على آل ياسين) يعني الياس وقيل يعني قومه ممن ينسب الى أتباعه

(اذ أبق) أي هرب (الى الفلك المشحون) أي السفينة المملوءة حين ذهب مغاضبا فوقفت السفينة ولم تجر فقارعه أهل السفينة فوقعت عليه القرعة فخرج منها وألقى نفسه في البحر فذلك قوله (فساهم) أي فقارع (فكان من المدحضين) أي المغلوبين بالقرعة (فالتقمه) أي فابتلعه (الحوت وهو مليم) أي جاء بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أي من المصلين قبل ذلك (للبث في بطنه الى يوم) القيامة (فنبذناه) أي طرحناه (بالعراء) يعني وجه الارض (وهو سقيم) أي عليل كالفرخ الممعط (وأنبتنا عليه) أي عنده (شجرة من يقطين) وهي القرع يستظل بها (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) يعني بل يزيدون (فآمنوا فمتعناهم الى حين) أي الى انقضاء آجالهم (فاستفتهم) أي فاسأل يا محمد أهل مكة (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك أنهم زعموا أن الملائكة بنات الله (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أي حاضرون خلقنا اياهم (أصطفى البنات على البنين) أي اتخذ البنات دون البنين فاصطفاها وجعل لكم البنين كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا الآية (أم لكم سلطان) أي برهان (مبين) على أن

ولما (فأتوا بكتابكم) أى الذى فيه حجتكم (ان كنتم صادقين وجعلوا بينه و بين الجنة) يعنى الملائكة (نسبا) حين قالوا انهم بنات الله (ولقد علمت الجنة) أى الملائكة (انهم لمحضرون) يعنى ان الذين قالوا هذا القول انهم لمحضرون فى النار (الا عباد الله المخلصين) فانهم ناجون من النار (فانكم وما تعبدون) أى من الأصنام (ما أنتم عليه بفاتنين) أى لا تفتنون أحدا على ما تعبدون ولا تضلونه (الا من هو صال الجحيم) أى الا من هو فى معلوم الله أنه يدخل النار (ومامنا الا له مقام) هذا من قول الملائكة والمعنى ما منا ملك الا له مقام (معلوم) من السماء يعبد الله هناك (وانا لنحن الصافون) أى فى الصلاة (وانا لنحن المسبحون) أى المصلون (وان كانوا ليقولون) أى كان كفار مكة يقولون لو جاءنا كتاب كما جاء غيرنا من الاولين لاخلصنا عبادة الله فلما جاءهم (كفروا به فسوف يعلمون) أى عاقبة كفرهم (ولقد سبقت) الآيات أى تقدم الوعد منا بنصرهم وهو قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسولى (فتول عنهم حتى حين) أى حتى تنقضى المدة التى أمهلوا فيها (وأبصرهم) أى انظر اليهم اذا عذبوا (فسوف يبصرون) ما أنكروا (أفبعذابنا يستعجلون)

محمد

وذلك أنهم كانوا يقولون متى هذا الوعد (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أى فبئس ما يصبحون عند ذلك

واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى دل على صحة دعواكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) تعالى (و بين الجنة نسبا) أى ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى هو الحر الكريم وابليس هو الشرير اللئيم و يقولون ابليس مع الله شريك فالله خالق الخير وابليس خالق الشر وهو مذهب المجوس القائلين يزدان وأهرمن (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أى ولقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار و يعذبهم بها ولو كانوا شركاء لله فى استحقاق العبادة لما عذبهم ثم نزه الله نفسه عما قالوا من الكذب فقال (سبحان الله عما يصفون) أى عما يقولون من الكذب (الا عباد الله المخلصين) أى لكن عباد الله المخلصين لله بالاعتقاد والعبادة فانهم لا يكذبون على الله و ينزهون الله تعالى عما يصفه به تعالى الكاذبون وكل من لم يجعل بين الله و بين الجنة مناسبة فهو عند الله مخلص من الشرك (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم) أى فانكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم الا أصحاب النار الذى سبق فى علم الله كونهم من أهل النار فانهم يصرون على الكفر بسوء اختيارهم وهذا استثناء مفرغ وقرأ العامة صال الجحيم بكسر اللام لانه منقوص حذفت منه لام كلمته لالتقاء الساكنين وقرأ الحسن بضم اللام وسقوط الواو لالتقاء الساكنين ومن موحد اللفظ مجموع المعنى (ومامنا الا له مقام معلوم) أنزل الله تعالى هذه الآية حكاية عن قول الملائكة وهى حكاية لاعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم أى وما منا ملك الا له مكان معلوم فى العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم ما فى السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم (وانا لنحن الصافون) فى أداء الطاعة ومنازل الخدمة (وانا لنحن المسبحون) أى المنزهون لله تعالى عما لا يليق به تعالى (وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين) أى ان مشركى قريش وغيرهم كانوا يقولون لو أن عندنا كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ثم جاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الشاهد على كل الكتب وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) عاقبة هذا الكفر والتكذيب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أى و بالله لقد سبق وعدنا لهم وهو (انهم لهم المنصورون) بالحجة (وان جندنا) وهم أتباع الرسلين (لهم الغالبون) على أعدائهم فى الدنيا والآخرة ولا يقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد فان أساس أمرهم النصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من المحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وقرئ كلماتنا (فتول عنهم حتى حين) أى أعرض عن كفار مكة الى مدة يسيرة تؤمر فيها بجهادهم (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من القتل والأسر فى الدنيا ومن العذاب فى الآخرة (فسوف يبصرون) ما يقع عليهم من الأمور (أفبعذابنا يستعجلون) روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا على سبيل الاستهزاء متى هذا الموعود فنزل (فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) أى فاذا نزل العذاب بقربهم فبئس صباح المنذرين صباحهم روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا

محمدوالخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين والصباح هووقت نزول العذاب وان وقع ليلا وقرئ نزل بتشديد الزاى و بالبناء للمفعول (وتول عنهم حتى حين) أى أعرض عنهم الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصر فسوف يبصرون) أى يبصرونك مع ماقدرلك من النصرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وهذه كلمات محتوية على أقصى الدرجات فى معرفة اله العالم فلفظة سبحان تنزيهه عما لايليق بصفات الالهية والربوبية دالة على كمال الرحمة والحكمة والعزة اشارة الى كمال القدرة وهى دالة على انه تعالى قادر على جميع الحوادث ومنزه عن الشريك والنظير فى الالهية (وسلام على المرسلين) وهذا اللفظ يدل على انهم فى الكمال اللائق بالبشر فاقوا غيرهم فيجب على كل من سواهم الاقتداء بهم (والحمد لله رب العالمين) على نجاة الرسل وسلامة الحال بعد الموت فالله تعالى غنى رحيم والغنى الرحيم لايعذب

﴿ سورة ص و يقال لها سورة داود مكية وهى ست وثمانون آية . وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة . وثلاثة آلاف وتسعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ص) قيل انه مفتاح أسماء الله تعالى التى أولها صاد كقولنا صادق الوعد صانع المصنوعات صمد وقيل معناه صدق محمد فى كل ما أخبر به عن الله تعالى (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف أوذى البيان ففيه قصص الأولين والآخرين (بل الذين كفروا) من رؤساء قريش (فى عزة) أى استكبار وامتناع من متابعة الغير (وشقاق) أى اظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليه التنبيه له من دواعى الايمان (كم أهلكنا من قبلهم) أى قريش (من قرن) أى أمة ماضية (فنادوا) بالاستغاثة عند نزول عذاب لينجوا من ذلك (ولات حين مناص) أى والحال انه ليس الحين حين منجى وغوث (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أى وعجب قريش من أن جاءهم رسول من جنسهم وأنكروه أشد الانكار فقالوا ان محمدا مساو لنا فى الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالى (وقال الكافرون) أى المتوغلون فى الكفر (هذا) أى محمد (ساحر) فيما يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال (أجعل الآلهة الها واحدا) بأن نفى الألوهية عنهم وقصرها على واحد (ان هذا) أى القول بالوحدانية (لشئ عجاب) أى بليغ فى التعجب روى انه لما أسلم عمر فرح به المسلمون فرحا شديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء جئناك لتقضى بيننا و بين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم ماسألتم أتعطونى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا كيف يكفينا إله واحد فى حوائجنا كما يقول محمد ان هذا الشئ عجاب وقرئ عجاب بالتشديد (وانطلق الملأ منهم) أى انطلق الرؤساء من قريش عتبة بن أبى معيط وأبو جهل والعاصى بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث عن مجلس أبى طالب (أن امشوا) وقرأ ابن أبى عبلة بحذف أن أى قال بعضهم لبعض اذهبوا (واصبروا على آلهتكم) أى اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا الشئ

﴿ تفسير سورة ص ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ص) صدق الله (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف (بل الذين كفروا فى عزة) أى امتناع من الدين (وشقاق) أى خلاف وعداوة (كم أهلكنا) هذا جواب القسم واعترض بينهما قوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق (فنادوا) أى بالاستغاثة عند البلاء (ولات حين مناص) أى وليس حين منجى وفوت (وعجبوا) يعنى أهل مكة (أن جاءهم منذر منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (أجعل الآلهة إلها واحدا) وذلك أنهم اجتمعوا عند أبى طالب يشكون اليه محمدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى أدعوكم الى كلمة التوحيد لا إله إلا الله فقالوا كيف يسع الخلق كلهم إله واحد (ان هذا) الذى تقوله (لشئ عجاب) أى عجب (وانطلق الملأ منهم) أى نهضوا من مجلسهم ذلك يقول بعضهم لبعض (امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا) الذى يقوله محمد (لشئ

يراد) أى ان نفى آلهتنا لشىء يراد من جهة محمد ليستولى علينا فيحكم فى أموالنا وأولادنا بما يريد أو ان الصبر على عبادة الآلهة شىء يراد أن لا تنفك عنه (ماسمعنا بهذا) أى التوحيد (فى الملة الآخرة) أى فى ملة عيسى عليه السلام كما قاله ابن عباس ومحمد بن كعب أو فى ملة قريش كما قاله مجاهد أى ماسمعنا عن اسلافنا القول بالتوحيد (ان هذا الا اختلاق) أى ماهذا الذى يقوله محمد الا اختلاق من عند نفسه (أأنزل عليه الذكر من بيننا) أى أأنزل على محمد القرآن ونحن رؤساء الناس واشرافهم فكيف يعقل أن يختص هو بهذه الدرجة العالية (بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب) أى انكار كفار مكة للقرآن ليس عن علم بل هم فى شك منه وسببه انهم لم يذوقوا عذابى فانهم لو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لانهم صدقوا مضطرين (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أى بل أعندهم خزائن رحمة ربك من النبوة والكتاب فيعطونهما من شاءوا بمقتضى آرائهم والمعنى ان النبوة منصب عظيم عطية من الله تعالى فالقادر على هبتها يجب أن يكون كامل القدرة عظيم الجود فلم تتوقف هبته لهذه النعمة على كون الموهوب منه غنيا أو فقيرا ولم يختلف ذلك بسبب ان أعداءه يحبونه أو يكرهونه فهو تعالى الغالب الذى لا يغلب وهو الوهاب فله أن يهب كل مايشاء لمن يشاء (أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما) أى بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتحكموا فى التدابير الالهية التى ينفرد بها رب العزة (فليرتقوا فى الأسباب) أى ان كان لهم ذلك الملك فليصعدوا فى طرق السموات التى يتوصل بها الى العرش حتى يدبروا أمر العالم وينزلوا الوحى على من يختارون (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) وجند خبر مبتدا محذوف وما مزيدة للتحقير أو صفة له وهنالك ظرف لمهزوم ومهزوم صفة ثانية لجند ومن الاحزاب صفة ثالثة لجند أى هم جند ضعيفون من المتحزبين على رسول الله سيصيرون منهزمين فى الموضع الذى ذكروا فيه تلك الكلمات وذلك الموضع هو مكة وذلك الانهزام يوم فتح مكة فكيف يكونون مالكى السموات والارض ومابينهما ومن أين لهم التصرف فى الأمور الربانية (كذبت قبلهم) أى قبل قومك يا أكرم الرسل (قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) كان ينصب الخشب فى الهواء وكان يمد يدى المعذب ورجليه الى تلك الخشب الأربع ويضرب على كل واحد من هذه الأعضاء وتدا ويتركه فى الهواء الى أن يموت وقال مجاهد كان يمد المعذب مستلقيا بين أربعة أوتاد فى الارض يشد رجليه ويديه ورأسه على الأرض بالأوتاد قال السدى ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل ان عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيرى الاهبة عظيمى النعم وكانوا يكثرون من الأوتاد لأجل الخيام فعرف بها (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) أى الأشجار المجتمعة من قوم شعيب عليه السلام (أولئك الاحزاب) أى الذين تحزبوا على أنبيائهم عليهم السلام (ان كل الا كذب الرسل) أى ما كل حزب منهم الا كذب الرسل كما كذبك قومك (فحق عقاب) أى فوقع على كل منهم عقابى فأهلك الله قوم نوح بالغرق والطوفان وقوم هود بالريح وفرعون مع قومه بالغرق وقوم صالح بالصيحة وقوم لوط بالخسف وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (وماينظر هؤلاء الا صيحة واحدة) أى وماينتظر كفار مكة ان كذبوك الا نفخة ثانية (مالها من فواق) أى من توقف وقرأ حمزة والكسائى بضم الفاء (وقالوا ربنا) بطريق الاستهزاء

يراد) لأمر يراد بنا ومكر يمكر علينا (ماسمعنا بهذا) الذى يقوله (فى الملة الآخرة) أى فيما أدركنا عليه آباءنا (ان هذا الا اختلاق) أى زور وكذب (أأنزل عليه الذكر من بيننا) أى كيف خص بالوحى من جملتنا قالوا هذا حسدا له على النبوة قال الله تعالى (بل هم فى شك من ذكرى) أى وحيى (بل لما يذوقوا عذاب) ولو ذاقوه لأيقنوا وصدقوا (أم عندهم خزائن رحمة ربك) أى مفاتيح النبوة حتى يعطوا النبوة من اختاروا (أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما) يعنى ان ذلك لله فيصطفى من يشاء (فليرتقوا فى الأسباب) أى ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا فيما يوصلهم الى السماء وليأتوا منها بالوحى الى من يختارون ثم وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بالنصر فقال (جند ما هنالك) أى هم جند هنالك (مهزوم) أى مغلوب (من الأحزاب) كالقرون الماضية الذين قهروا وأهلكوا وهذا اخبار عن هزيمتهم ببدر ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) أى ذو الملك الشديد (ان كل) أى ما كل من هؤلاء (الا كذب الرسل فحق) أى فوجب (عقاب وما ينظر) أى ينتظر (هؤلاء) يعنى كفار مكة (الا صيحة واحدة) وهى نفخة القيامة (مالها من فواق) أى رجوع ومرد (وقالوا ربنا) الآية لما نزل قوله فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله قالوا ربنا (عجل لنا قطنا) أى كتابنا وصحيفة أعمالنا عند

(قبل يوم الحساب) وقوله (داود ذا الأيد) أي ذا القوة في العبادة (انه أواب) أي رجاع الى الله تعالى (انا سخرنا الجبال معه يسبحن)
أي يجاوبنه بالتسبيح (بالعشي والاشراق) يعني الضحى (والطير) أي وسخرنا الطير (محشورة)
أي مجموعة (كل له) أي لداود (أواب) أي مطيع يأتيه و يسبح معه (وشددنا ملكه) أي بالحرس وكانوا ثلاثة وثلاثين ألف رجل يحرسون كل ليلة محرابه (وآتيناه الحكمة) أي الاصابة في الأمور (وفصل الخطاب) بيان الكلام والتبصر في القضاء وهو الفصل بين الحق والباطل (وهل أتاك نبأ الخصم) يعني الملكين اللذين تصورا في صورة خصمين من بني آدم (اذ تسوروا المحراب) أي علوا فوق غرفة داود عليه السلام (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) لأنهما دخلا بغير اذن في غير وقت دخول الخصوم (قالوا لا تخف خصمان) أي نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أي ظلم بعضنا بعضا (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي ولا تجر (واهدنا الى سواء الصراط) أي الى طريق الحق (ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) يعني امرأة (ولي نعجة واحدة) أي امرأة واحدة (فقال أكفلنيها) أي انزل لي عنها واجعلني أنا أكفلها (وعزني في الخطاب) أي
غلبني في الاحتجاج لأنه أقوى مني وأقدر على النطق وهذا القول من الملكين على التمثيل لا على التحقيق كأن القائل منهما قال نحن كخصمين هذه حالهما فلما قال هذا أحد الخصمين اعترف له الآخر

عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة (عجل لنا قطنا) أي حظنا من العذاب الذي توعدنا به (قبل يوم الحساب) ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤه النفخة الثانية وقيل انهم قالوا ذلك حين ذكر الله في كتابه فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله فالمعنى عجل لنا صحيفة أعمالنا قبل يوم الحساب لننظر ما فيها ولنعلمه وقيل لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين بالجنة فقالوا ذلك على سبيل السخرية فالمعنى عجل لنا نصيبنا من الجنة التي تقول في الدنيا وذلك لأنهم كانوا في غاية الانكار للقول بالنشر والحشر. ولما بلغوا في السفاهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال (اصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة والوقف هنا تام (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) أي ذا القوة على أداء الطاعة وعلى الاحتراز عن المعاصي (انه أواب) أي رجاع في أموره كلها الى طاعتنا (انا سخرنا الجبال معه) بطريق الاقتداء به في عبادة الله تعالى (يسبحن بالعشي والاشراق) أي يقدسن الله تعالى بخلق الله تعالى فيها الكلام فكان داود يسبح عقب صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (والطير محشورة) أي وسخرنا الطير محشورة. قال ابن عباس رضي الله عنهما كان داود اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه هو حشرها فيكون حاشرها هو الله وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية (كل له أواب) أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيح داود رجاع الى التسبيح أي كلما رجع داود الى التسبيح جاوبته وبهذا اللفظ فهم منه دوام تلك الموافقة (وشددنا ملكه) بالهيبة وكثرة الجنود. عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل فاذا أصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله. وعن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا ادعى عند داود على رجل أخذ منه بقرة فأنكر المدعى عليه فقال داود للمدعي أقم البينة فلم يقمها فرأى داود في منامه ان الله يأمره أن يقتل المدعى عليه فتأخر داود وقال هو منام فأتاه الوحي بعد ذلك في اليقظة فأحضر المدعى عليه وأعلمه ان الله أمره بقتله فقال صدق الله اني كنت قتلت أبا هذا الرجل غيلة فقتله داود فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فهابوه وعظمت هيبته في القلوب فهذه الواقعة شدت ملكه (وآتيناه الحكمة) أي النبوة وكمال العلم واتقان العمل (وفصل الخطاب) أي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل (وهل أتاك نبأ الخصم) أي خبر خصمي داود (اذ تسوروا المحراب) أي اذ أتوا البيت الذي كان داود يدخل فيه و يشتغل بطاعة ربه من أعلاه أي تصعدوا حائطه المرتفع (اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان) روي أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه و يشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواما يمنعونه منهم فخافوا فوضعوا كذبا فقالوا خصمان أي نحن فريقان الى آخر القصة فعلم عليه السلام غرضهم فهم بأن ينتقم منهم (بغى بعضنا) أي تطاول (على بعض) جئناك لتقضي بيننا (فاحكم بيننا بالحق) أي بالأمر الذي يطابق الحق (ولا تشطط) أي لا تجر في الحكومة (واهدنا الى سواء الصراط) أي دلنا الى وسط طريق الحق (ان هذا أخي) في الدين أو في الصحبة (له تسع وتسعون نعجة) أي أنثى من الضأن (ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها) أي اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي (وعزني في الخطاب) أي غلبني في الكلام بأن جاء بحجاج

لم أقدر على رده وقرئ وعازني أي غالبني (قال) داود (لقدظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أي والله لقد ظلمك أخوك بسؤال اضافة نعجتك الى نعاجه (وان كثيرا من الخلطاء) أي الشركاء الذين خلطوا أموالهم (ليبغى بعضهم) أي ليتعدى (على بعض) فلم يراع حق الصحبة والشركة (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فانهم يتحامون عن الظلم (وقليل ماهم) أي وهم قليل وما مزيدة للتعجب من قلتهم (وظن داود أنما فتناه) وما كافة زائدة أي وظن داود أنا فتناه بهذه الواقعة لأنها جارية مجرى الامتحان فتنبه عليه السلام لذلك (فاستغفر ربه) مما هم به من الانتقام منهم وقيل ان دخولهم على داود كان فتنة له الا أنه عليه السلام استغفر لذلك الداخل العازم على قتله وقيل ان أوريا كان قد خطب المرأة فأجابوه ثم خطبها داود في حال غيبة أوريا في غزاته فزوجت نفسها منه عليه السلام لجلالته وعلى هذا المعنى وعزني في الخطاب أي غلبني في خطبة المرأة وقيل كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن يطلق امرأته حتى يتزوجها اذا أعجبته وكان داود عليه السلام مازاد على قوله لأوريا انزل لي عن امرأتك وذلك أنه وقع بصره على تلك المرأة من غير قصد فأحبها ومال قلبه اليها فسأل زوجها النزول عنها فاستحيا أن يرده عليه السلام ففعل فتزوجها وهي أم سليمان وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين الناس غير مخل بالمروءة وعلى هذا المعنى أكفلنيها انزل لي عن تلك النعجة الواحدة وأعطنيها فعوتب داود بشيئين أحدهما خطبته على خطبة أخيه المؤمن والثاني اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وهذا وان كان جائزا في الشريعة الا أنه لايليق بجنابه عليه السلام فان حسنات الأبرار سيئات المقربين وقيل ان ذنب داود الذي استغفر منه ليس بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه السلام مما نسب اليه من الكبائر وانما يلزم في حقه ترك الافضل والأولى والله أعلم. وكان داود استغفر ربه منه (وخر راكعا) أي سقط داود للسجود مصليا فكأنه أحرم بركعتي استغفار (وأناب) أي أقبل الى الله تعالى بالتوبة وروي أنه عليه الصلاة والسلام بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لايرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو لما لابد منه ولايرقأ دمعه حتى نبت العشب منه الى رأسه ولايشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه أهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حارب فهزمه. قال الحسن وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله. وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله فلا يشدها الا الاسار واذا ذكر رحمة الله تراجعت (فغفرنا له ذلك) أي ما استغفر منه (وان له عندنا لزلفى) أي لقربة في الدرجات بعد المغفرة (وحسن مآب) أي حسن مرجع في الجنة (ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض) أي نبيا ملكا على بني اسرائيل نافذ الحكم عليهم (فاحكم بين الناس بالحق) أي بالعدل لأن الأحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقية الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات على أحسن الوجوه أما اذا كانت أحكام السلطان القاهر على وفق هواه ولطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق فانه يجعل الرعية فداء لنفسه وذلك يفضي الى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك الملك (ولاتتبع الهوى) أي هوى النفس في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا (فيضلك عن سبيل الله) أي ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وهو يوجب سوء العذاب لأن الهوى يدعو الى الاستغراق في اللذات الجسمانية

ثم (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك) أي بسؤاله اياك نعجتك أي امرأتك أن يضمها (الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء) أي من الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) وقليل هم (وظن) أي وعلم (داود) عند ذلك (أنما فتناه) أي ابتليناه بتلك المرأة التي أحب أن يتزوجها ثم تزوجها بعد قتل زوجها (فاستغفر ربه) مما فعل وهو محبته أن يتزوج امرأة من لها امرأة واحدة وله تسع وتسعون امرأة (وخر) سجد (راكعا) للسجود بعدما كان راكعا (وأناب) رجع الى الله بالتوبة (فغفرنا له ذلك وان له عندنا) بعد المغفرة (لزلفى) أي قربة (وحسن مآب) أي مرجع (ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض) أي عمن قبلك من الأنبياء وقوله (بما نسوا يوم الحساب) أي تركوا الايمان به والعمل له

وهو يمنع من الاشتغال فى طلب السعادات الروحانية (ان الذين يضلون عن سبيل الله) أى عن الايمان بالله وعن طاعة الله (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بنسيانهم يوم الحساب أى بتركهم الايمان بذلك اليوم وتركهم العمل لذلك اليوم (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) أى عبثا جزافا بلا أمر ولا نهى وهذه الآية تدل على كونه تعالى خالقا للأعمال لأنها حاصلة بين السماء والأرض فوجب أن يكون الله تعالى خالقا لها وهذه الآية تدل أيضا على الحشر والنشر والقيامة وذلك لأنه تعالى خلق الخلق فى هذا العالم فاما أن يقال انه تعالى خلقهم لا للانتفاع ولا للاضرار فهذا باطل لأن هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين أو للاضرار فهذا باطل لأن ذلك لا يليق بالرحيم الكريم أو للانتفاع وذلك اما أن يكون فى حياة الدنيا أو فى حياة الآخرة فان كان الانتفاع فى حياة الدنيا فهو باطل لأن منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل المضار الكثيرة للمنفعة القليلة لا يليق بالحكمة فثبت القول بوجود حياة أخرى بعد الحياة الدنيوية وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة فثبت بما ذكرنا انه تعالى ما خلق السماء والأرض وما بينهما باطلا واذا لم يكن خلقهما باطلا كان القول بالحشر والنشر لازما وكل من أنكر القول بالحشر والنشر كان شاكا فى حكمة الله تعالى فى خلق السماء والأرض وهذا هو المراد من قوله تعالى (ذلك) أى خلق ما ذكر لا لأجل الأمر والنهى ولا لأجل الثواب والعقاب (ظن الذين كفروا) بأمر البعث والجزاء (فويل للذين كفروا من النار) أى فشدة العذاب للذين كفروا بالبعث بعد الموت بسبب النار المترتبة على ظنهم أن لا بعث ولا حساب وذلك نفى لحكمة الله تعالى فى خلق السماء والأرض وفى أمره تعالى ونهيه (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض) أى بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين فى أقطار الأرض كما يقتضيه عدم البعث والجزاء لاستواء الفريقين فى التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الأولين الى أعلى عليين ورد الآخرين الى أسفل سافلين (أم نجعل المتقين كالفجار) أى بل أنجعل أتقياء المؤمنين كعلى بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحرث كأشقياء الكفرة كعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وهم الذين بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة فقتل على الوليد بن عتبة وقتل حمزة عتبة بن ربيعة وقتل عبيدة شيبة بن ربيعة قيل نزلت هذه الآية لمقال كفار مكة للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة من الخير مثل ما تعطون وتقرير هذه الآية انا نرى فى الدنيا من أطاع الله واحترز عن معصيته فى الفقر والزمانة وأنواع البلاء ونرى الكفرة والفساق فى الراحة والنبطة فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد كان حال المطيع أدون من حال العاصى وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم واذا كان ذلك قادحا فى الحكمة ثبت ان انكار الحشر والنشر يوجب انكار حكمة الله تعالى (كتاب) أى هذا قرآن (أنزلناه اليك) صفة لكتاب (مبارك) أى كثير المنافع الدينية والدنيوية خبر مبتدأ مضمر وقرئ مباركا على الحال اللازمة لأن البركة لا تفارقه (ليدبروا آياته) أى ليتفكروا فى معانيها اللطيفة وفى أسرارها العجيبة (وليتذكر أولوا الألباب) أى وليتعظ به ذوو العقول السليمة فان من لم يتدبر ولم يساعده التوفيق الالهى لم يقف على الأسرار العجيبة المذكورة فى هذا القرآن العظيم (ووهبنا لداود سليمان) من المرأة التى أخذها من أوريا (نعم العبد) أى سليمان (انه) أى سليمان (أواب) أى رجاع الى الله تعالى بالتوبة مقبل الى طاعة الله (اذ عرض عليه بالعشى) أى بعد الظهر (الصافنات) أى الخيل التى تقوم على طرف سنبك يد أو رجل (الجياد) أى سراع الجرى وعن ابراهيم التيمى انها عشرون ألف فرس (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى انى ألزمت حب الخيل لأجل كتاب ربى وهو التوراة فان معنى الخير هو المال الكثير والمراد به هنا

(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) الا لامر صحيح وهو الدلالة على قدرة خالقها وتوحيده وعبادته وقوله (الصافنات الجياد) يعنى الخيل القائمة على ثلاثة قوائم وقد أقام الاخرى على طرف الحافر (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى آثرت حب الخير يعنى الخيل على ذكر الله عز وجل

الخيل (حتى توارت بالحجاب) أى استترت الصافنات عن النظر (ردوها) أى الصافنات (على فطفق مسحا بالسوق والأعناق) أى فردوها عليه فأخذ سليمان عليه السلام يمسح سوقها وأعناقها وذلك ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما أنه كذلك فى دين محمد ﷺ ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر انى لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها الأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربى ثم انه عليه السلام أمر بتسييرها حتى غابت عن بصره وهو معنى قوله حتى توارت بالحجاب ثم انه أمر الرائضين بأن يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه شرع يمسح سوقها وأعناقها تشريفا لها لكونها من أعظم الأعوان فى دفع العدو ولأنه أراد أن يظهر أنه يتضع حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه وأنه يضبط السياسة والملك ولأنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا) روى عن النبى ﷺ قال قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله. ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع فى حجره فوالذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه حين عرض عليه وهى محنته وقيل ان فتنة سليمان انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل أبيه فسبيلنا أن نقتله فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطئه فى انه لم يتوكل فيه على الله وقيل انه أصابه مرض شديد فصار يجلس على كرسيه وهو مريض وفتنته هو مرضه ولشدة المرض ألقاه الله على كرسيه والعرب تقول فى الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ولما توفى سليمان بعث بختنصر فأخذ الكرسى فحمله الى انطاكية فأراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم كيف يصعد عليه فلما وضع رجله ضرب الأسد رجله فكسرها وكان سليمان اذا اصعد وضع قدميه جميعا ومات بختنصر وحمل الكرسى الى بيت المقدس فلم يستطع قط ملك أن يجلس عليه (ثم أناب) أى رجع الى حال الصحة أو تاب من خطئه (قال رب اغفر لى) أى ما صدر عنى من الزلة وهو ترك الأفضل والأولى لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين وطلب المغفرة دأب الأنبياء والصالحين هضما للنفس واظهارا للذل والخشوع وطلبا للترقى فى المقامات (وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) أى غيرى بحيث لا يقدر أحد على معارضته ليكون معجزة لى لأن شرط المعجزة ان لا يقدر أحد على معارضتها فكان المراد أقدرنى على أشياء لا يقدر عليها غيرى البتة ليصير اقتدارى عليها معجزة تدل على صحة نبوتى ورسالتى (انك أنت الوهاب) بالملك والنبوة لمن شئت (فسخرنا له الريح) أى فذللناها لطاعته اجابة لدعوته (تجرى بأمره) إياها (رخاء) أى لينة فى أثناء سيرها أما فى أوله فهى عاصفة (حيث أصاب) الى أى موضع قصده وأراده (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) يبنون له ما شاء من الأبنية وهو بدل من الشياطين (وغواص) فى قعر البحر فيستخرجون اللؤلؤ (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) أى مسلسلين فى أغلال الحديد وهم المردة من الشياطين الذين لا يبعثهم الى عمل الا انفلتوا (هذا) أى الملك (عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) لكثرته قال ابن عباس رضى الله عنهما أعط من شئت وامنع من شئت أى غير محاسب على منك وامساكك أى ليس عليك حرج فيما أعطيت وفيما أمسكت من الامر الذى أعطيناكه وقيل المعنى هذا أى تسخير الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين فحل سبيلهم من الغل أو احبس من شئت فى الغل من غير أن

حتى) فاتنى فى وقته (توارت بالحجاب) يعنى الشمس أى غربت وقوله (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) أى أقبل يقطع سوقها وأعناقها ولم يفعل ذلك الا باباحة الله تعالى له ذلك (ولقد فتنا سليمان) أى ابتليناه (وألقينا على كرسيه جسدا) أى شيطانا تصور فى صورته وذلك أنه تزوج امرأة وهويها وعبدت هى الصنم فى دار سليمان بغير علمه فنزع الله ملك سليمان أياما وسلط شيطانا على مملكته ثم تاب سليمان وأعاد الله عليه ملكه فسأل الله تعالى أن يهب له ملكا يدل على أنه غفر له ورد عليه ما نزع منه وهو قوله (هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) وقوله (رخاء) أى لينة (حيث أصاب) أى أراد وقصد يعنى سليمان (والشياطين) الآية أى وسخرنا له (كل بناء) من الشياطين يبنون له (وغواص) يغوصون فى البحر يستخرجون ما يريد (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) وسخرنا له مردة الشياطين حتى قرنهم فى السلاسل من الحديد وقلنا له (هذا) الذى (أعطيناك عطاؤنا فامنن) أى أعط (أو أمسك بغير حساب) عليك فى اعطائه ولا امساكه وهذا مما خص به النبى ﷺ وقوله

تحاسب

تحاسب وتأثم بذلك (وانله عنـدنا) فى الآخرة (لزلفى) أى قربى عظيمة (وحسن مآب) وهو الجنة (واذكرعبدنا أيوب) بن عيص بن اسحق عليه السـلام (اذنادىربه أنى مسنى الشيطان) اسمه مبسوط (بنصب) أى بلاء (وعذاب) أى وسوسة والقاء الخواطر الفاسدة روى ان ابليس سأل ربه فقال هل فى عبيدك من لوسلطتنى عليه يمتنع منى فقال الله نعم عبدى أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت اليه فقال يارب انه قدامتنع على فسلطنى على ماله فكان الشيطان يجيئه ويقول له هلك من مالك كذاوكذا فيقول الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله تعالى فقال الشيطان يارب ان أيوب لايبالى بماله فسلطنى على ولده فجاء اليه وزلزل الدار فهلك أولاده بالكلية وأخبره به فلم يلتفت اليه فقال يارب أيوب لايبالى بولده فسلطنى على جسده فأذن فيه فنفخ فى جلد أيوب فحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث فى ذلك البلاء سنين حتى صار بحيث استقذره أهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته ليا بنت يعقوب عليه السلام وقال ان زوجك ان استغاث بى خلصته من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله تعالى ليجلدنها مائة جلدة وحين كان الألم على الجسـد لم يذكر أيوب شيئا فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع ومن الوساوس ان الشيطان كان يذكره النعم التى كانت والآفات التى حصلت ومنها انه كان يقنطه من ربه ويزين له أن يجزع فشق ذلك عليه عليه السـلام فتضرع الى الله تعالى وقال أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب فانه كلما كانت تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أكثر فأجاب الله دعاءه وأوحى اليه بقوله تعالى (اركض) أى اضرب (برجلك) الارض فضرب بها فنبعت عين فقيل له (هذامغتسل بارد) أى ماء تغتسل به فيبرأ ظاهرك (وشراب) أى وتشرب منه فيبرأ باطنك أى ان الله تعالى أظهر من تحت رجل أيوب عينا باردة طيبة فاغتسل وشرب منها فأذهب الله عنه كل داء فى ظاهره و باطنه ورد عليه أهله وماله كما قال تعالى (ووهبنا له أهله) باحيائهم بعـد هلاكهم كما قاله الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل (ومثلهم معهم) فكان له من الأولاد ضعف ما كان له قبل (رحمة منا) أى لاجل رحمة عظيمة عليه على سبيل الفضل منا لا على سبيل اللزوم (وذكرى لأولى الألباب) أى ولتذكير أصحاب العقول بحاله عليه السلام ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله تعالى كما لجأ ليظفروا كما ظفر (وخذ بيدك) يا أيوب (ضغثا) أى قبضة من سنبل فيها مائة سنبلة مختلطة الرطب باليابس (فاضرب به) أى امرأتك رحمة بنت يوسف الصـديق لانه قد حلف ليضربنها مائة ضربة لانه لقيها ابليس فى صورة طبيب فدعته الى مداواة أيوب فقال أداويه على أنه اذابرئ قال أنت شفيتنى لاأريد جزاء سواه قالت نعم فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان كذا حكاه ابن عباس (ولاتحنث) أى لاتأثم فى يمينك بترك ضربها ولقد شرع الله تعالى هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها (انا وجدناه صابرا) فيما أصابه فى النفس والأهل والمال وليس فى شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك الصبر فانه لايسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء على أنه عليه السلام قال ذلك خيفة الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بأنه لوكان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به ويروى أنه عليه السلام قال فى مناجاته الهى قد علمت أنه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهننى ماملكت يمينى ولم آكل الا ومعى يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع أو عريان فكشف الله تعالى عنه (نعم العبد) أى أيوب (انه أواب) أى مقبل الى طاعة الله (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار) أى أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين فقوله تعالى أولى الأيدى اشارة الى القوة العاملة فأشرف مايصـدر عنها

(بنصب) أى بتعب ومشقة فى بدنى (وعذاب) فى أهلى ومالى فقلنا له (اركض برجلك) أى دس وحرك برجلك فى الارض فنبعت عين ماء فاغتسـل به حتى ذهب الداء من ظاهره ثم شرب منه حتى ذهب الداء من باطنه (ووهبنا له) الآية مفسرة فى سورة الأنبياء (وخذ بيدك ضغثا) أى حزمـة من الحشيش (فاضرب به) امرأتك (ولاتحنث) فى يمينك وقوله (أولى الأيدى) أى ذوى القوة فى العبادة (والأبصار) أى البصائر فى الدين

(انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) أي جعلناهم يكثرون ذكر الدار الآخرة والرجوع الى الله وقوله (من الأخيار) جمع خير

طاعة الله وقوله والأبصار اشارة الى القوة العالمة فأشرف مايصدر عنها معرفة الله وماسوى هذين القسمين باطل وقرأ ابن كثير عبدنا على التوحيد (انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) أي انا جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة وهي استغراقهم في ذكر الدار الآخرة حتى نسوا الدنيا وقرأ نافع وهشام باضافة خالصة أي انا اختصصناهم باخلاصهم ذكر الآخرة وتناسيهم عنده ذكر الدنيا وقد جاء المصدر على فاعلة كالعاقبة (وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) أي لمن المختارين من أبناء جنسهم المستعلين عليهم في الخير (واذكر اسمعيل واليسع) بن أخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ وهو ابن عم الياس واللام زائدة وقرأ حمزة والكسائي بتشديد اللام وسكون الياء (وذا الكفل) وهو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب (وكل) أي كل المتقدمين من داود الى هنا (من الأخيار) أي وكلهم من المشهورين بالخيرية وهم أنبياء تحملوا الشدائد في دين الله تعالى (هذا) أي ماتقدم من ذكر محاسنهم (ذكر) أي شرف لهم وثناء جميل في الدنيا (وان للمتقين لحسن مآب) أي مرجع في الآخرة (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) منها فجنات عطف بيان ومفتحة حال منها وقرئتا مرفوعتين هي جنات عدن مفتحة (متكئين فيها) أي جالسين على السرر في الحجال ناعمين في الجنة (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) أي يسألون في الجنة بألوان الفاكهة وألوان الشراب (وعندهم) في الجنة (قاصرات الطرف) أي جوار حابسات العين على أزواجهن لاينظرن الى غيرهم (أتراب) أي مستويات في السن والحسن (هذا) أي المذكور (ماتوعدون) في الدنيا (ليوم الحساب) أي لاجل وقوعه في يوم القيامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء على الغيبة (ان هذا) أي ماذكر من ألوان النعم (لرزقنا) أعطيناكموه (ماله من نفاد) أي فناء (هذا) أي الأمر هذا المذكور (وان للطاغين) أي الكافرين (لشر مآب) أي مرجع في الآخرة (جهنم يصلونها) أي يدخلونها (فبئس المهاد) أي الفرش (هذا) أي عذاب جهنم (فليذوقوه حميم وغساق) فالحميم ماء حار يحرقهم بحره والغساق ماء بارد منتن يحرقهم ببرده وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين والوقف على فليذوقوه كاف ان جعل خبرا لهذا أو جعل هذا مفعولا لفعل محذوف يفسره فليذوقوه ويكون حميم خبر مبتدا محذوف وان جعل هذا حميم مبتدأ وخبر ومابينهما اعتراض فالوقف على غساق وهو كاف (وآخر من شكله أزواج) أي ومذوق آخر من مثل هذا المذوق أجناس وقرأ أبو عمرو وأخر بضم الهمزة أي ومذوقات أخر من مثل هذا المذوق في الشدة والفظاعة أنواع مختلفة وآخر مبتدا وأزواج خبره قال الخزنة جهنم لرؤساء الكفار في اتباعهم اذا دخلوا النار (هذا فوج مقتحم معكم) أي هذا جمع كثيف قد دخل معكم النار كما كانوا قد دخلوا معكم في الضلال فقال هؤلاء الرؤساء (لامرحبا بهم) أي لااتسعت منازلهم في النار (انهم صالوا النار) أي داخلون فيها كما دخلنا فيها (قالوا) أي الاتباع عند سماعهم ماقيل في حقهم خطابا للرؤساء (بل أنتم لامرحبا بكم) أي لاوسع الله عليكم في منازلكم في النار أي ان الدعاء الذي دعوتم به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به (أنتم قدمتموه لنا) أي أنتم قدمتم الطغيان الذي هذا العذاب جزاؤه فاقتدينا بكم (فبئس القرار) أي بئس المسكن لنا ولكم جهنم (قالوا) أي الأتباع معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) أي يار بنا من شرع لنا هذا الطغيان من الرؤساء فزده عذابا مضاعفا في النار قال ابن مسعود والمراد بالضعف الحيات والافاعي (وقالوا) أي الطاغون (مالنا لانرى رجالا) من فقراء المؤمنين (كنا نعدهم من الأشرار) أي يقول أبو جهل مالنا لانرى في النار عمارا وبلالا وصهيبا وخبابا كنا نعدهم من السفلة (أتخذناهم سخريا)

(هذا ذكر) أي شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا (وان لهم) مع ذلك (لحسن مآب) أي مرجع في الآخرة ثم بين ذلك المرجع فقال (جنات عدن) وقوله (أتراب) أي أسنانهن واحدة وقوله (هذا وان للطاغين) أي الأمر هذا الذي ذكرت وقوله (هذا فليذوقوه حميم) أي هذا حميم (وغساق) فليذوقوه والغساق ماسال من جلود أهل النار (وآخر) أي وعذاب آخر (من شكله) أي من مثل ذلك الاول (أزواج) أي أنواع فاذا دخلت الرؤساء النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الملائكة (هذا فوج) أي جماعة (مقتحم معكم) داخلوا النار فقال الرؤساء (لامرحبا بهم انهم صالوا النار) كما صليناها فقال الاتباع (بل أنتم لامرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا) أي شرعتم وسننتم الكفر لنا (فبئس القرار) أي قرارنا وقراركم (قالوا) يعني الأتباع (ربنا من قدم لنا هذا) أي شرعه وسنه (فزده عذابا ضعفا في النار) كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب (وقالوا) يعني صناديد قريش (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) يعنون فقراء المسلمين (أتخذناهم سخريا) أي كنا نسخر بهم

قرأه نافع بضم السين (أمزاغت عنهم الأبصار) وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر أتخذناهم بقطع الهمزة على الاستفهام للتوبيخ والتعجب فيوقف على الاشرار وهو كاف والمعنى ألاجل انافد اتخذناهم سخريا فى الدنيا فأخطأنا فلم يدخلوا النار فلذلك لانراهم أم لأجل انه زاغت عنهم أبصارنا ولم نعلم مكانهم وهم فيها وقرأ ابن كثير والأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائى اتخذناهم بوصل الهمزة فلا يوقف على الاشرار لان اتخذناهم صفة أخرى لرجالا والمعنى مالنا لانرى فى النار رجالا سخرناهم وحقرناهم فى الدنيا بل مالت أبصارنا عنهم فلانعدهم شيئا (ان ذلك) أى الذى حكيناه عنهم (لحق) أى واجب وقوعه فلا بد وان يتكلموا به (تخاصم أهل النار) أى وهو كلام أهل النار فى النار بخصومة بعضهم مع بعض وقرئ تخاصم بالنصب على أنه بدل من ذلك (قل) ياأفضل الخلق لكفار مكة (انما أنا منذر) أى مخوف بعذاب الله لمن عصى (ومامن إله) موجود (الا الله الواحد) الذى لايقبل الشركة (القهار) لخلقه (رب السموات والارض وما بينهما) أى خالقهما (العزيز) أى الغالب فلا يغلب فى أمر من الأمور (الغفار) لمن تاب (قل هو) أى ماأنبأتكم به (نبأ عظيم) وارد من الله تعالى (أنتم عنه) أى عن ذلك النبأ (معرضون) أى تاركون له وهذه الجملة صفة ثانية (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون) أى ما كان لى من علم بكلام الملائكة وقت اختصامهم فى أمر آدم عليه السلام (ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين) أى مايوحى الى حال الملائكة الا كونى نذيرا مبينا أى أنا ماعرفت هذه المخاصمة الا بالوحى وانما أوحى الله الى هذه القصة لأذكركم بها ولتصير هذه القصة حاملة لكم على الاخلاص فى الطاعة والاحتراز عن الجهل والتقليد (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا) أى آدم (من طين فاذا سويته) أى جمعت أجزاء بدنه وصورته بالصورة الانسانية (ونفخت فيه من روحى) أى أفضت عليه الروح وهى عرض صار البدن بوجودها حيا وهى جوهر يسرى فى البدن سريان الضوء فى الفضاء وسريان النار فى الفحم (فقعوا له) أى اسقطوا له (ساجدين) تحية له وتكريما فخلقه انسانا فسواه فحل الروح فيه (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) أى فسجد الملائكة كلهم بطريق المعية لآدم بحيث لم يبق منهم أحد الا سجد له ولم يتأخر فى ذلك السجود أحد منهم عن أحد (الا ابليس استكبر) أى تعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى وصار ابليس من الكافرين بابائه عن أمر الله بعد ان كان مسلما عابدا فانه عبد الله ثمانين ألف عام (قال) الله له (ياابليس) أى ياخبيث (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) أى لما خلقته بقدرتى وارادتى من غير توسط أب وأم (أستكبرت) أى أتكبرت عن السجود لآدم من غير استحقاق (أم كنت من العالين) أى من المستحقين للتفوق (قال) ابليس (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار أفضل من الطين لأن النار تأكل الطين فلذلك لم أسجد له (قال) الله له (فاخرج منها) أى من الخلقة التى كنت عليها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا (فانك رجيم) أى مطرود من كل خير (وان عليك لعنتى) أى سخطى (الى يوم الدين) أى يوم الحساب (قال) ابليس (رب فأنظرنى الى يوم يبعثون) من القبور أى اذا جعلتنى رجيما فلا تمتنى الى يوم يبعث آدم وذريته من القبور للجزاء بعد فنائهم وأراد الخبيث بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم وأن لايذوق الموت (قال) الله (فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الذى قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لاالى وقت البعث الذى هو المسئول (قال) ابليس (فبعزتك) أى فأقسم بعزتك (لأغوينهم أجمعين) أى لاضلن ذرية آدم عن دينك بتزيين المعاصى لهم (الاعبادك منهم المخلصين) أى المعصومين من الغواية

فى الدنيا أمفقودون هم (أمزاغت عنهم الأبصار) فلانراهم ههنا (ان ذلك) الذى ذكرنا عن أهل النار (لحق) ثم بين ماهو فقال (تخاصم أهل النار قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن الذى أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لايعلم الابوحى وهو قوله (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى) وهم الملائكة (اذ يختصمون) أى فى شأن آدم يعنى قوله أتجعل فيها الآية وقوله (لما خلقت بيدى) أى توليت خلقه وهذا اللفظ ذكر تشريفا لآدم وان كان كل شئ يتولى الله خلقه دون غيره وقوله

أو المخلصين قلوبهم وأعمالهم لله (قال) الله (فالحق والحق أقول) قرأ عاصم وحمزة برفع الأول ونصب الثاني أي فأنا الحق أو فالحق قسمي ولا أقول الا الحق وقرأ الباقون بنصبهما أي فبالحق أي أقسم بالحق وقرئ بجرهما على أن الثاني حكاية لفظ القسم به على أن معنى الحق نقيض الباطل وقرئ بجر الأول على اضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية (لأملأن جهنم منك) ومن جنسك من الشياطين (وممن تبعك) في الغواية (منهم) أي من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف عليه (قل) يا أشرف الرسل (ما أسألكم عليه) أي على هذه الدعوة (من أجر) أي دنيوي (وما أنا من المتكلفين) أي الحاملين للمشقة في الشريعة على الناس أي ان هذا الذي أدعوكم اليه دين لا يحتاج في معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد العقل بصحته فاني أدعوكم أولا الى الاقرار بوجود الله ثم أدعوكم ثانيا الى تنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق به تعالى ثم أدعوكم ثالثا الى الاقرار بكونه تعالى موصوفا بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم أدعوكم رابعا الى الاقرار بكونه تعالى منزها عن الشركاء ثم أدعوكم خامسا الى الامتناع عن عبادة الأوثان ثم أدعوكم سادسا الى تعظيم الملائكة والأنبياء ثم أدعوكم سابعا الى الاقرار بالبعث والقيامة ثم أدعوكم ثامنا الى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة فهذه الاصول الثمانية هي الاصول المعتبرة في دين الله تعالى وأوائل الافكار شاهدة بصحة هذه الاصول الثمانية فثبت أني لست من المتكلفين في الشريعة التي أدعو الخلق اليها بل كل عقل سليم يشهد بصحتها وبعدها عن الفساد وهو المراد من قوله تعالى (ان هو الا ذكر للعالمين) أي ما هذا القرآن الا عظة من الله تعالى للثقلين كافة (ولتعلمن نبأه بعد حين) أي انكم ان أصررتم على الجهل والتقليد وأبيتم قبول هذه البيانات التي ذكرناها في القرآن فستعلمون بعد الموت انكم كنتم مصيبين في أعراضكم عنه أو مخطئين

﴿ سورة الزمر ويقال لها سورة الغرف مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة احداهما الله نزل أحسن الحديث والأخرى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وهي خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وتسعون كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وثمانية أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أي هذه السورة تنزيل الكتاب من الله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي ملتبسا بكل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما (فاعبد الله مخلصا له الدين) أي فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء وقرأ ابن أبي عبلة برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (ألا لله الدين الخالص) أي الا هو الذي يجب أن يخص باخلاص الطاعة له لانه المنفرد بصفات الألوهية (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) والموصول مبتدأ وهو عبارة عن المشركين وخبره محذوف والوقف على زلفى كاف كما قاله أبو عمرو وقيل تام أي والمشركون الذين عبدوا من غير الله أربابا من الملائكة وعيسى وعزير والاصنام والشمس والقمر والنجوم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله في المنزلة (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم (ان الله لا يهدي) أي لا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب) في وصفهم لغير الله بأنهم آلهة مستحقة للعبادة (كفار) لاعتقادهم في غير الله بالالهية ولكفرانهم نعمة المنعم وهو الله تعالى فان العبادة نهاية التعظيم وهي لا تليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) من الملائكة والآدميين كما قالت اليهود والنصارى وبنو مليح (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اذ كل موجود سواه مخلوق له لكن اتخاذ الولد ممن خلقه باطل لاستحالة

(قال فالحق والحق أقول) أي فبالحق وأقول الحق (لأملأن جهنم) الآية (قل ما أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (من أجر وما أنا من المتكلفين) أي المتقولين القرآن من تلقاء نفسي (ان هو) أي ليس القرآن (الا ذكر) أي عظة (للعالمين ولتعلمن) أنتم أيها المشركون (نبأه) أي ما أخبرتكم فيه من البعث والقيامة (بعد حين) أي بعد الموت

﴿ تفسير سورة الزمر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تنزيل الكتاب) ابتداء وخبره قوله (من الله العزيز الحكيم) وقوله (مخلصا له الدين) أي الطاعة والمعنى اعبده موحدا له الدين (ألا لله الدين الخالص) أي الطاعة الخالصة لا يستحقها غير الله ثم ذكر الذين يعبدون غيره فقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم) أي يقولون ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) أي قربى (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) أي من أمر الدين ثم ذكر انه لا يهدي هؤلاء فقال (ان الله لا يهدي من هو كاذب) أي في اضافة الولد الى الله (كفار) أي يكفر نعمته بعبادة غيره ثم ذكر براءته عن الولد فقال (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) كما يزعم هؤلاء (لاصطفى) أي لاختار (مما يخلق ما يشاء

كون المخلوق من جنس الخالق ولأن كونه منه يستلزم حدوث الخالق وهو ممتنع عقلا ونقلا (سبحانه)
أي تنزيها له عن اتخاذ الولد (هو الله الواحد القهار) أي ان كون الله هو الواجب الوجود لذاته يوجب
كونه واحدا في حقيقته وكونه واحدا في حقيقته يمنع من ثبوت الولد له فثبت أن كونه واحدا يمنع من
ثبوت الولد ثم ان كونه تعالى قهارا يمنع من ثبوت الولد له فلأن المحتاج الى الولد هو الذي يموت ويحتاج
الى من يقوم مقامه لأنه يكون مقهورا بالموت أما الذي يكون قاهرا لا يموت كان الولد في حقه محالا
وقوله هو الله الواحد القهار ألفاظ مشتملة على دلائل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى (خلق السموات
والأرض بالحق) أي ملتبسة بالصواب مشتملة على الحكم والمصالح (يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل) أي يغشى كل واحد منهما الآخر ويزيد كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الآخر (وسخر
الشمس والقمر) أي جعلهما منقادين لأمره تعالى (كل يجري لأجل مسمى) أي كل منهما يجري
في فلكه لمنتهى دورته (ألا هو العزيز الغفار) أي ان خلق هذه الاجرام العظيمة دليل على كمال
القدرة فهو يوجب الخوف والرهبة الا أنه تعالى غفار فكونه تعالى غفارا دليل على كثرة رحمته
فهي توجب الرجاء والرغبة (خلقكم من نفس واحدة) خلقها وهي نفس آدم وحدها (ثم جعل
منها) أي من تلك النفس (زوجها) حواء خلقها من ضلع من أضلاعه القصرى (وأنزل لكم) أي
أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب (من الأنعام ثمانية أزواج) أي
أفراد من الابل اثنين ذكر وأنثى ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين (يخلقكم في
بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) أي حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية
من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (في ظلمات ثلاث) البطن والرحم والمشيمة (ذلكم الله
ربكم) أي ذلكم الذي عرفتم عجائب أفعاله هو الله المربي لكم بالخلق والرزق فهو المستحق لعبادتكم
(له الملك) في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك (لا اله الا هو) أي لا معبود للخلق أجمعين الا الله
(فأنى تصرفون) أي فكيف تصرفون عن عبادة الله تعالى مع وفور دواعيها الى عبادة غيره تعالى
من غير داع اليها (ان تكفروا) به تعالى (فان الله غني عنكم) أي فاعلموا ان الله تعالى ما كلف المكلفين
ليجر الى نفسه منفعة أو ليدفع عن نفسه مضرة لأن الله تعالى غني عن ايمانكم وشرككم (ولا يرضى
لعباده الكفر) أي وان كان لا ينفعه تعالى ايمان ولا يضره كفر الا أنه لا يرضى بالكفر (وان
تشكروا) بأن تقروا باللسان بحصول النعمة وتعتقدوا صدور النعمة من الله تعالى وتعملوا الصالحات
بجوارحكم (يرضه لكم) أي يرضى الشكر لأجل منفعتكم لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين
لا لانتفاعه تعالى به وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الهاء مختلسة وقرأ أبو عمرو
وحمزة في بعض الروايات ساكنة الهاء التخفيف وقرأ نافع في بعض الروايات وابن عامر والكسائي
وابن ذكوان والدوري مضمومة الهاء مشبعة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة
للوزر حمل نفس أخرى فكل مأخوذ بذنبه وهذا بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره أصلا
(ثم الى ربكم مرجعكم) بالبعث بعد الموت فأهم المطالب للانسان أن يعرف خالقه بقدر الامكان وان
يعرف ما يضره وما ينفعه وان يعرف أحواله بعد الموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) أي يجازيكم
بأعمال الكفر والايمان في الدنيا ثوابا وعقابا وهذا تهديد للعاصي وبشارة للمطيع (انه عليم بذات
الصدور) فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم
ولا الى أقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم (واذا مس الانسان) أي الكافر كعتبة بن
ربيعة وأبي جهل (ضر) في جسمه أو ماله أو أهله أو ولده (دعا ربه) أي استجار بربه (منيبا اليه) أي

سبحانه) تنزيها له عن الولد
وقوله (يكور الليل على
النهار (أي يدخل أحدهما
على الآخر (خلقكم من
نفس واحدة) يعني آدم (ثم
جعل منها زوجها) يعني
حواء (وأنزل لكم من
الأنعام ثمانية أزواج)
مشروح في سورة الأنعام
وقوله (خلقا من بعد خلق)
يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة (في
ظلمات ثلاث) يعني ظلمة
البطن والرحم والمشيمة
(فأنى تصرفون) عن
عبادته الى عبادة غيره بعد
هذا البيان وقوله (ولا يرضى
لعباده الكفر) يعني
للمؤمنين المخلصين منهم
كقوله عينا يشرب بها عباد
الله (وان تشكروا) أي
تطيعوا ربكم (يرضه لكم)
أي يرضى الشكر لكم
ويثيبكم عليه (واذا مس
الانسان) يعني الكافر
(ضر دعا ربه منيبا اليه)
أي راجعا

مقبلا اليه بالنداء في ازالة ذلك الضر ولم يؤمل فيه سواه (ثم اذا خوله) أي أعطاه (نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل) أي ترك دعاءربه الذي يتضرع اليه من قبل اعطاء النعمة كأنه لم يفزع اليه ونسي أن لا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشركاء مع الله تعالى كما قال تعالى (وجعل لله أندادا) أي أعدالا في العبادة (ليضل عن سبيل) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء بعد لام العاقبة أي ليثبت على الضلال عن دين الاسلام والباقون بضمها أي ليضل غيره عنه (قل) للكافر (تمتع بكفرك قليلا) أي عش في كفرك في هذه الدنيا بقية عمرك وهذا الأمر زجر عن الكفر وتعريف لقلة تمتعه في الدنيا (انك من أصحاب النار) أي من المعذبين في النار على الدوام وفي هذا اقناط للكافر من النجاة (أمن هو قانت آناء الليل) وقرأ نافع وابن كثير وحمزة أمن بتخفيف الميم والهمزة اما للاستفهام التقريري ومقابله محذوف تقديره أمن هو قائم بما يجب عليه من الطاعة في ساعات الليل حالتي السراء والضراء كمن جعل لله أندادا ودعاه عند مساس الضر فقط أو للنداء أي يا من هو قائم في ساعات الليل قل كيت وكيت أنت من أهل الجنة وقرأ الباقون بتشديد الميم فأم داخلة على من الموصولة وهي اما متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير أم من هو قائم بأداء وظائف العبادات أو منفصلة تقدر ببل والهمزة أي بل أمن هو مطيع لله كالكافر المقول له تمتع بكفرك (ساجدا وقائما) حال من ضمير قانت وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر (يحذر الآخرة) أي يخاف عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أي جنة ربه فينجو مما يخافه ويفوز بما يرجوه (قل هل يستوي الذين يعلمون) توحيد الله وأمره ونهيه وهو أبو بكر وأصحابه (والذين لا يعلمون) ذلك وهو أبو جهل وأصحابه ويجوز أن يراد هذا على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون (انما يتذكر أولوا الألباب) أي انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الصافية ولا يعرف التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال الا أصحاب القلوب النيرة وقيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم أفضل من المال ثم نرى العلماء يجتمعون عند أبواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند أبواب العلماء فأجاب بأن هذا أيضا يدل على فضيلة العلم لأن العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فتركوه (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) أي قل لهم ربكم يقول أطيعوا ربكم في الصغير والكبير من الأمور (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) والجار والمجرور اما صلة لأحسنوا والمعنى للذين عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص حسنة عظيمة في الآخرة وهي الجنة واما صلة لحسنة والمعنى الذين أحسنوا فلهم في هذه الدنيا أمن وصحة وكفاية (وأرض الله واسعة) أي فان لم يتمكنوا من صرف الهمم الى الاحسان في بلادهم فقل لهم فان أرض الله واسعة فلتهاجروا من تلك البلاد الى بلاد تقدرون فيها على الاشتغال بالعبادات واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزداد والطاعة الى طاعتهم لأنه لا عذر البتة للمقصرين في الاحسان (انما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم واحتمال البلايا في طاعة الله تعالى (أجرهم بغير حساب) أي بغير نهاية بهنداز ونحوه (قل) يا أشرف الرسل لكفار قريش حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الدين الذي أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذ بها (اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي العبادة عن شوائب الشرك والرياء وغير ذلك (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أي وأمرت بأن أكون أول من تمسك بالعبادات التي أرسلت بها فاني لست من الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلون ذلك بل كل ما أمرتكم به فأنا أول الناس شروعا فيه وأكثرهم مداومة

(ثم اذا خوله) أي أعطاه (نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل) أي نسي الله الذي كان يتضرع اليه من قبل النعمة وترك عبادته (قل) يا محمد لمن يفعل هذا (تمتع بكفرك قليلا) الآية وهذا تهديد (أمن هو قانت) أي قائم مطيع لله (آناء الليل) أي أوقاته (يحذر) عذاب (الآخرة) كمن هو عاص ثم ضرب لهما مثلا فقال (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أي هل يستوي العالم والجاهل كذلك لا يستوي المطيع والعاصي (انما يتذكر أولوا الألباب) أي انما يتعظ بوعظ الله ذوو العقول وقوله (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) أي وحدوا الله وعملوا بطاعته (حسنة) وهي الجنة (وأرض الله واسعة) فهاجروا فيها واخرجوا من بين الكفار (انما يوفى الصابرون) على طاعة الله وما يبتليهم به (أجرهم بغير حساب) أي بغير مكيال ولا ميزان (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي موحدا (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أي من هذه الأمة

عليه والعبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح فعمل القلب هو الاخلاص وعمل الجوارح هو الاسلام وهذا فائدة اتيان الأمر مرتين ثم بين الله أن هذا الأمر للوجوب فقال (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) ومعنى هذا العصيان ترك الأمر الذى تقدم ذكره (قل الله أعبد مخلصا له دينى) أى لا أعبد أحدا سوى الله والأول اخبار بأنه ﷺ مأمور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة واخلاص القلب له تعالى بها وهذا اخبار بأنه ﷺ أمر بأن لا يعبد أحدا غير الله واخبار بامتثاله ﷺ بالأمر على أبلغ وجه (فاعبدوا ما شئتم) أن تعبدوه (من دونه) تعالى وفى هذا دلالة على شدة الغضب عليهم (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أى حين يدخلون النار حيث أوقعوهما فى هلكة لا هلكة وراءها (ألا) أى تنبهوا لهذه الخسرة العظيمة (ذلك) أى الأمر العظيم (هو الخسران المبين) فلا خسران وراءه فكل خسران يصير فى مقابلته كلا خسران (لهم) أى لهؤلاء الخاسرين (من فوقهم ظلل) أى قطع كبار (من النار ومن تحتهم ظلل) أى فراش من النار والمراد احاطة النار بهم من جميع الجوانب وانما سمى ما تحتهم بالظلل لأن التى تكون تحتهم تكون ظللا لآخرين تحتهم لأن النار دركات وأيضا ان الظلة التحتانية تشابه الفوقانية فى الحرارة والاحراق (ذلك) العذاب هو الذى (يخوف الله به عباده) المؤمنين ليخلصوا فى الطاعة (ياعباد فاتقون) أى يا أيها المؤمنون بالغوا فى الخوف والحذر (والذين اجتنبوا الطاغوت) أى الشيطان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) أى أقبلوا اليه بالطاعات (لهم البشرى) بنوع من الخير عند قرب الموت وعند الوضع فى القبر وعند الخروج منه وعند الوقوف فى عرصة القيامة وعلى باب الجنة وقوله تعالى أن يعبدوها بدل الاشتمال والمعنى والذين تركوا عبادة الشيطان الخ فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وعن ابن عباس أن المراد من هذا الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فى ذلك المجلس محاسن ومساوى فيحدث بأحسن ما سمع ويترك ما سواه وقرأ السوسى عبادى بياء مفتوحة فى الوصل ساكنة فى الوقف والباقون بغير الياء (أولئك الذين هداهم الله) للصواب ولمحاسن الأمور (وأولئك هم أولوا الألباب) أى هم ذوو العقول السليمة عن منازعة الهوى (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) أى أفمن ثبت عليه كلمة العذاب أفأنت تهدى من هو منغمس فى الضلال بدعائك له الى الايمان فتنقذه من النار وهذا تنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع فى النار وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية قال ابن عباس نزلت فى حق أبى لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبى ﷺ عن الايمان (لكن الذين اتقوا ربهم) بأن أطاعوه (لهم غرف) أى منازل فى الجنة رفيعة (من فوقها غرف) أى من فوق تلك المنازل منازل أرفع منها (مبنية) أى قوية كبناء المنازل المبنية على الأرض فى الأحكام بخلاف منازل الدنيا فالفوقانى فضيلته الارتفاع ونقصانه السخافة والتحتانى فضيلته القوة ونقصانه التسفل أما منازل الجنة فهى مستجمعة للفضائل فهى مرتفعة قوية وقوله تعالى لكن اضراب عن قصة الى قصة مخالفة للأولى وليست للاستدراك (تجرى من تحتها الأنهار) أى تجرى من تحت تلك الغرف الفوقانية والتحتانية الأنهار المختلفة من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) أى وعدهم الله بذلك وعدا وهو مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان الله (لا يخلف الله الميعاد) أى وعده للمؤمنين وفى الآية دقيقة شريفة وهى أنه تعالى لم يذكر فى آيات الوعيد البتة مثل هذا التأكيد وذلك يدل على ان جانب الوعد أرجح من جانب الوعيد أما قوله تعالى ما يبدل القول لدى ليس

(قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) بالتخليد فى النار (وأهليهم) لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل فى الجنة (لهم من فوقهم ظلل) الآية وهذا كقوله يوم يغشيهم العذاب من فوقهم الآية وقوله لهم من جهنم مهاد الآية (ذلك) الذى وصف من العذاب (يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت) أى الأوثان (أن يعبدوها وأنابوا الى الله) أى رجعوا اليه بالطاعة (لهم البشرى) بالجنة (فبشر عباد الذين يستمعون القول) القرآن وغيره (فيتبعون أحسنه) وهو القرآن (أفمن حق عليه كلمة العذاب (أفأنت) يا محمد تنقذه أى تخرجه من النار يريد أنه لا يقدر على هدايته وقوله (لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها

تصريحا بجانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول الوعد والوعيد فثبت ان ترجيح الوعد حق خلافا للمعتزلة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) أي ألم تعلم أن الله أنزل من السماء مطرا الى بعض المواضع ثم يقسمه فيدخله في مجاري في خلال الأرض كالعروق في الأجساد ويقال فيدخل ذلك المطر في خلال الارض حال كونه مياها نابعة في الارض (ثم يخرج به) أي ينبت بالمطر (زرعا مختلفا ألوانه) أي أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها وصفاته من طعوم وألوان خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك (ثم يهيج) أي يتم جفافه (فتراه مصفرا) بعد خضرته وقرئ مصفارا (ثم يجعله حطاما) أي منكسرة (ان في ذلك) أي المذكور من الافعال الخمسة (لذكرى لأولي الألباب) أي لتذكيرا عظيما لأصحاب العقول الصافية يتذكرون بذلك ان حال الحياة الدنيا في سرعة الانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ويجزمون بأن من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في عيون الأرض قادر على اجراء الأنهار من تحت الغرف في الجنة (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أي أكل الناس سواء فمن جعله مستعدا للاسلام فهو على هداية من ربه فمن شرطية وخبرها ما بعدها وقيل اسم موصول مبتدأ خبره محذوف والتقدير أفمن شرح الله صدره للاسلام فاهتدى فهو على لطف إلهي فائض عليه كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته (فويل) أي عذاب وخسران (للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أي من أجل ذكر الله فاذا سمعوه نفروا وازدادوا قسوة ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وكان قد حضر هناك عمر بن الخطاب وانسان آخر فلما انتهى رسول الله ﷺ الى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر قال كل واحد من القوم فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله ﷺ أكتب فهكذا أنزلت فازداد عمر ايمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان كفرا على كفر وقرئ عن ذكر الله أي عن قبول ذكر الله (أولئك) أي الذين قست قلوبهم (في ضلال) أي بعد عن الحق (مبين) أي ظاهر كونه ضلالا لكل أحد قيل نزلت هذه الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وأبي لهب وولده وقيل في عمار ابن ياسر وأبي جهل وأصحابه (الله نزل أحسن الحديث) بحسب لفظه لفصاحته وجزالته وبحسب معناه لاشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل ولأن العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا (كتابا متشابها) أي يشبه بعضه بعضا كما قاله ابن عباس فان كل ما فيه من الآيات يقوي بعضها بعضا والمقصود منها بأسرها الدعوى الى الدين وتقرير عظمة الله (مثاني) فانه أكثر الأشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين آية الرحمة والعذاب وآية الوعد والوعيد وآية الأمر والنهي وآية القصص والأحكام وغير ذلك (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) فان الانسان اذا تأمل في الدلائل الدالة على انه يجب تنزيه الله عن التحيز والجهة فههنا يقشعر جلده لأن اثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج عنه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه مما يصعب تصوره فههنا تقشعر الجلود واذا تأمل في الدلائل الدالة على انه يجب أن يكون الله تعالى فردا أحدا وثبت ان كل متحيز منقسم فههنا يلين جلده وقلبه الى ذكر الله وعدي تلين بالى لأن تقدير الكلام تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها الى حضرة الله وهو لا يحس بالادراك ويقال انهم اذا سمعوا القرآن وذكر آيات العذاب أصابتهم خشية أو ذكر آيات الرحمة اطمأنت جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وانما قال الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله لأن المحب الحق الذي في الدرجة العالية هو من أحب الله لا لشيء سواه وأما من أحب الله لأجل رحمته فهو ما أحب الله وانما أحب شيئا غيره (ذلك) أي الكتاب

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أي أدخل ذلك الماء (ينابيع في الأرض) وهي الأمكنة التي ينبع منها الماء وكل ماء في الأرض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أي بذلك الماء (زرعا مختلفا ألوانه) بخضرة وحمرة وصفرة (ثم يهيج) أي ييبس (فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما) أي دقاقا فتاتا (ان في ذلك لذكرى لأولي الألباب) أي يتذكرون ما لهم من الدلالة في هذا على توحيد الله وقدرته (أفمن شرح الله) أي وسع (صدره للاسلام فهو على نور من ربه) أي فاهتدى الى دين الاسلام كمن طبع على قلبه ويدل على هذا المحذوف قوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) (الله نزل أحسن الحديث) يعني القرآن (كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا (مثاني) أي ثنى فيه الأخبار والقصص وذكر الثواب والعقاب (تقشعر) أي تضطرب وتتحرك بالخوف (منه جلود الذين يخشون ربهم) يعني عند ذكر آية العذاب (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي من آية الرحمة (ذلك

الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) وهو الذى شرح صدره لقبول هذه الهداية (ومن يضلل الله) أى ومن جعل الله قلبه قاسيا مظلما بليد الفهم منافيا لقبول هذه الهداية (فماله من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقرأ ابن كثير باثبات الياء فى الوقف (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) والهمزة للاستفهام الانكارى والفاء عاطفة على جملة مقدر ومن اسم موصول مبتدأ وخبره محذوف وقيل معطوف على يتقى وتقدير الكلام أكل الناس سواء فمن يجعل وجهه قائما مقام الدرقة يقى به وجهه العذاب الشديد يوم القيامة وتقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب ما كنتم تكسبونه فى الدنيا كمن هو آمن من العذاب قيل يلقى الكافر فى النار مغلولة يداه الى عنقه وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار فيها وهى فى عنقه فحرها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه قيل نزلت هذه الآية فى حق أبى جهل وأصحابه (كذب الذين من قبلهم) أى قبل قومك من الأمم السالفة (فأتاهم العذاب) المقدر لكل أمة منهم (من حيث لا يشعرون) أى من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بينما هم آمنون اذ أتاهم العذاب من الجهة التى توقعوا الامن منها (فأذاقهم الله الخزى) أى الذل (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر) أى فالعذاب المدخر لهم فى يوم القيامة أعظم من ذلك الذى وقع (لو كانوا يعلمون) عذاب الآخرة ما كذبوا رسلهم ولكن لا علم لهم أصلا (ولقد ضربنا) بينا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى وجه يحتاج اليه الناظر فى أمور دينه (لعلهم يتذكرون) أى كى يتعظوا به (قرآنا عربيا) أى أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) أى بريئا عن التناقض وقيل أى غير مخالف لسائر الكتب كالتوراة والانجيل والزبور بالتوحيد وقال السدى أى غير مخلوق (لعلهم يتقون) أى لكى يتقوا بالقرآن عما نهاهم الله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا) فمثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول (فيه شركاء) أى سادات (متشاكسون) أى متخالفون سيئة أخلاقهم (ورجلا سلما لرجل) أى ورجلا خالصا لسيد واحد قرأ ابن كثير وأبو عمرو سالما بالألف وكسر اللام والباقون بفتح السين واللام بغير الألف وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وقرئ ورجل سالم بالرفع على الابتداء أى وهناك رجل سالم لرجل (هل يستويان مثلا) أى صفة أى هل يستوى حالاهما وصفتاهما والمعنى اضرب يا أشرف الرسل لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع فكل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبونه فى حوائجهم وهو متحير فى أمره فكلما أرضى أحدهم غضب الباقون واذا احتاج فى مهم اليهم فكل واحد منهم يرده الى الآخر فهو يبقى متحيرا لا يعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه وأيهم يعينه فى حاجاته فهو بهذا السبب يلقى منهم التعب العظيم وفى رجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعينه على حاجاته فان أطاعه عرف له وان أخطأ صفح عن خطئه فأى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا وأقل تعبا وهذا مثل ضربه الله للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله وحده (الحمد لله) أى لما بطل القول باثبات الشركاء وثبت أنه لا اله الا الله الحق الواحد الأحد ثبت أن الحمد لله لا لغيره (بل أكثرهم لا يعلمون) أن الحمد لله تعالى لا لغيره وان المستحق للعبادة هو الله لا غيره ويقال لا يعلمون أمثال القرآن (انك ميت وانهم) أى كفار مكة (ميتون) أى انك واياهم وان كنتم أحياء فى أعداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) أى تتكلمون أنتم ورؤساء الكفار بالحجة والمراد أن هؤلاء الاقوام وان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم فى الدنيا فلا تبال يا أشرف الرسل بهذا فانك ستموت

هدى الله) أى ذلك الخوف والخشية من العذاب ورجاء الرحمة هدى الله (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) وهو الكافر يلقى فى النار مغلولا فلا يتهيأ له أن يتقى النار الا بوجهه ومعنى الآية أفمن هذه حاله كمن يدخل الجنة وقوله (غير ذى عوج) أى لبس واختلاف وتضاد ثم ضرب مثلا للموحد والمشرك فقال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون سيئة أخلاقهم فكل واحد يستخدمه بقدر نصيبه وهذا مثل المشرك الذى يعبد آلهة شتى (ورجلا سالما) أى خالصا (لرجل) وهو الذى يعبد الله وحده (هل يستويان مثلا) أى هل يستوى مثل الموحد ومثل المشرك (الحمد لله) وحده دون غيره من المعبودين (بل أكثرهم لا يعلمون) مفسر فى سورة النحل ثم ذكر انهم يموتون ويرجعون الى الله فيختصمون عنده فقال (انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يعنى المؤمن والكافر والمظلوم والظالم

وهم سيموتون أيضا ثم تحشرون يوم القيامة وتختصمون عند الله تعالى والعادل الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل واحد ماهوحقه وحينئذ يتميز الحق من الباطل (فمن أظلم ممن كذب على الله) أى لاأحد أظلم ممن أثبتوا لله ولدا وشركاء وكذب بتخفيف الذال (وكذب بالصدق) أى بالأمر الذى هو نفس الصدق وهو ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم من لااله الاالله والقرآن وغير ذلك (اذجاءه) أى فى أول مجىء ذلك الأمر من غير تدبر فيه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين افتروا على الله تعالى وسارعوا الى تكذيب الصدق من أول الامر (والذى جاء بالصدق) أى بعين الحق (وصدق به أولئك هم المتقون) أى المنعوتون بالتقوى والموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق بنفس الصدق هو أبو بكر وهذا القول مروى عن على بن أبى طالب وجماعة من المفسرين وقيل المراد من الموصول كل من جاء بالصدق وهم الأنبياء والذى صدق به الاتباع ويؤيد هذا القول قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والذى جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرىء وصدق به بتخفيف الدال أى صدق الرسول بذلك الصدق الذى هو بمعنى القرآن الناس ولم يكذبهم بأن أداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار الرسول صادقا بسبب الصدق الذى هو القرآن لانه معجزة وهى تصديق من الله تعالى فيصير المدعى للرسالة صادقا بسبب تلك المعجزة وقرىء وصدق به على البناء للمفعول أى صدق الرسول بالقرآن (لهم مايشاؤن عند ربهم) أى لهم كل مايشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار فى الآخرة لافى الجنة فقط لأن بعض مايشاؤنه من تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر وسائر أهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة (ذلك) أى حصول مايشاؤنه (جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا أعمالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى أقبح أعمالهم دفعا لمضارهم (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) أى باحسانهم اعطاء لمنافعهم والمراد أنهم اذا صدقوا الأنبياء عليهم السلام فيما أتوا فان الله يكفر عنهم أسوأ أعمالهم وهو الكفر السابق على ذلك الايمان ويوصل اليهم أحسن أنواع الثواب وقوله تعالى ليكفر الله متعلق بقوله تعالى لهم مايشاؤن باعتبار فحواه حيث كان اخبارا بماسيثبت لهم فيماسيأتى وهو فى معنى الوعد به كأنه قيل وعدهم الله جميع مايشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذى عملوا الخ (أليس الله بكاف عبده) وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما قال السدى ويقال هو خالد بن الوليد عمار يدون به وقرأ حمزة والكسائى عباده وهم الأنبياء عليهم السلام فان قومهم قصدوهم بسوء لقوله تعالى وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ودخول همزة الانكار على كلمة النفى تفيد معنى اثبات الكفاية أى هو كاف عبده (ويخوفونك بالذين من دونه) تعالى وهم اللات والعزى ومناة أى ان قريشا يقولون له يامحمد لاتشتمها ولاتعبها فتخبلك فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها لاندركها أحذركها ياخالد ان لها شدة لايقوم لها شىء فعمد خالد اليها فهشم أنفها فنزلت هذه الآية (ومن يضلل الله) عن دينه حتى غفل عن كفاية الله لعبده محمد وخوفه بمالاينفع ولايضر (فماله من هاد) أى مرشد الى دينه (ومن يهد الله) لدينه (فماله من مضل) عن دينه (أليس الله بعزيز) أى غالب على أمره (ذى انتقام) من أعدائه لأوليائه (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من خلق السموات والارض ليقولن الله) خلقهما لوضوح الدليل على تفرده تعالى بكونه خالقالهما (قل) تبكيتا لهم (أفرأيتم ماتدعون من دون الله) أى اذا لم يكن خالق سوى الله تعالى وقد أقررتم بأن خالق العالم العلوى والسفلى هو الله تعالى فأخبرونى بأن ماتعبدون من غير الله وهى اللات والعزى ومناة (ان أرادنى الله بضر) أى بلاء (هل هن كاشفات ضره) أى دافعات بلائه تعالى عنى (أو أرادنى برحمة) أى بنفع (هل

(فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم أن له ولدا وشريكا (وكذب بالصدق) أى بالقرآن (اذجاءه) على لسان الرسول (أليس فى جهنم مثوى) مقام ومنزل لهؤلاء (والذى جاء بالصدق) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن (وصدق به) أبو بكر رضى الله عنه ثم المؤمنون بعده وقوله (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أن ينصره ويكفيه أمر من يعاديه (ويخوفونك بالذين من دونه) أى يخوفونك بأوثانهم يقولون انك تعيبها وانها لتصيبك بسوء ثم بين انهم مع عبادتهم الأوثان يقرون بأن الخالق هو الله فقال (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله) أى من الأوثان (ان أرادنى الله بضر) أى ببلاء وشدة هل يكشفن ذلك عنى (أو أرادنى برحمة) أى نعمة هل يمسكن ذلك عنى وهذا بيان أنها لاتنفع ولاتدفع

هن ممسكات رحمته) أى مانعات نعمته عنى حتى تأمرونى بعبادتها وتخوفونى معرتها وقوله تعالى أفرأيتم متعد لاثنين أولهما ماتدعون والثانى الجملة الاستفهامية وقرأ ابو عمرو بتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمته وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا لا أى لا تكشف ولا تمسك فنزل قوله تعالى (قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) أى قل لهم اذا كان الأمر كذلك كانت عبادة الله كافية وكان الاعتماد عليه كافيا فبثقتى فى جميع أمورى من اصابة الخير ودفع الشر بالله تعالى و به تعالى يثق الواثقون لاعلى غيره أصلا لعلمهم بأن كل ماسواه تعالى تحت ملكوته تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) أى على حالتكم وهى الكفر والعناد وقرأ شعبة مكاناتكم بالجمع وهو مروى عن عاصم أيضا (انى عامل) على حالتى (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أى يهلكه فى الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم) أى ومن ينزل عليه عذاب دائم هو عذاب النار ومن موصولة مفعول تعلمون والامر للتهديد أى أنتم تعتقدون فى أنفسكم أنكم فى نهاية القوة فاجتهدوا فى أنواع كيدكم فانى عامل فى تقرير دينى فسوف تعلمون أن الخزى فى الدنيا بالجوع والسيف والعذاب الدائم فى الآخرة يصيبنى أو يصيبكم (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس) أى لنفع الناس ولاهتدائهم به (بالحق) أى مقرونا بالحق وهو المعجز الذى يدل على انه من عند الله (فمن اهتدى فلنفسه) أى فمن عمل بما فيه فنفعه يعود الى نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) أى ومن لم يعمل بما فيه فضرر ضلاله يعود الى نفسه (وما أنت عليهم بوكيل) أى انك لست مأمورا بأن تجبرهم على الايمان والهدى وما وظيفتك الا الابلاغ فالهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى ومن عرف هذه الحقيقة فقد عرف سر الله فى القدر ومن عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) أى الله يقبض الأرواح من الابدان حين موت أجسادها بخلق الموت وازالة الحس بالكلية و يقبض الأرواح التى لم تمت حين تنام بازالة الادراك وخلق الغفلة فى محل الادراك فتتعارف ماشاء الله أن تتعارف (فيمسك التى قضى عليها الموت) فلا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى على البناء للمفعول ورفع الموت (و يرسل الأخرى) أى يزيل الحابس عن النائمة فتعود عند التيقظ كما كانت (الى أجل مسمى) وهو وقت النفخة الثانية فى الممسوكة ووقت الموت فى المرسلة فالجار والمجرور متعلق بكل من يمسك و يرسل قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان أرواح الاحياء والأموات تلتقى فى المنام فتتعارف ماشاء الله فاذا أراد جميعها الرجوع الى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الاحياء الى أجسادها وقال على رضى الله عنه فما رأته نفس النائم وهى فى السماء قبل ارسالها الى جسدها فهى الرؤيا الصادقة وما رأته بعد ارسالها وقبل استقرارها فى جسدها فهى الرؤيا الكاذبة لانها من القاء الشيطان (ان فى ذلك) أى التوفى على الوجهين والامساك فى أحدهما والارسال فى الآخر (لآيات) عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلق الأرواح بالابدان وقبضها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وحبسها عن التصرف تارة أخرى كما عند النوم وازالة حبسها عنه حينا بعد حين الى انقضاء آجالها (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) أى ان الكفار قالوا نحن لانعبد هذه الأصنام لاعتقاد انها آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها لاجل أن يصير أولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى فأجاب الله تعالى بقوله بل اتخذوا من دون الله تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى (قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون) أى قل لهم أيشفعون فى حال كونهم لايملكون شيئا من الأشياء وفى حال كونهم لا يعقلونه (قل لله الشفاعة جميعا) أى ان هؤلاء الكفار اما أن يطمعوا فى تلك الشفاعة

(الله يتوفى الأنفس) أى يقبض الأرواح (حين موتها) أى عند موتها (والتى لم تمت فى منامها) أى و يقبض روح التى لم تمت فى منامها (فيمسك التى قضى عليها الموت) يمسك أنفس الأموات عنده (و يرسل الأخرى) أى أنفس الاحياء اذا انتبهوا (الى أجل مسمى) وهو أجل الموت (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) يعنى الأوثان التى عبدوها لتشفع لهم (قل) لهم (أولو كانوا لا يملكوا شيئا) من الشفاعة (ولا يعقلون) أى انكم تعبدونهم لا تتركون عبادتهم (قل لله الشفاعة جميعا) فليس يشفع أحد الا باذنه

من هذه الأصنام أومن أولئك العلماء الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لهم فهذه الأصنام لاتملك شيئا ولاتعقل فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها ولا يملك أحد من العلماء وغيرهم شيئا ولا يقدر أحد على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله لانه الذي يأذن في الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره (له ملك السموات والارض) أي له ملكهما ومافيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم في أمر من أموره بدون اذنه تعالى ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة فيفعل يومئذ مايريد (واذا ذكر الله وحده) دون الآلهة (اشمأزت) أي انقبضت (قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة) أي بالبعث بعد الموت حتى يظهر أثر ذلك الانقباض في أديم الوجه (واذا ذكر الذين من دونه) أي فرادى أومع ذكر الله (اذاهم يستبشرون) حتى يظهر أثر ذلك السرور في بشرة الوجه (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) أي ياعالم ماغاب عن العباد وماعلموه (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين وعن أبي سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم (ولو أن للذين ظلموا مافي الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أي لو أن لهؤلاء الكفار جميع مافي الدنيا من الأموال ومثله معه لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد يوم القيامة (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم من فنون العقوبات مالم يكن في حسابهم (وبدا لهم سيئات ماكسبوا) أي وظهر لهم سيئات كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم (وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) أي أحاط بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا يستهزؤن به (فاذا مس الانسان) أي الكافر (ضر) أي فقر ومرض (دعانا) أي يفزعون الينا ويعتقدون ان دفع ذلك لا يكون الامنا (ثم اذا خولناه نعمة منا) أي اذا أعطيناه مالا أوعافية في البدن تفضلا منا (قال انما أوتيته على علم) أي خبر علمه الله مني فان كانت النعمة سعة في المال قال انما حصل هذا بكسبي وان كانت صحة قال انما حصلت هذه الصحة بسبب العلاج الفلاني (بل هي) أي النعمة (فتنة) أي اختبار أيشكر أم يكفر وذلك لأن عند حصولها يجب الشكر وعند فواتها يجب الصبر ويختبر بها من أوتي النعمة (ولكن اكثرهم) أي هؤلاء القائلين هذا الكلام (لايعلمون) ان هذا التخويل انما كان لأجل الاختبار أي انا نتفضل على ذلك الانسان وهو يظن انه انما وجده بالاستحقاق (قد قالها الذين من قبلهم) أي قد قال الذين من قبل قومك يا أفضل الخلق مثل هذه المقالة وذلك مثل قارون وغيره (فما أغنى عنهم ماكانو يكسبون) أي فما دفع عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه شيئا من عذاب الله (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي بل أصابهم جزاء أعمالهم من العذاب (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) أي من مشركي قومك (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي عقوبات ماعملوا كما أصاب الأمم (وماهم بمعجزين) أي هم لا يعجزوني في الدنيا والآخرة (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي أقالوا ذلك ولم يعلموا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء وان كان لاقوة له ويضيق الرزق لمن يشاء وان كان قويا شديد الحيلة وليس ذلك لاجل الطبائع والانجم لان الساعة التي ولد فيها السلطان قد ولد فيها أنواع الناس وانوع الحيونات وأنواع النباتات وحدوث هذه الاشياء الكثيرة في الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة دليل على ان المؤثر فيه هو الله تعالى وحده دون الطوالع قال الشاعر

(واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة) كان المشركون اذا سمعوا لااله إلا الله وحده لاشريك له نفروا عن ذلك (واذا ذكر) الأوثان فرحوا ومعنى اشمأزت نفرت وقوله (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة وقوله (قال انما أوتيته على علم) أي أعطيته على شرف وفضل وكنت علمت أني سأعطى هذا باستحقاق (بل هي) أي تلك العطية (فتنة) من الله يبتلي بها العبد ليشكر أو يكفر (قد قالها الذين من قبلهم) يعني قارون حين قال انما أوتيته على علم عندي

فلا السعد يقضي به المشترى * ولا النحس يقضي علينا زحل
ولكنه حكم رب السما * وقاضي القضاة تعالى وجل

(ان فى ذلك) أى البسط والتضييق (لآيات) دالة على أن الحوادث كلها من الله تعالى (لقوم يؤمنون) اذهم المستدلون بها على مدلولاتها (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أى أفرطوا فى الجناية عليها بالمعاصى وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بسكون الياء وسقوطها فى الوصل والباقون بفتحها وكلهم يقفون باثبات الياء الافى بعض روايات أبى بكر عن عاصم فانه يقف بغير ياء (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرة الله وتفضله أى وأقلعوا عن ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكمال (ان الله يغفر الذنوب جميعا) أى بالتوبة اذا صحت توبته ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فيه فان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل واحد وخوف العقاب قائم (انه هو الغفور الرحيم) لمن تاب من الكفر وآمن بالله قيل ان هذه الآية نزلت فى أهل مكة فانهم قالوا يزعم محمد ان من عبد الأوثان وقتل النفس لم يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وعن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقيل لنا الكبائر والفواحش فكنا اذا رأينا من أصاب منها شيئا خفنا عليه ومن لم يصب منها شيئا رجونا له فأنزل الله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وأراد بالاسراف ارتكاب الكبائر (وأنيبوا الى ربكم) أى أقبلوا الى ربكم بالتوبة من الكفر (وأسلموا له) أى أطيعوا الله (من قبل أن يأتيكم العذاب) ان لم تتوبوا (ثم لاتنصرون) أى لاتمنعون من عذاب الله نزلت هذه الآية فى وحشى وأصحابه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) وهو القرآن لقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا وقال الحسن معناه والتزموا طاعة الله واجتنبوا معصية الله فان الذى أنزل على ثلاثة أوجه ذكر القبيح ليتجنب عنه والادون لئلا يرغب فيه والأحسن ليتبع وليتقوى به (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) بمجيئه لتتأهبوا له (أن تقول نفس) مفعول لأجله أى أنيبوا الخ كراهة أن تقول نفس (ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله) أى باندامتا على تفريطى فى حق الله وأمره وطاعته (وان كنت لمن الساخرين) أى والحال انى كنت لمن المستهزئين بدين الله وأهله (أو تقول لو أن الله هدانى) أى بين لى الايمان (لكنت من المتقين) أى من الموحدين (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) أى رجعة الى دار الدنيا (فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل فيقول الله تعالى ردا على ذلك (بلى قد جاءتك آياتى) أى وهى القرآن مرشدة لك (فكذبت بها واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين) فبين الله تعالى أن الحجة عليهم لله لا أن الحجة لهم على الله (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لايليق بشأنه تعالى كاتخاذه تعالى الولد وكقولهم ان الله تعالى حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وبأن وصفوا الأصنام بالآلهة (وجوههم مسودة) سوادا مخالفا لسائر أنواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) أى منزل للمتكبرين عن الايمان والطاعة (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم بمفازاتهم بالجمع أى ينجى الله الذين بالغوا فى وقاية أنفسهم من غضبه تعالى من منزل المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذى هو الجنة فكما وقاهم الله فى الدنيا من المخالفات حماهم فى الآخرة من العقوبات

(قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أى بارتكاب الكبائر والفواحش نزلت فى قوم من أهل مكة هموا بالاسلام ثم قالوا ان محمدا يقول ان من عبد الأوثان واتخذ مع الله آلهة وقتل النفس لايغفر له وقد فعلنا كل هذا فأعلم الله عز وجل أن من تاب وآمن غفر له كل ذنب فقال (لاتقنطوا من رحمة الله) الآية (وأنيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالطاعة (وأسلموا) أى أطيعوا (له) (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن كقوله الله نزل أحسن الحديث وقوله (أن تقول نفس ياحسرتى) أى افعلوا ما أمرتكم به من الانابة واتباع القرآن خوف ان تصيروا الى حالة تقولون فيها هذا القول وقوله (على ما فرطت فى جنب الله) أى قصرت فى طاعة الله وسلوك طريقه (وان كنت لمن الساخرين) أى ما كنت الا من المستهزئين بدين الله وكتابه (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) أى بمنجاتهم من العذاب والمفازة يعنى الفوز وقوله

(لايمسهم السوء) أى العذاب (ولاهم يحزنون) على فائت لأنه لايفوت لهم شئ أصلا وقيل المعنى ان النجاة فى القيامة حصلت بسبب فوزهم فى الدنيا بالطاعات والخيرات ثم فسرت تلك النجاة بقوله تعالى لايمسهم السوء الخ (الله خالق كل شئ) من خير وشر وايمان وكفر بمباشرة الكاسب لأسبابها (وهو على كل شئ وكيل) أى ان الأشياء كلها موكولة اليه تعالى فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولامشارك فيتولى التصرف فيها كيفما يشاء (له مقاليد السموات والأرض) أى له تعالى مفاتيحها لايتمكن من التصرف فيها غيره وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض فقال ياعثمان ماسألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لااله الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده أستغفر الله ولاحول ولاقوة الا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى ان الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه وقال قتادة ومقاتل له مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة وقال الكلبى له خزائن المطر والنبات (والذين كفروا بآيات الله) أى الناطقة بكونه تعالى خالقا للأشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والأرض بأسرها (أولئك هم الخاسرون) خسرانا لاخسار وراءه (قل) ياأشرف الخلق لأهل مكة حيث قالوا له أسلم ببعض آلهتنا ونؤمن بالهك (أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى بعد مشاهدة الآيات الدالة على انفراده تعالى أعبد غيره تعالى بأمركم وغير الله منصوب بأعبد وتأمرونى اعتراض وقيل ان أعبد معمول لتأمرونى على اضمار أن المصدر ية فلما حذفت بطل عملها وجاز تقديم معمول صلة أن على الموصول بأن المحذوفة والأصل أتأمرونى بأن أعبد غير الله ويؤيد هذا القول قراءة أعبد بالنصب وقرأ نافع تأمرونى بنون واحدة مخففة مع فتح الياء وهى نون الرفع كسرت للمناسبة وابن كثير بنون مشددة وفتح الياء وابن عامر بنونين ساكنة الياء والباقون بنون واحدة مشددة وسكون الياء (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الرسل عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وهذه قضية شرطية والقضية الشرطية لايلزم من صدقها صدق جزأيها كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق أن فيهما آلهة وانهما قد فسدتا (بل الله فاعبد) وهذا رد لما أمروه صلى الله عليه وسلم به من الاسلام ببعض آلهتهم كأنه صلى الله عليه وسلم قال انكم تأمرونى بأن لاأعبد الا غير الله وكأنه تعالى قال فلا تعبد الا الله (وكن من الشاكرين) لله على ماهداك الى أنه لايجوز الاعبادة الاله القادر العليم الحكيم وعلى ما أرشدك الى أنه يجب الاعراض عن عبادة كل ماسوى الله تعالى (وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى وما عظموا الله حق تعظيمه أى تعظيما لائقا به تعالى بل أنزلوه عن قدره ومنزلته اذ زعموا أن له شركاء وأنه لايقدر على احياء الموتى والحال أن الأرض جميعا مقدورته تعالى يوم القيامة والسموات مطويات بقدرته تعالى أوماعرفوا الله حق معرفته حيث وصفوه بمالايليق بشؤونه الجليلة حيث قالوا يدالله مغلولة وقالوا ان الله فقير يطلب منا القرض الخ ومقصود هذه الآية اشارة الى أن المتولى لابقاء السموات والأرض فى هذه الدار هو المتولى لتخريبهما يوم القيامة وذلك يدل على قدرته التامة على الايجاد والاعدام فاذا حاول تخريب الأرض يزلها فكأنه يقبض قبضة صغيرة و يريد افناءها وذلك يدل على كمال الاستغناء وقرئ قبضة بالنصب على الظرف أى فى ملكه تعالى وقدرته وقرئ مطويات بالنصب على الحال والسموات معطوفة على الأرض (سبحانه وتعالى عمايشركون) أى ان هذا القادر القاهر العظيم الذى حارت العقول فى وصف عظمته تنزه عن أن تجعل الأصنام شركاء له فى المعبودية وان

(له مقاليد السموات والأرض) أى مفاتيح خزائنها وكل شئ فى السموات والأرض الله فاتح بابه (قل أفغير الله) الآية هذا جواب للذين دعوه الى دين آبائه وقوله (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) أى ملكه من غير منازع كما تقول هو فى قبضة فلان اذا ملك التصرف فيه وان لم يقبض عليه بيده (والسموات مطويات) كقوله يوم نطوى السماء (بيمينه) أى بقوته وقيل بقسمه لأنه حلف أن يطويها

يكون

يكون تعالى عاجزا ومحتاجا الى شيء (ونفخ فى الصور) نفخة الموت (فصعق) أى مات (من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) قال كعب الاحبار هم اثنا عشر جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وحملة العرش وهم ثمانية (ثم نفخ فيه) أى الصور بعد أربعين سنة نفخة (أخرى) وهى نفخة البعث تمطر السماء كنطف الرجال (فاذاهم قيام) من قبورهم (ينظرون) أى يقلبون أبصارهم فى الجوانب كالمبهوتين وينظرون حال من ضمير قيام وقرئ قياما بالنصب على الحال من ضمير ينظرون فهو حينئذ خبر المبتدأ (وأشرقت الارض بنور ربها) أى وأضاءت الارض الجديدة التى يوجدها الله فى ذلك الوقت لتحشر الناس فيها بعدل ربها (ووضع الكتاب) أى صحائف الاعمال وهى ديوان الحفظة فى أيدى العمال (وجيء بالنبيين والشهداء) أى الذين يشهدون على الامم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن الملائكة الحفظة (وقضى بينهم) أى بين العباد (بالحق) أى بالعدل (وهم لايظلمون) أى لاينقص من حسناتهم ولايزاد على سيئاتهم (ووفيت كل نفس ماعملت) أى وفيت كل نفس برة وفاجرة جزاء ماعملته من خير وشر (وهو أعلم بما يفعلون) ولاحاجة به تعالى الى كتاب ولا الى شاهد ومع ذلك تشهد الكتب والشهود إلزاما للحجة (وسيق الذين كفروا الى جهنم) بالعنف والدفع (زمرا) أى أفواجا متفرقة بعضها عقب بعض على حسب ترتب طبقاتهم فى الضلالة والشرارة (حتى اذا جاءوها) أى جهنم (فتحت أبوابها) أى طرقها لهم ولم تكن قبل ذلك مفتوحة (وقال لهم خزنتها) وهم الزبانية تقريعا وتوبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) أى من جنسكم وقرئ نذر منكم (يتلون عليكم آيات ربكم) من القرآن وغيره (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى بلى قد أتونا وتلوا علينا وأنذرونا ولكن ثبتت علينا كلمة العذاب ومن وجبت عليه كلمة العذاب فكيف يمكنه الخلاص من العذاب (قيل ادخلوا) أى ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) أى مقدرا خلودكم فيها (فبئس مثوى المتكبرين) أى على الأنبياء جهنم أى انهم انما دخلوا النار لأنهم تعظموا عن الايمان بالرسل ولم يقبلوا أقوالهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة ولأن بعضهم قالوا لاندخلها حتى يدخلها أحبائى وأصدقائى ولأن بعضهم استغرقوا فى مشاهدة مواقف الجلال والجمال وهى مانعة لهم عن الرغبة فى الجنة وكلهم راكبون فساق مراكبهم (زمرا) أى متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل وعلو الطبقة (حتى اذا جاءوها) أى الجنة (وفتحت أبوابها) الواو للحال أى وقد فتحت أبوابها قبل وصولهم اليها (وقال لهم خزنتها) على باب الجنان (سلام عليكم) من كل الآفات (طبتم) أى صلحتم لسكناها لأنكم نظفتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها خالدين) وجواب اذا محذوف تقديره اطمأنوا وسعدوا (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) فى قوله تعالى أن لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون (وأورثنا الأرض) أى أورثنا الله أرض الجنة بأن وفقنا للاتيان بأعمال أورثت الجنة (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أى ينزل كل واحد فى أى مكان أراده من جنته الواسعة فهو يتخير فى منازل قسمه فلا يختار أحد مكان غيره مع ان فى الجنة مقامات معنوية لايتناهى واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة وهذا من كلام الله تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محدقين بالعرش أى كما ان دار ثواب المتقين هى الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة هو جوانب العرش وأطرافه (يسبحون بحمد ربهم) فثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح وأعظم درجات الثواب استغراق قلوب العباد فى درجات التنزيه ومنازل التقديس (وقضى

(ونفخ فى الصور فصعق) أى مات (من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله) قيل هم الشهداء وهم أحياء عند ربهم وقيل يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل قيل وملك الموت وحملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون) أى ينتظرون أمر الله فيهم (وأشرقت الارض) أى ألبست الاشراق عرصات القيامة (بنور ربها) وهو نور يخلقه الله فى القيامة يلبسه وجه الأرض (ووضع الكتاب) يعنى الكتب التى فيها أعمال بنى آدم (وجيء بالنبيين والشهداء) أى الذين يشهدون للرسل بالتبليغ (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أى جماعات وأفواجا وقوله (طبتم) أى كنتم طيبين فى الدنيا وقوله (وأورثنا الارض) أى أرض الجنة (نتبوأ) نتخذ (منها) منازل (حيث نشاء فنعم أجر العاملين) أى ثواب المطيعين (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محيطين به (يسبحون بحمد ربهم وقضى

بينهم بالحق) أي ان الملائكة على مراتب متفاوتة فلكل واحد منهم في درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوزه (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي قال الملائكة الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق وهم ما حمدوه تعالى لأجل ذلك القضاء بل حمدوه تعالى بصفته تعالى الواجبة له وهي كونه تعالى ربا العالمين فان من حمد المنعم لأجل أن انعامه وصل اليه فهو في الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام ويقال ان هذا من بقية شرح ثواب المؤمنين فيقال في التقرير كما أن حرفة المتقين في الجنة الاشتغال بهذا التحميد والتمجيد فكذلك حرفة الملائكة الاشتغال بالتحميد والتسبيح ثم ان جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة فالمؤمنون والملائكة يصيرون متوافقين على الاستغراق في تحميد الله وتمجيده وتسبيحه فكان ذلك سببا لمزيد التذاذهم وقال تعالى وقضى بينهم أي بين البشر بالحق وقيل الحمد لله أي انهم يقدمون التسبيح فالتسبيح عبارة عن اقرارهم بتنزيه الله تعالى عن كل مالا يليق به وهو صفات الجلال والتحميد عبارة عن اقرارهم بكونه تعالى موصوفا بصفات الاكرام ثم ان الله تعالى لم يبين ذلك القائل والمقصود من هذا الابهام التنبيه على أن خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة ذي الجلال والكبرياء ليس الا أن يقولوا الحمد لله رب العالمين

﴿ سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وسورة غافر مكية وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة . وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب) أي هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أي الذي لا يوجد له مثل (العليم) بوجوه المصالح والمفاسد (غافر الذنب) أي غافر الذنوب الكبار قبل التوبة عمن قال لا اله الا الله (وقابل التوب) لمن تاب من الشرك (شديد العقاب) لمن مات على الشرك (ذي الطول) أي ذي الفضل على من آمن به بترك العقاب المستحق وذي الغنى على من لم يؤمن به (لا اله الا هو) فيجب الاقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه (اليه المصير) أي مرجع من آمن به ومن لم يؤمن به (ما يجادل في آيات الله) بالجدال الباطل (الا الذين كفروا) بها وهو أن يقال في حق القرآن انه سحر أو انه شعر أو انه قول الكهنة أو انه أساطير الأولين أو انما يعلمه بشر أو أشباه ذلك مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة قال ﷺ ان جدالا في القرآن كفر وقال لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) أي لا ينبغي أن تغتر بأني أتركهم سالمين في أبدانهم وأموالهم يتصرفون في البلاد للتجارات وطلب المعاش واني سآخذهم كما فعلت بأشكالهم من الأمم الماضية (كذبت قبلهم) أي قبل قومك (قوم نوح والأحزاب) أي الأمم المتفرقة (من بعدهم) أي من بعد قوم نوح كقوم عاد وثمود (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أي وعزمت كل أمة من هؤلاء المكذبين أن يأخذوا رسولهم ليقتلوه ويهلكوه (وجادلوا بالباطل) أي خاصموا رسلهم بايراد الشبهات (ليدحضوا به الحق) أي ليزيلوا بايراد تلك الشبهات الصدق (فأخذتهم) بسبب ذلك (فكيف كان عقاب) أي عقابي اياهم أليس كان مهلكا مهيبا في السماع (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أي كما ثبت حكمه تعالى بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة على رسلهم ثبت على الذين كفروا وتحزبوا عليك كونهم مستحقي أشد العقوبات التي هي عذاب النار فقوله تعالى أنهم أصحاب النار في محل رفع بدل من قوله تعالى كلمة ربك أو في محل نصب بحذف لام التعليل أي لأنهم ملازموا النار أبدا وقرأ نافع وابن عامر كلمات بالجمع (الذين يحملون

بينهم) أي حكم بين أهل الجنة والنار (وقيل الحمد لله رب العالمين) ﴿سورة المؤمن مكية وهي ثمانون وآيتان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) مبتدأ وخبره (من الله العزيز العليم غافر الذنب) لمن قال لا اله الا الله (وقابل التوب) ممن قال لا اله الا الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا اله الا الله (ذي الطول) أي ذي الغنى والسعة (ما يجادل في آيات الله) أي في دفعها وابطالها (فلا يغررك تقلبهم) أي تصرفهم (في البلاد) أي للتجارات يعني سلامتهم بعد كفرهم حتى انهم يتصرفون حيث شاءوا فان عاقبتهم الهلاك كعاقبة من كان قبلهم من الكفار وقوله (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم) يعني الذين تحزبوا على أنبيائهم بالمخالفة والعداوة كعاد وثمود (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أي قصدت كل أمة رسولها ليتمكنوا منه ويقتلوه (وجادلوا بالباطل) بباطلهم (ليدحضوا) أي ليدفعوا (به الحق فأخذتهم) فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) استفهام تقرير (وكذلك) أي ومثل ما ذكرنا (حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) يعني قوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك الآية ثم أخبر بفضل المؤمنين وأن الملائكة يستغفرون لهم فقال (الذين يحملون العرش)

العرش) وهم في الدنيا أربعة وفي يوم القيامة ثمانية أرجلهم في الارض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم (ومن حوله) وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة (يسبحون بحمد ربهم) قال شهر بن حوشب وحملة العرش يوم القيامة ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك اه ولا شك أن حملة العرش أشراف الملائكة وأكابرهم روى في الحديث أن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة (ويؤمنون به) وهذا تنبيه على أن الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش لكان حملة العرش والحافون حوله يشاهدونه ولما كان ايمانهم بوجود الله موجبا للمدح لان الاقرار بوجود شيء حاضر معاين لا يوجب الثناء ألا ترى أن الاقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله على سبيل المدح والتعظيم علم انهم آمنوا به من غير أن يشاهدوه تعالى حاضرا هناك (ويستغفرون للذين آمنوا) شفقة على خلق الله وقد ثبت أن كمال السعادة مربوط بأمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ويجب أن يكون التعظيم لأمر الله مقدما على الشفقة لخلق الله فالتسبيح مشعر بالتعظيم لله والدعاء للمؤمنين مشعر بالشفقة عليهم وقيل هذا الاستغفار في مقابلة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لمن تكلموا فيهم وهو كالتنبيه لغيرهم على أنه يجب على من تكلم في أحد بشيء يكرهه أن يستغفر له وعلى من آذى غيره أن يجبره بايصال نفع اليه (ربنا) وهذا معمول لقول مضمر في محل نصب على الحال من فاعل يستغفرون أي قائلين ربنا الخ وهذا دليل على أن السنة في الدعاء أن يبدأ فيه بالثناء على الله تعالى ثم يدعو عقبه فان الملائكة لما عزموا على الدعاء للمؤمنين بدأوا بالثناء فقالوا ربنا (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلمك فكل موجود نال من رحمة الله نصيبا لان وجود الممكن بايجاده تعالى فذلك رحمة فلا موجود غير الله الا وقد وصل اليه نصيب من رحمة الله وعلمه تعالى محيط بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزئيات (فاغفر للذين تابوا) من الكفر وان أصروا على الفسق بأن تسقط العقاب عنهم (واتبعوا سبيلك) في الشريعة (وقهم عذاب الجحيم) أي ادفع عنهم عذاب النار (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم) اياها وقرئ جنة عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) ومن معطوف على مفعول أدخل أي وأدخل معهم في الجنة من آمن من هؤلاء الطوائف الثلاثة ليتضاعف ابتهاجهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي أين زوجتي أين ولدي فيقال له انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع بأهله في الجنة كان أكمل في سروره ولذته وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام وقرأ عيسى وذريتهم بالافراد (انك أنت العزيز) أي القادر الذي لا يساويه أحد في القدرة (الحكيم) أي الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة (وقهم السيئات) أي ادفع عنهم العقوبات عند موقف القيامة وعند الحساب والسؤال أو صنهم في الدنيا عن العقائد الفاسدة والاعمال الفاسدة (ومن تق السيئات يومئذ) أي ومن تدفع عنه العقوبات أو من تصنه في الدنيا عن المعاصي (فقد رحمته) أي عصمته وعظمته (وذلك) أي الرحمة (هو الفوز العظيم) حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعما لا ينقطع وبأعمال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه عظمته (ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أي ان الذين كفروا يناديهم خزنة جهنم لانكار الله لكم في الدنيا حين تدعون من جهة الأنبياء الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر اتباعا لأنفسكم الامارة بالسوء أو اقتداء

العرش ومن حوله) من الملائكة وقوله (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك كل شيء وعلمت كل شيء (ان الذين كفروا ينادون) وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين وقعوا في العذاب (لمقت الله) اياكم أنفسكم في الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون

بأخلاقكم الضلين أكبر من انكاركم أنفسكم الأمارة بالسوء الآن أو من انكار بعضكم بعضا اليوم وذلك أنهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا أنفسهم على اصرارهم على تكذيب هذه الاشياء فى الدنيا أو أن الاتباع يشتد مقتهم الآن للرؤساء الذين دعوهم الى الكفر فى الدنيا والرؤساء يشتد انكارهم للاتباع الآن أيضا واذ ظرف لمقت الاول وقيل يناديهم المتقون فى الآخرة من مكان بعيد وهم فى النار واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم الآن لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون (قالوا) أى الكفار (ربنا أمتنا اثنتين) أى اماتتين مرة بقبض أرواحنا ومرة بعد احيائنا لسؤال منكر ونكير فى القبور (وأحييتنا اثنتين) أى احياءتين مرة عند سؤال منكر ونكير فى القبور ومرة عند البعث وهذا أنسب بحالهم فان مقصودهم تعديد أوقات البلاء وهى أربعة الموتة الأولى والحياة فى القبر والموتة الثانية والحياة فى القيامة فهذه الاربعة أوقات المحنة فأما الحياة فى الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء فلهذا السبب لم يذكروها (فاعترفنا بذنوبنا) أى بشركنا وجحودنا بالبعث (فهل الى خروج من سبيل) أى فهل الى خروج من النار ورجوع الى الدنيا لنصلح أعمالنا من سبيل أى طريق فأجاب الله تعالى لهم بقوله (ذلكم) أى العذاب فى النار والمقت (بأنه) أى بسبب ان الشأن (اذا دعى الله وحده كفرتم) أى اذا عبد الله منفردا كفرتم بتوحيده (وان يشرك به تؤمنوا) أى ان يجعل له شريك تصدقوا بالاشراك ويقال ذلكم أى عدم سبيل خروج لكم انما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله تعالى وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله العلى الكبير) فالله أعلى كل شئ وأكبر كل شئ بحسب القدرة والالهية وذلك حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدى (هو الذى يريكم آياته) أى علامات وحدانيته وقدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) أى سبب رزق وهو المطر فالله تعالى راعى مصالح أديان العباد باظهار الآيات وراعى مصالح أبدانهم بانزال الرزق من السماء فالآيات لحياة الاديان والارزاق لحياة الابدان وعند حصولهما يكمل الانعام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (وما يتذكر) أى وما يتعظ بتلك الآيات الباهرة (الا من ينيب) أى الا من يقبل على الله بالكلية ويعرض عن غير الله (فادعوا الله) أى فاعبدوا الله أيها المؤمنون (مخلصين له الدين) من الشرك ومن الالتفات الى غير الله (ولو كره الكافرون) اخلاص العبادة منكم (رفيع الدرجات) أى الله عظيم الصفات فهو تعالى أرفع الموجودات فى جميع صفات الجلال والكمال لانه واجب الوجود لذاته وهو أول وآخر لكل ماسواه وليس له أول وآخر وهو عالم بجميع الذوات والصفات والكليات والجزئيات وهو غنى عن كل ماسواه وهو واحد يمتنع أن يحصل له ضد وند وشريك ونظير وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح (ذو العرش) أى مالكه ومدبره وخالقه وهذان خبران آخران لهو (يلقى الروح من أمره) أى ينزل الوحى الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد هو أمره تعالى (على من يشاء من عباده) وهم الأنبياء (لينذر يوم التلاق) والفاعل يعود الى من يشاء وهو الملقى عليه وقرئ لتنذر على أن الفاعل هو الروح لانها قد تؤنث وهذا الفعل ينصب مفعولين محذوفين أى لينذر من يختاره الله الناس العذاب يوم القيامة أو ان المفعول الثانى هو يوم التلاق بدليل قراءة لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ورفع يوم وسمى يوم القيامة بيوم التلاق لان الأرواح متلاقية للأجساد ولان الخلائق يتلاقون فيه فيقف بعضهم على حال بعض ولانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض ولان كل أحد يصل الى جزاء عمله ويلتقى فيه العابدون والمعبودون ويلتقى فيه الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى خارجون عن بواطن القبور وظاهرون لا يسترهم شئ من جبل وغيره وليس عليهم ثياب وتظهر أعمالهم.

قالوا ربنا أمتنا اثنتين) وذلك أنهم كانوا أمواتا نطفا فأحياهم أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) أى أريتنا من الآيات ما أوجبت علينا الاقرار بذنوبنا (فهل الى خروج) من النار (من سبيل) فقيل لهم (ذلكم) العذاب (بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله) أى فى انزال العذاب بكم لايمنعه من ذلك مانع (هو الذى يريكم آياته) دلائل توحيده (وينزل لكم من السماء رزقا) أى بالمطر (وما يتذكر) أى يتعظ بآيات الله (الا من ينيب) أى يرجع الى الله بالايمان (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى الطاعة (رفيع) أى رافع (الدرجات) لأهل الثواب فى الجنة (ذو العرش) أى مالكه وخالقه (يلقى الروح) أى الوحى الذى تحيا به القلوب من موت الكفر (من أمره) أى من قوله (على من يشاء من عباده) أى على من يختصه بالرسالة (لينذر) أى ليخوف الخلق (يوم التلاق) أى يوم يلتقى أهل الارض وأهل السماء يعنى يوم القيامة (يوم هم بارزون) أى خارجون

أعمالهم وتنكشف أسرارهم (لايخفى على الله منهم شئ) فيعلم مافعله كل واحد منهم فيجازى كلا منهم بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر وينادى مناد (لمن الملك اليوم) فيجيبه أهل المحشر (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه على وجه التحسر والندامة على مافاتهم فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس) برة أوفاجرة (بما كسبت) من خير أوشر (لاظلم اليوم) بنقص ثواب أوزيادة عذاب أى يقال لهم اذا أقروا بالملك يومئذ لله وحده اليوم تجزى الخ (ان الله سريع الحساب) اذ لايشغله شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة فى أقرب زمان (وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر) فاذ بدل من يوم الآزفة أى وأنذرهم يوم القرب من العذاب ومشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم من أماكنها فتلتصق بحلوقهم من شدة الخوف (كاظمين) أى مغمومين يتردد الغيظ فى أجوافهم فلا يمكنهم أن ينطقوا ويبينوا خوفهم (ماللظالمين من حميم) أى قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) أى ولا شفيع مقبول شفاعته (يعلم خائنة الأعين) أى استراق النظر الى مالايحل (وماتخفى الصدور) أى مضمرات القلوب (والله يقضى بالحق) اذا علم المذنب أن الله لايحكم الا بالحق فى كل مادق وجل كان خوف المذنب من الله فى الغاية القصوى (والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ) أى والذين يعبدونهم من دون الله تعالى من الأوثان لايصنعون شيئا من الشفاعة يوم القيامة ولايأمرون بخير فى الدنيا فان الكفار انما عولوا فى دفع العقاب عن أنفسهم على شفاعة هذه الأصنام فلذلك بين الله تعالى انه لافائدة فيها البتة بهذه الآية وقرأ نافع وهشام تدعون بتاء الخطاب (ان الله هو السميع البصير) أى يسمع من الكفار ثناءهم على الأصنام ويبصر سجودهم لهم ولايسمع منهم ثناءهم على الله ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله (أولم يسيروا فى الارض) أى أغفلوا ولم يسافروا فى الارض فيعتبروا بمن قبلهم (فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) من الأمم المكذبة لرسلهم (كانواهم) أى الذين مضوا من الكفار (أشد منهم) أى من هؤلاء الحاضرين من الكفار (قوة) أى قدرة على التصرفات وقرأ ابن عامر وحده منكم بكاف (وآثارا فى الارض) أى قصورا للسكنى وحصونا للقتال ومصانع للمياه (فأخذهم الله بذنوبهم) أى أهلكهم الله بسبب تكذيبهم الرسل بضروب الهلاك (وما كان لهم من الله من واق) أى لم يجدوا من يمنعهم من الله ومن يخلصهم من عذاب الله وقرأ ابن كثير بالياء فى الوقف (ذلك) العذاب فى الدنيا (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالاحكام الظاهرة وبالمعجزات الباهرة (فكفروا) بذلك (فأخذهم الله) أخذا وبيلا (انه قوى) بأخذه (شديد العقاب) لمن عاقبه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى معجزاته (وسلطان مبين) أى حجة مبينة (الى فرعون) ملك مصر (وهامان) وزير فرعون (وقارون) ابن عم موسى (فقالوا) لموسى فيما أظهره من المعجزات هنا (ساحر) وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين هذا (كذاب فلما جاءهم بالحق) أى بتلك المعجزات الباهرة (من عندنا قالوا) أى فرعون وأتباعه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أى لاتقتلوا بناتهم للخدمة وهذا القتل غير القتل الذى وقع فى وقت ولادة موسى عليه السلام لان فرعون قد كف عن قتل الولدان بعد ولادة موسى فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بنى اسرائيل لئلا ينشأوا على دين موسى فيقوى بهم زعما منه أن القتل يمنع الناس من الايمان وظنا منهم أن موسى هو الذى حكم المنجمون والكهنة بزوال ملكهم على يده (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) أى بطلان لان الله تعالى شغلهم عن ذلك القتل بما أنزل اليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان الى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله

من قبورهم (لايخفى على الله) من أعمالهم وأحوالهم (شئ) يقول الله فى ذلك اليوم (لمن الملك اليوم) ثم يجيب نفسه (لله الواحد القهار) (وأنذرهم يوم الآزفة) أى خوفهم بيوم القيامة والآزفة القريبة (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك أن القلوب ترتفع من الفزع الى الحناجر (كاظمين) أى ممتلئين غما وحزنا وخوفا (ما للظالمين) أى الكافرين (من حميم) أى من قريب (ولاشفيع يطاع) فيشفع فيها (يعلم خائنة الأعين) خيانة الأعين مسارقتها النظر الى مالايحل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أى بعلاماتنا التى تدل على صحة نبوته (وسلطان مبين) أى وحجة ظاهرة (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه) وذلك ان فرعون أمر باعادة القتل على الذكور من أولاد بنى اسرائيل لما أتاه موسى ليصدهم بذلك عن متابعة موسى (وما كيد فرعون) أى مكره وسوء صنيعه (الا فى ضلال) أى زوال وبطلان وذهاب

تعالى ولان الناس لايمتنعون من الايمان وان فعل بهم مثل هذا (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى) وغرض فرعون من هذا الكلام اخفاء خوفه لان أحدا مامنع فرعون من قتل موسى وقد كان فرعون استيقن أن موسى نبي وان ماجاء به آيات باهرة وماهو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك ويخاف من أنه لوحاول قتله لظهرت منه معجزات قاهرة تمنعه من قتله فيفتضح وكان من دهائه ووقاحته قال هذا تمويها لقومه أنه انما امتنع من قتله رعاية لقلوبهم ربما ظنوا أن موسى كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه ايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذى يكفه الا مافى نفسه من الفزع الهائل (وليدع ربه) الذى يزعم انه أرسله الى حتى يخلصه منى وهذا على سبيل الاستهزاء فى اظهار عدم المبالاة بدعائه (انى أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) الذى أنتم عليه من عبادة فرعون والأصنام (وأن يظهر فى الارض الفساد) من قتل أبنائكم واستخدام نسائكم وقرأ نافع وأبو عمرو وأن يظهر بالواو الجامعة بين أمرين وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم أو يظهر بفتح الياء والهاء ورفع الفساد فالقراآت السبعية أربعة ثنتان مع أو وهما نصب الفساد ورفعه وثنتان مع الواو كذلك وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء أى يتتابع (وقال موسى) لقومه حين سمع مايقوله اللعين من حديث قتله (إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب) وموسى عليه السلام لم يأت فى دفع شر فرعون الا بأن استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فصانه الله عن كل بلية وأوصله الى كل أمنية والمسلم اذا قال عند القراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فالله تعالى يصون دينه واخلاصه عن وساوس شياطين الجن فكذلك اذا قال المسلم أعوذ بالله عند توجه الآفات والمخافات فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات من شياطين الانس (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا أو غريبا موحدا واسمه حزقيل أو شمعان (يكتم ايمانه) من فرعون وملئه خوفا على نفسه مائة سنة (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) أى أتقصدون قتل رجل لاجل أن يقول ربى الله وحده من غير تأمل فى أمره (وقد جاءكم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرات (من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه) أى وان كان هذا الرجل كاذبا كان ضرر كذبه عائدا عليه فاتركوه (وان يك صادقا) وقد كذبتموه (يصبكم بعض الذى يعدكم) من العذاب فى الدنيا فكان الأولى على كلا التقديرين ابقاءه حيا. والحاصل أن المقصود بيان أنه لاحاجة الى قتله بل يكفيكم أن تعرضوا عنه وان تمنعوه عن اظهار دينه (ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب) وهذا كلام ذو وجهين أى لو كان موسى مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى الاحكام ولما قواه بعلامات النبوة وان كان كذلك أهلكه الله فلاحاجة لكم الى قتله وهذا اشارة الى علو شأن موسى على طريق الرمز والى التعريض لفرعون بأن الله لايهديه منهاج النجاة لانه مسرف فى عزمه على قتل موسى كذاب فى جرأته على ادعاء الالهية والله تعالى لايهدى من هذا شأنه بل يهدم أمره ولما أقام مؤمن آل فرعون أنواع الدلائل على أنه لا يجوز الاقدام على قتل موسى خوفهم فى ذلك بعذاب الله فقال (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) أى عالين الناس فى أرض مصر فلايقاومكم أحد فى هذا الوجه (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى فلاتفسدوا أمركم ولاتتعرضوا لعذاب الله بقتل موسى فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد ولما قال ذلك المؤمن هذا الكلام (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى لا أشير اليكم برأى سوى ما ذكرته أنه يجب قتله حسما لمادة الفتنة ولا أبرعنكم غير ما أظهره ولقد كذب فرعون حيث كان مضمرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى ماأدعوكم بهذا الرأى الا الى طريق الصواب والصلاح وقرئ بتشديد الشين للمبالغة (وقال الذى آمن

(وقال فرعون) لملئه (ذرونى أقتل موسى وليدع ربه) الذى أرسله الينا فيمنعه (انى أخاف أن يبدل دينكم) الذى أنتم عليه ويبطله (وأن يظهر فى الارض الفساد) أى يفسد عليكم دينكم ان لم يبطله فلما توعده بالقتل (قال موسى إنى عذت بربى وربكم) الآية وقوله (يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل كل الذى يعدكم (ياقوم لكم الملك اليوم) هذا قول مؤمن من آل فرعون لهم أعلمهم أن لهم الملك (ظاهرين) غالبين على بنى اسرائيل فى أرض مصر ثم أعلمهم أن عذاب الله لايدفعه دافع فقال (فمن ينصرنا من بأس الله) أى يمنعنا من عذابه (ان جاءنا قال فرعون) حين منع من قتله (ما أريكم) أى من الرأى والنصيحة (الا ما أرى) لنفسى (وقال الذى آمن) يعنى مؤمن آل فرعون

رادا لهذا الكلام على فرعون مخاطبا لقومه (ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيام الأمم الماضية المتفرقة فكل أمة كان لها يوم معين فى البلاء (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) كقوم لوط أى مثل جزاء دأبهم من الكفر وايذاء الرسل والحاصل أن حزقيل خوفهم بهلاك معجل فى الدنيا (وما الله يريد ظلما للعباد) أى ان تدمير الله أولئك الأحزاب كان عدلا منه تعالى لأنهم استوجبوه بسبب تكذيبهم للأنبياء فتلك العلة قائمة ههنا فوجب حصول الحكم ههنا (و ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أى يوم القيامة فان أهل النار ينادون أهل الجنة وأهل الجنة ينادون أهل النار و يناديهم أصحاب الاعراف و ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون ياويلنا و ينادى باللعنة عليهم و ينادى بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وقرأ ابن عباس يوم التناد بتشديد الدال أى يوم فرار بعضهم من بعض (يوم تولون مدبرين) أى منصرفين عن الموقف لأنهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه (مالكم من الله من عاصم) أى مالكم مانع من عذاب الله والجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضلل الله) عن دينه (فماله من هاد) أى مرشد (ولقد جاءكم يوسف) بن يعقوب عليهما السلام (من قبل) أى من قبل موسى فان وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة وفرعون أدرك يوسف بن يعقوب وكان عمره أربعمائة سنة وأربعين سنة وقيل ان يوسف هذا هو يوسف بن افرايم بن يوسف بن يعقوب أرسله الله تعالى الى القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا وهذا من تمام وعظ حزقيل (بالبينات) أى بالمعجزات الواضحة (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) يوسف من الدين (حتى اذا هلك) أى مات يوسف (قلتم لن يبعث الله من بعده) أى من بعد موت يوسف (رسولا) وهذا تكذيب لرسالة من هو بعده مضموما الى تكذيب رسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أى مثل هذا الاضلال يضل الله من هو متغال فى عصيانه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان) أى حجة (أتاهم) من الله (كبر مقتا) أى عظم بغضا والوقف على مرتاب صالح وعلى أتاهم كاف وهذا اذا جعل الذين بدلا من من فهو فى محل نصب أو بدلا من مسرف فهو فى محل رفع وعلى هذا فهذا من كلام الرجل المؤمن أيضا وان جعل الذين مبتدأ خبره كبر كان الوقف على مرتاب تاما ولا يوقف على أتاهم لتأخر الخبر عنه وعلى هذا فهذا ابتداء كلام الله تعالى وفاعل كبر ضمير يعود الى من على الاحتمال الأول والى الجدال على الاحتمال الثانى أى كبر من ذكر أو كبر جدالهم بغير حجة بل بالبناء على التقليد أو بالبناء على الشكوك الخسيسة مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا) فمقت الله اظهار خزيهم واحلال العذاب بهم ومقت المؤمنين لهم كراهتهم أشد الكراهة (كذلك) أى مثل ذلك الطبع (يطبع الله على كل قلب متكبر) عن الايمان (جبار) عن قبول الحق قرأ ابن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائى بتنوين قلب والباقون بغير تنوين على الاضافة و يشهد لهذه القراءة قراءة عبد الله على قلب كل متكبر (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) أى بناء عاليا (لعلى أبلغ الأسباب) أى أصعد الطرق (أسباب السموات) أى طرقها الموصلة اليها (فأطلع) أى أنظر (الى اله موسى) وقرأ حفص عن عاصم أطلع بالنصب على أنه جواب الأمر أو منصوب على التوهم كما قاله أبو حيان لأن خبر لعل قد يجىء مقرونا بأن أو على أنه جواب الترجى والباقون بالرفع عطفا على أبلغ والمقصود أنه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله بطريق الحس ممتنعا فحينئذ لا سبيل الى

(ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) ثم فسر ذلك فقال (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) خوفهم ان أقاموا على كفرهم بمثل حال هؤلاء حين عذبوا ثم خوفهم بيوم القيامة وهو قوله (انى أخاف عليكم يوم التناد) وذلك أنه يكثر النداء فى ذلك اليوم ينادى بالسعادة والشقاوة و ينادى فيدعى كل أناس بامامهم (يوم تولون مدبرين) أى منصرفين عن موقف الحساب الى النار (مالكم من الله من عاصم) أى مانع يمنعكم (ولقد جاءكم يوسف من قبل) أى من قبل موسى (بالبينات) أى بالآيات المعجزات (كذلك) أى مثل ذلك الضلال (يضل الله من هو مسرف) أى مشرك (مرتاب) أى شاك فيما أتى به الأنبياء (الذين يجادلون فى آيات الله) فى ابطالها ودفعها (بغير سلطان) أى حجة (أتاهم كبر) ذلك الجدال (مقتا) أى بغضا (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا) أى قصرا طويلا (لعلى أبلغ الأسباب) أى أبواب السموات وأطرافها التى توصلنى اليها

معرفة الاله الذى يثبته موسى (وانى لأظنه كاذبا) فيما يدعيه من الرسالة (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه انهماكا لا يكف عنه بحال (وصد عن السبيل) وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بالبناء للمفعول أى صرف فرعون عن الحق والباقون بالبناء للفاعل أى منع فرعون الناس عن الطريق الموصلة الى الله وقرئ وصد بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد بالرفع على أنه معطوف على سوء عمله وقرئ وصدوا أى هو وقومه (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى وما صنع فرعون فى ابطال آيات موسى الا فى هلاك (وقال الذى آمن) وهو حزقيل (ياقوم اتبعون) فيما دعوتكم اليه (أهدكم سبيل الرشاد) أى أدلكم على سبيل يؤدى سالكه الى الخير وفى هذا تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الضلال (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أى منفعة قليلة لسرعة زوالها فهى كمتاع البيت لا يبقى (وان الآخرة هى دار القرار) أى الثبات فلا تحول عنها (من عمل سيئة) فى الدنيا (فلا يجزى) فى الآخرة (الا مثلها) أى الا ما يقابلها فى الاستحقاق فالكافر يعتقد فى كفره كونه طاعة فكان عقابه فى النار مؤبدا لأنه على عزم أن يبقى مصرا على ذلك الاعتقاد أبدا بخلاف الفاسق فان عقابه منقطع فانه يعتقد فى فسقه كونه خيانة فيكون على عزم أن لا يبقى مصرا عليه (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة) فالآتى بالايمان والمواظب على التوحيد مدة ثمانين سنة قد أتى بأعظم الصالحات وبأحسن الطاعات فوجب أن يدخل الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة يدخلون بالبناء للمفعول (يرزقون فيها) أى الجنة (بغير حساب) أى بلا هنداز فى الكثرة والسعة (وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة) أى أى شىء من المصالح فى انى أدعوكم الى الايمان الذى يوجب النجاة شفقة عليكم واعترافا بحقكم (وتدعوننى الى النار) أى وأى شىء تدعوننى الى الكفر الذى يوجب الهلاك فى النار (تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم) أى ولأشرك بالله ما ليس باله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) أى الى الايمان باله العالم فانه وان كان قادرا على التعذيب لا يغالب لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة (لاجرم أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) أى حق أن الذى تدعوننى الى عبادته من الأوثان ليس له دعوة فى الدنيا الى نفسه لأنها جمادات والجمادات لا تدعو أحدا الى عبادة نفسها أصلا وان الله تعالى اذا قلبها حيوانا فى الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) بالموت فأى عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة الأشياء الباطلة وأن يعرض عن عبادة الاله الذى لا بد وأن يكون مرجعنا اليه (وأن المسرفين) فى معصية الله كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أى ملازموها (فستذكرون ما أقول لكم) من النصائح وقت الموت ووقت مشاهدة الأهوال فى القيامة (وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد) قيل لما قال ذلك المؤمن هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه ولم يقدروا عليه لأنه قد عول فى دفع مكرهم على الله (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى شدائد مكرهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وقيل انه لما فر منهم الى جبل أرسل فرعون خلفه ألفا ليقتلوه فأكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هاربا فقتل فرعون من رجع عقوبة على عدم قتله لذلك الرجل المؤمن (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) أى أحاط بفرعون وقومه شدة العذاب وهو القتل والغرق والنار كما قال تعالى (النار يعرضون عليها) باحراقهم بها (غدوا وعشيا) أى تعرض أرواحهم فى البرزخ على النار من حين موتهم الى قيامة الساعة ولا يوقف على سوء العذاب ان جعل النار بدلا منه وان جعل خبر مبتدأ محذوف فالوقف على سوء العذاب حسن وكذا ان قرئ النار منصوبا على الاختصاص أو نحوه وان جعل النار مبتدأ وخبره ما

(وانى لأظنه كاذبا) فى ادعائه الها آخر دونى (وكذلك) أى ومثل ما وصفنا (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) أى ومنع عن الايمان (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى خسار يريد أنه خسر بكيده ولم ينفعه ذلك (وقال الذى آمن) من قوم فرعون (ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) أى طريق الصواب (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أى منفعة ينتفعون بها مدة ولا تبقى وقوله (وأشرك به ما ليس لى به علم) أى أشرك بالله شريكا لا علم لى أنه شريك له (لاجرم) أى حقا (انما تدعوننى اليه ليس له دعوة) أى اجابة دعوة يعنى لا يستجيب لأحد (فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا) أى مرجعنا (الى الله) (فستذكرون) أى اذا عاينتم العذاب (ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله) وذلك أنهم توعدوه بمخالفته دينهم (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) وذلك أنهم يعرضون على النار صباحا ومساء يقال لهم هذه منازلكم اذا بعثتم

بعده فالوقف على العذاب تام (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بفتح الهمزة وكسر الخاء أي ويوم القيامة يقول الله لخزنة جهنم أدخلوا آل فرعون في أشد العذاب والباقون بهمزة الوصل وضم الخاء والمعنى ويوم القيامة يقال لهؤلاء الكفار ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب وهو عذاب جهنم (واذ يتحاجون في النار) أي واذكر يا أشرف الخلق لقومك وقت تخاصم بعضهم بعضا في النار (فيقول الضعفاء) أي السفلة من الكفار (للذين استكبروا) أي للقادة الذين تعظموا عن الايمان (انا كنا لكم تبعا) أي أتباعا في دينكم (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) أي فهل تقدرون على أن تدفعوا عنا جزأ من العذاب والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تخجيل أولئك الرؤساء وايلام قلوبهم (قال الذين استكبروا) وهم القادة للسفلة (انا كل فيها) أي نحن وأنتم واقعون في هذا العذاب فلو قدرت على ازالة العذاب عنكم لدفعته عن أنفسنا فكل مبتدأ وفيها خبره والجملة خبر ان وقرئ كلا بالنصب على التأكيد لاسم ان أي ان كلنا واقعون في النار ثم يقولون (ان الله قد حكم بين العباد) أي يوصل الى كل أحد مقدار حقه من النعيم أو من العذاب فلا معقب لحكمه فعند ذلك يحصل اليأس للأتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم (وقال الذين في النار) من الضعفاء والمستكبرين اذا اشتدت عليهم النار وقل صبرهم (لخزنة جهنم) أي للملائكة الموكلين بعذاب أهل النار (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) أي يخفف عنا شيئا من العذاب في وقت من الأوقات (قالوا) أي الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أي ألم تنتبهوا عن هذا ولم تكن تأتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء الكفر والمعاصي (قالوا بلى) أي آتونا بها فكذبناهم (قالوا) أي الخزنة استهزاء بهم واظهارا لخيبتهم (فادعوا) أي اذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم فانا لا نجترئ على الدعاء ولا نشفع الا بالاذن في الشفاعة والا لمن كان مؤمنا (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي ضياع وهذا من كلام الله اخبارا لنبيه فالوقف على ادعوا تام أو من كلام الخزنة كما قاله الرازي وأبو السعود قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالرسل (في الحياة الدنيا) بانتقام الكفرة (ويوم يقوم الأشهاد) أي يوم يقوم كل من يشهد بأعمال العباد يوم القيامة من ملك ونبي ومؤمن بالحجة والاعتذار (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) من الكفر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر لا تنفع بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية (ولهم اللعنة) أي الاهانة (ولهم سوء الدار) وهو العقاب الشديد (ولقد آتينا موسى الهدى) أي التوراة والمعجزات (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) أي وتركنا عليهم من بعد موسى التوراة (هدى وذكرى لأولي الألباب) أي لأجل الهداية من الضلالة ولأجل التذكرة لذوي العقول السليمة فكتب أنبياء الله مشتملة على هذين القسمين بعضها دلائل في أنفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية المتقدمة (فاصبر) يا أكرم الرسل على أذى اليهود والنصارى والمشركين (ان وعد الله حق) فالله ناصرك ومنجز وعده في حقك (واستغفر لذنبك) أي تب من ترك الأولى والأفضل في بعض الأحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) أي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى والمراد منه الأمر بالمواظبة على ذكر الله باللسان وبأن لا يغفل القلب عنه (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) وجملة ان في صدورهم الخ خبر لان وجملة ماهم الخ صفة لكبر أي ان الذين يجحدون بآيات الله بغير برهان أتاهم في ذلك من الله تعالى ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق ما هم ببالغي كبره أي الذين يناصبون الجدال معك بغير حجة انما يحملهم على هذا الجدال الباطل كبر في صدورهم وذلك

(وقال الذين في النار) الى قوله (فادعوا) أي فادعوا أنتم اذا فانا لن ندعو الله لكم (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي هلاك وبطلان لأنه لا ينفعهم (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) أي بظهور حجتهم والانتصار ممن عاداهم بالعذاب في الدنيا والآخرة (ويوم يقوم الأشهاد) أي الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) في نصرتك واهلاك أعدائك (حق وسبح بحمد ربك) أي صل بالشكر منك لربك (بالعشي والابكار) يعني طرفي النهار. وقوله (ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه) أي تكبر وطمع أن يعلوا على محمد وما هم ببالغي ذلك

الكبر هو أنهم لو سلموا نبوتك لزمهم أن يكونوا تحت تصرفك لأن النبوة تحتها كل رئاسة وملك وهم لا يرضون أن يكونوا في خدمتك واتمامهم يريدون أن تكون تحت يدهم ولا يصلون الى هذا المراد بل لا بدوأن يصيروا تحت أمرك ونهيك (فاستعذ بالله) أي فالتجىء اليه تعالى من كيد من يجادلك (انه هو السميع) لأقوالهم (البصير) بأعمالهم (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) أي فالذي قدر على ابتداء خلق السموات والأرض مع عظمها قادر على اعادة الانسان الذي خلقه أولا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي ان هذا البرهان مع قوته صار بحيث لا يعرفه من ينكرون الحشر والنشر فظهر أن هؤلاء يجادلون في آيات الله بغير حجة بل بمجرد الحسد والكبر (ومايستوى الأعمى والبصير) أي لا يستوي الجاهل المقلد المستدل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) أي ولا يستوي الآتي بالأعمال الصالحة والآتي بالأعمال الفاسدة (قليلا ماتتذكرون) أي ان المجادلين وان كانوا يعلمون أن العلم خير من الجهل وأن العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا أنهم مايتعظون اتعاظا قليلا من أمثال القرآن فان الحسد يعمي قلوبهم فيعتقدون في الجهل والتقليد أنه محض المعرفة وفي الحسد والكبر أنه محض الطاعة وقرأ عاصم وحمزة والكسائي تتذكرون على الخطاب والباقون بالغيبة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) أي لا شك في مجيئها باجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس) وهم الذين ينكرون البعث (لايؤمنون) بمجيء الساعة (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أي اعبدوني أثبكم وأغفر لكم (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي أذلاء ويقال ان الدعاء هو السؤال أي ادعوني أقبل اليكم فالدعاء اعتراف بالعبودية والذلة فكأنه قيل ان تارك الدعاء انما تركه لأجل أن يستكبر عن اظهار العبودية وكل من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واجتهاده وأقاربه وأصدقائه فهو في الحقيقة مادعا الله الا باللسان أما قلبه فهو معول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله فهذا مادعا الله في الحقيقة في وقت أما اذا دعا في وقت لا يبقى في القلب التفات الى غير الله فانه تحصل الاستجابة وانقطاع القلب بالكلية عما سوى الله لا يحصل الا عند القرب من الموت فان الانسان قاطع في ذلك الوقت بأنه لا ينفعه شيء سوى فضل الله تعالى وقرأ ابن كثير وشعبة سيدخلون على صيغة المبني للمفعول (الله الذي جعل لكم الليل) باردا مظلما (لتسكنوا فيه) أي لتستريحوا فيه بالنوم والعبادة (والنهار مبصرا) أي مضيئا وهذا اعلام بوجود الاله القادر فان الاشتغال بالدعاء لا بدوأن يكون مسبوقا بحصول المعرفة وبأن من أنعم قبل السؤال بهذه النعم العالية فكيف لا ينعم بالأشياء القليلة بعد السؤال (ان الله لذو فضل على الناس) كافة باختلاف الليل والنهار ومايحتويان عليه من المنافع (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) اما لكونه حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فاذا فاته وقع في كفران هذه النعم العظيمة أولأنها لما دامت واستمرت نسيها الانسان أولاعتقاده ان هذه النعم ليست من الله تعالى بأن يعتقد أن هذه الأفلاك واجبة الدوران لذواتها (ذلكم الله ربكم) أي ذلكم المعلوم المميز بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو المقرر بكم (خالق كل شيء لا اله الا هو) وهذه أخبار أربعة عن اسم الاشارة وقرىء خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا (فأنى تؤفكون) أي فمن أي وجه تصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره ولم تعدلوا عن هذه الدلائل ومن أين تكذبون على الله بجعلكم له شركاء (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أي مثل الصرف البعيد عن مناهج العقلاء يصرف الذين كانوا ينكرون آيات الله تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا) أي منزلا في حال الحياة وبعد الممات (والسماء بناء) أي مثل القبة المضروبة على الأرض من غير عماد (وصوركم) أي أحدث

(فاستعذ بالله) أي فامتنع بالله من شرهم (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) أي أعظم في القدرة من اعادة الناس للبعث (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أي اعبدوني أثبكم وأغفر لكم وقوله (داخرين) أي صاغرين وقوله (كذلك يؤفك) يصرف أي كما صرفتم عن الحق مع قيام الدلائل يصرف عن الحق (الذين كانوا بآيات الله يجحدون) وقوله

صوّر تصوركم

صورتكم على غير نظام واحد (فأحسن صوركم) ولم يخلق الله تعالى حيوانا أحسن صورة من الانسان (ورزقكم من الطيبات) أى اللذائذ لا كرزق الدواب (ذلكم الله ربكم) أى ذلكم الذى نعت بالنعوت الجليلة هو الله المحسن اليكم (فتبارك الله) أى ثبت الله مع كثرة الخيرات (رب العالمين) أى مالكهم (هو الحى) أى المنفرد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) فلا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله (فادعوه) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك (الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خبره وفيه اضمار الأمر أى فادعوه واحمدوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل بعدها الحمد لله رب العالمين أى ولما كان تعالى موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال له الحمد لله رب العالمين (قل) لأهل مكة يا أكرم الرسل حين قالوا لك ارجع الى دين آبائك (انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أى الذين تعبدون من الأوثان (لما جاءنى البينات) أى الدلائل (من ربى) وهى أن اله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة (وامرت أن أسلم لرب العالمين) أى أن أنقاد له وأخلص توحيدى له (هو الذى خلقكم من تراب) فكل انسان مخلوق من منى وهو مخلوق من الدم وهو يتولد من الأغذية وهى منتهية الى النباتية والنبات انما يكون من التراب والماء (ثم من نطفة ثم من علقة) أى دم عبيط (ثم يخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا ثم يبقيكم (لتبلغوا أشدكم) أى كمالكم فى القوة والعقل (ثم لتكونوا شيوخا) وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم الشين والباقون بكسرها وقرئ شيخا (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله أو قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا يفعل ذلك لتعيشوا (ولتبلغوا أجلا مسمى) وهو وقت الموت (ولعلكم تعقلون) أى ولكى تعقلوا ما فى هذه الاحوال العجيبة من أنواع العبر وأقسام الدلائل فان دلائل وجود الله تعالى وقدرته اما من دلائل الآفاق وهى الليل والنهار والارض والسماء أو من دلائل الأنفس وهى التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات أو من عمر الانسان وهو على ثلاث مراتب كونه طفلا وهو فى التزايد شيئا فشيئا و بلوغه كمال النشوء وظهوره فى النقص (هو الذى يحيى و يميت) فكما أن الانتقال من صفة الى صفة أخرى يدل على الاله القادر كذلك الانتقال من الحياة الى الموت و بالعكس يدل على الاله القادر (فاذا قضى أمرا) أى أراد أى أمر كان (فانما يقول له كن فيكون) فعبر الله عن نفاذ قدرته فى الكائنات من غير معارض بما اذا قال كن فيكون (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) أى انظر الى هؤلاء المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها (أنى يصرفون) أى كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها (الذين كذبوا بالكتاب) أى بالقرآن (و بما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب (فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل) والوقف هنا تام أو كاف كما قاله أبو عمرو واذ بمعنى اذا وهو ظرف ليعلمون والسلاسل عطف على الأغلال والمعنى فسوف يعلمون وقت أن يكون الاغلال والسلاسل فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) أى وهم يجرون بتلك السلاسل فى الماء المسخن بنار جهنم وقرئ والسلاسل يسحبون بنصب السلاسل على أنه مفعول مقدم ليسحبون بفتح الياء وقرئ والسلاسل بالجر على اضمار الباء كما يدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون (ثم قيل لهم) بعد أن يعذبوا بأنواع العذاب (أينما كنتم تشركون من دون الله) أى مع الله (قالوا ضلوا عنا) أى غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا نستشفع بهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) أى بل لم نكن نعبد من قبل هذه الاعادة شيئا يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع وهذا اعتراف بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلة أو يقال بل لم نكن نعبد من قبل هذا الوقت شيئا من دون الله وهذا انكار لعبادة الصنم (كذلك) أى مثل ذلك الاضلال (يضل الله الكافرين) عن طريق الجنة

(ولتبلغوا أجلا مسمى) أى وقتا محدودا لا تجاوزونه (ولعلكم تعقلون) أى ولكى تعقلوا أن الذى فعل ذلك لا اله غيره (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) أى فى دفعها وابطالها (أنى يصرفون) أى عن الحق (يسحبون) أى يجرون (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) أى يصيرون وقودا للنار (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله) يعنى الأصنام (قالوا ضلوا عنا) أى زالوا و بطلوا فلا نراهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) أى ضاعت عبادتنا فلم نكن نصنع شيئا (كذلك) أى كما أضلهم الله (يضل الله الكافرين

(ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى ذلكم العذاب بما كنتم تظهرون فى الدنيا من السرور بالمعصية وعبادة الأصنام وبكثرة المال والاتباع والصحة (ادخلوا أبواب جهنم) أى السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) أى لايخرجون منها ولايموتون فيها (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) على ايذائهم وايحاشهم بتلك المجادلات (ان وعد الله) بالنصرة لك وبانزال العذاب على أعدائك (حق) أى كائن بلاشك (فامانرينك بعض الذى نعدهم) أى فان نرك بعض الذى نعد أولئك الكفار من أنواع العذاب فذلك هو المطلوب (أونتوفينك) قبل انزال العذاب عليهم (فالينا يرجعون) يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ويجوز أن يكون هذا جوابا للشرطين فالمعنى ان نعذبهم فى حياتك أولم نعذبهم فيها فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) أى أنتيا أشرف الرسل كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين وليس فيهم أحد أعطاه الله معجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم من الهم مثل ماجرى عليك وصبروا وكان قومهم يقترحون عليهم اظهار المعجزة الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت ثم ان كان الصلاح فى اظهارها أظهرناها والالم نظهرها ولم يكن ذلك قادحا فى نبوتهم فكذلك الحال فى اقتراح قومك عليك للمعجزات الزائدة (فاذا جاء أمر الله) أى جاء حكم الله بنزول العذاب على الأمم الماضية (قضى بالحق) أى نفذ حكم الله بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) أى وهلك فى وقت مجىء العذاب من يقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت (الله الذى جعل لكم الأنعام) أى الابل كما قاله الزجاج (لتركبوا منها) أى الابل (ومنها) أى من لحوم الابل (تأكلون ولكم فيها منافع) كألبانها وأوبارها وجلودها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) بحمل أثقالكم من بلد الى بلد (وعليها) أى الابل بالهودج فى البر (وعلى الفلك) أى السفن فى البحر (تحملون) وتسافرون (ويريكم آياته) أى دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته (فأى آيات الله تنكرون) أى ليس فى شىء من هذه الدلائل ما يمكن انكاره لانها كلها ظاهرة باهرة (أفلم يسيروا فى الارض) أى أقعدوا فلم يسيروا فى أقطار الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم الماضية المتكبرين (كانوا أكثر منهم) أى من أهل مكة فى العدد يعرف فى الاخبار (وأشد قوة) بالبدن (وآثارا فى الارض) قد بقيت بعدهم بحصون عظيمة مثل الاهرام الموجودة بمصر (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فلم ينفعهم الذى كانوا يكسبونه أوفأى شىء نفعهم مكسوبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات (فرحوا بما عندهم من العلم) أى علم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة أوعلمهم بأمور الدنيا وهو علمهم بالطبائع والصنائع ويقال أى استهزاء الكفار بالبينات وبما جاء الرسل به من علم الوحى اذلم يأخذوه بالقبول (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى دار بالكافرين جزاء استهزائهم بالرسل (فلما رأوا بأسنا) أى شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أى بالاصنام التى كنا مشركين بها مع الله تعالى لانا علمنا أنها لاتدفع عنا شيئا من عذاب الله (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أى فلم يصح أن ينفعهم ايمانهم عند رؤية عذابنا لعدم قبوله حينئذ (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى سن الله ذلك المذكور من التعذيب عند التكذيب ومن رد الايمان عند معاينة العذاب أى ان عدم قبول الايمان حال البأس سنة الله مطردة فى كل الأمم ويجوز أن يكون سنة منصوبا على التحذير أى احذروا سيرة الله فى المكذبين التى قد مضت على عباده (وخسر هنالك) أى فى تلك المواضع (الكافرون) بالله تعالى

ذلكم) أى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) بالباطل وتبطرون (فامانرينك بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك (أو نتوفينك) قبل أن ينزل بهم ذلك (فالينا يرجعون) وقوله (فاذا جاء أمر الله) أى بعذاب الأمم المكذبة (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) أى وتبين خسران أصحاب الباطل. (ولكم فيها منافع) أى من الصوف والوبر والدر والنسل (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) أى من حمل أثقالكم الى البلاد وقوله (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) رضوا (بما عندهم من العلم) وقالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب قوله (سنة الله) أى سن الله هذه السنة فى الأمم كلها أن لن ينفعهم الايمان اذا رأوا العذاب (وخسر هنالك الكافرون) أى تبين لهم الخسران

(سورة

﴿ سورة السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة حم السجدة وسورة المصابيح ﴾
﴿ مكية وهي أربع وخمسون آية . وسبعمائة وتسعة وتسعون ﴾
﴿ كلمة . وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفا ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم) أي هذا حم (تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أي جعلت آيات الكتاب تفاصيل في معادن مختلفة فبعضها في ذات الله وصفاته وفي عجائب أفعاله و بعضها في أحوال التكاليف و بعضها في الوعد والوعيد ودرجات أهل الجنة ودركات أهل النار و بعضها في المواعظ والنصائح و بعضها في تهذيب الاخلاق و بعضها في قصص الأولين (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أو على الحالية من كتاب أو من آياته (لقوم يعلمون) أي كائنا لقوم عرب فاللام متعلقة بمحذوف صفة ثانية لقرآنا (بشيرا) للطيعين بالثواب (ونذيرا) للمجرمين بالعقاب وقرأ زيد بن علي برفع الاسمين (فأعرض أكثرهم) عن تدبر هذا الكتاب مع كونهم بلغتهم (فهم لا يسمعون) سماع طاعة ولا يلتفتون اليه فكون الكتاب نازلا من عند الرحمن الرحيم يدل على اشتماله على أفضل النافع وأجل للطالب وكونه قرآنا عربيا يدل على انه في غاية الكشف والبيان وكونه بشيرا ونذيرا يدل على ان الاحتياج الى فهم ما فيه من أهم المهمات واعراضهم عنه يدل على انه لا مهدى الا من هداه الله ولا ضال الا من أضله الله (وقالوا) أي كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن (قلوبنا في أكنة) أي أغطية (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفي آذاننا وقر) أي صمم (ومن بيننا و بينك حجاب) أي ستر غليظ يمنعنا عن مواصلتنا اياك (فاعمل) أي استمر على دينك وهو التوحيد (اننا عاملون) أي مستمرون على ديننا وهو الاشراك (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي) أي قل يا أشرف الخلق اني لا أقدر على أن أحملكم على الايمان قهرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز بيني و بينكم الا بمجرد أن الله تعالى أوحى الي دونكم فانا أبلغ هذا الوحي اليكم فان شرفكم الله قبلتموه وان خذلكم رددتموه وذلك لا يتعلق بنبوتي ورسالتي وذلك الوحي يرجع الى أمرين العلم والعمل فالعلم رئيسه معرفة ان الله واحد وهو المراد من قوله تعالى (أنما الهكم اله واحد) واذا كان الحق ذلك التوحيد وجب علينا ان نعترف به وهو المراد من قوله تعالى (فاستقيموا اليه) أي استقيموا في أفعالكم متوجهين الى الاله الواحد ثم أمر الله تعالى بوظيفة العمل ورئيسه الاستغفار فلهذا السبب قال (واستغفروه) لاجل الخوف من وقوع التقصير في العمل الآتي به (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) فالله تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاثة الشرك والامتناع من الزكاة وانكار القيامة فان أعظم الطاعات التعظيم لامر الله وأفضل أبوابه الاقرار بكون الله واحدا واذا كان التوحيد أعظم الطاعات كان الشرك أخسها لانه ضد التوحيد ولما كان أفضل أنواع المعاملة مع الخلق اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة أخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله أي لا يقولون لا إله إلا الله فانها زكاة الأنفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من لوث الشرك بقولهم لا إله إلا الله وقال الحسن وقتادة أي لا يعتقدون اعطاء الزكاة واجبا وقال مجاهد لا تزكو أعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع قيل نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأحسن ما كانوا يعملونه و يقال يكتب ثواب أعمالهم بعد الهرم أو الموت الى يوم القيامة غير منقوص وقيل لا يمنون بذلك الاجر (قل) يا أشرف الخلق (أئنكم) يا أهل

﴿ تفسير سورة فصلت ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(حم تنزيل) ابتداء وخبره (كتاب فصلت) بينت (آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) أي لمن يعلم ذلك ممن يعلم العربية (وقالوا قلوبنا في أكنة) أي أغطية (وفي آذاننا وقر) أي صمم يعني نحن في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفقه ولا يسمع (ومن بيننا و بينك حجاب) أي خلاف في الدين فلا يجتمع معك ولا يوافقك (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا وقوله (فاستقيموا اليه) أي وجهوا اليه وجوهكم بالطاعة (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أي لا يؤمنون بوجوبها فلا يؤتونها

مكة (لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) أى لتكفرون بالعظيم الشأن الذى حكم بأن الارض ستوجد فى مقدار يومين (وتجعلون له أندادا) أى نظراء والحال انه لا يمكن له نظير واحد أى ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الأشياء العظيمة فى هذه المدة الصغيرة كيف يليق بالعقل جعل الخشب المنجور والحجر المنحوت شريكا له فى العبودية (ذلك رب العالمين) أى ذلك العظيم الشأن الذى علمت من صفته أنه خالق جميع الموجودات فكيف أثبتم له أندادا من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسى) وهو عطف على خلق الارض أى وخلق فى الارض جبالا ثوابت (من فوقها) أى كائنة من فوق الارض ليرى الانسان بعينه وليتفكر ان الجبال أثقال على أثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله تعالى ولو جعل فى الارض رواسى من تحتها لاوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هى التى أمسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول (وبارك فيها) أى الارض بشق الانهار وخلق الأشجار والثمار وأصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات (وقدر فيها أقواتها) أى بأن يوجد لأهل الارض من الانواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) أى مع اليومين الأولين اللذين خلق فيهما الارض (سواء للسائلين) قرئ سواء بالحركات الثلاثة النصب على مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأربعة أى استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص والجر على الوصف أى مساويات غير مختلفة فى المقادير والرفع على تقدير هى سواء ولمن قرأه بالرفع ان يقف على أربعة أيام وقوله تعالى للسائلين اما متعلق بسواء أى مستويات لمن سأل الرزق ولمن لم يسأل أو متعلق بقدر كما قاله الزجاج أى وقدر فيها أقواتها فى تتمة أربعة أيام لاجل الطالبين للأقوات المحتاجين اليها أو متعلق بمحذوف والتقدير هذا الحصر بيان للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها فى كم يوم خلقت الارض وما فيها (ثم استوى الى السماء) أى ثم قصد الى خلق السماء أى ثم دعا داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك (وهى دخان) أى أمر ظلمانى أو دخان مرتفع من الماء (فقال لها) أى السماء (وللأرض ائتيا) الى الوجود والحصول أى كونا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهذا عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا (طوعا أو كرها) أى طائعتين أو كارهتين أى شئتما ذلك أو أبيتما (قالتا أتينا طائعين) أى أتينا أمرك منقادين لا على الكره وهذا تمثيل لكمال تأثرهما بالذات العلية عن القدرة الربانية وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا قالتا آتينا بالمد فى الفعلين أى وافقا على مرادى منكما قالتا وافقنا على ذلك أو أعطيا الطاعة من أنفسكما من أمركما قالتا أعطينا الطاعة ويقال ان الله تعالى قال للسماء والارض بعد ما فرغ منهما أعطيا ما فيكما أوجيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها للخلق أى قال لهما افعلا ما أمرتكما طوعا والا ألجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه (فقضاهن سبع سموات فى يومين) أى أتم السماء حال كونها سبع سموات فى يومين ذكر أهل الأثر ان الله تعالى خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة وأن الذى خلق أولا هو الدخان الذى هو أصل السماء ثم بعده الارض غير مدحوة ثم خلقت السماء مبسوطة متفاصلة طباقا بعضها فوق بعض ثم دحيت الارض وخلق ما فيهما من الارزاق وغيرها (وأوحى فى كل سماء أمرها) قال مقاتل أمر فى كل سماء بما أراد وقال قتادة والسدى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهم خلق فى كل سماء ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى ويقال ولله تعالى على أهل كل سماء تكليف خاص فمن

الملائكة

(قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) أى يوم الاحد والاثنين (وبارك فيها) أى باخلق فيها من المنافع (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها وما يصلح لمعاشهم من البحار والأنهار والأشجار والدواب (فى أربعة أيام) أى فى تتمة أربعة أيام وهو يوم الثلاثاء والأربعاء فصارت الجملة أربعة أيام خلق الأرض وما فيها من سبب الأقوات والمنافع والتجارات فتم أمرها فى أربعة أيام (سواء) أى استوت استواء وسواء (للسائلين) عن ذلك أى من سأل فى كم خلقت السموات والارض فيقال فى أربعة أيام (ثم استوى) قصد وعمد (الى) خلق (السماء وهى دخان) أى بخار مرتفع من الماء (فقال لها وللأرض ائتيا) بما خلقت فيكما من المنافع وأخرجاها لمصالح خلق وقال للسموات أطلعى شمسك وقمرك ونجومك وقال للارض أخرجى ماءك وثمارك (طوعا) أى طائعة أو كارهة ففعلتا ما أمرهما طوعا وهو قوله (قالتا أتينا طائعين فقضاهن) أى صنعهن وأحكمهن (سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها) أى أوحى فى أهل

الملائكة من هو فى القيام من أول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم ركوع لاينتصبون ومنهم سجود لايرفعون وذلك الأمر مختص بأهل السماء (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وهى النيرات التى خلقها فى السموات وخص كل واحد بضوء معين وطبيعة معينة وسر معين لايعلمها الا الله تعالى (وحفظا) أى وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون السمع وقيل ان حفظا مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا فبعض النجوم زينة السماء لايتحرك و بعضها يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر و بعضها رجوم للشياطين (ذلك) أى هذه التفاصيل (تقدير العزيز العليم) لأنها لاتمكن الا بقدرة كاملة وعلم محيط (فان أعرضوا) عن قبول هذه الحجة القاهرة وأصروا على التقليد (فقل) لهم (أنذرتكم صاعقة) أى خوفتكم عذابا هائلا كأنه نار معها رعد شديد (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرأ ابن الزبير والنخعى والسلمى وابن محيصن صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من صيحة العذاب روى أن ابا جهل قال فى ملأ من قريش التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والسحر والكهانة فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما ومايخفى على فأتاه فقال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فلم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا اللواء فكنت رئيسنا وان كنت أردت الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أى بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ماتستغنى به ورسول الله ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا لانرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا ياعتبة ماحبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب عتبة وأقسم لايكلم محمدا أبدا وقال والله لقد كلمته فأجابنى بشئ والله ماهو بشعر ولاسحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم ولقد علمت أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وانما خص هاتين القبيلتين لأن قريشا كانوا يمرون على بلادهم (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد أو ظرف منها منصوب بها لأنها بمعنى عذاب فالمعنى صعقة عاد وثمود وقت مجئ رسلهم اليهم (من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من جميع جوانبهم وأتوهم بجميع وجوه الحيل فلم يروا منهم الا الاعراض أى جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم أى جاءهم هود وصالح داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل فكأن جميع الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقوله تعالى (أن لاتعبدوا الا الله) فأن مفسرة بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أى بأنه لاتعبدوا أى بأن الحديث قولهم لهم لاتعبدوا الا الله أو مصدرية والجملة بعدها صلتها وصلت بالنهى كما توصل بالأمر أى جاءوهم بكونهم نهوهم عن الشرك ويجوز أن تكون أن نافية على هذا الوجه أى جاءوهم بأمرهم بالتوحيد ونفى الشرك (قالوا) أى عاد وثمود مخاطبين لهود وصالح (لوشاء ربنا) أى ارسال الرسل الى البشر (لأنزل ملائكة) أى لأرسلهم بطريق الانزال (فانا بما أرسلتم به كافرون) أى فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فأنتم لستم برسل واذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وقوله تعالى بما أرسلتم به حكاية لكلامهم على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق) أى فأما قوم هود فتعظموا فى الأرض على أهلها بغير استحقاق للتعظم (وقالوا) لهود لما هددهم بالعذاب (من أشد منا قوة) أى نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا وذلك لأن أطولهم كما قال ابن عباس كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا فقال الله تعالى ردا عليهم (أو لم يروا) أى أو لم ينظروا ولم يعلموا علما جليا

كل سماء بما أراد من الأمر والنهى وقوله (وحفظا) أى حفظناها من استماع الشياطين حفظا (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) أى خوفتكم (صاعقة) أى مهلكة تنزل بكم كما نزلت بمن قبلكم (اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم) أى أتت الرسل آباءهم ومن كان قبلهم (ومن خلفهم) ومن بعد الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم جاءتهم الرسل أنفسهم وقوله (ريحا صرصرا) أى لها صوت شديد

(أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) أى قدرة يقدر على اهلاكهم (وكانوا بآياتنا يجحدون) أى انهم كانوا يعرفون أن الآيات المنزلة على الرسل حق ولكنهم أنكروها كما ينكر المودع الوديعة (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى بلوردا شديدا يحرق ببرده كما تحرق النار بحرها أو ريحا يصوت فى هبوبه وعن ابن عباس ان الله تعالى ما أرسل على عاد من الريح الا قدر خاتمى والمراد أنه مع قلته أهلك الكل وذلك دليل على كمال قدرته تعالى (فى أيام نحسات) أى مشئومات روى أن الأيام كانت آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء قال ابن عباس وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو نحسات بسكون الحاء والباقون بكسرها (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) بسبب أنهم استكبروا فقابل الله ذلك الاستكبار بإيصال الذل اليهم وقرئ لتذيقهم بالتاء على اسناد الاذاقة الى الريح أو الى الأيام (ولعذاب الآخرة أخزى) أى أشد اهانة مما كان لهم فى الدنيا (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) أى وأما قوم صالح فبينا لهم طريق الخير والشر فاختاروا الدخول فى الضلالة على الدخول فى الرشد وقرأ الجمهور برفع ثمود ممنوعا من الصرف وقرئ بالنصب بفعل يفسره ما بعده وقرأ الأعمش وابن وثاب منونا فى الحالين والرفع أفصح لوقوع ثمود بعد حرف الابتداء وقرئ ثمود بضم الثاء (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أى داهية العذاب الذى يهينهم بشدته (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة وهى شركهم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة (ونجينا الذين آمنوا) من الفريقين (وكانوا يتقون) الأعمال التى أتى بها قوم عاد وثمود (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أى واذكر يا أشرف الخلق لقريش المعاندين لك حال الكفار فى القيامة يوم يجمع بكره الكفار الأولون والآخرون الى موقف الحساب والتعبير عنه بالنار للاعلام بأنها آخر حشرهم أو لأن حسابهم يكون على شفيرها ويحشر بالبناء للمفعول وأعداء بالرفع على قراءة الجمهور وقرأ نافع نحشر بنون العظمة وضم الشين ونصب أعداء وقرئ يحشر بالبناء للفاعل ونصب أعداء وقرئ بكسر الشين مع البناء للفاعل فى الحالين (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا ما جاءوها) أى حتى اذا حضروا موقف الحساب (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى كانطاق اللسان فتشهد وقال ابن عباس المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج (وقالوا لجلودهم) أى لأعضائهم أو لفروجهم (لم شهدتم علينا) وكنا نحابس عنكم بالجدال وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يتكلم من الآدمى فخذه وكفه اهـ وذلك لأن مقدمة الزنا انما تحصل بالكف ونهاية الأمر انما تحصل بالفخذ (قالوا) أى الجلود (أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) أى أنطقنا الله الذى أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها فان القادر على انشائكم وانطاقكم فى المرة الأولى حال ما كنتم فى الدنيا وعلى اعادتكم بعد الموت أحياء قادر على انطاقكم فى المرة الثانية وهى حال القيامة فكيف يستبعد منه انطاق الأعضاء (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أى وما كنتم تستترون بنحو الحيطان فى الدنيا عند الاقدام على الأفعال القبيحة مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك لأنكم غير عالمين بشهادتهم عليكم ولأنكم منكرون للبعث والجزاء ولكن استتاركم لأجل أنكم ظننتم أن الله لا يعلم الأعمال التى أقدمتم عليها من القبائح الخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) فاسم الاشارة مبتدأ وظنكم خبر والموصول نعت أو بدل وأرداكم حال أى ذلكم الظن المذكور ظنكم

(فى أيام نحسات) أى مشئومات عليهم (وأما ثمود فهديناهم) أى دعوناهم ودللناهم (فاستحبوا العمى على الهدى) أى فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة) أى مهلكة (العذاب الهون) أى ذى الهون وهو الهوان أى العذاب الذى يهينهم وقوله (وهو خلقكم أول مرة) ابتداء وأخبار عن الله تعالى وليس من كلام الجلود (وما كنتم تستترون) أى من (أن يشهد عليكم سمعكم) يعنى لم تكونوا تخافون أن تشهد عليكم جوارحكم فتستتروا منها (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أى ظننتم أن ما تخفون لا يعلم الله ذلك ولا يطلع عليه وذلك الظن منكم بربكم (أرداكم) أهلككم

الذي ظننتم بربكم مهلكا اياكم ويجوز أن يكون ظنكم والموصول وجملة أرداكم اخبارا (فأصبحتم من الخاسرين) أى فصرتم بسبب ذلك الظن المردى من الهالكين بالعقوبة. قال أهل التحقيق الظن قسمان حسن وفاسد فالظن الحسن أن يظن بالله تعالى الرحمة والفضل والاحسان قال ﷺ حكاية عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى والظن الفاسد أن يظن أن الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الأحوال وقال قتادة الظن نوعان ظن منج وظن مرد فالمنجى هو المحكى بقوله تعالى انى ظننت أنى ملاق حسابيه والمردى هو المحكى بقوله تعالى ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى فان أمسكوا عن الاستغاثة لأجل فرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك الفرج وتكون النار محل اقامة أبدية لهم (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) أى وان طلبوا الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه لم يعطوه ولم يجابوا اليه وقرئ وان يستعتبوا بصيغة المفعول فما هم من المعتبين بصيغة اسم الفاعل أى وان يطلبوا الى أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون اذ لا سبيل لهم الى ذلك (وقيضنا لهم قرناء) أى بعثنا لهم شركاء من الشياطين يلازمونهم (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى فزينوا لهم أمر الآخرة بأن لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وأمر الدنيا بأنها قديمة باقية لا تفنى ولا صانع الا الطبائع والأفلاك ويقال فزينوا لهم ما مضى من أعمالهم الخبيثة وما بقى من أعمالهم الخسيسة وهو ما يزعمون أنهم يعملونه (وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) أى وثبت عليهم كلمة العذاب حال كونهم كائنين فى جملة أمم من المتقدمين من الجن والانس لأنهم كانوا هالكين بالعقوبة (وقال الذين كفروا) أى كفار مكة أبو جهل وأصحابه عند قراءة النبى صلى الله عليه وسلم (لا تسمعوا لهذا القرآن) لأنه مقلب القلوب وكل من استمع له صبا اليه (والغوا فيه) أى تشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارئ (لعلكم تغلبون) أى لكى تغلبوا محمدا على قراءته فيسكت فهددهم الله بالعذاب الشديد بقوله (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) فى الدنيا بالحرمان وفنون الهوان (ولنجزينهم) فى الآخرة (أسوأ الذى كانوا يعملون) أى سيئات أعمالهم بحسب تفاوت السيئات فى الاثم ولا يجازيهم على محاسن أعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الأرحام وقرى الأضياف لأنها محبطة بالكفر وفى هذا تهديد شديد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القارئ ويخلط عليه القراءة وتعريض بمن لا يكون عند كلام الله خاضعا خاشعا (ذلك) أى جزاء أقبح أعمالهم (جزاء أعداء الله) أى جزاء معدلهم (النار) عطف بيان (لهم فيها دار الخلد) أى لهم فى دركات النار دار معينة وهى دار العذاب المخلد لهم (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) وجزاء منصوب بجزاء فان المصدر ينصب بمثله أى جزاء بسبب ما كانوا يلغون فى قراءة آياتنا وانما سمى اللغو جحودا لأنهم لما علموا أن القرآن بالغ الى حد الاعجاز خافوا من أنه لو سمعه الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة (وقال الذين كفروا) وهم متقلبون فى عذاب النار (ربنا أرنا اللذين أضلانا) عن الحق (من الجن والانس) أى الشياطين ورؤساء الانس وقال على بن أبى طالب أى من ابليس وقابيل لان الكفر سنة ابليس والقتل بغير حق سنة قابيل وقرأ ابن كثير والسوسى وابن عامر وشعبة بسكون الراء من أرنا أى أعطناهما واختلس الدورى كسر الراء وشدد ابن كثير النون من اللذين (نجعلهما تحت أقدامنا) أى ندوسهما ليكونا وقاية بيننا وبين النار فتخف عنا حرارتها نوع خفة (ليكونا من الاسفلين) أى ليكونا ممن هو أذل منا مكانا وأشد منا عذابا كما جعلانا فى الدنيا تحت أمرهما (ان الذين قالوا ربنا الله) قولا مقرونا باليقين التام والمعرفة الحقيقية (ثم استقاموا) أى ثبتوا على الاعمال الصالحة (تتنزل

(فان يصبروا) فى جهنم (فالنار مثوى لهم) أى مقامهم لا يخرجون منها (وان يستعتبوا) أى يطلبوا الصلح (فما هم من المعتبين) أى ممن يصالح ويرضى (وقيضنا لهم) أى سببنا لهم (قرناء) من الشياطين (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا حتى آثروه (وما خلفهم) من أمر الآخرة فدعوهم الى التكذيب به وأن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول فى أمم) أى مع أمم بالخسران والهلاك وقوله (والغوا فيه) أى عارضوه بكلام لا يفهم من المكاء والصفير وباطل الكلام (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته فيترك القراءة وقوله (أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل لأنهما أول من سن الضلالة من الجن والانس (نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا) فى الدرك الأسفل من النار (ان الذين قالوا ربنا الله) وحده (ثم استقاموا) أى على التوحيد فلم يشركوا به شيئا (تتنزل

عليهم الملائكة) عند الموت في القبر وعند البعث بالبشرى (ألا تخافوا) وأن مفسرة أو مخففة من الثقيلة ولا ناهية أي بأنه لا تخافوا على ما أمامكم أو مصدرية ولا اما ناهية أو نافية وقرئ لا تخافوا على أنه حال من الملائكة أي يقولون لا تخافوا (ولا تحزنوا) على ما تركتم من خلفكم فالله تعالى أخبر أن الملائكة يخبرون في أول الأمر بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا فان المستقبل في كل ساعة يصير أقرب حصولا والماضي في كل حالة أبعد حصولا ولهذا قال الشاعر

فلا زال ما تهواه أقرب من غد ✽ ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

وعند حصول هذين الأمرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية ثم بعد الفراغ من ذلك الاخبار يبشرون بحصول المنافع لأن دفع المضرة أولى بالرعاية من جلب المصلحة. وذلك قوله تعالى (وأبشروا) أي املأوا صدوركم سرورا (بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا على ألسنة الرسل (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي نحن أقرب الأقرباء اليكم فنوقظكم من المنام ونحملكم على الصلاة والصيام ونبعدكم عن الآثام في الحياة الدنيا وندفع عنكم المضرات ونجلب لكم المسرات في الآخرة بالشفاعة حيث يتعادى الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) أي الآخرة (ما تشتهي أنفسكم) من اللذائذ لأنكم منعتموها في الدنيا من الشهوات (ولكم فيها) أي الآخرة (ما تدعون) أي تطلبون (نزلا) حال من ما تدعون أي حال كون هذا رزقا مهيأ كما يهيأ للضيف مستقرا لكم (من غفور رحيم) قال العارفون هذه الآية تدل على أن هذه الأشياء جارية مجرى المهيأ للضيف والكريم جل وعلا اذا أعطى النزل فلابد وان يبعث الخلع النفيسة بعدها وتلك الخلع ليست الا السعادات الحاصلة عند رؤيته تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أي لا أحد أحسن من جهة القول ممن دعا الى طاعة الله (وعمل صالحا) أي والحال انه قد عمل صالحا في نفسه. وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الأنبياء بالمعجزات وبالحجج وبالسيف والثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالبراهين فهم نواب الأنبياء في العلم أما الملوك فهم نواب الأنبياء في القدرة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم دعاة الى طاعة الله تعالى (وقال انني من المسلمين) أي ابتهاجا بأنه منهم فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال أربعة الاولى الاقرار باللسان وهو الدعوة الى الله باقامة الدلائل اليقينية والثانية الأعمال الصالحة بالجوارح والثالثة الاعتقاد الحق بالقلب وهاتان داخلتان في قوله تعالى وعمل صالحا والرابعة الاشتغال باقامة الحجة على دين الله تعالى والموصوف بهذه الخصال الأربعة أفضل الناس وهو سيدنا محمد ﷺ وقرأ ابن أبي عبلة اني بنون واحدة (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) أي لا تستوي الدعوة الى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار ولا قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ولا تسمعوا لهذا القرآن (ادفع بالتي هي أحسن) أي ادفع جهالتهم بالطريق التي هي أحسن الطرق (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) واذا التي هي للمفاجأة ظرف مكان لمعنى التشبيه والموصول مبتدأ والجملة بعده خبره واذا معمولة لمعنى التشبيه والظرف يتقدم على عامله المعنوي أي فالذي بينك وبينه عداوة مشبه في المحبة للصديق في الدين القريب في النسب الذي لم تسبق منه عداوة اذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى والمعنى فاذا قابلت أفعال أعدائك القبيحة بالأفعال الحسنة ولم تقابل سفاهتهم بالغضب والايحاش استحيوا من تلك الأخلاق المذمومة وتركوا تلك الأفعال القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة قيل نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله ﷺ فأسلم وصار وليا مصافيا له صلى الله عليه وسلم (وما يلقاها الا الذين صبروا) أي وما يعطى هذه

الخصلة

عليهم الملائكة) أي عند الموت (ألا تخافوا) ذنوبكم (ولا تحزنوا) عليها فان الله يغفرها لكم (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي أنصاركم وأحباؤكم وهم قرناؤهم الذين كانوا معهم في الدنيا من الحفظة يقولون لهم لن نفارقكم في القيامة حتى ندخلكم الجنة (ولكم فيها ما تدعون) تتمنون وتسألون (نزلا) أي جعل الله ذلك رزقا لهم مهنأ (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الآية قيل هو رسول الله ﷺ لأنه دعا الى الله وقيل انها نزلت في المؤذنين (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) لا زائدة (ادفع) السيئة (بالتي هي أحسن) كالغضب يدفع بالصبر والجهل بالحلم والاساءة بالعفو (فاذا الذي بينك وبينه عداوة) يصير لك (كأنه ولي حميم) أي صديق قريب اذا فعلت ذلك (وما يلقاها) أي وما يلقى هذه الخصلة (الا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال الأذى

الخصلة التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين شأنهم الصبر على تحمل المكاره وتجرع الشدائد (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أى ومايوفق على هذه الفعلة أى التى هى دفع السيئة بالحسنة الا ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة أو من الخلق الحسن (واماينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) أى وان يوسوس لك الشيطان بترك ماأمرت به بأن صرفك صارف عماشرعت من الدفع بالتى هى أحسن فاستجر بالله من شره يدفعه عنك (انه هو السميع العليم) لقولك وأفعالك (ومن آياته) الدالة على وجود الله وقدرته (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق لله تعالى مسخر لأمره تعالى (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما عبدان مخلوقان مثلكم (واسجدوا لله الذى خلقهن) أى الاربعة (ان كنتم اياه تعبدون) أى ان كنتم تريدون بعبادة الشمس والقمر عبادة الله فلاتعبدوهما فان عبادة الله فى ترك عبادتهما فان الذين يعبدونهما يقولون نحن أذل من أن يحصل لنا أهلية عبودية الله تعالى ولكنا عبيد للشمس والقمر وهما عبدان لله (فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار) أى فان استكبروا عن قبول قولك يامحمد فى النهى عن السجود للشمس والقمر فدعهم وشأنهم فان لله عبادا يعبدونه من الملائكة أى والله لايعدم عابداله أبدا بل يكون من خلقه من يعبده على الدوام (وهم لايسأمون) أى لايملون عن عبادة الله تعالى ولايفترون وموضع السجود عند قوله تعالى اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن حكاه الرافعى عن أبى حنيفة وأحمد لذكر السجود قبيله وعند قوله تعالى لايسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن أبى حنيفة لان الكلام انمايتم عنده وعند الشافعى عند قوله تعالى اياه تعبدون لكن قال الشربينى والصحيح عند الشافعى عند قوله تعالى لايسأمون (ومن آياته) الدالة على قدرته تعالى ووحدانيته (أنك) أيها الانسان (ترى الارض خاشعة) أى منكسرة ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) أى تحركت بالنبات (وربت) أى انتفخت ثم تصدعت عن النبات وقرئ ربأت أى ارتفعت (ان الذى أحياها لمحيي الموتى) أى ان القادر على احياء الارض بعد موتها هو القادر على احياء هذه الأجساد بعد موتها (انه على كل شئ قدير) أى انه تعالى قادر على الممكنات فوجب أن يكون قادرا على اعادة التركيب والحياة والقدرة والعقل الى تلك الأجزاء المتفرقة (ان الذين يلحدون فى آياتنا) أى يميلون عن الحق فى أدلتنا (لايخفون علينا) فى وقت من الأوقات وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) أى الذين يميلون عن الاستقامة فى آياتنا بالطعن والتأويل الباطل فيلقون فى النار خير أم الذين يؤمنون بآياتنا فيأتون آمنين من العذاب يوم القيامة (اعملوا) ياأهل مكة (ماشئتم) من الاعمال المؤدية الى الالقاء فى النار والاتيان آمنا (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم بحسب أعمالكم وفى ذلك تهديد (ان الذين كفروا بالذكر) أى بالقرآن (لما جاءهم) لهم فى الآخرة نار جهنم أو يجازون بكفرهم (وانه) أى القرآن (لكتاب عزيز) أى غالب عديم النظير لانه بقوة حجته غلب على كل ماسواه ولان الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى لاتكذبه الكتب المتقدمة عليه كالتوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب ولايجئ كتاب من بعده يكذبه (تنزيل من حكيم) فى أمره (حميد) فى أفعاله (مايقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك) أى مايقول لك كفار قومك الا مثل ماقد قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) للمحقين

(ومايلقيها الاذو حظ عظيم) وهى الجنة (واماينزغنك من الشيطان نزغ) أى صرفك عن الاحتمال نزغ الشيطان (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك (ومن آياته) أى علاماته التى تدل على أنه واحد (الليل والنهار والشمس والقمر) الآية (فان استكبروا) يعنى الكفار عن السجود لله (فالذين عند ربك) وهم الملائكة (يسبحون له) يصلون له (بالليل والنهار وهم لايسأمون) أى لايملون (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) أى مغبرة لانبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) يعنى تحركت بالنبات (وربت) أى وانتفخت وعلت ثم تصدعت عن النبات (ان الذين يلحدون فى آياتنا) أى يميلون الكلام فيها على غير جهته بأن ينسبوها الى الكذب والسحر (لايخفون علينا) بل نعلمهم ونجازيهم بذلك (ان الذين كفروا بالذكر) أى بالقرآن (لما جاءهم وانه لكتاب عزيز) أى منيع من الشيطان والباطل (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى الكتب التى تقدمت لاتبطله ولايأتى بعده كتاب يبطله وقيل انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه (مايقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك) أى ان أ كذبك قومك فقد كذب الذين من قبلك

(وذو عقاب أليم) للمبطلين ففوض هذا الأمر الى الله واشتغل بما أمرت به وهو التبليغ والدعوة الى الله تعالى (ولوجعلناه) أى هذا الذكر (قرآنا أعجميا لقالوا) أى كفار مكة (لولا فصلت آياته) أى لم لا بينت آياته بلسان نفهمه (أ أعجمى وعربى) أى أ كلام أعجمى ورسول أو مرسل اليه عربى والمعنى انا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام العجمى الى القوم العرب ويصح لهم أن يقولوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه أى من هذا الكلام وفى آذاننا وقر منه لانفهمه ولانحيط بمعناه ولما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء أن قلوبكم فى أكنة منها وفى آذانكم وقر منها وقرئ أعجمى على الاخبار بأن القرآن أعجمى والمتكلم والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم و بعضها عربيا لافهام العرب (قل هو) أى القرآن (للذين آمنوا هدى) لانه دليل على الخيرات ويرشد الى كل السعادات (وشفاء) لانه اذا أمكنهم الاهتداء فقد حصل لهم الهدى فذلك الهدى شفاء لهم من مرض الكفر والجهل (والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر) أى والذين لايؤمنون هو حال كونه كائنا فى آذانهم صمم فوقر خبر الضمير المقدر والجملة خبر الموصول وفى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر (وهو) أى القرآن (عليهم عمى) قرأ الجمهور على صيغة المصدر وقرأ ابن عباس عم على صيغة النعت (أولئك) الموصوفون بالصمم عن الحق والعمى عن الآيات الظاهرة (ينادون من مكان بعيد) أى هم مثل البهيمة التى لاتفهم الاالنداء وقيل هم كمن ينادون من مكان بعيد لم يسمعوا وان سمعوا لم يفهموا (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فاختلف فيه) فقبله بعضهم ورده الآخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك ورده آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى لولا عدة سبقت بتأخير العذاب فى حق أمتك المكذبة الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين المكذبين والمصدقين بالعذاب الواقع بالمكذبين فى الدنيا (وانهم) أى كفار قومك (لفى شك منه) أى من كتابك (مريب) أى موقع فى شك ظاهر فلا ينبغى أن يستعظم استيحاشك من قولهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أى خفف يا أكرم الرسل على نفسك اعراضهم فانهم ان آمنوا فنفع ايمانهم يعود عليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود اليهم (وما ربك بظلام للعبيد) وهو يوصل الى كل أحد ما يليق بعمله من الجزاء فى يوم القيامة (اليه) أى الى ربك (يرد علم الساعة) أى لايعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكما أن هذا العلم ليس الا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى أوقاتها المعينة ليس الا عند الله تعالى ثم ذكر الله تعالى من أمثلة هذا الباب مثالين بقوله (وماتخرج من ثمرات من أكمامها) أى أوعيتها (وماتحمل من أنثى ولاتضع) حملها (الا بعلمه) أى الا ملابسا بعلمه المحيط أما أصحاب الكشف فهو من الهام الله تعالى وأما أصحاب علم الرمل وعلم التعبير فلا يمكنهم الجزم فى شئ من المطالب البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف وما نافية ومن فى ثمرات وفى أنثى زائدة للاستغراق وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم من ثمرات بالجمع والباقون من ثمرة بالافراد (ويوم يناديهم) أى يوم ينادى الله المشركين (أين شركائى) بحسب اعتقادكم (قالوا) أى يقولون متبرئين من اثبات الشريك لله تعالى (آذناك) أى أخبرناك وأسمعناك (مامنا من شهيد) أى ليس أحد منا يشهد بأن لك شريكا (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى غابت عنهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا ولا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وظهر لهم عدم نفعها حالتئذ (وظنوا مالهم من محيص)

وعربى) أى أقرآن أعجمى ونبى عربى (قل هو) أى القرآن (للذين آمنوا هدى) أى من الضلالة (وشفاء) من الجهل (والذين لا يؤمنون) فى ترك قبوله بمنزلة من (فى آذانهم وقر وهو) أى القرآن (عليهم عمى) لانهم لايفقهونه (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى كأنهم لقلة استماعهم وانتفاعهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لايسمعون لبعد المسافة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أى بالتصديق والتكذيب والايمان به والكفر كما فعل قومك (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى تأخير العذاب عن قومك (لقضى بينهم) أى لفرغ من هلاكهم (وانهم لفى شك منه) أى من القرآن (مريب) (اليه يرد علم الساعة) لانه لايعلمه الا الله (وما تخرج من ثمرة من أكمامها) أى أوعيتها (ويوم يناديهم أين شركائى الذين كنتم تزعمون (قالوا آذناك) أى أعلمناك (مامنا من شهيد) أى شاهد أن لك شريكا لما عاينوا القيامة تبرأوا من معبوديهم (وضل عنهم) أى زال وبطل (ما كانوا يدعون من قبل) أى يعبدون قبل يوم القيامة (وظنوا) علموا (مالهم من محيص) أى مهرب

(وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى) أى يقول لست أوقن بالبعث وعذاب الساعة وان كان الأمر على ذلك ان لى عند الله لثوابا (واذا أنعمنا على الانسان) الآية يقول اذا كان الكافر فى نعمة تباعد عن ذكر الله واذا مسته الحاجة أكثر الدعاء (قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به من أضل) منكم لانكم (فى شقاق بعيد) أى خلاف بعيد عن الحق لكفرهم بالقرآن (سنريهم آياتنا فى الآفاق) أى مايفتح الله على محمد من البلدان (وفى أنفسهم) أى فتح مكة (حتى يتبين لهم) أن القرآن حق أى صدق منزل من الله (أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) وهو يشهد لمحمد ولكتابه بالصدق (ألا انهم فى مرية) أى شك (من لقاء ربهم) أى من البعث والمصير اليه (ألا انه بكل شئ محيط) عالم

﴿تفسير سورة الشورى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم عسق) حا حكم الله ميم مجده عين علمه سين سناؤه قاف قدرته أقسم الله عز وجل بها (كذلك يوحى اليك) مامن نبى صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فهو معنى قوله كذلك يوحى اليك (والى الذين من قبلك)

أى أيقنوا أنه ليس لهم مهرب من النار (لا يسأم الانسان من دعاء الخير) أى من طلب السعة فى أسباب المعيشة (وان مسه الشر فيئوس قنوط) أى أصابته ضيقة فهو مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله ومن رحمته حتى تظهر آثاره فى الاحوال الظاهرة (ولئن أذقناه) أى الانسان (رحمة منا من بعد ضراء مسته) أى من بعد شدة أصابته (ليقولن هذا لى) أى هذه الخيرات انما حصلت لى بسبب استحقاقى لما حصل عندى من الفضائل وأعمال القرب من الله (وما أظن الساعة قائمة) أى ان الانسان يكون شديد الرغبة فى الدنيا عظيم النفرة عن الآخرة فاذا آل الأمر الى الآخرة يقول وما أظن الساعة تقوم (ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده) أى فى الآخرة (للحسنى) أى للحالة الحسنى من الكرامة وقوله ان لى الخ جواب القسم لسبقه الشرط (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أى فلنظهرن لهم أن الأمر على عكس ماتصوروه (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) أى شديد (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله (ونأى بجانبه) أى تباعد عن الشكر بكليته تعظما (واذا مسه الشر) أى أصابه فقر (فذو دعاء عريض) أى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى التضرع (قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى قل لهم يا أشرف الخلق أخبرونى ان كان هذا القرآن من الله ثم كفرتم به من أضل منكم فان حالكم فى معاداة شديدة مع محمد صلى الله عليه وسلم وأنكم كلما سمعتم هذا القرآن أعرضتم عنه وما تأملتم فيه و بالغتم فى النفرة عنه حتى قلتم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) أى سنرى أهل مكة علامات وحدانيتنا وقدرتنا فى أطراف الارض من خراب مساكن الأمم الماضية كعاد وثمود وسنريهم ذلك فى أنفسهم من الامراض والمصائب وغير ذلك (حتى يتبين لهم أنه الحق) أى أن هذا القرآن هو الحق المنزل من الله (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) و بربك فاعل والباء مزيدة وأنه بدل منه أى أولم يكفهم أن ربك على كل شئ شهيد ولم يغنهم اخباره للأمم الماضية (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) أى ان أهل مكة فى شك عظيم من البعث والقيامة (ألا انه بكل شئ محيط) أى ان الله عالم بجميع المعلومات التى لانهاية لها فيعلم بواطن هؤلاء الكفار وظواهرهم ويجازى كل أحد على فعله بحسب مايليق به ان خيرا فخير وان شرا فشر

﴿ سورة شورى وتسمى سورة حم عسق وسورة حم سق مكية وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون وثمانون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم عسق) اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقرأ ابن عباس وابن مسعود حم سق وهما خبران لمبتدإ محذوف (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أى مثل مافى هذه السورة من المعانى أوحى الله القادر على مالانهاية له العالم بجميع المعلومات الغنى عن جميع الحاجات اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم وقرأ ابن كثير يوحى بالبناء للمفعول ويروى أيضا عن أبى عمرو على أن كذلك مبتدأ و يوحى خبره المسند الى ضمير عائد عليه واسم الجلالة

مرفوع بما دل عليه يوحى أى الموحى الله وقرأ أبو حيوة والأعمش وأبان نوحى بنون العظمة فاسم الجلالة مبتدأ وعلى هاتين القراءتين فالوقف على من قبلك كاف بخلاف قراءة الجمهور فلا يوقف عليه (لمافى السموات ومافى الارض) فكل من كان موجودا فى السموات فهو عبد الله فوجب أن يكون الله منزها عن الكون فى المكان والجهة والعرش والكرسى (وهو العلى العظيم) أى هو المتعالى عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات العظيم بالقدرة وكمال الالهية فهو تعالى أعلى كل شئ وأعظم كل شئ (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى يتشققن من هيبة الله تعالى وعظمته ويبتدئ التشقق من جهتهن الفوقانية قرأ أبو عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر تكاد بالتاء ينفطرن بنون ساكنة بعد الياء وابن كثير وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء المفتوحة بعد الياء ونافع والكسائى يكاد بالياء يتفطرن بالتاء ومن قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز الوجهين فى ينفطرن ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لا يقرأ يتفطرن الا بالتاء الفوقية (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى والملائكة ينزهون الله تعالى عما لا ينبغى ملتبسين بوصفه تعالى بكونه مفيضا لكل الخيرات (ويستغفرون لمن فى الارض) أى يطلبون تجاوز الذنوب عن المؤمنين وتأخير العقوبة عن الكافرين والفاسقين طمعا فى ايمانهم وتوبتهم ويطلبون الرزق لهم وحيث لم يذكر الله تعالى عن الملائكة استغفارهم لانفسهم علمنا أنهم مبرأون عن كل الذنوب (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) فان الله تعالى يعطى المغفرة التى طلبوها ويزيدهم على ما طلبوه رحمة كاملة (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى أربابا يعبدونهم من الاصنام (الله حفيظ عليهم) أى رقيب على أعمالهم فيجازيهم عليها (وما أنت عليهم بوكيل) أى ما أنت يا أشرف الرسل بموكول اليك أمرهم ولا قسرهم على الايمان انما أنت منذر فقط (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) أى كما أوحينا اليك أنك لست حفيظا عليهم ولست وكيلا عليهم فكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتكون نذيرا لأهل أم القرى ولمن حولها من سائر الناس (وتنذر يوم الجمع) أى يوم القيامة فيجتمع فيه أهل السموات مع أهل الارض (لاريب فيه) والوقف هنا كاف (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف ففريق مبتدأ خبره الظرف بعده وقرئ بالنصب على الحالية وتنذر يوم جمعهم متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم) فى الدنيا (أمة واحدة) أى على دين واحد وهو اما الاسلام أو الكفر ولكن الله جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا وهو معنى قوله تعالى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى يدخل الله فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه (والظالمون) أى الكافرون (مالهم من ولى) أى قريب ينفعهم (ولا نصير) أى مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى (أم اتخذوا من دونه أولياء) أى بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيهات (فالله هو الولى وهو يحيى الموتى) أى ان أرادوا وليا بحق فالله هو الولى بحق لا ولى سواه لانه يحيى الموتى (وهو على كل شئ قدير) فهو حقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) أى وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم (فحكمه) راجع (الى الله) وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين (ذلكم الله ربى) أى ذلكم الحاكم بينكم هو الله مالكى (عليه توكلت) فى دفع كيد الاعداء وفى طلب كل خير (واليه أنيب) أى واليه تعالى أرجع فى كل المهمات لا الى أحد سواه (فاطر السموات والارض) بالرفع خبر خامس لذلكم أو مبتدأ خبره ما بعده وقرئ بالجر على انه

المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهون الله عن السوء (ويستغفرون لمن فى الارض) من المؤمنين (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعنى آلهة (الله حفيظ عليهم) أى يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم توكل عليهم وما عليك الا البلاغ (وكذلك) أى وهكذا (أوحينا اليك قرآنا عربيا) أى بلفظ العرب (لتنذر أم القرى) أى أهل مكة (ومن حولها) أى سائر الناس (وتنذر يوم الجمع) يعنى وتخوفهم بيوم القيامة الذى يجمع فيه الخلق (لاريب فيه) كما يرتاب الكافرون (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) اخبار عن اختلاف حال الناس فى ذلك اليوم (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أى لجعل الفريقين فريقا واحدا (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) بين انه انما يدخل الجنة من شاء فهو فضل منه (والظالمون) الكافرون (مالهم من ولى ولا نصير) أى ناصر يمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) أى بل اتخذوا (من دونه أولياء فالله هو الولى)
بدل
لاما اتخذوه من دونه (وما اختلفتم فيه من شئ) أى من أمر الدين (فحكمه الى الله) لا اليكم وقد حكم أن الدين هو الاسلام لا غيره وقوله

(جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعني حلائل (ومن الأنعام أزواجا) أي خلق الذكر والأنثى (يذرؤكم فيه) أي يكثركم بجعله لكم حلائل لأنهن سبب النسل وفيه يعني به (ليس كمثله شيء) الكاف زائدة أي ليس مثله شيء (شرع) أي بين وأظهر (لكم من الدين ماوصى به) أي أمر به (نوحا) ثم بين ذلك فقال (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والله تعالى بعث الأنبياء كلهم باقامة الدين وترك الفرقة (كبر) أي عظم وشق (على المشركين ماتدعوهم اليه) من التوحيد وترك الأوثان (الله يجتبي اليه من يشاء) أي يصطفي من يشاء لدينه فيهديه اليه (وماتفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم) أي ماتفرق أهل الكتاب الا عن علم بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك للبغي (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخيرهم الى الساعة (لقضي بينهم) أي لجوزوا بأعمالهم (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعني هذه الأمة أوتوا الكتاب بعد اليهود والنصارى (لفي شك منه مريب) يعني كفار هذه الأمة ومشركيها (فلذلك فادع) أي الى ذلك يعني الى اقامة الدين فادع الناس (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدين الذي أمرت به (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي بجميع كتب الله المنزلة (وأمرت لأعدل بينكم) أي لأسوي بينكم في الايمان بكتبكم وقيل لأعدل بينكم في القضية وقوله (لاحجة) أي لاخصومة (بيننا وبينكم) هذا منسوخ بآية القتال

بدل من الضمير أو وصف لاسم الجلالة المجرور بالى (جعل لكم من أنفسكم) أي من جنسكم من الناس (أزواجا) أي نساء (ومن الأنعام أزواجا) أي وجعل للأنعام من جنسها أصنافا ذكرا وأنثى (يذرؤكم فيه) أي يكثركم بسبب هذا الجعل لان الناس والأنعام يتوالدون به (ليس كمثله شيء) أي ليس كذاته تعالى ذوات وليس كصفاته تعالى صفات (وهو السميع البصير) للمسموعات والمرئيات (له مقاليد السموات والارض) أي له تعالى مفاتيح الرزق من السموات والارض وهي الأمطار والنباتات (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسعه لمن يشاء ويقتر (انه بكل شيء عليم) فيفعل كل مايفعل على ماينبغي أن يفعل عليه (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) أي اختار الله لكم ياأمة محمد من الدين ماوصى به نوحا ومحمدا وابراهيم وموسى وعيسى فهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع العظيمة وأن تفسيرية بمعنى أي أو مصدرية في محل نصب بدل من الموصول أو في محل جر بدل من الدين أو في محل رفع خبر مبتدا مضمر تقديره هو أن أقيموا دين الاسلام (ولاتتفرقوا فيه) أي لاتختلفوا في أصل الدين الذي لاتختلف فيه الشرائع وهو التوحيد والصلاة والصيام والحج والتقرب الى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذاية للخلق والاعتداء على الحيوان واقتحام الدناآت ومايعود بخرم المروآت فهذا كله لم يختلف على ألسنة الأنبياء (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) أي شق عليهم ماتدعوهم اليه من اقامة دين الله تعالى (الله يجتبي اليه من يشاء) أي الله يقرب الى ماتدعوهم اليه من يشاء وهو من ولد في الاسلام ويميت عليه (ويهدي اليه من ينيب) أي ويرشد اليه من يميل اليه من أهل الكفر (وماتفرقوا) أي المشركون في الدين الذي دعوا اليه (الا من بعد ماجاءهم العلم) بحقيقته (بغيا بينهم) أي حسدا منهم وطلبا للرئاسة فصار ذلك سببا لوقوع الاختلاف (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم) أي ولولا عدة ثبتت في الازل من ربك بتأخير عذاب هذه الأمة الى وقت معلوم هو يوم القيامة لأوقع القضاء بينهم من هلاكهم بالاستئصال في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) أي وان أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أعطوا كتابهم الذي هو التوراة والانجيل من بعد المختلفين في الحق لفي شك من كتابهم موقع في قلق النفس لايؤمنون به حق الايمان (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم) أي فلأجل ماحدث من الاختلافات الكثيرة في الدين فادع الناس كافة الى الاتفاق على الملة الاسلامية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما أمرك الله تعالى ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي وقل ياأكرم الرسل آمنت بما أنزل الله على الأنبياء من كتاب صح أن الله أنزله وهو الايمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض (وأمرت لأعدل بينكم) أي وأمرت بأن أعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي وأسوي بين أكابركم وأصاغركم فيما يتعلق بحكم الله تعالى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) أي ان اله الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه لاخصومة بيننا وبينكم في الدين لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمخاصمة مجال ولا للمخالفة محل سوى العناد وبعده

(والذين يحاجون فى الله) أى يخاصمون فى دين الله نبيه (من بعد ما استجيب له) أى أجيب النبى الى الدين فأسلموا ودخلوا فى دينه
(حجتهم داحضة عند ربهم) أى باطلة زائلة لانهم يخاصمون صادقا فى قوله قد ظهرت معجزته (الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان) أى
العدل والمعنى ان الله تعالى أمر أن يقتدى بكتابه فى أوامره ونواهيه وأن يعامل بالنصفة والسوية وآلة

لاجدال فان الله يجمع بين الكل يوم القيامة ويجازيه على عمله لأن مرجع الكل اليه تعالى فيظهر هناك حالنا وحالكم (والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم) أى والذين يخاصمون فى دين الله من بعد ما استجاب الناس لذلك الدين ودخلوا فيه حجتهم باطلة عند ربهم وتلك المخاصمة هى ان اليهود قالوا ألستم تقولون ان الأخذ بالمتفق عليه أولى من الأخذ بالمختلف فيه فنبوة موسى وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد ليست متفقا عليها فحينئذ وجب الأخذ باليهودية فبين الله تعالى ان هذه الحجة فاسدة وذلك لأن اليهود أطبقوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لأجل ظهور المعجزات على وفق قوله عليه السلام وقد ظهرت المعجرات على وفق قول محمد ﷺ واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة يدل على صدق صاحبها وجب الاعتراف بنبوة محمد ﷺ وان كان لا يدل على صدقه وجب أن لا يقروا بنبوة موسى عليه السلام والاقرار بنبوة موسى مع الانكار بنبوة محمد مع استوائهما فى ظهور المعجزات باطل لأنه متناقض (وعليهم غضب) لمكابرتهم الحق بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب) أى القرآن وسائر الكتب المنزلة قبلك (بالحق) أى بالصدق (والميزان) أى الشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى أى شىء يجعلك عالما بأن الساعة التى يخبر بمجيئها الكتاب شىء قريب فوجب على العاقل أن يجتهد فى النظر ويترك طريقة أهل التقليد ولما كان الرسول يهددهم بنزول القيامة قالوا على سبيل السخرية متى تقوم القيامة وليتها قامت فيظهر لنا أن الحق ما نحن عليه أو ما عليه محمد وأصحابه فدفع الله ذلك فقال (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال انكار واستهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) أى خائفون من قيامها وأهوالها لعلمهم ان التوبة تمتنع عندها (ويعلمون انها الحق) أى الكائنة بلا شك (ألا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد) أى ان الذين يدخلهم الشك فى وقوع الساعة فيجادلون فيها لفى ضلال بعيد عن الصواب لان استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب فى العدل فلو لم يحصل القيامة لزم اسناد الظلم الى الله تعالى وهذا محال فكان انكار القيامة ضلالا بعيدا (الله لطيف بعباده) أى كثير الاحسان بهم بالحياة والعقل ودفع أكثر البليات عنهم واعطاء مالا بد منه من الرزق وتأخير العذاب عمن يستحقون العذاب (يرزق من يشاء) كيفما يشاء (وهو القوى) أى القادر على ما يشاء (العزيز) أى الذى لا يغالب فلا يقدر أحد أن يمنعه عن شىء يريده (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه) أى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة نزد له ثوابه بالتضعيف الى ما نشاء ونزد له فى تسهيل سبيل الطاعات ونعطه من الدنيا ما كتبناه له (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) أى ومن كان يريد بأعماله متاع الدنيا نعطه بعض ما يطلبه حسب ما قسمناه وماله فى الآخرة ثواب لانه عمل للدنيا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أى ألكفار مكة شياطينهم الذين زينوا لهم مالم يأمر الله تعالى به من الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا فانها على ضد دين الله (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء الى يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين

ذلك الميزان ثم قال (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى فاعمل بالكتاب والعدل فلعل الساعة قد قربت منك وأنت لا تدرى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أى ظنا منهم أنها غير كائنة (والذين آمنوا مشفقون) أى خائفون (منها) لأنهم يعلمون أنهم مبعوثون ومحاسبون (ألا ان الذين يمارون) أى تدخلهم المرية والشك (فى الساعة لفى ضلال بعيد) لانهم لو فكروا لعلموا أن الذى أبداهم أولا قادر على اعادتهم (الله لطيف بعباده) حفى بار بهم برهم وفاجرهم حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم (من كان يريد حرث الآخرة) أى من أراد بعمله حرث الآخرة (نزد له فى حرثه) أى كسبه بالتضعيف بالواحد عشرا (ومن كان يريد حرث الدنيا) أى يريد بعمله الدنيا (نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) يقول من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبا فى الآخرة (أم لهم شركاء) أى بل لهم آلهة (شرعوا لهم
فى
من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بأن القضاء يوم القيامة والجزاء فيه (لقضى بينهم)
فى الدنيا

(ترى الظالمين) أى المشركين يوم القيامة (مشفقين) أى خائفين (مما كسبوا) أى من

فى الدنيا (وان الظالمين) أى الذين اختاروا مالم يأذن به الله (لهم عذاب أليم) وقرأ بعضهم وأن بفتح الهمزة عطفا على كلمة الفصل أى ولولا الوعد بأن الفصل بينهم يكون يوم القيامة وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا (ترى الظالمين) يوم القيامة (مشفقين مما كسبوا) أى خائفين خوفا شديدا من جزاء ما عملوا فى الدنيا من السيئات (وهو) جزاؤه (واقع بهم) يوم القيامة فلا ينفعهم الحذر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) أى مستقرون فى أطيب بقاع الجنات (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم فان كل الأشياء حاضرة عنده مهيأة (ذلك) أى جزاء الايمان والعمل الصالح (هو الفضل الكبير) أى فان الثواب غير واجب على الله وانما يحصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الاستحقاق (ذلك) أى الفضل الكبير (الذى يبشر الله) فى الدنيا (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين والباقون بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) أى قل يا أشرف الخلق لأهل مكة لا أسألكم أجرا قط على التبليغ بشارة ونذارة ولكن أسألكم المودة متمكنة فى أهل القرابة وحب آل محمد واجب قال الشافعى رضى الله عنه

يا راكبا قف بالمحصب من منى ● واهتف بساكن خيفها والناهض

سحرا اذا فاض الحجيج الى منى ● فيضا كما نظم الفرات الفائض

ان كان رفضا حب آل محمد ● فليشهد الثقلان أنى رافضى

(ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أى ومن يكتسب أى حسنة كانت كالمودة للقربى نزد له فى تلك الحسنة تضعيف ثوابها وقرئ يزد بالياء أى يزد الله وقرئ حسنى (ان الله غفور شكور) أى انه تعالى يحسن الى المطيعين فى ايصال الثواب اليهم وفى التفضل عليهم بزيادة أنواع كثيرة على ذلك الثواب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أى بل أيقولون اختلق محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن فاغتم رسول الله ﷺ بذلك فقال الله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) أى لو كان القرآن افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث تواتر الوحى حينا فحينا تبين أنه من عند الله ومن عادة الله ابطال الباطل وتقرير الحق بوحيه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه (انه عليم بذات الصدور) فيجرى عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والاثبات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) وروى جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله ﷺ وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفوا عن السيئات) فتارة يعفو عن الذنوب بواسطة قبول التوبة وتارة يعفوا ابتداء من غير توبة (ويعلم ما تفعلون) من خير وشر فيجازى التائب ويتجاوز عن غير التائب وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على المخاطبة والباقون بالياء على الغيبة (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يجيب الله دعاءهم

جزائه (وهو واقع بهم) لا محالة وقوله (قل لا أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة (أجرا الا المودة فى القربى) أى الا أن تحفظوا قرابتى ولا تؤذونى وتصلوا رحمى وذلك أنه لم يكن حى من قريش الا وللنبى ﷺ فيهم قرابة فكأنه يقول اذا لم تؤمنوا بى فاحفظوا قرابتى ولا تؤذونى فيهم وقيل معناه الا أن تتوددوا الى الله بما يقربكم منه وقوله الا المودة فى القربى استثناء ليس من الأول (ومن يقترف) يعمل (حسنة نزد له فيها حسنا) أى نضاعفها له (أم يقولون) أى بل يقولون يعنى أهل مكة (افترى على الله كذبا) أى تقول القرآن من نفسه (فان يشأ الله يختم على قلبك) أى يربط على قلبك بالصبر على أذاهم ثم ابتدأ فقال (ويمح الله الباطل) أى الشرك (ويحق الحق بكلماته) أى بما أنزله من كتابه على لسان نبيه وهو القرآن (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) أى اذا رجع العبد عن معصية الله الى طاعته قبل منه ذلك الرجوع وعفا عنه ما سلف وهو قوله (ويعفوا عن السيئات) وقوله (ويستجيب الذين آمنوا) أى يجيبهم الى ما يسألون

(ويزيدهم) على ما طلبوه بالدعاء (من فضله) وقال عطاء عن ابن عباس والمعنى ويثيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) أي ولو سوى الله الرزق بين الكل لامتنع كون البعض خادما للبعض ولو صار الأمر كذلك لخرب العالم وتعطلت المصالح وقال ابن عباس ولو وسع الله المال على عباده لطلبوا منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس (ولكن ينزل بقدر) أي بتقدير (ما يشاء) أن ينزله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون (انه بعباده خبير بصير) أي انه عالم بأحوال الناس وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم (وهو الذي ينزل الغيث) أي المطر الذي يغيثهم من الجدب (من بعد ما قنطوا) أي من بعد يأسهم من نزوله وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بتشديد الزاي وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش بكسر نون قنطوا (وينشر رحمته) أي منافع الغيث وما يحصل به من الخصب (وهو الولي الحميد) أي وهو الذي يتولى عباده باحسانه المحمود على ما يوصل للخلق من أقسام الرحمة (ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة) وما معطوف على السموات أي وخلق ما نشر الله فيهما من حي (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) أي وهو تعالى على جمع العقلاء للمحاسبة في أي وقت يشاء قدير (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) أي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها فما متضمنة لمعنى الشرط ولذلك جاءت الفاء في جوابها وقرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء فما بمعنى الذي وبما كسبت خبره والمعنى والذي أصابكم من الأحوال المكروهة وقع بما كسبت أيديكم (ويعفو عن كثير) من الذنوب فان الذنوب قسمان قسم يعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه وهو أكثر (وما أنتم بمعجزين في الأرض) أي بفائتين ما قضى عليكم من المصائب وان هربتم من أقطارها كل مهرب (وما لكم من دون الله من ولي) يحميكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) أي السفن الجارية (في البحر كالأعلام) أي كالجبال وقرأ نافع وأبو عمرو بالياء وصلا وابن كثير وهشام بها وقفا والباقون بحذفها للتخفيف (ان يشأ يسكن الريح) التي تجري بها السفن وقرأ نافع وحده الرياح على الجمع (فيظللن رواكد على ظهره) أي يصرن ثوابت على ظهر البحر أي غير جاريات (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) فان كان المؤمن في البلاء كان من الصابرين وان كان في النعماء كان من الشاكرين فلا يكون من الغافلين عن دلائل معرفة الله البتة (أو يوبقهن بما كسبوا) والمعنى أنه تعالى ان شاء ابتلى المسافرين في البحر باحدى بليتين اما أن يسكن الريح فتقف الجواري على متن البحر واما أن يرسل الرياح عاصفة فيها فيهلكن بسبب الاغراق بمعصيتهم (ويعف عن كثير) أي ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم وقرأ الأعمش ويعفو بالواو وقرأ بعض أهل المدينة بالنصب باضمار أن بعد الواو (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف والباقون بالنصب عطف على علة مقدرة تقديره لينتقم منهم وليعلم الخ وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم وعلى هذا فلا يوقف على كثير بخلاف القراءتين الأوليين فالوقف عليه تام فمعنى الآية وليعلم الذين ينازعون في آياتنا على وجه التكذيب أن لا مخلص لهم اذا وقفت السفن واذا عصفت الرياح فيصير ذلك سببا لاعترافهم بأن الاله النافع الضار ليس الا الله (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا) أي فما أعطيتم مما تتنافسون فيه من أثاث فهو ما تتمتعون به مدة حياتكم.

(ولو بسط الله الرزق لعباده) أي وسع عليهم الرزق (لبغوا في الأرض) أي لطغوا وعصوا (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) فيجعل واحدا فقيرا وآخر غنيا (انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث) أي المطر (من بعد ما قنطوا) أي يئس العباد من نزوله (وينشر رحمته) أي يبسط مطره (ومن آياته) أي دلائل قدرته وتوحيده (خلق السموات والأرض وما بث) أي فرق ونشر (فيهما من دابة وهو على جمعهم) للحشر (اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة) أي بلية وشدة (فبما كسبت أيديكم) أي من الاجرام أي فهي جزاء ما اكتسبتم (ويعفو عن كثير) فلا يجازي عليه (وما أنتم بمعجزين في الأرض) هربا ان هربتم لم تعجزوا الله في أخذكم (ومن آياته الجوار) أي السفن التي تجري (في البحر كالأعلام) أي كالجبال في العظم (ان يشأ يسكن الريح فيظللن) فيصرن (رواكد) أي ثوابت (على ظهره) أي على ظهر البحر لا تجري (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي لكل مؤمن (أو يوبقهن) أي يهلكهن يعني أهلها (بما كسبوا) أي من الذنوب (ويعف عن كثير) فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) أي في دفعها وابطالها (ما لهم من محيص) أي مهرب من عذاب الله (فما أوتيتم من شيء) أي من أثاث الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا)

حياتكم (وما عند الله) من الثواب (خير) مما عندكم (وأبقى) زمانا (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وعن علي رضي الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت هذه الآية (والذين يجتنبون كبائر الاثم) كالغيبة والنميمة (والفواحش) كالقتل والزنا والسرقة وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم بالافراد والموصول معطوف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (واذا ما غضبوا هم يغفرون) واذا منصوبة بيغفرون ويغفرون خبر لهم والجملة بأسرها عطف على يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف اسمية على فعلية (والذين استجابوا لربهم) أي أجابوا لربهم بالتوحيد والطاعة (وأقاموا الصلاة) أي أدوا الصلوات الخمس بشروطها وهيئاتها (وأمرهم شورى بينهم) أي اذا أرادوا أمرا تشاوروا فيما بينهم فيه ثم عملوا به ولا يعجلون في أمورهم (ومما رزقناهم) أي أعطيناهم من المال (ينفقون) أي في سبيل الخير (والذين اذا أصابهم البغي) أي الظلم (هم ينتصرون) أي ينتصفون بالقصاص لا بالمكابرة وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم السفهاء (وجزاء سيئة سيئة مثلها) أي جزاء جناية مثل تلك الجناية (فمن عفا) عن المسيء اليه (وأصلح) بينه وبين خصمه بترك المكافأة (فأجره على الله انه لا يحب الظالمين) أي البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام واعلم أن العفو على قسمين أحدهما أن يصير العفو سببا لتسكين الفتنة ولرجوعه عن جنايته فآيات العفو محمولة على هذا القسم وثانيهما أن يصير العفو سببا لمزيد جراءة الجاني ولقوة غضبه فآية الانتقام محمولة على هذا (ولمن انتصر) أي سعى في نصر نفسه بطاقته واتصف بالقصاص (بعد ظلمه) أي بعد ظلم الظالم اياه وقرئ بعدما ظلم (فأولئك) أي المنتصرون (ما عليهم من سبيل) أي من مأثم وعقاب لانهم فعلوا ما أبيح لهم (انما السبيل) أي المأثم (على الذين يظلمون الناس) أي يبدأون بالظلم أو يجاوزون في الانتقام (ويبغون في الارض بغير الحق) أي يتكبرون في الارض بلا حق (أولئك لهم عذاب أليم) بسبب ظلمهم وتطاولهم (ولمن صبر) على الأذى بأن لا يقتص (وغفر) لمن ظلمه وفوض أمره الى الله تعالى (ان ذلك) أي الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) أي من مطلوبات الله تعالى في الأمور قيل نزل قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم الى قوله تعالى لمن عزم الأمور في شأن أبي بكر الصديق وعمرو بن غزية الأنصاري في تنازع بينهما فشتم الأنصاري أبا بكر الصديق فأنزل الله تعالى في شأنهما هذه الآيات (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده) أي من أضله الله تعالى عن هذه الأشياء فليس له من هاد يهديه من بعد اضلال الله اياه (وترى الظالمين) أي المشركين يوم القيامة (لما رأوا العذاب) أي حين يرونه (يقولون هل الى مرد من سبيل) أي هل الى رجوع الى الدنيا من حيلة (وتراهم) في ذلك اليوم (يعرضون عليها) أي النار والخطاب في الموضعين لكل من تتأتى منه الرؤية (خاشعين من الذل) أي حال كونهم حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل (ينظرون من طرف خفي) أي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كما ينظر المقتول الى السيف (وقال الذين آمنوا) على سبيل التعيير للكافرين (ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) باستغراقها في العذاب (وأهليهم) بمفارقتهم لهم (يوم القيامة) ظرف لقال وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق أي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين) أي المشركين (في عذاب مقيم) أي دائم وهذا من كلام الله تصديقا للمؤمنين أو من تمام كلامهم (وما كان لهم) أي المشركين (من أولياء ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا (ومن يضلل الله) عن دينه (فما له من سبيل) أي دين

أي يتمتع به في هذه الدار (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا) قيل أنزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين أنفق جميع ماله وتصدق به فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على قوله للذين آمنوا (كبائر الاثم والفواحش) يعني الشرك وموجبات الحدود (واذا ما غضبوا هم يغفرون) أي يتجاوزون ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) أي أجابوه بالايمان والطاعة (وأمرهم شورى بينهم) أي لا ينفردون برأيهم بل يشاورون (والذين اذا أصابهم البغي) أي الظلم (هم ينتصرون) أي ينتقمون ممن ظلمهم ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) أي انما يجازى السوء بمثله فيقتص من الجاني بقدر جنايته (فمن عفا) أي ترك الانتقام (وأصلح) بينه وبين الظالم عليه بالعفو (فأجره على الله) أي ان الله يأجره على ذلك (انه لا يحب الظالمين) أي الذين يبدأون بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) أي بعد ان ظلم (فأولئك ما عليهم من سبيل) (ولمن صبر) أي على الأذى (وغفر) أي ولم يكافئ (ان ذلك) أي الصبر والغفران (لمن عزم الأمور) لانه يوجب الثواب فهو أتم عزم (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) أي متواضعين ساكنين (ينظرون) الى النار (من طرف خفي) أي مسارقة

(استجيبوا لربكم) اذدعاكم الى الايمان على لسان نبيه (من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله) وقوله من الله اما صلة للامر أى لايرده الله بعدما حكم به واما صلة ليأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لايقدر أحد على رده (مالكم من ملجأ) ينفع فى التخلص من العذاب (يومئذ) أى فى ذلك اليوم (ومالكم من نكير) أى لاتقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه من الاعمال لانه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى فان لم يقبل هؤلاء هذا الأمر فانا لم نرسلك لتقهرهم على امتثال ما أرسلناك به (ان عليك الا البلاغ) لما أرسلناك به وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) أى نعمة من الصحة والغنى والأمن (فرح بها) وأعجب بها غير شاكر لها (وان تصبهم سيئة) أى بلاء من مرض وفقر وخوف (بما قدمت أيديهم) أى بما عملوه من المعاصى (فان الانسان كفور) أى فيظهر منه الكفر ونسيان النعمة وذكر البلية من غير تأمل لسببها (لله ملك السموات والارض) فيتصرف فيهما وما فيهما كيفما يشاء ويقسم النعمة والبلية حسبما يريده (يخلق مايشاء) كيف يشاء (يهب لمن يشاء اناثا) من الأولاد (ويهب لمن يشاء الذكور) منهم (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أى يخلطهم ذكرانا واناثا (ويجعل من يشاء عقيما) أى بلا ولد (انه عليم) بما خلق (قدير) على مايشاء أن يخلقه (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء) أى وما صح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله الا على أحد ثلاثة أوجه اما أن الله يلهمه فى قلبه لا بواسطة شخص آخر ولا بسمع عين كلام الله كما فى أم موسى وكما فى رؤية ابراهيم عليه السلام فى المنام بذبح ولده واما أن الله يوصل اليه الوحى لا بواسطة شخص آخر ولكنه يسمع عين كلام الله من غير رؤية ذاته تعالى كما وقع لموسى عليه السلام واما أن الله يوصل اليه الوحى بواسطة شخص آخر وهو جبريل وهذا هو الذى يجرى بينه وبين الأنبياء فى أكثر الأوقات من الكلام روى أن اليهود قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم ينظر موسى الى الله تعالى فنزلت هذه الآية وقرأ نافع برفع يرسل باضمار مبتدا أى أو هو يرسل أو بالعطف على مايتعلق به من وراء اذ التقدير أو يسمع من وراء حجاب ووحيا فى موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه أو يرسل والتقدير الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسل رسول وكذلك فيوحى فسكنت ياؤه وأما على قراءة الجمهور بنصب يرسل ويوحى فهو معطوف على المضمر الذى يتعلق به من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحى أو اسماع الكلام من وراء حجاب أو ارسال رسول ويقال التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا أن يوحى اليه وحيا أو يسمع اسماعا من وراء حجاب أو يرسل رسولا (انه على) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجرى أفعاله على موجب الحكمة فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الالهام وثانيا باسماع الكلام وثالثا بتوسيط الملائكة الكرام (وكذلك) أى مثل ذلك الايحاء (أوحينا اليك روحا من أمرنا) أى حال كون الروح وهو القرآن بعض مانوحيه اليك لان الموحى اليه لاينحصر فى القرآن وسمى القرآن روحا لانه يفيد الحياة من موت الجهل والكفر (ما كنت تدرى) قبل الوحى (ما الكتاب ولا الايمان) أى أى شئ هو القرآن والايمان بتفصيل ما فى القرآن من الأمور التى لاتهتدى اليها العقول (ولكن جعلناه) أى الروح الذى أوحيناه اليك (نورا نهدى به من نشاء) هدايته (من عبادنا) وهو الذى يصرف اختياره الى جهة الاهتداء به (وانك لتهدى) بذلك النور من تشاء هدايته (الى صراط مستقيم) أى دين حق وقرئ لتهدى بالبناء للمفعول أى ليهديك الله وقرئ

(استجيبوا لربكم) أى بالايمان والطاعة (من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله) أى ان الله اذا أتى به لم يرده (مالكم من ملجأ يومئذ) أى مهرب من العذاب (وما لكم من نكير) أى انكار على ما ينزل بكم من العذاب أى لا تقدرون أن تنكروه فتغيروه وقوله (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أى يجعل مايهب له من الولد بعضه ذكورا وبعضه اناثا (ويجعل من يشاء عقيما) لايولد له (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) أى بأن يوحى اليه فى منامه (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى (أو يرسل رسولا) أى ملكا (فيوحى باذنه ما يشاء) أى فيكلمه عنه بما يشاء (وكذلك) أى وكما أوحينا الى سائر الرسل (أوحينا اليك روحا) أى ما يحيا به الخلق أى يهتدون به وهو القرآن (من أمرنا) أى فعلنا فى الوحى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) قبل الوحى ويعنى بالايمان شرائعه ومعالمه (ولكن جعلناه) أى جعلنا الكتاب (نورا) وقوله (وانك لتهدى) يوحينا اليك (الى صراط مستقيم)

لتدعو

لتدعو (صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الارض) أى فالذى تجوز عبادته هوالذى يملك السموات والارض (ألا الى الله تصير الأمور) أى أمور الخلائق فى الآخرة فلا حاكم سواه فيجازى كلامنهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب

﴿ سورة الزخرف مكية وهى تسع وثمانون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين) أى والكتاب المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل مايحتاج اليه فى أبواب الديانة (انا جعلناه) أى انا صيرنا الكتاب (قرآنا عربيا) أى بلغة العرب (لعلكم تعقلون) أى لكى تفهموه وتعرفوا حق النعمة فى ذلك (وانه) أى الكتاب (فى أم الكتاب) أى مثبت فى أصل الكتب السماوية وهو اللوح المحفوظ وقرأ حمزة والكسائى بكسر همزة أم الكتاب (لدينا) أى محفوظ عندنا من التغيير (لعلى) أى رفيع الشان (حكيم) أى محكم فى أبواب البلاغة والفصاحة (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أى أنترككم فنبعد عنكم المواعظ ابعادا وهذا استفهام على سبيل الانكار (أن كنتم قوما مسرفين) وقرأ حمزة والكسائى ونافع بكسر الهمزة على انها شرطية لقصد تجهيل المخاطب والباقون بالفتح على التعليل أى انا لانترك هذا الانذار بسبب كونكم منهمكين فى الاسراف وهذا الكلام يحتمل الرحمة والمبالغة فى التغليظ فالمعنى على الاول انا لانترككم مع سوء اختياركم بل نذكركم الى ان ترجعوا الى الطريق الحق وعلى الثانى أتظنون ان نترككم مع ما تريدون كلا بل نلزمكم العمل وندعوكم الى الدين ونؤاخذكم متى أخللتم بالواجب وأقدمتم على القبيح قال قتادة لوان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة (وكم أرسلنا من نبى) قبلك ياأكرم الرسل (فى الأولين) أى فى الأمم الماضية (وما يأتيهم) أى والحال انه ما يأتى الأولين (من نبى الا كانوا به يستهزئون) أى ان عادة الأمم مع الأنبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب فلاينبغى أن تتأذى من قومك بسبب اقدامهم على التكذيب لان المصيبة اذاعمت خفت (فأهلكنا أشدمنهم بطشا) أى فتسبب عن الاستهزاء بالرسل انا أهلكنا أشدقوة من أهل مكة الذين يستهزئون بك (ومضى مثل الاولين) أى سبق فى القرآن مرارا ذكر صفة الأولين فى الاهلاك (ولئن سألتهم) أى كفار مكة (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) فهم مقرون بأن خالقهن ومافيهن هو الله ذو العزة فى سلطانه والعلم فى تدبيره ومع هذا الاقرار يعبدون معه تعالى غيره وينكرون قدرته على البعث (الذى جعل لكم الأرض مهدا) أى فراشا ثابتة ولوشاء لجعلها متحركة فلايمكن الانتفاع بها فى الزراعة والأبنية وقرأ الكوفيون مهدا والباقون مهادا وهذا الموصول ابتداء الكلام من الله تعالى دال على نفسه بذكر مصنوعاته أى هو الذى الخ (وجعل لكم فيها) أى الأرض (سبلا) تسلكونها فى أسفاركم (لعلكم تهتدون) أى لكى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم ولتهتدوا بالتفكر فيها الى التوحيد والدين الحق (والذى نزل من السماء ماء بقدر) حتى يكون معاشا لكم ولأنعامكم لا كما أنزل على قوم نوح حتى أغرقهم (فأنشرنا به بلدة ميتا) أى فأحيينا بذلك الماء مكانا خاليا من النبات (كذلك تخرجون) أى مثل اخراج النبات من الأرض تخرجون من قبوركم أحياء فهذا الدليل كما يدل على قدرته تعالى وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة (والذى خلق الأزواج) أى أصناف المخلوقات (كلها) وقيل كل ماسوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار والقدام والخلف والماضى والمستقبل

﴿تفسير سورة الزخرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين) أى الذى أبان الهدى ومايحتاج اليه الامة (انا جعلناه) أى بيناه (قرآنا عربيا) أى بلغة العرب (لعلكم تعقلون) أى تعرفون أحكامه ومعانيه (وانه) يعنى القرآن (فى أم الكتاب) يعنى اللوح المحفوظ (لدينا لعلى حكيم) يريد أنه مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ بهذه الصفة (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أى أفنمسك عن انزاله ونترككم من أجل انكم لاتؤمنون به وهو قوله (أن كنتم) أى لان كنتم (قوما مسرفين) أى مشركين مجاوزين أمر الله قال قتادة والله لو أن هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا (فأهلكنا أشدمنهم) أى من قومك (بطشا) أى قوة (ومضى مثل الاولين) أى سنتهم فى العقوبة (والذى نزل من السماء ماء بقدر) أى بمقدار معلوم عند الله (فأنشرنا به) أى فأحيينا بذلك الماء (بلدة ميتا كذلك تخرجون) أى من قبوركم أحياء (والذى خلق الازواج) أى الأصناف وقوله

والذوات والصفات والصيف والشتاء والربيع والخريف (وجعل لكم من الفلك والانعام) أى الابل (ماتركبون) أى ماتركبونه (لتستووا على ظهوره) أى لتستعلوا على ظهور ماتركبونه من الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم) أى ركبتم (عليه) بأن تعرفوا ان الله تعالى خلق البحر والرياح والسفن والابل وتعرفوا ان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى وتشتغلوا بالشكر لنعم التى لانهاية لها (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين) أى ليس لنا من القوة ان نضبط هذه الدابة والفلك (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى راجعون من الدنيا الى دار البقاء كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وروى ان الحسن بن على رضى الله عنهما رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذى سخر لنا هذا فقال لهما بهذا أمرت أمرت أن تقول الحمد لله الذى هدانا للاسلام الحمد لله الذى من علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذى جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ثم تقول سبحان الذى سخر لنا هذا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سافر وركب راحلته كبر ثلاثا ثم يقول سبحان الذى سخر لنا هذا ثم قال اللهم انى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا السفر واطوعنا بعد الارض اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة على الأهل اللهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا وكان اذا رجع الى أهله يقول آيبون تائبون لربنا حامدون (وجعلوا له من عباده جزءا) أى أثبتوا أى بنو مليح له تعالى ولدا هو عبد من عباده (ان الانسان لكفور مبين) أى لمبالغ فى الكفر ظاهر الكفر (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أى بل أتخذ من خلقه أخس الصنفين واختار لكم أفضلهما (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أى واذا أخبر أحد بنى مليح بالبنت التى جعلها للرحمن شبها صار وجهه أسود من أحزان ما أخبر به والحال انه مغموم أفيرضون لله مالا يرضون لأنفسهم وقرئ مسود ومسواد واسم ظل اما ضمير يعود الى أحد وجملة وجهه مسود من المبتدا والخبر خبرها واما وجهه فمسود خبر مبتدا مقدر أى هو مسود فتقع هذه الجملة موقع خبر ظل (أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) أى أوجعلوا من عادتها ان تربى فى الزينة من الذهب والفضة ولدا لله فالتى تتربى فى الزينة تكون ناقصة الذات اذ لولا نقصانها فى ذاتها لما احتاجت فى تكميل نفسها الى الزينة والحال انها اذا احتاجت الى المخاصمة عجزت عن اقامة الحجة لضعف لسانها وقلة عقلها وبلادة طبعها وهى النساء فكيف يليق ان يكن بنات الله تعالى وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بضم الياء وفتح النون والباقون بفتح الياء وسكون النون (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى حكموا بأن الملائكة أكرم العباد على الله انقصهم رأيا وأخسهم صنفا فالقول بأن الملائكة اناث كفر وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن أى وحكموا بأن الملائكة الذين يكونون عند الرحمن لا عند هؤلاء الكفار اناث فكيف عرفوا كونهم اناثا (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وسكون الشين وأدخل قالون بينهما ألفا أى آحضروا خلقهم أى حين خلقهم (ستكتب شهادتهم) فى ديوان أعمالهم وهى قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة (ويسئلون) عنها يوم القيامة (وقالوا) أى بنو مليح (لوشاء الرحمن ماعبدناهم) أى لوشاء الله عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم فما فعلناه من عبادتنا اياهم حق مرضى عنده تعالى (مالهم بذلك) أى القول (من علم ان هم الا يخرصون) أى ماهم الا يكذبون فى ذلك القول وهو قولهم للملائكة بنات الله وان الله قد شاء

(وما كناله مقرنين) أى مطيقين (وجعلوا له من عباده جزءا) يعنى الذين جعلوا للملائكة بنات الله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم) أى أخلصكم وخصكم (بالبنين) كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين الآية (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى بما وصفه بهمن اتخاذ البنات (أو من ينشأ فى الحلية) أى نسبوا اليه من ينشأ فى الحلية يعنى البنات (وهو فى الخصام غير مبين) وذلك أن المرأة لا تكاد تقوم بحجة فى الخصومة (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى حكموا بأنهم اناث حين قالوا انهم بنات الله (أشهدوا) أى أحضروا (خلقهم) حين خلقوا (ستكتب شهادتهم) على الملائكة بأنهم بنات الله (ويسألون) عنها (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) يعنى الملائكة وذلك انهم قالوا لولم يرض بعبادتنا اياها لعجل عقوبتنا (مالهم بذلك من علم) أى مالهم بقولهم الملائكة بنات الله من علم (ان هم الا يخرصون) أى يكذبون

(أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن فيه عبادة غير الله (فهم به مستمسكون) أى متمسكون بذلك الكتاب ثم بين أنهم اتبعوا ضلالة آبائهم فقال (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين (قل

أو لو جئتكم بأهدى) بدين أهدى (مما وجدتم عليه آباءكم) أتتبعونه (قالوا) يعنى الأمم للرسل (انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم) بالعقوبة (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون) أى برىء (وجعلها كلمة) أى كلمة التوحيد (باقية فى عقبه) أى فى عقب ابراهيم لايزال من ولده من يوحد الله (لعلهم يرجعون) أى لكى يرجعوا بها أولاده من الكفر الى الايمان (بل متعت هؤلاء وآباءهم) أى فى الدنيا ولم أهلكهم (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من) احدى (القريتين) مكة والطائف (عظيم) يعنون الوليد بن المغيرة من أهل مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف قال الله (أهم يقسمون رحمة ربك) أى نبوته وكرامته فيجعلونها لمن يشاءون (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فجعلنا بعضهم غنيا وبعضهم فقيرا (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) بالمال (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أى ليسخر الاغنياء بأموالهم الفقراء ويستخدموهم فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فى الدنيا هذا بماله وهذا بأعماله فكما قسمنا هذه القسمة كذلك اصطفينا للرسالة من نشاء. ثم بين أن الآخرة أفضل من الدنيا فقال

مناعبادتنا اياهم بمشيئة الارتضاء (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون) أى هل وجدوا ذلك الباطل فى كتاب منزل قبل القرآن حتى جاز لهم أن يتمسكوا به (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بتقليد آبائهم الجهلة وقالوا انا وجدنا آباءنا على حالة عظيمة تقصد وانا مهتدون على أعمالهم (وكذلك) أى والأمر كإذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد (ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى ماأرسلنا نبيا مخوفا من قبلك الى أهل قرية الا قال من يحبون الشهوات والملاهى و يبغضون تحمل المشاق فى طلب الحق قولا مثل قول قومك (انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على طريقة تستحق أن تقصد (وانا على آثارهم) أى أعمالهم (مقتدون قل) يا أشرف الرسل لقومك قال أبو السعود صيغة الأمر أمر ماض متعلق بالنذير السابق حكاه الله تنبيه على تقدير فقلنا له قل لأنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم و يدل على ذلك أنه قرأ ابن عامر وحفص قال بصيغة الماضى أى قال كل نذير لأممهم (أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أى أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بدين أوضح فى الدلالة من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) أى قال كل أمة لنذيرها انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أصوب فانا بما أرسلت به منكرون وان كان ماجئتنا به أوضح مما كنا عليه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) بالرسل من الأمم الماضية فلا تكترث بتكذيب قومك (واذ قال ابراهيم لأبيه) آزر (وقومه) المكبين على التقليد (اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى) أى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى خلقنى و براء مصدر نعت به مبالغة وقرأ الزعفرانى وابن المنادى بضم الباء وقرأ الاعمش انى برىء بنون واحدة و بصيغة اسم الفاعل (فانه سيهدين) أى يثبتنى على الهداية والسين للتأكيد وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) أى وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التى تكلم بها كلمة باقية فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى و يدعو الى توحيده فقوله عليه السلام اننى براء مما تعبدون جار مجرى لا اله وقوله الا الذى فطرنى جار مجرى الا الله فكان مجموع قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى جاريا مجرى قوله لا اله الا الله وعلى هذا لا يوقف على قوله مما تعبدون وقرىء كلمة وفى عقبه بسكون اللام وسكون القاف (لعلهم يرجعون) أى لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم (بل متعت هؤلاء) أى بل متعت منهم أهل مكة (وآباءهم) بطول العمر وسعة الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (ورسول مبين) أى ظاهر الرسالة و يوضحها بما معه من الآيات والمعجزات فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولذا قال تعالى (ولما جاءهم الحق) أى القرآن (قالوا هذا سحر) أى خيال (وانا به كافرون) فكفروا بالقرآن واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أى من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) فى المال والجاه فالذى بمكة هو الوليد بن المغيرة والذى بالطائف هو عروة بن مسعود الثقفى (أهم يقسمون رحمة ربك) أى نبوة ربك لمن شاءوا (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض) فى الرزق (درجات) أى متفاوتة (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أى نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فى القوة والضعف والعلم والجهل والحذاقة والبلاهة والشهرة والخمول فلو سوينا

بينهم فى كل هذه الأحوال لم يخدم أحد احدا وحينئذ يفضى ذلك الى فساد نظام الدنيا وخراب العالم ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا فى أحوال الدنيا مع دناءتها فكيف يمكنهم الاعتراض على حكمنا فى تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة فكما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا (ورحمة ربك) من النبوة وسعادة الدارين (خير مما يجمعون) من الأموال فالعظيم من حاز النبوة لا من حاز الأموال الكثيرة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون) أى ولولا ان يرغب الناس فى الكفر اذا رأوا أهل الكفر فى سعة من الرزق لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لأعطينا الكافرين أكثر الأسباب المفيدة للتنعم ولجعلنا سقف بيوتهم من فضة ومصاعد من فضة يرتقون عليها وأبواب بيوتهم من فضة وسررا من فضة ينامون عليها (وزخرفا) أى زينة من كل شىء فى كل شىء وهو معطوف على سقفا ويجوز أن يكون معطوفا على محل فضة أى جعلنا بعض هذه الأشياء فضة وبعضها ذهبا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف والباقون بضمهما وقرئ معاريج (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم فهو بمعنى الا وان نافية كما فى قراءة أبى وما ذلك أى وما كل ما ذكر الا شىء يتمتع به فى الحياة الدنيا والباقون بالتخفيف فما زائدة وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة أى وانه كل ذلك لمتاع الحياة وقرئ بكسر اللام وهى تعليل وما موصولة قد حذف عائدها أى للذى هو متاع الحياة (والآخرة) أى ما فيها من فنون النعم (عند ربك للمتقين) أى عن الكفر والمعاصى فان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا (ومن يعش عن ذكر الرحمن) بضم الشين أى ومن يعرض عن القرآن وقرئ يعش بفتح الشين أى يعم وبالكسر أى يمل وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرف أن القرآن حق وهو يتجاهل (نقيض له) أى نضم اليه (شيطانا فهو) أى الشيطان (له قرين) فى الدنيا وفى النار روى أن الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ شيطانه بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار وقرئ يقيض بالياء والفاعل يعود الى الرحمن ومن قرأ يعشو فحقه أن يرفع يقيض (وانهم ليصدونهم عن السبيل) أى وان الشياطين ليصرفون قرناءهم عن سبيل الحق (ويحسبون أنهم مهتدون) أى والحال ان الكفار المعرضين عن القرآن يعتقدون أنهم على هدى (حتى اذا جاءنا) أى جاءنا كل واحد من العاشين مع قرينه الشيطان يوم القيامة فى سلسلة واحدة وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر جاءانا على صيغة التثنية أى جاءنا العاشى والشيطان (قال) أى العاشى مخاطبا لشيطانه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) اى ليت حصل بينى وبينك فى الدنيا مثل بعد ما بين المشرق والمغرب (فبئس القرين) أنت فكثرة المال والجاه توجب كمال النقصان والحرمان فى الدين والدنيا فظهر ان قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم كلام فاسد (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) وفاعل ينفع اما انكم ومدخولها واذ ظلمتم اما بدل من اليوم والمعنى ولن ينفعكم اليوم اذ تبين الآن عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا بالاشراك بالله كونكم مشتركين فى العذاب بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا واما مضمر يعود الى التمنى واذ ظلمتم تعليل لنفى النفع وكذلك أنكم بفتح الهمزة ويؤيد هذا الاحتمال قراءة ابن عامر فى رواية انكم بكسر الهمزة والمعنى ولن ينفعكم يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم لأجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا

(ورحمة ربك) يعنى الجنة (خير مما يجمعون) فى الدنيا ثم ذكر قلة خطر الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أى مجتمعين على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) أى مراقى (عليها يظهرون) أى يعلون ويصعدون (ولبيوتهم أبوابا وسررا) من فضة (عليها يتكئون وزخرفا) أى ومن زخرف وهو الذهب (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) يتمتع به فيها ثم يزول (والآخرة) الجنة (عند ربك للمتقين ومن يعش) أى يعرض (عن ذكر الرحمن نقيض) أى نسبب (له شيطانا فهو له قرين) أى لا يفارقه (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم) يمنعونهم يعنى الكافرين (عن السبيل ويحسبون) ويحسب الكافرون (أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا) يعنى الكافر (قال) لقرينه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب (فبئس القرين) أنت ثم لا يفارقه حتى يصير الى النار قال الله تعالى (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) أى أشركتم فى الدنيا (انكم فى العذاب مشتركون) اشتراككم فى

(أفأنت

(أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين) أى أفأنت وحدك من غير ارادتنا تسمع الصم الحق أو تهدى العمى حتى يبصروا الحق وتهدى من تمرنوا فى الضلال الى الهدى أى انهم بلغوا فى النفرة عن دينك الى حيث اذا أسمعتهم القرآن كانوا كالصم واذا أريتهم المعجزات كانوا كالعمين فان صممهم وعماهم كانا بسبب كونهم فى كفر بين (فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون) أى فان قبضناك قبل نزول النقمة بهم فانا منتقمون منهم بعد موتك فى الدنيا والآخرة (أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون) أى أو نرينك فى حياتك ماوعدناهم من الذل والقتل فلايعوقنا عائق لانا قادرون على عذابهم قبل موتك وبعده (فاستمسك بالذى أوحى اليك) بأن تعتقد أنه حق وبأن تعمل بموجبه وقرئ أوحى بالبناء للفاعل وهو الله تعالى (انك على صراط مستقيم) لايميل عنه الا الضال فى الدين (وانه لذكر لك ولقومك) أى وان الذى أوحى اليك لموجب شرفا عظيما لك ولقريش حيث يقال ان هذا الكتاب أنزله الله تعالى على رجل منهم (وسوف تسألون) هل أديتم شكر انعامنا عليكم بهذا الذكر الجليل (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى واسأل مؤمنى أهل التوراة والانجيل هل جاءت عبادة الأوثان فى ملة من مللهم بأمرنا فانهم يخبرونك عن كتب الرسل فاذا سألتهم فكأنك سألت الأنبياء فما جاءت الرسل الا بالتوحيد فلم يسألهم النبى ﷺ لانه كان موقنا بذلك واذا كان التوحيد متفقا عليه بين الرسل وجب أن لايجعلوه سببا لبغض محمد ﷺ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى المعجزات التى كانت مع موسى عليه السلام (الى فرعون وملئه) أى قومه (فقال انى رسول رب العالمين) اليكم فقالوا له ائت بآية (فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون) أى استهزأوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) أى الا وهى أعظم من الآية التى كانت قبلها فى زعم الناظر (وأخذناهم بالعذاب) أى بأنواع العذاب كالدم والقمل والضفادع والبرد الكبار ملتهبا بالنار وموت الأبكار (لعلهم يرجعون) أى لكى يرجعوا عن كفرهم الى الايمان (وقالوا) لموسى لما رأوا العذاب (ياأيها الساحر) أى العالم الماهر يوقرونه عليه السلام بذلك القول لاستعظامهم علم السحر (ادع لنا ربك) ليكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) أى بالذى عهده لك وكان عهد لموسى ان آمنوا كشفنا عنهم العذاب (اننا لمهتدون) أى لمؤمنون بك وبما جئت به (فلما كشفنا عنهم العذاب) بدعوته عليه السلام (اذاهم ينكثون) عهدهم فى كل مرة من مرات العذاب أى فكانوا يتوبون فى كل واحدة من العذاب فاذا انكشف عنهم نقضوا العهد بالايمان (ونادى فرعون فى قومه) أى فيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا (قال ياقوم أليس لى ملك مصر) أربعين فرسخا فى أربعين فرسخا قال مجاهد هى الاسكندرية (وهذه الأنهار) التى فصلت من النيل ومعظمها أربعة أنهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) أى من تحت قصرى (أفلا تبصرون) ذلك فقد احتج فرعون على فضيلة نفسه بكثرة أمواله وقوة جاهه (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين) أى بل أنا خير من موسى الذى هو فقير ضعيف الحال لانه يتعاطى أموره بنفسه (ولا يكاد يبين) أى يظهر حجته التى تدل على صدقه فيما يدعى (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) أى فهلا ألقى على موسى من عند مرسله مقاليد الملك ان كان صادقا فى دعواه لان عادة القوم جرت بأنهم اذا جعلوا واحدا رئيسا لهم ألبسوه سوارا من ذهب وطوقا من ذهب فطلب فرعون من موسى مثل هذه الحالة وقرأ حفص أسورة والباقون

العذاب لأن لكل واحد من العذاب نصيبه الاوفر منه (فاما نذهبن بك) أى نميتك من قبل أن نعذبهم (فانا منهم منتقمون) بعد موتك (أو نرينك) فى حياتك (الذى وعدناهم) من العذاب (وانه) يعنى القرآن (لذكر) أى لشرف (لك ولقومك) اذ نزل بلغتهم ونزل عليك وأنت منهم (وسوف تسألون) عن شكر ماجعلنا لكم من الذكر والشرف (واسأل من أرسلنا) أى أمم من أرسلنا (من قبلك من رسلنا) يعنى أهل الكتابين هل فى كتاب أحد الامر بعبادة غير الله ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان أنهم على الباطل (وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها) أى قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها (وأخذناهم بالعذاب) أى بالسنين والجراد والطوفان (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (وقالوا ياأيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك) خاطبوه بما تقدم عندهم من التسمية بالساحر وقوله بما عهد عندك أى فيمن آمن به من كشف العذاب عنه (اننا لمهتدون) أى مؤمنون (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) أى ينقضون عهدهم وقوله (وهذه الانهار تجرى من تحتى) أى بأمرى وقيل من تحت قصورى (أم أنا) أى بل أنا (خير من هذا الذى هو مهين) أى حقير ضعيف يعنى موسى (ولا يكاد يبين) أى يفصح بكلامه لعيه (فلولا) أى فهلا (ألقى عليه أساورة من ذهب) أى حلى بأساورة الذهب ان كان رئيسا مطاعا

والطوق والسوار من الذهب كانا من علامة الرئاسة عندهم (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي متتابعين يشهدون له

أساورة وقرئ ألقي عليه أسورة وأساورة على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي أو هلا جاء الملائكة ماشين مع موسى فيدلون على صحة نبوته (فاستخف قومه) أي فطلب فرعون من قومه الخفة في الاتيان بما كان يأمرهم به (فأطاعوه) فيه (انهم كانوا قوما فاسقين) حيث سارعوا الى طاعة ذلك الجاهل الفاسق (فلما آسفونا انتقمنا منهم) أي فلما أغضبوا نبينا موسى ومالوا الى ارادة عقابنا بالافراط في العصيان عاقبناهم (فأغرقناهم أجمعين) في البحر (فجعلناهم سلفا) أي متقدمين ليتعظ بهم كفار أمة محمد ﷺ وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام والباقون بفتحهما (ومثلا للآخرين) أي عظة لمن بقي بعدهم وقصة عجيبة لهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أي لما جعل عيسى مشابها للأصنام في كونه معبودا (اذا قومك) قريش (منه) أي من ذلك المثل (يصدون) أي يضحكون وترتفع أصواتهم فرحا بما سمعوا من ابن الزبعرى لظنهم أن محمدا صار مغلوبا بهذا الجدال روي انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال عبد الله بن الزبعرى هذا خاصة لنا ولآلهتنا أو لجميع الامم فقال ﷺ هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال عبد الله خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فاذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي ﷺ وفرح القوم وضجوا فنزلت هذه الآية. وعبد الله هذا صحابي مشهور وهذه القصة كانت قبل اسلامه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم بضم الصاد وهو قراءة علي بن أبي طالب والباقون بكسرها وهو قراءة ابن عباس (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) أي ان جاز لعيسى الدخول في النار مع النصارى يجوز لنا الدخول في النار مع آلهتنا وأنت تزعم ان آلهتنا ليست خيرا من عيسى فاذا كان هو من حصب جهنم كان أمر آلهتنا أهون. وقيل ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فقولهم أآلهتنا خير أم هو تفضيل لآلهتهم على عيسى وقيل ان النبي ﷺ لما حكى أن النصارى عبدوا المسيح قالوا ان محمدا يدعونا الى عبادة نفسه وآباؤنا قالوا يجب عبادة هذه الأصنام فحينئذ عبادة الأصنام أولى لأن آباءنا متطابقون عليه وأما محمد فانه متهم في أمرنا بعبادته فمعنى أآلهتنا خير أم هو أي أعبادة الأصنام خير أم عبادة محمد والوقف على أم هو تام (ما ضربوه لك الا جدلا) أي ما ضربوا لك هذا المثل الا لأجل الغلبة في القول لا لطلب الفرق بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) أي شداد الخصومة مجبولون على اللجاج فان قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله لا يتناول عيسى والملائكة لأن كلمة ما لا تتناول العقلاء البتة ولأن النصوص الدالة على تعظيم عيسى والملائكة أخص من هذا القول والخاص مقدم على العام (ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أي ما عيسى الا عبد كسائر العبيد شرفناه بالنبوة والاقدار على الخوارق وليس هو باله وصيرناه عبرة عجيبة حيث خلقناه من غير أب ليعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون) أي ولو نشاء لجعلنا من رجالكم ملائكة مستقرين في الأرض بطريق التوليد من غير واسطة نساء يخلفونكم كما تخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى بلا فحل فهذا أمر سهل علينا مع انه أعجب من حال عيسى الذي تستغربونه فانه بواسطة أم وشأن الأم الولادة (وانه لعلم للساعة) أي وان عيسى لشرط من أشراط الساعة والمعنى وان نزول عيسى من السماء علامة على قرب الساعة وقرأ ابن عباس لعلم بفتح العين واللام أي علامة وقرئ العلم وقرأ أبي لذكر وفي الحديث ان عيسى ينزل على ثنية في الأرض المقدسة

(فاستخف قومه) أي وجد قومه القبط جهالا (فلما آسفونا) أي أغضبونا بكفرهم (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا) أي متقدمين في الهلاك ليتعظ بهم من بعدهم (ومثلا للآخرين) أي عبرة لمن يجيء بعدهم (ولما ضرب ابن مريم مثلا) نزلت هذه الآية حين خاصمه الكفار لما نزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله الآية قالوا رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى بن مريم فجعلوا عيسى مثلا لآلهتهم فقال ولما ضرب ابن مريم مثلا (اذا قومك) المؤمنون (منه يصدون) أي يضجون وذلك أن المسلمين ضجوا من هذا حتى نزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وذكر الله تعالى في هذه السورة تلك القصة وهو قوله (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون عيسى (ما ضربوه لك الا جدلا) أي الا ارادة للمجادلة (بل هم قوم خصمون) أي مجادلون بالباطل ثم بين حال عيسى فقال (ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أي آية تدل على قدرة الله (ولو نشاء لجعلنا منكم) أي بدلكم (ملائكة في الأرض يخلفون) أي بأن نهلككم ونأتي بهم بدلا منكم يكونون خلفاء منكم (وانه) أي وان عيسى (لعلم للساعة) يقال

يقال لها أفيق و بيده حربة و بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام و يصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير و يكسر الصليب و يخرب البيع والكنائس و يقتل النصارى الا من آمن به (فلا تمترن بها) أي فلا تشكن في وقوع الساعة (واتبعون) أي واتبعوا هداي أو رسولي (هذا) أي الذي أدعوكم اليه (صراط مستقيم) أي موصل الى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) عن اتباعي (انه لكم عدو مبين) أي انه قد بانت عداوته لكم لأجل انه هو الذي أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى) الى بني اسرائيل (بالبينات) أي بالمعجزات وبالشرائع الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) أي بأصول الدين لأعلمكم اياها (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) وهي فروع الدين فان قوم موسى قد اختلفوا في أشياء من أحكام التكليف واتفقوا على أشياء فجاء عيسى ليبين لهم الحق في المسائل الخلافية أما اختلافهم في الأشياء التي لا حاجة بهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها (فاتقوا الله) في الاعراض عن دينه (وأطيعون) فيما أبلغه اليكم من التكاليف (ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه) بالشرائع واعتقدوا وحدانيته تعالى أي التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا صراط مستقيم) لا يضل سالكه (فاختلف الأحزاب من بينهم) أي فاختلف الطوائف في عيسى بعد رفعه الى السماء اختلافا ناشئا منهم فقال اليعقوبية هو الله وقال النسطورية هو ابن الله وقال الملكانية هو شريك الله وقال المرقوسية هو ثالث ثلاثة وقال اليهود هو ابن زنا (فويل) أي شدة عذاب (للذين ظلموا) من هؤلاء المختلفين الذين وضعوا القول في غير موضعه (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) فان تأتيهم بدل من الساعة أي ما ينتظر الناس الا اتيان الساعة فجأة غافلين عنها مشتغلين بأمور الدنيا (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) أي المتحابون في الدنيا بعضهم عدو لبعض يوم اذ تأتيهم الساعة الا الموحدين الذين يتحاب بعضهم بعضا على التقوى فان مودتهم لا تصير عداوة فان الذين حصلت بينهم محبة في الدنيا ان كانت تلك المحبة لأجل طلب الدنيا ولذاتها فهذه المطالب لا تبقى في القيامة بل تنقلب هذه المحبة الدنيوية بغضة في القيامة وان كان حصول المحبة في الدنيا لأجل الاشتراك في محبة الله وفي طاعته كانت هذه المحبة باقية في القيامة بل كأنها تصير أصفى مما كانت في الدنيا و يقول الله لهم (ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) أي مخلصين لنا بالعبادة وقد روي في هذا الحديث ان المنادي ينادي يوم القيامة ياعبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرفع الخلائق رؤوسهم فيقولون نحن عباد الله ثم ينادي الثانية الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤوسهم و يبقى الموحدون رافعين رؤوسهم ثم ينادي الثالثة الذين آمنوا وكانوا يتقون فينكس أهل الكبائر رؤوسهم و يبقى أهل التقوى رافعين رؤوسهم قد زال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم الله لانه أكرم الأكرمين والموصول صفة للمنادى أو نصب للمدح وعلى هذا لا يوقف على تحزنون أما ان جعل مبتدأ وخبر مضمر فالوقف على تحزنون تام والتقدير يقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أي تكرمون بالتحف اكراما على سبيل المبالغة (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) أي لهم في الجنة أطعمة وأشربة يطاف بها عليهم في قصاع من ذهب وكيزان من ذهب (وفيها) أي الجنة (ماتشتهيه الأنفس) من الأشياء المعقولة والمسموعة والملموسة جزاء لهم بما منعوا أنفسهم من الشهوات في الدنيا (وتلذ الأعين) من الأشياء المبصرة جزاء ما عملوه من منع أعينهم من نظر ما لا يجوز شرعا وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه باثبات العائد

أي بنزوله يعلم قيام الساعة (فلا تمترن بها) أي لا تشكوا فيها (ولما جاء عيسى) بني اسرائيل (بالبينات) أي بالآيات التي يعجز عنها المخالفون (قال قد جئتكم بالحكمة) يعني الانجيل (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) أي كله (فاختلف الاحزاب) الآية مفسرة في سورة مريم (هل ينظرون) أي يجب أن لا ينتظروا بعد تكذيبك الآن يفجأهم قيام الساعة ثم ذكر أن مخالتهم في الدنيا تبطل ذلك اليوم وتنقلب عداوة فقال (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) وهم المؤمنون وقوله (تحبرون) أي تكرمون وتسرون (يطاف عليهم بصحاف) أي بقصاع (وأكواب) وهي الأواني التي لا عرى لها (وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ) أي وتستلذ (الأعين) وهذا وصف لجميع ما في الجنة من الطيبات

على الموصول والباقون بحذفه وقرئ وتلذه بالهاء (وأنتم فيها) أى الجنة (خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) أى أعطيتموها جزاء على عملكم الصالح فى الدنيا (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) فلا تنفد أبدا (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبران وفى عذاب متعلقة به (لا يفتر عنهم) أى لا ينقص العذاب عنهم (وهم فيه) أى العذاب (مبلسون) أى آيسون من النجاة وقرأ عبدالله وهم فيها أى فى جهنم وهذه جملة حالية (وما ظلمناهم) بعذابهم (ولكن كانوا هم الظالمين) لاقبال أنفسهم للعذاب الخالد بقصدهم عدم الانفكاك عن الكفر ما بقوا فى الدنيا فالظالمين خبر كان وقرأ عبدالله وأبو زيد الظالمون على أنه خبر لهم والجملة خبر كان (ونادوا) خازن النار (يامالك) قرأ ابن مسعود يامال بحذف الكاف وهذا دليل على أنهم بلغوا فى الضعف الى حيث لا يمكنهم أن يذكروا من الكلمة الا بعضها (ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربك أن يميتنا لنستريح من العذاب وهذا تمن للموت لشدة عذابهم (قال) أى مالك بعد أربعين سنة كما قاله عبدالله بن عمرو وقيل الضمير يعود الى الله (انكم ماكثون) فى العذاب أبدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره قال الله تعالى مقررا لجواب مالك ومبينا لسبب مكثهم (لقد جئناكم بالحق) أى بالدين الحق فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن أكثركم للحق كارهون) أى ينفرون عنه ويبغضونه (أم أبرموا أمرا فانا مبرمون) أى أأتقن مشركو مكة أمرا فى كيدهم برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فانا متقنون كيدنا حقيقة وكانوا يتشاورون فى أمور محمد صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أى بل أيحسبون أنا لا نسمع ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم فى مكان خال وما تكلموا به فيما بينهم (بلى ورسلنا لديهم يكتبون) أى بلى نسمعهما ونطلع عليهما والحال أن رسلنا وهم الحفظة الذين يلازمونهم أينما كانوا يكتبون عليهم كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) لذلك الولد فان السلطان اذا كان له ولد يجب على عبده أن يخدمه كما يجب عليه أن يخدم السلطان والمعنى ان قام الدليل على ثبوت الولد لله تعالى كنت مقرا بوجوب خدمته لكن لم يوجد الدليل على ثبوته بل الدليل القاطع قائم على عدمه فكيف أقر بوجوده. قال بعضهم ان كلمة ان ههنا نافية والتقدير ما كان للرحمن ولد فأنا أول المقرين من أهل مكة بأن ليس لله ولد وأنا أول الموحدين منهم أن لا شريك له تعالى وقرأ حمزة والكسائى ولد بضم الواو واسكان اللام والباقون بفتحهما (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) من أن له ولدا (فذرهم) أى فاتركهم فى ذلك الباطل حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلى (يخوضوا) أى يفعلوا فى أباطيلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى حتى يصلوا الى اليوم الذى يوعدون فيه بالعذاب وهو يوم القيامة (وهو الذى فى السماء إله وفى الارض إله) أى وهو الذى هو معبود فى السماء ومعبود فى الارض (وهو الحكيم العليم) فكونه بليغ الحكمة فى تدبير خلقه وبالغا فى العلم بمصالحهم ينا فى حصول الولد له (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) أى دام الذى له ملكها وكثرت خيراته فعيسى ليس ولد الله تعالى لانه حدث بعد ان لم يكن ثم انه مات ولانه محتاج الى الطعام فالذى هذا صفته كيف يكون ولدا لمن كان خالقا للسموات والارض وما بينهما ولا مجانسة بين عيسى والباقى الغنى عن كل شئ فامتنع كونه ولدا له تعالى (وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها ومن كان كاملا فى الذات والعلم والقدرة امتنع أن يكون له ولد عاجز وعديم العلم على أحوال العالم بالحد الذى وصفه النصارى (واليه ترجعون) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الالتفات من الغيبة الى الخطاب للتهديد. وقرئ تحشرون بالتاء

(لا يفتر عنهم) أى لا يخفف عنهم العذاب (وهم فيه مبلسون) أى ساكتون سكوت يأس (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) أى ليمتنا فنستريح (قال انكم ماكثون) أى مقيمون فى العذاب (أم أبرموا) أى أحكموا (أمرا) فى المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) أى محكمون أمرا فى مجازاتهم (قل ان كان للرحمن) الآية معناها ان كنتم تزعمون أن للرحمن ولدا (فأنا أول العابدين) أى للموحدين لان من عبد الله واعترف بأنه الهه فقد دفع أن يكون له ولد وقيل يعنى فأنا أول العابدين أى الآبقين من هذا القول (وهو الذى فى السماء إله) يعبد (وفى الارض إله) يعبد أى هو المعبود فيهما (وهو الحكيم) فى تدبير خلقه (العليم) بصلاحهم

(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الامن شهد بالحق) أي ان الملائكة وعيسى وعزيرا الذين كانوا يعبدهم الكفار من دون الله لايشفعون الالمن شهد بالحق (وهم يعلمون) بقلوبهم مايشهدون به بألسنتهم روى أن النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان مايقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد فأنزل الله هذه الآية ويقال ان كل معبود من دون الله لايملكون الشفاعة الامن شهد أنه لا إله إلا الله وهم الملائكة وعيسى وعزير فان لهم شفاعة عند الله وهم يعلمون أن الله خلقهم وأنهم عباده (ولئن سألتهم) أي الكفار الذين ادعوا الشريك لله (من خلقهم) أي العابدين والمعبودين معا (ليقولن الله فأنى يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى ولم يكذبون على الله حيث قالوا ان الله أمرنا بعبادة الأصنام (وقيله) قرأ الأكثرون بالنصب على المصدر أي قال النبي قوله أو عطف على سرهم أو على محل الساعة وقرأ عاصم وحمزة بالجر عطف على الساعة أو أن الواو للقسم وقرأ الأعرج وأبو قلابة ومجاهد والحسن بالرفع عطف على علم الساعة أو مبتدأ وخبره مابعده (يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون) بك وبرسولك قال تعالى (فاصفح عنهم) أي فأعرض عنهم بغير التبليغ وبالدعاء عليهم بالعذاب (وقل سلام) أي شأني الآن متاركة بسلامتكم مني وسلامتي منكم فهذا تباعد منهم (فسوف يعلمون) مايفعل بهم وقرأ نافع وابن عامر بتاء الخطاب على الالتفات لزيادة التهديد والتقريع والباقون بالياء كناية عن قوم لايؤمنون وهذه الآية غير منسوخة لأن الأمر لايفيد الفعل الامرة واحدة فاذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ فأي حاجة فيه الى التزام النسخ

﴿ سورة الدخان مكية وهي تسع وخمسون آية . وثلاثمائة وست ﴾

﴿ وأربعون كلمة . وألف وأربعمائة وأحد وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين) يجوز أن يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المتقدمة التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه وأن يكون المراد به اللوح المحفوظ وان يكون المراد به القرآن وهذا يدل على غاية تعظيم القرآن (انا أنزلناه) أي القرآن (في ليلة مباركة) قال الأكثرون انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان ونقل محمد بن جرير الطبري عن قتادة أنه قال نزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة مضت منه والانجيل لثمان عشرة مضت منه والقرآن لأربع وعشرين مضت من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر وقد قيل انه تعالى أنزل كلية القرآن من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا في ليلة مباركة ثم أنزل في كل وقت مايحتاج اليه المكلف وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت (انا كنا منذرين) أي مخوفين بالقرآن (فيها) أي ليلة مباركة (يفرق) أي يظهر للملائكة الموكلين بالتصرف في العالم (كل أمر حكيم) أي مبرم لايحصل فيه تغيير ولانقص بل لابد من وقوعه في تلك السنة وقال الرازي معنى الحكيم ذو حكمة وذلك لان تخصيص الله تعالى كل أحد بحالة معينة من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة يدل على حكمة بالغة لله تعالى فلما كانت تلك الأفعال والاقضية دالة على حكمة فاعلها وصفت بكونها حكيمة وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل ونصب كل

(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) يعني الأوثان لايشفعون لعابديها (الا من شهد بالحق) يعني عيسى وعزيرا والملائكة فلهم الشفاعة في المؤمنين لافي الكفار وهم يشهدون بالحق أي بالوحدانية لله (وهم يعلمون) حقيقة ماشهدوا به (وقيله) يعني ونسمع قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه وهو راجع الى قوله انا لانسمع سرهم ونجواهم (فاصفح عنهم) أي أعرض عنهم وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم (وقل سلام) أي سلامة لنا منكم (فسوف تعلمون) تهديد لهم

﴿ تفسير سورة الدخان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم والكتاب المبين انا أنزلناه) يعني القرآن (في ليلة مباركة) قيل هي ليلة القدر في رمضان أنزل الله القرآن فيها من الكتاب الى سماء الدنيا ثم أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم نجوما وقيل ليلة النصف من شعبان (انا كنا منذرين) أي محذرين عبادنا بالعقوبة بانزال الكتاب (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي محكم من أرزاق العباد وآجالهم وذلك أنه يدبر في تلك الليلة أمر السنة

والفارق هو الله تعالى وقرأ زيد بن علي نفرق بالنون (أمرامن عندنا) حال من فاعل أنزلناأومن مفعوله أى فى حال كون القرآن أمرا من عندنا بما يجب ان يفعل أومن أمر حكيم أومفعول له وناصبه اما أنزلناه واما منذرين واما يفرق أى أومصدر من معنى يفرق أى فرقا كائنا من عندنا (انا كنا مرسلين) أى انا أنافعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين الأنبياء (رحمةمن ربك) مفعول له أى لاجل افاضة رحمتنا على العباد والمعنى انا أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم أو بدل من أمرافيجيء فى رحمةما تقدم من الاوجه فى أمرا (انه هو السميع العليم) فان المحتاجين الرحمة اما أن يذكروا حاجاتهم بألسنتهم واما أن لايذكروها فان ذكروها فانه تعالى سميع لكلامهم وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بحاجاتهم (رب السموات والارض وما بينهما) قرأعاصم وحمزة والكسائى بالجر بدل من ربك أو بيان عليه والباقون بالرفع عطف بيان على قوله السميع العليم أوخبر آخر أواستئناف على اضمار مبتدا (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم تريدون اليقين فاعرفوا ان الامر كما قلنا (لااله إلا هو يحيي ويميت) وهذا تنبيه على تمام دلائل التوحيد (ربكم ورب آبائكم الأولين) بالرفع بدل أو بيان أوالنعت لرب السموات وقرأ ابن محيصن وابن أبى اسحق وأبو حيوة والحسن بالجر على البدل أوالبيان أو النعت لرب السموات وقرأ الانطاكي بالنصب على المدح (بل هم فى شك) أى ليسوا على يقين فى اقرارهم بأن للسموات والارض ربا وخالقا هو الله تعالى وانما يقولونه تقليدا لآبائهم من غير علم فهم فى شك (يلعبون) فى دينهم بما يظهر لهم من غير حجة (فارتقب) أى انتظر يا أكرم الرسل عذابهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) وهو ماأصابهم من شدة الجوع فانهم لظلمة أبصارهم كأنهم يرون دخانا بين السماء والارض فالمراد بالدخان هنا على ماقاله ابن عباس فى بعض الروايات وابن مسعود ومقاتل ومجاهد واختاره الفراء والزجاج هوماأصاب قريشا من الجوع بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه لما كذبه قومه بمكة دعا عليهم فقال اللهم اجعل سنيهم كسنى يوسف فارتفع المطر وأجدبت الارض وأصابت قريشا شدة المجاعة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف فكان الرجل يرى بينه و بين السماء كالدخان لمابه من الجوع ونقل عن على وابن عباس وابن عمر وأبى هريرة وزيد بن على والحسن ان المراد بالدخان هنا دخان يظهر فى العالم فى آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يملأ ما بين المشرق والمغرب وما بين السماء والأرض يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كالزكام وأما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره فتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه النار وقال عبد الرحمن الاعرج ان المراد بالدخان هو الغبار الذى ظهر يوم فتح مكة من ازدحام جنود الاسلام حتى حجب الابصار عن رؤية السماء (يغشى الناس) أى يشملهم وهو محل جر صفة لدخان (هذا عذاب أليم) فان قلنا التقدير يقولون هذا عذاب أليم (ربنا اكشف عنا العذاب) فالعذاب هو القحط الشديد وان قلنا التقدير يقولون ربنا اكشف عنا العذاب فالعذاب هو الدخان المهلك الذى يدخل فى أسماع الكفرة حتى يصير رأسهم كالرأس الحنيذ (انا مؤمنون) بمحمد و بالقرآن والمراد منه الوعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى كيف يتعظون بهذه الحالة والحال انهم قد شاهدوا ماظهر على رسول الله من المعجزات القاهرة وهى أعظم موجبات الاتعاظ ثم لم يلتفتوا اليه وقالوا ان محمدا يتعلم هذه الكلمات من جبر غلام عامر بن الحضرمى وهو قين نصرانى أو غلام لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وقالوا ان الجن يلقون على محمد هذه

(أمرامن عندنا) معناه يفرق كل أمر حكيم فرقا من عندنا فوضع الأمر موضع الفرق لانه أمر (انا كنا مرسلين) محمدا صلى الله عليه وسلم الى قومه (رحمة) أى الرحمة وقوله (ان كنتم موقنين) أى ان أيقنتم بأنه رب السموات والارض فأيقنوا أن محمدا رسوله لانه أرسله (بل هم فى شك) أى من البعث والنشر (يلعبون) أى مشتغلين بالدنيا (فارتقب) أى فانتظر (يوم تأتى السماء بدخان مبين) وذلك حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه بالقحط لمنع القطر وأجدبت الأرض واغبرت الآفاق وصار بين السماء والارض كالدخان (يغشى الناس) أى ذلك الدخان وهم يقولون (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) أى مصدقون نبيك قال الله تعالى (أنى لهم الذكرى) أى من أين لهم التذكر والاتعاظ (و) حالهم أنهم (قدجاءهم رسول مبين) أى يبين لهم أحكام الدين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم تولوا عنه) أى أعرضوا عنه (وقالوا معلم) أى أنه معلم يعلمه ما يأتى به بشر

(انا كاشفوا العذاب قليلا) يعني نكشف عنكم عذاب الجوع في الدنيا ثم تعودون في العذاب وهوقوله (انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى) يعني يوم القيامة وقيل هو يوم بدر (ولقدفتنا) أي بلونا (قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله يعني موسى (أن أدوا الى عباد الله) أي سلموهم الي ولاتعذبوهم يعني بني اسرائيل كما قال فأرسل معنا بني اسرائيل الآية (اني لكم رسول أمين) على وحي الله (وأن لا تعلوا على الله) أي لاتعصوه ولاتخالفوا أمره (اني آتيكم بسلطان مبين) أي بحجة واضحة تدل على أني نبي (واني عذت بربي وربكم أن ترجمون) أي تقتلون وذلك أنهم توعدوه بالقتل (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي لاتكونوا علي ولالي وخلوا عني (فدعا ربه أن) أي بأن (هؤلاء) أي يارب هؤلاء (قوم مجرمون) أي مشركون فقال الله له (فأسر بعبادي) أي ببني اسرائيل (ليلا انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر رهوا) أي خلفه وراءك ساكنا غير مضطرب وذلك ان الماء وقف له كالطود العظيم حتى جاوز البحر (انهم جند مغرقون) أي نغرقهم في ذلك البحر الذي يجاوزونه رهوا (كم تركوا) أي بعد هلاكهم (من جنات وعيون) الآية مفسرة في سورة الشعراء (كذلك) أي الأمر كما وصفنا (وأورثناها) أي أعطيناها (قوما آخرين) يعني بني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لأنهم ماتوا كفارا والمؤمن يبكي عليه مصعد عمله من السماء ومصلاه من الأرض

الكلمات حال مايعرض له الغشي ومامثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) أي انا نكشف العذاب عنكم كشفا قليلا أو زمانا قليلا بدعاء محمد صلى الله عليه وسلم انكم تعودون في الحال الى ماكنتم عليه من الشرك والمعنى انهم لايفون بعهدهم وانهم في حال العجز يتضرعون الى الله تعالى فاذا زال الخوف عادوا الى الكفر والتقليد لمذاهب الاسلاف (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) ويوم منصوب بمادل عليه منتقمون لأن مابعد ان لايعمل فيما قبلها أي يوم نأخذ بشدة أخذا قويا بايصال الآلام المتتابعة ننتقم انا منتقمون وهو يوم بدر كما قاله ابن مسعود ومجاهد ومقاتل وأبو العالية وروى عكرمة عن ابن عباس هو يوم القيامة وقرأ الحسن البصري وأبو جعفر المدني نبطش بضم الطاء وقرئ نبطش بضم النون فان الله أمر الملائكة بأن يعاقبهم العقوبة العظمى (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) أي ولقد عاملنا قوم فرعون قبل هؤلاء العرب معاملة المختبر ببعث الرسول اليهم (وجاءهم رسول كريم) على ربه وهو موسى عليه السلام اذ اختصه بالنبوة واسماع الكلام (أن أدوا الى عباد الله) أي بأن الحديث أرسلوا بني اسرائيل معي (اني لكم رسول) من الله (أمين) أي قد ائتمنني الله تعالى على وحيه ورسالته وصدقني بالمعجزات القاهرة (وأن لاتعلوا على الله) أي وبأن الشأن لاتتكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله (اني آتيكم بسلطان مبين) أي آتيكم من جهة الله تعالى بحجة واضحة يعترف بصحتها كل عاقل (واني عذت بربي وربكم أن ترجمون) أي واني اعتصمت بربي وربكم من أن تقتلون قيل لما قال موسى وأن لاتعلوا على الله توعدوه بالقتل (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي ان لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل ماأتيتكم به من الحجة فخلوا سبيلي لالي ولاعلي (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) أي انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بأن هؤلاء قوم مشركون اكتسبوا الهلاك على أنفسهم فافعل بهم يارب مايليق بهم وقرأ ابن أبي اسحق وعيسى والحسن بكسر الهمزة على اضمار القول عند البصريين وعلى اجراء دعا مجرى القول عند الكوفيين (ف) قال له (أسر بعبادي ليلا) أي سر ليلا ببني اسرائيل قرأ نافع وابن كثير بالوصل والباقون بالقطع (انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وجنوده بعدما علموا بخروجكم ويصير ذلك سببا لهلاكهم (واترك البحر رهوا) أي اجعل البحر طرقا واسعة حتى يدخله القبط فيغرقوا كما قال تعالى (انهم جند مغرقون) في البحر وقرئ بفتح الهمزة أي لأنهم وانما أخبره الله تعالى بذلك حتى يبقى فارغ القلب عن شرهم (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة) بفتح النون أي فأغرقهم الله وتركوا أمورا كثيرة من بساتين ومياه ظاهرة في البساتين وحروث ومنازل حسنة ومجالس مزينة وأمور يتمتعون بها كالملابس والمراكب (كانوا فيها) أي في هذه الأشياء (فاكهين) بالألف أي طيبين الأنفس معجبين وقرأ الحسن وأبو رجاء فكهين بدون الألف أي مستهزئين بنعمة الله تعالى (كذلك) أي مثل ذلك السلب سلبنا هذه الاشياء منهم (وأورثناها) أي تلك الأشياء (قوما آخرين) أي جعلناها من بعدهم ميراثا لبني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن عبد الا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه

وروى في الأخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه أي ولم يبك السماء والأرض على فرعون وقومه لأنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملا صالحا ولم يصعد لهم الى السماء كلام طيب ولا عمل صالح (وما كانوا منظرين) أي لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى وقت آخر لتوبة وتدارك تقصير (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون) أي من العذاب الشديد الصادر من فرعون وهو قتل الأبناء واستخدام النساء والاتعاب في الأعمال الشاقة وقرئ من عذاب المهين أي وهو فرعون لأنه كان عظيم السعي في اهانة المحقين وقرأ ابن عباس من فرعون بمعنى الاستفهام والمعنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته (انه كان عاليا من المسرفين) أي كان عاليا في الدرجة في طبقة المسرفين أو يقال انه كان متكبرا مسرفا فانه مع حقارته ادعى الالهية فقوله من المسرفين حال من الضمير في عاليا أو خبر ثان لكان (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) أي ولقد اخترنا بني اسرائيل على العالمين جميعا عالمين بكونهم مستحقين لأن يختاروا ويرجحوا على غيرهم لكثرة الأنبياء فيهم ويقال ولقد اخترناهم على عالمي زمانهم مع علمنا بأنهم قد يزيغون في بعض الأوقات ويصدر عنهم الفرطات في بعض الأحوال (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أي وأعطينا بني اسرائيل ما فيه نعمة ظاهرة من الآيات التي لم يظهر الله مثلها على أحد سواهم مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها فانه تعالى لما كان يبلو بالمحنة فقد يبلو بالنعمة أيضا اختبارا ظاهرا ليتميز الصديق عن الزنديق (ان هؤلاء) أي ان كفار قريش (ليقولون ان هي الا موتتنا الأولى) أي ما نهاية الأمر الا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية (وما نحن بمنشرين) أي بمحيين بعد الموت (فأتوا بآبائنا) أي فعجلوا أيها القائلون بأنا نبعث بعد الموت أحياء من مات من آبائنا بأن تسألوا ربكم ذلك حتى يصير دليلا عندنا على صدق دعواكم في البعث (ان كنتم صادقين) فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق قال تعالى مقتصرا على الوعيد (أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم) أي قبل قوم تبع كمدين وأصحاب الأيكة والرس وثمود وعاد وسمي تبعا لكثرة تبعه واسمه أسعد بن ملكيكرب وكنيته أبو كرب وهو نبي كما قاله ابن عباس أو رجل صالح كما قالته عائشة وكان قومه كافرين وأراد خراب المدينة فلما أخبر أنها مهاجر نبي اسمه أحمد انصرف عنها وقال شعرا أودعه عند أهلها وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى أن هاجر النبي ﷺ فدفعوه اليه وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي ﷺ ألف سنة لا يزيد ولا ينقص ويقال كان الكتاب والشعر عند أبي أيوب خالد بن زيد وفيه

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

(أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) فأهلكناهم مستأنف لبيان عاقبة أمرهم وانهم تعليل لاهلاكهم أي ان أولئك الكفار أهلكوا بسبب اجرامهم مع أنهم كانوا أقوى من هؤلاء أفلا يخافون من هلاكهم وهم شركاء لأولئك في الاجرام (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) أي لاهين ولو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثا لأن الله تعالى خلق نوع الانسان ثم كلفهم بالايمان والطاعة فاقتضى ذلك أن يتميز المطيع من العاصي فيتعلق فضله تعالى واحسانه للمطيع ويتعلق عدله وعقابه للعاصي فلابد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت وقرأ عمرو بن عبيد وما بينهن وقرأ الجمهور بينهما باعتبار النوعين (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) أي الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم) أي أهل مكة (لا يعلمون) أنا خلقنا الخلق

بسبب

(وما كانوا منظرين) أي مؤخرين حين أخذناهم بالعذاب (ولقد نجينا بني اسرائيل) أي باهلاك فرعون وقومه (من العذاب المهين) يعني قتل الأبناء واستخدام النساء (من فرعون انه كان عاليا من المسرفين) أي مستكبرا متعظما من الكافرين المتجاوزين حدهم (ولقد اخترناهم) أي بني اسرائيل (على علم) منا بهم (على العالمين) أي عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أي نعمة ظاهرة من فلق البحر وانزال المن والسلوى (ان هؤلاء) يعني مشركي مكة (ليقولون ان هي الا موتتنا الأولى) أي ليس الا الموت ولا نشر لنا بعده وهو قوله (وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا) الذين ماتوا (ان كنتم صادقين) أنا نبعث بعد الموت (أهم خير) أي أقوى وأشد (أم قوم تبع) الحميري (والذين من قبلهم) أي الكفار (انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) أي ونحن نلعب في خلقهما أي انا خلقناهما لأمر عظيم وهو قوله (ما خلقناهما الا بالحق) أي لاقامة الحق واظهاره من توحيد الله والزام طاعته

بسبب اقامة الحق عليهم (ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) أي ان يوم تمييز الحق من الباطل وقت موعد الناس أجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان و يوم خبرها أي ان ميعادهم جزاؤهم البر والفاجر في يوم فصل الله بين عباده (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) أي لا ينفع قريب عن قريب شيئا (ولا هم ينصرون) أي يمنعون من العذاب (الا من رحم الله) أي الا المؤمنين فانهم يمنعون من العذاب أو فانهم يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم وتشفع لهم الملائكة والأنبياء (انه هو العزيز الرحيم) أي ان الله هو الغالب بتعذيب الكافرين الرحيم بالمؤمنين (ان شجرة الزقوم طعام الأثيم) أي الكثير الآثام وهو الكافر (كالمهل) وهو دردي الزيت وعكر القطران ومذاب النحاس وسائر الفلزات (يغلي في البطون كغلي الحميم) وقرأ حفص وابن كثير يغلي بالياء التحتية فهو حال من طعام أو الزقوم والباقون بالتاء الفوقية فهو خبر ثالث لان أي تغلي الشجرة في البطون غليانا كغلي الماء الشديد الحرارة يقول الله للزبانية (خذوه) أي الاثيم (فاعتلوه) أي جروه بعنف وقودوه (الى سواء الجحيم) أي الى وسط النار العظيمة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضم التاء (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) أي صبوا على رأسه عذابا شديدا يشبه الماء الحار بعد ما يضرب رأسه بمقامع الحديد فقد شبه العذاب بالمائع ثم خيل له بالصب و يقال له على سبيل الاستهزاء (ذق) يا أبا جهل (انك أنت العزيز الكريم) وقرأ الكسائي أنك بفتح الهمزة على معنى العلة أي لانك أو على تقدير مضاف أي ذق عذابا انك أنت المتعزز في قومك المتكرم عليهم روي ان أبا جهل قال لرسول الله ﷺ ما بين جبليها أي مكة أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا (ان هذا) العذاب (ما كنتم به تمترون) أي تشكون في الدنيا (ان المتقين في مقام أمين) أي مكان مأمون من الزوال والآفات وقرأ نافع وابن عامر مقام بضم الميم أي موضع الاقامة (في جنات وعيون) أي أنهار الخمر والماء واللبن والعسل (يلبسون من سندس واستبرق) والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما ثخن منه (متقابلين) في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أي آتيناهم مثل ذلك أو هكذا مقام المؤمنين في الجنة (وزوجناهم بحور عين) أي قرناهم في الجنة بجوار بيض حسان الوجوه وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز وعن أبي قرصافة سمعت النبي ﷺ يقول اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين وعن أنس أن النبي ﷺ قال كنس المساجد مهور الحور العين (يدعون فيها بكل فاكهة) أي يأمرون الخدم في الجنة باحضار ما يشتهونه و يتناولون فيها بألوان كل فاكهة (آمنين) من التخم والأمراض (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي لا يذوقون في الجنة الموت الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاولى التي في الدنيا بعد حياتهم فيها أو يقال لكن الموتة الاولى قد ذاقوها (ووقاهم عذاب الجحيم) أي وقى الله المتقين في أول الامر من عذاب الجحيم و رفع الله العذاب عن عصاة المؤمنين بعد دخولهم النار وقرئ ووقاهم بتشديد القاف (فضلا من ربك) أي تفضل ربك بذلك الثواب تفضلا وقرئ فضل بالرفع أي ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) فان الفضل أعلى من درجات الثواب المستحق فان الملك العظيم اذا أعطى الاجير أجرته ثم خلع على انسان آخر فان تلك الخلعة أعلى حالا من اعطاء تلك الاجرة (فانما يسرناه بلسانك) أي انما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك (لعلهم يتذكرون)

(ان يوم الفصل) وهو يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم) الذي وقتنا لعذابهم (أجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) أي قريب عن قريب (ولا هم ينصرون) أي يمنعون من عذاب الله (الا من رحم الله) أي لكن من رحم الله فانه ينصر (ان شجرة الزقوم طعام الأثيم) أي صاحب الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) أي كالذائب من الفضة والنحاس في الحرارة (تغلي في البطون) أي في بطون آكليه (كغلي الحميم) وهو الماء الحار (خذوه) يعني الأثيم (فاعتلوه) أي سوقوه سوقا بالعنف (الى سواء الجحيم) أي وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كما قال يصب من فوق رءوسهم الحميم ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) أي بزعمك وعلى قولك وذلك انه قال ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني (ان هذا) الذي ترون من العذاب (ما كنتم به تمترون) أي تشكون (ان المتقين في مقام أمين) أمنوا فيه الغير (يلبسون من سندس) وهو مارق من الديباج (واستبرق) وهو ما غلظ منه (متقابلين) أي متواجهين (كذلك) أي كما وصفنا (وزوجناهم بحور) وهي النساء النقيات البياض (عين) واسعة الأعين (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أي من الموت (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) أي سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا (فانما يسرناه) أي سهلنا يعني القرآن (بلسانك لعلهم يتذكرون) أي يتعظون

أى لكى يتعظوا به (فارتقب انهم مرتقبون) أى فانتظر هلاكهم انهم منتظرون هلاكك

﴿ سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية. وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة ﴾
﴿ وألفان ومائة وأحد وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم) أى هذه السورة مسماة بحم (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أى تنزيل هذا الكتاب واقع من الله العزيز فى ملكه الحكيم فى أمره وقضائه (ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين) لأنه حصل فى ذوات السموات والأرض أحوال دالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها ولأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة فى السموات والأرض وهى دلالات على وجود الاله القادر الفاعل المختار (و فى خلقكم) من نطفة ثم من علقة متقلبة فى أطوار مختلفة الى تمام الخلق (وما يبث) أى وفيما ينشره (من دابة آيات لقوم يوقنون) فان الأجسام متساوية فاختصاص كل واحد من الأعضاء لابد وأن يكون بتخصيص القادر المختار وكذا انتقاله من حال الى حال آخر (واختلاف الليل والنهار) أى وفى تعاقبهما وتفاوتهما طولا وقصرا (وما أنزل الله من السماء من رزق) أى وفيما أنزله من السحاب من مطر (فأحيابه الأرض بعد موتها) أى بعد يبوستها (وتصريف الرياح) أى وفى تقليبها من جهة الى أخرى ومن حال الى حال (آيات لقوم يعقلون) وقرأ حمزة والكسائى آيات لقوم فى الموضعين بالنصب بالكسرة معطوف على آيات الأول الذى هو اسم ان والباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف المقدم وقرئ آية بالتوحيد وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح بالتوحيد. وحاصل ماذكر هنا من الدلائل ستة على ثلاث فواصل الأولى المؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون وسبب هذا الترتيب انه قيل ان كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب اليقين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فكونوا من العاقلين فاجتهدوا فى معرفة هذه الدلائل. وأبدى بعض المفسرين معنى لطيفا فقال ان المنصفين اذا نظروا فى السموات والارض وانه لابد لهما من صانع آمنوا واذا نظروا فى خلق أنفسهم ونحوها ازدادوا ايمانا فأيقنوا فاذا نظروا فى سائر الحوادث عقلوا (تلك) أى الآيات المذكورة (آيات الله) أى حججه الدالة على وحدانيته (نتلوها) أى نقصها (عليك بالحق) أى ان صحتها معلومة بالدلائل العقلية وهذا من أعظم الدلائل على الترغيب فى تقرير المباحث العقلية (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) أى ان من لم ينتفع بهذه الآيات فلاشئ بعدها يجوز أن ينتفع به وقرأ ابن عامر وشعبة والكسائى بتاء الخطاب مناسبة لقوله تعالى وفى خلقكم (ويل لكل أفاك) أى كذاب (أثيم) أى مبالغ فى اقتراف الآثام وهو النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) أى القرآن (تتلى عليه ثم يصر) أى يقيم على كفره اقامة بقوة (مستكبرا) عن الايمان بآيات الله معجبا بما عنده كان النضر يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن (كأن لم يسمعها) أى حال كونه مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) على اصراره واستكباره (واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) أى انه اذا سمع كلاما وعلم انه من آياتنا بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على الاستهزاء بما سمعه فقط (أولئك) أى كل أفاك أثيم (لهم عذاب مهين) أى ذو اهانة (من ورائهم) أى قدامهم بعد الموت (جهنم) فانهم متوجهون الى ما أعدلهم أو من خلفهم جهنم لأنهم مقبلون على الدنيا معرضون عما أعدلهم (ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا ينفعهم ما ملكوه فى الدنيا ولا أصنامهم التى عبدوها (ولهم عذاب عظيم) أى بالغ الى أقصى الغايات

(فارتقب انهم مرتقبون) أى فانتظر النصر والفتح انهم منتظرون قهرك وهلاكك

﴿ تفسير سورة الجاثية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والأرض) أى فى خلقهما (لآيات) أى لدلالات على قدرة الله وتوحيده وقوله (فبأى حديث بعد الله) أى بعد حديث الله وكتابه (وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) أى صاحب اثم (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر) أى يقيم على كفره (مستكبرا) أى متعظما عن الايمان (واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) أى استهزاء بها (من ورائهم) أمامهم (جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الأموال (شيئا)

في كونه ضرزا (هـذا) أي القرآن (هدى) أي في غاية الكمال في الهداية (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وقرأ ابن كثير وحفص بالرفع أي لهم عذاب أليم من تجرع ماء صديد والباقون بالجر أي لهم عذاب من عذاب شديد الايلام (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) أي باذنه وأنتم راكبوها لجريان السفن على وجه البحر لايحصل الا بسبب ثلاثة أشياء أحدها الرياح التي توافق المراد وثانيها الماء وثالثها خشبة طافية لاتغوص في الماء وهذه الثلاثة لايقدر عليها أحد من البشر فلابد من موجد قادر عليها وهو الله تعالى (ولتبتغوا من فضله) اما بسبب التجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان أو باستخراج اللحم الطرى (ولعلكم تشكرون) أي ولكي تشكروا نعمته تعالى (وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا منه) أي وسخر الله لكم الشمس والقمر والنجوم والسحاب والشجر والدواب والجبال والبحار كائنة منه تعالى وحاصلة من عنده فانه تعالى موجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه وقرأ سلمة بن محارب منه على أنه فاعل سخر أو على أنه خبر مبتدا محذوف أي ذلك منه وقرئ منه على أنه مفعول له (ان في ذلك) أي فيما ذكر (لآيات) كثيرة (لقوم يتفكرون) في بدائع صنع الله تعالى فانهم يطلعون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها و يوفقون لشكرها (قل للذين آمنوا) اغفروا الكفار (يغفروا للذين لايرجون أيام الله) أي لايرجون ثواب الله ولايخافون عقابه ولايخشون مثل عقاب الأمم الخالية كما قاله ابن عباس وهـذا محمول على ترك المنازعة في المحقرات وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والأفعال الموحشة وقال المهدوى والنحاس ومقاتل شتم رجل من كفار قريش عمر بن الخطاب بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فأمره الله بالعفو والتجاوز وأنزل هـذه الآية (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) أي لكي يجازي الله يوم القيامة قوما يعملون الخير وقيل ليجزي الله الكفار بما كانوا يكسبون من الآثم والمعنى لاتكافئوهم أنتم حتى نكافئهم نحن وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما أي وليجزى الجزاء قوما (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) أي ان العمل الصالح يعود بالنفع العظيم على فاعله والعمل الردىء يعود بالضرر على فاعله وهذا ترغيب منه تعالى في العمل الصالح وزجر عن العمل الباطل (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم خيرا كان أو شرا (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) أي التوراة (والحكم) أي معرفة أحكام الله تعالى وفصل الحكومات بين الناس (والنبوة) حيث كثر الله فيهم الأنبياء (ورزقناهم من الطيبات) فانه تعالى وسع عليهم في الدنيا فأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم ثم أنزل عليهم المن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم مالم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما (وآتيناهم بينات من الأمر) أي أدلة على أمور الدنيا وعلى أمور الدين (فما اختلفوا) في الأمر (الا من بعد ما جاءهم العلم) وبمجيء العلم لهم كان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) أي حسدا منهم (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين بالجزاء (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون) أي ثم اخترناك على طريقة واضحة من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل ولاتتبع مالاحجة عليه من أهواء الجهال وأديانهم المبنية على الاهواء قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى ملة آبائك فهم كانوا أفضل منك وأسن فأنزل الله تعالى هذه الآية (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أي انك لو ملت الى أديانهم الباطلة صرت مستحقا للعذاب فهم لايقدرون على دفع عذاب الله عنك (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) أي ان الكافرين يتولى بعضهم بعضا

(هذا) أي هـذا القرآن (هـدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) أي من عذاب موجع وقوله (جميعا منه) أي كل ذلك منه تفضلا واحسانا (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله) نزلت قبل الأمر بالقتال يقول قل لهم يصفحوا عن المشركين الذين لايخافون وقائع الله وعقوبته. (ليجزي قوما) أي ليجزيهم (بما كانوا يكسبون) أي من سوء أعمالهم وقوله (ورزقناهم من الطيبات) يعني المن والسلوى (وآتيناهم بينات من الأمر) أي أحكام التوراة و بيان أمر النبي صلى الله عليه وسلم (فما اختلفوا) في نبوته (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعني ماعلموه من شأنه (بغيا بينهم) أي حسدا منهم له (ثم جعلناك على شريعة) أي مذهب وملة (من الأمر) أي من الدين (فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون) أي مراد الكافرين (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) أي لن يدفعوا عنك عذاب الله ان اتبعت أهواءهم .

فى الدنيا أما فى الآخرة فلاولى لهم ينفعهم فى ايصال الثواب وازالة العقاب (والله ولى المتقين) أى والله ناصر المهتدين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس) فان مافيه من معالم الدين بمنزلة البصائر فى القلوب (وهدى) من ورطة الضلالة (ورحمة) عظيمة (لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى أظن هؤلاء المكتسبون للسيئات أن نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على مساوى الأحوال أمثال المؤمنين وهم فى محاسن الاعمال (سواء محياهم ومماتهم) وقرأ حمزة والكسائى وحفص بنصب سواء فهو حال من الضمير المستتر فى كالذين ومحياهم ومماتهم مرتفعان على الفاعلية والمعنى أحسب الكفار أن نجعل المؤمنين كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون فى شئ منهما فان هؤلاء فى شرف الايمان والطاعة فى المحيا وفى رضوان الله تعالى فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى فى المحيا وفى العذاب الخالد فى الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على أنهما ظرفان أى حال كون كل الفريقين مستويين فى محياهم ومماتهم وقيل انهما بدلان من الضمير المنصوب فى نجعلهم فيصير التقدير أن نجعل محياهم ومماتهم سواء وقرأ الباقون برفع سواء على أنه خبر ومحياهم مبتدأ والجملة فى حكم المفرد فى محل النصب هو بدل من المفعول الثانى وهو الكاف (ساء ما يحكمون) قال الكلبى ان عتبة وشيبة والوليد بن عتبة بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث فقتلوا أولئك وقالوا للمؤمنين والله ما أنتم على شئ ولو كان ما تقولون حقا لكان حالنا أفضل من حالكم فى الآخرة كما أنا أفضل حالا منكم فى الدنيا فأنكر الله عليهم هذا الكلام وأنزل الله هذه الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أى لاجل اظهار الحق (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو بزيادة عقاب والمعنى أن المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت فى الدرجات والدركات بين المحقين والمبطلين وقوله ولتجزى معطوف على بالحق لان معنى الباء هنا التعليل أو معطوف على علة محذوفة والتقدير خلقها بالحق ليدل بها على قدرته ولتجزى الخ وجوز ابن عطية أن تكون هذه اللام لام الصيرورة أى وصار الأمر من حيث اهتدى بها قوم وضل بها آخرون ولا وقف على قوله تعالى بالحق وعند أبى حاتم فالوقف عليه تام بجعل لام لتجزى لام قسم (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى أنظرت يا أشرف الخلق فرأيت من ترك متابعة الهدى وأقبل على متابعة الهوى فكان يعبد الهوى فذلك من العجب وقرئ آلهته هواه لانه كلما مال طبعه الى شئ اتبعه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها روى عن أبى رجاء العطاردى انه أدرك الجاهلية وهو ثقة مات سنة خمس ومائة وعمر مائة وعشرون سنة قال كنا نعبد الحجر فاذا وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حشوة من تراب فحلبنا عليها ثم طفنا بها (وأضله الله على علم) وهذا اما حال من الفاعل أى عالما بأن جوهر روحه لا يقبل الصلاح أو من المفعول والمعنى وأضله وهو عالم بالحق (وختم على سمعه وقلبه) فلا يقبل المواعظ ولا يتفكر فى النذر (وجعل على بصره غشاوة) أى غطاء مانعا عن الاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة بفتح الغين وسكون الشين والأعمش وابن مصرف بكسر الغين والباقون غشاوة بكسر الغين وابن مسعود والاعمش أيضا بفتحها وعبد الله بضمها (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد اضلال الله اياه وهذه الجملة مفعول ثان لرأيت (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون بالتاءين على الأصل (وقالوا) من غاية ضلالهم (ماهى الا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا الحياة التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى يصيبنا الموت

(هذا) اشارة الى القرآن (بصائر) أى معالم (للناس) أى فى الحدود والأحكام يبصرون بها (أم حسب الذين اجترحوا) أى اكتسبوا (السيئات) أى الكفر والمعاصى (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم) أى مستويا حياتهم وموتهم يعنى أن المؤمن مؤمن حيا وميتا والكافر كافر حيا وميتا فلا يستويان (ساء ما يحكمون) أى بئس مايقضون اذ حسبوا انهم كالمؤمنين نزلت هذه الآية حين قال المشركون لئن كان ماتقولون حقا لنفضلن عليكم فى الآخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) يعنى الكافر اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه (وأضله الله على علم) أى على ما سبق فى علمه قبل أن يخلقه أنه ضال وباقى الآية مفسر فى سورة البقرة فى أولها (وقالوا) يعنى منكرى البعث (ماهى الا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة الا هذه الحياة فى دار الدنيا (نموت) نحن (ونحيا) أى أولادنا

والحياة

والحياة فى الدنيا وليس وراء ذلك حياة (ومايهلكنا الا الدهر) أى إلا مرور الزمان والمعنى أن تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ولا حاجة فى هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله والقيامة (ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) أى مالهم باقتصار الحياة على مافى الدنيا واستناد الحياة والموت الى الدهر مستند الى نقل أو عقل صحيح ماهم الا قوم أمرهم الظن والتقليد (واذا تتلى عليهم آياتنا) الدالة على قدرتنا (بينات) أى مبينات لما يخالف معتقدهم (ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) فى أنا نبعث بعد الموت وحجتهم بالنصب خبر كان والا أن قالوا اسمها فالمعنى ما كان متمسكالهم على انكار البعث شئ من الأشياء الا هذا القول الباطل وهو قولهم لو صح ذلك البعث فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث وقرئ برفع حجتهم على أنه اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الأشياء الا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) أحياء بعد الموت (الى يوم القيامة) للجزاء (لا ريب فيه) أى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة (ولكن أكثر الناس) وهم القائلون ماذكر (لا يعلمون) دلالة حدوث الانسان وغيره على وجود الاله الحكيم وان الله تعالى لما كان قادرا على الايجاد ابتداء وجب أن يكون قادرا على الاعادة ثانيا (ولله ملك السموات والأرض) أى له التصرف فيهما كما أراد وله القدرة على جميع الممكنات فيلزم كونه تعالى قادرا على الاحياء فى المرة الثانية (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) أى وله ملك يوم قيام الساعة يومئذ يظهر غبن المبطلين لان الحياة والعقل والصحة كلها رأس المال والتصرف فيها لطلب سعادة الآخرة يجرى مجرى تصرف التاجر فى رأس المال لطلب الربح والكفار قد أتعبوا أنفسهم فى هذه التصرفات وماوجدوا منها الا الحرمان فكان ذلك فى الحقيقة نهاية الخسران (وترى) أيها المخاطب (كل أمة) أى كل أهل دين (جاثية) أى مجتمعين لا يخالطهم غيرهم وهو حال وقرئ جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع فالوقف هنا حسن كالوقف على كتابها (كل أمة تدعى الى كتابها) أى الى قراءة صحائف أعمالها والعامة على رفع كل على الابتداء وقرأ يعقوب كل بالنصب على البدل من كل الأولى وتدعى حال أو صفة وعلى هذا فلا وقف على جاثية ويقال لهم حالة الدعاء (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) من خير أو شر (هذا كتابنا) أى كتاب الملائكة التى أمرناهم بكتبه (ينطق عليكم بالحق) خبر ثان أى يشهد عليكم بما عملتم من غير زيادة ونقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى انا كنا فيما قبل نأمر الملائكة باثبات أعمالكم فى الكتابة وورد فى الحديث أن الملك اذا صعد بالعمل يؤمر بالمقابلة على مافى اللوح (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم) فى ذلك اليوم (ربهم فى رحمته) أى فى جنته (ذلك) أى الادخال فى رحمته (هو الفوز المبين) أى الظاهر لخلوص الجنة من الاكدار (وأما الذين كفروا) فيقال لهم بطريق التوبيخ (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) أى ألم تأتكم رسلى فى الدنيا فلم تكن آياتى تقرأ عليكم (فاستكبرتم) عن الايمان بتلك الآيات (وكنتم قوما مجرمين) أى مذنبين باصرار الكفر (واذا قيل) لكم أى وكنتم اذا قيل لكم أيها الكفار من أى قائل كان (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) أى واقع بلا شك وقرأ الأعرج وعمرو بن فائد بفتح الهمزة على اجراء القول مجرى الظن (والساعة لا ريب فيها) وقرأ حمزة بالنصب عطف على وعد الله أى وان الساعة آتية لا شك فى وقوعها والباقون بالرفع على

(وما يهلكنا الا الدهر) أى مايفنينا الا مر الزمان (وما لهم بذلك) الذى يقولون (من علم ان هم الا يظنون) أى ماهم الا ظانون مايقولون (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى أدلتنا فى قدرتنا على البعث (بينات) أى واضحات (ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) أنا نبعث بعد الموت وقوله (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه) أى فى ذلك اليوم (وترى كل أمة) أى أهل دين (جاثية) أى مجتمعة للحساب وقيل جالسة على الركب من هول ذلك اليوم (هذا كتابنا ينطق) يعنى ديوان الحفظة (انا كنا نستنسخ) أى نأمر بنسخ (ما كنتم تعملون)

وقيل اليوم ننساكم) أي نتركم في العذاب كما تركتم الايمان والعمل ليومكم هذا وقوله (ولاهم يستعتبون) أي لايلتمس منهم عمل ولاطاعة (وله الكبرياء) العظمة (في السموات والارض) أي انه يعظم بالعبادة في السموات والارض (وهو العزيز الحكيم)

﴿تفسير سورة الاحقاف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الابالحق) أي الحق ولاقامة الحق (وأجل مسمى) يعني عند انقضاء ذلك الأجل (والذين كفروا عما أنذروا معرضون) أعرضوا بعد ماقامت عليهم الحجة بخلق السموات والارض ثم طالبهم بالدليل على عبادة الأوثان فقال (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات) أي مشاركة مع الله في خلقها لذلك أشركتموهم في عبادته (ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي من قبل القرآن فيه بيان ماتقولون (أو أثارة من علم) أي رواية عن الأنبياء أنهم أمروا بعبادة غيرالله فلماقامت عليهم الحجة جعلهم أضل الخلق فقال

الابتداء والمعنى وقيل والساعة لاريب فيها قال الاخفش والرفع أجود في المعنى وأكثر في كلام العرب اذا جاء بعد خبران لانه كلام مستقل بنفسه بعد مجيء الكلام الأول بتمامه (قلتم ماندري ماالساعة) أي أي شيء هي انكارا لها (ان نظن الاظنا) أي مانقول في أمر الساعة كماقلتم الابالظن لامكانه (وما نحن بمستيقنين) بقيام الساعة والقوم كانوا في أمر البعث فرقتين فرقة جازمة بنفيه وهم المذكورون في قوله تعالى ان هي الاحياتنا الدنيا وفرقة كانت تشك وتتحير فيه لكثرة ماسمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكثرة ماسمعوه من دلائل القول بصحته وهم المذكورون في هذه الآية (وبدا لهم سيئات ماعملوا) أي ظهر لهم في الآخرة سيئات أعمالهم في الدنيا فتصورت لهم بصورة هائلة فيعرفوا مقدار جزائها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي أحاط بهم عقوبة استهزائهم بالرسل (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي قيل لهم اليوم نترككم في العذاب كما تركتم الاقرار بهذا اليوم والعدة للقائه (ومأواكم النار) أي ومستقركم نارجهنم (ومالكم من ناصرين) أي وما لكم أحد يخلصكم منها (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا) أي ذلكم العذاب العظيم بسبب استهزائكم بآيات الله وغروركم بما في الحياة الدنيا وحسبانكم أن لاحياة سواها (فاليوم لايخرجون منها) أي من النار وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء والباقون بضم الياء وفتح الراء (ولاهم يستعتبون) أي ولايطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة لفوات أوانه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) أي فاحمدوا الله الذي هو خالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد على كل أحد من المخلوقين وقرأ العامة رب في الثلاثة بالجر وقرئ بالرفع على المدح باضمار هو (وله الكبرياء في السموات والارض) وهذا اشارة الى أن التكبير لابد وأن يكون بعد التحميد واشارة الى وجوب كون الحامدين أن يعرفوا أنه تعالى أكبر من حمد الحامدين وأن عطاياه أجل من شكر الشاكرين وان الكبرياء له تعالى لالغيره تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي هو الذي يغلب كل شيء الذي يضع الأشياء في مواضعها

﴿ سورة الاحقاف مكية الاقل أرأيتم ان كان من عندالله الآية والاثلاث آيات من قوله تعالى ووصينا الانسان الى قوله تعالى فيقول ماهذا الا أساطير الأولين وهي أربع وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز) أي القوي بالنقمة لمن لايؤمن به (الحكيم) أي المتقن للأمور (ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق) أي الالأجل الفضل والرحمة والاحسان (وأجل مسمى) أي والا لأجل مسمى أي الالوقت معين لافناء الدنيا فان الله العالم ماخلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل أنما خلقه ليكون دار العمل فيقع الجزاء في الدار الآخرة ولو لم توجد القيامة لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين ولتعطل توفية الثواب على المطيعين وتوفية العقاب على الكافرين (والذين كفروا عما أنذروا) أي خوفوا به مما في يوم القيامة (معرضون) فلايؤمنون به ولا يستعدون له (قل) توبيخا لهم (أرأيتم ماتدعون من دون الله) أي أخبروني ماتعبدون من الأوثان وقرئ أرأيتكم (أروني ماذا خلقوا من الارض) أي أخبروني أي شيء خلقه الأوثان مما في الارض (أم لهم شرك) فأم بمعنى الهمزة أي ألهم شركة مع الله تعالى (في السموات) أي في خلقها أو ملكها (ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي بكتاب دال على صحة دينكم كائن من قبل هذا القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك (أو أثارة من علم) أي أو بمنقولة عن الأنبياء من علم سوى ماجاء في

الكتب وقرأ علي وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة أثرة دون ألف وقرأ الكسائي أثره بضم الهمزة وكسرها مع سكون الثاء وقتادة والسلمي بفتح فسكون أي أو ائتوني بخبر واحد يشهد بصحة قولكم (ان كنتم صادقين) في دعواكم (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة) أي لا امرأ أبعد عن الحق وأقرب الى الجهل ممن يعبد الأصنام وهي اذا دعيت لا تصح منها الاجابة لا في الحال ولا بعده الى يوم القيامة وانما جعل غاية لأنه قيل ان الله تعالى يحييها يوم القيامة وتقع بينها وبين من يعبدها مخاطبة (وهم عن دعائهم غافلون) أي والأصنام عن دعاء من يعبدهم لا يسمعون (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي واذا قامت القيامة وحشر الناس كانت هذه الأصنام تعادي هؤلاء العابدين (وكانوا بعبادتهم كافرين) أي وكانت الأصنام مكذبين بكونهم معبودين يقولون انهم انما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنها الآمرة لهم بالاشراك (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) أي واذا يتلى على كفار أهل مكة القرآن واضحا قالوا من غير تأمل في شأن القرآن حين جاءهم هذا المتلو خيال ظاهر بطلانه (أم يقولون افتراه) أي بل أيقولون افترى محمد القرآن من عند نفسه (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) أي قل لهم يا أشرف الخلق ان اختلقت القرآن من تلقاء نفسي كما تقولون فان الله تعالى يعاجلني بالعقوبة حينئذ وأنتم لا تقدرون على دفعه عني معاجلته اياي بالعقوبة فكيف اجترئ على هذه الفرية وأعرض نفسي للعقوبة (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي أعلم بما تتكلمون فيه من التكذيب بالقرآن وتسميته سحرا تارة وفرية تارة أخرى (كفى به شهيدا بيني وبينكم) أي كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار أو كفى بالقرآن شهيدا بيني وبينكم وقد شهد بصدقي وبعجزكم عن معارضة شيء منه (وهو الغفور) لمن رجع عن الكفر (الرحيم) بعباده فلم يعاجلكم بالعقوبة مع عظم ما ارتكبتموه من الذنوب (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي قل يا أكرم الرسل لهم لست أول رسل فلا ينبغي أن تنكروا اخباري بأني رسول الله اليكم مع أن صفتي كصفة من سبق من الرسل ولا أن تنكروا ادعائي لكم الى التوحيد ونهيي لكم عن عبادة الأصنام فان كل الرسل انما بعثوا بهذا الطريق وقرأ عكرمة وأبو حيوة وابن أبي عبلة بدعا بفتح الدال وقرأ أبو حيوة أيضا ومجاهد بفتح الباء وكسر الدال (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما أدري ما يفعل بي أأموت أم أقتل كما قتل الأنبياء قبلي ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم يفعل بكم ما فعل بسائر الأمم كالمكذبين قبلكم (ان أتبع الا ما يوحى الي) أي ما أفعل الا اتباع ما يوحى الي وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب وقال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام أنه يهاجر الى أرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا أن ذلك فرج مما هم فيه من أذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى تهاجر الى الأرض التي رأيتها في المنام فسكت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وهو شيء رأيته في المنام وأنا لا أتبع الا ما أوحاه الله الي اه وقرأ ابن أبي عبلة وزيد بن علي ما يفعل مبنيا للفاعل أي الله تعالى وقرئ ما يوحي على البناء للفاعل (وما أنا الا نذير مبين) أي انهم كانوا يطالبونه صلى الله عليه وسلم بالمعجزات العجيبة وبالاخبار عن الغيوب فقال تعالى قل انما أنذركم عقاب الله تعالى حسب ما يوحى الي من الانذار وليس القادر على الأعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بالغيوب الا الله (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) أي قل يا أشرف الخلق

(ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة) أي أبدا (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أي عادوا معبوديهم لأنهم بسببها وقعوا في الهلكة وجحد المعبودون عبادتهم وهو قوله (وكانوا بعبادتهم كافرين) كقوله تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقوله (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) أي ان عذبني على افترائي فلا تملكوا دفعه واذا كنتم كذلك لم أفتر على الله من أجلكم (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تخوضون فيه من الافك (وهو الغفور) لمن تاب (الرحيم) به (قل ما كنت بدعا) أي بديعا (من الرسل) أي لست بأول مرسل فتنكروا نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي الى أي شيء يصير أمري معكم أتقتلونني أم تخرجونني وقوله ولا بكم أي أتعذبون بالخسف أم بالحجارة والمعنى لا أدري الى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا (قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل) يعني عبد الله بن سلام (على مثله) أي على مثل ما شهد عليه القرآن من تصديق محمد ﷺ (فآمن) ذلك الرجل (واستكبرتم) أي عن الايمان

لليهود أخبروني يامعشر اليهود إن كان القرآن من عندالله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل هو عبدالله بن سلام على صفة القرآن من كونه من عندالله وكونه معجزا للخلق عن معارضته فآمن من هذا الشاهد بالقرآن وتكبرتم يامعشر اليهود عن الايمان به ألستم كنتم ظالمين أنفسكم (ان الله لايهدي القوم الظالمين) روى أنس أنه لما سمع عبدالله بن سلام بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لايعلمهن الا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو أمه فقال صلى الله عليه وسلم: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعها فقال أشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبدالله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا فقال أرأيتم ان أسلم عبدالله فقالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبدالله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت أخاف يارسول الله قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض انه من أهل الجنة الا لعبدالله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله (وقال الذين كفروا) بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع (للذين آمنوا) أي لأجل اسلام من أسلم وهم جهينة ومزينة وأسلم وغفار (لو كان خيرا ماسبقونا اليه) أي ان الكفار لما سمعوا أن جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين وقالوا لهم زعما منهم أن الرئاسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية لو كان هذا الدين خيرا ماسبقنا اليه أولئك الاراذل فان أكثرهم فقراء وموال ورعاة (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) أي واذ لم يهتدوا بالقرآن وظهر عنادهم فسيقولون هذا القرآن كذب قديم ولم يكتفوا بنفي خيريته (ومن قبله كتاب موسى) أي قالوا ذلك والحال انه كان كتاب موسى من قبل القرآن أي كيف يصح كون القرآن افكا قديما وقد رجعوا الى حكم كتاب موسى وقرئ ومن قبله كتاب موسى أي وآتينا من قبل محمد التوراة (اماما) أي قدوة يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه (ورحمة) من الله تعالى لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) أي القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى في أن محمدا رسول الله (لسانا عربيا) حال من كتاب وقيل مفعول لمصدق على حذف مضاف أي مصدق ذا لسان عربي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (لينذر الذين ظلموا) أي لينذر ذلك الكتاب مشركي مكة وقرأ نافع وابن عامر بالتاء لخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (و بشرى للمحسنين) أي المؤمنين بأن لهم الجنة وهو في محل نصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له أو في محل رفع معطوف على مصدق أو كتاب ولا يوقف على ظلموا أما اذا جعل مبتدأ وخبره للمحسنين فالوقف على ظلموا كاف (ان الذين قالوا ربنا الله) وحده (ثم استقاموا) على أداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) من فوات محبوب أي ان الذين جمعوا بين التوحيد والاستقامة في أمور الدين فهم يوم القيامة آمنون من الأهوال وزائل عنهم خوف العقاب أما خوف الجلال والهيبة فلا يزول عن العبد البتة (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) في الدنيا (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) وقرأ عاصم وحمزة والكسائي احسانا وهي قراءة ابن عباس أي أمرناه بأن يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة والباقون حسنا بضم فسكون

(وقال الذين كفروا) من اليهود (لو كان) دين محمد صلى الله عليه وسلم (خيرا ما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه (واذ لم يهتدوا به) أي بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الأولين (ومن قبله) أي ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعني التوراة (اماما ورحمة وهذا كتاب) يعني القرآن (مصدق) أي مصدق لما بين يديه لما تقدم من الكتب (لسانا عربيا) نصب على الحال وقوله

أى أمرناه بأن يوصل اليهما فعلا حسنا وهو ضد القبح أى فعلا ذا حسن وقرئ بضم الحاء والسين وقرأ عيسى والسلمى بفتحهما نزلت هذه الآية فى عبد الرحمن و فى أبيه وأمه وهما أبو بكر الصديق وأم رومان وقالت عائشة نزلت فى خلال بن قلال (حملته أمه) فى بطنها (كرها) أى على مشقة (و وضعته كرها) أى فى مشقة قرأ عاصم وحمزة والكسائى وابن عامر وابن ذكوان بضم الكاف والباقون بالفتح (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أى ومدة حمله و رضاعه ثلاثون شهرا فان أقل مدة الحمل ستة أشهر وان مدة اتمام الرضاع أربعة وعشرون شهرا ولما كان الرضاع يليه الفصال لأنه يتم به سمى فصالا (حتى اذا بلغ أشده) وقرئ اذا استوى و بلغ أشده (و بلغ أربعين سنة) والأصح ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق وأبيه عثمان بن عامر وأمه أم الخير سلمى بنت صخر وذلك ان أبا بكر صحب النبى ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشام فلما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة أكرمه الله تعالى بالنبوة واختصه بالرسالة فآمن به أبو بكر الصديق وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ثم أسلم أبواه وأسلم ابنه عبد الرحمن ثم ابنه محمد كلهم أدركوا النبى ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله أسلم هو وأبواه وأولاده و بناته كلهم الا أبو بكر و والده أبو قحافة وأمه سلمى بنت صخر فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة دعا ربه (قال رب أوزعنى) أى ألهمنى و وفقنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت) بها (على وعلى والدى) وهى نعمة الدين قال الذين قالوا ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق ان أبا بكر أسلم والداه ولم يتفق لأحد من الصحابة والمهاجرين اسلام الأبوين الا له (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس فأجاب الله دعاء أبى بكر فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله ولم يترك شيئا من الخير الا أعانه الله عليه (وأصلح لى فى ذريتى) أى واجعل الصلاح راسخا فى ذريتى قال ابن عباس لم يبق لأبى بكر ولد من الذكور والاناث الا وقد آمنوا (انى تبت اليك) عما يشغلنى عن ذكرك (وانى من المسلمين) الذين أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) أى أهل هذا القول (الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات فالمباح حسن لا يثاب عليه (وتتجاوز عن سيئاتهم) وقرأ الاخوان وحفص الفعلين بفتح النون والباقون بياء مضمومة بينائهما للمفعول و رفع أحسن وقرأ الحسن والأعمش وعيسى بياء مفتوحة فيهما والفاعل الله تعالى (فى أصحاب الجنة) أى كائنين فى جملتهم (وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) أى وعدهم الله وعدا صادقا فى الدنيا على لسان الرسول ﷺ (والذى قال لوالديه) عند دعوتهما له الى الايمان (أف لكما) أى قذرا لكما وقرئ أف بفتح الفاء وكسرها بغير تنوين و بالحركات الثلاث مع التنوين لكن القراآت السبعية ثلاثة كسر الفاء مع التنوين وتركه وفتحها من غير تنوين وهو صوت اذا صوت الانسان به علم أنه متضجر كما اذا قال أوه علم انه متوجع واللام فى لكما لبيان المؤفف له معناه هذا التأفيف لأجلكما خاصة دون غيركما (أتعداننى أن أخرج) أى أن أبعث من القبر وقرأ هشام بادغام النون الأولى فى الثانية وقرأ بعضهم بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرين والياء ففتح الأولى تحريا للتخفيف وقرئ ان أخرج بفتح الهمزة وضم الراء (وقد خلت القرون من قبلى) أى وقد مضت الأمم من قبلى ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) أى و والداه يدعوان الله أو يستغيثان بالله من كفره وانكاره البعث قائلين له (ويلك) وهو دعاء بالهلاك والمراد به التحريض على الايمان (آمن) أى صدق بالبعث (ان وعد الله) بالبعث بعد الموت (حق) أى كائن وقرئ أن بفتح الهمزة أى آمن بأن وعد الله حق (فيقول) مكذبا لهما (ماهذا الا أساطير الأولين) أى ما هذا الذى تسميانه وعد الله الا أكاذيب الأولين التى كتبوها فى كتبهم من غير أن يكون لها حقيقة (أولئك الذين حق عليهم القول) أى ثبتت عليهم كلمة العذاب (فى أمم

(حملته أمه كرها) أى على مشقة (ووضعته كرها) أى على مشقة (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أقل الحمل ستة أشهر والفصال الفطام و يكون ذلك بعد حولين (حتى اذا بلغ أشده) أى غاية شبابه وهى ثلاث وثلاثون سنة (و بلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى) الآية نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وذلك أنه لما بلغ أربعين سنة آمن بالنبى ﷺ وآمن أبواه فذلك قوله (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) أى بالايمان (وأصلح لى فى ذريتى) بأن تجعلهم مؤمنين فاستجاب الله له فى أولاده فأسلموا ولم يكن أحد من الصحابة أسلم هو وأبوه و بنوه و بناته الا أبو بكر (والذى قال لوالديه) نزلت فى كافر عاق قال لوالديه (أف لكما أتعداننى أن أخرج) من قبرى حيا (وقد خلت القرون من قبلى) فلم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يعنى والديه يستغيثان الله على ايمان ولدهما و يقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ماهذا) الذى تدعوننى اليه (الا أساطير الأولين أولئك الذين) أى من كان بهذه الصفة فهم الذين (حق عليهم القول) أى وجب عليهم العذاب (فى أمم) كافرة

قدخلت) أى مع أمم قدمضت (من قبلهم من الجن والانس) أى من كفارهم (انهم كانوا خاسرين) أى قدضيعوا أعمارهم فى الضلال قال ابن عباس والسدى نزل قوله تعالى والذى قال الى آخره فى عبدالله ابن أبى وقيل فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام فأبى وقال أف لكما الخ ثم أسلم وحسن اسلامه وصار من أفاضل المسلمين فالذين قالوا والمراد بقوله تعالى والذى قال لوالديه أف كل عاق لوالديه فاجر لربه قالوا ان الوعيد فى قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية مختص بهم فاسم الاشارة عائد الى القائلين هذه المقالات الباطلة أما من قال المراد بنزول الآية سيدنا عبدالرحمن ابن سيدنا أبى بكر فيقولون ان اسم الاشارة عائد الى القرون التى قبله فالمراد أجداده والوعيد عليهم كان له جدان ماتا فى الجاهلية جدعان وعثمان ابنا عمرو (ولكل درجات مما عملوا) أى ولكل واحد من الفريقين درجات من الايمان والطاعة والكفر والمعصية قال ابن زيد درج أهل الجنة يذهب علوا ودرج أهل النار ينزل هبوطا (وليوفيهم أعمالهم) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام وعاصم بالياء التحتية أى وجازاهم الله بذلك ليوفيهم أجزية أعمالهم والباقون بالنون أى ونجازيهم لنوفيهم جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين قدر الله جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يوم يعذبون بالنار يقال لهم (أذهبتم) قرأ ابن كثير بهمزة ومدة وابن عامر بهمزتين بلا مد وهشام بهمزتين ومد بينهما والباقون بهمزة محققة (طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) أى قد أخذتم ما قدر لكم من الراحات فى الدنيا وتمتعتم باللذات واتبعتم الشهوات فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم فى الدنيا شىء منها فى الآخرة (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى بالعذاب الشديد وقرئ عذاب الهوان (بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أى بسبب استكباركم بغير استحقاق لذلك أو بسبب خروجكم عن طاعة الله تعالى فالترفع ذنب القلب والفسق ذنب الجوارح (واذكر) يا أكرم الرسل لكفار مكة (أخا عاد) هود بن عبدالله بن رباح (اذ أنذر قومه) بدل اشتمال أى وقت حذرهم عقاب الله ان لم يؤمنوا (بالأحقاف) أى نازلين على رمال مشرفة على البحر فى أرض الشحر من بلاد اليمن وقال ابن عباس هو واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أى وقد مضت الرسل من قبل هود ومن بعده (أن لا تعبدوا الا الله) وهذا تفسير للانذار وانما كان هذا انذارا لأن النهى عن الشىء تخويف من مضرته أى صورة انذار هود أن قال لا تعبدوا الخ فأن مخففة من الثقيلة وباء التصوير مقدرة معها ولا ناهية (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا) يا هود (لتأفكنا عن آلهتنا) أى لتصرفنا عن عبادة آلهتنا (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعدك بنزول العذاب بنا (قال) لهم هود (انما العلم عند الله) أى لا علم لى بوقت عذابكم انما علم وقت اتيان العذاب عند الله تعالى (وأبلغكم ما أرسلت به) من التحذير عن العذاب وأما العلم بوقته فما أوحاه الله الى وأما الاتيان بالعذاب فليس بمقدورى بل هو من مقدورات الله تعالى وقرأ أبو عمرو بسكون الباء (ولكنى أراكم قوما تجهلون) حيث تصرون على طلب العذاب فان لم يظهر لكم كونى صادقا لم يظهر لكم كونى كاذبا فالاقدام على طلب العذاب جهل عظيم (فلما رأوه) أى رأوا ما يوعدون به (عارضا) أى سحابا يعرض فى أفق السماء وهو بدل من الضمير العائد على ما فى بما تعدنا (مستقبل أوديتهم) أى سائرا الى أوديتهم استبشروا و (قالوا عارض ممطرنا) أى هذا المرئى سحاب يأتينا بالمطر قال هود ليس الأمر كذلك (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شىء بأمر ربها) أى تهلك

(من الجن والانس ولكل) من المؤمنين والكافرين (درجات) أى منازل ومراتب فى الثواب والعقاب (مما عملوا) (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيقال لهم (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) وذلك أنهم يفعلون ما يشتهون لا يتوقون حراما ولا يجتنبون مأثما (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الهوان الآية (واذكر أخا عاد) يعنى هودا (اذ أنذر قومه بالأحقاف) يعنى منازلهم (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أى قد أنذروا بالعذاب ان عبدوا غير الله قبل انذار هود وبعده (قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) أى لتصرفنا (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله) أى هو يعلم متى يأتيكم العذاب (و) انما أنا مبلغ (أبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون) مراشدكم حين أدلكم على الرشاد وأنتم معرضون (فلما رأوه) أى السحاب (عارضا) قد عرض فى السماء (مستقبل أوديتهم) يأتى من قبلها ويقصدنا (قالوا هذا عارض ممطرنا) أى سحاب يمطر علينا قال الله (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (تدمر) أى تهلك (كل شىء) مرت به من الرجال والدواب

كل شيء من الناس والحيوان والنبات بقدرة الله تعالى لأجل تعذيبكم وروى أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع فكانت الريح التي تصيبهم بحالينة هادئة طيبة والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطير بهم الى السماء وتضربهم على الارض وروى أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم يطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأحال الله عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفتها الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) أي فصاروا بعد الهلاك لا ترى الا آثار مساكنهم وقرأ حمزة وعاصم يرى بضم الياء التحتية ورفع مساكنهم والباقون لا ترى بفتح تاء الخطاب ونصب مساكنهم أي لا ترى أنت أيها المخاطب وقرأ الجحدري والأعمش وابن أبي اسحق والسلمي وأبو رجاء بضم التاء الفوقية ورفع مساكنهم (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء الهائل (نجزى القوم المجرمين) وهذا تخويف لكفار مكة (ولقد مكناهم فيما ان مكنا كم فيه) أي ولقد قررناعادا في أمر عظيم لم نقرركم يا أهل مكة فيه من قوة الأبدان وطول الأعمار وكثرة الأموال ومع ذلك ما نجوا من عقاب الله فكيف يكون حالكم (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء) أي وأعطيناهم سمعا فما استعملوه في سماع الدلائل وأبصارا فما استعملوها في تأمل العبر وأفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فما دفع عنهم هذه القوى شيئا من عذاب الله تعالى (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) أي لأجل أنهم كانوا ينكرون دلائل الله تعالى (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه بطريق الاستهزاء (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وعاد وأرض سدوم وسبأ ومدين والأيكة وقوم لوط وفرعون وأصحاب الرس (وصرفنا الآيات) أي كررناها لهم (لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا من الكفر والمعاصي (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أي فهلا خلصهم من العذاب الأصنام التي اتخذوها آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) أي بل غابوا عنهم فنصرة آلهتهم لهم أمر ممتنع (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك أي امتناع نصرهم أثر كذبهم الذي هو اتخاذهم الأصنام آلهة وأثر افترائهم الكذب على الله تعالى في اثبات الشركاء له تعالى وقرأ ابن عباس أفكهم بفتح الهمزة وسكون الفاء وقرأ عكرمة والصباح أفكهم على صيغة الماضي أي وذلك الاتخاذ الذي هو ضياع آلهتهم عنهم ثمرة صرفهم عن الحق وقرأ أبو عياض وعكرمة أيضا افكهم بتشديد الفاء وابن الزبير وابن عباس أيضا آفكهم بمد الهمزة أي جعلهم آفكين وقرأ ابن عباس أيضا آفكهم على صيغة اسم الفاعل بمعنى صارفهم (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أي واذكر لقومك اذ وجهنا اليك جماعة كائنة من جن نصيبين في الجزيرة وهي بين الشام والعراق (يستمعون القرآن فلما حضروه) أي القرآن عند تلاوته (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أي اسكتوا لنسمعه روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر من أشراف جن نصيبين منهم زوبعة فسافروا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي فاستمعوا لقراءته وذلك عند رجوعه من الطائف وذلك في السنة الحادية عشرة من النبوة (فلما قضى) أي فرغ من تلاوة القرآن وقرأ أبو مجلز وأبو حبيب بن عبد الله قضى بالبناء للفاعل أي أتم الرسول قراءته (ولوا) أي رجعوا (الى قومهم منذرين) روى محمد بن جرير الطبري عن ابن عباس أن أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى

(فأصبحوا لا ترى) أشخاصهم (الا مساكنهم) لان الريح أهلكتهم وفرقتهم وبقيت مساكنهم خالية (ولقد مكناهم) من القوة والعمر والمال (فيما ان مكناكم فيه) أي في الذي ما مكناكم فيه (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) أي بينا الدلالات (لعلهم يرجعون) يعني الأمم الهالكة (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) يعني أوثانهم التي اتخذوها آلهة يتقربون بها الى الله (بل ضلوا عنهم) أي بطلوا عند نزول العذاب (وذلك افكهم) يعني كذبهم وكفرهم يعني قولهم انها آلهتنا تقربنا الى الله (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) كانوا تسعة نفر من الجن من نينوى من أرض الموصل وذلك أنه أمر أن ينذر الجن فصرف اليه نفر منهم ليستمعوا و يبلغوا قومهم (فلما حضروه) قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أي اسكتوا (فلما قضى) أي فرغ من تلاوة القرآن (ولوا) أي رجعوا (الى قومهم منذرين قالوا) لهم ما قص الله في كتابه وقوله

الله عليه وسلم رسلا الى قومهم (قالوا) عند رجوعهم الى قومهم (ياقومنا انا سمعنا كتابا) أى قرآنا يقرأ (أنزل من بعد موسى) روى عن عطاء والحسن انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا وعن ابن عباس أن الجن ما سمعت أمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) أى لما قبله من كتب الأنبياء (يهدى الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) أى موصل الى المقصود وهى الأعمال الصالحة (ياقومنا أجيبوا داعى الله) محمدا صلى الله عليه وسلم أو كتابه (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) أى يغفر الله بعض ذنوبكم وهو حق الله تعالى وحق الحربيين فهو يغفر بمجرد اسلام الظالم ولا يتوقف على الاستحلال من المظلوم الحربى فى أما مظالم العباد غير الحربيين فلا تغفر الا برضا أصحابها وهذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله صلى الله عليه وسلم (ويجركم من عذاب أليم) أى ويمنعكم الله من عذاب أليم معد للكفرة قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى عليه وسلم فوافوه فى البطحاء فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم (ومن لا يجب داعى الله) محمدا أو من يبلغ عنه (فليس بمعجز) له تعالى (فى الارض) بهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى أعماقها (وليس له من دونه) أى من غير الله (أولياء) أى أنصار يدفعون عنه العذاب بالاستشفاع له أو الافتداء به (أولئك) أى من لا يجيبون داعى الله (فى ضلال مبين) أى ظاهر وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (أولم يروا) أى ألم يتفكر كفار مكة ولم يعلموا علما جازما (أن الله الذى خلق السموات والارض) ابتداء من غير مثال (ولم يعى) أى لم يتعب (بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى) وانما جاز ادخال الباء على خبر ان لانه فى تأويل خبر ليس فكأنه قيل أليس الله بقادر ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى (بلى) هو قادر على احياء الموتى (انه على كل شئ قدير) فان تعلق الروح بالجسد أمر ممكن اذ لو لم يكن ممكنا فى نفسه لما وقع أولا والله تعالى قادر على جميع الممكنات فوجب كونه تعالى قادرا على اعادة الروح الى الجسد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يوم يعذبون بالنار يقال لهم (أليس هذا) أى العذاب (بالحق) أى بالعدل (قالوا بلى وربنا) انه الحق أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون فى الخلاص من العذاب بالاعتراف بحقية عذاب النار كما فى الدنيا وانى لهم ذلك (قال) الله لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم فى الدنيا (فاصبر) أى اذا كان عاقبة أمر الكفار ما ذكر فاصبر على أذى قومك (كما صبر أولوا العزم من الرسل) أى كما صبر أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تقريرها وصبروا على تحمل مشاق معاداة الطاعنين فيها وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد ذكرهم الله على التعيين فى قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك الآية (ولا تستعجل لهم) أى لكفار مكة بالعذاب فانه نازل بهم لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أى وعند نزول العذاب بهم فى الآخرة يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار لطول مدة العذاب ولهول ما عاينوه من شدة العذاب والمعنى أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه ساعة يسيرة من النهار أو كأن لم يكن (بلاغ) أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا القرآن كفاية فيها وقرأ زيد بن على والحسن وعيسى بلاغا نصبا اما على المصدر أى بلغ أيها الرسول بلاغا كما يؤيده قراءة أبى مجاز بلغ أمرا واما على النعت لساعة وقرأ الحسن أيضا بلاغ بالجر على أنه وصف لنهار على حذف مضاف أى ذى بلاغ أى أجل (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) أى فلا يهلك بالعذاب الا الخارجون عن الاتعاظ

(ولم يعى بخلقهن) أى لم يضعف عن ابداعهن (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) أى ذوو الرأى والجد وكلهم أولو العزم الا يونس وقيل هم أصحاب الشرائع نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم منهم (ولا تستعجل) العذاب (لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب فى الآخرة (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا ساعة من نهار) أى لهول ما عاينوا نسوا قدر مكثهم فى الدنيا (بلاغ) أى هذا القرآن بلاغ يعنى تبليغ من الله اليكم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) أى لا يهلك مع رحمة الله وتفضله الا القوم الكافرون

به والعمل بموجبه وقرأ ابن محيصن يهلك بفتح الياء وكسر اللام و بفتحهما وقرأ زيد بن ثابت يهلك بضم الياء وكسر اللام والفاعل الله و بنصب القوم الفاسقين ونهلك بنون العظمة ونصب القوم ووصفه قال ابن عباس اذا عسر على المرأة ولدها تكتب هاتين الآيتين والكلمتين فى صحفة ثم تغسل وتسقى منها وهى بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ الآية والله أعلم

﴿سورة القتال وتسمى سورة محمد وسورة الذين كفروا مكية وهى تسع وثلاثون آية . وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة . وألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الذين كفروا) من قريش (وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا عن الاسلام ومنعوا عقولهم من اتباع الدليل كالمطعمين الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ومنبه وغيرهم (أضل أعمالهم) أى أبطل الله أعمالهم فلم يبق لهم عمل بر لانها لم تكن لله ولا بأمره انما فعلوها من عند أنفسهم (والذين آمنوا) بالله ورسوله واليوم الآخر (وعملوا الصالحات) فيما بينهم و بين ربهم (وآمنوا بما نزل على محمد) أى بجميع الأشياء الواردة فى كلام الله ورسوله (وهو الحق من ربهم) أى الحق النازل من ربهم (كفر عنهم سيئاتهم) أى ستر الله أعمالهم السيئة بالايمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أى حالهم ونياتهم وذلك حيث يأتى المؤمن بسيئة ثم يتنبه و يندم و يقف بين يدى ربه معترفا بذنبه مستحقرا لنفسه فصار الذنب شرطا للندم والثواب ليس على السيئة وانما هو على الندم (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أى ذلك اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال كائن بسبب أن الكفار اتبعوا الشيطان و بسبب أن المؤمنين اتبعوا أمر الله وقوله من ربهم اما متعلق باتبعوا الاخير أى من فضل ربهم أو من هدايته أو متعلق بالأمرين جميعا أى اتبع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق من حكم ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أى مثل هذا البيان يبين الله للناس أحوالهم العجيبة باحباط الاعمال للكفر و بغفر الذنوب بالايمان والفعلان قد يتحدان صورة وحقيقة وأحدهما يورث ابطال الاعمال والآخر يورث تكفير السيئات بسبب أن أحدهما يكون فيه اتباع الباطل والآخر يكون فيه اتباع الحق كاطعام الطعام وقد يختلفان فى الظاهر والباطن كمن يؤمن ظاهرا وهو يسر الكفر ومن يكفر ظاهرا بالاكراه وقلبه مطمئن بالايمان فابطال الاعمال لمن أظهر الايمان بسبب أن اتباع الباطل من جانبه فكأنه تعالى قال الكفر والايمان مثلان يثبت فيهما حكمان وقد علم سبب ثبوت الحكم وهو اتباع الحق والباطل فكل أمر اتبع فيه الحق كان مقبولا مثابا عليه وكل أمر اتبع فيه الباطل كان مردودا معاقبا عليه فصار هذا عاما فى الامثال (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) أى فاذا لقيتم الكفار فى المحاربة يوم بدر فاضربوا أعناقهم أى فاقتلوهم بأى طريق أمكنكم (حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق) أى حتى اذا أضعفتموهم بالجراح فاستوثقوا الاسر (فاما منا بعد واما فداء) أى فاما تمنون منا عليهم بارسالهم من غير فداء بعد أسرهم وشد وثاقهم واما تفدون فداء بمال أو أسرى مسلمين (حتى تضع الحرب أوزارها) أى حتى تضع أهل الحرب آلات الحرب أى حتى تنقرض الحرب بالكلية بحيث لا يبقى فى الدنيا حزب من أحزاب الكفر يحارب حزبا من أحزاب الاسلام (ذلك) أى ذلك المذكور واجب (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أى لانتقم من الكفار من غير قتالكم ببعض أسباب الهلكة كالخسف (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) أى ولكن لم يشأ ذلك بل يكلفكم بالقتال ليحصل لكم شرف باختياره اياكم لهذا الأمر

يعني أهل مكة (وصدوا عن سبيل الله) أى ومنعوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (أضل أعمالهم) أى أحبطها فلا يرون فى الآخرة لها جزاء وقوله (كفر عنهم سيئاتهم) أى سترها وغفرها لهم (وأصلح بالهم) أى أمرهم وحالهم (ذلك) يعنى الاضلال والتكفير لاتباع الكافرين الشيطان واتباع المؤمنين الحق وهو القرآن (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أى كالبيان الذى ذكر يبين الله للناس أمثال سيئات الكافرين وحسنات المؤمنين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) يعنى فاضربوا رقابهم أى فاقتلوهم (حتى اذا أثخنتموهم) أى أكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) أى وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم (فاما منا بعد) أى بعد أن تأسروهم يعنى اما منتم عليهم فأطلقتموهم واما أن تفادوهم بمال (حتى تضع الحرب أوزارها) أى يضع أهلها آلة الحرب من السلاح وغيره و يدخلوا فى الاسلام أو الذمة (ذلك) أى افعلوا ذلك الذى ذكرت (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أى أهلكهم بغير قتال (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) أى يمحص المؤمنين بالقتال فى الجهاد ويمحق الكافرين

ويختبركم بالكفار لتجاهدوهم لاستحقاق العظيم وليختبرهم بكم ليعاجلهم ببعض العذاب على أيديكم كى يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم) قرأ أبو عمرو وحفص قتلوا مبنيا للمجهول أى والذين استشهدوا فى طاعة الله يوم بدر فلن يضيع الله أعمالهم أى لا تخافوا القتل فان من يقتل فى سبيل الله له من الاجر مالا يمنع المقاتل من القتال بل يحثه عليه وقرأ الباقون قاتلوا أى جاهدوا لاعلاء دين الله سواء قتلوا أولم يقتلوا (سيهديهم) فى الدنيا الى أرشد الامور ان لم يقتلوا وفى الآخرة الى طريق الجنة من غير وقفة من قبورهم الى موضع حبورهم (ويصلح بالهم) أى حالهم فى الدنيا والآخرة بأن يقبل الله أعمالهم ويرضى خصماءهم يوم القيامة (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى اذا دخلوها يقال لهم تفرقوا الى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم وقال ابن عباس أى طيبها لهم (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى ان تنصروا دين الله وحزب الله (ينصركم) على أعدائكم (ويثبت أقدامكم) أى يثبتكم فى مواضع الحرب وعلى محجة الاسلام (والذين كفروا فتعسا لهم) أى فألزمهم الله هلاكا وعثارهم واجب لان آلهتهم جمادات لاقدرة لها على النصرة (وأضل أعمالهم) أى أبطل نفقاتهم يوم بدر (ذلك بأنهم كرهوا ما نزل الله) أى ذلك الهلاك وابطال الاعمال بسبب انهم كرهوا القرآن لما فيه من بيان التوحيد وبيان أمر الآخرة (فأحبط أعمالهم) أى فأبطل الله حسناتهم فلو عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها (أفلم يسيروا فى الارض) أى أقعد كفار مكة فى أماكنهم ولم يسافروا فى الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم المكذبة (دمر الله عليهم) أى أهلك الله ما يختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم (وللكافرين أمثالها) أى ولقوم محمد أمثال تلك العاقبة فأهلكوا بأيدى أمثالهم الذين كانوا لا يرضون بمجالستهم وأسروا بأيدى من كانوا يستضعفونهم وذلك الألم من الهلاك بسبب عام (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) أى ثبوت هلاك أمة محمد كالامم السالفة بسبب أن الله تعالى ناصر المؤمنين على أعدائهم وقرئ ولى الذين الخ (وأن الكافرين لا مولى لهم) أى وأن الكافرين اتخذوا آلهة لا تنفع ولا تضر وتركوا الله فلا ناصر لهم (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) فالانهار يتبعها الاشجار والاشجار يتبعها الثمار والماء سبب حياة العالم والمؤمنون ينظرون اليه وينتفعون به (والذين كفروا يتمتعون) أى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها (ويأكلون كما تأكل الانعام) فلا يهمهم الا أكل الملاذ ولا يستدلون بالمأكولات على خالقها ولا يعلمون عاقبة أمرهم كالانعام فانها لا تعلم انها كلما كانت أسمن كانت أقرب الى الذبح (والنار مثوى لهم) فيتقلبون فى النار ويتضررون بها (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم) أى وكم من أهل قرية كذبوا رسلهم أهلكناهم وهم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم (فلا ناصر لهم) من اهلاكنا كذلك نفعل بأهل مكة فاصبر كما صبر رسل أولئك (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) أى أليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة من مالك أمره وهو القرآن وسائر الحجج العقلية كمن زين له سوء عمله فرآه حسنا واتبعوا أهواءهم الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار) ومثل مبتدأ وخبره فيها أنهار وهو عين المبتدا لان اشتمال الجنة على أنهار من كذا وكذا صفة لها وقيل ان مثل زائدة وقيل والخبر مقدر والتقدير وفيما نقص عليكم مثل الجنة وعلى هذا فالوقف على المتقون كاف والجملة بعده مفسرة للمثل (من ماء غير آسن)

(و يصلح بالهم) أى أمر معاشهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى بين لهم مساكنهم فيها وعرفهم منازلهم فيها (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى رسوله ودينه (ينصركم ويثبت أقدامكم) يعنى فى مواطن القتال (والذين كفروا فتعسا لهم) أى سقوطا وهلاكا (وأضل أعمالهم) أى أبطلها لانها كانت للشياطين ثم توعدهم فقال (أفلم يسيروا فى الأرض) الى قوله (وللكافرين أمثالها) أى أمثال تلك العاقبة التى كانت لمن قبلهم (ذلك) أى ذلك النصر للمؤمنين والاهلاك للكافرين (بأن الله مولى الذين آمنوا) أى وليهم وناصرهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) لا ولى لهم ينصرهم من الله (والذين كفروا يتمتعون) أى فى الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) أى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ثم يصيرون الى النار (وكأين) أى وكم (من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) يعنى مكة أخرجك أهلها (أهلكناهم) أى بتكذيبهم الرسل (فلا ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه) وهو النبى والمؤمنون (كمن زين له سوء عمله أى واتبعوا أهواءهم) وهو أبو جهل والكفار (مثل) أى صفة (الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن) أى غير متغير الرائحة

أى غير متغير ريحه وطعمه حتى فى البطون وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة والباقون بمدها (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم فلو أرادوا تغيره من أصل خلقته لشهوة اشتهوها تغير (وأنهار من خمر لذة للشاربين) بأسرهم فليس فيها كراهة الطعم لهم وهى لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) من شمع وغيره وروى عن كعب الأحبار انه قال نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر (ولهم فيها من كل الثمرات) أى ولأهل الجنة فى الجنة زوجان من كل الثمرات (ومغفرة من ربهم) أى ولهم فيها رفع تكليف عنهم فيأكلون و يشربون من غير حساب ولا عقاب ورفع قبيح ومكروه فلا يحتاجون الى غائط ولا يمرضون بسبب تناول المأكولات والمشروبات بخلاف الدنيا فان للأكل توابع ولوازم لا بد منها (كمن هو خالد فى النار) أى أمن هو خالد فى هذه الجنة حسب ما جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم (وسقوا ماء حميما) أى حارا (فقطع أمعاءهم) أى مباعرهم لحدة تكون فى ذلك الماء من فرط الحرارة وقوله تعالى على بينة فى مقابلة زين له سوء عمله وقوله تعالى من ربه فى مقابلة واتبعوا أهواءهم والجنة فى مقابلة النار والثمار فى الجنة فى مقابلة الزقوم فى النار والماء الحميم فى مقابلة الأنهار وقطع الامعاء فى مقابلة المغفرة لأن المغفرة التى فى الجنة على أحد الوجوه هى تعرية أكل الثمرات عما يلازمه من قضاء الحاجة والأمراض كأنه تعالى قال للمؤمن أكل وشرب لا يجتمع فى جوفهم فيؤذيهم و يحوجهم الى قضاء الحاجة وللكافر ماء حميم ففى أول ما يصل الى جوفهم يقطع مصارينهم و يشتهون خروجه من جوفهم فخرجت المصارين من أدبارهم ثم الوجه فى توحيد الضمير العائد الى من وجمعه أن يقال المسند الى من اذا كان متصلا فرعاية اللفظ أولى لأنه المسموع واذا كان مع انفصال فرعاية المعنى أولى لأنه لا يسمع بل يبقى فى ذهن السامع فالحمل فى الانفصال على المعنى وهو جمع الضمير أولى وحمل الاتصال على اللفظ وهو افراد الضمير أولى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) أى ومن الخالدين فى النار قوم يستمعون الى خطبتك يوم الجمعة فاذا خرجوا من المسجد قالوا للعلماء من الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء بما قال النبى صلى الله عليه وسلم أى شىء قال محمد على المنبر الساعة الماضية القريبة منا أى لا نعمل بقوله لأنه قول ساقط لا يعتد به وقرأ البزى بخلاف عنه بقصر الهمزة (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) أى أولئك التاركون اتباع الحق هم الذين أمات الله قلوبهم فلم تفهم فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) أى والذين اهتدوا بالايمان زادهم الله تعالى على الاهتداء هدى حتى ارتقوا من درجة المهتدين الى درجة الهادين وخلق الله فيهم كمال التقوى فلا يخافون معها لومة لائم و يتنزه العارفون عما يشغل أسرارهم عن الحق و يتبتلون اليه (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) وأن تأتيهم بدل اشتمال من الساعة وأنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ مؤخر والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر أهوال الأمم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وعظائم الأهوال فيها فما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة فجأة اذ قد جاء علاماتها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة فمن أين لهم التذكر والتوبة اذا جاءتهم الساعة فجأة أى لا تنفعهم الذكرى اذ لا تقبل التوبة ولا يحسب الايمان حينئذ وقرئ ان تأتيهم على أن ان شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى ان تأتيهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر أماراتها كرسالة محمد ﷺ وانشقاق القمر ونحوهما فكيف لهم اتعاظهم اذا جاءتهم (فاعلم أنه لا اله الا الله) أى اذا علمت أن مدار

(وأنهار من خمر لذة للشاربين) أى لذيذة (ومنهم من يستمع اليك) يعنى المنافقين (حتى اذا خرجوا من عندك) كانوا يستمعون خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا خرجوا سألوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء واعلاما أنهم لم يلتفتوا الى ما قال يقولون (ماذا قال آنفا) أى الآن وقوله (وآتاهم تقواهم) أى ثواب تقواهم و يجوز أن يكون المعنى وألهمهم تقواهم يعنى وفقهم لها (فهل ينظرون) يريد ينتظرون (الا الساعة) أى القيامة (أن تأتيهم بغتة) أى هم فى الحقيقة كذلك لأنه ليس الأمر الا أن تقوم الساعة عليهم بغتة (فقد جاء أشراطها) أى علاماتها من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وغيره (فأنى لهم اذا جاءتهم) الساعة (ذكراهم) أى فمن أين لهم أن يتذكروا و يتوبوا بعد مجىء الساعة (فاعلم أنه لا اله الا الله) أى فاثبت على ذلك من علمك

السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على العلم بالوحدانية والعمل بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو ترك الأفضل أو ضرب اليهودي زيد بن السمين (وللمؤمنين والمؤمنات) والنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حالات حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره والمعنى فوحد الله واطلب العصمة من الله لنفسك واطلب الغفران من الله للمؤمنين والمؤمنات ومعنى طلب الغفران طلب عدم الافتضاح ولذلك قد يكون بالعصمة من القبيح كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر على القبيح بعد وجوده كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أي يعلم أحوالكم في الدنيا ومواطن اقامتكم في الآخرة اما في الجنة أو في النار (ويقول الذين آمنوا) اذا تأخر عنهم التكليف خوفا من أن لا يؤهلوا للعبادة (لولا نزلت سورة) أي هلا نزلت سورة فيها تكليف بمحن المؤمن والمنافق (فاذا أنزلت سورة محكمة) أي لم تنسخ (وذكر فيها القتال) أي وذكر فيها الأمر بالقتال فانه أشق تكليف وقرئ وذكر فيها القتال على بناء الفعل للفاعل وهو الله تعالى وعلى نصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم نحوك عند ذكر القتال شخوصا مثل شخوص من أصابته غشية الموت من كراهية قتالهم مع العدو (فأولى لهم) أي قاربهم ما يهلكهم أو فالهلاك لهم وهذا تهديد لهم من عذاب الله تعالى أو يقال فالموت أولى لهم فان الموت خير من الحياة التي ليست في طاعة الله ورسوله (طاعة وقول معروف) أي طاعة مخلصة وقول حسن خير لهم وقيل هذا حكاية لقولهم ويدل عليه قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أي يقول المنافقون أمرنا طاعة وكلام حسن لمحمد عليه الصلاة والسلام (فاذا عزم الأمر) أي فاذا جد الأمر خالفوا موعدهم وتأخروا عنه (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) أي فلو صدقوا الله تعالى في ايمانهم واتباعهم الرسول لكان الصدق خيرا لهم أو فلو صدقوا الله في ذلك القول وأطاعوا الله ورسوله لكان الصدق خيرا لهم وقيل ان جملة فلو صدقوا الله الخ جواب اذا مثل قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لأطعمتك (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) أي ان كنتم تتركون القتال وتعرضون عنه وتقولون ان في القتال افسادا وقطع الأرحام لكون الكفار أقاربنا فلا يقع منكم الا ذلك حيث تقاتلون على أدنى شيء كما هو عادة العرب وهذه الآية اشارة الى فساد قولهم كيف نقاتل والقتال افساد والعرب من ذوي أرحامنا فقال تعالى ان أعرضتم عن القتال فلا يقع منكم الا الفساد في الأرض فانكم تقتلون من تقدرون عليه وتنهبونه والقتال واقع بينكم أليس قتلكم البنات افسادا وقطعا للرحم فلا يصح تعللكم بذلك مع أنه خلاف ما أمر الله به وهذا القتال مع الكفار طاعة وقيل ان توليتم من الولاية والمعنى فلعلكم يا معشر المنافقين تتمنون ان صرتم أمراء على الناس وصاروا بأمركم أفسدتم في الأرض بالقتل والمعاصي وقطعتم الأرحام باظهار الكفر ويؤكد هذا القول قراءة من قرأ وليتم على البناء للمفعول أي وأن جعلتم ولاة ظلمتم بأخذ الرشا ونحوه وقراءة علي رضي الله عنه توليتم والمعنى ان تولاكم ولاة ظلمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ تقطعوا بحذف احدى التاءين من التقطع فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار أي في أرحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع (أولئك الذين لعنهم الله) أي أبعدهم الله عن الخير (فأصمهم) فلا يسمعون الكلام المستبين (وأعمى أبصارهم) فلا يتبعون الصراط المستقيم فمن حيث انهم استمعوا الكلام العلمي ولم يفهموه فهم صم وعند الأمر بالعمل تركوه وعللوا بكونه افسادا وقطعا للرحم وهم كانوا يتعاطونه عند النهي عنه فتركوا اتباع النبي الذي يأمرهم بالاصلاح وصلة الأرحام ولو دعاهم من يأمر بالافساد وقطيعة الرحم لاتبعوه فهم عمي

(والله يعلم متقلبكم) أي متصرفكم في أعمالكم وأشغالكم وقيل متقلبكم في الأصلاب الى الأرحام (ومثواكم) أي مرجعكم في الدنيا والآخرة (ويقول الذين آمنوا) حرصا منهم على الوحي اذا استبطأوه (لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة) أي غير منسوخة (وذكر فيها القتال) أي فرض فيها القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين (ينظرون اليك) شزرا (نظر المغشى عليه من الموت) أي كنظر من وقع في سكرات الموت كراهة منهم للقتال (فأولى لهم طاعة وقول معروف) أي لو أطاعوا وقالوا لك قولا حسنا كان ذلك أولى (فاذا عزم الأمر) أي وجب الأمر ولزم فرض القتال (فلو صدقوا الله) في الايمان والطاعة (لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم) أي لعلكم اذا أعرضتم عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أن تعودوا الى أمر الجاهلية فيقتل بعضكم بعضا وهو قوله (أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) أي بالبغي والظلم والقتل

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أي أفلا يتدبرون القرآن لكونهم مبعدين منه ومن كل خير أم على قلوب أقفال فيتدبرون ولا يفهمون فلا تدخل معانيه في قلوبهم (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) أي ان الذين رجعوا الى الكفر من بعد ما ظهرت لهم الدلائل وسمعها وهم جماعة منعهم حب الرياسة عن اتباع الرسول ﷺ الشيطان زين لهم الرجوع الى دينهم وسهل لهم اقتراف الكبائر وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف أي كيد الشيطان زين لهم (وأملى لهم) أي ومد الشيطان لهم في الآمال فيقول لهم ان في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر أعماركم وقيل أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في أعمارهم والباقون على البناء للفاعل والفاعل اما الشيطان فان الله قدر على لسانه ويده ذلك التزيين أو الله تعالى كما تقدم وقرئ وأملى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أي ذلك الارتداد بسبب ان المنافقين قالوا سرا لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله ﷺ مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم (سنطيعكم في بعض الأمر) كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معكم عن الديار ان أخرجتم منها ولا نطيعكم في اظهار الكفر قبل قتالكم واخراجكم من دياركم وهذا عبارة عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كان المنافقون يوادونهم (والله يعلم أسرارهم) قرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر الهمزة أي اخفاءهم لما يقولونه والباقون بفتحها أي جميع أسرارهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) أي فكيف يصنعون اذا قبضتهم الملائكة في حال انهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد فانهم يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل وقرأ الأعمش توفاهم على أنه اما ماض أو مضارع حذف احدى تاءيه (ذلك) أي الضرب (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر والمعاصي (وكرهوا رضوانه) من الايمان والطاعة أي تضرب وجوههم لأنهم أقبلوا على سخط الله كانكار الرسول وأدبارهم لأنهم تولوا عما فيه رضا الله كالاقرار بالرسول وبدين الاسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا تضرب الملائكة وجهه ودبره (فأحبط أعمالهم) أي فأبطل الله حسناتهم يقال نزلت الآيات من قوله تعالى ان الذين ارتدوا على أدبارهم الى ههنا في شأن المنافقين الذين رجعوا من المدينة الى مكة مرتدين عن دينهم ويقال نزلت في شأن الحكم بن أبي العاص المنافق وأصحابه الذين شاوروا فيما بينهم والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة في أمر الخلافة بعد النبي ﷺ وقالوا ان ولينا أمر هذه الأمة نفعل كذا وكذا ولا يستمعون الى خطبته صلى الله عليه وسلم حتى قالوا بعد ذلك لعبد الله بن مسعود ماذا قال محمد الآن على المنبر استهزاء منهم (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق (أن لن يخرج الله أضغانهم) أي أحسب المنافقون أنه لن يعلم الله أسرارهم أم حسبوا أنه لن يظهر الله أحقادهم على المؤمنين لرسوله وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة فأم استفهامية والمعنى ان ذلك الاظهار مما لا يكاد يدخل تحت الشك (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) أي ولو أردنا لعرفناكهم تعريفا معه المعرفة فتعرفهم بعلامتهم القبيحة وعن أنس رضي الله عنه قال ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم

(أفلا يتدبرون القرآن) أي يتعظوا بمواعظه (أم على قلوب أقفالها) فليس تفهمها (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ وهم يعرفونه (الشيطان سول لهم) أي زين لهم (وأملى لهم) يعني أطال لهم الأمل (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) يعني المشركين (سنطيعكم في بعض الأمر) في التظاهر على عداوة محمد ﷺ (فكيف) تكون حالهم (اذا توفتهم الملائكة) (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) وهم المنافقون (أن لن يخرج الله أضغانهم) أي لن يظهر الله أحقادهم على النبي ﷺ وللمؤمنين (ولو نشاء لأريناكهم) يعني لعرفناكهم (فلعرفتهم بسيماهم) أي بعلامتهم

الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق (ولتعرفنهم فى لحن القول) أى والله انك يا محمد لتعرفن المنافقين فى وجه خفى من القول فيفهمه النبى عليه الصلاة والسلام ولا يفهمه غيره ولكن لم يظهره الى أن أذن الله تعالى له فى اظهار أمرهم وفى المنع من الصلاة على جنائزهم والقيام على قبورهم (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وبيان لكون حالهم على خلاف حال المنافقين فكان للمنافق قول بلا عمل وللمؤمن عمل ولا يقول به وكان المؤمن يعمل الصالحات ويتكلم فى السيئات مستغفرا وكان المنافق يتكلم فى الصالحات ويعمل السيء والله تعالى يسمع الأقوال الفارغة من المنافقين ويعلم الأعمال الصالحة منكم ولا يضيع (ولنبلونكم) بالأمر بالجهاد والتكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم) أى حتى نعلم المقدمين على الجهاد (والصابرين) على مشاق الجهاد أى الذين لا يولون الأدبار (ونبلو أخباركم) أى ونظهر أخباركم من حسن أعمالكم وقبحها وقرأ شعبة فى الأفعال الثلاثة بالياء التحتية مسندا لضمير راجع الى الله وقرئ ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (ان الذين كفروا) من أهل الكتاب قريظة والنضير أو من كفار قريش (وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا عن دين الله وصرفوا الناس عن طاعة الله (وشاقوا الرسول) أى خالفوه وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) وهو نعت محمد فى التوراة وما ظهر على يديه من المعجزات وما نزل عليه من الآيات (لن يضروا الله شيئا) تنزه الله تعالى عن أن يتضرر بكفر كافر وفسق فاسق (وسيحبط أعمالهم) أى مكايدهم فى القتال وفى ابطال دين الله تعالى فيكون النصر للمؤمنين (يأيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (أطيعوا الله) فيما أمركم من الفرائض والصدقة (وأطيعوا الرسول) فيما أمركم من الجهاد والسنة (ولا تبطلوا أعمالكم) بالكفر والنفاق والعجب والرياء والسمعة والمن والأذى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) أى ان الله لا يغفر الشرك ويغفر غيره ان شاء (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون) أى اذا علمتم وجوب الجهاد فلا تضعفوا بالقتال مع العدو ولا تدعوا الكفار الى الصلح وأنتم الأعلون أى الغالبون وهذه جملة حالية فتدعوا اما معطوف على المجزوم أو جواب النهى منصوب باضمار أن وقرأ حمزة وشعبة السلم بكسر السين (والله معكم) وهذا ارشاد يمنع المكلف من الاعجاب بنفسه وذلك لأن الله تعالى لما قال وأنتم الأعلون كان ذلك سبب الافتخار فقال تعالى والله معكم أى ليس ذلك العلو على الكفار من أنفسكم بل من الله تعالى وأيضا لما كان المؤمنون يرون ضعف أنفسهم وقلتهم وشوكة الكفار وكثرتهم قال تعالى وأنتم الأعلون ولما كان الأمر بما يقع فى نفس بعضهم أنهم كيف يكون لهم الغلبة فقال تعالى والله معكم أى والله ناصركم فلا يبقى لكم شك فى أن الغلبة لكم (ولن يتركم أعمالكم) أى ولن يضيعها والمعنى ان الله ينصركم ومع ذلك لا ينقص من أعمالكم شيئا أى فكأن النصرة جعلت بكم ومنكم فكأنكم مستقلون فى ذلك النصرة فيعطيكم أجوركم بالتمام (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) أى ان الاشتغال بالدنيا أعمال ضائعة ومشغلة عن طاعة الله تعالى (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أى يعطكم ثواب ايمانكم وتقواكم وثواب كل أعمالكم (ولا يسألكم أموالكم) أى ولا يطلب منكم اخراج أموالكم كلها بحيث يخل الاخراج بمعاشكم بل يطلب منكم انفاق القليل من الأموال فى طاعته تعالى ليرجع ثوابه اليكم (ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) أى لو طلب الله جميع أموالكم وألح عليكم فى الطلب لما تعطونها وأخرج الله أو الطلب أو البخل أحقادكم كيف وأنتم تبخلون باليسير

(ولتعرفنهم فى لحن القول) أى فى معنى كلامهم اذا تكلموا معك (ولنبلونكم) يريد بالجهاد (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أى العلم الذى يقع به الجزاء (ونبلو أخباركم) أى ونكشف ما تسرون (ان الذين كفروا وصدوا) الآية يعنى المطعمين من أصحاب بدر وقوله (ولا تبطلوا أعمالكم) أى بالمن على رسول الله ﷺ بأعمالكم وقوله (وتدعوا الى السلم) أى لا تدعوهم ولا تتركوا قتالهم حتى يسلموا لأنكم الأعلون فلا ضعف بكم فتدعوا الى الصلح (والله معكم) بالنصرة (ولن يتركم أعمالكم) أى ولن ينقصكم شيئا من ثوابكم وقوله (ولا يسألكم أموالكم) أى لا يسألكم محمد ﷺ أموالكم أجرا على تبليغ الرسالة (ان يسألكموها فيحفكم) أى يجهدكم بالمسألة (تبخلوا ويخرج أضغانكم) أى ويظهر عداوتكم لأن فى مسألة المال ظهور العداوة والحقد

فكيف

فكيف لا تبخلون بالكثير ومن نوزع في حبيبه ظهرت طويته التي كان يسرها وقرئ ونخرج بنون العظمة وقرئ ويخرج بالياء والتاء وفاعله أضغانكم أي ويخرج بسبب البخل الضغائن فيفضي الى قتال الطالبين وهم النبي وأصحابه (هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) أي أنتم الذين تطلبون لتنفقوا في طاعة الله من الزكاة ونفقة الغزو وغيرهما (فمنكم من يبخل) أي فمنكم ناس يبخلون ومنكم من يجود (ومن يبخل) بالانفاق في طاعة الله (فانما يبخل عن نفسه) أي فانما يمسك الثواب عن نفسه فان من يبخل وهو مريض بأجرة الطبيب و بثمن الدواء فلا يبخل الاعلى نفسه (والله الغني) فلا يحتاج الى مالكم (وأنتم الفقراء) فلا تقولوا نحن أغنياء عن القتال ودفع حاجة الفقراء فانهم لاغنى لهم عن ذلك لانهم لولا القتال لقتلهم الكفار ولولا دفع حاجة الفقراء لقصدوهم بسوء وكيف لا يكونون فقراء وهم يوم القيامة موقوفون مسئولون (وان تتولوا) أي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى (يستبدل قوما غيركم) أي يخلق الله قوما آخرين بدلكم (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونون راغبين فيهما روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقالوا يا رسول الله من هؤلاء فضرب صلى الله عليه وسلم بيده على كتف سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله الرجال من الفرس وحكى عن أبي موسى الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي أحب الي من الدنيا والله أعلم

﴿ سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية . وخمسمائة وستون كلمة ﴾

﴿ وألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفا ﴾

وسبب نزول هذه السورة أنه صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة خرج بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هديا للحرم وساق القوم سبعمائة فلما وصلوا الحديبية وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة منعه المشركون من دخول مكة وصالحوه على أن يأتي في العام القابل و يدخلها و يقيم فيها ثلاثة أيام فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلق وذبح ما ساقوه من الهدى ثم رجعوا فخالطهم الحزن فأراد الله اذهاب الحزن عنهم فأنزل الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم هذه السورة وهو سائر ليلا في رجوعه وهو بكراع الغميم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة فبشر بفتح مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عند انصرافه من الحديبية وقال صلى الله عليه وسلم نزلت علي آية هي أحب الي من الدنيا جميعها فلما تلاها قال المسلمون هنيئا مريئا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله تعالى عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار حتى بلغ فوزا عظيما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) أي ظاهر الأمر فارقا بين الحق والباطل أي ان الله فتح مكة عنوة وصلحا وفتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان فان أسفل مكة فتحها خالد عنوة وأعلاها فتحه الزبير صلحا ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من جهته رضي الله عنه فصار الحكم له صلى الله عليه وسلم (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي لكي يغفر الله لك ما سلف من ترك الأفضل قبل الوحي وما يكون بعد الوحي الى الموت (و يتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة و باخلاء مكة عن معانديك و باستجابة دعائك في طلب الفتح و بقبول شفاعتك في الذنوب في الآخرة (و يهديك صراطا مستقيما) في تبليغ الرسالة واقامة علامات الرياسة فلا يبقى من يقدر على الاكراه على الكفر

(هاأنتم) يا (هؤلاء) أنما (تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل) بالصدقة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) لان له ثواب ما أعطى واذا لم يعط لم يستحق الثواب (والله الغني) عن صدقاتكم (وأنتم الفقراء) اليها في الآخرة (وان تتولوا) عن الرسول (يستبدل قوما غيركم) أطوع له منكم وهم فارس (ثم لا يكونوا) في الطاعة (أمثالكم) بل يكونوا أطوع منكم وهذا الخطاب للعرب

﴿ تفسير سورة الفتح ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) أي حكمنا لك باظهار دينك والنصر على عدوك وفتحنا لك أمر الدين (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك) ما عملت في الجاهلية (وما تأخر) بما لم تعمله وقيل ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب أمتك (و يتم نعمته عليك) أي بالنبوة والحكمة (و يهديك صراطا مستقيما) أي يثبتك عليه

(و ينصرك الله نصرا عزيزا) أى نفيسا قليل النظير وهو اخذ بيت الله من الكفار المتمكنين فيه فان فتح مكة كان سببا لتطهير بيت الله تعالى من رجس الأوثان وسببا لتطهير العباد من العصيان و بالفتح يحصل الحج ثم بالحج يحصل الغفران وقال الشعبى المراد من هـذا الفتح صلح الحديبية لقد أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة مالم يصب فى غزوة غيرها حيث بويع بيعة الرضوان وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر و بلغ الهـدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على المجوس وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة هى انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع ولذلك قال ﷺ صلح الحديبية أعظم الفتوح (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) أى الله وحده هو الذى أنزل الطمأنينة فى يوم الحديبية وغيره فى قلوب الراسخين فى الايمان وهم أهل الحديبية بسبب ذكرهم الله تعالى تحقيقا للنصر (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أى ليزدادوا ايمانا بشرائع الدين مع ايمانهم بالله ورسوله وليزدادوا ايمانا بالفروع مع ايمانهم بالأصول فانهم آمنوا بأن محمدا رسول الله وأن الله واحد والحشر كائن وآمنوا بأن كل ما يأمر الله به واجب و بأن كل مايقوله النبى صلى الله عليه وسلم صدق وهو الذى قد قال لهم لابد من أن تدخلوا مكة وتطوفوا بالبيت (ولله جنود السموات والارض) من الملائكة أو الاسباب كالصاعقة والزلازل فكان تعالى قادرا على اهلاك عدوه بجنوده ولكن لم يفعل ذلك بل أنزل على المؤمنين ثبات قلوبهم و يقينها مع الله ورسوله ليكون اهلاك أعدائهم بأيديهم فيكون لهم الثواب (وكان الله عليما) بجميع الأمور (حكيما) فى تدبيره تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) لايخرجون منها (و يكفر عنهم سيئاتهم) أى يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) أى المذكور من الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) والظرف حال من فوزا أى كائنا فى علم الله تعالى جاء عبد الله بن أبى ابن سلول حين سمع بكرامة الله للمؤمنين فقال يارسول الله والله مانحن الا كهيئتهم فمالنا عنـد الله فأنزل الله تعالى قوله (و يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) أى ظن الأمر السوء فانهم ظنوا أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين خرجوا الى الحديبية لايرجعون الى المدينة وأن المشركين يستأصلونهم والتعذيب مذكور لكونه مقصود المؤمنين كأن الله تعالى يقول بسبب ازديادكم فى الايمان يدخلكم الله جنات فى الآخرة و يعذب الكافرين والمنافقين بأيديكم فى الدنيا و يكون تعذيبهم بايصال الله الهموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين و بتسليط النبى وأصحابه عليهم قتلا وأسرا واسترقاقا (عليهم دائرة السوء) أى عليهم دائرة الفساد فيحيط بهم بحيث لاخروج لهم منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السـين والباقون بالفتح (وغضب الله عليهم) وهذا اشارة الى أن الذى نزل بهم يكون على وجه التعذيب فان من كان به بلاء قد يكون مصابا على وجه الامتحان ليصير مثابا وقد يكون مصابا على وجه التعذيب (ولعنهم) أى طردهم من كل خير فان المغضوب عليه قد يقنع الغاضب بالعتب والشتم أو الضرب ولا يقتضى غضبه الى ابعاد المغضوب عليه من جنابه ولا الى طرده من بابه وقد يفضى غضبه الى ذلك لكون الغضب شديدا (وأعد لهم) فى الآخرة (جهنم وساءت) أى جهنم (مصيرا) أى مرجعا (ولله جنود السموات والارض) فان لهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب (وكان الله عزيزا) أى شديدا بنقمة الكافرين والمنافقين (حكيما) بكرامة المؤمنين المخلصين بايمانهم (انا أرسلناك شاهدا) أى يشهد أن لا اله الا الله وأن دينه هو الحق وأحق أن يتبع (ومبشرا) لمن يوافقك فى تلك الشهادة (ونذيرا) لمن يخالفك فيها (لتؤمنوا بالله ورسوله) لان كون النبى مرسلا

(و ينصرك الله نصرا عزيزا) أى ذا عز لايقع معه ذل (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) يعنى اليقين والطمأنينة (ليزدادوا ايمانا) بشرائع الدين (مع ايمانهم) أى تصديقهم بالله ورسوله وقوله (الظانين بالله ظن السوء) أى يظنون أن لن ينصر الله محمدا والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) أى بالذل والعذاب أى عليهم يدور الهلاك والخزى (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك يوم القيامة (ومبشرا) بالجنة من عمل خيرا (ونذيرا) أى منذرا بالنار من عمل سوءا وقوله

من الله يستلزم أن يؤمن المكلف بالله وبالرسل (وتعزروه) أي تنصروه بتقوية دينه ورسوله وقرئ شاذا تعززوه بزاءين مع الفوقانية وقرئ بضم التاء وسكون العين و بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وهاتان مع الراء (وتوقروه) أي تعظموه لان الله يعظمكم بالبشارة وقرئ بسكون الواو (وتسبحوه بكرة وأصيلا) أي تنزهوه عن السوء في الدوام مخافة عقابه الشديد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء على الغيبة في الافعال الأربعة والباقون بالتاء على الخطاب والكنايات الثلاثة راجعة الى الله تعالى لتكون على وتيرة واحدة و يصح رجوعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ ان معنى يسبحونه ينزهونه صلى الله عليه وسلم عن كل وصمة باخلاف وعده بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام و بنحو ذلك و يصح أن يكون أمرهم بالتنزيه في أوقات يذكرون فيها الفحشاء والمنكر (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) أي ان الذين بايعوا نبي الله على أن لا يفروا من قتال قريش تحت شجرة السمرة في الحديبية وهم مقدار ألف وخمسمائة رجل كأنهم يبايعون الله والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما لان من بايع النبي على أن لا يفر من موضع القتال الى أن يقتل أو أن يفتح الله لهم وان كان يقصد ببيعته رضا الرسول ظاهرا لكن انما يقصد بها حقيقة رضا الرحمن فان المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وهذا يسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى في شأن هذه البيعة لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك الآية وقرئ انما يبايعون لله أي لاجله (يد الله فوق أيديهم) أي نعمة الله عليهم في الهداية فوق احسانهم الى الله وهو ماصنعوا من البيعة أو نصرة الله تعالى اياهم أعلى من نصرتهم اياه و يقال حفظ الله اياهم على البيعة أقوى من وضع يد ثالث على أيدي المتبايعين لحفظ أيديهما الى أن يتم العقد فان كل واحد من المتبايعين مد يده الى صاحبه في البيع والشراء و بينهما ثالث متوسط يضع يده على يديهما فيحفظ يديهما الى أن يتم العقد (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نقضه على نفسه لانه فوت على نفسه الاحسان الجزيل في مقابلة العمل القليل فقد خسر أو يقال من بايعك أيها النبي اذا نكث لا يكون نكثه عائدا اليك لان البيعة مع الله ولا عائد الى الله لانه لا يتضرر بشيء فضرره لا يعود الا اليه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) أي ومن وفى بعهده بالله بالصدق فسوف يعطيه جنة فلم ينقض منهم أحد حتى ماتوا على بيعة الرضوان الا رجل منهم يقال له جد بن قيس وكان منافقا اختبأ يومئذ تحت ابط بعيره ولم يدخل في بيعتهم فأماته الله على نفاقه وقرأ حفص بضم هاء عليه وتفخيمه والباقون بالكسر والترقيق وقرأ أبو عمرو والكوفيون بالياء التحتية والباقون بالنون (سيقول لك المخلفون) من غزوة الحديبية (من الاعراب) أي من بني غفار وأسلم وأشجع وديل وقوم من مزينة وجهينة فانهم امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم أنه يهزم فانهم قالوا أهل مكة يقاتلون في باب المدينة فكيف يذهب الى قوم قد غزو في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه في أحد وكيف يكون حالهم اذا دخل عدوهم بلادهم وأحاطوا بهم فأوحى الله اليه صلى الله عليه وسلم بأنهم سيقولون (شغلتنا أموالنا وأهلونا) أي النساء والذراري عن الخروج معك الى الحديبية وعن اجابتك في هذه العمرة فانا لو تركناهم لضاعوا لانه لم يكن لنا من يقوم بمصالحهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال وعن التفريط في العيال (فاستغفر لنا) الله يارسول الله بتأخرنا عنك الى غزوة الحديبية فكذبهم الله تعالى في الاعتذار والاستغفار بقوله (يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم قل) لهم يا أكرم الخلق عند اعتذارهم (فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا) أي فمن يمنعكم من قضاء الله على شيء من النفع ان أراد بكم مايضركم من هلاك الاهل والمال حتى تتخلفوا عن الخروج الى الحديبية

وتعزروه) أي تنصروه (وتوقروه) أي وتعظموه (ان الذين يبايعونك) بالحديبية (انما يبايعون الله) أي أخذك عليهم البيعة عقد لله عز وجل عليهم (يد الله فوق أيديهم) أي نعمة الله عليهم فوق ماصنعوا من البيعة (فمن نكث) أي نقض البيعة (فانما ينكث على نفسه) أي فانما يضر نفسه بذلك النكث (سيقول لك المخلفون من الاعراب) الآية لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى مكة عام الحديبية استنفر من حول المدينة من الاعراب حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب فتثاقلوا عنه وخافوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم فأنزل الله سيقول لك المخلفون أي الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا انصرفت اليهم فعاتبتهم عن التخلف (شغلتنا) عن الخروج معك (أموالنا وأهلونا) أي ليس لنا من يقوم فيها اذا خرجنا (فاستغفر لنا) أي لتركنا الخروج معك ثم كذبهم الله في ذلك العذر فقال (يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم) الآية وقوله

لحفظهما وقرأ حمزة والكسائى بضم الضاد والباقون بفتحها (أوأراد بكم نفعا) أى ومن يمنعكم من مشيئة الله على شئ من الضرر ان أراد بكم ماينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فأى حاجة الى التخلف عن الخروج لاجل حفظهما (بل كان الله بما تعملون خبيرا) أى ليس الامر كما تقولون فانكم أظهرتم أنكم تعتقدون أنهم بالتخلف مسيئون حتى استغفرتم بل كان الله عالما بأن مافى قلوبكم ليس حاجة فى ذلك الاستغفار لانكم تعتقدون أنكم بالتخلف محسنون وليس تخلفكم لخوف ضياع المال والاهل (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) بل ظننتم أن لايرجع من الحديبية الى المدينة أبدا محمد وأصحابه لان المشركين تستأصلهم بالمرة فخشيتم ان خرجتم معهم أن يصيبكم ماأصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لمافى قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين حتى حملكم ذلك على انكم قلتم ماهم فى قريش الاأكلة رأس (وزين ذلك) أى الظن (فى قلوبكم) فمن ذلك تخلفتم وقلتم مالاينبغى وقرئ زين بالبناء للفاعل واسناده الى الله تعالى أوالى الشيطان أى فزين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به (وظننتم ظن السوء) كظن أن لاينصر الله نبيه وظن أن الرسول كاذب فى قوله وأن الله يخلف وعده وأن محمدا غير رسول (وكنتم قوما بورا) أى هلكى عند الله تعالى بهذا الظن (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) أى ومن لم يصدق بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا لهم نارا شديدة فى التوقد (ولله ملك السموات والارض) ومافيهما يتصرف فى الكل كيفما يشاء ومن عظم ملكه يكون أجره فى غاية العظم وعذابه فى غاية الالم (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له من المبايعين بيعة الرضوان وغيرهم (ويعذب من يشاء) أن يعذبه من الظانين ظن السوء وغيرهم وفى هذا حسم لاطماعهم الفارغة فى استغفار النبى صلى الله عليه وسلم لهم (وكان الله غفورا رحيما) أى مبالغ فى المغفرة والرحمة لمن يشاء من المؤمنين (سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) أى سيقول المتأخرون عن غزوة الحديبية عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتغتنموها (ذرونا) أى اتركونا (نتبعكم) الى خيبر وقد أوضح الله كذبهم بهذا حيث يقولون من تلقاء أنفسهم دعونا نشهد معكم قتال أهل خيبر فاذا كان أموالهم وأهلوهم شغلتهم يوم دعوتكم اياهم الى أهل مكة فما بالهم لايشتغلون بذلك يوم أخذ الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وقرأ حمزة والكسائى كلم الله بفتح الكاف وكسر اللام أى يريدون أن يغيروا وعد الله الذى وعده لاهل الحديبية فان الله وعد أهل الحديبية فتح خيبر وأن غنيمتها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر ولم يغب عنها منهم غير جابر بن عبدالله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر فالله تعالى جعل غنائم خيبر لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث رجعوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وقيل والمعنى يريدون أن يبدلوا كلام الله وهو قوله تعالى وغضب الله عليهم وذلك لانهم لواتبعوكم لكانوا فى حكم بيعة أهل الرضوان الموعودين بالغنيمة فيكونون من الذين رضى الله عنهم فلايكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل كلام الله (قل) ياأشرف الخلق لهم اقناطا لهم (لن تتبعونا) أى لاتتبعونا فى الخروج الى خيبر (كذلكم) أى مثل هذا القول الصادر منى (قال الله من قبل) أى من قبل مرجعنا اليكم أى حكم الله عند انصرافنا من الحديبية بأن لاتتبعونا وبأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم منها نصيب (فسيقولون) للمؤمنين عند سماع هذا النهى ليس ذلك النهى حكم الله (بل تحسدوننا) على أن نشارككم فى الغنائم فقلتم ان الله حكم بتخصيص أهل الحديبية بغنائم خيبر وبمنعنا منها (بل كانوا لايفقهون الاقليلا) أى لايفهمون الافهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ولايفهمون من قولك لاتخرجوا الى خيبر الاظاهر

النهى

(بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) وذلك أنهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس وانهم لايرجعون من هذا الوجه أبدا فقال الله تعالى (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) أى هالكين عند الله بهذا الظن (سيقول المخلفون) يعنى هؤلاء (اذا انطلقتم الى مغانم) يعنى غنائم خيبر دون غيرهم (ذرونا نتبعكم) الى خيبر فنشهد معكم (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أى يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية وذلك أن الله تعالى حكم لهم بغنائم خيبر دون غيرهم (قل لن تتبعونا) الى خيبر كذلكم قال الله من قبل) أى من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم

النهى ولم يفهموا من حكمه فحملوه على مرادهم وعللوه بالحسد فان حب الدنيا ليس من شيمة العالم العاقل (قل) يا أشرف الرسل (للمخلفين من الأعراب) أى أهل غلظ الأكباد ديل وأشجع وقوم من مزينة وجهينة (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) أى الى قتال قوم أصحاب سلاح من آلة الحديد وقوة شديدة فى القتال وهم بنو حنيفة هم تابعو مسيلمة الكذاب وغزاهم أبو بكر وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر الى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم أوهم هوازن وثقيف غزاهم النبى صلى الله عليه وسلم فان النبى صلى الله عليه وسلم دعا المخلفين عام الحديبية الى الحرب فامتنعوا فقال ستدعون الى حرب قوم مسلحين محاربين فهم أكثر بأسا ممن يكون على خلاف ذلك (تقاتلونهم أو يسلمون) أى ان أحد الأمرين يقع اما المقاتلة أبدا أو الاسلام لا غير وقرئ أو يسلموا بالنصب باضمار أن على معنى تقاتلونهم الى أن يسلموا (فان تطيعوا) أى توافقوا الداعى على القتال (يؤتكم الله أجرا حسنا) أى يعطكم الله الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) أى وان تعرضوا عن اجابة الدعوة الى قتال المرتدين كمسيلمة أو المشركين كهوازن كما أعرضتم عن غزوة الحديبية من قبل هذا الوقت بناء على الظن الفاسد (يعذبكم عذابا أليما) لتضاعف جرمكم ثم جاء أهل الزمانة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد أوعد الله بعذاب أليم لمن يتخلف عن الغزو فكيف لنا ونحن لا نقدر على الخروج الى الغزو فأنزل الله فيهم قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) أى ليس على من فى عضوه أو قوته خلل مأثم فى التخلف عن الغزو وكذا فقير لا يمكن من استصحاب ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد وانما قدم الاعمى على الأعرج لأن عذره مستمر لا يمكن الانتفاع به فى حراسة وغيرها ولا يعود بصيرا أما الاعوج فانه يمكن الانتفاع به فى الحراسة ونحوها وقد يقدر على القتال بالرمى وغيره وقدم الاعرج على المريض لأن عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قرب فالعذر فى محل الآلة أتم من الآفة فى القوة (ومن يطع الله ورسوله) فى الأوامر والنواهى من المعذورين وغيرهم (يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار) فطاعة الله تعالى فى طاعة رسوله وكلامه تعالى يسمع من رسوله (ومن يتول) عن الطاعة بقلبه (يعذبه عذابا أليما) وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء التحتية (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) روى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعى الى أهل مكة وحمله على جمله صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرافهم أنه صلى الله عليه وسلم جاء معتمرا ولم يجئ محاربا فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعهم الاحابيش فخلوا سبيله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه ﷺ لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم أى نقاتلهم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا ووضع النبى ﷺ شماله فى يمينه فقال هذه بيعة عثمان وقد علم بنور النبوة أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه فقال لهم رسول الله ﷺ أنتم اليوم خير أهل الأرض وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة باذنه ﷺ (فعلم) الله (ما فى قلوبهم) من الاخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم كما علم ما فى

(قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم) أى الى قتال قوم (أولى بأس شديد) وهم فارس والروم وقيل بنو حنيفة أصحاب اليمامة (تقاتلونهم أو يسلمون) يعنى أوهم يسلمون أصحاب مسيلمة الكذاب فتترك قتالهم (فان تطيعوا) أى من دعاكم الى قتالهم (يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم) عام الحديبية يعنى نافقتم وتركتم الجهاد (يعذبكم عذابا أليما) ثم ذكر أهل العذر فى التخلف عن الجهاد فقال (ليس على الاعمى حرج) الآية ثم ذكر عذر من أخلص نيته فقال (لقد رضى الله عن المؤمنين) وكانوا ألفا وأربعمائة (اذ يبايعونك) بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) يعنى سمرة كانت هنالك وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان (فعلم) أى علم الله (ما فى قلوبهم) أى من الاخلاص والوفاء

قلوب المنافقين من المرض وهذا معطوف على يبايعونك لأن رضاه تعالى عنهم كان عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم لا عند المبايعة فقط (فأنزل السكينة عليهم) وهذا معطوف على رضى أي فأنزل الله عليهم سكون النفس بالربط على قلوبهم وقد جعل الله تعالى طاعة الله والرسول علامة لادخال الله تعالى الجنة وبين أن تلك الطاعة وجدت من أهل بيعة الرضوان وأشار الى طاعة الله بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين والى طاعة الرسول بقوله اذ يبايعونك تحت الشجرة وأشار الى الموعود به وهو ادخال الجنة بقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين لأن الرضا يكون معه ادخال الجنة (وأثابهم فتحا قريبا) أي وجزاهم على الطاعة فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية في ذي الحجة فأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيته و بعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع وقال السدي هو فتح مكة وقرئ وآتاهم بالمد أي أعطاهم (ومغانم كثيرة) من خيبر وهي أرض ذات عقار وأموال (يأخذونها) وقرأ الاعمش وطلحة ونافع بالتاء على طريق الالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان (وكان الله عزيزا) أي غالبا غنيا عن اعانتكم اياه (حكيما) حيث جعل هلاك أعدائه على أيديكم ليثيبكم عليه فانه تعالى يذل من يشاء بعزته و يعز من يشاء بحكمته (وعدكم الله مغانم كثيرة) من بلدان شتى لا تدخل تحت حصر فيما يأتي الى يوم القيامة (تأخذونها) والخطاب لأهل الحديبية (فعجل لكم هذه) أي غنائم خيبر فليست كل الثواب بل الجزاء قدامكم (وكف أيدي الناس عنكم) أي كف الله أيدي بني أسد وغطفان وهم حلفاء أهل خيبر عنكم حيث جاءوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا عن عيالكم لما خرجتم الى خيبر فان النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله تعالى أيديهم بالقاء الرعب في قلوبهم فنكصوا وقال قتادة كف أيدي يهود خيبر عن المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الحديبية أما كف أيدي أهل مكة بالحديبية فمذكور بقوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم الخ (ولتكون آية للمؤمنين) وهذا معطوف على مفهوم فعجل لكم هذه فاللام يدل على النفع كما أن على يدل على الضر أي فعجل الله هذه الغنائم وفتح خيبر لتنفعكم ولتكون أمارة يعرف المؤمنون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم عند رجوعهم من الحديبية ماذكر من المغانم وفتح مكة أي لتنفعكم في الظاهر وتنفعكم في الباطن حيث يزداد يقينكم اذا رأيتم صدق الرسول في أخباره عن الغيوب فيكمل اعتقادكم أي عجل الله فتح خيبر ليكون ذلك الفتح وهو هزيمة أهل خيبر وسلامتكم عبرة للمؤمنين لانكم كنتم ثمانية آلاف وان أهل خيبر كانوا سبعين ألفا وكف أيدي الناس عنكم و عن عيالكم ليكون ذلك الكف علامة للمؤمنين فيعلموا أن الله يحرسهم في مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) أي طريق التوكل عليه تعالى والثقة بفضله تعالى في كل ما تأتون وما تذرون (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) وقوله وأخرى اما مبتدأ ولم تقدروا صفته وقد أحاط الله خبره أي وغنيمة أخرى لم تقدروا عليها قد أعدها الله لكم فأنتم وان لم تقدروا عليها في الحال فهي محبوسة عليكم لا تفوتكم وهي مغانم هوازن في غزوة حنين واما معطوف على مغانم كثيرة فكأنه تعالى قال وعدكم الله مغانم تأخذونها ومغانم لا تأخذونها أنتم ولا تقدرون عليها وانما يأخذها من يجيء بعدكم من المؤمنين قد حفظها الله لهم لا يجري عليها هلاك الى أن يأخذها المسلمون كاحاطة الحراس بالخزائن وهي غنائم فارس والروم (وكان الله على كل شيء قديرا) لأن قدرته تعالى

(فأنزل السكينة عليهم) أي الطمأنينة وثلج اليقين بالنصر من الله لرسوله (وأثابهم فتحا قريبا) يعني فتح خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني عقار خيبر وأموالها (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهي الفتوح التي تفتح لهم الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) يريد لما خرجوا وخلفوا عيالهم بالمدينة حفظ الله عليهم عيالهم وقد همت اليهود بهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا (ولتكون) هزيمتهم وسلامتكم (آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما) يعني طريق التوكل والتفويض الى الله تعالى في كل شيء (وأخرى) يعني ومغانم أخرى (لم تقدروا عليها) يعني فارس والروم (قد أحاط الله بها) أي علم الله أنه يفتحها لكم وقوله

ذاتية

(ولوقاتلكم الذين كفروا) يعنى أهل مكة لوقاتلوكم عام الحديبية (لولوا الأدبار) أى لانهزموا عنكم ولنصرتم عليهم كسنة الله فى النصر لأوليائه (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) من الله على المؤمنين بما أوقع من صلح الحديبية فكفهم عن القتال بمكة وذكر حسن عاقبة ذلك فى الآية الثانية وهو قوله (من بعد أن أظفركم عليهم) وذلك أن رجالا من قريش طافوا بعسكر رسول الله ﷺ ذلك العام ليصيبوا منه فأخذوا وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح بينهم (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أى منعوكم من زيارة البيت (والهدى) يعنى ومنعوا الهدى (معكوفا) أى محبوسا (أن يبلغ محله) أى منحره وكانت سبعين بدنة (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم أن تطؤهم) أى لولا أن تطؤهم فى القتال لأنكم لم تعلموهم مؤمنين وهو قوله بغير علم (فتصيبكم منهم معرة) أى كفارة وعيب من الكافرين يقولون قتلوا أهل دينهم (ليدخل الله فى رحمته) أى دينه الاسلام (من يشاء) من أهل مكة قبل أن يدخلوها (لو تزيلوا) أى لو تميز عنهم هؤلاء المؤمنون (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لأنزلنا بهم ما يكون عذابا لهم أليما بأيديكم

ذاتية لا تختص بشىء دون شىء (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار) أى ولو اجتمع بنو أسد وغطفان مع أهل خيبر كما زعموا وقاتلوكم لانهزموا ولا ينصرون بل إنما الغلبة واقعة للمسلمين فليس أمرهم أمرا اتفاقيا بل هو أمر إلهى محتوم (ثم) بعد انهزامهم (لا يجدون وليا) ينفع باللطف (ولا نصيرا) يدفع بالعنف بل الهلاك لاحق بهم بعد الانهزام (سنة الله التى قد خلت من قبل) أى سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الأمم حين خرجوا على الأنبياء (ولن تجد) أيها السامع (لسنة الله تبديلا) أى إن الله فاعل مختار يفعل ما يشاء ويقدر على اهلاك أحبائه من الأنبياء ولكن لا يغير عادته (وهو الذى كف أيديهم) أى أيدى كفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) أى فى داخل الحرم وهو الحديبية غير أن كان فيها رمى بالحجارة بين الفريقين (من بعد أن أظفركم عليهم) أى أن غلبكم عليهم وذلك أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وروى الترمذى وثابت عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبى صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم ليقتلوه فأخذهم سلما فاستحياهم فنزلت هذه الآية (وكان الله بما تعملون بصيرا) وقرأ أبو عمرو بالياء التحتية أى بما يعمل الكفار والباقون بالتاء الفوقية أى بما تعملون أنتم فإن الله يرى فيما تعملون من المصلحة وإن كنتم لا ترون ذلك (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أى عن وصولكم إلى البيت الحرام عام الحديبية (والهدى) أى وصدوا الهدى الذى ساقه النبى وأصحابه وقرأ أبو عمرو وفى رواية بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف أى وعن نحر الهدى وقرئ بالرفع بفعل مقدر مبنى للمجهول أى وصد الهدى وروى عن أبى عمرو وعاصم وغيرهما كسر الدال وتشديد الياء (معكوفا أن يبلغ محله) فقوله أن يبلغ إما فى محل رفع على أنه نائب الفاعل أى ممنوعا بلوغ الهدى محل نحره المعتاد وهو منى وإما فى محل جر على اسقاط الجار أى ممنوعا من أن يبلغ منحره فإن الكفار لم يتركوا المسلمين أن يبلغوا الهدى محله الذى يعتاده الناس بذبحه فيه (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم) وقوله أن تطؤهم بدل من رجال ونساء وجواب لولا محذوف أى لولا اهلاك أناس مؤمنين فى مكة كالوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وأبى جندل غير معروفين لكم فأصابه إثم إياكم من جهتهم من غير أن تعلموا أنهم مؤمنون مانع لما كف الله أيديكم عن كفار مكة ولسلطكم عليهم بالقتل عام الحديبية فإنكم إن قتلتم المؤمنين لزمتكم الكفارة وهو دليل الإثم بتقصيركم فى عدم تمييز المسلم من الكافر ولزمكم تعيير الكفار لكم بأنكم فعلتم بإخوانكم ما فعلتم بأعدائكم (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) أى هم الذين كفروا والذين استحقوا التعجيل فى اهلاكهم ولولا مؤمنون مختلطون بهم لعجل الله بهم ولكن كف الله أيديكم عنهم لكى يكرم الله المؤمنين بزيادة الخير والطاعة لله تعالى والمشركين بدخولهم فى دين الاسلام أى ليخرج المؤمنون من مكة ويهاجروا إلى المدينة وليؤمن من المشركين من علم الله أنه يؤمن فى تلك السنة لأنهم إذا شاهدوا رحمة الله فى شأن طائفة من المؤمنين بأن منع الله من تعذيب أعداء الدين بعد الظفر بهم لأجل اختلاطهم بهم رغبوا فى مثل هذا الدين (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لو تميز المؤمنون عن الكفرة وخرجوا من عندهم لعذبنا كفار مكة بتسليط المؤمنين عليهم

بقتلهم و بسبي ذراريهم (اذجعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) فاذ ظرف لعذبنا أي لعذبناهم حين جعلوا في قلوبهم التكبر تكبر الملة الجاهلية وهو منعهم رسول الله وأصحابه عن البيت الذي الناس فيه سواء وقالوا ان المسلمين قتلوا أبناءنا واخواننا ثم دخلوا علينا على أهاتهم إيانا واللات والعزى لايدخلون مكة فهذا تكبر الجاهلية التي دخلت في قلوبهم (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) وهذا عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول والمؤمنين وسوء صنيع الكفرة روى أن رسول الله ﷺ لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبدالعزى ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام وعلى وضع الحرب عشر سنين وقال البراء صالحوهم على ثلاثة أشياء على أن من أتاهم من المشركين الى المدينة مسلماً ردوهم اليهم ومن أتاهم من المسلمين الى مكة لم يردوه الى المدينة وعلى أن يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة من عام قابل ويقيم فيها ثلاثة أيام وعلى أن لايدخلها بسلاح فقال ﷺ لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا مانعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله أهل مكة فقالوا لوكنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبدالله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب مايريدون فهم المؤمنون أن يبطشوا بهم وكان في نفس المؤمنين أن لايرجعوا الا بأحد الثلاثة بالنحر وأبوا أن لا يكتبوا محمدا رسول الله و بسم الله فأنزل الله السكينة عليهم فلما سكن رسول الله ﷺ سكن المؤمنون فلما فرغ من قضية الكتاب قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات لما حصل لهم من الغم فقام ﷺ ودخل على أم سلمة فذكر لها مالقي من الناس من عدم امتثال أمره صلى الله عليه وسلم فقالت له يانبي الله اخرج ولاتكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ففعل ذلك فلما رأوا ذلك منه ﷺ قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا (وألزمهم كلمة التقوى) أي ألهمها الله المؤمنين كلمة الشهادة وهي لااله الا الله حتى لايلتفتوا الى ماسوى الله تعالى (وكانوا أحق بها) أي كانوا أحق بكلمة التوحيد في علم الله تعالى (وأهلها) أي وكانوا متصفين بكلمة التقوى في الدنيا لأن الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه (وكان الله بكل شيء عليما) فيسوق كل شيء الى مستحقه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) أي لقد جعل الله رؤيا رسوله صادقة ولم يجعلها أضغاث أحلام وقوله بالحق اماصفة لمصدر محذوف أي صدقا ملتبسا بالحكمة البالغة وهي التميز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه أوحال من الرؤيا أي ملتبسة بالصدق ليست من نوع أضغاث الأحلام حيث قال النبي ﷺ لأصحابه وقت خروجه الى الحديبية والله (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) تعالى (آمنين) من العدو فلا تخافون عدوكم من أن يخرجكم في المستقبل (محلقين رؤوسكم ومقصرين) فقوله تعالى لتدخلن اشارة الى أداء الحج ومحلقين اشارة الى تمام الحج (لاتخافون) من العدو فيبقى أمنكم بعد خروجكم عن الاحرام لأن الانسان اذا خرج عن الاحرام بالحلق لايحرم عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم أي رأى عام الحديبية رسول الله ﷺ قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رءوسهم وقصروا واقتص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة في عامهم فلما خرجوا معه

(اذجعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) حين صدوا رسول الله ﷺ عن البيت (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي الوقار حتى صالحوهم ولم يأخذهم من الحمية ما أخذهم فيلجوا وتقاتلوا (وألزمهم كلمة التقوى) أي توحيد الله والايمان برسوله لااله الا الله محمد رسول الله وقيل يعني بسم الله الرحمن الرحيم أبى المشركون أن يقبلوا هذا لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب كتاب الصلح بينهم فقالوا اكتب باسمك اللهم فقال الله تعالى (وكانوا أحق بها وأهلها) يعني المؤمنين لأن الله تعالى اختارها للايمان وكانوا أحق بكلمة التقوى من غيرهم (لقد صدق الله رسوله) الآية كان رسول الله ﷺ رأى في منامه قبل خروجه عام الحديبية كأنه وأصحابه يدخلون مكة محلقين مقصرين غير خائفين فلما خرج عام الحديبية كانوا قد وطنوا أنفسهم على دخول مكة لرؤيا رسول الله ﷺ فلما صدوا عن البيت ارتاب بعضهم ذلك فأخبر الله تعالى أن تلك الرؤيا صادقة وأنهم يدخلونها ان شاء الله آمنين وقوله فعلم

(مالم تعلموا) أى علم الله أن الصلاح كان فى الصلح ولم تعلموا ذلك (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أى من دون دخولكم المسجد فتحا قريبا وهو صلح الحديبية ولم يكن فتح فى الاسلام كان أعظم من ذلك لانه دخل فى الاسلام فى تلك السنتين مثل ما كان فى الاسلام قبل ذلك وأكثر وقيل يعنى فتح خيبر (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) أى ليجعل دين الحق ظاهرا على سائر الأديان يعنى عاليا عليها (وكفى بالله شهيدا) أنك مرسل بالحق ثم حقق تلك الشهادة و بينها فقال (محمد رسول الله والذين معه) من المؤمنين (أشداء) أى غلاظ (على الكفار رحماء بينهم) أى متوادون متعاطفون (تراهم ركعا سجدا) فى صلاتهم (يبتغون فضلا من الله) أن يدخلهم الجنة (ورضوانا) أى أن يرضى عنهم (سيماهم) أى علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) يعنى نورا وبياضا فى وجوههم يوم القيامة يعرفون بذلك أنهم سجدوا فى دار الدنيا لله تعالى (ذلك مثلهم) أى صفة محمد وأصحابه (فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه) أى فراخه ونباته (فآزره) أى قواه وأعانه أى قوى الشطأ الزرع كما قوى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه والمعنى انهم يكونون قليلا ثم يكثرون وهذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ اذ خرج وحده فأيده بأصحابه كما قوى الطاقة من الزرع بما نبت حولها (فاستغلظ) أى فغلظ وقوى (فاستوى) أى تم وتلاحق نباته وقام على سوقه جمع ساق (يعجب الزراع) بحسن نباته واستوائه (ليغيظ بهم

صلى الله عليه وسلم وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك قال عبد الله بن أبى وعبد الله ابن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت هذه الآية (فعلم مالم تعلموا) أى فعلم الله مالم تعلموا فى الصلح فى الحديبية من المصلحة المتجددة فان دخولكم فى سنتكم أو سبب لهلاك المؤمنين والمؤمنات (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أى فجعل الله من قبل ذلك الدخول فى مكة أوجعل الله فى المنع عن الوصول الى مكة أوجعل الله لأجل صالح الحديبية فتحا سريعا وهو فتح خيبر فيقويكم به فانه كان سببا لاسلام ناس كثيرة تقوى بهم المسلمون فتكون تلك الكثرة سببا لهيبة الكفار ولمنعهم من قتال المسلمين حين رجعوا الى مكة فى العام القابل (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى بالقرآن (ودين الحق) أى و بدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) أى ليعلى الله أو رسوله الدين الحق على كل الأديان بنسخ بعض الأحكام و باظهار بطلان الباطل و بتسليط المسلمين على أهل الباطل (وكفى بالله شهيدا) على نبوة رسوله باظهار المعجزات (محمد رسول الله) فمحمد خبر مبتدأ محذوف أى هو أى الرسول المرسل بذلك محمد ورسول الله عطف بيان أو هو مبتدأ ورسول الله نعت له مفيد للمدح والموصول بعده عطف عليه وخبره أشداء ورحماء وتراهم وعلى هذا فلا يحسن الوقف على رسول الله بل على بينهم بخلاف الاعراب الاول فالوقف على رسول الله حسن كما اذا جعل خبر المحمد (والذين معه) أى الذين قاموا معه يدعون الكفار الى دين الله (أشداء على الكفار رحماء بينهم) أى هم يظهرون الصلابة لمن خالف دينهم والرأفة لمن وافقهم فى الدين فانهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس ثياب الكفار ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم ولا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه وقرئ أشداء ورحماء بالنصب على المدح أو على الحال فالخبر حينئذ قوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) أى تشاهدهم أيها السامع حال كونهم راكعين ساجدين فى الصلاة (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى يطلبون من الله ثوابا ورضا التمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وعن ركوع المرائين وسجودهم (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) أى علامة سهرهم كائنة فى وجوههم كائنة من أثر كثرة السجود بالليل ففى وجوههم خبر ومن أثر حال وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم و بالمد وقرئ من آثار السجود بعد الهمزة والثاء وقرئ من إثر السجود بكسر الهمزة قال صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار أى وهذا محقق لمن يعقل و يفرق بين الساهر فى الشرب واللعب والساهر فى الذكر واستفادة العلم (ذلك مثلهم فى التوراة) فذلك مبتدأ ومثلهم خبر وفى التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة والوقف هنا تام أى ذلك المذكور من أنهم أشداء على الكفار الى آخره صفتهم فى التوراة (ومثلهم فى الانجيل كزرع) ومثلهم مبتدا وخبره كزرع فهذان مثلان كما ذهب اليه ابن عباس أى وصفتهم الكائنة فى الانجيل كزرع (أخرج شطأه فآزره) أى مثل زرع أخرج فراخه فقوى الفراخ بكثافتها الزرع (فاستغلظ) أى فصار الزرع غليظا بعد ما كان دقيقا (فاستوى على سوقه) أى فاستقام الزرع على قصبه (يعجب الزراع) وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحابه صلى الله عليه وسلم فى الانجيل أنهم قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا وترقى أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس قيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر (ليغيظ بهم

الصالحات منهم) أى من أصحاب النبى ﷺ (مغفرة وأجراعظيما)

﴿تفسير سورة الحجرات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) أى لاتقولوا خلاف الكتاب والسنة وقيل لاتذبحوا قبل أن يذبح النبى صلى الله عليه وسلم فى الأضحى وقيل لاتصوموا قبل صومه نزلت فى النهى عن الصوم يوم الشك والمعنى لاتسبقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ حتى يكون هو الذى يأمركم به (واتقوا الله) فى مخالفة أمره (ان الله سميع) لأقوالكم (عليم) بأحوالكم (يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان جهورى الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته فأمروا بغض الصوت عند مخاطبته (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أى لاتنزلوه منزلة بعضكم من بعض فتقولوا يا محمد ولكن خاطبوه بالنبوة والسكينة والاعظام (أن تحبط أعمالكم) كى لاتبطل حسناتكم

الكفار) وقال بعضهم محمد رسول الله والذين معه أبو بكر الصديق فانه أول من آمن به أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب يبتغون فضلا من الله بقية المبشرين بالجنة طلحة والزبير وسعد وسعيد وأبو عبيدة وعبد الرحمن سيماهم فى وجوههم سلمان و بلال وصهيب وأصحابهم كزرع محمد أخرج شطأه أبا بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه على بن أبى طالب أى استقام الاسلام بسيفه يعجب الزراع أى المؤمنين ليغيظ بهم الكفار أى بقول عمر لأهل مكة بعدما أسلم لايعبد الله سرا بعد اليوم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أرحم أمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم على وأفرضهم زيد وأقرؤهم أبى وأعلمهم بالحرام والحلال معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ويقال نزلت الآية من قوله تعالى والذين معه الى ههنا فى مدحة أهل بيعة الرضوان و بعض أصحاب النبى ﷺ المخلصين المطيعين لله وقوله تعالى ليغيظ تعليل لمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع كأنه قيل أنماهم الله تعالى وكثرهم ليغيظ بهم الكفار أو تعليل لوعد الله الذين آمنوا الخ لان الكفار اذا سمعوا بعزة المؤمنين فى الدنيا و بما أعد الله لهم فى الآخرة غاظهم ذلك أشد غيظ أو تعليل محذوف دل عليه قوله تعالى أشداء على الكفار الخ أى جعلهم الله تعالى بهذه الصفات الجليلة ليغيظ بهم الكفار (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) وضمير منهم راجع للصحابة فمن لبيان الجنس كلهم بتلك النعوت الجليلة أو للكفار فمن للتبعيض

﴿سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة . وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) وقرأ العامة بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة أى لاتقدموا أنفسكم فى حضرة النبى ﷺ أى لاتجعلوا لأنفسكم تقدما فى الرأى عنده صلى الله عليه وسلم وذكر لفظ الله تعظيما للرسول واشعارا بأنه عند الله فى منزلة عظيمة توجب اجلاله وقرأ ابن عباس والضحاك لاتقدموا بالفتح فى الأحرف الثلاثة وقرئ لاتقدموا بضم التاء وكسر الدال أى لاتقدموا على شئ من أمور الدين بغير اذن الله ورسوله (واتقوا الله) فى كل ماتأتون وماتذرون من الأقوال والأفعال (ان الله سميع) لأقوالكم (عليم) بأفعالكم نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قتلوا رجلين من بنى سليم فى صلح النبى صلى الله عليه وسلم بغير أمره فنهاهم الله تعالى وقال لاتقدموا بين يدى الله ورسوله أى لاتجرؤوا على اتيان أمر من غير اذن من له الاذن واتقوا الله فى مخالفة الحكم المنهى عنه ان الله سميع لمقالة الرجلين عليم بما اقترفا وكان قولهم لو كان هكذا لكان كذا (يأيها الذين آمنوا) نزلت هذه الآيات فى ثابت بن قيس بن شماس يرفع صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وفد بنى تميم فنهاه الله عن ذلك فقال يأيها الذين آمنوا (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) فان رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أى لاتجهروا له كما تجهرون لأقرانكم بل اجعلوا كلمته عليا ولا تكثروا الكلام عنده وقللوا غاية التقليل فلا تخاطبوه ﷺ كما تخاطبون غيره (أن تحبط أعمالكم) أى خشية حبوط أعمالكم فقوله تعالى لاترفعوا الخ نهى عن زيادة صوتهم على صوت

الرسول وقوله تعالى ولاتجهروا الخ نهى عن مساواة صوتهم لصوته (وأنتم لاتشعرون) بحبوط الاعمال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) أي يخفضونها عنده مراعاة للأدب (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي الذين امتحن الله قلوبهم ليعلم منها التقوى فان من يعظم واحدا من أبناء جنسه لكونه رسولا مرسلا يكون تعظيمه للرسل أعظم وخوفه منه أقوى فالاختبار بالمحن والتكاليف الشاقة سبب لظهور التقوى ويقال أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتوحيد وصفاها من المعصية (لهم مغفرة وأجر عظيم) قيل لما جرى الكلام بين أبي بكر وعمر في تأمير القعقاع بن معبد أو الاقرع بن حابس على وفد بني تميم نزل قوله تعالى يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله الآية ولما رفعا أصواتهما في تلك القضية نزل قوله تعالى يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم الآية ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل ان الذين يغضون أصواتهم الآية ولما دخل أعراب بني تميم المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أن اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا لفداء ذراري لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نام للقائلة نزل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآيتين وقال ابن عباس بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية الى قوم من بني عنبر جماعة من خزاعة و أمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فسار اليهم فلما بلغهم أنه خرج اليهم فروا وتركوا عيالهم وأموالهم فسبي ذراريهم وجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاءوا ليفادوا ذراريهم فدخلوا المدينة عند القيلولة فنادوا النبي صلى الله عليه وسلم يا محمد اخرج الينا وكان نائما حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم شبرمة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم فقال شبرمة أنا لا أحكم وعمي عمرو شاهد وهو الاعور ابن بسامة فرضوا به فقال الأعور أرى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم ولو صبروا لأعتق جميعهم بغير فداء فأنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (أكثرهم لايعقلون) أي ان الذين يدعونك من خلف حجرات نسائك كلهم لايعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على سوء الأدب فكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة ومناداتهم من خارج الحجرات اما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه صلى الله عليه وسلم من خارجها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فنادى كل واحد على حجرة (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) أي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم الى الصلاة حتى تخرج اليهم لكان الصبر حسنا لهم وخيرا من استعجالهم ايقاظك في الهاجرة ومما لو قرعوا الباب بالاظافر كما كان يفعل غيرهم من الصحابة ولو راعوا حسن الأدب وتعظيم الرسول لزادهم في الفضل فأطلق ذراريهم ونساءهم كلهم بلا فداء (والله غفور رحيم) لهؤلاء ان تابوا وأصلحوا (يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة أخي عثمان لأمه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليجيء بصدقاتهم وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمعوا به تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب الرسول فأراد هو أن يغزوهم فنهاه الله عن ذلك فقال يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بخبر فتفحصوا

(وأنتم لاتشعرون) أي لاتعلمون أن خطابه بالجهر ورفع الصوت فوق صوته يحبط العمل فلما نزلت هذه الآية خفض أبو بكر وعمر صوتهما فما كلما النبي صلى الله عليه وسلم الا كأخي السرار فأنزل الله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي اختبرها فأخلصها للتقوى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت في وفد تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفاخروه فنادوا على الباب يا محمد اخرج الينا فان مدحنا زين وان ذمنا شين فقال الله (بل أكثرهم لايعقلون) أي انهم جهال ولو علموا لما فاخروا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) أي من ايذائهم اياك بالنداء على بابك (والله غفور رحيم) أي لمن تاب منهم (يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ) نزلت في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا الى قوم كانت بينه وبينهم ترة في الجاهلية فخاف أن يأتيهم وانصرف من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا الصدقة وقصدوا قتلي فذلك قوله ان جاءكم فاسق بنبأ (فتبينوا) أي فاعلموا صدقه من كذبه

وقرئ فتثبتوا أي قفوا حتى يتبين لكم ماجاء به من صدقة أو كذبه (أن تصيبوا قوما بجهالة) أي حذر أن تصيبوا قوما بالقتل والسبي ملتبسين بجهالة حالهم (فتصبحوا على مافعلتم نادمين) أي فتصيروا بعد ظهور براءتهم عما نسب اليهم نادمين على مافعلتم في حقهم في اصابتهم بالقتل وغيره (واعلموا أن فيكم رسول الله) هو مرشد لكم فارجعوا اليه واعتمدوا على قوله (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) أي لو يتبعكم رسول الله في كثير من الحوادث لوقعتم في شدة وهلاك وقد يوافق الناس و يفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لفائدة قوله تعالى وشاورهم في الأمر (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أي بينه وقربه اليكم وأدخله في قلوبكم (وزينه في قلوبكم) بالبرهان اليقيني بحيث لاتفارقونه ولاتخرج من قلوبكم (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) وهذه الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل فانه يجمع التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فالكفر هو التكذيب بالجنان والفسوق هو كذب اللسان كما قاله ابن عباس فقد قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فسمى من كذب فاسقا والعصيان هو ترك الأمر (أولئك هم الراشدون) أي الموافقون للرشد يأخذون مايأتيهم الله و ينتهون عما ينهاهم (فضلا من الله ونعمة) مفعول من أجله منصوب بحبب وكره أو بالراشدون (والله عليم) بما في خزائن رحمته من الخير وكانت النعمة هو مايدفع به حاجة العبد (حكيم) ينزل الخير بقدر مايشاء على وفق الحكمة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) قيل نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه وعبدالله بن رواحة المخلص وأصحابه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ومر على ابن أبي وكان من الخزرج فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه وقال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك وذلك قبل أن يسلم بالظاهر فقال ابن رواحة وكان من الاوس لبول حماره صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا من مسكك فكان بين قومهما وهما الاوس والخزرج ضرب بالأيدي والنعال والسيف. وعن قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداراة في حق فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة وطلب الآخر منه أن يحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن السدي قال كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها و بين زوجها شئ فرقي بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه واقتتلوا بالايدي والنعال فنزلت هذه الآية أي وان تقاتل فرقتان من المؤمنين فأصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت احداهما) أي ظلمت (على الأخرى) بأن أبت الاجابة الى حكم كتاب الله تعالى (فقاتلوا التي تبغي) أي تظلم (حتى تفئ الى أمر الله) أي حتى ترجع تلك الطائفة التي لم تقبل النصيحة الى الصلح وهو مأمور به (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) أي فان رجعت الى الصلح حذرا من قتالكم فاحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق ولاتكتفوا بمجرد متاركتهما عسى أن يكون بينهما قتال في وقت آخر (وأقسطوا) أي واعدلوا في كل أمر (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين في كل مايأتون وما يذرون فيفضي الى أشرف درجة وأرفع منزلة (انما المؤمنون أخوة) في الدين (فأصلحوا بين أخويكم) وان لم تكن الفتنة عامة وان لم يكن الأمر عظيما كالقتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى اختلاف فاسعوا في الاصلاح وقيل المراد بالأخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم وأخواتكم (واتقوا الله) بالصون عن التشاجر فان من اتقى الله شغله تقواه عن الاشتغال بغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه و يده وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن من يأمن جاره

(أن تصيبوا) أي لئلا تصيبوا (قوما بجهالة) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أن يغزوهم حتى تبين له طاعتهم (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلا تقولوا الباطل فان الله يخبره (لو يطيعكم في كثير من الأمر) أي لو أطاع هذا المخبر الذي أخبره بما لا أصل له (لعنتم) أي لأثمتم ولهلكتم (ولكن الله حبب اليكم الايمان) فأنتم تطيعون الله ورسوله ولا تقعون في العنت يعني بهذا المؤمنين المخلصين ثم أثنى عليهم فقال (أولئك هم الراشدون فضلا من الله) أي الفضل من الله عليهم (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) نزلت في جمعين من الانصار وكان بينهما قتال بالأيدي والنعال (فأصلحوا بينهما) أي بالدعاء الى حكم كتاب الله (فان بغت) أي تعدت (احداهما على الأخرى) وعدلت عن الحق (فقاتلوا) الباغية (حتى تفئ) أي حتى ترجع (الى أمر الله) في كتابه (فان فاءت) أي رجعت (فأصلحوا بينهما) أي بحملهما على الانصاف (وأقسطوا) أي واعدلوا (ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون أخوة) في الدين والولاية (فأصلحوا بين أخويكم) إذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) في اصلاح ذات البين

بوائقه (لعلكم ترحمون) على تقواكم (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أى رجال منكم (من قوم) آخرين منكم قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى ثابت بن قيس بن شماس حيث ذكر رجلا من الأنصار بسوء ذكر أم رجل كانت فى الجاهلية وقال الضحاك نزلت فى وفد تميم كانوا يستهزئون بفقراء أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبيب وابن فهيرة و بلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبى حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم ومعنى الآية لا تحتقروا اخوانكم ولا تستصغروهم (عسى أن يكونوا خيرا منهم) تعليل للنهى أى عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين (ولا نساء من نساء) روى عن أنس أن هذه الآية نزلت فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت فى صفية بنت حيى بن أخطب قالت لها بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهودى فنهاهن الله عن ذلك وقال ولا نساء من نساء أى ولا تسخر نساء من المؤمنات من نساء منهن (عسى أن يكن) أى المسخور منهن (خيرا منهن) أى من الساخرات عند الله وأفضل نصيبا (ولا تلمزوا أنفسكم) أى ولا يعب بعضكم بعضا باشارة أونحوها فصرتم عائبين من وجه معيبين من وجه (ولا تنابزوا بالالقاب) أى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم فى الايمان واشتهارهم به ويقال هذا تمام الزجر ويصير التقدير بئس الفسوق بعد الايمان و بئس أن تسموا بالفاسق بسبب السخر واللمز والتنابز بعد ما سميتم مؤمنين (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) أى ومن يجعل ذلك عادة ولم يتركه ولم يتب عما مضى فهو ظالم (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) فيجب الاحتياط والتأمل فى كل ظن حتى يعلم انه من أى نوع فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وظن الخير فى الله تعالى ففى الحديث القدسى أنا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا وظن الخير فى المؤمن كما قال النبى ﷺ ظنوا بالمؤمن خيرا ومنه ما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وظن السوء بالمؤمن ومنه ما يباح كالظن فى الأمور المعاشية (ان بعض الظن اثم) أى ذنب يستحق العقوبة (ولا تجسسوا) أى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين والمعنى ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا فى طلب اليقين فى معايب الناس (ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) وقرأ نافع بتشديد الياء وهو حال من اللحم أو من الأخ فالاغتياب كأكل لحم الآدمى ميتا ولا يحل أكله الا للمضطر بقدر الحاجة فالمغتاب ان وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب ففى هذه الآية نهى عن اغتياب المؤمن دون الكافر أما الفاسق فيجوز أن يذكر بما فيه عند الحاجة فمن نقص مسلما أو ثلم عرضه فهو كآكل لحمه حيا ومن اغتابه فهو كآكل لحمه ميتا لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحى لا يعلم بغيبة من اغتابه (فكرهتموه) أى الأكل فالاستفهام فى قوله تعالى أيحب للانكار فكأنه تعالى قال لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه اذا وقرئ كرهتموه بغير فاء أى جبلتم على كراهته (واتقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه و بالندم على ما صدر عنكم من قبل (ان الله تواب رحيم) ذكر الله تعالى فى هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة فكأنه تعالى قال لا تقولوا فى حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن ثم اذا سئلتم عن المظنونات فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها ثم ان علمتم منها شيئا من غير تجسس فلا تقولوه ولا تفشوه عنهم ففى الأول نهى عن التكلم بما لم يعلم ثم نهى عن طلب علم عيب الناس ثم نهى عن ذكر ما علم منه روى أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه لهما طعاما فقال له انطلق الى أسامة بن زيد واطلب منه فضل طعام وادام ان كان

(لعلكم ترحمون) أى لكى ترحموا به (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية نهى الله المؤمنين والمؤمنات أن يسخر بعضهم من بعض (عسى أن يكونوا خيرا منهم) أى عسى أن يكون المسخور منه خيرا من الساخر ومعنى السخرية ههنا الازدراء والاحتقار (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يعب بعضكم بعضا (ولا تنابزوا بالالقاب) وهو أن يدعى الرجل بلقب يكرهه نهى الله عن ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) يعنى ان السخرية واللمز والتنابز فسوق بالمؤمن و بئس شين ذلك بعد الايمان (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) وهو أن يظن السوء بأهل الخير ومن لا يعلم منه فسق (ولا تجسسوا) أى لا تطلبوا عورات المسلمين ولا تبحثوا عن معايبهم (ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لا تذكروا أحدكم بشئ يكرهه وان كان فيه ذلك الشئ (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) يعنى أن ذكرك أخاك على غيبته بسوء كأكل لحمه وهو ميت يعنى لا يحس بذلك (فكرهتموه) أى

عنده فأتاه فقال ما عندى شئ فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى بعض الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتناولنا لحما فى يومنا هذا فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتما سلمان وأسامة فنزلت هذه الآية ثم قال تعالى (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) أى من آدم وحواء ومن أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) وطبقات النسل التى عليها العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعشيرة وكل واحد يدخل فيما قبله فالعشائر تحت الفصائل وهى تحت الافخاذ وهى تحت البطون وهى تحت العمائر وهى تحت القبائل وهى تحت الشعوب فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وعبدمناف فخذ وهاشم فصيلة والعباس عشيرة (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضا بأصل الانسان فلا ينتسب أحد الى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء والقبائل ولا لتدعوا التفاوت فى الانساب (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قال ﷺ من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس قال كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى قال الرازى سمعت أن بعض الشرفاء فى بلاد خراسان كان فى النسب أقرب الناس الى على رضى الله عنه غير أنه كان فاسقا وكان هناك مولى أسود تقدم بالعلم والعمل ومال الناس الى التبرك به فاتفق أنه خرج يوما من بيته يقصد المسجد فاتبعه خلق فلقيه الشريف سكران وكان الناس يطردون الشريف ويبعدونه عن طريقه فغلبهم وتعلق بأطراف الشيخ وقال له يا أسود الحوافر والشوافر يا كافر بن كافر أنا ابن رسول الله أذل وتجل وأذم وتكرم وأهان وتعان فهم الناس بضربه فقال الشيخ لا هذا محتمل منه لجده وضربه معدود بجده ولكن يا أيها الشريف بيضت باطنى وسودت باطنك فيرى الناس بياض قلبى فوق سواد وجهى فحسنت وأخذت سيرة أبيك وأخذت بسيرة أبى فرآنى الخلق فى سيرة أبيك ورأوك فى سيرة أبى فظنونى ابن أبيك وظنوك ابن أبى فعملوا معك مايعمل مع أبى وعملوا معى مايعمل مع أبيك (ان الله عليم) بأنسابكم وبأعمالكم (خبير) ببواطن أحوالكم لاتخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى عملكم وزيدوا فى التقوى قال الزهرى نزلت هذه الآية فى أبى هند خاصة قال أمر رسول الله ﷺ بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نزوج بناتنا موالينا فأنزل الله تعالى هذه الآية قال ابن عباس لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبى العيص الحمد لله الذى قبض أبى حتى لايرى هذا اليوم وقال الحرث بن هشام ماوجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان أنا لا أقول شيئا أخاف أن يخبره به رب السموات فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية زاجرا لهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء فان مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى (قالت الأعراب) أى أهل البادية (آمنا) نزلت هذه الآية فى بنى أسد أصابتهم سنة شديدة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهروا له الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر طالبين الصدقة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها ونحن قد جئناك بالأطفال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان أطعمنا وأكرمنا يا رسول الله فانا صدقنا بجميع ماجئت به فأنزل الله هذه الآية (قل) يا أشرف الخلق لهم (لم تؤمنوا) أى لم

كما كرهتم أكل لحمه ميتا فاكرهوا ذكره بسوء (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) أى كلكم بنو أب واحد وأم واحدة ولا تفاضل بينكم فى النسب (وجعلناكم شعوبا) وهى رءوس القبائل كربيعة ومضر (وقبائل) وهى دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا لتتفاخروا بها ثم أعلم أن أرفعهم عنده منزلة أتقاهم فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) الآية (قالت الأعراب آمنا) نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة بذراريهم وأظهروا كلمة الشهادة ولم يكونوا مؤمنين فى السر فقال الله تعالى (قل لم تؤمنوا

تصدق قلوبكم لأنكم لوآمنتم لم تمنوا على فلاتقولوا آمنا (ولكن) أسلمتم أى أظهرتم الانقياد واستسلمتم من السيف والسبى بل (قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وهذا قدحصل أما الايمان وهو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب لم يحصل لكم والا لمامننتم على ماذكرتم (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) أى ولم يدخل حب الايمان فى قلوبكم الى هذا الوقت فلايعد اقرار اللسان ايمانا الا بموافقة القلب (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق فى السر كما أطعتموهما فى العلانية (لايلتكم من أعمالكم شيئا) أى لاينقصكم من ثواب أعمالكم شيئا من النقص وقرأ الدورى عن أبى عمرو ولايألتكم بهمزة ساكنة بعد الياء التحتية وأبدلها السوسى ألفا وقرأ الباقون بغير همز ولاألف (ان الله غفور) لكم ماقدسلف ان تبتم (رحيم) بما أتيتم به من الطاعة بالتفضل عليكم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا فى ايمانهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أى فى طاعة الله على تكثر أنواعها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد (أولئك هم الصادقون) أى أولئك الموصوفون بما ذكرهم الذين صدقوا فى دعوى الايمان لاغيرهم وى أنه لمانزلت هذه الآية جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل) لهؤلاء الأعراب مبكتا لهم (أتعلمون الله بدينكم) أى أتخبرون الله بدينكم بقولكم آمنا (والله يعلم مافى السموات ومافى الأرض) فيعلم مافى قلوب أهلهما الواو للحال (والله بكل شئ عليم) فلايخفى عليه شئ فالدين ينبغى أن يكون لله وأنتم أظهرتموه لنا لا لله فلايقبل منكم ذلك (يمنون عليك أن أسلموا) أى يعدون اسلامهم من غير قتال منة عليك وهى النعمة التى لايطلب معطيها ثوابا عن أنعم اليه (قل) فى جواب قولهم هذا (لاتمنوا على اسلامكم) أى لاتعدوا الاسلام الذى عندكم منة على فالله تعالى كذبهم فى قولهم آمنا ولم يصدقهم فى الاسلام فانهم انقادوا للحاجة وأخذ الصدقة (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) أى بسبب أن هداكم للايمان حيث بين لكم الطريق المستقيم ودعاكم اليه فان ارسال الرسول بالآيات البينات هداية وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم أى فى زعمكم (ان كنتم صادقين) فى قولكم آمنا فالله هو المنان عليكم (ان الله يعلم غيب السموات والأرض) فلايخفى عليه أعمال قلوبكم الخفية (والله بصير بماتعملون) من ظاهر اسلامكم وقرأ ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة نظرا لقوله تعالى يمنون والباقون بالتاء على الخطاب نظرا الى قوله تعالى لاتمنوا على اسلامكم

﴿ سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية . وثلاثمائة وخمس وتسعون كلمة . وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ق) قال ابن عباس هو جبل أخضر محدق بالدنيا وخضرة السماء منه وهو قسم أقسم الله به قال الرازى المنقول عن ابن عباس ان ق اسم جبل وأما ان المراد فى هذا الموضع به ذلك فلا (والقرآن المجيد) أى العظيم لأن القرآن عظيم الفائدة أولأنه كلام الله تعالى أو كثير الكرم لأن كل من طلب مقصوده من القرآن وجده فانه مغنى كل من لاذ به أوذى الشرف فان من علم معانيه وعمل بمافيه شرف عند الله تعالى وعند الناس (بل عجبوا) وهذا اضراب عن جواب القسم المحذوف أى ما آمن كفار مكة بمحمد والقرآن بل جعلوا كلا منهما عرضة للتعجب مع كونهما أقرب شئ الى التلقى بالقبول وانما عجبوا من ذلك لكون محمد من جنسهم لامن جنس الملائكة ولكون القرآن أخبر بالبعث بعد الموت

ولكن قولوا أسلمنا) أى لم تصدقوا الله ورسوله بقلوبكم ولكن أظهرتم الطاعة مخافة القتل والسبى (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله) ظاهرا وباطنا (لايألتكم) أى لاينقصكم (من) ثواب (أعمالكم شيئا) ثم بين حقيقة الايمان والمؤمن فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله) الآية يعنى هؤلاء هم الذين صدقوا فى ايمانهم لامن أسلم خوف السيف ورجاء المنفعة فلمانزلت الآيتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ وحلفوا بالله انهم مؤمنون وعلم الله غير ذلك منهم فأنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى أتعلمونه بماأنتم عليه وهو يعلم ذلك (يمنون عليك أن أسلموا) وذلك أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ أتيناك بالعيال والأثقال طوعا ولم نقاتلك كماقاتل بنوفلان فأعطنا فقال الله (قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) أنكم مؤمنون أى لله المنة ان صدقتم فى ايمانكم لالكم

﴿ تفسير سورة ق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ق) قضى الله ماهو كائن (والقرآن المجيد) الكثير الخير (بل عجبوا) يعنى كفار مكة

وذلك قوله تعالى (أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) أي عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم يخوفهم بالنار بعد البعث فقال كفار مكة منهم أبي وأمية ابنا خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج هذا أي كون المنذر منا وكون المنذر به هو البعث بعد الموت أمر يتعجب منه (أئذا متنا وكنا ترابا) أي أحين نموت ونصير ترابا رميما نبعث (ذلك رجع بعيد) أي ذلك الخبر برجوعنا الى ما كنا عليه بعد موتنا رجع بعيد من الأوهام والامكان وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بكسر ميم متنا والباقون بالضم قال الله تعالى ردا لاستبعادهم (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أي ما تأكل الأرض من لحومهم وعظامهم فلا تخفى علينا أجزاؤهم بسبب تشتتها في الأرض أي ان الله تعالى عالم بجميع أجزاء كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزء أحد على الآخر وقادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه ببعيد وكما يعلم أجزاءهم يعلم أعمالهم فذلك قوله تعالى (وعندنا كتاب حفيظ) أي حافظ لأجزائهم وأعمالهم بحيث لا ننسى شيئا منها أي فالعلم عندي كما يكون في الكتاب أعلم جزءا جزءا وشيئا شيئا (بل كذبوا بالحق) أي بالنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة (لما جاءهم) أي حين جاءهم منذر هو محمد ﷺ من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بكسر اللام على أن اللام للتوقيت أي وقت مجيء المنذر اياهم (فهم في أمر مريج) أي فهم في شأن المنذر في قول مختلف فانهم تارة يقولون انه ساحر وأخرى شاعر وأخرى كاهن وأخرى مجنون قال الرازي نقول كان الواجب أن ينتقلوا من الشك الى الظن بصدقه ﷺ لعلمهم بأمانته واجتنابه الكذب طول عمره بينهم ومن الظن الى القطع بصدقه لظهور المعجزات القاهرات على يديه ولسانه فلما غيروا الترتيب حصل عليهم المرج ووقع الشرك مع المرج (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم) أي أعموا فلم يشاهدوا السماء كل وقت وهي ظاهرة فوق رءوسهم غير غائبة عنهم (كيف بنيناها) أي رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) أي والحال ليس لها فتوق وهذا اشارة الى وجه الدلالة فالانسان له أساس وهي العظام التي هي كالدعامة وله قوى وأنوار كالسمع والبصر فبناء السماء أرفع من أساس البدن وزينة السماء أكمل من زينة الانسان بلحم وشحم وليس للسماء فروج وللانسان مسام فتأليف السماء أشد ولا شك أن للتأليف الأشد كالنسج الأصفق والتأليف الأضعف كالنسج الأسخف والأول أصعب عند الناس وأعجب فكيف يستبعدون الادون مع علمهم بوجود الأعلى من الله تعالى (والأرض مددناها) أي بسطناها على الماء (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت أوتادا لها (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل لون حسن في المنظر وهذا اشارة الى دليل آخر يدفع قولهم ذلك رجع بعيد وهم قالوا الانسان اذا مات وفارقته القوى لا تعود اليه تلك القوى فنقول الأرض أشد جمودا والله تعالى ينبت فيها أنواع النبات فكذلك الانسان تعود اليه الحياة وذكر الله في الأرض ثلاثة أمور كما ذكر في السماء ثلاثة أمور فكل واحد في مقابلة واحد فالمد في مقابلة البناء واثبات الرواسي في الأرض في مقابلة تركز الكواكب في السماء وشق الأرض بالانبات في مقابلة سد الفروج اذا علمت هذا ففي الانسان أشياء موضوعة وأشياء مرفوعة وأشياء ثابتة كالأنف والأذن وأشياء متحركة كالمقلة واللسان وأشياء مسدودة الفروج كدور الرأس وأشياء لها فروج كالمناخر والصماخ والفم فالقادر على هذه الأضداد في السبع الشداد غير عاجز عن خلق نظيرها في هذه الأجساد (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) أي خلقنا السماء والأرض تبصيرا وتذكيرا لكل عبد مقبل الى الله راجع الى التفكر في بدائع صنائعه فان فيهما آيات مستمرة منصوبة على مرور الزمان وآيات متجددة مذكرة عند التناسي ونصب الاسمين على المفعول من أجله أو على الحال أي مبصرين ومذكرين وقرأ زيد بن علي تبصرة وذكر برفعهما أي هي تبصرة

(أن جاءهم منذر منهم) محمد ﷺ وهم يعرفون نسبه وأمانته (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) يعني هذا الانذار الذي أنذرتنا (أئذا متنا وكنا ترابا) نبعث وهذا استفهام انكار وجوابه محذوف ثم أنكروا ذلك أصلا فقالوا (ذلك) أي البعث (رجع بعيد) أي رد لا يكون قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أي ما تأكل من لحومهم (وعندنا كتاب حفيظ) يعني اللوح المحفوظ من أن يندرس ويتغير فيه جميع الأشياء المقدرة (بل كذبوا بالحق) أي بالقرآن (لما جاءهم فهم في أمر مريج) ملتبس عليهم مرة يقولون النبي ﷺ ساحر ومرة شاعر ومرة معلم ثم دلهم على قدرته فقال (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) يعني شقوقا وقوله (من كل زوج بهيج) أي من كل لون حسن (تبصرة) أي فعلنا ذلك تبصرة وتذكيرا ودلالة على قدرتنا (لكل عبد منيب) أي يرجع الى الله ويتفكر في قدرته وقوله

وذ كرأي عبرة وعظة (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي نافعا كثير الخير (فأنبتنا به) أي بذلك الماء (جنات) أي أشجارا كثيرة يقطف ثمارها والأصول باقية (وحب الحصيد) أي حب زرع يحصد كل عام (والنخل) وهو جنس مختلط من الزرع والشجر لان الثمر فاكهة وقوت بخلاف غيره فان بعض الثمار فاكهة ولاقوت فيه وأكثر الزرع قوت وأيضا ان من النباتات مايبقى أصلها سنين ولايحتاج الى عمل عامل ومالايبقى أصلها ويحتاج كل سنة الى عمل عامل ومايبقى أصلها ويحتاج كل سنة الى عمل عامل (باسقات) أي طوالا أوحوامل وهي حال مقدرة وقرئ باصقات بالصاد لأجل القاف (لها طلع نضيد) أي لتلك النخل كفرى مجتمعة بعضها فوق بعض (رزقا للعباد) أي لنرزقهم وهذا علة لأنبتنا والحكمة فى تعليل الانبات بالرزق بعد تعليل الانبات الاول بالتبصرة والتذكير اشارة الى أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بالنباتات من حيث الاستبصار والتذكر أقدم من تمتعه بها من حيث الرزق والحكمة فى اطلاق العباد فى الرزق وفى تقييدهم بكونهم منيبين فى التبصرة والتذكير لان الرزق حصل لكل أحد والتذكرة لاتكون الالكل منيب فهو يأكل ذاكرا شاكرا للانعام ثم التبصرة بالخلق هو الاستدلال بأن القادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفناء والتذكرة بالبقاء بالرزق بعد الاعادة هو الاستدلال بأن البقاء فى الدنيا يكون بالرزق وبأن القادر على اخراج الأرزاق من النجم والشجر قادر على أن يرزق العبد فى الجنة وأن يبقيه فيها (وأحيينا به) أي بذلك الماء (بلدة ميتا) أي أرضا جدبة لانماء فيها أصلا (كذلك الخروج) أي مثل خروج النبات من الارض بالماء خروجهم من القبور يوم القيامة بالمطر التى كمنى الرجال ومثل تلك الحياة فى النبات بالاخراج حياتهم بالبعث من القبور على ما كانوا عليه فى الدنيا (كذبت قبلهم) أي قبل قومك (قوم نوح وأصحاب الرس) وهو بئر دون اليمامة وهم قوم شعيب وقيل هم قوم عيسى الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وقيل هم أصحاب الأخدود (وثمود وعاد وفرعون) وانما نص عليه لانه ليس فى قادة قومه كافر غيره لانه استخف قومه فأطاعوه فجعل الاعتبار له خاصة (واخوان لوط) وانما قال ههنا ذلك لان لوطا كان مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم معارف لوط (وأصحاب الأيكة) أي الغيضة وهم قوم شعيب غير أهل مدين (وقوم تبع) وهو كان معتمدا بقومه (كل كذب الرسل) أي فالمذكورون كانوا منكرين للحشر وكل واحد منهم كذب جميع الرسل (فحق وعيد) أي فثبت وعيدى من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم (أفعيينا بالخلق الاول) أي أقصدنا ايجاد الانسان وسائر الحيوان وايجاد السموات والارض فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة (بل هم فى لبس من خلق جديد) أي انهم غير منكرين لقدرتنا على اختراع الخلق من العدم بل هم فى شك فى اعادة الخلق الى الحياة بعد الموت لما فيه من مخالفة العادة (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) أي مايخطر بباله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أي ونحن أقرب الى الانسان من العرق الذى يجرى فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن بعلمنا بحاله وبنفوذ قدرتنا فيه يجرى فيه أمرنا كما يجرى الدم فى عروقه (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) فاذ منصوب بأقرب أي فالله أقرب الى الانسان من عرقه المخالط له فى وقت أخذ الملكين الحافظين منه قوله وفعله فلهما عن اليمين مقاعد وعن الشمال مقاعد وفى هذا اشارة الى أن المكلف غير متروك سدى ويقال وقت مايتلقاه المتلقيان يكون عن يمينه وعن شماله قعيد فالمتلقيان على هذا الوجه هما الملكان اللذان يأخذان روحه من ملك الموت أحدهما يأخذ أرواح الصالحين وينقلها الى السرور الى يوم النشور والآخر يأخذ أرواح الطالحين وينقلها الى الثبور الى يوم النشر من القبور أي فهذان الملكان ينزلان

(وحب الحصيد) يعنى ما يقتات من الحبوب (والنخل باسقات) أي طوالا (لها طلع نضيد) أي متراكب (رزقا للعباد) أي أنبتنا هذه الأشياء للرزق (فأحيينا به) أي بذلك الماء (بلدة ميتا كذلك الخروج) يعنى من القبور وقوله (وقوم تبع) وهو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وقوله (فحق وعيد) أي وجب عليهم العذاب (أفعيينا بالخلق الاول) أي عجزنا عنه حتى نعيا بالاعادة (بل هم فى لبس) أي شك (من خلق جديد) يعنى البعث (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) أي يحدثه قلبه (ونحن أقرب اليه) أي بالعلم (من حبل الوريد) وهو عرق فى العنق (اذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين أي يتلقيان ويأخذان ما يعمله الانسان فيثبتانه (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي قاعدان على جانبيه

(مايلفظ) أى يتكلم (من قول الالديه رقيب عتيد) أى حافظ حاضر (وجاءت سكرة الموت) أى غمرته وشدته (بالحق) أى من أمر الآخرة حتى يراه الانسان عيانا (ذلك ما كنت منه تحيد) أى تهرب وتروغ يعنى الموت (ونفخ فى الصور) يعنى نفخ البعث (ذلك يوم الوعيد) وهو الذى توعد الله به الكفار (وجاءت كل نفس) الى الحشر (معها سائق) من الملائكة يسوقها (وشهيد) أى شاهد عليها بعملها وهو الأيدى والأرجل فيقول الله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى من هذا اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أى جلينا عنك سترك حتى تعاينه (فبصرك اليوم حديد) أى فعلمك بما أنت فيه نافذ (وقال قرينه) يعنى الملك الموكل به (هذا مالدى عتيد) أى هذا الذى وكلتنى به قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله فيقول الله تعالى للملكين الموكلين بالانسان (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) أى عاص معرض عن الحق (مناع للخير) أى الزكاة المفروضة وكل حق فى ماله (معتد) أى ظالم (مريب) أى شاك (قال قرينه) أى من الشياطين (ربنا ما أطغيته) أى ما أضللته (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى انما طغى هو بضلاله وانما دعوته فاستجاب لى كما قال فى الاخبار عن الشيطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فحينئذ يقول الله تعالى (لا تختصموا لدى الوقف وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى حذرتكم بالعقوبة فى الدنيا على لسان الرسل (مايبدل القول لدى) أى لا تبديل لقولى ولا خلف لوعدى

الى الانسان وعنده ملكان كاتبان لأعماله قاعدان عن يمينه وشماله فوقت تلقيهما اياها يسألانهما عن أى النوعين كان هذا الانسان فان كان من الصالحين يأخذ روحه ملك السرور ويرجع الى الملك الآخر مسرورا وان كان من الطالحين يأخذها ملك العذاب ويرجع الى الآخر محزونا (مايلفظ من قول) أى مايرمى الانسان المكلف به من فيه من خير أو شر (الالديه رقيب عتيد) أى الالديه ملك يحفظ قوله ويكتبه وملك يهيئ للكتابة ماأمر به من الخير أو الشر فكل من كاتب الحسنات وكاتب السيئات يقال له رقيب عتيد وقرئ مايلفظ على البناء للمفعول (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى جاءت شدة الموت الذاهبة بالعقل بالموت كأن شدة الموت تحضر الموت كما قرئ وجاءت سكرة الحق بالموت أو يقال المراد من الحق هو الدين فالمعنى وأظهرت سكرة الموت الدين اذ ما من أحد فى تلك الحالة الا وهو يظهر الايمان لكنه لايقبل الا من سبق منه ذلك (ذلك ما كنت منه تحيد) أى ذلك الموت ما كنت تفر منه أيها السامع (ونفخ فى الصور) هى نفخة البعث فقوله تعالى وجاءت سكرة الموت اشارة الى الاماتة وقوله تعالى ونفخ فى الصور اشارة الى الاحياء والاعادة (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك الزمان يوم وقوع الوعيد وهو العذاب الموعود (وجاءت) فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أى ملك يسوق البر الى الجنة والفاجر الى النار (وشهيد) أى كاتب فانه يشهد عليها بعملها ويقال (لقد كنت) أيها الشخص فى الدنيا (فى غفلة من هذا) أى اليوم فما من أحد الا وله غفلة ما عن الآخرة وقرئ كنت بكسر التاء باعتبار تأنيث النفس (فكشفنا عنك غطاءك) أى أزلنا عنك غفلتك (فبصرك اليوم حديد) أى نافذ وكان من قبل كليلا وقرئ بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة (وقال قرينه هذا مالدى عتيد) أى قال الشيطان الذى زين له العصيان هذا العصيان هو الذى عندى معد لجهنم أو قال الملك الذى يكتب أعماله هذا الكتاب مكتوب عندى مهيأ للعرض قال تعالى خطابا للسائق والشهيد (ألقيا فى جهنم كل كفار) وقرأ الحسن ألقين بنون التوكيد خطاب لواحد من خزنة النار (عنيد مناع للخير معتد مريب) أى ألقيا فى جهنم كل كافر بالله معاند لآياته مانع الناس من اتباع رسول الله ومن الانفاق على من عنده ظالم بالايذاء وكثرة الهذاء شاك فى اليوم الآخر فلا يظن أن الساعة قائمة فكل كافر هو موصوف بهذه الصفات (الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه فى العذاب الشديد) وقوله تعالى الذى مبتدأ يشبه الشرط فى العموم ولذا دخلت الفاء فى خبره ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هو الذى جعل ويكون فألقياه تأكيدا لألقيا الاول (قال قرينه ربنا ما أطغيته) أى ان الكافر حين يلقى فى النار يقول ربنا أطغانى شيطانى فيقول الشيطان متبرئا منه ربنا ما أضللته (ولكن كان فى ضلال بعيد) أى عن الحق وقال ابن عباس لما يقول الكافر يارب ان الملك زاد على فى الكتابة فكتب على مالم أقل ومالم أفعل وعجلنى بالكتابة حتى نسيت قال الملك الذى يكتب عليه سيئاته ربنا مازدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل وما أعجلته بالكتابة ولكن كان فى ضلال طويل لا يرجع عنه الى الحق (قال) تعالى خطابا للكافرين وقرنائهم (لا تختصموا لدى) أى فى موقف الحساب والجزاء (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى بالتهديد فى دار الكسب فى كتبى وعلى ألسنة رسلى حيث قلت لكم اذا اتبعتم الشيطان تدخلون النار وقد اتبعتموه (مايبدل القول لدى) أى مايغير الوعيد بتخليد الكافر فى النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم فى هذا

الموقف (وما أنا بظلام للعبيد) أى وما أنا بمعذب العبيد بغير ذنب من قبلهم (يوم تقول لجهنم) وقرئ يقول بالياء (هل امتلأت) أى قد امتلأت كما وعدتك وهو استفهام تقرير والمراد الاخبار عن امتلاء جهنم (وتقول هل من مزيد) أى قد امتلأت فليس فىّ مكان رجل واحد لم يمتلئ فهو استفهام انكار أى لما خاطب الله جهنم بصورة الاستفهام أجابته بصورة الاستفهام أيضا ومرادها الاقرار بامتلائها أو استفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى الأمر أى زدنى يارب (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) أى قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى قربا حقيقيا بحيث يشاهدونها من الموقف أو قربت تقريب حصول لانها تنال بكلمة طيبة وحسنة (هذا) أى الجنة (ما توعدون) فى الدنيا وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة (لكل أواب) أى مقبل الى الله وهذا بدل كل من المتقين (حفيظ) أى حافظ لأمر الله فى الخلوات (من خشى الرحمن بالغيب) حال من المفعول أى غائبا عن الخاشى ومن بدل من كل أو خبر مبتدأ مضمر أى هم من خشى الخ والخشية من عظمة المخشى والخوف من ضعف الخاشى (وجاء بقلب منيب) أى برىء من الشرك يقول الله تعالى لهم (ادخلوها) أى الجنة (بسلام أى بسلامة من عذاب الله تعالى أو بسلام على من فيها فلا تتركوا احسن عادتكم (ذلك يوم الخلود) أى ذلك الزمان يوم خلود أهل الجنة فى الجنة (لهم ما يشاءون فيها) من فنون المطالب (ولدينا مزيد) هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات وقيل ان السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قومك (من قرن هم أشد منهم) أى من قومك (بطشا) أى قوة (فنقبوا فى البلاد) أى خرقوا فيها وجالوا فى أكناف الأرض كل مجال حذر الموت (هل من محيص) أى هل لهم مخلص من أمر الله تعالى (ان فى ذلك) أى فى اهلاكهم (لذكرى) أى لعظة (لمن كان له قلب) أى قلب واع سليم يتفكر فى الامور كما ينبغى بذكائه (أو ألقى السمع) الى ما يتلى عليه من الوحى الدال على ما جرى عليهم (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما) من أصناف المخلوقات (فى ستة أيام) أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة (وما مسنا من لغوب) أى وما أصابنا من تعب قيل هذه الآية نزلت فى اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم (فاصبر على ما يقولون) من حديث التعب بالاستلقاء قال الرازى والاقرب والظاهر أن المراد بهذه الآية الرد على المشرك فى انكار البعث والاستدلال بخلق السموات والأرض وما بينهما فى اثبات البعث وعلى هذا المعنى فاصبر على ما يقولون هذا شئ عجيب أى هذا النبى يقول محمد نبعث بعد الموت شئ عجيب (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) أى نزه الله تعالى عن الشرك وعن العجز الممكن الذى هو البعث وذكرهم بعظمة الله تعالى فى وقت اجتماعهم وهو قبل الطلوع وقبل الغروب وأول الليل أى عقب سجودك بزمن بك بالبرهان عند اجتماع القوم ليحصل لك العبادة بالسجود والهداية أدبار السجود ولا تسأم من

(وما أنا بظلام للعبيد) فأعاقبهم بغير جرم (يوم تقول لجهنم هل امتلأت) وهذا استفهام تحقيق وذلك أن الله تعالى وعدها أن يملأها فلما ملأها قال هل امتلأت (وتقول هل من مزيد) أى هل بقى فى موضع لم يمتلئ أى قد امتلأت (وأزلفت الجنة) أى وأدنيت الجنة (للمتقين) حتى يرونها (غير بعيد) منهم ويقال لهم (هذا ما توعدون

لكل أواب) أى رجاع الى الله بالطاعة (حفيظ) أى حافظ لأمر الله (من خشى الرحمن بالغيب) أى خاف أمر الله ولم يره (وجاء بقلب منيب) أى مقبل الى طاعة الله يقال لهم (ادخلوها بسلام) أى بسلامة من العذاب (ذلك يوم الخلود) لاهل الجنة فيها (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد) أى زيادة مما لم يخطر ببالهم وقيل هى الرؤية (وكم أهلكنا قبلهم) قبل أهل مكة من (قرن) أى جماعة من الناس (هم أشد منهم بطشا) أى قوة (فنقبوا فى البلاد) أى طوفوا فى البلاد وفتشوا فلم يروا محيصا من الموت (ان فى ذلك) الذى ذكرت (لذكرى) أى لعظة وتذكيرا (لمن كان له قلب) أى عقل (أو ألقى السمع) أى استمع القرآن (وهو شهيد) أى حاضر القلب وقوله (وما مسنا من لغوب) أى وما أصابنا تعب واعياء وهذا رد على اليهود فى قولهم ان الله استراح يوم السبت (فاصبر على ما

يقولون وسبح بحمد ربك) أى صل لله (قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل الغروب) أى صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعنى صلاة العشاء (وأدبار السجود) يعنى الركعتين قبل المغرب

تكذيبهم اياك وامتناعهم من استماع وعظك ويقال صل حامدا لربك الصلوات الخمس والنوافل بعد المكتوبات وشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمران عبادة الله وهداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له أقبل على شغلك الآخر وهو عبادة الله واجعل كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له وقرأ نافع وابن كثير وحمزة وادبار بكسر الهمزة والباقون بالفتح (واستمع) لما يوحى اليك من أحوال القيامة (يوم يناد المناد من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء قيل يقف المنادى اسرافيل أو جبريل على صخرة بيت المقدس قال الشهاب والاصح أن المنادى جبريل والنافخ اسرافيل فيقول المنادى أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أى بالبعث فيوم بدل من يوم الأول وبالحق اما حال من الواو أى يسمع الخلق كلهم نفخة البعث ملتبسين باليقين أو حال من الصيحة أى يسمعون النفخة الثانية ملتبسة بالخروج من القبور (ذلك) أى يوم النداء وسماع صيحة النفخ (يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيي ونميت) فى الدنيا من غير أن يشاركنا فى ذلك أحد (والينا المصير) أى الرجوع فى الآخرة للجزاء (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) أى مسرعين فى خروجهم من الارض والتشقق يكون عند الخروج منها فسراعا حال من الضمير فى عنهم ويوم بدل من يوم الأول أو ظرف للمصير أو ظرف للخروج وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر تشقق بتشديد الشين والباقون بالتخفيف وقرئ تشقق على البناء للمفعول وقرئ تنشق (ذلك حشر علينا يسير) أى ذلك الاخراج بتشقيق الارض احياء وجمع هين علينا للحساب والجزاء فكيف ينكره منكر (نحن أعلم بما يقولون) من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة بثبوت البعث (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط أن تقسرهم على الايمان وانما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وقرأ ورش باثبات الياء بعد الدال بالوصل وقوله تعالى فذكر اشارة الى أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل مأمور بالتذكير وقوله تعالى بالقرآن اشارة الى أنه أنزل عليه القرآن وقوله تعالى وعيد اشارة الى اليوم الآخر وضمير المتكلم فى قوله تعالى وعيد يدل على الوحدانية أى انما يقبل عظتك من يخاف عذابى فى الآخرة

﴿ سورة الذاريات مكية ستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف ﴾
﴿ ومائتان وتسعة وثمانون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والذاريات ذروا) أى والرياح التى تذرو التراب وغيره وتهب فى منازل القوم (فالحاملات وقرا) أى فالسحب الحاملة للمطر (فالجاريات يسرا) أى فالسفن الجارية فى البحر جريا ذا يسر (فالمقسمات أمرا) أى فالملائكة التى تقسم الأمور من الامطار والأرزاق وغيرها وهذا التفسير هو ماروى عن على رضى الله عنه وقال الرازى والأقرب ان هذه الأمور الأربعة صفات أربع للرياح فالذاريات هى الرياح التى تنشئ السحاب أولا والحاملات هى الرياح التى تحمل السحب التى هى بخار المياه التى اذا سحت جرت السيول العظيمة وهى أوقار أثقل من جبال والجاريات هى الرياح التى تجرى بالسحب بعد حملها الماء والمقسمات هى الرياح التى تفرق الامطار على الاقطار (انما توعدون لصادق) أى ان وعدكم بالبعث والحساب لوعد صادق (وان الدين) أى الحساب والجزاء (لواقع) أى لحاصل فالحساب يستوفى والعقاب يوفى (والسماء ذات الحبك) أى ذات الحسن أو ذات الزينة أو ذات الطرائق وهى مسير الكواكب ومسالك النظار (انكم)

(واستمع) يا محمد (يوم يناد المناد) وهو اسرافيل وهو يقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) أى من السماء وهو صخرة بيت القدس وهى أقرب موضع من الأرض الى السماء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الخروج) من القبور (يوم تشقق الارض عنهم) فيخرجون (سراعا وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط تجبرهم على الاسلام وهذا قبل أن أمر بالقتال (فذكر) أى فعظ (بالقرآن من يخاف وعيد)

﴿ تفسير سورة والذاريات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والذاريات ذروا) يعنى الرياح التى تذرو التراب (فالحاملات وقرا) وهى السحاب تحمل الماء (فالجاريات يسرا) أى السفن تجرى فى البحر بيسر (فالمقسمات أمرا) أى للملائكة تأتى بأمر مختلف من الخصب والجدب والموت والمطر والحوادث (انما توعدون) من الخير والشر والثواب والعقاب (لصادق) أقسم الله بهذه الأشياء على صدق وعده (وان الدين) أى الجزاء على الأعمال (لواقع) أى لكائن (والسماء ذات الحبك) أى الخلق الحسن (انكم) ياأهل مكة

يامعشرقريش (لفي قول مختلف) أى منعكس وانكم غيرجازمين فى اعتقادكم فانهم قالوا النبي صلى الله عليه وسلم انك تعلم أنك غيرصادق فى قولك وانما تجادل ونحن نعجزعن الجدل فكأنه تعالى قال لنبيه انك صادق ولست معاندا بل هم جازمون بأنك صادق وانما يظهرون الجزم بأمر لشدة عنادهم فانعكس الأمر عليهم (يؤفك عنه من أفك) قيل هذا مدح للمؤمنين أى يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ورشد الى القول المستوى وقيل ان هذا ذم أى يصرف عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والحشر من قد صرف عن الهدى وهو الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وأبى بن خلف وأمية بن خلف ومنبه ونبيه (قتل الخراصون) أى لعن الكذابون الذين لايجزمون بأمورهم أصحاب القول المختلف وهذا دعاء عليهم وقرئ قتل الخراصين بالبناء للفاعل أى قتل الله المقدرين مالاصحة له (الذين هم فى غمرة) أى فى جهالة بأمر الآخرة (ساهون) أى غافلون عما أمروا به (يسألون) أى بنو مخزوم بطريق الاستعجال استهزاء (أيان يوم الدين) أى متى يكون يوم الجزاء الذى نعذب فيه قال تعالى (يوم هم على النار يفتنون) أى يكون ذلك يوم هم يعرضون على النار ويحرقون بها ويجوز أن يكون يوم هم خبر المبتدأ محذوف وهو مبنى على الفتح لاضافته الى مبنى ويؤيده أنه قرئ بالرفع أى هو يوم هم الخ وتقول لهم الزبانية (ذوقوا فتنتكم) أى حرقكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) بالقول بطريق الاستهزاء أو بالفعل وهو الاصرار على العناد واظهار الفساد وقوله تعالى هذا الآية داخل تحت القول المضمر وهو امامبتدأ أو بدل من فتنتكم (ان المتقين فى جنات وعيون) جارية فى خلال الجنات (آخذين ما آتاهم ربهم) أى قابلين لما أعطاهم ربهم راضين به من الجنات والعيون (انهم كانوا قبل ذلك) أى قبل اعطاء الله الجنات لهم (محسنين) فى الدنيا بالقول والفعل (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) فما زائدة وهذا تفسير للاحسان أى كانوا ينامون فى جزء قليل من الليل وقيل مامصدرية ويهجعون بدل اشتمال من الواو أى كان هجوعهم من الليل قليلا أو فاعل لقليلا أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم وقيل مانافية وقليلا خبر كان وعلى هذا فالوقف عليه صالح كالوقف على يهجعون والمعنى كان عددهم قليلا لاينامون من الليل (وبالأسحار هم يستغفرون) أى هم مع قلة نومهم وكثرة صلاتهم يداومون على الاستغفار فى الأسحار ويعدون أنفسهم مذنبين لوفور علمهم بالله تعالى (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) أى هم لايجمعون الأموال الا ويجعلونها ظرفا للحق فيرون فى أموالهم حقا للذى يسأل العطاء من الناس وللمتعفف الذى يحسبه بعض الناس غنيا فلايعطيه شيئا فهو الذى لايسأل ولايعطى أى هم أوجبوا على أنفسهم بمقتضى الكرم أن يصلوا بأموالهم الأرحام والفقراء والمساكين (وفى الأرض آيات للموقنين) أى وفى جهة السفل دلائل واضحة للموقنين على شؤونه تعالى فان الموقن لايغفل عن الله تعالى فى حال ويرى فى كل شئ آيات دالة على قدرته تعالى ووحدانيته أما الغافل فلايتنبه الا بأمور كثيرة فيكون الكل له كآية واحدة (وفى أنفسكم) أى وفى أنفسكم آيات دالة لكم على وحدانية الله تعالى وقدرته اذ ليس فى العالم شئ الا وفى الأنفس له نظير (أفلا تبصرون) أى ألا تنظرون الأرض ومافيها والأنفس وما فيها فلا تبصرون بعين البصيرة (وفى السماء رزقكم وما توعدون) أى رزقكم ووعدكم بالجنة والنار مكتوبة مقدرة فى السماء ويقال هذا الخطاب مع الكفار فكأنه تعالى قال وفى الأرض آيات للموقنين كافية وأما أنتم أيها الكافرون ففى أنفسكم آيات هى أظهر الآيات تكفرون بها لحب الرئاسة وحطام الدنيا وفى السماء الأرزاق فلو تأملتم حق التأمل لما تركتم الحق لأجل الرزق فانه واصل اليكم بكل طريق ولاجتنبتم

(لفي قول مختلف) فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم (يؤفك) أى يصرف (عنه) أى عن الايمان به (من أفك) أى صرف عن الخير (قتل الخراصون) أى لعن الكذابون يعنى المقتسمين (الذين هم فى غمرة) أى غفلة (ساهون) أى لاهون (يسألون أيان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء استهزاء منهم قال الله تعالى (يوم هم) أى يوم يقع الجزاء يوم هم (على النار يفتنون) أى يحرقون ويعذبون وتقول لهم الخزنة (ذوقوا فتنتكم) أى عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا (ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم) من الثواب والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك) أى قبل دخولهم الجنة (محسنين كانوا قليلا من الليل مايهجعون) أى كانوا ينامون قليلا من الليل (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) وهو الذى لايسأل الناس ولايكتسب (وفى الارض آيات) أى دلالات على قدرة الله ووحدانيته (للموقنين وفى أنفسكم) أيضا آيات من تركيب الخلق وعجائب مافى الآدمى من خلقه (أفلا تبصرون) ذلك (وفى السماء رزقكم) يعنى المطر والثلج الذى هو سببه الرزق والنبات من الارض (وما توعدون) ما ابتداء وخبره محذوف على تقدير وما توعدون من البعث والثواب والعقاب حق ودل على

الباطل اتقاء لما توعدون من العذاب النازل من السماء فأسباب الرزق من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما هيأ الله تعالى بمنافع العباد هي من جهة العلو (فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) أي ان ما ذكر من أمر الرزق والوعد بالثواب والعقاب لحق مثل نطقكم فكما لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي لكم أن لا تشكوا في حقيقة ذلك وقرأ حمزة والكسائي وشعبة مثل بالرفع والباقون بالنصب لاضافته الى مبني وهو انكم وما مزيدة (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) أي ألم يأتك حديث ضيف ابراهيم الذين أكرمهم بخدمته لهم وبالعجل قال عثمان بن محصن كانوا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل أخرجه أبو نعيم (اذ دخلوا عليه) أي ابراهيم ظرف الحديث أو لما في الضيف من معنى الفعل أو المكرمين ان فسر بذلك المذكور (فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما أو نبلغك سلاما (قال) أي ابراهيم (سلام) أي سلام عليكم أو جوابه سلام أو أمري سلام بمعنى مسالمة لا تعلق بيني وبينكم لأني لا أعرفكم أو قولكم سلام يدل على السلامة وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي سلما بكسر السين وسكون اللام وبالنصب (قوم منكرون) قال ابراهيم ذلك في نفسه كما قاله ابن عباس والمعنى هؤلاء قوم غرباء لا أعرفهم وانما أنكرهم ابراهيم عليه السلام لأنهم ليسوا ممن عرف من الناس (فراغ الى أهله) أي ذهب ابراهيم الى أهله في سرعة على خفية من ضيفه (فجاء بعجل سمين) أي فذبح فتى من أولاد البقر فحنذه فجاء به الى أضيافه (فقربه اليهم) بأن وضعه عندهم ليأكلوا فلم يأكلوا (قال) أي ابراهيم (ألا تأكلون) من الطعام (فأوجس منهم خيفة) أي فأضمر في نفسه خيفة منهم لظن أنهم لصوص فلما علموا خوف ابراهيم (قالوا لا تخف) منا يا ابراهيم انا رسل ربك فقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام عليم) أي بولد عليم في صغره حليم في كبره وهو اسحق أو اسمعيل كما قاله مجاهد (فأقبلت امرأته في صرة) أي أقبلت سارة على أهلها صائحة لانها كانت في خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحيت وأعرضت عنهم (فصكت وجهها) أي لطمته من الحياء كما جرت عادة النساء عند الاستحياء أو التعجب (وقالت عجوز عقيم) أي قالت سارة أنا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك قال ربك) أي قالت الملائكة حكم ربك في الازل مثل ذلك القول الذي أخبرناك به ياسارة فلا تعجبين منه فكذلك منصوب بقال الثانية على المصدر (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله متقنا اذ الحكيم هو الذي فعله كما ينبغي لعلمه مع قصد ذلك (قال) أي ابراهيم (فما خطبكم) أي فما أمركم العظيم الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة فلعظمتكم لا ترسلون الا في عظيم (أيها المرسلون) أتى ابراهيم عليه السلام بما هو من آداب الضيف حيث يقول لضيفه اذا استعجل في الخروج ما هذه العجلة وما شغلك الذي يمنعنا من التشرف بالاجتماع بك ولا يسكت عند خروجهم لان سكوته يوهم استثقالهم (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أي كافرين من قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أي لننزل عليهم من السماء حجارة من طين مطبوخ كالآجر بعد ما قلبنا قراهم قال السدي ومقاتل كانوا ستمائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الارض فاقتلع قراهم وكانت أربعة ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها بأن جعل عاليها سافلها ثم أرسل عليهم الحجارة فتتبعت الحجارة مسافريهم وشذاذهم أي المنفردين عن الجماعة (مسومة عند ربك للمسرفين) أي مكتوبا على كل واحد من الحجارة اسم واحد من المجاوزين الحد في الفجور وذلك انما يعلمه الله تعالى (فأخرجنا من كان فيها) أي في قرى قوم لوط (من المؤمنين) بلوط لاهلاك الكافرين فان القرية ما دام

هذا المحذوف قوله (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) أي كما أنكم تنطقون أي انه معلوم بالدليل كما أن كلامكم اذا تكلمتم معلوم لكم ضرورة أنكم متكلمون ومثل رفع لأنه صفة لحق ومن نصب أراد به لحق حقا مثل ما أنكم تنطقون (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) بأن خدمهم بنفسه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي سلموا سلاما (قال سلام) عليكم (قوم منكرون) أي أنتم قوم لا نعرفكم (فراغ) أي فعدل ومال (الى أهله) وقوله (فأوجس منهم خيفة) أي وقع في نفسه الخوف منهم وقوله (فأقبلت امرأته في صرة) أي أخذت تصيح بشدة (فصكت) أي لطمت (وجهها وقالت) أنا (عجوز عقيم) فكيف ألد (قالوا كذلك) أي كما أخبرناك (قال ربك) أي نخبرك عن الله لا عن أنفسنا (انه هو الحكيم العليم) يقدر أن يجعل العقيم ولودا فلما قالوا هذا علم ابراهيم أنهم رسل وأنهم ملائكة (قال فما خطبكم) أي شأنكم وفيم أرسلتم (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) يعني السجيل (مسومة عند ربك للمسرفين) أي معلمة على كل حجر منها اسم من يهلك به (فأخرجنا من كان فيها) يعني في قرى قوم لوط (من المؤمنين)

فيها المؤمن لم تهلك فببركة المحسن ينجو المسيء (فما وجدنا فيها) أي في تلك القرى (غير بيت) واحد (من المسلمين) قال مجاهد كان الناجون لوطا وابنته وقال قتادة كانوا أهل بيته وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم) أي وتركنا في قريات قوم لوط علامة للمنتفع بها قيل هي حجارة منضودة في ديارهم وهي بين الشام والحجاز وقيل هي ماء أسود منتن خرج من أرضهم وقيل هي نفس القرى الخربة (وفي موسى) وهذا اما معطوف على فيها والمعنى وتركنا في قصة موسى آية أو يقال وجعلنا في قصة قوم لوط عبرة للخائفين حلول العذاب فلا يفعلون بفعلهم وجعلنا في قصة موسى آية واما معطوف على قوله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم وتقديره وفي موسى حديث وهذا مناسب اذ جمع الله كثيرا بين ذكر ابراهيم وذكر موسى عليهما السلام (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أي ببرهان قاطع حاج به فرعون أو بمعجزة فارقة بين سحر الساحر وأمر المرسلين كاليد والعصا (فتولى بركنه) أي فأعرض فرعون عن الايمان مع جنوده أو فتقوى فرعون بأقوى جنده وهو هامان فانه كان وزيره (وقال) في شأن موسى هذا (ساحر) تأتيه الجن بسحره باختياره (أو مجنون) تقصده الجن من غير اختياره كأن فرعون نسب الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في أنها حصلت باختيار موسى أو بغيره (فأخذناه وجنوده) أخذ غضب وقهر (فنبذناهم في اليم) أي فأغرقناهم في البحر (وهو مليم) أي والحال أن فرعون آت بما يلام عليه من الطغيان (وفي عاد) أي وفي قوم هود حديث (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أي المهلك وقاطع النسل وهو الدبور (ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم) أي ما تترك هذه الريح شيئا مرت عليه مقصودا وهو عاد وأبنيتهم وعروشهم الا جعلته مثل التراب أو مثل الشيء الهالك (وفي ثمود) أي وفي قوم صالح حديث (اذ قيل لهم) وقرأ هشام والكسائي باشمام القاف والباقون بكسرها (تمتعوا حتى حين) أي عيشوا وانتفعوا بالزروع والأبنية وبلبن الناقة الى أواخر آجالكم (فعتوا عن أمر ربهم) أي تجاوزوا الحد في الاستكبار عن الامتثال بأمر الله تعالى فقتلوا ناقته وأرادوا قتل نبيه صالح عليه السلام (فأخذتهم الصاعقة) أي النار التي فيها الصوت الشديد التي حملتها الريح فأوصلتها الى مسامعهم وقرأ الكسائي الصعقة باسكان العين بعد الصاد بدون ألف بينهما وهي المرة من الصيحة المهلكة (وهم ينظرون) أي وهم يعاينون النار التي تنزل من السماء فيها رعد شديد ولا يقدرون على دفعها ويقال أتاهم العذاب بعد انذارهم بمجيئه بثلاثة أيام وهم ينتظرون مجيئه (فما استطاعوا من قيام) أي فعجزوا عن فرار من العذاب (وما كانوا منتصرين) أي ممتنعين من العذاب بأبدانهم وبغيرهم (وقوم نوح من قبل) وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالجر عطفا على وفي ثمود على معنى وفي قوم نوح عبرة لكم من قبل ثمود وعاد وغيرهم ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح والباقون بالنصب على تقدير وأهلكنا قوم نوح من قبل لأن ما تقدم دل على الهلاك وقرأ أبو السماك وابن مقسم وأبو عمرو وفي رواية الأصمعي بالرفع على الابتداء وخبر المبتدأ اما مقدر أي أهلكناهم أو ما بعده وهو قوله تعالى (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن الحدود في الكفر والمعاصي (والسماء بنيناها بأيد) أي بقوة (وانا لموسعون) أي لقادرون ويحتمل أن يقال ان هذا اشارة الى المقصود الآخر وهو البعث للموتى من القبور كأنه تعالى يقول بنينا السماء وانا لقادرون على أن نخلق مثلها وقيل انا لموسعون الرزق على الخلق (والأرض فرشناها) أي بسطناها على الماء ليستقروا عليها (فنعم الماهدون) أي فنعم الفارشون نحن (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أي وخلقنا من كل جنس نوعين من

تدل على أن الله أهلكهم (وفي موسى) عطف على قوله وفي الأرض (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أي بحجة واضحة (فتولى) أي فأعرض عن الايمان (بركنه) أي مع جنوده وما كان يتقوى به وقوله (وهو مليم) أي أتى ما يلام عليه (وفي عاد) أيضا آية (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهي التي لا بركة فيها ولا تأتي بخير (ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم) أي كالنبت الذي قد تحطم (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) أي الى فناء آجالكم (فعتوا عن أمر ربهم) أي عصوه (فأخذتهم الصاعقة) أي العذاب المهلك (فما استطاعوا من قيام) أن يقوموا بعذاب الله (وما كانوا منتصرين) أي لم ينصرهم أحد علينا (وقوم نوح) أي وأهلكنا قوم نوح (من قبل) هؤلاء (والسماء بنيناها بأيد) أي بقوة (وانا لموسعون) أي لقادرون وقيل جاعلون بين السماء والأرض سعة (والأرض فرشناها) أي مهدناها لكم (فنعم الماهدون) نحن (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أي صنفين كالذكر والأنثى والحلو والحامض والنور والظلمة

الجوهر متضادين كالذكر والأنثى أومتشا كلين فان كل شئ له نظير كالعرش والكرسى واللوح والقلم (لعلكم تذكرون) أى لكى تتعظوا فيما خلقه الله فتعلمون أن خالق الأزواج فرد لا كثرة فيه فتعبدونه وأنه لا يعجز عن حشر الأجساد والأرواح (ففروا الى الله) أى اذا علمتم أن الله تعالى فرد لا نظير له وأن هذه المذكورة شؤونه فاهربوا اليه بالطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه (انى لكم منه) أى من الله تعالى (نذير مبين) ففى الرسالة أمور ثلاثة المرسل والرسول والمرسل اليه فقوله تعالى لكم اشارة الى المرسل اليهم وقوله تعالى منه اشارة الى المرسل وقوله تعالى نذير بيان للرسول وقوله تعالى مبين اشارة الى ما تعرف به الرسالة لأن كل حادث له سبب فلابد للرسول من علامة يعرف بها وهى اما البرهان أو المعجزة (ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) بل وحدوا الله فان التوحيد بين التعطيل والتشريك فالمعطل يقول لا اله أصلا والمشرك يقول ان فى الوجود آلهة فقوله تعالى ففروا الى الله أثبت وجود الله وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله إلها آخر نفى الأكثر من الواحد فصح التوحيد بالآيتين ولهذا قال الله تعالى مرتين (انى لكم منه نذير مبين) أى لا أقول شيئا الا بدليل ظاهر فالرسول نذير من الله فى المقامين عند الأمر بالطاعة وعند النهى عن الشرك وذلك ليعلم أن العمل لا ينفع الا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) خبر مبتدا محذوف وقد فسر هذا الابهام بما بعده أى الشأن مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أو مجنونا (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) أى ما أتى الأمم الأولين رسول من رسل الله الا وقد قالوا فى حقه هو ساحر أو مجنون (أتواصوا به) وهذا استفهام للتعجيب والتوبيخ والانكار أى أتواصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه كأن بعضهم قال لبعض لا تقولوا الا هذا القول أى كيف اتفقوا على قول واحد كأنهم توافقوا عليه أى ما وقع منهم وصية بذلك لأنهم لم يتلاقوا فى زمان واحد (بل هم قوم طاغون) أى لم يكن ذلك عن التواطؤ وانما كان لمعنى جامع هو أن الكل استغنوا بالأموال فنسوا الله وجاوزوا الحد فى العصيان فكذبوا رسلهم (فتول عنهم) أى فأعرض يا أشرف الخلق عن جدالهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا العناد (فما أنت بملوم) أى لا تحزن فانك لست بملوم بسبب التقصير منك وانما هم الملومون بالاعراض والعناد (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى ولا تدع العظة فانها تزيد المؤمنين قوة فى يقينهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى الا ليقروا بالعبودية طوعا أو كرها كما قاله ابن عباس أى فان الكافرين يقرون للعبودية وهو اظهار التذلل بالخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره فالخلق كلهم عابدون بهذا الاعتبار أو الا لآمرهم بالعبادة كما نقل عن على بن أبى طالب وهى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فان هذين النوعين لم يخل شرع منهما واللام لام الحكمة والسبب شرعا وقال مجاهد الا ليعرفونى أى لأنه تعالى لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده روى عن النبى ﷺ انه قال عن ربه كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف اه وعبر بالعبادة عن المعرفة لأنها وسيلة الى المعرفة أى ان الله خلق الخلق مستعدين لمعرفته مع كونها مطلوبة منهم (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) أى لست كالسادة فى طلب العبادة بل هم الرابحون فى عبادتهم والعبيد على قسمين قسم منهم يكون للعظمة كمماليك الملوك فالملك يطعمهم ويسقيهم ويعطيهم الاطراف من البلاد والطراف بعد التلاد وقسم منهم للانتفاع بهم فى تحصيل الأرزاق ولاصلاحها فليتفكروا فى أنفسهم فى كونهم مخلوقين للعبادة هل هم من نوع ان يطلب منهم تحصيل رزق أو هم ممن يطلب منهم اصلاح قوت كالطباخ والخوانى الذى يقرب الطعام وليسوا من هذا القسم بل هم عبيد من القسم الأول فينبغى أن لا يتركوا التعظيم لأمر الله (ان الله هو

(لعلكم تذكرون) فتعلمون أن خالق الأزواج فرد (ففروا) من عذاب الله الى طاعته (كذلك) أى كما أخبرناك (ما أتى الذين من قبلهم) أى من قبل أهل مكة (من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به) أى أوصى بعضهم بعضا بالتكذيب والألف فيه للتوبيخ (بل هم قوم طاغون) أى عاصون (فتول) أعرض (عنهم فما أنت بملوم) لأنك بلغت الرسالة (وذكر) أى ذكرهم بآيات (فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى لآمرهم بعبادتى وأدعوهم اليها وقيل أراد المؤمنين منهم وكذا هو فى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون (ما أريد منهم من رزق) أى أن يرزقوا أنفسهم أو أحدا من عبادى (وما أريد أن يطعمون) لأنى أنا الرزاق المطعم وقوله

الرزاق ذو القوة المتين) أى الثابت الذى لا يتزلزل فلا يطلب الرزق لغناء عبد من عباده فانه يرزقهم ولا يطلب منهم أن يعينوه على الارزاق لانه تعالى قوى وقرئ انى أنا الرزاق وقرأ ابن محيصن هو الرازق كما قرأ وفى السماء رازقكم وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش المتين بالجر (فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) بفتح الذال أى اذا عرفت حال الكفرة المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان لهؤلاء المكذبين من كفار مكة نصيبا وافرا من العذاب مثل نصيب نظرائهم من الأمم السابقة (فلا يستعجلون) أى فلا يطلبوا منى أن أعجل فى المجيء بالعذاب فلا يأتى الأجل مالم يفرغ الرزق (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) أى فالشدة من العذاب لكفار مكة من أجل يومهم الذى يوعدون العذاب فيه وهو يوم بدر كما هو الأوفق لما تقدم أو يوم القيامة وهو الأنسب بما فى أول السورة الآتية

﴿ سورة الطور مكية تسع وأربعون آية . وثمانمائة واثنتا عشرة كلمة
وألف وخمسمائة حرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والطور) أى طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى واسمه زبير أقسم الله به (وكتاب مسطور فى رق منشور) أى كتاب مكتوب فى كاغد مبسوط غير مطوى وغير مختوم عليه وهو القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ أو هو التوراة المكتوبة فى الألواح التى أنزلت على موسى (والبيت المعمور) وهو اما الكعبة وهو بيت معمور بالناس الطائفين به العاكفين يعمره الله كل سنة بستمائة ألف فان عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة أو الضراح وهو فى السماء بحيال الكعبة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبدا (والسقف المرفوع) فوق كل شئ وهو السماء وقيل العرش فانه سقف الجنة (والبحر المسجور) أى المملوء وهو بحر فوق السماء السابعة تحت عرش الرحمن يسمى بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبتون فى قبورهم ويقال هو بحر حار يصير نارا روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم (ان عذاب ربك لواقع) أى لنازل بشدة على مستحقه يوم القيامة (ماله) أى العذاب (من دافع) عنه (يوم تمور السماء مورا) أى يوم تخرج السماء عن مكانها وتدور بأهلها دورانا كدوران الرحا وتموج الخلائق بعضهم فى بعض من الهول فيوم معمول لواقع أو لدافع أى ليس له دافع يوم تمور السماء (وتسير الجبال سيرا) أى تزول الجبال عن وجه الارض وتطير فى الهواء ثم تقع على الارض مفتتة كالرمل ثم تصير كالصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) أى اذا علم أن عذاب الله واقع وأنه ليس له دافع فشدة عذاب اذا للمكذبين للرسل الذين هم يلهون فى أباطيل فأفعالهم مثل أفعال الخائض فى الماء فهو لا يدرى أين يضع رجله (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) ويوم اما ظرف لقول مقدر بعده أى يوم يدفعون اليها دفعا عنيفا يقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون دفعا على وجوههم وزجا فى أقفيتهم ويقولون لهم توبيخا هذه النار الخ واما بدل من يومئذ والمعنى فويل يوم يقع العذاب للمكذبين وهو يوم يدعون أى المكذبون الى النار والعامة على فتح الدال وتشديد العين مضمومة وقرأ على والسلمى وأبو رجاء وزيد بن على بسكون الدال وفتح العين فيكون دعا حالا من الواو أى يوم ينادون مدعوعين بأن يقال لهم هلموا الى نار جهنم فادخلوها وتقول لهم الخزنة هذه النار (أفسحر

(المتين) أى البالغ فى القوة (فان للذين ظلموا) يعنى أهل مكة (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب (مثل ذنوب) أى نصيب (أصحابهم) الذين هلكوا (فلا يستعجلون) ان أخرتهم الى يوم القيامة (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) أى من يوم القيامة

﴿ تفسير سورة والطور ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) أقسم الله عز وجل بالجبل الذى كلم عليه موسى وهو جبل بمدين اسمه زبير (وكتاب مسطور) أى مكتوب (فى رق) وهو الجلد الذى يكتب فيه (منشور) أى مبسوط يعنى دواوين الحفظة التى أثبت فيها أعمال بنى آدم (والبيت المعمور) وهو بيت فى السماء بازاء الكعبة تزوره الملائكة (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) أى المملوء (ان عذاب ربك لواقع) أى لنازل كائن (يوم تمور السماء مورا) أى تتحرك وتضطرب وتدور يعنى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) باطل (يلعبون) يعنى تشاغلهم بكفرهم (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) أى يدفعون اليها دفعا عنيفا ويقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون أفسحر

هذا أم أنتم لاتبصرون) أى أفهذا العذاب الذى ترونه سحر كما كنتم تقولون فى الدنيا للأنبياء هم سحرة أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أى هل فى المرئى شك أم هل فى بصركم خلل فالذى ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق (اصلوها) أى ادخلوا النار وقاسوا شدائدها (فاصبروا أولا تصبروا) أى فافعلوا ما شئتم من الصبر على عذاب النار وعدمه (سواء عليكم) أى صبركم عليه وتركه سواء عليكم فى عدم النفع (انما تجزون ما كنتم تعملون) فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع بحسب الوعد كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) دائم (فاكهين بما آتاهم ربهم) أى متلذذين بما أعطاهم ربهم وقرأ الحسن وغيره فكهين بغير ألف أى معجبين وقرئ فاكهون على أنه خبران أى ذوو فاكهة كثيرة بسبب اعطاء ربهم اياهم تلك (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على ما آتاهم أى انهم ناعمون بأمرين بما آتاهم ربهم وبأنه وقاهم أو عطف على فى جنات فالمعنى ان المتقين أدخلهم ربهم جنات ونعيما ووقاهم عذاب الجحيم فيقول الله لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أى بلا تعب فى تحصيل الطعام والشراب وبلا داء فى تناولهما وبلا خوف نفاد وبلا اثم (بما كنتم تعملون) فلا من عليكم فى هذا اليوم وانما منتى عليكم فى الدنيا اذ هديتكم ووفقتكم للأعمال الصالحة لان هذا انجاز الوعد (متكئين على سرر مصفوفة) حال من الضمير المستكن فى خبران أى كائنون فى جنات حال كونهم متكئين على نمارق على سرر موصولة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين) أى بنساء بيض عظام الأعين فقوله تعالى وزوجناهم عطف على خبران وهو اشارة الى أن المزوج هو الله تعالى فهو تعالى يتولى الطرفين يزوج عبيده بامائه ومن يكون كذلك لا يفعل الا مافيه راحة العبيد والاماء فهو اشارة الى أن الحور العين فى الجنات مملوكات بملك اليمين لا بملك النكاح وانما عدى بالباء اشارة الى أن المنفعة فى التزويج هنا للرجال فقط فانما زوجوا للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم وأيضا ان فى التزويج معنى الالصاق وفى الباء كذلك فكأن المعنى جعلناهم ملصقين بحور من غير عقد منهم وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته وقرئ بعيس عين (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) والموصول مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه وبقطع الهمزة والباقون واتبعتهم باسناد الفعل الى الذرية وبهمزة وصل وقرأ نافع ذريتهم بالافراد فى الأولى والجمع فى الثانية وقرأ ابن كثير والكوفيون بالافراد فيهما وأبو عمرو بالجمع فيهما مع النصب بالكسرة وابن عامر بالجمع فيهما والرفع فى الاولى والنصب بالكسرة فى الثانية والذرية هنا محمولة على الآباء والأبناء معا أى ان المؤمن اذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه فى العمل ابنا كان أو أبا بسبب الايمان كما هو منقول عن ابن عباس وغيره والله تعالى أتبع الولد الوالدين فى الايمان ولم يتبعه أباه فى الكفر بدليل أن من أسلم من الكفار حكم باسلام أولاده الصغار ومن ارتد من المسلمين لا يحكم بكفر ولده كما روى أن النبى ﷺ قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فالآباء داخلون فى اسم الذرية ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها أخذ علم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة لقوله ﷺ المرء مع من أحب (وما ألتناهم من عملهم من شئ) أى وما نقصنا شيئا من درجة الأعلى لاجل الحاق الأدنى به وهذا لازالة وهم المتوهم أن ثواب الأعلى يوزع على من دونه وقرأ ابن كثير ألتناهم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرأ ابن هرمز آلتناهم بمد الهمزة وقرئ لتناهم بكسر اللام ولتناهم بالفتح (كل امرئ بما كسب رهين) أى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بعمله فان عمل صالحا فك نفسه والا أهلكها فالعمل بمنزلة الدين الثابت حيث ان العبد مطالب بذكر

هذا) الذى ترون (أم أنتم لاتبصرون) وهذا توبيخ لهم والمعنى تصدقون الآن عذاب الله وقوله (فاكهين بما آتاهم ربهم) أى معجبين به (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم) يريد أن يلحق الأولاد بدرجة الآباء فى الجنة اذا كانوا أعلى مراتب وكذلك الآباء بدرجة الابناء لتقر بذلك أعينهم فليحق بعضهم ببعض اذا اجتمعوا فى الايمان من غير أن ينقص من أجر من هو أحسن عملا شيئا بزيادته فى درجة الأنقص عملا وهو قوله (وما ألتناهم) أى وما نقصناهم (من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب) أى عمل من شئ (رهين) أى مرهون يؤخذ به

العمل

العمل خيرا أوشرا ويقال كل امرىء بما كسب حاتم فان أحسن ففي الجنة مخلدا وان أساء ففي النار مخلدا (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أي زدناهم على ما كان لهم وقتا بعد وقت بأنواع الفواكه وأنواع اللحمان مما يشتهون فكل واحد من أهل الجنة يعطى في الجنة ما يشتهي وان لم يطلبه (يتنازعون فيها كأسا) أي يتعاطون في الجنة خمرا هم وجلساؤهم بكمال الاشتياق أو يتجاذب بعضهم اناء الخمر من بعض في شربها تجاذب ملاعبة لا تجاذب مخاصمة وهو للمؤمن وزوجاته وخدمه (لا لغو فيها ولا تأثيم) أي لا كلة لغو ولا اثم بسبب شربها أي بسبب زوال العقل ونهوض الغضب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالبناء على الفتح في الاسمين والباقون بالرفع (ويطوف عليهم) بالكؤوس وغيرها من التحف للخدمة (غلمان لهم) وهؤلاء الغلمان يخلقهم الله في الجنة كالحور ولذلك لم يقل تعالى غلمانهم وانما قال غلمان لهم لئلا يظن أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيخاف كل من خدم أحدا في الدنيا أن يكون خادما له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا (كأنهم) في بياضهم وشدة صفائهم (لؤلؤ مكنون) مخزون مصون من الحر والبرد (وأقبل بعضهم على بعض) في الزيارة (يتساءلون) أي يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أمر الدنيا وعن نعيم الجنة (قالوا) أي قال كل منهم (انا كنا قبل) أي قبل دخول الجنة (في أهلنا مشفقين) أي خائفين على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الاخوان فأخطأنا في ذلك وقوله تعالى في أهلنا متعلق بمحذوف حال من الضمير في مشفقين أي حال كوننا بين أهلينا في الدنيا أو بيان لقبل أي في وقت اجتماعنا مع أهلنا (فمن الله علينا) بالمغفرة ودخول الجنة (ووقانا عذاب السموم) أي عذاب النار وقال ثعلب السموم شدة الحر أو شدة البرد في النهار (انا كنا من قبل) أي من قبل هذه الرحمة أي في الدنيا (ندعوه) أي نسأله الحفظ من العذاب ونعبده (انه هو البر) أي الصادق في وعده لنا المحسن الينا (الرحيم) بعباده المؤمنين وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة أنه على تقدير كون اللام ملفوظا بها والباقون بكسرها استئنافا على معنى التعليل (فذكر) أي عظ يا أشرف الخلق (فما أنت بنعمة ربك) بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) أي فلا تتغير ولا تتبع أهواءهم لقولهم لك أنت كاهن تخبر بما في الغد ومجنون (أم يقولون) أي بل أيقولون أي كفار مكة هو (شاعر) يتقول الكلام من تلقاء نفسه (نتربص به ريب المنون) أي ننتظر بذلك الشاعر تقلبات الزمان ونزول الموت فانه ان كان شاعرا فصروف الزمان قد تضعف ذهنه فيتبين كساد شعره وقالوا أيضا نتربص موته فان أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه فلا نعارضه الآن مخافة أن يغلبنا بقوة شعره وجملة نتربص نعت لشاعر (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الكفار (تربصوا) أي انتظروا موتي وهذا أمر تهديد (فاني معكم من المتربصين) أي فاني أتربص هلاككم وقد أهلكوا في يوم بدر وفي غيره من الايام ويقال ان معنى هذه الآية اني أخاف الموت ولا أتمناه لا لنفسي ولا لأحد وانما أنا نذير فتربصوا موتي وأنا متربص ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما تتمنون بعدي (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون) أي أتأمرهم عقولهم بهذا القال المتناقض فانهم قالوا في حق الرسول هو كاهن مجنون شاعر فان الكاهن ذو دقة نظر في الامور والمجنون مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء في واحد بل هم قوم مجاوزون الحدود في العناد لا يحومون حول السداد ولذلك يقولون أكاذيب خارجة عن دائرة العقول وقرىء بل هم (أم يقولون تقوله) أي بل يقولون كذب محمد في القرآن من عند نفسه وليس بشعر ولا كهانة ولا

(وأمددناهم بفاكهة ولحم) أي زدناهم (يتنازعون) أي يتناولون ويأخذ بعضهم من بعض (فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم) أي لا يجري بينهم فيها باطل ولا اثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا (ويطوف عليهم) بالخدمة (غلمان لهم كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) أي مخزون مصون (وأقبل بعضهم على بعض) في الجنة (يتساءلون) أي عن أحوال لهم كانت في الدنيا (قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين) أي خائفين من عذاب الله (فمن الله علينا) أي بالجنة (ووقانا عذاب السموم) أي عذاب سموم جهنم وهو نارها وحرارتها (فذكر) أي فذكرهم يا محمد بالجنة والنار (فما أنت بنعمة ربك) أي برحمته واكرامه اياك بالنبوة (بكاهن) أي تخبر بما في غد من غير وحي (ولا مجنون) أي كما يقولون (أم يقولون) أي بل يقولون هو (شاعر نتربص به ريب المنون) أي ننتظر به الموت فيهلك (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) أي حتى يأتي أمر الله فيكم (أم تأمرهم أحلامهم) أي عقولهم (بهذا) أي بترك قبول الحق من صاحب المعجزة (أم هم قوم طاغون) أي أم يكفرون طغيانا بعد ظهور الحق (أم يقولون تقوله) أي أتى بالقرآن من قبل نفسه ليس كما يقولون

(بل لايؤمنون) استكبارا (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) أن محمدا تقوله (أم خلقوا من غير شئ) أى لغير شئ يعني أخلقوا عبثا وسدى (أم هم الخالقون) أنفسهم (أم عندهم خزائن ربك) أى مافى خزائن ربك من العلم بما يكون فى غد (أم هم المسيطرون) أى المسلطون الجبارون (أم لهم سلم) مرقى فى السماء (يستمعون فيه) أن الذى هم عليه حق (فليأت مستمعهم) أى ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) أى بحجة واضحة ثم سفه أحلامهم فى جعلهم البنات لله فقال (أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا) أى على ماجئتهم به (فهم من مغرم) غرم (مثقلون) أى مجهودون والمعنى أن الحجة واجبة عليهم من كل جهة (أم عندهم الغيب) أى على مايؤول اليه أمر محمد صلى الله عليه وسلم (فهم يكتبون) أى يحكمون بأنه يموت فنستريح منه (أم يريدون كيدا) أى مكرا بك فى دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) المجزيون بكيدهم لان الله حفظه من مكرهم وقتلوا ببدر (وان يروا كسفا) قطعا (من السماء) أى السحاب (ساقطا يقولوا) لعنادهم وفرط شقاقهم (سحاب مركوم) بعضه على بعض وهذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء أخبر الله عز وجل أنه لوفعل ذلك لم يؤمنوا

جنون (بل لايؤمنون) بالقرآن استكبارا (فليأتوا بحديث مثله) أى فليجيئوا بكلام مثل القرآن فى البلاغة وصحة المعانى والاخبار بالمغيبات من تلقاء أنفسهم فانهم مثل محمد فى البشرية والعربية (ان كانوا صادقين) فيما قالوا فان صدقهم فى ذلك يستلزم قدرتهم على الاتيان بمثله ففيهم الشعراء البلغاء والكهنة الأذكياء ومن يرتجل القصائد ويقص القصص (أم خلقوا من غير شئ) أى أوجدوا من غير خالق فلذلك ينكرون القول بالتوحيد لانتفاء الايجاد وينكرون الحشر لانتفاء الخلق الاول وقال ابن كيسان أم خلقوا لغير شئ من عبادة وجزاء فخلقوا عبثا وتركوا سدى فلا اعادة وقيل أى من غير أب وأم فهم كالجماد لايعقلون ولايقيم الله عليهم حجة أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة (أم هم الخالقون) لأنفسهم فلا يأتمرون لأمر الله ولا يعبدون الله وهم لايقولون ذلك فاذا أقروا أن ثم خالقا غيرهم فما الذى يمنعهم من الاقرار له بالعبادة ومن الاقرار بأنه قادر على البعث (أم خلقوا السموات والارض بل لايوقنون) فأم للاستفهام الانكارى بمعنى النفى أى ماخلقوا السموات والارض بل لايوقنون بأن الله واحد فاذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما أعرضوا عن عبادته أى لما لم ينشأ من ايقانهم بالله أثر وهو الاقبال على عبادته جعل ايقانهم كالعدم فنفى عنهم وفى هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم أى انهم كما طعنوا فيك ياأشرف الخلق طعنوا فى خالقهم (أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه) وأم استفهام انكارى أى أعندهم خزائن رحمة الله حتى يرزقوا النبوة من شاءوا أم عندهم خزائن علم الله بالغيب حتى يختاروا النبوة من شاءوا أم هم الغالبون على الأمور يدبرونها كيف شاءوا أم لهم مصعد الى السماء يستمعون مايوحى الى الملائكة من علم الغيب حتى يعلموا أن محمدا ليس برسول وأن كلامه ليس بمرسل أى أنتم لستم بخزنة الله ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها ولا أنتم اجتمعتم بهم لانهم ملائكة ولاصعود لكم اليهم (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى اذا ادعوا الاستماع من الملائكة فليأت مدعى الاستماع بحجة واضحة تصدق دعواه (أم له البنات ولكم البنون) أى أتزعمون أن لله تعالى البنات ولكم البنون خاصة لتكونوا أقوى منه تعالى فتكذبوا رسوله وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه وقوتكم (أم تسألهم أجرا) أى أجر الدنيا من مال أو غيره على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) أى فهم لذلك الأجر من التزام غرامة يحملون الثقل فلذلك لايتبعونك (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى هل عندهم علم ماغاب عنهم فهم يكتبون ماغاب عنهم حتى يمكنهم منازعة محمد أى هل صاروا فى درجة محمد حتى استغنوا عنه وأعرضوا (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون) والمعنى أتهديهم لوجه الله أم تسألهم أجرا فتثقلهم فيمتنعون عن الاتباع أم عندهم الغيب فلايحتاجون اليك فيعرضون عنك أم ليس لهم شئ من هذين الأمرين بل يريدون العذاب بغتة من حيث لايشعرون فالذين كفروا معذبون (أم لهم إله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون) أى عن الذى يشركون من الولد ومن مثل الآلهة لانهم كانوا يقولون البنات لله وكانوا يقولون هو تعالى مثل ما يعبدونه (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) أى لو عذبنا كفار مكة بنزول قطع من السماء عليهم لم ينتهوا عن طغيانهم ولم يرجعوا عن عنادهم ولقالوا فى

هذا

هذا النازل اغاظة لمحمد هذا سحاب تراكب بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه قطعة نازلة للعذاب (فذرهم) أي اذا تبين أنهم لايرجعون عن الكفر فاتركهم على شر أحوالهم (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أي يهلكون بالقتل يوم بدر وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء مبنيا للمفعول وباقي السبعة بفتحها مبنيا للفاعل وقرأ أبو عبد الرحمن بضم الياء وكسر العين (يوم لايغني عنهم كيدهم شيئا) أي يوم لايدفع عنهم مكرهم في مناصبتهم يوم بدر شيئا من الهلاك (ولاهم ينصرون) أي ولا يمنعون من القتل والأسر النازلين بهم في ذلك اليوم (وان الذين ظلموا) أي ان لهؤلاء الظلمة بعبادتهم الأوثان (عذابا دون ذلك) أي قبل مالاقوه من القتل يوم بدر وهو القحط الذي أصابهم سبع سنين وقرئ دون ذلك قريبا (ولكن أكثرهم لايعلمون) أن العذاب يلاقوه (واصبر لحكم ربك) بابقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان (فانك بأعيننا) أي بمنظر منا وفي حفظنا (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من موضعك أي حين تعزم على القيام وقد ورد في الخبر أن من قال سبحان الله من قبل أن يقوم من مجلسه يكتب ذلك كفارة لما يكون قد صدر منه من اللغط واللغو في ذلك المجلس (ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء (وأدبار النجوم) أي وقت الصبح حين يذهب ضياؤها بضوء الشمس

﴿ سورة النجم مكية ثنتان وستون آية. وثلاثمائة وستون كلمة. وألف وأربعمائة وخمسة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنجم اذا هوى) أي والقرآن اذا نزل وهذا استدلال بمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه أو والنجوم التي هي ثابتة في السماء للاهتداء اذا سقطت الى أسفل وفائدة تقييد القسم بالنجم بوقت هويه أنه اذا كان في وسط السماء لايهتدي به السارى لأنه لايعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال (ماضل صاحبكم) أي ماعدل سيدكم يامعشر قريش عن الطريق المستقيم أوماجن مصاحبكم محمد (وماغوى) أي وما اعتقد باطلا قط بل هو رشيد مرشد دال على الله تعالى (وماينطق عن الهوى) أي ولم يتكلم بالقرآن عن هوى نفسه وعن رأيه أصلا (ان هو الاوحي يوحى) أي ما القرآن الا وحي من الله يوحي أي يجدد ايحاؤه اليه ﷺ وقتا بعد وقت ويقال في معنى هذه الآية ماجن محمد ومامسه الجن فليس بكاهن وليس بينه وبين الغواية تعلق فليس بشاعر وماقوله الاوحي وليس بقول كاهن ولا شاعر (علمه شديد القوى) أي علم النبي الوحي ملك شديد القوة بالبدن وهو جبريل عليه السلام- روي أنه جاء النبي ﷺ فقال يامحمد مابعثت الى نبي قط أحب الي منك ألا أعلمك أسماء من أسماء الله عز وجل هن أحب أسمائه أن يدعى بهن قل يانور السموات والأرض ياجبار السموات والأرض ياعماد السموات والأرض يابديع السموات والأرض ياقيام السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام ياصريخ المستصرخين ياغياث المستغيثين يامنتهى العابدين ويا أرحم الراحمين فيزول بك كل حاجة(١) (ذو مرة) أي قوة في العقل (فاستوى) والفاء السببية أي فاستقام جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها فرآه النبي ﷺ وهو بحراء فخر مغشيا عليه دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط الى رسول الله ﷺ بالوحي وذلك أن رسول الله أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فان التشكل بشكله الذي فطر عليه يتسبب عن شدة قوته وقدرته على الخوارق (وهو

(فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أي يموتون ثم أخبر الله أنه يعجل لهم العذاب في الدنيا فقال (وان للذين ظلموا) أي كفروا (عذابا دون ذلك) أي قبل موتهم وهو الجوع والقحط سبع سنين ثم أمره بالصبر فقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) أي بحيث نراك ونحفظك ونرعاك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أي من مجلسك قل سبحانك اللهم وبحمدك (ومن الليل فسبحه) أي صل له صلاتي العشاء (وأدبار النجوم) يعني ركعتي الفجر

﴿تفسير سورة والنجم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والنجم اذا هوى) يعني والثريا اذا سقطت وقيل القرآن اذا نزل متفرقا أي نجوما (ماضل صاحبكم) محمد صلى الله عليه وسلم (وما غوى وماينطق عن الهوى) أي ما الذي يأتيكم به مما قاله بهواه (ان هو) أي ماهو (الاوحي يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعني جبريل عليه السلام (ذومرة) أي قوة شديدة (فاستوى) جبريل في صورته التي خلقه الله عز وجل عليها (وهو

(١) هذه العبارة موافقة للاصل، وهي غير واضحة

بالافق الأعلى) وذلك أن رسول الله ﷺ سأله أن يريه نفسه في صورته فوعده ذلك بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب (ثم دنا فتدلى) هذا من المقلوب أي ثم تدلى يعني نزل من السماء فدنا من محمد ﷺ (فكان) منه في القرب على قدر (قاب قوسين أو أدنى) والمعنى أنه بعدما رأى رسول الله ﷺ من عظمه وهاله ذلك رده الى صورة آدمي حين قرب من النبي صلى الله عليه وسلم للوحي وذلك قوله (فأوحى الى عبده) أي محمد (ما أوحى) الى جبريل عليه السلام (ما كذب الفؤاد ما رأى) لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم فيما رأى ليلة المعراج وذلك أن الله عز وجل جعل بصره في فؤاده حتى رآه وحقق الله تلك الرؤية فقيل انها كانت رؤية حقيقة ولم تكن كذبا (أفتمارونه على ما يرى) أي أفتجادلونه في أنه رأى الله عز وجل (ولقد رآه) أي رأى ربه وقيل جبريل على صورته التي خلق عليها (نزلة أخرى) أي مرة أخرى (عند سدرة المنتهى) اليها ينتهي علم الخلق وما وراءها غيب لا يعلمه الا الله عز وجل (عندها جنة المأوى) هي جنة تصير اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قيل يغشاها فراش من ذهب وقيل الملائكة أمثال الغربان (مازاغ البصر وماطغى) هذا وصف أدب النبي ﷺ ليلة المعراج يقول لم يمل بصره عما قصد له ولا جاوز ما أمر به (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعني ما رأى من الآيات العظام تلك الليلة (أفرأيتم

اللات

بالأفق الأعلى) أي والحال أن جبريل في الجانب الشرقي فسد المشرق لعظمته وقال الرازي والظاهر أن المعنى ارتفع محمد بالمكان وهو بالمكان الأعلى رتبة فرفعة القدر لا حقيقة في الحصول في المكان فانه صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية وصار نبيا وهو واصل الى الأفق الأعلى الفارق بين المنزلتين (ثم دنا) أي بعد ما مد جبريل جناحه وهو بالأفق الأعلى عاد الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم (فتدلى) أي فنزل من الأفق الأعلى الى النبي صلى الله عليه وسلم فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه حتى أفاق وسكن روعه صلى الله عليه وسلم ويقال دنا جبريل من النبي فبقي متدليا من الهواء واقفا بين السماء والأرض فان التدلي هو التعلق من الهواء (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي فكان مقدار ما بين جبريل والنبي مقدار قوسين بل أقرب من ذلك بنصف قوس (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي فأوحى الله الى جبريل ما أوحى جبريل الى كل رسول فان جبريل أمين لم يخن في شيء مما أوحي اليه (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي صدق فؤاد محمد فيما رأى شيئا من صورة جبريل ومن الله تعالى ليلة المعراج ومن الآيات العجيبة الالهية أي ان قلبه ﷺ لم يقل ان المرئي خيال لا حقيقة له ولم يقل انه جني أو شيطان ويحتمل أن يقال لم يكذب جنس الفؤاد ما رأى ﷺ ببصره بأن يقول كيف يرى الله وهو ليس في مكان ولا جهة وليس على هيئة أو كيف يرى جبريل مع أنه ألطف من الهواء والهواء لا يرى فرؤية الله تعالى ورؤية جبريل على ما رآه محمد ﷺ جائزة عند من له قلب فالفؤاد لا ينكر ذلك وان كانت النفس المتوهمة تنكره وقرأ هشام ما كذب بالتشديد أي أن ما رآه محمد بعينه صدقه بقلبه أي ما قال فؤاده لما رآه ببصره لم أعرفك وما مفعول به موصولة والعائد محذوف وكذا قيل في قراءة التخفيف وقيل فيه على اسقاط الخافض أي فيما رآه (أفتمارونه على ما يرى) أي أفتجادلونه يا معشر المشركين على ما قد رأى وقرأ الاخوان أفتمرونه بفتح التاء وسكون الميم أي أفتنكرونه وقرأ عبد الله بن مسعود والشعبي بضم التاء وسكون الميم أي أفتجحدونه شيئا فيما رأى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) أي وبالله لقد رأى محمد جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى عند شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش وهو موضع لا يتعداه ملك ولا روح من الأرواح قال مقاتل وهي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان لو وضعت ورقة منها في الأرض لأضاءت لأهلها وهي شجرة طوبى (عندها جنة المأوى) أي الجنة التي يأوي اليها المتقون وأرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) واذ ظرف لرآه أي ولقد رآه عند السدرة وقت علاها ما علاها من فراش من ذهب أو من ملائكة يأتونها كأنها طيور أو من أنوار الله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها وظهرت الأنوار (مازاغ البصر وماطغى) أي ما التفت محمد الى الجراد ولا الى غيره وما جاوز الى ماسوى الله تعالى أو ما مال محمد عن الأنوار وما طلب شيئا غيرها بل اشتغل بمطالعتها مع أن في ذلك العالم من العجائب ما يحير الناظر (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي والله لقد رأى من عجائب الملك والملكوت ما لا تحيط به العبارة (أفرأيتم

اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) أى ومناة المتأخرة الذليلة أى الوضيعة القدار وذلك لأن اللات كان وثنا على صورة آدمى وهو لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة والعزى صورتها صورة شجرة سمرة لغطفان ومناة صورتها صورة صخرة كانت لخزاعة ولهذيل بقديد فالآدمى أشرف من النبات وهو أشرف من الجماد وهو متأخر فالمناة فى أخريات المراتب والمعنى لما ذكر الله تعالى عظمة آياته فى ملكوته وهى أن رسول الله الى الرسل الذى يسد الآفاق ببعض أجنحته و يهلك المدائن بقوته لايمكنه أن يتعدى السدرة فى مقام جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها شركاء الله مع ماتقدم و يقال أفتظنون أن عبادتكم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة فى الدنيا تنفعكم فى الآخرة (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) أى كيف جعلتم لله تعالى بنات وقد اعترفتم فى أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون والله كامل العظمة فكيف جعلتموه ناقصا ونسبتم الى أنفسكم الكامل فنسبتكم البنات الى الله تعالى قسمة جائرة على طريقتكم حيث نسبتم الى أنفسكم الأعظم من الثقلين وأبغضتم البنات ونسبتموهن الى الأعظم وهو الله تعالى وكان على عادتكم أن تجعلوا الأعظم للعظيم والانقص للحقير فاذا أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التى هى لكم (ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أى ماهذه الأصنام المذكورات الا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها أنتم وآباؤكم فانكم قلتم انها آلهة وليست بآلهة (ما أنزل الله بها من سلطان) أى ما أنزل الله بهذه الأسماء من حجة فوضع الاسم لايجوز الا بدليل نقلى أو عقلى (ان يتبعون الا الظن وماتهوى الأنفس) أى مايتبع الكافرون فى تسمية الأصنام آلهة الا توهم أن ماهم عليه حق والا ماذونه مماتشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان بالكتاب المنزل والمرسل أن الأصنام ليست بآلهة وأن العبادة لاتصلح الا لله الواحد القهار (أم للانسان ماتمنى) أى أللانسان مااشتهاه من شفاعة الأصنام وغيرها أو هل له أن يعبد بالاشتهاء فيعبد مالا يستحق العبادة (فلله الآخرة والأولى) أى ان اختار الانسان معبودا على مااشتهاه فيعاقبه على فعله فى الدنيا والا فيعاقبه فى الآخرة (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء و يرضى) أى وكثير من الملائكة مع علو منزلتهم لاتنفع شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله فى الشفاعة فيمن يشاء و يرضى وهو العابد الشاكر لا المعاند الكافر فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فكيف تقبل شفاعة الجمادات (ان الذين لايؤمنون بالآخرة) أى بأحوال يوم القيامة (ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) ومناسبة هذه الآية لما قبلها هى انهم لما بين لهم أن أعظم أجناس الخلق لاشفاعة لهم الا بالاذن قالوا نحن لانعبد الأصنام لأنها جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها على صورها ننصبها بين أيدينا ليذكرنا الشاهد الغائب فنعظم الملك الذى ثبت أنه مقرب عظيم الشأن فقال تعالى ردا عليهم كيف تعظمونهم وأنتم تسمونهم تسمية الاناث حيث قلتم الملائكة بنات الله (ومالهم به من علم) وهذه الجملة حال من فاعل ليسمون أى ليسمون الملائكة بالبنات والحال أنه لاعلم لهم بما كانوا يقولون أصلا وقرئ بها أى بالتسمية أو بالملائكة (ان يتبعون الا الظن) فى أن الملائكة اناث (وان الظن لايغنى من الحق شيئا) أى لاينفع شيئا من العلم بحقيقة الشئ والظن يتبع فى الأمور المصلحية والأفعال العرفية أو الشرعية عند عدم الوصول الى اليقين ومدح من حاله لايعلم فالظن فيه معتبر والأخذ بظاهر حال العاقل واجب وأما فى

اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هذه أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة والمعنى أخبرونا عن هذه الأوثان التى تعبدونها وتزعمون أنها بنات الله وأنتم تختارون الذكران وذلك قوله تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة ناقصة (ان هى) أى ماهذه الأوثان (الا أسماء) لاحقيقة لها (سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها) بعبادتها (من سلطان) أى حجة و برهان (ان يتبعون) أى مايتبعون فى عبادتها وأنها شفعاء (الا الظن وماتهوى الأنفس) يعنى أن ذلك شئ ظنوه وأمر سولت لهم أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أى البيان على لسان محمد ﷺ (أم للانسان ما تمنى) أى أيظنون أن لهم ماتمنوا من شفاعة الأصنام وليس كما تمنوا بل (فلله الآخرة والأولى) فلا يجرى فى الدارين الا مايريد (وكم من ملك فى السموات) هو أكرم على الله من هذه الأصنام (لاتغنى شفاعتهم) عن أحد (شيئا الا من بعد أن يأذن الله) لهم فى ذلك (لمن يشاء ويرضى) كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى) أى يقولون انهم بنات الله (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيئا) أى ظنهم لايدفع عنهم من العذاب شيئا

الاعتقاديات فلا يغني الظن شيئا من الحق فان المكلف يحتاج الى يقين يميز الحق من الباطل ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير ففي الحق ينبغي أن يكون جازما والظان لا يكون جازما ويحتمل أن المراد من الحق هو الله تعالى والمعنى ان الظن لا يفيد شيئا من الله تعالى فان الأوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) أى اترك مجادلة من أعرض عن القرآن المنطوى على علوم الأولين والآخرين المذكور لأمور الآخرة قاصرا نظره الى الدنيا وهذه الآية غير منسوخة لأن النبي ﷺ كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أمر بالجواب عنها بالمجادلة ثم لما لم ينفع أمر بالاعراض عنهم وعدم مقابلتهم بالبرهان أى وأمر بالاعراض عن المناظرة بشرط جواز المقاتلة (ذلك مبلغهم من العلم) أى ذلك الظن غاية ما يبلغون به من الادراك المتظلم بالظن الفاسد (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى ان الله أعلم بمن لم يرجع الى الهدى أصلا وبمن يقبل الاهتداء فى بعض الأحوال وقد علم الله أنه لا يؤمن بمجرد الدعاء أحد من المكلفين وانما ينفع فيهم أن يقع السيف والقتال فأعرض عن الجدال وأقبل على القتال (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) أى خلقا وملكا والوقف هنا تام عند أبى حاتم (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) أى بعقاب ما عملوا من الضلال (ويجزى الذين أحسنوا) أى اهتدوا (بالحسنى) أى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة وقوله تعالى ليجزى متعلق بقوله ضل واهتدى كأنه تعالى قال هو يعلم بمن ضل واهتدى ليجزى بهما أو متعلق بقوله تعالى فأعرض أى أعرض عنهم ليقع الجزاء (الذين يجتنبون كبائر الاثم) وهذا الموصول بدل من الموصول الثانى وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم (والفواحش) قيل الكبائر ما وعد الله عليه بالنار صريحا وظاهرا والفواحش ما أوجب الله عليه حدا فى الدنيا (الا اللمم) وهو ما يقصده المؤمن ولا يحققه أو ما يأتى به المؤمن وينسدم فى الحال (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وهذا تنبيه على أن اخراج اللمم عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم) أى هو تعالى أعلم بأحوالكم يعلمها حين ابتدأ خلقكم من تراب فان كل أحد أصله من التراب فانه يصير غذاء ثم يصير دما ثم يصير نطفة وحين صوركم فى الارحام وهذا تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الام فى غاية الظلمة ومن علم بحال الجنين فى بطن الام لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) أى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصى بالكلية على سبيل الاعجاب أو الرياء ولا تقولوا لمن لا تعرفون حقيقته نحن خير منك ولا تقطعوا أيها المؤمنون بخلاصكم من العذاب فان الله أعلم بمن أطاع وأخلص العمل أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فجائز وذلك بأن اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة بتوفيق الله ولم يقصد بذلك الاعتراف بالمدح وهذا لم يكن من المزكين أنفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى) أى أفرأيت الذى أدبر عن الايمان وأعطى شيئا قليلا من المال المسمى وقطع العطاء قيل نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة كان يجلس عند النبى ﷺ وسمع وعظه وأثرت الحكمة فيه تأثيرا قويا فقال له رجل من المشركين لم تترك دين آبائك فقال أخشى عذاب الله فقال له لا تخف وأعطنى كذا وأنا أتحمل عنك العذاب فتولى الوليد عن الوعظ وسماع الكلام من النبى صلى الله عليه وسلم وأعطاه الوليد بعض الشروط وبخل بالباقى فلا يفي بالعهد ولا يحصل بذلك حمل الوزر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أى أعنده علم بالأمور الغيبية فهو يعلم أن صاحبه يتحمل عنه

(فأعرض) يا محمد (عمن تولى عن ذكرنا) أى أعرض عن القرآن (ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) يقول ذلك نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقوله (الا اللمم) يعنى صغار الذنوب كالنظرة والقبلة وقوله (اذ أنشأكم من الأرض) يعنى خلق أباكم من التراب (واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فلا تزكوا أنفسكم) أى لا تمدحوها (هو أعلم بمن اتقى) أى عمل حسنة (أفرأيت الذى تولى) أى أعرض عن الايمان يعنى الوليد بن المغيرة كان قد اتبع رسول الله ﷺ فعيره بعض المشركين على ذلك فقال انى أخشى عذاب الله فضمن له ان هو أعطاه شيئا من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الى الشرك وأعطى صاحبه الضامن بعض ما كان ضمن له ومنعه الباقى وذلك قوله (وأعطى قليلا وأكدى) أى قطع ذلك ومنعه (أعنده علم الغيب فهو يرى) أى ما غاب عنه من أمر الآخرة حتى علم أن غيره يحمل عنه العذاب

ذنو به يوم القيامة (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي بل لم يخبر بالخبر الذي كان في التوراة وفي صحف ابراهيم الذي بالغ في الوفاء بما عاهد الله تعالى أنه لا تحمل نفس حمل نفس أخرى أي أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وعن ابن عباس قال كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره فكان أهل المقتول اذا ظفروا بأبي القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلوه حتى نهاهم ابراهيم عن ذلك و بلغهم عن الله أن لا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أي وأنه ليس للانسان يوم القيامة الا ما عمل في الدنيا من خير وشر فان حسنة الغير لا تفيد نفعا وان المسيء لا يجد بسبب حسنة الغير ثوابا ولا يتحمل عنه أحد عقابا (وأن سعيه) أي عمله من خير وشر (سوف يرى) أي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في ديوانه وميزانه (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) أي ثم يجزى الانسان سعيه بالجزاء الأتم (وأن الى ربك المنتهى) أي المرجع بعد الموت وعند ذلك يجازى الرب الشكور و يجزي الكفور والقراءة المشهورة فتح الهمزة على العطف على ما فهذا في الصحف أيضا وهو الحق فالمخاطب به موسى وابراهيم على التوزيع وقرئ بالكسر على الابتداء فالمخاطب بهذا اما عام وهو كل سامع فهو تهديد للمسيء وحث للمحسن أو خاص وهو النبي صلى الله عليه وسلم ففي هذا تسلية لقلبه كأنه تعالى قال لا تحزن فان المنتهى الى الله (وأنه هو أضحك وأبكى) فكل ما يعمله الانسان بخلقه حتى الضحك والبكاء قيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء والقرد يضحك ولا يبكي والابل تبكي ولا تضحك (وأنه هو أمات وأحيا) أي خلق الموت والحياة فلا يقدر على الاماتة والاحياء غيره تعالى (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة اذا تمنى) أي تهراق في رحم الأنثى (وأن عليه) تعالى (النشأة الأخرى) أي نفخ الروح كما قال تعالى هنالك أنشأناه خلقا آخر أي نفخ الروح بعد خلق النطفة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بفتح الشين و بعدها ألف ممدودة قبل الهمزة (وأنه هو أغنى) أي أغنى الناس بلبن الأم و بنفقة الأب في صغره (وأقنى) أي وأعطاه الأموال بالكسب بعد كبره فكل ما دفع الله به الحاجة فهو اغناء وكل ما زاد عليه فهو اقناء (وأنه هو رب الشعرى) وهي نجم مضيء وتسمى الشعرى العبور وهي تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وتسمى الشعرى اليمانية وكانت خزاعة تعبدها وتعتقد تأثيرها في العالم وهي المرادة في هذه الآية دون الشعرى الشامية المسماة بالشعرى الغميصاء وهي التي في الذراع وهذا اشارة الى فساد قول قوم فان بعض الناس قال ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر و بعضهم قال ان ذلك بالبخت وذلك بالنجوم فردهم الله تعالى بقوله هو تعالى محرك النجوم ورب معبودهم الشعرى العبور (وأنه أهلك عادا الأولى) وهي قوم هود وسميت أولى لتقدمها في الزمان على عاد الثانية التي هي ثمود قوم صالح وقرأ نافع وأبو عمرو باسقاط نون التنوين لالتقاء الساكنين و بنقل حركة همزة أولى الى اللام وقرأ قالون كذلك لكن بقلب الواو همزة ساكنة وقرأ الباقون بكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين وسكون اللام و بعدها همزة مضمومة (وثمود) عطف على عاد وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين الدال في الوصل و بسكون الدال في الوقف والباقون بالتنوين في الوصل و بالوقف على الالف (فما أبقى) أي فما أبقى من عاد وثمود أحدا (وقوم نوح من قبل) أي أهلكهم من قبل الفريقين (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث يبتدئون بالكفر و يتجاوزون في المعاصي فانهم كانوا يؤذون نوحا عليه السلام و يضربونه حتى يغشى عليه و ينفرون الناس عنه و يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه والبادي أظلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها (والمؤتفكة أهوى) أي أسقط قريات لوط سدوم وصادوم وعمورا وصوائم الى الارض بعد أن رفعها الى السماء على جناح جبريل عليه

(أم لم ينبأ بما في صحف موسى) أي أسفار التوراة (وابراهيم) أي وصحف ابراهيم (الذي وفى) أي أكمل ما أمر به وأتمه ثم بين ذلك فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي تؤخذ نفس بإثم غيرها (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أي عمل لآخرته (وأن سعيه) أي عمله (سوف يرى) يعني في ميزانه من خير وشر (ثم يجزاه) أي يجزى عليه (الجزاء الأوفى) أي الأتم (وأن الى ربك المنتهى) المصير والمرجع (وأنه هو أضحك) من شاء من خلقه (وأبكى) من شاء منهم (وأنه هو أمات) في الدنيا (وأحيا) للبعث وقوله (اذا تمنى) أي تصب في الرحم (وأن عليه النشأة الأخرى) أي الخلق الآخر بعد الموت (وأنه هو أغنى) بالمال (وأقنى) أي أرضى بما أعطى وقيل أقنى أي أعطى أصول الأموال وما يتخذ قنية (وأنه هو رب الشعرى) وهو كوكب الجوزاء كان يعبد في الجاهلية (وأنه أهلك عادا الأولى) أي قوم هود (والمؤتفكة) يعني قرى قوم لوط (أهوى) أي أسقطها الى الارض بعد رفعها وقوله

(فغشاها ماغشى) أى ألبسها العذاب والحجارة (فبأى آلاء ربك تتمارى) أى بأى نعم ربك التى تدل على توحيده وقدرته تتشكك أيها الانسان (هذا) محمد صلى الله عليه وسلم (نذير من النذر الأولى) أى هو رسول أرسل اليكم كما أرسل من قبله من الرسل (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى لا يكشف عنها الا الله كقوله لا يجليها لوقتها الا هو (أفمن

هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أى لاهون غافلون (فاسجدوا لله واعبدوا) معناه فاسجدوا لله الذى خلق السموات والارض ولا تسجدوا للأصنام التى ذكرت فى هذه السورة

﴿ تفسير سورة القمر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) أى دنت القيامة (وانشق القمر) أى انفلق نصفين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن أهل مكة سألوه آية فأراهم القمر فلقتين حتى رأوا حراء بينهما فأخبر الله تعالى أن ذلك من علامات قرب الساعة (وان يروا) يعنى أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد (يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أى ذاهب باطل يذهب وقيل محكم شديد وقوله (كل أمر مستقر) أى يستقر قرار تكذيبهم وقرار تصديق المؤمنين يعنى عند ظهور الثواب والعقاب (ولقد جاءهم) أى جاء أهل مكة

استفهامية

(من الأنباء) أى أخبار هلاك الأمم المكذبة (مافيه مزدجر) أى متناهى ومنتهى (حكمة بالغة) أى ما أتاهم من أخبار من قبلهم حكمة بالغة تامة ليس فيها نقصان يعنى القرآن وذلك أن تلك الأخبار قصت عليهم فى القرآن (فما تغنى النذر) جمع نذير أى فليست تغنى عن التكذيب.

السلام بأمره جبريل بذلك (فغشاها ماغشى) أى فكساها الله تعالى أمراعظيما من فنون العذاب (فبأى آلاء ربك تتمارى) أى تتشكك فى أى أنعم ربك أيها الانسان أى بلا عد الله تعالى من أنواع النعم وهو الخلق من النطفة ونفخ الروح فيه والاغناء والاقناء وذكر أن الكافرين أهلكهم قال فبأى آلاء ربك تتمارى فيصيبك مثل ما أصاب الذين تماروا من قبل (هذا نذير من النذر الأولى) أى هذا النبى رسول كالرسل قبله يرسل اليكم كما أرسلوا الى أقوامهم والله تعالى لما بين الوحدانية بقوله تعالى فبأى آلاء ربك تتمارى أشار الى اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى هذا نذير الخ ثم أشار الى القيامة بقوله (أزفت الآزفة) أى قربت الساعة التى يزداد كل يوم قربها فهى كائنة قريبة وازدادت فى القرب (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس للساعة نفس قادرة على اظهار وقتها الا الله تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون) أى أتعجبون انكارا من هذا القرآن أو من حديث حشر الأجساد بعد الفساد (وتضحكون) استهزاء من القرآن أو أتضحكون وقد سمعتم أن القيامة قريب (ولا تبكون) مما فى القرآن من الزجر والتخويف وكان حقالكم أن تبكوا منه (وأنتم سامدون) أى معرضون أو مستكبرون (فاسجدوا لله واعبدوا) أى واذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذى أنزل القرآن واعبدوه ولا تعبدوا غيره لان عبادة غيره تعالى ليست بعبادة

﴿ سورة القمر وتسمى سورة اقتربت مكية وهى خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلة. وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقتربت الساعة) أى دنا قيام الساعة بخروج محمد صلى الله عليه وسلم (وانشق القمر) نصفين فهو من علامات قرب الساعة روى أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما (وان يروا آية) أى عظيمة (يعرضوا) عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) أى هذا سحر دائم يأتى به محمد على مر الزمان أوقوى لا يمكن ازالته وقيل أى مار يزول ولا يبقى وقيل أى شديد المرارة فلا نقدر أن نسيغه كما لا نسيغ المر وقرئ وان يروا على البناء للمفعول (وكذبوا) بالآية بكونها دالة على صدق الرسول (واتبعوا أهواءهم) أى فقالوا انه سحر القمر أو سحر أعيننا (وكل أمر) من الخير والشر (مستقر) فكل عامل يرى فى الآخرة أثر عمله وقرئ مستقر بالجر صفة لأمر فكل عطف على الساعة أى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر (ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر) أى والله لقد جاءهم فى القرآن كائنا من أخبار الأمم الماضية المهلكين مافيه ازدجار وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغامها فيه وقرأ زيد بن على مزجر بصيغة اسم الفاعل ذو زجر (حكمة بالغة) أى لا خلل فيها بدل من ما وقرئ بالنصب حالا منها (فما تغنى النذر) وما نافية والمعنى ان الرسل لم يبعثوا ليلجأوا قومهم الى الحق وانما أرسلوا مبلغين وانما

(فتول عنهم) وتم الكلام ثم قال (يوم يدع الداع الى شيء نكر) أي منكر وهو النار (خشعا) أي ذليلة (أبصارهم يخرجون من الاجداث) أي القبور (كأنهم جراد منتشر) كقوله كالفراش المبثوث (مهطعين) أي مقبلين ناظرين (الى الداع) أي الى من يدعوهم الى المحشر (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي شديد (كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا (وازدجر) أي وزجروه ونهروه ونهى عن دعوته ومقالته (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) أي فانتقم لي منهم (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) أي سائل (وفجرنا الارض عيونا) أي فتحناها بعيون الماء (فالتقى الماء) أي ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) أي قد قضى عليهم في أم الكتاب (وحملناه) يعني نوحا (على ذات ألواح) وهي السفينة (ودسر) يعني ما تشد به السفينة من المسامير والشرط (تجري بأعيننا) أي بمرأى منا وحفظ (جزاء لمن كان كفر) يعني نوحا أي فعلنا ذلك ثوابا له اذ كفر به وكذب (ولقد تركناها آية) أي تركنا تلك القصة علامة ليعتبر بها (فهل من مدكر) أي متعظ بها (فكيف كان عذابي) استفهام معناه التقرير (ونذر) أي انذاري (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلناه للحفظ فليس يحفظ كتاب من كتب الله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) أي متعظ بمواعظه (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي شديدة ذات صوت (في يوم نحس) أي شوم (مستمر) يعني دائم الشوم

استفهامية والمعنى انك يا أشرف الرسل أتيت بما عليك من الدعوة واظهار الآية عليها فكذبوك فأنذرتهم بما جرى على المكذبين فلم يفدهم انذارك فهذه حكمة بالغة فأي شيء من الامور النافعة غير هذا تحصله فلم يبق عليك شيء آخر (فتول عنهم) أي لا تناظرهم بالكلام وهذه الآية غير منسوخة (يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) ويوم منصوب بيخرجون وخشعا حال من فاعل يخرجون وكذا جملة كأنهم الخ وقرأ ابن كثير نكر بسكون الكاف والباقون بالضم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا بفتح الخاء وبألف بعدها والباقون بضم الخاء وفتح الشين مشددة وقرئ خاشعة بالتأنيث على الاصل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر والجملة حال والمعنى يخرج الناس من القبور حال كونهم مثل جراد منتشر في كثرتهم واجتماع بعضهم على بعض يوم يدعو اسرافيل أو جبريل الى شيء فظيع تنكره النفوس وهو هول القيامة أذلة أبصارهم من شدة الهول (مهطعين الى الداع) أي مسرعين اليه مادي أعناقهم اليه (يقول الكافرون) في ذلك اليوم (هذا يوم عسر) أي صعب شديد ثم شرع في ذكر بعض الأنباء الموجبة للازدجار فقال (كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) عطف على قالوا أي قالوا لنوح هو مجنون وزجروه عن مقالته بأنواع الأذية (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) أي بأني غلبني قومي بالقوة فانتقم لي منهم والعامة على فتح همزة أني وقرأ الأعمش وابن أبي اسحق بالكسر أي فقال نوح يا الهي ان نفسي غلبتني بحكم البشرية وقد أمرتني بالدعاء عليهم فأهلكهم (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) أي بمطر منصب من السماء على الارض أربعين يوما وقرأ ابن عامر بتشديد التاء لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) أي جعلنا الارض كلها كأنها عيون منفجرة (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أي فار ماء الارض بقوة حتى ارتفع والتقى بماء السماء على حال قد قدرها الله تعالى كما شاء وقرئ الماآن بالتثنية وتحقيق الهمزة والماوان بقلب الهمزة واوا أي ماء السماء وماء الارض (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أي وحملنا نوحا على سفينة ذات أخشاب عريضة ومسامير (تجري بأعيننا) أي تسير السفينة محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان كفر) أي حملناه جزاء لنوح على صبره على كفرانهم لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة على أمته وقرئ جزاء بكسر الجيم أي مجازاة وقرئ كفر بالبناء على الفاعل أي أغرقنا الكفار جزاء لهم (ولقد تركناها آية) أي ولقد جعلنا السفينة آية يعتبر بها من يقف على خبرها (فهل من مدكر) أي فهل من معتبر يعتبر بما صنع الله بقوم نوح موجود فيترك المعصية ويختار الطاعة (فكيف كان عذابي) الذي عذبتهم به (ونذر) أي وكيف كان عاقبة انذاري (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن نزلناه بلغتهم للاتعاظ (فهل من مدكر) أي فهل من طالب علم فيعان عليه (كذبت عاد) هودا فاستمعوا (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاراتي لهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي باردة وهو ريح الدبور (في يوم نحس) أي شديد القباحة (مستمر) أي الى نفاذ المراد وهو من يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال الى غروب شمس الاربعاء آخره ومستمر وصف ليوم مضاف الى نحس

(تنزع الناس) أي تقلعهم عن مواضعهم (كأنهم أعجاز نخل) أي أصول نخل (منقعر) أي منقلع ساقط شبهوا وقد كبتهم الريح على وجوههم بنخيل سقطت على الارض (كذبت ثمود بالنذر) جمع نذير وقوله (انا اذا لفي ضلال) أي ذهاب عن الصواب (وسعر) أي جنون (أألقي الذكر عليه من بيننا) أنكروا أن يكون مخصوصا بالوحي من بينهم (بل هو كذاب أشر) أي بطر يريد أن يتعظم علينا قال الله تعالى (سيعلمون غدا) أي عند نزول العذاب بهم (من الكذاب الأشر انا مرسلوا الناقة) أي مخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة) أي محنة (لهم) لنختبرهم (فارتقبهم) أي انتظر ما هم صانعون (واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أي بين ثمود والناقة غبا لها يوم ولهم يوم (كل شرب) أي نصيب من الماء (محتضر) أي يحضره القوم يوما والناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدارا عاقر الناقة (فتعاطى) أي فتناول الناقة بالعقر (فعقر) بها وقوله (كهشيم المحتظر) وهو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشوك والشجر دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقوله (الا آل لوط) أي أتباعه على دينه من أهله وأمته (نجيناهم) من العذاب (بسحر) من الاسحار كقوله فأسر بأهلك الآية (نعمة من عندنا) عليهم بالانجاء ذلك

بسكون الحاء وقرئ بتنوين يوم وكسر حاء نحس ومن جعل نحسا اسم معنى أو مصدرا كان مستمر وصفا لنحس أي مستمر النحوسة (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) أي تقلع قوم هود من أماكنهم فيلقون أمواتا وهم جثث عظام طوال كأنهم نخل قطعت رؤوسه منقلع عن مغارسه (فكيف كان عذابي ونذر) أي انظر كيف كان عذابي عليهم وكيف كان حال انذاراتي (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي هيأناه للتذكر (فهل من مدكر) أي فهل من متعظ يتعظ بما صنع بقوم هود فيترك المعصية (كذبت ثمود) قوم صالح (بالنذر) أي بالانذارات (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر) أي فقالوا أنتبع آدميا مثلنا واحدا من آحادنا لا من أشرافنا في دينه وأمره انا وقتئذ لفي خطأ بين ونصب (أألقي الذكر عليه من بيننا) أي أألقي الوحي على صالح وهل خص بالنبوة منفردا من بيننا وفينا من هو أكثر مالا وأحسن حالا (بل هو كذاب) في قوله (أشر) أي متكبر مرح (سيعلمون غدا من الكذاب الاشر) وقرأ ابن عامر وحمزة بتاء الخطاب وهو حكاية عن قول صالح عليه السلام لقومه أي ستعلمون وقت نزول العذاب بكم في الدنيا عن قريب من شديد الكذب المتكبر والباقون بياء الغيبة وهو حكاية لقوله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه أي سيعلمون عن قريب وهو وقت نزول العذاب بهم في الدنيا من الذي حمله كذبه و بطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرئ الاشر أي الابلغ في الشرارة فقال الله لصالح (انا مرسلوا الناقة) أي انا مخرجو الناقة من الجبل المنبسط على الارض حسب ما سألوا (فتنة لهم) مفعول لاجله أي امتحانا لهم ليتميز حال من يثاب ممن يعذب فاخراج الناقة من الصخرة كان معجزة لصالح لانها تصديق له و بعده يتميز الصدق عن الكذب وارسالها اليهم ودورانها فيما بينهم وقسمة الماء كان فتنة (فارتقبهم) أي انتظرهم بالعذاب وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على أذيتهم أي فان كانوا يؤذونك فلا تستعجل لهم العذاب (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أي أخبرهم بأن ماء بئرهم مقسوم بين قوم صالح والناقة فيوم لهم و يوم لها (كل شرب محتضر) أي كل نصيب من الماء يحضره صاحبه في نوبته فبقوا على ذلك مدة ثم سئموا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فأجمعوا على قتلها (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف و يلقب بالاجهر بعد ما رماها مصدع بن دهر بسهم (فتعاطى فعقر) أي تناول قدار السيف فقتل الناقة به موافقة لهم (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) صيحة جبريل بالعذاب بعد ثلاثة أيام من قتلهم الناقة لانه كان في يوم الثلاثاء ونزول العذاب بالصيحة بهم كان يوم السبت (فكانوا كهشيم المحتظر) بكسر الظاء أي فصاروا كالشئ اليابس من الحطب والشوك لمن يعمل الحظيرة في اهلاكهم وقرئ بفتح الظاء أي فصاروا كالشئ الذي داسته الغنم في الحظيرة وهي زريبة الغنم تتخذ من دقاق الشجر وضعيف النبات تقيها عن الحر أو البرد (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي هونا القرآن للعظة والحفظ والقراءة قال سعيد بن جبير ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهرا أي بغير نظر الا القرآن وقال غيره ولم يكن هذا لبني اسرائيل ولم يكونوا يقرأون التوراة الا نظرا غير موسى وهرون و يوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (فهل من مدكر) أي فهل من طالب لحفظه فيعان عليه (كذبت قوم لوط بالنذر) أي بالامور المخوفة لهم على لسانه (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أي عذابا بحجارة من سجيل عليها علامة كل واحد فالملائكة حركوا الريح فالريح صرمت الحجارة عليهم (الا آل لوط) أي الا لوطا وابنتيه زاعورا وريثا (نجيناهم بسحر) أي في آخر الليل وقيل عند السدس الأخير من الليل (نعمة من عندنا) مفعول له أي كان

(كذلك) أي كما جزينا لوطا وآله (نجزي من شكر) آمن بالله وأطاعه (ولقد أنذرهم) أي خوفهم لوط (بطشتنا) أي أخذنا اياهم
بالعقوبة (فتماروا بالنذر) أي كذبوا بانذاره شكا منهم (ولقد راودوه عن ضيفه) أي سألوه أن يخلي بينهم و بين
القوم الذين أتوه في صورة الأضياف وكانوا ملائكة (فطمسنا أعينهم) أي أعميناها وصيرناها كسائر الوجه وقلنا لهم (ذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة) أي جاءهم صباحا (عذاب مستقر) أي ثابت لأنه أفضى بهم الى عذاب الآخرة (ولقد جاء آل فرعون النذر) أي الانذار على لسان موسى وهرون (كذبوا بآياتنا) التسع (كلها فأخذناهم) بالعذاب (أخذ عزيز) قوي (مقتدر) أي قادر لا يعجزه شيء ثم خاطب العرب فقال (أكفاركم خير من أولئكم) الذين ذكرنا قصتهم (أم لكم براءة) من العذاب (في الزبر) أي الكتب تأمنون بها من العذاب (أم يقولون) يعني كفار مكة (نحن جميع منتصر) أي جماعة منصورون (سيهزم الجمع) أي جمعهم (ويولون الدبر) أي ينهزمون فيرجعون على أدبارهم وكان هذا يوم بدر وقوله (بل الساعة موعدهم) للعذاب (والساعة أدهى) أي أشد (وأمر) أي أشد مرارة مما يلحقهم في الدنيا (ان المجرمين في ضلال) في الدنيا (وسعر) أي ونار في الآخرة (يوم يسحبون) أي يجرون (في النار على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) أي اصابة جهنم اياكم بالعذاب

ذلك الانجاء فضلا منا كما أن ذلك الاهلاك كان عدلا منا (كذلك نجزي من شكر) أي كما أنعمنا على من آمن بالله تعالى وأطاعه بالانجاء تنعم عليهم يوم الحساب وقيل أي مثل ذلك الانجاء ننجي من آمن بالله من عذاب الدنيا ولا نهلكه بالهلاك العام وعلى هذا فهو وعد لأمة محمد المؤمنين (ولقد أنذرهم بطشتنا) أي ولقد خوفهم لوط عذابنا الأكبر يوم القيامة لئلا يكون مقصرا في التبليغ (فتماروا بالنذر) أي شكوا في الانذارات وكذبوا لوطا (ولقد راودوه عن ضيفه) أي طلبوا من لوط المرة بعد المرة أن يخلي بينهم وبين أضيافه من الملائكة التي في صورة شبان مرد للفاحشة (فطمسنا أعينهم) أي أذهبنا صورة أعينهم بالكلية حتى صارت وجوههم كالصفحة للساروي أنهم لما دخلوا داره عليه السلام عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فذوقوا عذابي ونذر) أي فقلنا لهم على ألسنة الملائكة ذوقوا عذابي الذي هو طمس العين وثمرة انذاري وقال القرطبي والمراد من هذا الأمر خبر أي فأذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط عليه السلام (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أي ولقد أتاهم وقت الصبح أول جزء منه عذاب دائم فانهم لما أهلكوا نقلوا الى الجحيم فكان ما أتاهم عذاب لا يندفع بموتهم أي فقلع جبريل بلادهم فرفعها ثم قلبها وأمطر الله عليها حجارة من النار وخسفها وغمرها بالماء المنتن الذي لا يعيش به حيوان وقرئ بكرة غير منون على أن المراد بها أول نهار مخصوص (فذوقوا عذابي ونذر) أي فقلنا لهم ذوقوا عذابي وفائدة تخويفي وهي فنون هذا العذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي هونا القرآن للحفظ والكتابة (فهل من مدكر) أي فهل متعظ يتعظ بما صنع بقوم لوط فيترك المعصية (ولقد جاء آل فرعون النذر) أي ولقد جاء فرعون وهامان وقارون الانذار على لسان موسى وهرون (كذبوا بآياتنا كلها) السمعية والعقلية (فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) أي أخذ غالب غير عاجز (أكفاركم خير من أولئكم) أي الذين يصرون على الكفر منكم يا أهل مكة خير في القوة فلا تهلكون أم الذين أصروا عليه من أولئكم المذكورين قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وآله وهم من يؤول اليهم خيره وشره (أم لكم براءة في الزبر) أي هل حصل لكم براءة من غوائل الكفر والمعاصي في الكتب السماوية تأمنون العذاب بسببها فلذلك تصرون على ما أنتم عليه (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي بل أيقولون نحن كثير منتقمون على من خالفنا قوي على من عادانا (سيهزم الجمع) أي يهزم جمعهم بأيسر أمر بوعد لا خلف فيه (ويولون الدبر) قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها اهـ وقرئ سيهزم الجمع بالبناء للفاعل أي سيهزم الله تعالى الجمع (بل الساعة موعدهم) أي ليس ما وقع لهم في بدر تمام عقوبتهم بل الساعة موعد أصل عذابهم وهذا من مقدماته (والساعة أدهى وأمر) والساعة أشد من أنواع عذاب الدنيا وآلم وأدوم (ان المجرمين) من الأولين والآخرين (في ضلال وسعر) في ضلال وجنون لا يعقلون ولا يهتدون (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) أي يوم يجرون على وجوههم الى النار يقال لهم قاسوا حر

(انا كل شئ خلقناه بقدر) أى كل ماخلقناه فمقدور مكتوب فى اللوح المحفوظ وهذه الآيات كلها نزلت فى القدرية الذين يكذبون بالقدر (وما أمرنا لشئ اذا أردنا تكوينه (الا واحدة) أى كلة واحدة وهى كن (كلمح بالبصر) أى فى السرعة كخطفة البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم فى الكفر من الأمم الماضية (وكل شئ فعلوه فى الزبر) أى فى كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من أعمالهم (مستطر) أى مكتوب (ان المتقين فى جنات) روضات (ونهر) أى ضياء وسعة وقيل أراد أنهارا فوحد لوفاق الفواصل (فى مقعد صدق) أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم (عند مليك مقتدر) وهو الله تعالى وعند اشارة الى الرتبة والقربة من فضل الله تعالى ورحمته

﴿تفسير سورة الرحمن عز وجل﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الرحمن علم القرآن) أى علم نبيه القرآن ليس كما يقول المشركون انما يعلمه بشر وقيل معناه يسر القرآن لنبيه فعلمه هذه الأمة حتى حفظوه (خلق الانسان) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (علمه البيان) يعنى القرآن الذى فيه بيان كل شئ وقيل خلق الانسان يعنى ابن آدم فعلمه النطق وفضله على سائر الحيوان (الشمس والقمر) يجريان (بحسبان) أى بحساب لا يجاوزانه (والنجم) كل نبت لا ينبت على ساق (والشجر يسجدان) أى يخضعان لله تعالى لما ير بعضهما والجن (والسماء رفعها) فوق الأرض (ووضع الميزان) أى العدل والانصاف (الا) أى لئلا (تطغوا) أى لا تجاوزوا القدر (فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل والانصاف (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوا الوزن (والأرض وضعها للأنام) أى الجن والانس

جهنم وألما (انا كل شئ خلقناه بقدر) أى انا خلقنا كل شئ ملتبسا بقدر معين والمعنى أن الله تعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ماقدرها الله تعالى (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) أى وما أمرنا فى كل شئ أردنا ايجاده الا كلة واحدة وهى كن كطرف البصر فى السرعة (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم فى الكفر من الأمم الماضية فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (فهل من مدكر) أى متعظ يتعظ بما صنع بهم فيترك المعصية (وكل شئ فعلوه فى الزبر) أى وكل شئ فعله الأشياع فى الشرك بالله من المعاصى والجفاء بالأنبياء مكتوب عليهم فى ديوان الحفظة (وكل صغير وكبير) من الأعمال (مستطر) أى مكتوب بتفاصيله فى اللوح المحفوظ (ان المتقين) من الكفر والمعاصى (فى جنات) أى رياض واسعة عظيمة الشأن (ونهر) أى عند أنهار وقرئ نهر بضم النون والهاء (فى مقعد صدق) أى فى مكان مرضى أو فى مجلس لا كذب فيه وقرئ مقاعد (عند مليك مقتدر) أى مقربين عند من له ملك عظيم قادر لا يعجزه شئ ولا شئ الا وهو تحت ملكوته والقربة من الملوك لذيذة كلما كان الملك أشد قدرة كان المتقرب منه أشد التذاذا والمراد من القرب قرب المنزلة والشأن لا قرب المعنى والمكان

﴿سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن مكية وهى سبع وسبعون آية وثلاثمائة واحدى﴾
﴿وخمسون كلة وألف وستمائة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الرحمن علم القرآن) أى علم الانسان القرآن فان الله بعث جبريل بالقرآن الى محمد صلى الله عليه وسلم وبعث محمدا الى أمته (خلق الانسان) أى أنشأه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة (علمه البيان) أى النطق فيمتاز الانسان بمعن غيره من سائر الحيوانات وألهمه الله أسماء كل شئ وكل دابة تكون على وجه الأرض (الشمس والقمر بحسبان) أى الشمس والقمر يجريان بحساب مقدر فى بروجها بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول وتعلم السنون والأوقات (والنجم) وهو كل نبت لا يقوم على الساق (والشجر) وهو ما يقوم على الساق (يسجدان) أى يخضعان لله تعالى ويخرجان من الأرض ويثبتان عليها باذن الله تعالى فشبه الثبات فى المكان بالسجود لأن الساجد يثبت (والسماء رفعها) فوق كل شئ (ووضع الميزان) أى وضع آلة الوزن فى الأرض وبين العدل (أن لا تطغوا فى الميزان) أى لئلا تتجاوزوا الانصاف فى الوزن وفى اعطاء المستحقين حقوقهم وقرئ لا تطغوا بدون أن على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) أى بالعدل (ولا تخسروا الميزان) أى ولا تنقصوا الموزون فالطغيان فى الوزن أخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط التوسط بين الطرفين (والأرض وضعها للأنام) أى بسطها على الماء لمنافع الانس

والجن (فيها) أى الأرض (فاكهة) أى أنواع كثيرة مما تطيب به النفس (والنخل ذات الأكمام) وهى أوعية الثمر وهى جمع كم بكسر الكاف أوهى كل ما يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وهى جمع كم بضم الكاف (والحب ذو العصف والريحان) قرأ ابن عامر بنصب الثلاثة بخلق مضمرا أى وخلق جميع الحبوب كالحنطة والأرز ذا الأوراق وخلق الريحان المعروف الذى بزره ينفع فى الأدوية أو المشمومات وقرأ حمزة والكسائى برفع الحب وذو عطفا على فاكهة وجر الريحان عطفا على العصف أى وفيها الحب ذو الساق وذو الأوراق وقرأ الباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة أى وفيها الحب ذو الأوراق الخارجة من جوانب الساق كأوراق السنبلة من أعلاها الى أسفلها وفيها مشمومات أو ريحان معروف ويجوز أن يراد عند رفع الريحان ونصبه حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمعنى وذو السنبلة والثمر أو وخلق ذا الرزق وهو الثمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى فبأى فرد من أفراد نعم ربكما أيها الجن والانس تنكران أنها ليست من الله أبتلك النعم المذكورة هنا أم بغيرها ويسن لسامع القارىء لهذه السورة أن يجيبه كلما قرأ هذه الآية وهى مكررة فى أحد وثلاثين موضعا بأن يقول ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر الجن على ذلك الجواب (خلق الانسان) أى آدم (من صلصال) أى من طين منتن يابس له صوت (كالفخار) أى كالخزف المشوى بالنار المجوف كالاناء فى أن كلا منهما يسمع له صوت اذا نقر ليعلم هل فيه عيب أولا (وخلق الجان) أى الجن نفسه (من مارج) أى من لهب صاف (من نار) لا دخان لها وهو بيان لمارج (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أيها الجن والانس أبما أفاض عليكما فى حالات شتى لخلقتكما حتى صيركما خلاصة الكائنات أم بغيره (رب المشرقين ورب المغربين) أى الذى فعل ما ذكر رب مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما وقرأ ابن أبى عبلة رب بالجر بدلا أو بيانا لربكما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى أبما فى ذلك من الفوائد العظيمة التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه أم بغير ذلك (مرج البحرين) أى أرسل الرحمن البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) أى يتماسان ولا يمتزجان (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) أى لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده الله تعالى ولا يغير كل واحد منهما طعم صاحبه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فهلا اعتبرتم بأنواع الموجودات (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فاللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره قيل ان اللؤلؤ يتولد فى ملتقى الملح والعذب ثم يدخل الصدف فى المالح عند انعقاد الدر فيه فيثقل هناك فلا يمكنه الدخول فى العذب وقيل هما يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبكثرة النعم من خلق المنافع فى البحر واخراج الحلى العجيبة أم بغيرها (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أى وله تعالى السفن الرافعات الشراع فى البحر كالجبال والباقون بالفتح أى المرفوعات القلع وقرأ ابن أبى عبلة بتشديد الشين وقرأ يعقوب الجوارى باثبات الياء فى الوقف وقرأ عبد الله والحسن الجوار برفع الراء ولا تثبت الياء فى الرسم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى أبتلك النعم من خلق مواد السفن وأسباب لا يقدر على خلقها غيره تعالى أم بغيرها (كل من عليها) أى على الأرض من الحيوانات والمركبات (فان) أى هالك لا محالة

(فيها فاكهة) أى أنواع الفاكهة (والنخل ذات الأكمام) يعنى أوعية الثمار (والحب ذو العصف) يعنى ورق الزرع وقيل هو التبن (والريحان) الرزق ثم خاطب الجن والانس فقال (فبأى آلاء ربكما) نعم ربكما من هذه الأشياء التى ذكرت (تكذبان) لأنها كلها منعم بها عليكم فى دلالتها اياكم على وحدانية الله ثم كرر فى هذه السورة هذه الآية توكيدا وتذكيرا للنعمة (خلق الانسان من صلصال) أى طين يابس تسمع له صلصلة (كالفخار) وهو ما طبخ من الطين (وخلق الجان) أى أبا الجن (من مارج) أى من لهب النار الخالص (رب المشرقين) أى مشرق الصيف ومشرق الشتاء (ورب المغربين) وكذلك المغربان (مرج البحرين) أى خلط البحر العذب والبحر المالح (يلتقيان) أى يجتمعان وذلك أن البحر المالح فيه عيون ماء عذب (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) أى لا يختلطان فلا يجاوزان ما قدر الله لهما فلا الملح يختلط بالعذب ولا العذب بالملح (يخرج منهما) أى من أحدهما وهو الملح (اللؤلؤ) وهو الحب الذى يخرج من البحر (والمرجان) صغار اللؤلؤ (وله الجوار) أى السفن (المنشآت فى البحر) أى المرفوعات (كالأعلام) أى كالجبال فى العظم (كل من عليها) أى على الأرض من حيوان (فان) هالك

(ويبقى وجه ربك) أيها السامع أى ذاته عز وجل (ذو الجلال) أى العظمة التى لايسعها عقل (والاكرام) أى الفضل التام فالجلال مرتب على فناء غير الله تعالى والاكرام مرتب على بقائه تعالى وقال ﷺ ألظوا بياذا الجلال والاكرام أى الزموا فى الدعاء ذلك وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك والعامة على ذو بالواو صفة لوجه وقرأ أبى وعبد الله ذى بالياء صفة لرب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى أبتلك النعم من دفع البلاء وابقاء ماهو مخلوق الى وقت فنائه أم بغيرها (يسأله من فى السموات والأرض) فيسأله كل أحد مايحتاج اليه فى دينه ودنياه فكل أحد عاجز عن تحصيل مايحتاج اليه ويسأله كل أحد عن عاقبة أمره وعما فيه صلاحه وفساده فكل أحد جاهل بما عند الله من المعلومات فالوجه الأول اشارة الى كمال القدرة والوجه الثانى اشارة الى كمال العلم (كل يوم هو فى شأن) أى كل وقت من الأوقات هو تعالى فى شأن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع من يشاء ويضع من يشاء كما هو مروى عن النبى ﷺ ويقال يحتمل أن يكون هو عائدا الى يوم وكل يوم ظرف ليسأله أى يقع سؤالهم كل يوم هو فى شأن يتعلق بهم فيطلبون مايحتاجون اليه أو يستخرجون أمره بما يفعلون فيه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لاحسانه تعالى أبتلك النعم أم بغيرها (سنفرغ لكم أيها الثقلان) أى سنقصد لحسابكم وجزائكم أيها الجن والانس أى سندبر لكم أمر الآخرة من الأخذ فى الجزاء وايصال الثواب والعقاب اليكم بعد تدبيرنا لأمر الدنيا بالأمر والنهى والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء وقرأ حمزة والكسائى سيفرغ بالياء على الغيبة وقرئ بالبناء للمفعول وقرئ سنفرغ اليكم وترسم أيه بغير ألف وقرأ أبو عمرو والكسائى بالألف فى الوقف والباقون بتسكين الهاء وقرأ ابن عامر برفع الهاء فى الوصل والباقون بالفتح (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من التنبيه على ماسيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب أم بغيرها (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) أى ياجماعة الجن والانس ان قدرتم أن تخرجوا من أطراف السموات والأرض وأن تهربوا من قضائى وملكى فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابى (لاتنفذون الا بسلطان) أى ماتنفذون الا ومعكم سلطان الله أى فلا مهرب لكم ولا تخرج عن ملك الله تعالى وأينما توليتم فثم ملك الله وأينما تكونوا أتاكم حكم الله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من دفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة أم بغيرها (يرسل عليكما شواظ) أى لهب خالص لادخان فيه (من نار ونحاس) أى دخان لالهب معه يسوقانكما الى المحشر قرأ ابن كثير بكسر شين شواظ وقرأ ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وأبو عمرو بجر نحاس عطفا على نار ولابد فى هذه القراءة من كسر الشين أو امالة نار وعلى هذا فالشواظ مركب من نار ومن دخان وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ نحاس بكسر النون وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ نحس بضمتين جمع نحاس (فلا تنتصران) أى فلا ينتصر أحدكما بالآخر ولا أنتما بغيركما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من بيان عاقبة الكفر والعاصى أم بغيرها (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) أى فاذا انصدعت السماء وخربت يوم القيامة فصارت حمراء كالأديم للغربى وهو مافيه حمرة مع السواد يكون الأمر عسيرا فى غاية العسر أو يلقى المرء فعله ويحاسب حسابه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان)

(ويبقى وجه ربك) أى (يسأله من فى السموات والأرض) من ملك وانس وجن الرزق والمغفرة وما يحتاجون اليه (كل يوم هو فى شأن) من اظهار أفعاله واحداث ما يريد من احياء واماتة وخفض ورفع وقبض وبسط (سنفرغ لكم) أى سنقصد لحسابكم بعد الامهال (أيها الثقلان) يعنى الجن والانس (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) أى تخرجوا (من أقطار السموات والأرض) أى نواحيها هاربين من الموت (فانفذوا) أى فاخرجوا (لاتنفذون الا بسلطان) أى حيثما كنتم شاهدتم حجة الله وسلطانا يدل على أنه واحد (يرسل عليكما شواظ من نار) وهو اللهب الذى لادخان له (ونحاس) وهو الدخان أى يرسل هذا مرة وهذا مرة وهو أن فى يوم القيامة يحاط على الخلق بلسان من نار (فلا تنتصران) أى تمتنعان (فاذا انشقت السماء) أى انفرجت أبوابها لنزول الملائكة (فكانت وردة كالدهان) أى كلون الفرس الورد وهو يتغير ألوانا على فصول السنة وقوله كالدهان جمع دهن والدهن تلوان أى فشبه الورد فى اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه (فيومئذ لايسأل عن ذنبه) سؤال استفهام ولكن يسألون سؤال تقريع وتوبيخ

أي فالمذنب يوم اذ تنشق السماء وذلك أول مايخرجون من القبور و يحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم لايسأل عن ذنبه انسي ولاجني لانهم يعرفون بسيماهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من الاخبار بما يزجر عن الشر أم بغيرها (يعرف المجرمون بسيماهم) أي بسواد وجوههم وزرقة أعينهم (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) أي يجمع نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم فيطرحون في النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أي تجحدون والوقف هنا تام (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) وهذه اشارة الى قربها أي جهنم التي يكذب بها المشركون هذه قريبة غير بعيدة عنهم (يطوفون بينها و بين حميم آن) أي يترددون بين النار وماء حار قد انتهى حره فيحرقون بها فيستغيثون منها فيسعى بهم الى الحميم و يظهر لهم شيء مائع هو صديدهم المغلى فيظنونه ماء فيسقون منه و يصب فوق رءوسهم فاذا استغاثوا منه يسعى بهم الى النار وهكذا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما أشرنا اليه من أول السورة فتستحقان العذاب وتحرمان الثواب (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أي ولمن خاف المقام الذي يقوم هو فيه بين يدي ربه وهو مقام عبادته والمقام الذي اطلع الله على عباده فانتهى عن المعصية جنتان جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف لهذين النوعين وقيل هي جنة جزاء وجنة أخرى زيادة على الجزاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (ذواتا أفنان) أي صاحبتا أغصان فان الجنات ذوات أشجار والأشجار ذوات أغصان والأغصان ذوات أزهار وأثمار وهي لتنزه الناظر وتنكير أفنان للتعجب أي على الأفنان أوراق عجيبة وثمار طيبة من غير سوق غلاظ فالجنة ذات فنن غير كائن على أصل وعرق بل هي واقفة في الجو وأهلها تحتها (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم من وصف الجنة أم بغيرها (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة منهما عين جارية كيف يشاء صاحبها في الأعالي والأسافل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم التي ذكرها أم بغيرها (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي في كل واحدة من الجنتين نوعان من الفواكه معروف وغريب أو رطب و يابس وكلاهما حلو يستلذ به (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أي أبتلك النعم أم بغيرها (متكئين) حال من فاعل خاف الذي هو عامل للحال أو كان عامله وصاحبه ماتدل عليه فاكهة اي يتفكه المتفكهون حال كونهم جالسين جلوس المتمكن المتربع (على فرش بطائنها) أي التي تلي الارض (من استبرق) أي ديباج ثخين وكذا ظهائرها بخلاف أهل الدنيا فلا يجعلون البطائن كالظواهر لان غرضهم اظهار الزينة والبطائن لاتظهر أما في الآخرة فالأمر مبني على الاكرام والتنعيم فتكون البطائن كالظواهر (وجنى الجنتين دان) أي ثمر الجنتين قريب يناله القاعد والقائم في وقت واحد ومكان واحد فان العجائب كلها من خواص الجنة فكان أشجارها دائرة عليهم سائرة اليهم وهم ساكنون على خلاف ما كان في جنات الدنيا فان الانسان فيها متحرك ومطلوبه ساكن والولي قد تصير الدنيا له انموذجا من الجنة فانه يكون ساكنا في بيته و يأتيه الرزق متحركا اليه دائرا حواليه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبقدرته على ثني الأغصان وتقريب الثمار أم بغيرها (فيهن قاصرات الطرف) أي في الجنان نساء مانعات أعينهن من النظر الى غير بعلهن وللجنة اعتبارات ثلاثة فلاتصال أشجارها وعدم الأراضي الفاصلة كأنها جنة واحدة ولاشتمالها على النوعين مافي الدنيا ومالبس فيها ومايعرف ومالايعرف ومايقدر على وصفه ومالايقدر ولذات جسمانية ولذات روحانية كأنها جنتان ولسعتها وكثرة أماكنها وأشجارها وأنهارها كأنها جنات كثيرة فالضمير هنا عائد الى الجنتين (لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان) أي لم يجامع الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن والمشهور أن الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا

(يعرف المجرمون بسيماهم) أي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) أي تضم نواصيهم الى أقدامهم و يلقون في النار والنواصي جمع الناصية وهو شعر الجبهة ثم يقال لهم (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها و بين حميم آن) وهو الذي قد انتهى في الحرارة والمعنى أنهم اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني أي يطاف بهم مرة الى الحميم ومرة الى النار (ولمن خاف مقام ربه) أي قيامه بين يدي الله للحساب فترك المعصية (جنتان ذواتا أفنان) أي أغصان (فيهما عينان تجريان) احداهما بالماء الزلال والأخرى بالخمر (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي نوعان وكلاهما حلو (متكئين على فرش) جمع فراش (بطائنها) أي ما بطن منها وهو ضد الظواهر (من استبرق) وهو ماغلظ من الديباج (وجنا الجنتين) أي ثمرهما (دان) أي قريب يناله القاعد والقائم والنائم (فيهن قاصرات الطرف) أي حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن) أي لم يجامعهن (انس قبلهم) أي قبل أزواجهن (ولاجان)

واعاهن مخلوقات فى الجنة فان أكثر نساء أهل الدنيا مطموثات (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نوع من أنواع هذا الاحسان تكفران (كأنهن الياقوت والمرجان) أى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة وبالمرجان بمعنى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر أنصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى أبما جعلهن مثالا لوصفهن أم بغيره (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أى ماجزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب جزاء كل من أحسن الى غيره أن يحسن هو اليه أيضا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ من هذه النعم الجليلة أم بغيرها (ومن دونهما جنتان) أى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ مما تفضل به عليكم من الجنات أم بغيره (مدهامتان) أى سودا وان من شدة الخضرة من الرى وهذه صفة لجنتان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ من تلك النعم أم بغيرها (فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان أى ماؤهما متحرك الى جهة فوق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (فيهما فاكهة ونخل ورمان) وأفردهما بالذكر مع دخولهما فى الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فيحنث بأكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة كما قاله الشافعي وأكثر العلماء خلافا لأبى حنيفة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (فيهن خيرات حسان) أى فى الجنتين نساء فى باطنهن خير وفى ظاهرهن حسن روى الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أخبرنى عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبنعمة الحور أم بغيرها (حور مقصورات) أى محبوسات على أزواجهن (فى الخيام) أى فى خيام الدر المجوف وهى فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) أى لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (متكئين) حال عامل عليه لم يطمثهن الخ فأزواجهم لم يطمثهن حال كونهم متكئين (على رفرف) أى رياض أو بسط (خضر) فالأخضر حصل فيه الألوان الثلاثة الأبيض والاسود والاحمر فالأبيض يفرق البصر والأسود يجمع البصر كالأحمر فلما اجتمع فى الأخضر الأمور الثلاثة دفع بعضها أذى بعض ولما كان ميل النفس فى الدنيا الى الاخضر أكثر ذكره الله تعالى (وعبقرى حسان) فالثياب المعمولة عملا جيدا يسمونها عبقريات مبالغة فى حسنها كأنها ليست من عمل الانس لان العبقرى منسوب الى عبقر وهو موضع من مواضع الجن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أبشئ من هذه النعم أم بغيرها (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام) أى تعالى اسمه الجليل وارتفع عما لا يليق بشأنه قرأ ابن عامر ذو الجلال بالواو والباقون ذى بالياء صفة لرب وهذا اشارة الى أن أتم النعم عند الله تعالى وأكمل اللذات ذكر الله تعالى

﴿ سورة الواقعة مكية . وهى سبع وتسعون آية . وثلاثمائة وثمان وتسعون كلمة . وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة) أى اذا قامت القيامة يعترف بها كل أحد ويبطل عناد المعاندين ولا يتمكن أحد من انكارها والعامل فى اذا ليس لوقعتها كاذبة فاللام بمعنى فى أى ليس كاذبة توجد فى

وقت

(كأنهن الياقوت) أى فى الصفا (والمرجان) فى البياض (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أى ماجزاء من أحسن فى الدنيا بطاعة الله الا الاحسان اليه فى الآخرة بالجنة ونعيمها (ومن دونهما) أى وسوى الجنتين الاوليين (جنتان) أخريان (مدهامتان) أى سوداوان لشدة الخضرة (فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان (فيهن) نساء (خيرات) فاضلات الأخلاق حسان الوجوه (حور) أى سود الاحداق (مقصورات) أى محبوسات (فى الخيام) من الدرر المجوفة (متكئين على رفرف) وهو مافضل من الفرش والبسط وقيل الوسائد (وعبقرى) يعنى الزرابى وهو جنس من الفرش والبسط والطنافس (حسان) ثم ختم السورة بما ينبغى أن يحمد به ويعظم فقال (تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام)

﴿ تفسير سورة الواقعة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) أى جاءت القيامة (ليس لوقعتها) أى لمجيئها (كاذبة) أى كذب

وقت وقوعها أو بمعنى عندى أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب فى نفيها وانما سميت القيامة واقعة لشدة صوتها يسمع القريب والبعيد (خافضة رافعة) أى هى خافضة للكافرين فى دركات النار والعذاب ورافعة للمؤمنين فى درجات الجنة والنعيم وقرىء خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة (اذا رجت الأرض رجا) أى اذا زلزلت الأرض زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل واذا متعلقة بخافضة رافعة أو بدل من اذا وقعت (و بست الجبال بسا) أى فتتت الجبال فتا (فكانت هباء منبثا) أى فصارت الجبال غبارا منتشرا (وكنتم أزواجا ثلاثة) أى وصرتم فى ذلك اليوم أيها الخلائق ثلاثة أصناف اثنان فى الجنة وواحد فى النار ثم بينهم الله تعالى بقوله (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) أى فأهل الجنة الذين يعطون كتابهم بيمينهم أى شىء هم فى حالهم فهم فى غاية حسن الحال فى الكرامة والسرور (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) أى وأهل النار الذين يعطون كتابهم بشمالهم أى شىء هم فى حالهم فهم فى غاية سوء الحال وهم فى الهوان والعذاب (والسابقون السابقون) أى والسابقون الذين لا حساب عليهم هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم فهم يسبقون الخلق الى الجنة من غير حساب فالسابقون الى الخيرات فى الدنيا هم السابقون الى الجنة فى العقبى (أولئك) أى السابقون (المقربون) الى الله تعالى (فى جنات النعيم) فى أعلى عليين فلهم قرب عند الله كما يكون لجلساء الملوك فهم لا يكون بيدهم شغل ولا يرد عليهم أمر فيلتذون بالقرب و يتنعمون بالراحة بخلاف قرب الملائكة الذين هم للاشغال فهو قرب الخواص عند الملك فهم ليسوا فى نعيم وان كانوا فى التعظيمة ولا يزالون خائفين قائمين بباب الله يرد عليهم الأمر ولا يرتفع عنهم التكليف (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) أى هم أى السابقون الى الايمان بالأنبياء عيانا المجتمعون عليهم جماعة كثيرة من الأمم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهم السلام وقليل من هذه الأمة أى ان الذين عاينوا جميع الأنبياء وصدقوهم من الأمم الماضية أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وهذا لا ينافى كون أمة محمد ثلثى أهل الجنة (على سرر موضونة) أى موصولة بالذهب والفضة منسوجة بالدر والياقوت و يقال أرضها من الذهب الممدود وقوائمها من الجواهر النفيسة (متكئين عليها) أى السرر (متقابلين) فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض وهذا وصف لهم بحسن العشرة والآداب وتهذيب الاخلاق و يقال السابقون هم الذين أجسامهم أرواح نورانية وجميع جهاتهم وجه (يطوف عليهم) أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أى مبقون أبدا على شكل الولدان لا يكبرون ولا يلتحون (بأكواب) أى بكيزان وهى أوان مستديرة الافواه بلا عرى ولا خراطيم (وأباريق) وهى أوان لها عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى اناء خمر طاهرة تجرى من عيون (لا يصدعون عنها) أى لا يصيبهم صداع بسبب شربها (ولا ينزفون) قرأ عاصم وحمزة والكسائى بكسر الزاى أى لا ينفد شرابهم والباقون بفتحها أى لا يسكرون أى لا ينزف عقولهم (وفاكهة مما يتخيرون) أى مما يختارونه و يأخذون أفضله (ولحم طير مما يشتهون) وقرىء ولحوم طير وعن أبى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد ولى الله فيقول أحدها ياولى الله رعيت فى مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل منى فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فاذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرعى فى الجنة حيث شاء فقال عمر يانبى الله انها الناعمة قال آكلها أنعم منها (وحور عين) أى نساء شديدات بياض أجسادهن وشديدات سواد العيون مع سعتها وقرأ حمزة

(خافضة رافعة) أى تخفض أقواما الى النار وترفع آخرين الى الجنة (اذا رجت الارض رجا) أى حركت حركة شديدة (و بست الجبال بسا) أى فتتت فتا (فكانت هباء منبثا) أى غبارا مفرقا (وكنتم) يعنى فى ذلك اليوم (أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) ثم بين الأصناف فقال (فأصحاب الميمنة) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم وقيل الذين كانوا على يمين آدم عند اخراج الذرية من ظهره (ما أصحاب الميمنة) أى أى شىء هم على التعظيم لشأنهم (وأصحاب المشأمة) أى الشمال (ما أصحاب المشأمة) تفسير هذه الآية على الضد من تفسير التى قبلها (والسابقون) الى طاعة الله من أجل الله (السابقون) الى رحمة الله وجنته (أولئك المقربون) أى الى كرامة الله تعالى (ثلة من الأولين) يريد جماعة من الأمم السابقة (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة يعنى من سابقى الأمم وسابقى هذه الأمة (على سرر موضونة) أى منسوجة بقضبان الذهب والجواهر وقوله (ولدان مخلدون) أى غلمان لا يموتون ولا يهرمون (بأكواب) أى بأقداح لا عرى لها (وأباريق) وهى التى لها عرى وخراطيم (وكأس) أى اناء (من

معين) أى خمر جارية (لا يصدعون عنها) أى لا ينالهم الصداع عن شربها (ولا ينزفون) أى لا يسكرون (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارون (وحور) أى وجوار وغلمان شديدات سواد العين و بياضها (عين)

ضخام العيون (كأمثال) أى كأشباه اللؤلؤ المكنون) فى صفاء (اللؤلؤ والمكنون المستور فى كنه وهو الصدف (لايسمعون فيها) أى فى الجنان (لغوا) أى كلاما فاحشا (ولا تأثيما) أى ولا مايوقع فى الاثم (الا قيلا سلاما سلاما) يريد يسلمون فيها من اللغو والاثم ثم ذكر منازل أصحاب الميمنة فقال (فى سدر) وهو نوع من الشجر (مخضود) يعنى مقطوع الشوك لاكسدر الدنيا (وطلح) وهو شجر الموز (منضود) أى نضد بالحمل من أوله الى آخره فليست له سوق بارزة (وظل ممدود) ثابت (وماء مسكوب) أى جار غير منقطع (وفاكهة كثيرة لامقطوعة) بالازمان (ولا ممنوعة) بالأثمان (وفرش مرفوعة) أى على السرر (انا أنشأناهن) أى خلقناهن يعنى الحور العين (انشاء) أى خلقا من غير ولادة (فجعلناهن أبكارا) أى عذارى (عربا) أى متحببات الى الازواج عواشق لهم (أترابا) أى مستويات فى السن (لاصحاب اليمين ثلة من الأولين) أى من الأمم الماضية (وثلة من الآخرين) أى من هذه الأمة ثم ذكر أصحاب الشمال فقال

والكسائى بالجر عطف على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم طير ومصاحبة حور والباقون بالرفع عطفا على ولدان فلأهل الجنة حور مقصورات فى حظائر معظمات ولهن جوار وخوادم وحور تطوف مع الولدان السقاة وقرئ وحورا عينا بالنصب أى ويعطون حورا عينا (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أى المصون الذى لم تقع عليه الشمس والهواء وهذا اشارة الى غاية صفائهن (جزاء بما كانوا يعملون) أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم (لايسمعون فيها) أى الجنة (لغوا) أى شيئا لاينفع (ولا تأثيما) أى شيئا منسوبا الى الاثم كالشتم (الاقيلا سلاما سلاما) أى لكن يقولون ويسمعون قولا سلاما سلاما أى يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم ويرسل الرب السلام اليهم وقرئ سلام سلام على الحكاية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر) أى يتنعمون فى شجر نبق (مخضود) أى غير ذى شوك وموقر من الحمل حتى لايبين ساقه والله تعالى جعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام مافيها لون يشبه الآخر كما فى الحديث (وطلح منضود) أى وفى موز متراكب أوراقه وثمره لايرى له ساق من كثرة ثمره الذى أحلى من العسل وليس ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلا والجوز ونحوهما بل كله مأكول ومشروب ومشموم منظور اليه. واعلم ان الاشجار يجمعها نوعان أوراق صغار وأوراق كبار فالسدر فى غاية الصغر وشجر الموز فى غاية الكبر فوقعت الاشارة الى الطرفين جامعة لجميع الاشجار نظرا الى أوراقها كما ذكر الله النخل والرمان عند ذكر الثمار لان بينهما غاية الخلاف فوقعت الاشارة اليهما جامعة لجميع الأشجار نظرا الى ثمارها وكذلك النخيل والاعناب فان النخل من أعظم الاشجار للثمر والكرم من أصغر الأشجار المثمرة و بينهما أشجار فوقعت الاشارة اليهما جامعة لسائر الاشجار فان البليغ يذكر طرفى أمرين يتضمن ذكرهما الاشارة الى جميع مابينهما كما يقال فلان ملك الشرق والغرب و يفهم منه انه ملك مابينهما وكما يقال فلان أرضى الصغير والكبير و يفهم منه انه أرضى كل أحد (وظل ممدود) أى منبسط لاتزيله الشمس أبدا كظل مابين الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) أى مصبوب من ساق العرش سائل يجرى على الارض فى غير أخدود ومثل الله حال السابقين بأقصى مايتصور لاهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل مايتصور لاهل البوادى اعلاما بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) بحسب الأنواع والاجناس (لامقطوعة) فى وقت من الاوقات (ولاممنوعة) عن متناوليها بوجه من الوجوه وقرئ وفاكهة بالرفع أى وهناك فاكهة الى آخره (وفرش مرفوعة) على الاسرة كما قاله على أونساء مرفوعات على الأرائك ومرفوعات بالفضل والجمال ويدل على هذا التأويل قوله تعالى (انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا) روى النحاس أن أم سلمة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فقال هن اللواتى قبضن فى الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد فى الاستواء وعن المسيب بن شريك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء هن عجائز الدنيا انشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع (عربا) أى حسناء محسنة لكلامها متحببات الى أزواجهن (أترابا) أى مستويات فى السن على مقدار ثلاث وثلاثين سنة (لأصحاب اليمين) أى على سنهم وفى هذا الاشارة الى الاتفاق لان أحد الزوجين اذا كان أكبر من الآخر فالشباب يعيره والجار والمجرور متعلق بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أى مساوله فى السن (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أى هم أى أصحاب اليمين كثيرون من أوائل الامم قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن أواخر الأمم وهى أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وأصحاب الشمال ما

أصحاب الشمال في سموم) أي في ريح متعفن يتحرك من جانب الى جانب فاذا شم الانسان منه يفسد قلبه بسبب العفونة و يقتل الانسان (وحميم) أي ماء حار وهذا اشارة بالادنى الى الاعلى فالهواء والماء أنفع الأشياء في الدنيا فهواؤهم الذي يهب عليهم سموم وماؤهم الذي يستغيثون به حميم فما ظنك بنارهم التي هي عندنا أحر وكيف حالهم مع أحر الاشياء (وظل من يحموم) أي من دخان جهنم أسود (لا بارد ولا كريم) أي لا بارد يطلب الظل لبرده ولا ذي كرامة فما أعد للجلوس فيه وحفظ عن القاذورات (انهم كانوا قبل ذلك) أي قبل سوء العذاب في الدنيا (مترفين) أي منعمين بأنواع النعم ولم يشكروها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أي كانوا في الدنيا يديمون على الذنب العظيم الذي هو الشرك (وكانوا يقولون) اذا كانوا في الدنيا (أئذا متنا وكنا) أي صرنا (ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون) وهذه الآيات الثلاثة اشارة الى الأصول الثلاثة فقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين يدل على ذمهم بانكار الرسل وعلى تكبرهم بغناهم وهم كانوا يقولون أبشرا منا واحدا نتبعه وقوله تعالى يصرون على الحنث العظيم اشارة الى الشرك ومخالفة التوحيد وقوله تعالى وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا الخ اشارة الى انكار الحشر وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو والباقون بفتحها أي أئنا أوآباؤنا مبعوثون أي أتبعث آباؤنا الأولون الذين قد فنيت عظامهم (قل) يا أشرف الخلق لمنكري البعث (ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) أي انهم يساقون بعد البعث الى عرصة الحساب و يجمعون في وقت يوم معين عند الله تعالى وهو يوم القيامة (ثم انكم أيها الضالون) عن سبيل الله وهو التوحيد (المكذبون) أي المنكرون الحشر (لآكلون من شجر من زقوم) أي لآكلون شجرا هو الزقوم (فمالئون منها البطون) أي كل واحد منكم يملأ بطنه من تلك الشجر (فشاربون عليه) أي عقب ذلك الأكل بلا ريث (من الحميم) أي الماء الحار (فشاربون شرب الهيم) أي لا يكون شربكم منه شربا معتادا بل يكون مثل شرب الابل العطاش (هذا نزلهم يوم الدين) أي ليس هذا المذكور كل العذاب بل هذا أول ما يلقونه من العذاب وهو جزء منه واذا كان هذا ما يعد لهم أول قدومهم فما ظنك بحالهم بعد استقرارهم في النار (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) بالبعث (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) أي هل تشكون في أن الله خلقكم أولا أم لا فان لم تشكوا في ذلك فهلا تصدقون أيضا بخلقكم ثانيا فان من خلقكم أولا من لا شيء لا يعجز أن يخلقكم ثانيا من أجزاء معلومة عنده فأخبروني أي شيء هو تصبون في أرحام النساء من المني ان كنتم تشكون وتقولون الخلق لا يكون الا من مني و بعد الموت لا مني أفهذا المني أنتم تخلقونه أم الله فان كنتم تعترفون بقدرة الله وارادته وعلمه فذلك يلزمكم القول بجواز البعث وصحته (نحن قدرنا بينكم الموت) أي وقتنا موت كل أحد بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال أي سوينا بينكم بالموت فتموتون كلكم (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أي لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتي مكانكم أشباهكم من الخلق أي وما نحن عاجزون عن خلق أمثالكم واعادتكم بعد تفرق أوصالكم (وننشئكم فيما لا تعلمون) أي انا قادرون على أن نخلقكم في صور لا تعلمونها في جنسكم و يقال أن نجعل أرواحكم يوم القيامة فيما لا تصدقون وهي النار وقال بعضهم أن نجعل أرواحكم في حواصل طير تكون ببرهوت كأنها الزرازير كما أخرجه ابن أبي حاتم (ولقد علمتم النشأة الأولى) أي الخلق الأول في بطون الأمهات و هو من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة (فلولا تذكرون) أي فهلا تتعظون بأن من قدر على النشأة الأولى قدر

(في سموم) أي ريح حارة (وحميم وظل من يحموم) أي دخان شديد السواد (لا بارد) يعني لا باردا بالمنزل (ولا كريم) أي ولا كريم المنظر (انهم كانوا قبل ذلك) أي في الدنيا (مترفين) أي منعمين لا يتعبون في طاعة الله (وكانوا يصرون) أي يقيمون (على الحنث) أي الذنب (العظيم) وهو الشرك (وكانوا) ينكرون البعث (يقولون أئذا متنا) الآية فقال الله تعالى (قل ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) وهو يوم القيامة ومعنى الى ميقات لميقات وقوله (شرب الهيم) وهي الابل العطاش (هذا نزلهم) أي ما أعد لهم من الرزق (يوم الدين) أي المجازاة (نحن خلقناكم) يعني ابتداء (فلولا) فهلا (تصدقون) أي بالخلق الثاني وهو البعث (أفرأيتم ما تمنون) أي تصبون في الارحام من المني (أأنتم تخلقونه) بشرا أم نحن الخالقون (نحن قدرنا) أي قضينا (بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أي ان أردنا أن نخلق خلقا غيركم لم نسبق ولا فاتنا ذلك (وننشئكم) أي نخلقكم (فيما لا تعلمون) من الصور يعني نجعلكم قردة وخنازير والمعنى لسنا عاجزين عن خلق أمثالكم بدلا منكم ومسخنا إياكم من صوركم الى غيرها (ولقد علمتم النشأة) الخلقة (الأولى) أي أقررتم بأن الله خلقكم في بطون أمهاتكم (فلولا تذكرون) أي اني قادر على اعادتكم

على النشأة الأخرى حتما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين فى النشأة و بألف بعدها فهمزة وقرأ حمزة والكسائى وحفص بتخفيف الذال فى تذكرون والباقون بالتشديد وقرئ تذكرون من الثلاثى وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور (أفرأيتم ماتحرثون) أى أخبرونى ياأهل مكة ماتبذرون من الحبوب (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) أى أأنتم تنبتونه بل نحن المنبتون لا أنتم (لونشاء لجعلناه حطاما) أى لجعلنا الزرع متكسرا يابسا بعد خضرته وقبل ظهور الحب أى ان قلتم نحن نلقى البذر فى الأرض وهو بنفسه يصير زرعا لابفعلنا ولابفعل غيرنا قال تعالى ولوسلم لكم هذا الباطل فما تقولون فى سلامة الزرع عن الآفات فيفسد قبل اشتداد الحب فهل تدفعون الآفات عنه أو هذا الزرع بنفسه يدفعها عن نفسه كما تقولون انه بنفسه ينبت (فظلتم تفكهون) أى فصرتم تعجبون من يبسه بعد خضرته وقرئ فظلتم بكسر الظاء وفظللتم على الأصل بكسر اللام وقرئ تفكهون أى تتندمون على ماأنفقتم عليه قائلين (انا لمغرمون) أى انا لمعذبون بالجوع بهلاك الزرع أو انا لمكرهون بالغرامة وقرأ شعبة أئنا على الاستفهام (بل نحن محرومون) أى ممنوعون منفعة زروعنا (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذبا فراتا (أأنتم) ياأهل مكة (أنزلتموه) عليكم (من المزن) أى السحاب الثقيل بالماء (أم نحن المنزلون) أى بل نحن المنزلون عليكم لا أنتم (لونشاء جعلناه) أى ذلك الماء (أجاجا) أى حارا أومرا من شدة الملوحة (فلولا تشكرون) أى فهلا تشكرون على هذه النعمة التامة فان النعمة لاتتم الا عند الأكل والشرب وذلك لأن الانسان اذا كان فى البرارى التى لايوجد فيها الماء لايأكل شيئا مخافة العطش (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحونها عن كل عود غير العناب وهو الشجر الأحمر (أأنتم أنشأتم شجرتها) أى الشجرة التى تصلح لايقاد النار (أم نحن المنشئون) أى بل نحن المنشئون لها بقدرتنا لا أنتم (نحن جعلناها تذكرة) لنار جهنم فيجب على العاقل اذا رأى النار الموقدة أن يخشى عذاب الله أو تذكرة لصحة البعث لأن من قدر على ايداع النار فى الشجر الأخضر لايعجز عن ايداع الحرارة الغريزية فى بدن الميت (ومتاعا للمقوين) أى منفعة للذين ينزلون القوى وهى القفر البعيدة من العمران وهم الذين أوقدوا النار لأنهم أحوج الى النار فى الليل لتهرب السباع ويهتدى الضال (فسبح باسم ربك العظيم) ولاتقل لغير الله تعالى انه اله فان الاسم يتبع المعنى والحقيقة أى ان الكفار اعترفوا بأن الأمور من الله واذا طولبوا بالوحدانية قالوا نحن لانشرك فى المعنى وانما نتخذ أصناما آلهة فى الاسم ونسميها آلهة والله هو الذى خلقها فنحن ننزهه تعالى فى الحقيقة فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم أى فكما أنت أيها العاقل اعترفت بعدم اشتراك الله مع غيره فى الحقيقة اعترف بعدم اشتراكهما فى الاسم (فلا أقسم) قيل لامزيدة مؤكدة وقيل الأصل فلانا أقسم فحذف المبتدأ وأشبعت فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم بلام التأكيد وقيل ان لانافية رد لكلام يخالف المقسم عليه والتقدير والله لاصحة لقول الكفار أقسم (بمواقع النجوم) أى بمواضعها فى السماء فى منازلها وقرأ حمزة والكسائى بموقع النجوم بسكون الواو أى بموضع سقوطها عند غروبها (وانه) أى ان القسم بها (لقسم لوتعلمون عظيم) أى لوتعلمون عظمة القسم لعظمتم هذا القسم لكنكم ماعظمتونا لأنكم لاتعلمون ولا وقف هنا لأن القسم وقع على مابعده (انه) أى ان الكلام الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لقرآن كريم) أى كثير النفع لاشتماله على اصلاح المعاش والمعاد (فى كتاب مكنون) أى فى كتاب محفوظ عن الباطل وهو المصحف الذى فى أيدينا (لايمسه الا المطهرون) أى لايمس ذلك الكتاب الا المطهرون من الاحداث أى يحرم عليهم مسه بدون الطهارة وهذه الجملة صفة ثانية لكتاب

(أفرأيتم ماتحرثون) أى تقلبون من الأرض وتلقون فيها من البذر (أأنتم تزرعونه) أى تنبتونه (أم نحن الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه حطاما) أى نبتا يابسا لاحب فيه (فظلتم تفكهون) أى تعجبون وتندمون عما نزل بكم وما عملتم من الحرث وتقولون (انا لمغرمون) أى صار ما أنفقنا على الحرث غرما علينا (بل نحن محرومون) أى ممنوعون يريد منعنا رزقنا وقوله (أجاجا) أى ملحا لايمكن شربه (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحون (أأنتم أنشأتم) أى خلقتم (شجرتها) التى تخرج منها (نحن جعلناها تذكرة) يتذكر بها نار جهنم (ومتاعا) يعنى منفعة (للمقوين) أى المسافرين (فسبح باسم ربك العظيم) أى برئ الله مما يقول المشركون (فلا أقسم) لا زائدة (بمواقع النجوم) أى بمساقطها ومغاربها وقيل أراد نجوم القرآن (انه لقرآن كريم) أى حسن عزيز (فى كتاب مكنون) أى مصون عند الله (لايمسه) باليد يعنى المصحف (الا المطهرون) من الجنابات والاحداث

(تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (أنتم مدهنون) أى مكذبون (وتجعلون رزقكم) أى شكر رزقكم فحذف الشكر (أنكم تكذبون) أى بسقيا الله اذا مطرتم وتقولون مطرنا بنوء كذا (فلولا) أى فهلا (اذا بلغت) الروح (الحلقوم وأنتم) يا أصحاب الميت (حينئذ تنظرون) اليه وهو فى النزع (ونحن أقرب اليه منكم) يعنى بالعلم والقدرة (ولكن لا تبصرون) لا تعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) أى مملوكين ومجزيين (ترجعونها) أى تردون الروح الى الميت (ان كنتم صادقين) انكم غير مملوكين مدبرين وقوله ترجعونها جواب واحد لشيئين قوله اذا بلغت الحلقوم وقوله فلولا ان كنتم ثم ذكر مآل الخلق بعد الموت فقال (فأما ان كان من المقربين فروح) أى استراحة وبرد (وريحان) أى رزق حسن (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى انك ترى منهم ما تحب من السلامة وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء لأنه قد بين ذلك فى قوله فى سدر مخضود الآيات (وأما ان كان من المكذبين الضالين) وهم أصحاب المشأمة (فنزل من حميم) يريد فلهم نزل أعد لهم من شراب جهنم (وتصلية جحيم) أى ادخال فى النار (ان هذا) الذكر الذى ذكرت (لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) أى فنزه الله عن السوء

فالخبر بمعنى النهى ويؤيد هذا قراءة عبد الله بن مسعود ما يمسه بما النافية وروى مالك وغيره أن كتاب عمرو بن حزم وهو من أهل الظاهر لا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبى ﷺ لا تمس القرآن الا وأنت طاهر (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة لقرآن أى منزل من الله تعالى وفى ذلك رد على قول من قال ان القرآن شعر أو سحر أو كهانة وفى هذا رد على الذين يقولون ان القرآن فى كتاب ولا يمسه الا المطهرون وهم الملائكة ورد على الروافض الذين يقولون ان جبريل أنزل على على فنزل على محمد فقال تعالى هو من الله ليس باختيار الملك وقرئ تنزيلا بالنصب حال من قرآن (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) أى أفبهذا القرآن أنتم يا أهل مكة متهاونون به ويقال أفبهذا الكلام الذى تتحدثون به أنتم تلينونه لأصحابكم من شأن محمد والبعث والحساب والجنة والنار تعلمونهم خلافه (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى تجعلون معاشكم تكذيب محمد لأنكم تخافون ان صدقتموه ومنعتم ضعفاءكم عن الكفر أن يفوت عليكم من كسبكم ما تربحونه بسببهم فتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الرسل وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به (فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون) أى فلم لا تكذبون الرسل اذا بلغت الروح الحلقوم والحال انكم وقت النزع تشاهدون الأمور وتعلمونها وهذا اشارة الى أن كل أحد يؤمن عند الموت لكن لم يقبل ايمان من لم يؤمن قبله (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) أى ونحن أقرب الى الميت من أهله الحاضرين عنده بعلمنا وقدرتنا ولكن لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا (فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) أى فلم لا تردون الروح الى الجسد عند بلوغها الحلقوم ان كنتم غير مجزيين وغير محاسبين ان كنتم صادقين فى اعتقادكم أى انكم اذا كنتم لستم تحت قدرة أحد فلم لا ترجعون أنفسكم الى الدنيا مع أن ذلك مشتهى أنفسكم ومنى قلوبكم كما كنتم فى الدنيا التى ليست دار جزاء (فأما ان كان من المقربين فروح) أى فأما ان كان المجزى من المقربين السابقين فله راحة وقرأ بعضهم بضم الراء أى فله حياة دائمة أو رحمة لأنها كالحياة للمرحوم (وريحان) أى رزق عظيم أو زهرة فقد قيل ان أرواح أهل الجنة لا تخرج من الدنيا الا ويؤتى اليهم بريحان من الجنة يشمونه (وجنة نعيم) أى بستان ذات تنعم ليس فيها غيره (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى ان مكانة النبى ﷺ بالنسبة الى المقربين الذين هم فى عليين كأصحاب الجنة بالنسبة الى أهل عليين فكأن الله تعالى قال هؤلاء الذين هم أهل الجنة وان كانوا دون الأولين لكن لا تنقطع بينك يا أشرف الخلق وبينهم المكالمة والتسليم بل هم يرونك ويصلون اليك وصول جليس الملك الى الملك والغائب الى أهله وولده وأما المقربون فهم يلازمونك ولا يفارقونك وان كنت أعلى مرتبة منهم (وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم) أى وأما ان كان المجزى من المنكرين للبعث الضالين عن سبيل الله فله ضيافة من ماء حار يشرب به بعد أكل الزقوم (وتصلية جحيم) أى وادخال فى النار واحتراق بها (ان هذا) أى ما ذكر فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى نهاية اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) لما بين الله تعالى الحق وامتنع الكفار قال لنبيه ﷺ هذا هو حق فان امتنعوا فسبح ربك فى نفسك وما عليك من قومك سواء صدقوك أو كذبوك

﴿ سورة الحديد مدنية أو مكية تسع وعشرون آية. وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة. وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما في السموات والأرض) أي أبعد الخلق ذات الله تعالى من أن يكون محلا للإمكان وصفاته من أن تكون متغيرة وأفعاله من أن تكون موقوفة على مادة ومثال (وهو العزيز الحكيم) أي وهو القادر الغالب الذي يفعل أفعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والأرض) أي له التصرف فيهما وفيما فيهما من الموجودات (يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) أي هو قادر على خلق الحياة والموت ومنفرد بإيجادهما لا يمنعه تعالى عنهما مانع ولا يرده عنهما راد (هو الأول) أي ليس قبله شيء (والآخر) أي ليس بعده شيء فهو الباقي بعد فناء سائر الموجودات (والظاهر) بحسب الدلائل (والباطن) أي المحتجب عن الأبصار وعن الحواس وعن إدراك حقيقة ذاته في الدنيا والآخرة (وهو بكل شيء عليم) لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) من أيام الدنيا تعليما للعباد في التأني للأمور (ثم استوى على العرش) أي تصرف في ملكه تصرفا تاما (يعلم ما يلج في الأرض) من المياه والكنوز والأموات (وما يخرج منها) من النبات والمياه والمعادن والأموات (وما ينزل من السماء) من الأمطار والملائكة والصائب والحر والبرد (وما يعرج فيها) من الحفظة والأعمال (وهو معكم أينما كنتم) بسبب القدرة والإيجاد والتكوين وبسبب العلم فهو كونه تعالى عالما بظواهرنا وبواطننا لا بالمكان والجهة قال المحققون ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وقال المتوسطون ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله معه وقال الظاهريون ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله بعده (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور) أي جميع الأمور في الآخرة حيث لا مالك سواه وقرأ الأخوان وابن عامر بفتح التاء وكسر الجيم (يولج الليل في النهار) فيزيد النهار (ويولج النهار في الليل) فيزيد الليل (وهو عليم بذات الصدور) أي بمكنونات القلوب من نياتهم (آمنوا بالله ورسوله) وهذا خطاب مع من عرف الله فالمقصود من هذا الأمر معرفة صفات الله أما معرفة وجود الصانع فحاصلة للكل (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أي من الأموال التي في أيديكم التي جعلكم الله بمنزلة الوكلاء فيها تحفظونها لمن يأتون بعدكم فلا ينبغي لكم البخل بها فالصواب أن تصرفوها في الوجوه التي تنفعكم في المعاد (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) أموالهم في طاعة الله (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) أي أي شيء حصل لكم غير مؤمنين بالله والحال أن الرسول يدعوكم للإيمان به والحال أن الله قد نصب الدلائل الموجبة لقبول دعوة الرسول في العقول فقد تطابقت دلائل النقل والعقل وسميت الدلائل المستلزمة وجوب القبول ميثاقا لأنها أوكد من الحلف (إن كنتم مؤمنين) أي إن كنتم تؤمنون بشيء لأجل دليل فما لكم لا تؤمنون الآن فإنه قد تطابقت الدلائل النقلية والعقلية وبلغت مبلغا لا يمكن الزيادة عليها وقرأ أبو عمرو أخذ ميثاقكم بالبناء للمفعول وبرفع ميثاقكم أي مكن عقولكم من النظر في الأدلة (هو الذي ينزل على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (آيات بينات) وهي القرآن (ليخرجكم) أي الله أو العبد بتلك الآيات (من الظلمات إلى النور) أي من الكفر إلى الإيمان (وإن الله بكم لرؤوف رحيم) حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الأدلة العقلية (وما لكم ألا تنفقوا

﴿ تفسير سورة الحديد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله) الآية ذكر تفسيرها في قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده (هو الأول) قبل كل شيء بلا ابتداء (والآخر) بعد كل شيء بلا انتهاء (والظاهر) أي الغالب على كل شيء فكل شيء دونه (والباطن) العالم بكل شيء (يعلم ما يلج في الأرض) أي يدخل فيها من مطر وغيره (وما يخرج منها) من نبات وشجر (وما ينزل من السماء) أي من رزق ومطر وملك وأمر (وما يعرج فيها) أي يصعد إليها من عمل (وهو معكم) بالعلم والقدرة (أينما كنتم) (آمنوا بالله ورسوله) أي صدقوا بأن الله واحد وأن محمدا عبده ورسوله (وأنفقوا مما) أي من المال الذي (جعلكم مستخلفين فيه) أي كان لغيركم فملككموه وقوله (وقد أخذ ميثاقكم) يعني حين أخرجكم من ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه (إن كنتم مؤمنين) أي إن كنتم على أن تؤمنوا يوما من الأيام (وما لكم ألا تنفقوا

في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) أي وأي شيء يحصل لكم يامعشر المؤمنين في أن لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ماهو له في الحقيقة والحال أنه لايبقى لكم شيء منها بل يبقى كله لله تعالى فانكم ستموتون فتورثون أي وذلك لان المال لابد من خروجه عن اليد امابالموت واما بالانفاق في طاعة الله فان خرج عن اليد بغير الانفاق في طاعة الله استعقبه اللعن والعقاب وان خرج عنها بالانفاق في مرضاة الله استعقبه المدح والثواب (لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي لايستوي منكم يامعشر المؤمنين عندالله في الفضل من أنفق من قبل فتح مكة وقاتل أعداء الله ومن أنفق وقاتل من بعد فتح مكة وقوة الاسلام وقرئ قبل الفتح بغير من (أولئك) أي المنعوتون بذينك النعتين الجليلين (أعظم درجة) وأرفع منزلة عندالله (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه أول من آمن وأنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا شديدا أشرف به على الهلاك قال عمر كنت قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال مالي أرى أبا بكر عليه عباءة خللها في صدره بخلال فقال أنفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله عزوجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربي اني عن ربي راض (وكلا وعدالله الحسنى) أي وكل واحد من الفريقين وعدالله المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أي وكل وعده الله الحسنى (والله بما تعملون خبير) فيوصل الثواب اليكم بحسب استحقاق كل له (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) أي من ذا الذي ينفق ماله في طاعته تعالى بالصدق من قلبه رجاء أن يعوضه وقال بعض العلماء لا يكون القرض حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة الاول أن يكون القرض من الحلال والثاني أن يكون من أكرم ماتملكه دون أن تنفق الرديء والثالث أن تتصدق بما تملكه وأنت تحتاج اليه بأن ترجو الحياة والرابع أن تصرف صدقتك الى الأحوج والخامس أن تكتم الصدقة ما أمكنك والسادس أن لاتتبعها منا ولا أذى والسابع أن تقصد بها وجه الله ولاترائي والثامن أن تستحقر ماتعطي وان كثر والتاسع أن يكون المعطى من أحب أموالك اليك والعاشر أن لاترى عز نفسك وذل الفقير بل ترى نفسك تحت دين الفقير وترى الفقير كأن الله تعالى أحال عليك رزقه الذي قبله منك (فيضاعفه له) أي فيعطيه الله أجره أضعافا وقرأ عاصم بالألف والنصب ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالألف والرفع وابن كثير بالتشديد في العين والرفع وابن عامر بالنصب فالرفع على العطف على يقرض أو على الاستئناف على تقدير مبتدا أي فهو يضاعفه والنصب على جواب الاستفهام بالفاء (وله أجر كريم) أي وللقرض ثواب حسن في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضعف فكيف وقد ضعف أضعافا كثيرة الى أكثر من سبعمائة نزلت هذه الآية في أبي دحداح (يوم) ظرف لقوله تعالى فيضاعفه أو للاستقرار العامل في وله أجر أي استقر له أجر يوم (ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم) وهذا النور هو ما يكون سببا للنجاة وانما قال تعالى بين أيديهم و بأيمانهم لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فاذا مروا على الصراط يسعى معهم نور الايمان والأعمال المقبولة أمامهم ونور الانفاق في جهة أيمانهم لان الانفاق يكون باليمين ومراتب الأنوار مختلفة على قدر الاعمال فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن وصنعاء ومنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من لايضيء له نوره الاموضع قدميه وأدناهم نورا من يكون نوره على ابهاميه ينطفئ مرة ويتقد أخرى وهذا القول منقول عن ابن مسعود وقتادة وغيرهما وقرأ سهل بن

في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) معناه أي شيء لكم في ترك الانفاق في طاعة الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم ثم بين فضل السابقين في الانفاق والجهاد فقال (لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح) يعني فتح مكة (وقاتل) أي وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداء الله (أولئك أعظم درجة) يعني عندالله (من الذين أنفقوا من بعد) أي من بعد الفتح (وقاتلوا وكلا) يريد من الفريقين (وعدالله الحسنى) أي الجنة وقوله (من ذا الذي يقرض الله) سبق تفسيره في سورة البقرة (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) وهو يوم القيامة (يسعى نورهم) على الصراط (بين أيديهم و بأيمانهم) وتقول لهم الملائكة

شعيب وأبو حيوة و بإيمانهم بكسر الهمزة أي و بسبب إيمانهم حصل سعي ذلك النور (بشراكم اليوم جنات) أي تقول لهم الملائكة على الصراط بشارتكم العظيمة في هذا الوقت دخولكم جنات (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) وهو حال من ضمير المخاطب المقدر (ذلك) أي ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم باسقاط كلمة هو (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) لما رأوهم يسرع بهم الى الجنة و يوم بدل من يوم ترى أو أن العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم (انظرونا) أي انظروا الينا أي لأنهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور أمامهم فيستضيئون به وقرأ حمزة أنظرونا بقطع الهمزة وكسر الظاء أي انتظرونا لنلحق بكم (نقتبس من نوركم) أي نستضيء بنوركم (قيل) أي قال لهم المؤمنون قول تنديم وتوبيخ (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) أي ارجعوا الى الموقف حيث أعطينا النور فاطلبوا نورا هنالك وقيل ارجعوا الى دار الدنيا فالتمسوا هذه الأنوار هنالك وقال أبو مسلم المراد من قول المؤمنين ارجعوا المنع للمنافقين عن الاستضاءة لا الأمر لهم بالرجوع أي تنحوا عنا فلا سبيل لكم الى وجدان هذا المطلوب ألبتة فيرجعون في طلب النور (فضرب بينهم) أي بني بين الفريقين (بسور) الباء زائدة أي حائط بين الجنة والنار كما قاله قتادة أو حجاب كما في سورة الاعراف كما قاله مجاهد وقال من قال ارجعوا الى دار الدنيا والمراد من ضرب السور هو امتناع العود الى الدنيا (له باب باطنه فيه الرحمة) أي لذلك السور باب فباطن ذلك السور الجنة التي فيها المؤمنون (وظاهره من قبله العذاب) أي وخارج السور من جهته النار فالمؤمنون يدخلون الجنة من باب ذلك السور والكافرون يبقون في العذاب (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور (ألم نكن معكم) في الدنيا على الغزوات والعبادات (قالوا بلى) أي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموها بكفر السر واستعملتموها في المعاصي والشهوات (وتربصتم) أي أخرتم أنفسكم عن التوبة من النفاق وانتظرتم موت رسول الله وحوادث السوء على المؤمنين (وارتبتم) أي شككتم في نبوة محمد وفي البعث وفي وعيد الله (وغرتكم الأماني) أي الأباطيل وهي ما كانوا يتمنون من نزول الحوادث بالمؤمنين ومن انتكاس أمر الاسلام (حتى جاء أمر الله) أي حتى جاءكم وعد الله بالموت على غير التوبة من النفاق أي حتى أماتكم الله وألقاكم في النار (وغركم بالله الغرور) بفتح الغين أي الشيطان لالقائه اليكم أن لا خوف عليكم من محاسبة ومجازاة وقرأ سماك ابن حرب بضم الغين والمعنى وغركم عن طاعة الله سلامتكم من أباطيل الدنيا مع الاغترار بأمتعة الدنيا (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) أي فاليوم لا يقبل منكم يا معشر المنافقين فداء ولا من الذين أظهروا الكفر وقرأ ابن عامر تؤخذ بالتأنيث (مأواكم النار) أي منزلكم النار (هي مولاكم) أي هي موضعكم الذي تصلون اليه (و بئس المصير) أي بئس المرجع هذه النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم بتخفيف الزاي والمعنى ألم يجئ وقت أن تخشع قلوب المؤمنين لذكرهم الله وما نزل من القرآن و ينقادوا لأوامره ونواهيه انقيادا تاما وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بتشديد الزاي أي ولما نزله الله من القرآن وعن أبي عمرو نزل مبنيا للمفعول وقرأ الحسن البصري ألم يئن بكسر الهمزة وسكون النون وقرأ

الحسن

(بشراكم اليوم جنات) الآية (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أي انتظرونا وقفوا لنا (نقتبس من نوركم) أي نستضيء بنوركم (قيل) لهم (ارجعوا وراءكم) أي من حيث جئتم (فالتمسوا نورا) فلا نور لكم عندنا (فضرب بينهم) أي بين المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حاجز بين الجنة والنار وقيل هو سور الاعراف (له باب) أي في ذلك السور باب (باطنه فيه الرحمة) لان ذلك الباب يفضي الى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) يعني في الدنيا نناكحكم ونوازركم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) يريد آثمتموها بالنفاق (وتربصتم) بمحمد الموت (وارتبتم) أي شككتم في الايمان (وغرتكم الأماني) أي ما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) الموت (وغركم بالله) أي بحلمه عنكم وامهاله لكم (الغرور) يعني الشيطان (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) بدل (ولا من الذين كفروا) وهم المشركون (مأواكم) أي منزلكم (النار هي مولاكم) أي أولى بكم (و بئس المصير) هي (ألم يأن) أي ألم يحن (للذين آمنوا أن تخشع) أي ترق وتلين (قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) أي وهو القرآن وهذا حث من الله تعالى لقوم من الموحدين على الرقة والخشوع

الحسن ألما يأن وعن الأعمش قال ان الصحابة لما قدموا المدينة أصابوا لينا فى العيش ورفاهية ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) أى هذا اما معطوف على تخشع فلا نافية أى وألم يأن وقت أن لا يكونوا كاليهود والنصارى من قبل ما نزل اليكم والمراد نهى المؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم و بين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم واما جزم بلا الناهية و يدل على هذا الوجه قراءة من قرأ بالتاء على سبيل الالتفات (فطال عليهم الامد) أى طالت المدة بينهم و بين أنبيائهم وقيل أى طالت أعمارهم فى الغفلة وقيل طال عليهم الزمان بطول الامل وقال ابن عباس أى مالوا الى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله وروى عن ابن كثير الامد بتشديد الدال أى الوقت الاطول فزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم من الكتابين (فقست قلوبهم) للمواعظ بسبب الطول (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين من أجل فرط قسوتهم وهذا اشارة الى أن عدم الخشوع فى أول الامر يفضى الى الفسق فى آخر الامر (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها) أى ان الله يلين القلوب بالخشوع الناشىء عن الذكر وتلاوة القرآن بعد قساوتها كما يحيي الله الارض بالغيث بعد يبوستها كذلك يحيي الله الموتى من القبور بالمطر (وقد بينا لكم الآيات) الدالة على قدرتنا على احياء الموتى (لعلكم تعقلون) أى لكى تكمل عقولكم فتصدقوا بالبعث بعد الموت (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم) وقرأ ابن كثير وعاصم فى رواية أبى بكر بتخفيف الصاد من التصديق أى ان الذين آمنوا من الرجال والنساء وتصدقوا صدقة واجبة أو تطوعا عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم الى ألف الى ماشاء الله من الاضعاف وقرأ الباقون وحفص عن عاصم بتشديد الصاد من التصدق وقرأ أبى ان المتصدقين والمتصدقات والمعنى ان الذين أعطوا الصدقة من الرجال والنساء وعملوا الصالحات الخ لان اقراض الله من الاعمال الصالحة وهو تقديم الحسنات وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعف لهم بتشديد العين والجار والمجرور نائب الفاعل (ولهم أجر كريم) أى ثواب حسن فى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) وهم الذين آمنوا بالرسل حين أتوهم ولم يكذبوهم ساعة قط مثل آل ياسين ومؤمن آل فرعون وأما فى أمة محمد فهم ثمانية سبقوا أهل الارض فى زمانهم الى الاسلام أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نيته كما قاله الضحاك ومقاتل و يقال الصديق هو الذى يحمل الامر على الاشق ولا ينزل الى الرخص ولا يميل الى التأويلات (والشهداء) وهذا اما معطوف على ما قبله و يجوز الوقف هنا وهم عدول الآخرة الذين تقبل شهادتهم وقال الضحاك هم التسعة الذين سميناهم رضى الله عنهم وقال مقاتل ومحمد بن جرير هم الذين استشهدوا فى سبيل الله وقال الفراء والزجاج هم الأنبياء فأولئك مبتدأ ثان وهم مبتدأ ثالث والصديقون خبرهم وهو مع خبره خبر الثانى وهو مع خبره خبر للأول أى أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء بعلو الرتبة ورفعة المحل واما مبتدأ وخبره اما (عند ربهم) واما (لهم أجرهم ونورهم) وعلى هذا فالوقف على الصديقون تام والاظهر أن جملة لهم أجرهم من مبتدأ وخبر محلها رفع على أنه خبر ثان للموصول والضمير الأول للموصول والاخيران الصديقين والشهداء وهذه الجملة بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال أى للذين آمنوا مثل أجر الصديقين والشهداء ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال فالمماثلة بين تمام ما للأول من الاصل والاضعاف و بين ما للآخرين من الاصل بدون الاضعاف وقد حذف

(ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) يعنى اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) أى الزمان بينهم و بين أنبيائهم (فقست قلوبهم) أى لم تلن لذكر الله فنسوا ما عهد الله اليهم فى كتابهم (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات) معناه أن احياء الارض بعد موتها دليل على توحيد الله عز وجل وقدرته (ان المصدقين والمصدقات) يعنى الذين يتصدقون وينفقون أموالهم فى سبيل الله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أى بالنفقة فى سبيله (يضاعف لهم) يعنى ما عملوا (ولهم أجر كريم) وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) أى المبالغون فى الصدق (والشهداء عند ربهم) يعنى الأنبياء (لهم أجرهم ونورهم) يريد فى ظلمة القبر وقيل هم جميع المؤمنين

اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة و بلوغها حد الاتحاد ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين أتبعه بذكر حال الكافرين فقال (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفة القبيحة (أصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها أبدا ولما ذكر الله تعالى أحوال المؤمنين والكافرين ذكر مايدل على حقارة الدنيا وكمال حال الآخرة (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) وهو فعل الصبيان الذين يتعبون أنفسهم جدا ثم ان تلك المتاعب تنقضي من غير فائدة (ولهو) وهو فعل الشبان فبعد انقضائه لايبقى الا التحزن لان العاقل يرى المال ذاهبا والعمر ذاهبا (وزينة) وهو دأب النسوان لان المطلوب من الزينة تحسين القبيح وتكميل الناقص (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران يفتخر بعضهم على بعض بالنسب أو بالقوة أو بالقدرة أو بالعساكر وكلها ذاهبة (وتكاثر) أى مغالبة في الكثرة (في الأموال والأولاد) فالحياة الدنيا غير مذمومة وأما المذموم من صرف هذه الحياة الى طاعة الشيطان ومتابعة الهوى لا الى طاعة الله تعالى والمعنى اعلموا أن شغل البال بالحياة الدنيا دائر بين هذه الامور الخمسة (كمثل غيث) أى صفة الدنيا في اعجابها كصفة مطر (أعجب الكفار نباته) أى أعجب الزراع النبات الحاصل بالمطر وسمي الزارع كافرا لانه يغطي البذر بتراب الارض (ثم يهيج) أى يجف النبات (فتراه مصفرا) بعد ما رأيته ناضرا وقرئ مصفارا (ثم يكون حطاما) أى ثم يصير النبات متكسرا (وفي الآخرة عذاب شديد) لمن كانت حياته بهذه الصفة (ومغفرة من الله ورضوان) لأوليائه وأهل طاعته والرضوان أعظم درجات الثواب (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) لمن أقبل عليها وأعرض بها عن طلب الآخرة قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان ألهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة (سابقوا الى مغفرة من ربكم) أى سارعوا الى سائر ما كلفتم به فان المسارعة الى ذلك تؤدي الى مغفرة (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أى لو جعلت السموات السبع والأرضون السبع وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في عرض جميعها (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) أى هيئت الجنة للمؤمنين من جميع الأمم (ذلك) الموعود به من المغفرة والجنة (فضل الله) أى عطاؤه (يؤتيه من يشاء) ايتاءه اياه (والله ذو الفضل العظيم) وهذا تنبيه على عظم حال الجنة (ما أصاب من مصيبة في الارض) هي قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلاء الأسعار وتتابع الجوع (ولا في أنفسكم) وهي الامراض والفقر وذهاب الاولاد واقامة الحدود على الانفس (الا في كتاب) أى مكتوب في اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى أن نخلق هذه المصائب والانفس والارض (ان ذلك) أى ان اثبات كل ذلك مع كثرته في الكتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) أى أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا حزنا زائدا على ما في أصل الجبلة على ما فاتكم من نعم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) أى بما أعطاكم الله تعالى منها فان من علم أن الكل مقدر لايعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرأ أبو عمرو أتاكم بقصر الهمزة أى بما جاءكم من الله وقرئ بما أوتيتم والمراد نفي الحزن المانع عن التسليم لامر الله تعالى ونفي الفرح الموجب للبطر والاختيال (والله لا يحب كل مختال فخور) أى كل متكبر بما أوتي فخور به عند الناس نظرا الى ما في يده من الدنيا (الذين يبخلون) بأداء حق الله تعالى (و يأمرون الناس بالبخل) وذلك نتيجة فرحهم عند اصابة النعم والموصول صفة لكل مختال فخور وقيل هو مستأنف لا تعلق بما قبله وهو مبتدأ خبره محذوف وهو بيان لصفة

يفتخر بها بعضكم على بعض (وتكاثر في الأموال والأولاد) مباهاة بكثرتهما ثم ضرب لها مثلا فقال (كمثل غيث أعجب الكفار) يعني الزراع (نباته) أى ما أنبته ذلك الغيث (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه مصفرا) يعني بعد يبسه (ثم يكون حطاما) أى هشيما متفتتا كذلك الانسان يهرم ثم يموت ويبلى (وفي الآخرة عذاب شديد) يريد للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) أى لأوليائه (سابقوا الى مغفرة) من ربكم تفسيرها في سورة آل عمران عند قوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم الآية (ما أصاب من مصيبة في الأرض) بالجدب (ولا في أنفسكم) أى بالمرض والموت والخسران (الا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) من القحط أى نخلق تلك المصيبة (ان ذلك على الله يسير) أى يعني خلقها في وقتها بعد أن كتبها في اللوح المحفوظ (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) أى أعطاكم منها يعني لكيلا تحزنوا حزنا يطغيكم ولا تبطروا بالفرح بعد أن علمتم أن ما يصيبكم من خير وشر فمكتوب لا يخطئكم (والله لا يحب كل مختال) أى متكبر بما أوتي من الدنيا (فخور) أى فخور به على الناس (الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل) سبق اليهود

اليهود والمعنى الذين يبخلون ببيان صفة النبي التي في كتبهم لئلا يؤمن بها الناس فتذهب مآكلهم ويأمرون الناس بالبخل بها لهم تهديد شديد (ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) أي ومن يعرض عن الانفاق فإن الله غني عنه فلا يعود عليه ضرر ببخل البخيل حميد في ذلك الاعطاء مستحق للحمد حيث فتح أبواب نعمته وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني بحذف لفظ هو (لقد أرسلنا رسلنا) أي الأنبياء الى الأمم (بالبينات) أي الدلائل القاهرة والمعجزات الظاهرة (وأنزلنا معهم الكتاب) أي أنزلنا اليهم الكتاب وهو الذي يتوسل به الى فعل ماينبغي من الأفعال النفسانية لأن به يتميز الحق من الباطل والحجة من الشبهة (والميزان) هو الذي يتوسل به الى فعل ماينبغي من الأفعال البدنية وهو الذي يتميز به العدل عن الظلم والزائد عن الناقص (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعاملوا فيما بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أي قوة شديدة وهو زاجر للخلق عما لاينبغي والحاصل أن الكتاب اشارة الى القوة النظرية والميزان اشارة الى القوة العملية والحديد اشارة الى دفع مالاينبغي (ومنافع للناس) أي لأمتعتهم مثل السكاكين والفاس والمبرد وغير ذلك ومامن صنعة الا والحديد آلتها (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) أي وليعلم الله من ينصر دينه ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين حال كونه تعالى غائبا عنهم أي ينصرونه تعالى ولا يبصرونه (ان الله قوي) على الأمور قادر على اهلاك جميع أعدائه (عزيز) أي لايمانع ولايفتقر الى نصرة أحد بل وانما ليصلوا بامتثال الأمر في الجهاد الى الثواب (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) فما جاء بعدهما أحد بالنبوة الا وكان من أولادهما وكانت الكتب الأربعة في ذرية ابراهيم وهو من ذرية نوح فانه الاب الثاني لجميع البشر (فمنهم) أي الذرية (مهتد) الى الحق (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن الطريق المستقيم (ثم قفينا على آثارهم) أي نوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم (برسلنا) أي أرسلنا بعضهم بعد بعض الى أن انتهى الى أيام عيسى عليه السلام (وقفينا بعيسى بن مريم) أي جعلناه متأخرا عنهم في الزمان (وآتيناه الانجيل) أي أعطيناه الانجيل وقرأ الحسن بفتح همزة انجيل تنبيها على كونه أعجميا وأنه لايلزم فيه مراعاة أبنية العرب (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) على دينه (رأفة) أي لينا (ورحمة) أي شفقة أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم وقرئ رآفة على وزن فعالة (ورهبانية) وقرئ بضم الراء (ابتدعوها) أي أحدثوها من عند أنفسهم ونذروها أي وفقناهم لاستحداث الرهبانية لينجوا من فتنة بولس اليهودي وروى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال ياابن مسعود أما علمت أن بني اسرائيل تفرقوا سبعين فرقة كلها في النار الا ثلاث فرق فرقة آمنت بعيسى عليه السلام وقاتلوا أعداء الله في نصرته حتى قتلوا وفرقة لم يكن لها طاقة بالقتال فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفرقة لم يكن لها طاقة بالأمرين فلبسوا العباء وخرجوا الى القفار والفيافي (ماكتبناها عليهم) أي لم نفرض الرهبانية عليهم وهذه الجملة صفة ثانية لرهبانية (الا ابتغاء رضوان الله) أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) أي فما حفظوا الرهبانية حق حفظها لأنهم أتوها لطلب الدنيا والرياء والسمعة (فآتينا الذين آمنوا) بمحمد (منهم) أي الرهبان (أجرهم) وهم الذين لم يخالفوا دين عيسى بن مريم وهم أربعة وعشرون رجلا في أهل اليمن جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ودخلوا في دينه أي لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق من الرهبان الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالدلالات الواضحة (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) أي بالعدل (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعامل الناس بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد) وذلك أن آدم نزل الى الارض بالعلاة يعني السندان والمطرقة وآلة الحدادين (فيه بأس شديد) أي قوة وشدة يمتنع بها ويحارب (ومنافع للناس) يعني يستعملونه في أدواتهم أي أرسلنا الرسل ومعهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق وقوله (وليعلم الله من ينصره) أي وليرى الله من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أي في الدنيا وقوله (ورهبانية ابتدعوها) أي ابتدعوا من قبل أنفسهم رهبانية يعني الترهب في الصوامع (ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله) أي ما أمرناهم بها لكنهم ابتغوا بتلك الرهبانية رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) أي قصروا في تلك الرهبانية حتى لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (فآتينا الذين آمنوا منهم) بالنبي صلى الله عليه وسلم (أجرهم

وكثير منهم فاسقون) وهم الذين لم يؤمنوا (يأيها الذين آمنوا) بالتوراة والانجيل (اتقوا الله وآمنوا برسوله) بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) أي نصيبين (من رحمته) نصيبا بايمانكم بالأولين ونصيبا بايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه (ويجعل لكم نورا تمشون به) في الآخرة على الصراط (ويغفر لكم) وعدهم الله هذه الأشياء كلها على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم قال (لئلا يعلم) أي ليعلم ولا زائد (أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (أن لا يقدرون على شيء من فضل الله) يريد أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله يعني ان لم يؤمنوا لم يؤتهم الله شيئا مما ذكر (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

﴿تفسير سورة المجادلة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله قول التي) الآية نزلت بسبب خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس ابن الصامت ظاهر منها وذلك أول ظهار في الاسلام وكان الظهار من طلاق الجاهلية فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أن زوجها ظاهر منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وصبية صغارا وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قال لها حرمت عليه هتفت وشكت الى الله وقوله (والله يسمع تحاوركما) أي مخاطبتكما ومراجعتكما الكلام ثم ذم الظهار فقال

بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه (وكثير منهم) أي من الرهبان (فاسقون) أي تاركون تلك الطريقة ظاهرا وباطنا وهم الذين خالفوا دين عيسى فقال الله تعالى في حق قوم عيسى (يأيها الذين آمنوا) بعيسى وبالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) أي نصيبين (من رحمته) لايمانكم أولا بعيسى عليه السلام وثانيا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) على الصراط وبين الناس (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصي (والله غفور رحيم) أي مبالغ في المغفرة والرحمة (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) لأنه قادر مختار يفعل بحسب الاختيار ولا زائدة كما يدل عليه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم وقوله تعالى وأن الفضل عطف على أن لا يقدرون والمعنى انما بالغنا في هذا البيان وأطنبنا في الوعد والوعيد ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بقوم معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة في قوم مخصوصين وأن الفضل في تصرف الله تعالى يعطيه من يشاء ولا اعتراض عليه في ذلك أصلا والمقصود من هذه الآية أن يزيل الله عن قلوب بني اسرائيل اعتقادهم بأن النبوة مختصة بهم وغير حاصلة الا في قومهم وقيل ان لفظة لا غير زائدة والضمير في قوله تعالى أن لا يقدرون عائد الى الرسول وأصحابه وقوله تعالى وأن الفضل الخ عطف على أن لا يعلم والمعنى أنا فعلنا ذلك لئلا يعتقد أهل الكتاب وهم بنو اسرائيل أنه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو سعادة الدارين وليعتقدوا أن الفضل في ملكه تعالى على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فانهم اذا لم يعلموا أنهم لا يقدرون عليه فقد علموا أنهم يقدرون عليه (والله ذو الفضل العظيم) فان العظيم لا بد وأن يكون احسانه عظيما

﴿ سورة المجادلة مدنية ثنتان وعشرون آية. وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة. وألف وسبعمائة ﴾
﴿ واثنان وسبعون حرفا. وهذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد السور فهي ﴾
﴿ الثامنة والخمسون منها وأول العشر الاخير من القرآن باعتبار عدد أجزائه ﴾
﴿ وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا ﴾
﴿ وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) أي قد أجاب الله دعاء المرأة التي تخاصمك أيها النبي في شأن زوجها وتلك المجادلة أنه صلى الله عليه وسلم كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا بأن أنزل الله حكم الظهار على ما يوافق مطلوبها (وتشتكي الى الله) بأن قالت رافعة رأسها الى السماء أشكو الى الله فاقتي ووجدي وقالت ان لي صبية صغارا (والله يسمع تحاوركما) أي مراجعتكما في الكلام (ان الله سميع بصير) أي يسمع كلام من يناديه ويبصر من يتضرع اليه روي أن خولة بنت ثعلبة بن مالك ابن الدخشم الانصارية كانت تحت أوس بن الصامت الانصاري رآها زوجها وهي ساجدة في الصلاة وكانت حسنة الجسم فنظر الى عجيزتها فأعجبه أمرها فلما سلمت من الصلاة طلب وقاعها فأبت فغضب عليها وكان به لمم أي توقان الى النساء وقيل مس من الجن فأراد أن يأتيها على حال لا تؤتى عليها النساء

فأبت

فأبت عليه فغضب وقال ان خرجت من البيت قبل أن أفعل بك فأنت علي كظهر أمي ثم ندم على ماقال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فأتت رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله ان أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما كبر سني وكثر ولدي جعلني كأمه وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله والله ماذكر طلاقا وانه أبو ولدي وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووجدي وكلما قال رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وشكت الى الله وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني أشكو اليك فأنزل على لسان نبيك فرجي فبينما هي كذلك اذ تربد وجه رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ثم انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى زوجها وقال ماحملك على ماصنعت فقال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرأ عليه الأربع آيات وقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله لولا أني آكل في اليوم مرة أو مرتين لكل بصري ولظننت أني أموت فقال له هل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا فقال لا والله يارسول الله الا أن تعينني منك بصدقة فأعانه رسول الله بخمسة عشر صاعا وأخرج أوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم) أي الذين يحرمون نساءهم على أنفسهم كتحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم ليست نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب يظهرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وألف وقرأ أبو العالية وعاصم وحسين يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وألف وكسر الهاء وفي قراءة أبي يتظاهرون وقرأ عاصم في رواية المفضل أمهاتهم بالرفع وقرئ بأمهاتهم وجملة ماهن أمهاتهم خبر للمبتدأ الذي هو الموصول (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) أي ماأمهاتهم في الحرمة الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبي ﷺ (وانهم) أي المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) عند الشرع وعند العقل والطبع (وزورا) أي كذبا والظهار حرام اتفاقا (وان الله لعفو غفور) اما من غير التوبة لمن شاء أو بعد التوبة اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا القول المنكر (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اما بالسكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلقها فيه كما قاله الشافعي واما باستباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة كما قاله أبو حنيفة واما بالعزم على جماعها كما قاله مالك (فتحرير رقبة) أي فالواجب اعتاق رقبة مؤمنة فلا تجزئ كافرة عند الشافعي وقال أبو حنيفة تجزئ أي رقبة كانت سواء كانت مؤمنة أو كافرة (من قبل أن يتماسا) أي أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بشيء من جهات الاستمتاعات فلا يباشر المظاهر امرأته ولا يتلذذ منها بشيء حتى يكفر فان وطئها قبل أن يكفر استغفر الله وأمسك عنها حتى يكفر كفارة واحدة (ذلكم) أي التغليظ في الكفارة (توعظون به) أي تزجرون به عن اتيان ذلك المنكر كي تتركوه ولا تعاودوه (والله بما تعملون خبير) أي من التكفير وتركه (فمن لم يجد) أي رقبة (فصيام شهرين) أي فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا) بجميع ضروب المسيس من لمس بيد وغيرها (فمن لم يستطع) أي الصيام (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين مد من طعام بلده الذي يقتات منه حنطة أو شعيرا أو أرزا أو تمرا بمد النبي ﷺ ولا يعتبر مد حدث بعده وقال أبو حنيفة لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع واحد من تمر أو شعير ولا يجزئه

(الذين يظهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم) أي مااللاتي يجعلن من الزوجات كالأمهات بأمهات (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) أي ماأمهاتهم الا الوالدات (وانهم ليقولون) بلفظ الظهار (منكرا من القول) يعني مالا يعرف صحته (وزورا) أي كذبا فان المرأة لاتكون كالأم (وان الله لعفو غفور) عفا وغفر للمظاهر بجعل الكفارة عليه ثم ذكر حكم الظهار فقال (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) الآية في هذه الآية تقديم وتأخير تقديرها والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون أي على المظاهر عتق رقبة لقوله لامرأته أنت علي كظهر أمي ثم يعود الى استباحة الوطء ولا تحل له قبل الكفارة وهو قوله (من قبل أن يتماسا) أي يجامعا (ذلكم توعظون به) أي ذلك التغليظ في الكفارة وعظ لكم كي تنزجروا به عن الظهار فلا تظاهروا (فمن لم يجد) الرقبة لفقره (فصيام شهرين متتابعين) لو أفطر فيما بين ذلك بطل التتابع ويجب عليه الاستئناف (فمن لم يستطع) ذلك لمرض أو لخوف مشقة عظيمة (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين مد من غالب القوت

دون ذلك (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أي ذلك البيان للأحكام لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه ولا تستمروا على أحكام الجاهلية من جعل الظهار أقوى أنواع الطلاق (وتلك) أي هذه الأحكام المذكورة (حدود الله) التي لا يجوز مجاوزتها (وللكافرين) أي لمن جحد هذه الأحكام وكذب بها (عذاب أليم) فإن عجز عن جميع خصال الكفارة لم تسقط عنه بل هي باقية في ذمته إلى أن يقدر على شيء منها ولا ينبغي للمرأة أن تدعه يقربها حتى يكفر فإن تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها وأجبره على التكفير وإن كان الاجبار بالضرب ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار وحدها لأن ترك التكفير اضرار بالمرأة وامتناع من ايفاء حقها (إن الذين يحادون الله ورسوله) أي يعادونهما وذلك بالمحاربة مع أولياء الله أو بالصد عن دين الله وتكذيبه (كبتوا) أي أذلوا (كما كبت الذين من قبلهم) أي كما أخزى كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم الصلاة والسلام (وقد أنزلنا آيات بينات) أي والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات في شأن من خالف الله ورسوله ممن قبلهم من الامم من اهلاكهم (وللكافرين) بتلك الآيات (عذاب مهين) أي يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم الله جميعا) أي مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم الذي يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رءوس الاشهاد (أحصاه الله) أي أحاط الله بجميع أحوال تلك الأعمال من الكمية والكيفية والزمان والمكان (ونسوه) أي والحال أنهم قد نسوا أعمالهم لأنهم تهاونوا بها حيث فعلوها ولم يبالوا بها لجراءتهم على المعاصي (والله على كل شيء شهيد) لا يغيب عنه أمر من الأمور قط (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) أي ألم تعلم علما يقينيا أنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) أي ما يوجد من متناجين ثلاثة إلا الله رابعهم ولا متناجين خمسة إلا الله سادسهم (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) أي من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض قال ابن عباس نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم هل يعلم الله ما نقول وقال الثاني يعلم البعض دون البعض وقال الثالث إن كان يعلم البعض فيعلم الكل وفي مصحف عبد الله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا أخذوا في التناجي أي فالله تعالى عالم بكلامهم وضميرهم وسرهم وعلنهم فكأنه تعالى حاضر معهم ومشاهدهم قرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون وقرأ الحسن والأعمش وابن أبي اسحاق وأبو حيوة ويعقوب ولا أكثر بالرفع إما معطوف على محل نجوى أو هو مبتدأ لعطفه على مبتدأ وهو أدنى وجملة إلا هو معهم خبره وقرئ ولا أكبر بالباء المنقوطة من تحت (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) أي يحاسب على ذلك ويجازي على قدر الاستحقاق وقرأ بعضهم ينبئهم بسكون النون (إن الله بكل شيء عليم) وهذا تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات (ألم تر) أي ألم تنظر يا أشرف الخلق (إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم) أي بما هو اثم في نفسه كالكذب (والعدوان) للمؤمنين (ومعصيت الرسول) أي مخالفته نزلت في اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يحزنهم فلما أكثروا ذلك شكا المؤمنون ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى

(ذلك) أي الفرض ذلك الذي وصفنا (لتؤمنوا بالله ورسوله) أي لتصدقوا ما أتى به الرسول وتصدقوا أن الله أمر به (وتلك حدود الله) يعني ما وصف في الظهار والكفارة (وللكافرين) أي لمن لا يصدق بها (عذاب أليم إن الذين يحادون الله) أي يخالفون الله (ورسوله كبتوا) أي أذلوا وأخزوا (كما كبت الذين من قبلهم) ممن خالف الله ورسوله (وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين) بها (عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا) أي يخبرهم بذلك ليعلموا وجوب الحجة عليهم (أحصاه الله) أي علمه الله وأحاط بعدده (ونسوه) هم وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة) أي من مناجاة ثلاثة وإن شئت قلت من متناجين ثلاثة (إلا هو رابعهم) أي بالعلم يسمع نجواهم وقوله (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم ريبة وتهمة ويظنوا أن ذلك لشيء مما يهمهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنهاهم عن ذلك فعادوا لما نهوا عنه فأنزل الله تعالى ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى (ثم يعودون لما) أي إلى ما (نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) أي يوصي بعضهم بعضا سرا بالظلم والاثم وترك طاعة الرسول

مناجاتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ حمزة وحده ويتنجون أي ويخص اليهود والمنافقين بمناجاتهم وقرئ والعدوان بكسر العين وقرئ ومعصيات الرسول (واذاجاءوك) يا أشرف الخلق (حيوك بما لم يحيك به الله) أي انهم كانوا يجيئون الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون في تحيتهم اياك السام عليك يا محمد وهم يوهمون أنهم يقولون السلام عليك فيرد النبي عليهم وعليكم والسام بلغتهم الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويأيها الرسول ويأيها النبي (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي ويقولون فيما بينهم اذا خرجوا من عند رسول الله ان محمدا لو كان رسولا فلم لا يعذبنا الله بما نقول لنبيه على هذا الاستخفاف وقيل انهم قالوا ان محمدا يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا كما يزعم لكان دعاؤه علينا مستجابا ولمتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا أهل الكتاب يعلمون أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يغضبون فلا يعاجل من يغضبهم بالعذاب فأنزل الله فيهم (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) أي يدخلونها (فبئس المصير) جهنم أي ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة فاذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب في الدنيا فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم في الردع عما هم عليه (يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم) فيما بينكم (فلا تتناجوا بالاثم) وهو ما يقبح (والعدوان) وهو ما يؤدي الى ظلم الغير (ومعصيت الرسول) وهو ما يكون خلافا عليه وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التاءين (وتناجوا بالبر) وهو الذي يضاد العدوان (والتقوى) وهو ما يتقى به من النار من فعل الطاعات وترك المعاصي (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) أي اتقوا الله في أن تتناجوا دون المؤمنين الذي تجمعون بقهر اليه تعالى يوم القيامة أي الى مكان المحاسبة والمجازاة (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) أي انما النجوى السابقة وهي نجوى المنافقين مع اليهود معتدة من الشيطان أي ان الشيطان يأمرهم بأن يقدموا على تلك النجوى التي هي سبب لحزن المؤمنين وذلك لان المؤمنين اذا رأوهم متناجين قالوا ما نراهم الا وقد بلغهم عن أقربائنا واخواننا الذين خرجوا الى الغزوات أنهم قتلوا وهزموا ويقع ذلك في قلوبهم ويحزنون له وقرأ نافع ليحزن بضم الياء وكسر الزاي فحينئذ ففاعله ضمير يعود على الشيطان أي ليحزن الشيطان المؤمنين بتوهمهم أن النجوى في نكبة أصابتهم (وليس بضارهم شيئا الا باذن الله) أي وليس مناجاة المنافقين بضارة المؤمنين شيئا من الضرر الا بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فان من توكل عليه لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه (يأيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) أي اذا قيل لكم ليتوسع بعضكم عن بعض فتوسعوا (يفسح الله لكم) في كل ما تريدون التوسع فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة وهذه الآية تدل على أن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة والمراد من هذا التوسيع ايصال الخير الى المسلم وادخال السرور في قلبه وقرأ الحسن وداود بن أبي هند تفاسحوا وقرأ عاصم في المجالس بصيغة الجمع لان لكل جالس موضع جلوس على حدة والباقون في المجلس بالتوحيد على أن المراد به الجنس وقرئ في المجلس بفتح اللام قيل نزلت هذه الآية في نفر من أهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي جالسا في صفة صفية يوم الجمعة فلم يجدوا مكانا يجلسون فيه فقاموا على رأس المجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن لم يكن من أهل بدر يا فلان قم ويا فلان قم من مكانك ليجلس فيه من كان من أهل بدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين

وذلك انهم قالوا لو كان نبيا لعذبنا بهذا قال الله تعالى (حسبهم جهنم) الآية ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك فقال (يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم) الآية وقوله (انما النجوى من الشيطان) أي النجوى بالاثم والعدوان مما زين لهم الشيطان (ليحزن الذين آمنوا وليس) الشيطان (بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي اليه فليكلوا أمورهم (يأيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) أي توسعوا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فافسحوا أي وسعوا المجلس يفسح الله لكم أي يوسعه عليكم نزلت في قوم كانوا يبكرون الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذون مجالسهم بالقرب منه فاذا دخل غيرهم ضنوا بمجالسهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يكرم أهل بدر فدخلوا يوما وقاموا بين يديه فلم يجدوا عنده مجلسا ولم يقم لهم أحد من هؤلاء الذين أخذوا مجالسهم وكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يوسعوا في المجلس لمن أراد النبي صلى الله عليه وسلم

والأنصار فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية لمن أقامه من المجلس فأنزل الله فيهم هذه الآية يوم الجمعة وروى عن ابن عباس أنه قال نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب منه صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام وذكر للرسول محبة القرب منه ليسمع منه وان فلانا لم يفسح له فأمر القوم بأن يوسعوا ولا يقوم أحد لأحد فنزلت هذه الآية * مسئلة اذا أمر انسان انسانا أن يبكر الى الجامع فيأخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فاذا جاء الآمر يقوم من الموضع أما اذا أرسل سجادة لتفرش له في المسجد حتى يحضر هو فيجلس عليها فذلك حرام لما فيه من تحجير المسجد بلا فائدة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي واذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقوموا الى الموضع الذي تؤمرون به وقرئ انشزوا بكسر الشين و بضمها (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أي يرفع الله المؤمنين منكم أيها المأمورون بالتفسح والعالمين منهم خاصة درجات بامتثال أوامره تعالى وأوامر رسوله والموصول الثاني معطوف على الموصول الاول اما من عطف الخاص على العام أو من عطف الصفات ودرجات مفعول ثان كأنه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء درجات وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين أوتوا بفعل مضمر أي ويخص الذين أوتوا العلم بدرجات أو ويرفعهم الى درجات قال ابن مسعود مدح الله العلماء في هذه الآية والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم اذا فعلوا بما أمروا به (والله بما تعملون خبير) وهذا تهديد لمن لم يمتثل الأمر وقرئ يعملون بالياء التحتية (يأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) أي اذا أردتم مناجاة الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته صلى الله عليه وسلم فتصدقوا قبل المناجاة وفائدة هذا التقديم تعظيم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه وان وجده بالسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة على المناجاة وتمييز محب الآخرة عن محب الدنيا بتلك الصدقة فان المال محك الدواعي وقال أبو مسلم ان المنافقين كانوا يمتنعون من بذل الصدقات وان قوما من المنافقين تركوا النفاق وآمنوا ظاهرا وباطنا ايمانا حقيقيا فأراد الله تعالى أن يميزهم عن المنافقين فأمر بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هؤلاء الذين آمنوا ايمانا حقيقيا عمن بقي على نفاقه الأصلي وهذا التكليف كان مقدرا بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء الى الغاية المخصوصة فلا يكون هذا منسوخا وقيل نزلت هذه الآية في أهل الميسرة فان منهم من كانوا يكثرون المناجاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم دون الفقراء حتى تأذى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والفقراء فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالصدقة قبل أن يتناجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرهم على الفقراء بكل كلمة (ذلك) أي التصدق (خير لكم) في دينكم من الامساك (وأطهر) لذنوبكم ولقلوبكم من حب المال لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تتصدقون بها أهل الفقر فتكلموا مع رسول الله بما شئتم بغير التصدق (فان الله غفور رحيم) أي فان من لم يجد ما يتصدق به كان معفوا عنه (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أي أخفتم تقديم الصدقات لما يخوفكم الشيطان به من الفقر وبخلتم يا أهل الميسرة (فاذ لم تفعلوا) ما أمرتم به من اعطاء الصدقات (وتاب الله عليكم) بأن أرخص لكم في أن لا تفعلوه (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أي فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات أي اذا كنتم راجعين الى الله تعالى وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأطعتم الله ورسوله في سائر الأوامر فقد كفاكم هذا التكليف (والله خبير بما تعملون) ظاهرا

(واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي واذا قيل لكم قوموا الى صلاة أو جهاد أو عمل خير فانهضوا (يرفع الله الذين آمنوا منكم) أي بطاعة الرسول (والذين أوتوا العلم درجات) أي في الجنة (يأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم) أي امام مناجاتكم (صدقة) نزلت حين غلب أهل الجدة الفقراء على مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فأمرهم الله بالصدقة عند المناجاة ووضع ذلك عن الفقراء فقال (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) ثم نسخ الله ذلك بقوله (أأشفقتم) أي أبخلتم وخفتم بالصدقة الفقر (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) أي عاد عليكم بالتخفيف (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي المفروضة وقوله

وباطنا

و باطنا فهو محيط بأعمالكم ونياتكم (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) أى ألم تنظر ياأشرف الخلق الى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أولياء (ماهم منكم ولامنهم) أى ليس المنافقون منكم أيها المسلمون فى السر ولامن اليهود فى العلانية لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك (و يحلفون على الكذب) أى و يقولون والله انا لمسلمون أوانا لايشتمون الله و رسوله ولا يكيدون للسلمين يروى أن عبدالله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرته اذقال يدخل عليكم اليوم رجل ينظر بعينى شيطان فدخل رجل عيناه زرقاوان وهو عبدالله بن نبتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم تسبنى أنت وأصحابك فحلف بالله مافعل فانطلق وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فأنزل الله هذه الآية قيل نزلت فى شأن عبدالله بن أبى وأصحابه بولايتهم مع اليهود (وهم يعلمون) أنهم كاذبون فى حلفهم فيمينهم يمين غموس لاعذر لهم فيها (أعد الله لهم) أى للمنافقين بسبب ذلك (عذابا شديدا) أى متفاقما لاطاقة لهم به فى القبر (انهم ساء ما كانوا يعملون) فى نفاقهم فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) أى حلفهم الكاذبة (جنة) أى سترة عن دمائهم وأموالهم وقرأ الحسن ايمانهم بكسر الهمزة أى اتخذوا اظهار ايمانهم لاهل الاسلام وقاية عن ظهور نفاقهم وكيدهم للمسلمين وسترة عن أن يقتلهم المسلمون فلما أمنوا من القتل اشتغلوا بصد الناس عن الدخول فى الاسلام بالقاء الشبهات فى القلوب وتقبيح حال الاسلام وذلك قوله تعالى (فصدوا عن سبيل الله) أى صرفوا الناس فى السر عن دين الله (فلهم عذاب مهين) أى يهانون به فى الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أى لن تدفع عنهم كثرة أموالهم ولا كثرة أولادهم من عذاب الله شيئا من الدفع (أولئك أصحاب النار) أى ملاقوها (هم فيها خالدون) أى لايخرجون منها أبدا روى أن واحدا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا فنزلت هذه الآية (يوم يبعثهم الله جميعا) قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين (فيحلفون له) أى بين يدى الله ما كنا كافرين ولا منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (و يحسبون) فى الآخرة (أنهم) بتلك الأيمان الفاجرة (على شئ) من جلب منفعة أودفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) عندالله فى حلفهم أى انهم لشدة توغلهم فى النفاق ظنوا يوم القيامة أنه يمكنهم ترويج كذبهم بالأيمان الكاذبة على علام الغيوب فكأن هذا الحلف الذميم يبقى معهم أبدا (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب على أمور المنافقين الشيطان (فأنساهم ذكر الله) فلا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم (أولئك) أى المنافقون (حزب الشيطان) أى جنده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) أى المغبونون بذهاب الدنيا والآخرة (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين) أى ان الذين يخالفون الله ورسوله فى الدين أولئك فى جملة الكفار الخلص أومع الاسفلين فى النار وهم المنافقون (كتب الله) أى أثبت الله فى اللوح المحفوظ وقال (لأغلبن أنا ورسلى) محمد عليه الصلاة والسلام بالحجة والسيف على فارس والروم واليهود والمنافقين (ان الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) بنقمة أعدائه لا يغلب عليه فى مراده قال مقاتل ان المسلمين قالوا انا لنرجو أن يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبدالله بن أبى ابن سلول لهم أتظنون أن فارس والروم كبعض القرى التى غلبتموهم فيكون لكم فتح فارس والروم كلا والله انهم أكثر جمعا وعدة فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نزلت الآية فى حاطب بن أبى بلتعة رجل من أهل اليمن الذى كتب كتابا الى أهل مكة بسر النبى صلى الله عليه وسلم فانه أخبر أهل مكة بسير النبى اليهم لما أراد فتح مكة وكان هو بدريا قال الله تعالى (لاتجد)

(ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اليهم أسرار المؤمنين (ماهم منكم) أيها المؤمنون (ولا منهم) يعنى من اليهود (و يحلفون على الكذب) يريد يحلفون أنهم لايخونون المؤمنين (وهم يعلمون) انهم لكاذبون فى حلفهم (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) أى يستجنون بها من القتل وقوله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) كاذبين ما كانوا مشركين (كما يحلفون لكم) كاذبين (و يحسبون أنهم على شئ) من نفاقهم يأتونكم بوجه و يأتون الكفار بوجه و يظنون أنهم يسلمون فيما بينهم وبينكم (ألا انهم هم الكاذبون استحوذ) يعنى استولى (عليهم الشيطان) وقوله (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يخالفونهما (أولئك فى الأذلين) أى المغلوبين (كتب الله) أى قضى الله (لأغلبن أنا ورسلى) اما بالظفر والقهر واما بظهور الحجة (لاتجد

بأشرف الخلق (قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أي يناصحون من خالف الله ورسوله في الدين بارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم ولا منع فيما عدا ذلك لان الامة أجمعت على جواز مخالفتهم ومعاملتهم والمعنى لا يجتمع الايمان مع وداد أعداء الله فان من أحب أحدا امتنع أن يحب مع ذلك عدوه (ولو كانوا) أي من خالف الله ورسوله (آباءهم) أي آباء المتحابين (أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) أي جماعتهم من قوم شتى قال سعيد نزلت هذه الآية في شأن أبي عبيدة حين قتل أباه يوم بدر وعن عمر بن الخطاب قال لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته روى تطيس عن ابن عباس وروى غيره عن جماعة أن هذه الآية نزلت في جماعة من الصحابة فان أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم بدر وعمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وأبا بكر دعا ابنه للبراز يوم بدر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقعود وقال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري وروى أنه صك أباه أبا قحافة صكة أسقطت أسنانه حين سمعه يسب النبي صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير قتل أخاه أبا عزيز بن عمير يوم أحد ومحمد بن مسلمة الانصاري قتل أخاه من الرضاع كعب بن الاشرف اليهودي رأس بني النضير وعليا وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا يوم بدر بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وقد أخبر الله تعالى ان هؤلاء لم يوادوا أقاربهم وعشائرهم غضبا لله تعالى ولدينه (أولئك) أي الذين لا يوادون الكفار (كتب) أي أثبت الله (في قلوبهم الايمان) وشرح الله صدورهم بالالطاف وروى المفضل عن عاصم كتب على البناء للمفعول (وأيدهم بروح منه) أي قواهم بنور القلب من عند الله تعالى وقيل بنصر من الله على عدوهم وسمى تلك النصر روحا لان بها يحيا أمرهم كما قاله ابن عباس والحسن وقال السدي الضمير في قوله منه عائد الى الايمان والمعنى أعانهم بروح من الايمان وسمي روحا لحياة القلوب به (ويدخلهم) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أبد الآبدين (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ونعمة الرضوان هي أعظم النعم وأجل المراتب (أولئك حزب الله) أي جنده (ألا ان حزب الله هم المفلحون) أي الفائزون بسعادة الدارين الناجون من العذاب والسخط

﴿ سورة الحشر وتسمى سورة النضير مدنية أربع وعشرون آية وسبعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) نزلت هذه الآية الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير في بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا هو النبي المنعوت في التوراة بالنصر فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا ونكثوا العهد فخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة وحالفوا أبا سفيان وأصحابه أربعين رجلا عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري بقتل كعب بن الاشرف فقتله غيلة ثم صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب فبعث اليهم خفية عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وقالوا لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فحصنوا الازقة فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات

قوما يؤمنون بالله) الآية أخبر الله تعالى في هذه الآية أن المؤمن لا يوالي الكافر ولو كان أباه أو أخاه أو قريبه وذلك أن المؤمنين عادوا آباءهم الكفار وعشائرهم وأقاربهم فمدحهم الله تعالى على ذلك وقال (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) أي أثبته (وأيدهم بروح منه) أي بنور الايمان وقيل بالقرآن ثم وعدهم الادخال في الجنة فقال (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون)

﴿ تفسير سورة الحشر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم

هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير (من ديارهم) أى مساكنهم بالمدينة وذلك أنهم نقضوا العهد بينهم
و بين رسول الله ﷺ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف سيدهم فقتل غيلة وحاصر بنى النضير وصالحهم
على أن يخرجوا الى الشام فخرجوا وتركوا رباعهم وضياعهم وقوله (لأول الحشر) كانوا أول قوم حشروا
الى الشام من اليهود من جزيرة العرب وقيل انه كان أول حشر الى الشام والحشر الثانى حشر القيامة والشام أرض المحشر (ما ظننتم) أيها المؤمنون (أن يخرجوا) لعدتهم ومنعتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) وذلك أنهم كانوا أهل حلقة وحصون فظنوا أنها تحفظهم من ظهور المسلمين عليهم (فأتاهم الله) أى أمر الله (من حيث لم يحتسبوا) أى من جهة المؤمنين وما كانوا يحسبون أنهم يغلبونهم و يظهرون عليهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى ألقى فى قلوبهم الخوف بقتل سيدهم (يخربون بيوتهم بأيديهم) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم صالحهم على أن لهم ما أقلت الابل فكانوا ينظرون الى الخشبة والشىء فى منازلهم مما يستحسنونه فيقلعونه وينزعونه و يهدمون البيوت لأجله
وذلك اخرابهم بأيديهم و يخرب المؤمنون باقيها فهو قوله (وأيدى المؤمنين) وأضاف الاخراب بأيدى المؤمنين اليهم لأنهم عرضوا
منازلهم للخراب بنقض العهد (فاعتبروا) أى فاتعظوا (ياأولى الأبصار) أى يا ذوى العقول ولا تفعلوا فعل بنى النضير فينزل بكم
مثل ما نزل بهم (ولولا أن كتب الله) أى قضى الله (عليهم الجلاء) أى الخروج عن الوطن (لعذبهم فى الدنيا) أى بالسبى والقتل كما
فعل بقريظة

على بعير ماشاءوا من متاعهم وللنبى ما بقى فجلوا الى الشام الى أريحا وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) هم بنو النضير من اليهود (من ديارهم) أى مساكنهم بالمدينة (لأول الحشر) أى عند أول اخراج الجمع من مكان الى مكان وهم أول من أخرجوا من جزيرة العرب الى الشام لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك وأما آخر حشرهم فهو اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام (ماظننتم) أيها المسلمون (أن يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل لعزتهم وقوتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى من عذاب الله أى كانت حصونهم منيعة فظنوا أنها تمنعهم من رسول الله وحصونهم اما مبتدأ ومانعتهم خبر مقدم والجملة خبر أن واما فاعل لمانعتهم وهى خبر أن (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أى فأتى أمر الله اليهود باذلالهم من حيث لم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف على يد أخيه غيلة وقرئ فآتاهم الله بمد الهمزة أى فأعطاهم الله الهلاك وقيل الضمير للمؤمنين أى فآتاهم نصر الله من حيث لم يرجوا وهو اخراج بنى النضير من قرية يقال لها زهرة الى الشام وكان بين زهرة والمدينة ميلان (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى أثبت فى قلوبهم الخوف من محمد وأصحابه وكانوا قبل ذلك لايخافون (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) أى يهدمون بعض بيوتهم بأيديهم من داخل الحصون ليسدوا بالخشب والحجارة أفواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها مما يقبل النقل و يهدم المؤمنون بعض بيوت بنى النضير من خارج توسيعا لمجال القتال ونكاية لهم ومنعا لتحصنهم بها وقرأ أبو عمرو وحده يخربون بفتح الخاء وتشديد الراء وقال الاخراب ترك الموضع خرابا والتخريب الهدم و بنو النضير خربوا وماأخربوا (فاعتبروا ياأولى الأبصار) أى فاتعظوا بحالهم ولاتعتمدوا على شىء غير الله تعالى كما اعتمد هؤلاء على حصونهم وعلى قوتهم وعلى المنافقين فليس للزاهد أن يعتمد على زهده فان زهده لا يكون أكثر من زهد بلعام وليس للعالم أن يعتمد على علمه انظر الى ابن الراوندى مع كثرة ممارسته كيف صار فلا ينبغى لأحد أن يعتمد الا على فضل الله ورحمته (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أى ولولا أن قضى الله على بنى النضير الخروج عن أوطانهم على الوجه الفظيع (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل باخوانهم بنى قريظة من اليهود (ولهم فى الآخرة عذاب النار) وهذا استئناف غير متعلق بجواب لولا أى ولهم على كل حال سواء أجلوا أم لا عذاب النار فى الآخرة (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى ذلك المذكور من العذابين بسبب أنهم خالفوا الله ورسوله فى الدين (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) أى ومن يخالف الله يعاقبه الله فى الدنيا والآخرة فان الله شديد العقاب وقرئ ومن يشاقق الله كما فى الانفال روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وقد تحصنوا بحصونهم أمر أصحابه بقطع نخيلهم واحراقها قال بنو النضير يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان فى أنفس المؤمنين شىء من قولهم وخشوا

(ماقطعتم من لينة) أى من نخلة من نخيلهم (أو تركتموها قائمة) فلم تقطعوها (فباذن الله) أى انه أذن فى ذلك ان شئتم قطعتم وان شئتم تركتم وذلك أنهم لما تحصنوا بحصونهم أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم واحراقها فجزعوا من ذلك وقالوا من أين لك يامحمد تقطع الاشجار المثمرة واختلف المسلمون فى ذلك فمنهم من قطع غيظا لهم ومنهم من ترك القطع وقالوا هو مالنا أفاء الله علينا به فأخبر الله أن كل ذلك من القطع والترك باذنه (وليخزى الفاسقين) أى وليذل اليهود وليغيظهم (وما أفاء الله) رد الله (على رسوله) ورجع اليه (منهم) من النضير من الأموال (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أى ما حملتم خيلكم ولا ابلكم على الوجيف اليه وهو السير السريع والمعنى لم تركبوا اليه خيلا ولا ابلا ولاقطعتم اليه مشقة فهو خالص لرسول الله ﷺ يعمل فيه ما أحب وليس كالغنيمة التى تكون للغانمين وهذا معنى قوله (ولكن الله يسلط رسله) الآية (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) أى من أموال أهل القرى الكافرة (فلله وللرسول) الآية وكان الفئ يخمس خمسة أخماس فكانت أربعة أخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فيها مايشاء والخمس الباقى فى المذكورين فى هذه الآية فأما اليوم فما كان للنبى صلى الله عليه وسلم من الفئ يصرف الى أهل الثغور والمترصدين للقتال فى أحد قولى الشافعى والفئ كل مارجع الى المسلمين من أيدى الكفار عفوا من غير قتال مثل مال الصلح والجزية والخراج أوهربوا فتركوا ديارهم وأموالهم مثل فعل بنى النضير وقوله (كيلا يكون) يعنى الفئ (دولة) أى متداولا (بين الأغنياء) أي الرؤساء والاقوياء (منكم

أن يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لاتقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله تعالى قوله (ماقطعتم من لينة) أى أى شئ قطعتم أيها المسلمون من نخلة (أو تركتموها قائمة على أصولها) كما كانت (فباذن الله) أى فذاك القطع والترك باباحة الله تعالى ليعز المؤمنين (وليخزى الفاسقين) أى أنما جوز الله ذلك القطع ليسر المؤمنين ويزداد غيظ الكفار اليهود ويتضاعف تلهفهم بسبب نفاذ حكم أعدائهم فى أعز أموالهم وقرئ قوما على أصلها وقرئ أيضا قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما (وما أفاء الله على رسوله منهم) أى مارده الله لرسوله من يهود بنى النضير فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دونكم (فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب) أى لانكم ما أجريتم الى تحصيل ذلك خيلا ولاركابا (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من أعدائهم وقد سلط الله النبى صلى الله عليه وسلم على هؤلاء اليهود من غير أن تقاسوا أيها المسلمون شدائد الحروب فلاحق لكم فى أموالهم (والله على كل شئ قدير) فيفعل مايشاء نزلت هذه الآية فى بنى النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولاركاب وانما كانوا فى زهرة على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله وكان راكب جمل فلما كانت المقاتلة قليلة أجراه الله تعالى مجرى مالم يحصل فيه المقاتلة أصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الأموال ثم روى أنه صلى الله عليه وسلم قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الاثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبودجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وأعطى سعد بن معاذ سيف بن أبى الحقيق ومعنى الآية أن الصحابة طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم الفئ بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله الفرق بينهما وهو أن الغنيمة ماأتعبتم أنفسكم فى تحصيلها وأوجفتم الخيل والركاب والفئ ماليس فى تحصيله تعب فكان الأمر فيه مفوضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) كقريظة والنضير وفدك وخيبر وعرينة وينبع والصفراء (فلله وللرسول ولذى القربى) وهم بنو هاشم وبنو المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قيل يصرف سهم الله الى عمارة الكعبة والمساجد ويصرف سهم رسول الله بعد وفاته وهو أربعة أسهم الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالأهم أو الى المجاهدين المرصدين للقتال فى الثغور لأنهم قائمون مقام رسول الله فى رباط الثغور (كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم) أى جعل الله الفئ لمن ذكر لأجل أن لا يكون الفئ شيئا يتداوله الأغنياء بينهم لايخرجونه الى الفقراء وقرأ هشام تكون بالتأنيث على خلاف عنه دولة بالرفع أى كيلا يقع دور فى يد الاغنياء وقرأ على بن أبى طالب والسلمى بفتح الدال فقيل الضم والفتح بمعنى وقيل الدولة بالفتح من الملك بضم الميم والدولة بالضم

وما آتاكم الرسول) أى أعطاكم الرسول من الفىء (فخذوه وما نهاكم عنه) أى عن أخذه (فانتهوا) وقوله (للفقراء المهاجرين) يعنى خمس الفىء للذين هاجروا الى المدينة وتركوا ديارهم وأموالهم حباً لله ورسوله ونصر الدينه وهو قوله (وينصرون الله) أى دينه (ورسوله أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم (والذين تبوأوا الدار) أى نزلوا المدينة (والايمان) أى وقبلوا الايمان (من قبلهم) أى من قبل المهاجرين وهم الأنصار (يحبون من هاجر اليهم) يعنى من المسلمين (ولايجدون فى صدورهم حاجة) أى غيظا وحسدا (مما أوتوا) أى مما أعطى المهاجرون من الفىء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا الا ثلاثة نفر لهم حاجة فطابت أنفس الأنصار بذلك وهو قوله (ويؤثرون على أنفسهم) أى يختارون اخوانهم المهاجرين بالمال على أنفسهم (ولوكان بهم خصاصة) أى فاقة وحاجة الى المال (ومن يوق شح نفسه) أى من حفظ من الحرص المهلك على المال وهو حرص يحمله على الحسد وامساك المال عن الحقوق (فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا) أى والذين يجيئون (من بعدهم) يريد من بعد المهاجرين والأنصار الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) يعنى المهاجرين والأنصار (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى حقدا (للذين آمنوا) الآية فمن ترحم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فى قلبه غل لهم فهو من أهل هذه الآية ومن شتم واحدا منهم ولم يترحم عليه لم يكن له حظ فى الفىء وكان خارجا عن جملة أقسام المؤمنين وهم ثلاثة المهاجرون والأنصار والذين جاءوا من بعدهم بهذه الصفة التى ذكرها الله (ألم تر الى الذين نافقوا) الآية وذلك أن المنافقين دسوا الى بنى النضير لما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم محمد كنا معكم وان أخرجكم خرجنا معكم

بالضم من الملك بكسر الميم (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فانه واجب الطاعة لأنه لاينطق عن الهوى وهذا يوجب أن كل ما أمر به النبى ﷺ أمر من الله تعالى وان كانت الآية خاصة فى الفىء فجميع أوامره ﷺ ونواهيه داخلة فيها (واتقوا الله) فى مخالفته ﷺ (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من خالف أمره ونهيه (للفقراء) بدل من لذى القربى وما عطف عليه كأنه قيل أعنى بأولئك الأربعة هؤلاء الفقراء (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث ان كفار مكة أحوجوهم الى الخروج منها وكانوا مائة رجل (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى فخرجوا منها طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة (وينصرون الله ورسوله) بأنفسهم وأموالهم فان خروجهم من بين الكفار مهاجرين الى المدينة نصرة (أولئك هم الصادقون) فى دينهم لأنهم هجروا لذات الدنيا وتحملوا شدائدها لأجل الدين وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قال للأنصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم وأقسم لكم من الغنائم وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم وأقسم الغنيمة بين الفقراء المهاجرين خاصة دونكم فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ولا نشاركهم فى الغنيمة فأثنى الله عليهم فقال (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم) أى والذين هيئوا لدار الهجرة والايمان وتمكنوا فيهما أشد تمكن من قبل مجىء المهاجرين اليهم (يحبون من هاجر اليهم) من أصحاب النبى ﷺ لمحبتهم الايمان (ولايجدون فى صدورهم) أى فى قلوبهم (حاجة) أى حزازة وحسدا (مما أوتوا) أى مما أعطى المهاجرين من الفىء وغيره دونهم (ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة) أى ويقدمون المهاجرين على أنفسهم فى كل شىء من أسباب المعاش ولوكان فيهم فقر وحاجة الى ما يقدمون به غيرهم حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم روى عن أبى هريرة أن رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الاقوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومى الصبية وأطفئى السراج وقربى للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية (ومن يوق شح نفسه) أى ومن يوق بتوفيق الله تعالى حرص نفسه على المال حتى يخالفها فى حب المال وبغض الانفاق (فأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بما أرادوا قال ابن زيد من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمر الله باعطائه فقد وقى شح نفسه وقرئ يوق بالتشديد وشح بكسر الشين (والذين جاءوا من بعدهم) أى من بعد هجرة المهاجرين ومن بعد قوة ايمان الأنصار (يقولون) أى يدعون لهم (ربنا اغفرلنا) ذنوبنا (ولاخواننا) فى الدين (الذين سبقونا بالايمان) وهو جميع من تقدمهم من المسلمين لاخصوص المهاجرين والأنصار (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى حقدا وقرئ غمرا (للذين آمنوا) أيا كانوا (ربنا انك رءوف رحيم) فينبغى للمؤمن أن يذكر السابقين بالدعاء والرحمة فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء كان خارجا من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية (ألم تر الى الذين نافقوا) وهم عبد الله بن أبى

وذلك قوله (لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا) سألنا خذلانكم (أبدا) فكذبهم الله تعالى فيما قالوا بقوله (والله يشهد انهم لكاذبون) و بالآية الثانية

وذكر أنهم ان نصروهم انهزموا ولم ينتصروا وهو قوله تعالى (ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون لأنتم) أيها المؤمنون (أشد رهبة في صدورهم) يعني صدور المنافقين (من الله) أي في صدور المنافقين يقول أنتم أهيب في صدورهم من الله لأنهم يخفون منكم موافقة اليهود خوفا منكم ولا يخافون الله فيتركون ذلك (لا يقاتلونكم جميعا) يعني اليهود (الا في قرى محصنة أو من وراء جدر) أي لما ألقى الله في قلوبهم من الرعب لا يقاتلونكم الا متحصنين بالقرى والجدران ولا يبرزون لقتالكم (بأسهم بينهم شديد) أي خلافهم بينهم عظيم (تحسبهم جميعا) أي مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) أي مختلفة متفرقة (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) عن الله أمره (كمثل الذين من قبلهم) يعني المشركين يقول هم في تركهم الايمان وغفلتهم عن الله كالذين من قبلهم (قريبا ذاقوا وبال أمرهم) يعني أهل بدر ذاقوا العذاب بمدة قليلة من قبل ما حل بالنضير من الجلاء والنفي وكان ذلك بعد مرجعه من أحد وقوله (كمثل الشيطان) يعني أن المنافقين في نصرتهم اليهود كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) يعني عابدا في بني اسرائيل فتنه الشيطان حتى كفر ثم خذله كذلك المنافقون منوا بني النضير نصرهم ثم خذلوهم وتبرأوا منهم

وعبد الله بن نبتل و رفاعة بن زيد فانهم كانوا من الأنصار ولكنهم نافقوا في دينهم (يقولون) في السر (لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم اليهود من بني قريظة والنضير فهم مشتركون في الكفر وفي عداوة محمد ﷺ (لئن أخرجتم) من المدينة (لنخرجن معكم) ونذهبن في صحبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم) أي في شأنكم (أحدا) يمنعنا من الخروج معكم (أبدا) أي وان طال الزمان وقيل لا نعين عليكم أحدا من أهل المدينة (وان قوتلتم) من أي مقاتل كان (لننصرنكم) على عدوكم (والله يشهد انهم لكاذبون) في تلك المقالات الثلاثة المؤكدة بالأيمان الفاجرة (لئن أخرجوا) أي اليهود من المدينة (لا يخرجون) أي المنافقون (معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الأمر كذلك وفي هذا دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن حيث أخبر عما سيقع فوقع الأمر كما أخبر (ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) أي ولئن خرج المنافقون لقصد نصر اليهود لينهزمن المنافقون ثم يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لئن جاء المنافقون الى اليهود لنصرهم لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله) أي ان خوف المنافقين واليهود في السر من المؤمنين أشد من خوفهم من الله الذي يظهرونه للمؤمنين وكانوا يظهرون لهم خوفا شديدا من الله والمعنى أنهم لا يقدرون على مقابلتكم لأنكم أشد مرهوبية في صدورهم وهم يظهرون خوفهم من الله (ذلك) أي كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق (بأنهم قوم لا يفقهون) أي بسبب أنهم قوم لا يعلمون عظمة الله فيخشونه حق خشيته (لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر) أي لا يقدر اليهود والمنافقون على مقاتلتكم مجتمعين في موطن الا اذا كانوا في قرى محصنة بالخنادق والدروب أو الا اذا كان بينكم و بينهم حائط وذلك بسبب أن الله ألقى في قلوبهم الرعب وان نصرة الله معكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو جدار بكسر الجيم وفتح الدال بالامالة في جدار كما هو قراءة أبي عمرو و بالصلة في بينهم بحيث يتولد منها واو كما هو قراءة ابن كثير والباقون جدر بضم الجيم والدال (بأسهم بينهم شديد) أي قتالهم فيما بينهم شديد اذا قاتلوا قومهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أي تحسبهم في صورتهم مجتمعين على المحبة متفقين على أمر واحد والحال أن قلوبهم مختلفة لأن كل أحد منهم على مذهب آخر و بينهم عداوة شديدة (ذلك) أي تشتت قلوبهم (بأنهم قوم لا يعقلون) أن تشتيت قلوبهم مما يوهن قواهم اذ لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا في العقائد والمقاصد (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم) أي صفة بني قريظة في نقض العهد كصفة الذين من قبلهم بسنتين وهم بنو النضير ذاقوا عقوبة أمرهم من نقض العهد (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم كمثل الشيطان) أي ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال وخذلانهم كمثل الأبيض مع برصيصا العابد فالأبيض هو صاحب الأنبياء والأولياء وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فدفعه جبريل الى أقصى أرض الهند (اذ قال) أي الشيطان الذي يقال له الأبيض (للانسان) أي العابد الذي يقال له برصيصا (اكفر) بالله (فلما كفر) بالله خذله و (قال اني بريء منك) أي ليس بيني و بينك محبة أصلا وقرئ أنا بريء منك روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد في صومعة لسبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها طرفة عين وان ابليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال الأبيض لابليس أنا أكفيك أمره فانطلق

فتزيا

فتزيا بزى الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة أيام مرة ولا يفطر في كل عشرة أيام الامرة فأقبل الابيض يصلي في أصل صومعة برصيصا فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الأبيض في العبادة قال له ماحاجتك قال حاجتي أن تأذن لي ان أرتفع اليك فأذن له فارتفع اليه في صومعته فأقام حولا يتعبد فلا يفطر الا في كل أربعين يوما مرة ولا ينفتل من صلاته الا كذلك فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا ان عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفي الله تعالى بها المريض ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني أكره هذه المنزلة واني أخاف أن يشغلني الناس عن عبادة ربي فلم يزل به الأبيض حتى علمه الدعوات ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال والله قد أهلكت الرجل فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل مطبب فقال لأهله ان لصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فقال اني لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله تعالى فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا به أجيب فانطلقوا به اليه فسألوه الدعاء فدعا له فذهب عنه الشيطان فكان الأبيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون ثم تعرض الأبيض لبنت ملك من ملوك بني اسرائيل وكان لها ثلاثة اخوة وكان ملك بني اسرائيل عمهم حينئذ ثم جاء الأبيض اليهم في صورة رجل مطبب فقال أفأعالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تتركونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت فتأخذونها منه صحيحة قالوا ومن هو قال هو برصيصا فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة ألصقوها بصومعة برصيصا ووضعوا تلك البنت في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا من صلاته عاين تلك البنت وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فلم يزل الشيطان به حتى واقعها فلم يزل على ذلك حتى حملت البنت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا فهل لك أن تقتلها وتتوب فقتلها فدفنها ليلا جانب الجبل فجاء الشيطان وقتئذ فأخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها الذين يتعهدونها فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا مكروبين جاء الشيطان الى أكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا فقال في نفسه هذا حلم من عمل الشيطان فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث ففعل الشيطان بأوسطهم مثل ذلك فقال مثل قول أكبرهم ولم يخبر بذلك الحلم أحدا ففعل بأصغرهم مثل ذلك فقال لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الأوسط أنا والله رأيت مثل ذلك وقال الأكبر أنا والله رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت بأختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتموني فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في النوم فذهبوا الى برصيصا ومعهم غلمانهم بالفوس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم أتوا به الى الملك فأقر على نفسه فأمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الأبيض فقال يا برصيصا أتعرفني قال لا قال أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك فلم يزل الأبيض يعيره قال برصيصا له فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه من العذاب وأخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال أفعل فسجد له فقال يا برصيصا

هـذا الذى أردت منك فصارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك انى برىء منك (انى أخاف الله رب العالمين) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو انى بفتح الياء (فكان عاقبتهما) أى الشيطان والراهب (أنهما فى النار خالدين فيها) وعاقبتهما بالنصب خبر كان مقدم وقرئ شاذا بالرفع وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفى النار لغو (وذلك) أى الخلود فى النار (جزاء الظالمين) أى المشركين (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون (ولتنظر نفس) برة أو فاجرة (ماقدمت لغد) أى ما تريد أن تحصله ليوم القيامة فتفعله (واتقوا الله) بأداء الواجبات وترك المعاصى (ان الله خبير بما تعملون) من الخير والشر فلا تعملون عملا الا كان بمرأى منه تعالى ومسمع فاستحيوا منه تعالى (ولاتكونوا) يامعشر المؤمنين (كالذين نسوا الله) أى نسوا حق الله كالمنافقين واليهود فان المنافقين تركوا طاعة الله فى السر واليهود تركوا طاعة الله فى السر والعلانية (فأنساهم أنفسهم) أى فجعلهم الله ناسين حق أنفسهم حتى لم يعملوا لأنفسهم ماينفعهم عنده تعالى (أولئك هم الفاسقون) أى الكاملون فى الفسوق أى الخروج عن دائرة الطاعة (لايستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله تعالى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة بوجه من الوجوه واحتج بهذه الآية أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالذمى (أصحاب الجنة هم الفائزون) بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أى لو جعلنا فى الجبل على قساوته عقلا كما جعلنا العقل فيكم ثم أنزلنا عليه هذا القرآن المنطوى على فنون القوارع لخشع وتشقق خشية من الله وخوفا أن لا يؤدى حقه فى تعظيم القرآن وأنتم أيها المعترفون باعجازه لاترغبون فى وعده ولاترهبون من وعيده (وتلك الأمثال نضربها للناس) أى نبينها لهم فى القرآن (لعلهم يتفكرون) أى لكى يتأملوا مواعظ القرآن فانه لاعذر فى ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها ذليلة متشققة من خشية الله (هو الله الذى لااله الا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أى عالم ماغاب عن العباد وماشاهدوه وقال ابن عباس عالم السر والعلانية وقال سهل عالم بالآخرة والدنيا وقيل عالم ماغاب عن الوجود وهو المعدوم وعالم الموجود (هو الرحمن الرحيم) أى هو العاطف على العباد البر والفاجر بالرزق لهم المنعم على المؤمنين خاصة بالمغفرة ودخول الجنة (هو الله الذى لااله الا هو) أى لامعبود بحق الا هو وحده (الملك) أى المتصرف بالأمر والنهى فى جميع خلقه (القدوس) أى البليغ فى النزاهة فى الذات والصفات والأفعال والاحكام والأسماء قال الحسن أى الذى كثرت بركاته (السلام) أى الذى لايطرأ عليه شىء من العيوب فى الزمان المستقبل (المؤمن) أى واهب الامن (المهيمن) أى الحافظ لكل شىء (العزيز) أى الذى لايوجد له نظير أو الغالب (الجبار) أى الملك العظيم كما قاله ابن عباس أو مصلح أحوال العباد أو الذى يقهرهم على ما أراد (المتكبر) بربوبيته كما قاله ابن عباس أو المتعظم عن كل سوء كما قاله قتادة أو الذى تعظم عن ظلم العباد (سبحان الله عما يشركون) أى تنزيها له تعالى عما يشركون به (هو الله الخالق) أى المقدر لما يوجده فيرجع الى تعلق الارادة التنجيزى القديم (البارىء) أى المبرز للاعيان من العدم الى الوجود فيرجع لتأثير القدرة الحادث فى خصوص الأعيان (المصور) أى مصور الأشياء على هيئات مختلفة كما يريد تعالى فالتصوير آخرا والتقدير أولا والبرء بينهما وقرأ على بن أبى طالب والحسن بفتح الواو بالنصب مفعول للبارىء (له الأسماء الحسنى) أى له تعالى الأسماء الدالة على معانى الصفات الحسنة (يسبح له مافى السموات والارض) أى ينطق مافيهما بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهرا (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها

(فكان عاقبتهما) يعنى عاقبة الشيطان والكافر (أنهما فى النار) الآية (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) يريد بأداء فرائضه واجتناب معاصيه (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) أى ليوم القيامة من طاعة وعمل صالح وقوله (ولاتكونوا كالذين نسوا الله) أى تركوا طاعة الله وأمره (فأنساهم أنفسهم) يعنى حظ أنفسهم أن يقدموا لها خيرا (لو أنزلنا هذا القرآن) الآية أخبر الله تعالى أن من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل فى الجبل تمييز كما جعل فى الانسان وأنزل عليه القرآن لخشع وتصدع أى تشقق من خشية الله (هو الله الذى لااله الا هو عالم الغيب والشهادة) أى السر والعلانية وقوله (الملك) أى ذو الملك (القدوس) يعنى الطاهر عما لا يليق به (السلام) أى ذو السلامة من الآفات والنقائص (المؤمن) أى المصدق رسله بخلق المعجزة لهم وقيل الذى أمن خلقه من ظلمه (المهيمن) أى الشهيد (العزيز) أى القوى (الجبار) أى الذى جبر الخلق على ما أراد من أمره (المتكبر) عما لا يليق به

راجعة الى الكمال في القدرة والعلم

﴿ سورة الممتحنة وتسمى سورة براءة والمبعثرة والفاضحة مدنية ثلاث عشرة آية. وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة. وألف وخمسمائة وعشرة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي) في الدين (وعدوكم) في القتل وهم كفار مكة (أولياء تلقون اليهم بالمودة) أي توصلون المودة بينكم وبينهم روي ان حاطب بن أبي بلتعة كتب الى أهل مكة كتابا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يغزوكم فخذوا حذركم ثم أرسله مع سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي فأتاها حاطب وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها ذلك الكتاب الى أهل مكة فخرجت سائرة فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلا فان فيها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها واتركوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة وسألوا عن ذلك فانكرت وحلفت ما معها كتاب فسل علي سيفه وقال والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجته من عقاص شعرها فخلوا سبيلها فجاءوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال ان لي بمكة أهلا ومالا فأردت أن أتقرب منهم وقد علمت ان الله تعالى ينزل بأسه عليهم وان كتابي لا يغني عنهم شيئا وان الله ناصرك عليهم فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك يا عمر لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فنزلت هذه الآية وروي ان سارة عاشت الى خلافة عمر وأسلمت وحسن اسلامها (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) أي وحالهم انهم كفروا بما جاءكم من الدين الحق وقرئ لما جاءكم أي كفروا الأجل ما جاءكم من الرسول والقرآن أي جعلوا ما هو سبب الايمان سببا للكفر (يخرجون الرسول واياكم) من مكة الى المدينة (أن تؤمنوا بالله ربكم) وهذا تعليل للاخراج أي يخرجوكم لايمانكم بالله (ان كنتم خرجتم) من مكة الى المدينة (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) وهذا مرتبط بلا تتخذوا أي لا تتولوا أعدائي ان كنتم أوليائي (تسرون اليهم بالمودة) أي بالنصيحة وهذه الجملة بدل من تلقون اليهم بدل بعض لان القاء المحبة يكون سرا وجهرا (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي والحال اني أعلم منكم بما أخفيتم في صدوركم وما أظهرتم بألسنتكم فأي فائدة لكم في اسرار النصيحة وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) أي ومن يفعل اسرار النصيحة للكفار فقد أخطأ طريق الصواب هذا كله معاتبة لحاطب وهذا يدل على فضله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال القائل من الوافر

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب

(ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء) أي ان يغلب عليكم أهل مكة يظهروا ما في قلوبهم من غاية العداوة (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أي يمدوا اليكم أيديهم بالضرب والقتل وألسنتهم بالشتم

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) نزلت في حاطب بن أبي بلتعة لما كتب للمشركي مكة ينذرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الخروج اليهم (تلقون اليهم بالمودة) أي تلقون أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) أي وحالهم أنهم كافرون (بما جاءكم من الحق) أي دين الاسلام والقرآن (يخرجون الرسول واياكم) أيها المؤمنون من مكة (أن تؤمنوا) أي لان آمنتم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) من مكة (جهادا) أي للجهاد (في سبيلي وابتغاء مرضاتي) وجواب هذا الشرط متقدم وهو قوله لا تتخذوا عدوي أي لا تتخذوهم أولياء ان كنتم تبتغون مرضاتي وقوله (تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) وذلك أن الله تعالى أطلع نبيه على مكاتبة حاطب للمشركين حتى استرد الكتاب ممن دفعه اليه ليوصله اليهم (ومن يفعله منكم) أي الاسرار اليهم (فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ طريق الدين ثم أعلم أنه ليس ينفعهم ذلك عند المشركين فقال (ان يثقفوكم) أي يلقوكم ويظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم) بالضرب والقتل (وألسنتهم بالسوء) أي بالشتم

والطعن (وودوا لو تكفرون) أى وتمنوا كفركم بعد ايمانكم فحينئذ لا ينفعكم القاء المودة اليهم (لن تنفعكم أرحامكم) أى قراباتكم (ولا أولادكم) الذين تتقربون الى المشركين لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) والظرف ان علق بيفصل فالوقف على أولادكم وقف بيان أووقف تام عند أبى حاتم والوقف على بينكم تام وان علق بتنفعكم فالوقف على يوم القيامة وهو وقف صالح وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الفاء وتشديد الصاد مع فتحها ونائب الفاعل ظرف مبنى على الفتح وحمزة والكسائى كذلك الا انهما يكسران الصاد أى يفرق الله بينكم وبين أقاربكم وأولادكم فيدخل أهل الايمان الجنة وأهل الكفر النار وعاصم بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد والباقون وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد وروى أن ابن كثير قرأ أيضا بالبناء للمفعول كعاصم وقرئ نفصل ونفصل بالنون (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولم يقل تعالى خبير مع انه أبلغ فى العلم لان البصير أظهر من خبير فى العلم لانه تعالى يجعل عملهم كالمحسوس بحس البصر (قد كانت لكم اسوة حسنة) أى قدوة حسنة (فى ابراهيم) أى فى جميع أحواله من قول وفعل (والذين معه) من أصحابه المؤمنين وقرأ عاصم أسوة بضم الهمزة فى الموضعين والباقون بكسرها (اذ قالوا) بدل اشتمال من ابراهيم والذين معه (لقومهم) أى لقرابتهم الكفار مع انهم أكثر من عدوكم وأقوى وقد كان من آمن بابراهيم أقل منكم وأضعف (انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) أى انا متبرئون من قرابتكم ايانا ومن معبودكم من الأوثان (كفرنا بكم) أى أنكرنا دينكم فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة) أى ظهر بيننا وبينكم العداوة وهى المباينة فى الافعال (والبغضاء) وهى المباينة بالقلوب (أبدا) أى على الدوام (حتى تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة أمر الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتدوا بسيدنا ابراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء (الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك) أى فليس لكم الاقتداء بابراهيم فى ذلك لانه انما استغفر لأبيه لأجل موعدة وعدها اياه لانه ظن أنه أسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه وأنتم لا تظنون اسلام الكفار الذين اتخذتموهم أولياء (وما أملك لك من الله من شئ) وهذا حال من فاعل لأستغفرن أى لأستغفرن لك والحال أنى لا أدفع عنك شيئا من عذاب الله ان أشركت به أى وما على الا بذل الوسع فى الاستغفار فوعده الاستغفار رجاء الاسلام وقال ابن عباس كان من دعاء ابراهيم وأصحابه (ربنا عليك توكلنا) أى فى جميع أمورنا (واليك أنبنا) أى رجعنا بالتوبة عن المعصية وأقبلنا الى طاعتك (واليك المصير) اذ المصير ليس الا الى حضرتك (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أى مفتونين بهم قال ابن عباس لا تسلط علينا أعداءنا فيظنوا انهم على الحق وقال مجاهد لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أى أنت الذى تغلب فى ملكك الحكيم فى صنعك (لقد كان لكم) يا أمة محمد (فيهم) أى فى ابراهيم والذين معه (أسوة حسنة) قال ابن عباس كانوا يبغضون من خالف الله ويحبون من أحب الله وهذا هو الحث على الائتساء بابراهيم وقومه (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة وقوله لمن الخ بدل من لكم بدل بعض من كل (ومن يتول) أى يعرض عن الائتساء بهم ويمل الى مودة الكفار (فان الله هو الغنى) عنه وعن سائر خلقه (الحميد) أى المحمود فى فعاله. قال مقاتل لما أمر الله تعالى المؤمنين بعداوة الكفار شددوا فى عداوة آبائهم وأبنائهم

يناصحون المشركين لا ينفعونهم شيئا فى القيامة فقال (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) المشركون (يوم القيامة يفصل بينكم) فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار ثم أمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بأصحاب ابراهيم فقال (قد كانت لكم أسوة) أى ائتمام واقتداء وطريقة (حسنة فى ابراهيم والذين معه) من أصحابه اذ تبرأوا من قومهم الكفار وعادوهم وقالوا لهم (كفرنا بكم) أى أنكرنا كم وقطعنا صحبتكم وقوله (الا قول ابراهيم لابيه) أى كانت لكم أسوة فيهم فيما خلا هذا فانه لا يجوز الاستغفار للمشركين ثم أخبر أنهم قالوا يعنى قوم ابراهيم (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أى لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك (لقد كان لكم فيهم) أى فى ابراهيم والذين معه (أسوة حسنة) تقتدون بهم فتفعلون من البراءة عن الكفار كما فعلوا وتقولون كما قالوا ثم أخبر منهم ثم بين أن هذا الاقتداء بهم (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول) عن الحق ووالى الكفار (فان الله هو الغنى الحميد)

وأبنائهم وجميع أقاربهم فأنزل الله تعالى قوله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم) أي من كفار مكة (مودة) أي صلة بمخالطتهم مع أهل الاسلام (والله قدير) أي مبالغ في القدرة فيقدر على تسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) بهم اذا تابوا وأسلموا ورجعوا الى حضرة الله تعالى فتزوج النبي صلى الله عليه وسلم عام فتح مكة أم حبيبة بنت أبي سفيان فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت هي قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر وراودها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله ﷺ الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها أربعمائة دينار و بلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لا يقرع أنفه والمراد بقوله تعالى الذين عاديتم منهم نفر من قريش آمنوا بعد فتح مكة منهم أبو سفيان ابن حرب وأبو سفيان بن الحرث والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) أي لأجل دينكم (ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي تصلوهم وهو بدل من الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أي تفضوا اليهم بالصلة وغيرها (ان الله يحب المقسطين) أي أهل البر والتواصل عن عبد الله بن الزبير ان هذه الآية نزلت في أسماء بنت أبي بكر فان أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة قدمت عليها بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت هذه الآية فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل نزلت في خزاعة قوم هلال بن عويمر وخزيمة و بني مدلج فانهم صالحوا النبي قبل عام الحديبية على أن لا يقاتلوه ولا يخرجوه من مكة ولا يعينوا أحدا على اخراجه وقيل نزلت في قوم من بني هاشم أخرجوا يوم بدر كرها وهذه الآية تدل على جواز الاحسان بين المشركين والمسلمين وان كانت الناصرة منقطعة (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين) أي لأجل دينكم (وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة (وظاهروا على اخراجكم) أي عاونوا عليه من سائر أهل مكة (أن تولوهم) أي ان تناصروهم وهذا بدل اشتمال من الذين قاتلوكم (ومن يتولهم) أي ومن يحبهم و يناصرهم (فأولئك هم الظالمون) لأنفسهم بأقبالها للعذاب لوضعهم المحبة في موضع العداوة (يأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) أي المقرات بالله (مهاجرات) من مكة من بين الكفار (فامتحنوهن) أي فاختبروهن بما يغلب على ظنكم بالتحليف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للمتحنة بالله الذي لا اله الا هو ماخرجت من بغض زوج بالله ماخرجت رغبة من أرض الى أرض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت الا حبا لله ولرسوله (الله أعلم بايمانهن) أي بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما تفرد الله بعلمه (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار) أي فان ظننتموهن بعد الامتحان مؤمنات بالعلائم فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لا هن حل لهم) أي ليست المؤمنات حلا لأزواجهن الكفار وهذا بيان لزوال النكاح الأول (ولا هم يحلون لهن) أي وليس الكفار حلا للمؤمنات وهذا بيان لامتناع النكاح الجديد (وآتوهم ما أنفقوا) أي وأعطوا أزواجهن مثل مادفعوا اليهن من المهور فان المهر في نظير أصل العشرة ودوامها وقد فوتها المهاجرة فلا يجمع على الرجل خسارتان الزوجية والمالية وذلك ان الصلح عام الحديبية كان على ان من جاءكم من أهل مكة يرد اليهم ومن أتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك العهد كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي ﷺ بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت لنا شرطا ان ترد علينا من

يعني بأن يهديهم الله للدين فيصير والكم أولياء واخوانا ثم فعل ذلك بعد فتح مكة وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان فلان أبو سفيان للمؤمنين وترك ما كان عليه من العداوة ثم رخص في صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفار فقال (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي لا ينهاكم الله عن بر هؤلاء (وتقسطوا اليهم) أي تعدلوا فيهم بالاحسان ثم ذكر أنه انما ينهاهم عن أن يتولوا مشركي مكة الذين قاتلوهم فقال (انما ينهاكم الله) الآية (يأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) نزلت هذه الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرد الى أهل مكة من جاء من المؤمنين منهم فأنزل الله في النساء اذا جئن مهاجرات أن يمتحن وهو قوله (فامتحنوهن) وهو أن تستحلف ماخرجت بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل من المسلمين وماخرجت الا رغبة في الاسلام فاذا حلفت لم ترد الى الكفار وهو قوله (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار) لأن المسلمة لا تحل للكافر وقوله (وآتوهم) يعني أزواجهن الكفار (ما أنفقوا) عليهن من المهر

(ولاجناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن وان كان لهن أزواج كفار لأن الاسلام أبطل تلك الزوجية (ولا تمسكوا بعصم الكوافر)أى لاتمسكوا بنكاحهن فان العصمة لا تبقى بين المشركة والمؤمن والمعنى ان لحقت بالمشركين واحدة من نسائكم فلا تمسكوا بنكاحها(واسألوا ما أنفقتم)عليهن من المهر ممن يتزوجهن من الكفار (وليسألوا) يعنى المشركين (ماأنفقوا) يعنى من المهر فلما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون ذلك فأنزل الله تعالى (وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار) أى ان لحقت واحدة من نسائكم مرتدة بالكفار (فعاقبتم) فغزوتموهم يريد وكانت العقبى لكم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) الى الكفار (مثل ماأنفقوا) عليهن من الغنائم ثم أنزل فى بيعة النساء (يأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) أى لا يأتين بولد ينسبنه الى الزوج فان ذلك بهتان وفرية (ولا يعصينك فى معروف) أى فيما يوافق طاعة الله (فبايعهن) أمر أن يبايعهن على الشرائط التى ذكرها فى هذه الآية ثم نهى المؤمنين عن موالاة اليهود فقال

أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف فنزلت هذه الآية لبيان ان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ماأنفق ثم تزوجها عمر رضى الله عنه وأخرج الطبرانى عن عبدالله ان هذه الآية نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وعن الزهرى كانت هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها أخواها عمارة والوليد فحبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد أخويها وأخرج ابن أبى حاتم عن يزيد بن أبى حبيب انها نزلت فى أمية بنت بشر امرأة أبى حسان ابن الدحداحة وعن مقاتل أنها نزلت فى سعيدة امرأة صيفى بن الراهب (ولاجناح عليكم) يامعشر المؤمنين (أن تنكحوهن) بعد الاستبراء (اذا آتيتموهن أجورهن) أى اذا التزمتم مهورهن فالمهر المدفوع للكفار لايقوم مقام المهر الذى يجب على المسلم اذا تزوجهن اذ المهر أجر البضع قال ابن عباس أيما امرأة أسلمت وزوجها كافر فقد انقطع مابينها و بين زوجها من عصمة ولاعدة عليها من زوجها الكافر وجاز لها أن تتزوج اذا استبرأت (ولاتمسكوا بعصم الكوافر) أى لاتأخذوا بعقود الكافرات غير أهل الكتاب قال ابن عباس أيما امرأة كفرت بالله فقد انقطع مابينها و بين زوجها المؤمن من العصمة وقرئ فى السبعة تمسكوا بضم التاء وسكون الميم و بفتح الميم وتشديد السين وقرئ تمسكوا بفتح التاء والميم وتشديد السين (واسألوا ماأنفقتم) أى اطلبوا أيها المؤمنون من أهل مكة ماأنفقتم على أزواجكم من مهورهن ان دخلن فى دينهم (وليسألوا ماأنفقوا) أى وليطلبوا منكم ماأنفقوا على أزواجهم من المهور ان دخلن فى دينكم (ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) روى أنها لما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون مهور المؤمنات المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى (وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) أى وان انفلت منكم أحد من أزواجكم ورجع الى الكفار الذين ليس بينكم و بينهم عهد فغنمتم من العدو فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم الى الكفار من الغنيمة قبل الخمس مثل ماأنفقوا عليهن من مهر المهاجرة التى تزوجتموها ولاتعطوه زوجها الكافر (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) وجميع من ارتدت من نساء المؤمنين ست نسوة أخت أم سلمة فاطمة بنت أبى أمية وأم كلثوم بنت جرول وهما تحت عمر بن الخطاب وأم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عباد بن شداد العمرى و بروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان من بنى مخزوم وعبدة بنت عبد العزى كانت تحت عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل كانت تحت هاشم بن العاص فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهر نسائهم من الغنيمة (يأيها النبى اذا جاءك المؤمنات) أى نساء أهل مكة بعد فتح مكة (يبايعنك) أى قاصدات للمشارطة (على أن لايشركن بالله شيئا) من الاشراك (ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن) وقرئ ولايقتلن بتشديد التاء (ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود من الزنا فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى عن هذا بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لأن بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها (ولا يعصينك فى معروف) أى فيما تأمرهن به من معروف وهو ما عرف حسنه من جهة الشرع وهذا تنبيه على نفى جواز طاعة مخلوق فى معصية الخالق وذلك كترك النوح وجز الشعر وتنفه وحلق الرأس وخمش الوجوه وشق الجيوب وتمزيق الثياب وان لايخلون مع رجل غير محرم وأن لايسافرن مع غير ذى محرم (فبايعهن) أى فشارطهن على ذلك (واستغفر لهن الله) فيما سلف

منهن

منهن فى الجاهلية (ان الله غفور رحيم) أى مبالغ فى المغفرة والرحمة روى ان النبى ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال يوم فتح مكة جلس على الصفا ومعه عمر أسفل منه فجعل يبايع النساء وكانت جملتهن اذ ذاك أربعمائة وسبعا وخمسين امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام وقيل كان النبى ﷺ اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه فغمسن أيديهن فيه وكانت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعت بحمزة يوم أحد فقال النبى ﷺ أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت لقد عبدنا الأصنام وانك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقط ولما قال النبى ﷺ ولا تسرقن قالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله هناة فما أدرى أتحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فلما قال ولا تزنين فقالت أو تزنى الحرة فلما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وكان ابنها حنظلة قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ فلما قال ولا يأتين ببهتان الخ قالت والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصيننى فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا ان نعصيك فى شئ فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة (يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) أى لا تصحبوا اليهود فانهم قوم غضب الله عليهم. روى ان جماعة من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين لحاجتهم اليهم من اصابة ثمارهم فنهوا عن ذلك بهذه الآية (قد يئسوا من الآخرة) أى فقد حرموا من ثواب الآخرة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أى كما حرم من ذلك الذين ماتوا منهم وقال أبو اسحاق يئس اليهود الذين عاندوا النبى ﷺ كما يئس الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث من موتاهم

﴿ سورة الصف مدنية أربع عشرة آية . ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة وستة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض) أى شهد له تعالى بالربوبية والوحدانية وغيرهما من الصفات السنية جميع ما فى السموات والأرض (وهو العزيز) أى الذى يغلب على غيره (الحكيم) أى الذى يضع الأشياء فى أتقن مواضعها (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا أحب الأعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت هذه الآية أى لم تعدون ما لا توفون وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهذا أى لم تتكلمون بما لا تعملون (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) قال الزجاج أى كبر قولكم ما لا تفعلون بغضا عند الله (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله) أى فى طاعته تعالى (صفا) فى القتال قرأ زيد بن على يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون أى يصفون وصفا حال من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين (كأنهم بنيان مرصوص) أى مشبهين ببنيان ألصق بعضه على بعض حتى صار شيئا واحدا (واذ قال موسى لقومه) أى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرائيل يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا أمره (يا قوم لم تؤذوننى) أى بالمخالفة فيما أمرتكم به (وقد تعلمون أنى رسول الله

(يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة) أن يكون لهم فيها ثواب (كما يئس الكفار) يريد الذين لا يوقنون بالبعث (من أصحاب القبور) أن يبعثوا وقيل كما يئس الكفار الذين فى القبور من أن يكون لهم فى الآخرة خير

﴿ تفسير سورة الصف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله) الآية (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) كان المؤمنون يقولون لو علمنا أحب الأعمال الى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأخبروا بذلك فى قوله ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا الآية واعلموا أن أحب الأعمال الى الله الجهاد فلم يفوا بما قالوا وانهزموا يوم أحد فعيروا بهذه الآية وقوله (كبر مقتا عند الله) أى عظم ذلك فى البغض (أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) أى لاصق بعضه ببعض لا يزولون عن أماكنهم (واذ قال) أى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى اذ قال (موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى) وذلك حين رموه بالادرة (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) والرسول يعظم ولا

اليكم) لأرشدكم الى خير الدنيا والآخرة وقضية علمكم بذلك موجبة للتعظيم والمسارعة الى الطاعة (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أى لما مالوا عن الحق وكذبوا موسى زاد الله زيغ قلوبهم حتى صرفها عن قبول الحق وقال مقاتل أى لما عدلوا عن الحق بأبدانهم أمال الله قلوبهم عن الحق جزاء ما عملوا (والله لايهدى القوم الفاسقين) أى لايهدى من سبق فى علمه تعالى انه خارج عن منهاج الحق مصر على الغواية (واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى) أى مصدقا لما قبلى (من التوراة) ومن كتب الله ومن أنبيائه جميعا (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الياء على الأصل وهو الاختيار عند الخليل وسيبويه فى كل موضع تذهب فيه الياء لالتقاء ساكنين والباقون بالسكون وهو حذف الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين وهما الياء والسين كما قاله المبرد وأبو على (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) أى فلما جاء عيسى بنى اسرائيل بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا الذى أتى به سحر بين وقرأ حمزة والكسائى ساحر بفتح السين مع الألف ويقال فلما جاءهم أحمد بالتى تبين أن الذى أتى به من عند الله قالوا هذا الآتى بالبينات ساحر بين (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أى أى الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله من نسبة الولد اليه ووصف أنبيائه بالسحرة (والله لايهدى القوم الظالمين) أى لايوفقهم الله للطاعة عقوبة لهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أى يريدون رد رسالة الرسول ليبطلوا دين الله بقولهم ان الرسول ساحر وليبطلوا كتاب الله بقولهم انه سحر (والله متم نوره) بالاضافة وتركها أى والله مبلغ نوره الى غايته بنشره فى الآفاق (ولو كره الكافرون) أى ولو كره المشركون واليهود والنصارى اتمام النور. وعن ابن عباس أن النبى ﷺ أبطأ عليه الوحى أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف يامعشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمره فحزن رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحى بعدها (هو الذى أرسل رسوله) وقرئ نبيه أى محمدا ﷺ (بالهدى) أى بالقرآن (ودين الحق ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على جميع الأديان المخالفة له (ولو كره المشركون) اعلاءه عليها (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وهى التجارة بين أهل الايمان وحضرة الله تعالى وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الجيم قال مقاتل نزلت هذه الآية فى عثمان بن مظعون وذلك أنه قال لرسول الله لو أذنت لى فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبدا ولا أفطر نهارا أبدا فقال ﷺ ان من سنتى النكاح ولا رهبانية فى الاسلام انما رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وخصاء أمتى الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ومن سنتى أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتى فليس منى فقال عثمان والله لوددت يارسول الله ان أعلم أى التجارات أحب الى الله فأتجر فيها فنزلت (تؤمنون بالله ورسوله) وهذا استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تعالى تؤمنون أى تدومون على الايمان (وتجاهدون فى سبيل الله) أى فى طاعته (بأموالكم وأنفسكم) أى بنفقة أموالكم وبخروج أنفسكم. والجهاد بعد هذين الوجهين ثلاثة جهاد فيما بينه وبين نفسه وهو قهر النفس ومنعها عن اللذات والشهوات وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو أن يتخذها زادا لمعاده فيكون الجهاد على خمسة أوجه وقرئ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الأمر (ذلكم) أى الذى أمرتم به من الايمان والجهاد (خيرلكم) من أن تتبعوا

يؤذى (فلما زاغوا) يعنى عدلوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أى أضلهم الله وصرف قلوبهم عن الحق (والله لايهدى القوم الفاسقين) يعنى من سبق فى علمه انه فاسق وقوله

اهواءكم

أهواء كم (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم تنتفعون بما علمتم فهو خير لكم (يغفر لكم ذنو بكم) وهذا جواب قوله تؤمنون الخ لما فيه من معنى الأمر وهو بمنزلة الثمن الذى يدفعه المشترى وقوله يغفر لكم الخ بمنزلة المبيع الذى يأخذه المشترى من البائع فى مقابلة الثمن المدفوع له (و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانها ومساكن طيبة فى جنات عدن) وهى قصبة الجنان والمساكن الطيبة قصر من لؤلؤة فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا فى كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطى الله تعالى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله (ذلك) أى الجزاء الذى هو المغفرة وادخال الجنات (الفوز العظيم) أى الذى لافوز وراءه (وأخرى) وهو اما مرفوع أى ولكم تجارة أخرى فى العاجل مع ثواب الآجل أو منصوب بفعل مضمر اما من نوع الاشتغال أى وتحبون خصلة أخرى فى الدنيا مع ثواب الآخرة أو من نوع معطوف على الجوابين أى و يعطكم نعمة أخرى أو مخفوض عطفا على تجارة (تحبونها) أى تشتهون أن تكون لكم (نصر من الله) بمحمد على كفار قريش (وفتح قريب) أى عاجل وهو فتح مكة وقرئ نصرا من الله وفتحا قريبا وقوله نصر من الله الخ مفسر لأخرى وهو ربح التجارة (و بشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله و ينصركم و بشر المؤمنين يارسول الله بذلك (يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو أنصارا منونا وقجارا ومجرورا والباقون أنصار الله مضافا للجلالة وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار دين الله كما كان الحواريون أنصارا حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله أى من أعوانى مع الله على أعدائه أو المعنى قل لهم كونوا أنصار دين الله كما قال عيسى لأصفيائه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بعيسى بن مريم (وكفرت طائفة) وهم الذين أضلهم بولس أى لما رفع عيسى الى السماء تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان عيسى الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمدا ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الفرقة الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى فأعنا الذين لم يخالفوا دين عيسى على الذين خالفوه (فأصبحوا ظاهرين) أى فصاروا غالبين على أهل الأديان بالحجة

﴿ سورة الجمعة مدنية. احدى عشرة آية. ومائة وثمانون كلمة. وسبعمائة ﴾

﴿ وثمانية وأربعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسبح لله) أى يذكر الله بالتنزيه (مافى السموات ومافى الارض) أى مافى جهة العلو والسفل من الخلق (الملك) فكلهم تحت تصرفه وفى قبضة قدرته (القدوس) أى المنزه عما يخطر ببال أوليائه كما نقل عن الغزالى وقيل أى المبارك أو الطاهر بلا ولد ولا شريك (العزيز) أى الغالب فى ملكه بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) أى الذى يضع الأشياء مواضعها وقد قرئت هذه الصفات الأربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) أى هو الذى أرسل الى العرب رسولا من جملتهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فهو من جنسهم قال ابن عباس المراد بالامين الذين ليس لهم كتاب

(وأخرى تحبونها) أى ولكم أخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآجل ثم بين ماهى فقال (نصر من الله وفتح قريب و بشر المؤمنين يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) أى أعوانا بالسيف على أعدائه (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) أى مع الله (قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بعيسى (وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا) قويناهم (على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى غالبين

﴿ تفسير سورة الجمعة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله) الآية (هو الذى بعث فى الأميين) يعنى العرب (رسولا منهم) يريد محمدا صلى الله عليه وسلم

ولانبي بعث فيهم (يتلوا عليهم آياته) التي تبين رسالته وتظهر نبوته مع كونه أميا مثلهم لم يعتد منه قراءة ولا تعلم وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي وتكون حاله مشابهة لحال أمته الذين بعث فيهم (ويزكيهم) أي يطهرهم من خبث الشرك وخبث الأقوال والأفعال (ويعلمهم الكتاب) أي آيات القرآن (والحكمة) أي وجه التمسك بها وقيل الكتاب هو الآيات نصا والحكمة ما أودع فيها من المعاني (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) أي والحال انهم كانوا من قبل مجيء محمد اليهم بالقرآن لفي ضلال ظاهر لانهم كانوا عبدة الأصنام (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) وآخرين معطوف على الاميين ولما يلحقوا صفة لآخرين أي وبعثه الى غير العرب من أي طائفة كانت لم يلحقوا بالعرب الاول وهم كل من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ويجوز أن يكون معطوفا على الضمير المنصوب في ويعلمهم أي ويعلم آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم وهم كل من يعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله معلمهم بالقوة أي في المعنى والحكم لانه أصل الخير والفضل (وهو العزيز الحكيم) حيث جعل في كل واحد من البشر أثر الفقر اليه وجعل في كل مخلوق ما يشهد بوحدانيته (ذلك) أي تفضيل رسول الله على غيره والحاق أبناء العجم الذين آمنوا وشاهدوا الرسول بقريش في درجة الفضل (فضل الله) وهو ما لم يكن مستحقا (يؤتيه من يشاء) وهم رسول الله والأميون والآخرون (والله ذو الفضل العظيم) على جميع خلقه في الدنيا بتعليم الكتاب والحكمة وفي الآخرة بتفخيم الجزاء على الأعمال (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) أي صفة الذين أمروا بأن يعملوا بما في التوراة ثم لم يعملوا بما أمروا فيها كصفة الحمار يحمل كتبا كبارا في عدم انتفاعه بها وقال أهل المعاني هذا المثل مثل من يفهم معاني القرآن ولم يعمل به وأعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي بئس صفة القوم الذين كذبوا بالتوراة حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) لأنفسهم بتكذيب الأنبياء (قل يأيها الذين هادوا) أي الذين تهودوا وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت) أي ان قلتم انكم أحباء لله من دون محمد وأصحابه فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم سريعا من دار البلية الى دار الكرامة التي أعدها الله لاحبابه وقوله تعالى فتمنوا الموت جواب الشرط والعامة بضم الواو وقرأ ابن السميقع وابن يعمر وابن أبي اسحق بكسرها وقرأ ابن السميقع أيضا بفتحها للتخفيف (ان كنتم صادقين) في زعمكم فتمنوا الموت فان من أيقن بأنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص اليها وطريقها الموت (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي ويأبون التمني للموت بسبب ما عملوا من الكفر وتحريف الآيات الموجب لدخول النار (والله عليم بالظالمين) أي بظلم الظالمين من تحريف الآيات وعنادهم لها (قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم) أي ان الموت الذي تخافون من أن تتمنوه بلسانكم بسبب ما قدمتموه من تحريف الآيات وغيره ملاقيكم ألبتة والفاء في فانه لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرأ زيد بن علي انه بدون فاء وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم من غير فانه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) فالله تعالى عالم بما غيبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبما أسررتم في أنفسكم من تكذيبكم رسالته (فينبئكم بما كنتم تعملون) اما عيانا مقرونا بلقائكم يوم القيامة أو بالجزاء ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (يأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) أي اذا نودي لوقت الصلاة من يوم الجمعة فاذهبوا الى الخطبة والصلاة (وذروا البيع) أي اتركوا المعاملة (ذلكم) أي الذهاب الى ذكر الله وترك المعاملة

(خير

(وآخرين) أي وفي آخرين (منهم لما يلحقوا بهم) وهم التابعون وجميع من يدخل في الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل من شاهده والى كل من كان بعده من العرب والعجم (مثل الذين حملوا التوراة) أي كلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) أي كتبا يعني اليهود شبههم في قلة انتفاعهم بما في أيديهم من التوراة اذلم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار يحمل كتبا ثم قال (بئس مثل القوم) الآية (قل يأيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله) الآية مفسرة عند قوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية (قل ان الموت الذي تفرون منه) وذلك أنهم علموا أن عاقبتهم النار بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فكرهوا الموت قال الله تعالى (فانه ملاقيكم) اي لا بد لكم منه يلقاكم وتلقونه (يأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) أي فاعملوا الى المشي اليه (وذروا البيع) أي اتركوه

(خيرلكم) فى الآخرة من التكسب فى ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم أهل العلم فأنتم ترون ذلك خيرا (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) أى اذا أديت الصلاة فاخرجوا من المسجد ان شئتم لاقامة مصالحكم واطلبوا الرزق ان شئتم فهذه رخصة بعد النهى بقوله تعالى وذروا البيع وعن عراك بن مالك أنه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد قال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) على كل حال بالقلب واللسان قال مجاهد لا يكون من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكره قائما وقاعدا ومضطجعا وعن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أتيتم السوق فقولوا لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير فان من قالها كتب الله له ألف ألف حسنة وحط عنه ألف ألف خطيئة ورفع له ألف ألف درجة (لعلكم تفلحون) أى كى تفوزوا بخير الدارين أى لما جعل يوم الجمعة يوم شكر واظهار سرور وتعظيم نعمة احتيج فيه الى الاجتماع الذى به تقع شهرته فجمعت الجماعات له واحتيج فيه الى الخطبة تذكيرا بالنعمة وهى ما أنعم الله تعالى به عليهم من نعمة الوجود والعقل وغير ذلك مما لا يحصى ولما كان مدار التعظيم انما هو على الصلاة جعلت الصلاة لهذا اليوم وسط النهار ليتم الاجتماع ولم تجز هذه الصلاة الا فى مسجد واحد ليكون أدعى الى الاجتماع (واذا رأوا تجارة أو لهوا) وهو الطبل أى واذا سمعوا صوتا يدل على قدوم التجارة (انفضوا اليها) أى تفرقوا الى التجارة وقرئ اليهما (وتركوك قائما) على المنبر تخطب قال مقاتل ان دحية بن خليفة الكلبى قبل أن يسلم أقبل بتجارة من الشام وكان معه من أنواع التجارة وكان يتلقاه أهل المدينة بالطبل والصفق وكان ذلك فى يوم الجمعة والنبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج الناس اليه وتركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق الا اثنا عشر رجلا أو أقل كثمانية أو أكثر كأربعين فقال صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة ونزلت هذه الآية وكان من الذين معه أبو بكر وعمر قال قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات وقال مقاتل بن حبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الجمعة قبل الخطبة كالعيدين فلما خرج الناس لقدوم دحية بتجارة وظنوا أنه ليس فى ترك الخطبة شئ من الاثم أنزل الله تعالى هذه الآية فقدم النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة وأخر الصلاة (قل) يا أشرف الخلق للمؤمنين زجرا عن العود لمثل ذلك الفعل (ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة) أى ماعند الله من ثواب الثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم (والله خير الرازقين) أى أفضل المعطين فمنه اطلبوا الرزق

﴿ سورة المنافقون مدنية احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة ﴾

﴿ وسبعمائة وستة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا جاءك المنافقون) أى اذا حضر مجلسك منافقو أهل المدينة عبدالله بن أبى ومعتب بن قشير وجد بن قيس وكانوا بنى عم (قالوا نشهد انك لرسول الله) وقولهم نشهد نفى النفاق عن أنفسهم روى زيد بن أرقم قال كنت مع عمى فسمعت عبدالله بن أبى ابن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكر ذلك عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسولا الى عبدالله بن أبى وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى فأصابنى هم لم يصبنى مثله فجلست فى بيتى فأنزل الله عزوجل اذا

بعد النداء (فاذا قضيت الصلاة) أى فرغ منها (فانتشروا فى الارض) أمر اباحة (وابتغوا من فضل الله) يريد الرزق (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) أى تفرقوا عنك الى التجارة وكان صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطبل وكان ذلك فى زمن غلاء بالمدينة فتفرق الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم للتجارة وصوت الطبل ولم يبق معه الا اثنا عشر رجلا وقوله (وتركوك قائما) أى فى الخطبة (قل ماعند الله) للمؤمنين (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أى فاياه فاسألوا ولا تنفضوا عن الرسول لطلب الرزق

﴿تفسير سورة المنافقين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله

والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) أى لاضمارهم خلاف ما أظهروا (اتخذوا أيمانهم) جمع يمين (جنة) أى سترة يستترون بها من القتل يعني قوله يحلفون بالله انهم لمنكم وقوله يحلفون بالله ما قالوا (فصدوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس عن الايمان بمحمد ﷺ (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى بئس العمل عملهم (ذلك بأنهم آمنوا) فى الظاهر (ثم كفروا) بالاعتقاد (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) أى فى طولها واستواء خلقها وكان عبد الله بن أبي جسيما فصيحا صحيحا اذا تكلم تسمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله وهو قوله (وان يقولوا تسمع لقولهم) ثم اعلم أنهم فى ترك التفهم بمنزلة الخشب فقال (كأنهم خشب مسندة) أى ممالة الى الجدار (يحسبون) من جبنهم وسوء ظنهم (كل صيحة عليهم) أى ان نادى مناد فى العسكر أو ارتفع صوت ظنوا أنهم يرادون بذلك لما فى قلوبهم من الرعب (هم العدو) وان كانوا معك (فاحذرهم) ولا تأمنهم (قاتلهم الله) أى لعنهم الله (أنى يؤفكون) أى من أين يصرفون عن الحق بالباطل (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) وذلك أنه لما نزلت هذه الآيات قيل لعبد الله بن أبي لقد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فلوى رأسه وأعرض بوجهه اظهارا للكراهة والسبعة (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عما دعوا اليه (وهم مستكبرون) أى لا يستغفرون ثم أخبر أن استغفار الرسول لا ينفعهم شيئا لفسقهم وكفرهم فقال (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم

جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا الى قوله ليخرجن الأعز منها الأذل فأرسل الى رسول الله ﷺ ثم قال ان الله قد صدقك (والله يعلم انك لرسوله) سواء أشهد المنافقون بذلك أم لا وهذه جملة معترضة بين قولهم نشهد انك لرسول الله وبين قوله تعالى والله يشهد الخ لاماطة توهم توجه التكذيب الى منطوق كلامهم (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) من اخبارهم عن أنفسهم أنهم يشهدون فان ضمير قلوبهم على غير تلك الشهادة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) أى سترة عما خافوا على أنفسهم من القتل وقرأ الحسن بكسر همزة ايمانهم (فصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وقد منعوا الضعفة عن اتباع رسول الله فى السر وعن الانفاق فى سبيل الله (انهم ساء ما كانوا يعملون) حيث آثروا الكفر على الايمان وأظهروا خلاف ما أضمروا (ذلك) أى سوء أعمالهم (بأنهم آمنوا) فى الظاهر وشابهوا المسلمين فى نطق كلمة الشهادة وفى الافعال (ثم كفروا) أى ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير و بقولهم فى غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات (فطبع على قلوبهم) لسوء أفعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله أى تركهم الله فى أنفسهم الجاهلة وأهوائهم الباطلة (فهم لا يفقهون) شيئا فلا يميزون صوابا من خطأ ولا حقا من باطل (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لضخامتها ولصباحة وجوههم فهم أشباح وقوالب ليس وراءها ألباب وحقائق (وان يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وقرئ يسمع على البناء للمفعول (كأنهم خشب مسندة) أى مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم والوقف هنا تام فقوله عليهم مفعول ثان قال مقاتل اذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو نشدت ضالة مثلا ظنوا أنهم يرادون بذلك لما فى قلوبهم من الرعب وذلك لانهم على وجل من أن يهتك الله أستارهم و يكشف أسرارهم (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة (فاحذرهم) أن تأمنهم على السر ولا تلتفت الى ظاهرهم فان أعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (قاتلهم الله) أى أهلكهم الله فان أصل للمتمنى أحلهم الله محل من قاتله عدو قاهر يهلكه لأن الله تعالى قاهر لكل معاند فاذا قاتلهم أهلكهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق الى الكفر والضلال (واذا قيل لهم تعالوا) الى رسول الله و توبوا من الكفر والنفاق (يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) أى حركوها اعراضا واباء روى أنه لما نزل القرآن فى فضيحة المنافقين أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم و يلكم افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق واسألوه ان يستغفر لكم فأبوا ذلك فنزلت هذه الآية (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عن الاعتذار (وهم مستكبرون) عن استغفار الرسول لهم (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أى استغفارك لهم وعدمه سواء

والسبعة بهمزة قطع مفتوحة من غير مدو وصلها قوم على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه وقرئ شاذا أاستغفرت بهمزة ثم ألف (لن يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله لايهدى القوم الفاسقين) أى الذين سبق ذكرهم وهم الكافرون والمنافقون والمستكبرون (هم الذين يقولون) والقائل عبدالله بن أبى لأصحابه المؤمنين الأنصار فى غزوة تبوك (لاتنفقوا على من عند رسول الله) وهم فقراء المهاجرين (حتى ينفضوا) أى لاجل أن يتفرقوا عنه وقرئ حتى ينفضوا بضم الياء وسكون النون أى لاجل أن تفنى أزوادهم (ولله خزائن السموات والارض) أى مفاتيح الرزق يعطى من يشاء و يمنع من يشاء (ولكن المنافقين لايفقهون) أن الله يرزقهم وأن أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يقولون) فى تبوك (لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق (الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) قال المفسرون اختلف أجير عمر وهو جهجاه بن سعيد مع أجير عبدالله بن أبى وهو سنان الجهنى فى بعض الغزوات فأسمع أجير عمر عبدالله بن أبى المكروه واشتد عليه لسانه فغضب عبدالله وعنده رهط من قومه فقال أما والله لئن رجعنا من غزوتنا هذه الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وأراد عبدالله بالأعز نفسه و بالأذل رسول الله والمؤمنين ثم أقبل على قومه فقال لو أمسكتم النفقة عن هؤلاء المهاجرين لأوشكوا أن يتحولوا عن دياركم و بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فنزلت هذه الآية وسبب غزوة بنى المصطلق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق وهم حى من هذيل يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبى ضرار وهو أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فوقع القتال فهزم الله بنى المصطلق وكان سبيهم سبعمائة فلما أخذ النبى جويرية من السبى لنفسه أعتقها وتزوجها فقال المسلمون صار بنو المصطلق أصهار رسول الله فأطلقوا ما بأيديهم من السبى اكراما لرسول الله ولهذا قالت عائشة رضى الله عنها وما أعظم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ولقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بنى المصطلق اهـ واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى (ولله العزة) أى القوة (ولرسوله وللمؤمنين). فعزة الله قهره لأعدائه وعزة رسوله اظهار دينه على الأديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لايعلمون) أن الله معز أوليائه ومذل أعدائه ولو علموه ماقالوا مقالتهم روى أن عبدالله بن أبى لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبدالله بن عبدالله بن أبى وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبى ﷺ لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله) أى لا يشغلكم الاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن فرائض الله تعالى نحو الصلاة والزكاة والحج (ومن يفعل ذلك) أى ومن ألهاه ماله وولده عن طاعة الله تعالى (فأولئك هم الخاسرون) أى فى تجارتهم حيث باعوا الشريف الباقى بالخسيس الفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) أى بعض ما أعطيناكم (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى مقدمات الموت (فيقول) عند تيقنه بحلول الموت (رب لولا أخرتنى الى أجل قريب) أى هلا أمهلتنى الى أمد قصير بقدر ما أستدرك فيه مافاتنى (فأصدق) من مالى بتشديد الصاد والدال وقرأ أبى فأتصدق على الأصل (وأكن من الصالحين) أى أكن من الحاجين عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه

عند رسول الله حتى ينفضوا) وذلك أن عبدالله بن أبى قال لقومه وذويه لاتنفقوا على أصحاب محمد حتى ينفضوا أى يتفرقوا (ولله خزائن السموات والارض) أى انه يرزق الخلق كلهم وهو يرزق المؤمنين والمنافقين جميعا (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) يعنى عبدالله بن أبى وكان قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة بنى المصطلق فجرى بينه و بين واحد من المسلمين جدال وأفرط عليه المؤمن فقال ابن أبى لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه و بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى (ولله العزة) أى القدرة والغلبة (ولرسوله) أى بعلو كلمته واظهار دينه (وللمؤمنين) بنصر الله اياهم على من ناوأهم (يأيها الذين آمنوا لا تلهكم) أى لاتشغلكم (أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله) يعنى الصلوات الخمس (ومن يفعل ذلك) أى يشتغل بشئ عن الصلاة (فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم) أى أدوا الزكاة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى) أى هلا أخرتنى (الى أجل قريب) يسأل الرجعة وما قصر أحد فى الزكاة والحج الا سأل الرجعة عند الموت وهو قوله (فأصدق) أى أتصدق وأزكى (وأكن من الصالحين) أى أحج قال الله تعالى

حج يبشر به أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل الاسأل الله الرجعة عند الموت وقرأ أبو عمرو وأكون بالنصب عطفا على لفظ جواب التمني والباقون وأكن بالجزم عطفا على محله وقرئ وأكون بالرفع أى وأنا أكون (ولن يؤخر الله نفسا) أى عن الموت (اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) فمجازيكم عليه وقرأ شعبة بالياء التحتية

﴿ سورة التغابن مدنية أومكية ثمانى عشرة آية. ومائتان واحدى ﴾

﴿ وأربعون كلة. وألف وسبعون حرفا ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله مافى السموات ومافى الأرض) أى ينزهه تعالى جميع مافيهما من المخلوقات عما لايليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا (له الملك) فهو متصرف فى ملكه (وله الحمد) على أهل السموات والأرض (وهو على كل شىء) من أمر الدنيا والآخرة (قدير) لأن نسبة الكل الى قدرته تعالى سواء (هو الذى خلقكم فمنكم كافر) أى فبعضكم مختار للكفر كاسب له (ومنكم مؤمن) أى و بعض منكم مختار للايمان كاسب له وقال عطاء والزجاج أى فمنكم جاحد بأنه تعالى خلقه وهو من أهل الطبائع والدهرية ومنكم مصدق بأنه تعالى خلقه والمعنى أنه تعالى تفضل عليكم بأصل النعم التى هى الخلق فانظروا النظر الصحيح وكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم ذلك بل تفرقتم فرقا فمنكم كافر ومنكم مؤمن (والله بما تعملون بصير) من الكفر والايمان فيجازيكم على ذلك (خلق السموات والارض بالحق) أى بالارادة القديمة على وفق الحكمة (وصوركم) فى الأرحام (فأحسن صوركم) فمن نظر فى قد الانسان ومناسبته بين أعضائه فقد علم أن صورته أحسن صورة وقد وجد فيه القوى الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته دلالة مخصوصة لحسن هذه الصورة (واليه المصير) أى المرجع (يعلم مافى السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ماتسرون وما تعلنون) أى ماتسرونه فيما بينكم وماتظهرونه من الامور (والله عليم بذات الصدور) أى بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس (ألم يأتكم) أيها الكفرة (نبأ الذين كفروا من قبل) أى من قبلكم كقوم نوح ومن بعدهم (فذاقوا) من غير مهلة (وبال أمرهم) أى شدة أمرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم ذلك) أى العذاب فى الدنيا والآخرة (بأنه) أى الشأن (كانت) أى القصة (تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج الظاهرات فأنكروا أن يكون الرسول بشرا ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا (فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا) بالرسل (وتولوا) أى أعرضوا عن الايمان (واستغنى الله) أى أظهر الله تعالى غناه عن ايمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم ولم يلجئهم الى ذلك (والله غنى) عن عبادتهم من الازل (حميد) أى مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده أحد (زعم الذين كفروا) من أهل مكة (أن لن يبعثوا) أى أنهم لن يبعثوا بعد موتهم أبدا (قل) ياأشرف الخلق لهم (بلى) تبعثون (وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتحاسبن ولتجزون على أعمالكم (وذلك) أى البعث والجزاء (على الله يسير) لثبوت قدرته التامة فلا يصرفه صارف (فآمنوا بالله ورسوله) أى اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) وهو القرآن فانه يهتدى به فى الشبهات كما يهتدى بالنور فى الظلمات وذلك لئلا ينزل بكم مانزل بالكفار الماضية من العقوبة (والله بما تعملون خبير) فمجازيكم عليه (يوم يجمعكم ليوم الجمع) أى لأجل مافى يوم القيامة من الحساب والجزاء وسمى بالجمع لان الله تعالى يجمع فيه الاولين

(ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون)

﴿تفسير سورة التغابن﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله مافى السموات ومافى الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير هو الذى خلقكم) أى فى بطون الأمهات (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أى خلقكم كافرين ومؤمنين وقوله (فأحسن صوركم) أى خلقكم أحسن الحيوان (ألم يأتكم) ياأهل مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) أى خبر الامم الكافرة قبلكم (فذاقوا وبال أمرهم) أى ذاقوا فى الدنيا العقوبة بكفرهم (ولهم فى الآخرة عذاب أليم ذلك) أى ذلك الذى نزل بهم (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) استبعدوا أن يكون الداعى الى الحق بشرا والمراد بالبشر هاهنا الجمع ولذلك قال يهدوننا (فكفروا وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) عن ايمانهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) فى أفعاله وقوله

والآخرين من أهل السموات وأهـل الأرض ويوم ظرف للتنبؤن وقرئ نجمعكم بنون العظمة (ذلك يوم التغابن) أى يوم ظهور غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وفى الحديث «مامن عبد يدخل الجنة الاأرى مقعده من النار لوأساء ليزداد شكرا ومامن عبد يدخل النار الاأرى مقعده من الجنة لوأحسن ليزداد حسرة» (ومن يؤمن بالله) مع ماجاءت به الرسـل من الحشر والنشر والجنة والنار وغيرذلك (ويعمل صالحا) الى أن يموت فى ايمانه (يكفر) أى الله (عنه سيئاته ويدخـله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك) أى تكفير السيئات وادخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه وقرأ نافع وابن عامر نكفر عنه وندخله بالنون فيهما (والذين كفروا) بوحدانية الله وبقدرته (وكذبوا بآياتنا) أى بالقرآن (أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) النار (ماأصاب) أحدا (من مصيبة) دينية أودنيوية فى بدن وأهـل ومال (الاباذن الله) أى بتقديره وارادته ومن مصيبة فاعل بزيادة من قيل وسبب نزول هذه الآية ان الكفار قالوا لو كان ماعليه المسلمون حقا لصانهم الله تعالى عن المصائب فى الدنيا (ومن يؤمن بالله) بأن يرى المصيبة من الله (يهد قلبه) عند المصيبة للتسليم لأمر الله فيسترجع وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ بالهمزة على وزن يقطع ويخضع أى يسكن فيسلم لقضاء الله تعالى ويصبر على المصيبة (والله بكل شئ عليم) فيعلم اطمئنان القلب عند المصيبة (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى هونوا المصائب على أنفسكم واتبعوا الأوامر الصادرة من الله تعالى ومن الرسول فيما دعاكم اليه (فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) أى فان أعرضتم عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه فلا بأس عليه اذ ماعليه الا التبليغ الظاهر وقد فعل ذلك (الله لا اله الا هو) أى الله المستحق للعبودية لامستحق للمعبودية يصح أن يوجد الا هو وجملة لا اله الا هو خبر لاسم الجلالة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فى كل باب لأنه لامقصود الا هو فان المؤمن لايعتمد الا عليه ولا يتقوى الا به (يأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) قال عطاء بن يسار نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الأشجعى كان ذا أهل وولد فأراد أن يغزو فبكوا اليه ورققوه وقالوا له الى من تدعنا فرق عليهم وأقام فى البلد وترك الغزو وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية فقال هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد تفقهوا فى الدين هموا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم وان لحقوا بهم فى دار الهجرة لم ينفقوا عليهم ولم يصيبوهم بخير فنزل قوله تعالى وان تعفوا عن ذنوبهم وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها بعدما هاجروا من مكة الى المدينة فان الله يعاملكم بمثل ماعملتم وهذه العداوة انما هى للكفر والنهى عن الاسلام فانهم من الكفار أما أزواجهم وأولادهم المؤمنون فلا يكونون عدوا لهم. (انما أموالكم وأولادكم فتنة) أى بلاء وشغل عن الآخرة اذ منعوكم عن الهجرة والجهاد فلا تطيعوهم فى معصية الله تعالى (والله عنده أجر عظيم) لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الأموال والأولاد (فاتقوا الله مااستطعتم) أى ابذلوا فى تقوى الله غاية طاقتكم وهذا مثل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فانه لايراد به الاتقاء فيما لايستطيعونه

(يوم التغابن) أى يغبن فيه أهل الجنة أهل النار بأخذ منازلهم التى كانت لهم فى الجنة لو آمنوا ويغبن من ارتفعت منزلته فى الجنة من كان دون منزلته فيظهر فى ذلك اليوم غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان (ماأصاب من مصيبة الاباذن الله) أى بعلمه وارادته (ومن يؤمن بالله) أى يصدق بأنه لاتصيبه مصيبة الاباذن الله (يهد قلبه) أى يجعله مهديا حتى يشكر عند النعمة ويصبر عند الشدة (يأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) نزلت فى قوم آمنوا وأرادوا الهجرة فثبطهم أهلهم وأولادهم وقالوا لانصبر على مفارقتكم فأخبر الله تعالى أنهم أعداء لهم بحملهم إياهم على المعصية وترك الطاعة (فاحذروهم) أن تقبلوا منهم ولا تطيعوهم ثم اذا هاجر هذا الذى ثبطه أهله عن الهجرة رأى الناس قد تعلموا القرآن وتفقهوا فى الدين فيهم أن يعاقب أهله فقال الله تعالى (وان تعفوا وتصفحوا) عنهم (وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة) أى بلاء واختبار للمرء فى كسب الحرام فمن كسب الحرام لأجل الأولاد ومنع ماله عن الحقوق فهو مفتون بالمال والولد (والله عنده أجر عظيم) أى لمن صبر عن الحرام وأنفق المال فى حقه (فاتقوا الله مااستطعتم) يعنى ماأمكنكم الجهاد والهجرة ولايفتنكم الميل الى الأموال والأولاد عن ذلك وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته وقوله

(واسمعوا) أى ماأمرتم به سماع قبول (وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم) أى قدموا خيرا لأنفسكم من أموالكم (ومن يوق شح نفسه) أى بخلها وحرصها حين ينفق المال (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالخير (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) و فى قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة الى عشر الى سبعمائة وأكثر وهو التصدق عن طيب قلب (و يغفر لكم) مايشاء (والله شكور) مجاز على الطاعة (حليم) فى العقاب عن المعصية (عالم الغيب) السر (والشهادة) العلانية (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه

فوق الطاقة (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) مما رزقكم فى الوجوه التى أمركم (خيرا لأنفسكم) أى وآتوا خيرا لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى من يكفه الله بخل نفسه فيفعل فى ماله جميع ماأمر به مطمئنا اليه حتى ترتفع عن قلبه الأخطار فأولئك هم الفائزون بكل مرام (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) أى ان تنفقوا فى طاعة الله تعالى من حلال بطيب نفس متقربين اليه يجزكم بالضعف الى ألفى ألف الى ماشاء الله من الأضعاف وقرئ يضعفه بتشديد العين (و يغفر لكم) مافرط منكم من بعض الذنوب ببركة الانفاق (والله شكور) يشكر اليسير و يجزى الجزيل من صدقاتكم (حليم) لايعجل بالعقوبة على من يمن بصدقته أو يمتنع من التصدق (عالم الغيب والشهادة) لايخفى عليه شئ من الخشية والمن (العزيز) أى الذى لايعجزه شئ (الحكيم) أى الذى لايلحقه الخطأ فى التدبير فالعزيز يدل على القدرة والحكيم يدل على الحكمة

﴿ سورة الطلاق مدنية ثنتا عشرة آية . ومائتان وتسع وأربعون كلمة . وألف ومائة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) أى اذا أردتم تطليق النساء فطلقوهن مستقبلات لزمان عدتهن وهو الطهر (وأحصوا العدة) أى احفظوا القروء للعدة لتعرفوا زمان الرجعة والنفقة والسكنى وحل النكاح لأخت المطلقة ونحو ذلك من الفوائد (واتقوا الله ربكم) فى الاضرار بهن (لاتخرجوهن من بيوتهن) أى من مساكنهن عند الفراق الى أن تنقضى عدتهن (ولايخرجن) ولو باذن منكم لأن فى العدة حقا لله تعالى فلا يسقط بتراضيهما (الاأن يأتين بفاحشة مبينة) أى الافى حال كونهن آتيات بزنا ظاهر أومشهود عليه بأربعة شهود فيخرجن لاقامة الحد عليهن ثم يرددن الى منزلهن كما قاله ابن مسعود أوالافى حال أن يبذون على الأزواج أو على أهلهم فيحل لهم حينئذ اخراجهن لسوء خلقهن كما قاله ابن عباس ويؤيده قراءة الاأن يفحشن عليكم وقال ابن عمر الفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة بفتح الياء التحتية والباقون بكسرها (وتلك) أى الأحكام (حدود الله) وهى الموانع عن المجاوزة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) أى ومن يتجاوز الحدود فقد ضر نفسه لأنه وضعها فى غير موضعها (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أى فانك لاتدرى أيها المتعدى عاقبة الأمر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك التعدى أمرا يقتضى الرجعة بأن يبدل الله ببغض المرأة محبة و بالاعراض عنها اقبالا اليها فان العدة اذا لم تكن مضبوطة أو انتقلت المرأة من منزل زوجها أشكل أمر الرجعة (فاذا بلغن أجلهن) أى قاربن انقضاء أجل العدة فأنتم بالخيار (فأمسكوهن بمعروف) أى ان شئتم فراجعوهن بحسن معاشرة وانفاق لائق (أو

﴿ تفسير سورة الطلاق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يأيها النبى اذا طلقتم النساء) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون داخلون فى الخطاب ومعنى قوله اذا طلقتم النساء أى اذا أردتم طلاق النساء (فطلقوهن لعدتهن) أى لطهرهن الذى يحصينه من عدتهن وهذا سنة الطلاق فلا تطلقوهن لحيضهن الذى لايعتددن به من زمان العدة (وأحصوا العدة) أى عدد أقرائها واحفظوها لتعلموا وقت الرجعة ان أردتم أن تراجعوهن وذلك أن الرجعة انما تجوز فى زمان العدة (واتقوا الله ربكم) أى أطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه (لاتخرجوهن من بيوتهن) حتى تنقضى عدتهن (ولايخرجن) من البيوت فى زمان العدة (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) وهى الزنا فيخرجن حينئذ لاقامة الحد عليهن (وتلك حدود الله) يعنى ما ذكر من طلاق السنة (ومن يتعد حدود الله) أى ماحد الله له فى الطلاق وغيره (فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك) أى بعد الطلاق (أمرا) أى مراجعة وهذا يدل على كراهة التطليق ثلاثا بمرة واحدة لأن احداث الرجعة لاتكون بعد الثلاث (فاذا بلغن أجلهن) أى قاربن انقضاء العدة (فأمسكوهن) أى برجعة تراجعوهن بها (بمعروف) وهو أن لايريد بالرجعة اضرارها (أو

فارقوهن

فارقوهن بمعروف) أى وان شئتم فاتركوهن من غير مراجعة بايفاء الحق واتقاء الضرار وهو أن يراجعها فى آخر العدة ثم يطلقها تطويلا للعدة وتعذيبا لها (وأشهدوا) يأيها الأزواج (ذوى عدل منكم) عند التطليق وعند الرجعة قطعا للنزاع فهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة وهو عند الشافعى واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة (وأقيموا الشهادة لله) أى أدوا الشهادة التى تحملتموها عند الحكام يأيها الشهود لوجه الله تعالى (ذلكم) أى الاشهاد واقامة الشهادة (يوعظ به) أى يؤمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) يقال نزلت الآيات من أول السورة الى ههنا فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم حين طلق حفصة وفى ستة نفر من أصحابه طلقوا نساءهم غير طواهر فنهاهم الله عن ذلك لانه لغير السنة (ومن يتق الله) أى يصبر على المصيبة (يجعل له مخرجا) من الشدة وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الأشجعى أسر العدو ابناله يسمى سالما فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال ﷺ اتق الله واصبروا كثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله ففعل ذلك فبينما هو فى بيته اذ أتاه ابنه سالم ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فذلك قوله تعالى (ويرزقه من حيث لايحتسب) أى من وجه لايخطر بباله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى ومن يثق بالله فيما ناله فهو كافيه فى جميع أموره (ان الله بالغ أمره) وقرأ حفص بالاضافة أى منفذ أمره والباقون بالتنوين ونصب أمره أى يبلغ مراده فى جميع خلقه وقرئ برفع أمره أى نافذ تدبيره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله قد جعل الله خبر ان و بالغا حال من اسم الجلالة (قد جعل الله لكل شئ) من الشدة والرخاء (قدرا) أى أجلا ينتهى اليه وروى أن معاذ بن جبل قال يارسول الله قد عرفنا عدة التى تحيض فما عدة التى لم تحض فنزل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن وقد قدروه بستين سنه و بخمس وخمسين (ان ارتبتم) أى ان أشكل عليكم حكمهن فى العدة أو ان جهلتم بمقدار عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) فقام رجل فقال يارسول الله فما عدة الصغيرة التى لم تحض فنزل (واللائى لم يحضن) لصغرهن هن بمنزلة الكبيرة التى قد يئست وهذه معطوفة على واللائى يئسن عطف المفردات فقام رجل آخر وقال وما عدة الحوامل يارسول الله فنزل (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أى والحبالى منتهى عدتهن وأجل انقطاع ما بينهن و بين الأزواج وضع الحمل سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن لخبر سبيعة بنت الحرث أنها وضعت حملها بعد وفاة زوجها بخمسة عشر يوما فأمر رسول الله ﷺ أن تتزوج فاباحة النكاح قبل مضى أربعة أشهر وعشر دليل على أن عدة الحامل تنقضى بوضع الحمل فى جميع الأحوال والحمل اسم لجميع مافى بطنهن فلاتنقضى العدة بوضع بعض حملهن وقرئ أحمالهن (ومن يتق الله) فى شأن أحكامه (يجعل له من أمره يسرا) أى ييسر الله عليه فى أمره و يوفقه للعمل الصالح وقال عطاء يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أى الذى ذكر من الأحكام (أمر الله) أى فرائضه (أنزله اليكم) أى بينه لكم فى القرآن (ومن يتق الله) بطاعته و يعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (يكفر عنه

فارقوهن بمعروف) أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتبين (ولاتضاروهن) أى براجعتهن (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على الرجعة أو الفراق (ومن يتق الله) أى يطيعه فيما يأمره و ينهاه (يجعل له مخرجا) من الشدة الى الرخاء ومن الحرام الى الحلال ومن النار الى الجنة يعنى من صبر على الضيق واتقى الحرام جعل الله له مخرجا أى من الضيق (ويرزقه من حيث لايحتسب) و يروى أن هذا نزل فى عوف بن مالك الأشجعى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان العدو أسروا ابنى وشكا اليه الفاقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبروا كثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو فى بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو وأصاب ابلا لهم وغنما فساقها الى أبيه (ومن يتوكل على الله) فوثق به وسكن قلبه اليه (فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ أمره) أى يبلغ أمره فيما يريد و ينفذه (قد جعل الله لكل شئ قدرا) أى ميقاتا وأجلا (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) يعنى القواعد من النساء اللاتى قعدن عن الحيض (ان ارتبتم) أى شككتم فى حكمهن يعنى لم تعلموا عدتهن وذلك أنهم سألوا فقالوا قد عرفنا عدة التى تحيض فما عدة التى لاتحيض والتى لم تحض بعد فبين الله ذلك فقال (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) يعنى الصغار (وأولات الأحمال) أى ذوات الحمل من النساء (أجلهن) أى عدتهن (أن يضعن حملهن) فاذا وضعت الحامل انقضت عدتها مطلقة كانت أو متوفى عنها زوجها (ومن يتق الله) أى بطاعته فى أوامره ونواهيه (يجعل له من أمره يسرا) أى أتام باليسر فى أموره (ذلك) يعنى ماذكر من أحكام العدة (أمر الله أنزله اليكم) الآية

(أسكنوهن) أي المطلقات (من حيث سكنتم) أي من منازلكم و بيوتكم (من وجدكم) أي سعتكم وطاقتكم (ولا تضاروهن) أي لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) مساكنهن فيحتجن الى الخروج (وان كن) يعني المطلقات (أولات حمل فأنفقوا

سيئاته) من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة فان الحسنات يذهبن السيئات (و يعظم له أجرا) في الآخرة بالمضاعفة (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) أي أسكنوا المعتدات مسكنا من بعض مكان سكناكم على قدر طاقتكم ووجدكم بضم الواو باتفاق القراء السبعة وقرئ بفتح الواو وكسرها (ولا تضاروهن) في السكنى والنفقة (لتضيقوا عليهن) بهما حتى تلجئوهن الى الخروج من المسكن أو الى أن تفتدي الرجعية نفسها منكم (وان كن أولات حمل) أي وان كن المطلقات حبالى (فأنفقوا) أيها الأزواج (عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا بيان حكم المطلقة البائنة أما الحوامل المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن وأما الرجعية فانها تستحق النفقة وان لم تكن حاملا ومذهب مالك والشافعي أنه ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها الا أن تكون حاملا وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها بت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وأما عند الحنفية فلكل مطلقة حق النفقة والسكنى لان عمر قال سمعت النبي ﷺ يقول في شأن المطلقة لها النفقة والسكنى ولان ذلك جزاء الاحتباس وهو مشترك بين المبتوتة وغيرها ولو كان جزاء الحمل لوجب في ماله اذا كان له مال ولم يقولوا به ونحن معشر الشافعية نقول ان الحامل قد يتوهم أنها لا نفقة لها لطول مدة الحمل فأثبت لها النفقة ليعلم أن غيرها بطريق الاولى (فان أرضعن لكم) أولادكم منهن بعد انقضاء علقة النكاح (فآتوهن أجورهن) على ذلك الارضاع ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه للرجل استئجار امرأته للرضاع اذا كان الولد منها ما لم تبن و يجوز عند الشافعي مطلقا وفي هذه الآية دليل على أن حق الرضاع والنفقة على الأزواج في حق الأولاد وحق الامساك والتربية على الزوجات وفيها دليل على أن اللبن ملك لها (وأتمروا بينكم بمعروف) أي تشاوروا بتراضي الأب والأم ولا يكن من الأب مماكسة ولا من الأم معاسرة ولا من الرجل تقصير في حق المرأة ونفقتها ولا من المرأة في حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) كأن أبى الزوج أن يعطي المرأة أجر رضاعها وأبت الأم أن ترضع الولد مجانا (فسترضع له أخرى) أي فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستأجر الأب للصبي مرضعا غير أمه (لينفق) على المرضعات المطلقات وعلى خلافها (ذو سعة من سعته) أي ذو غنى على قدر غناه (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) أي ومن ضيق عليه معيشته فلينفق على الزوجة والولد الصغير على قدر ما أعطاه الله من المال وان قل (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أي الا بقدر ما أعطاها من الرزق جل أو قل فانه تعالى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أي بعد ضيق سعة و بعد شدة رخاء عاجلا أو آجلا (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أي وكم من أهل قرية أبوا عن قبول أمر ربهم وعن اجابة أمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) أي فحاسبناهم في الآخرة على أعمالها بالمناقشة في كل نقير وقطمير (وعذبناها عذابا نكرا) أي وعذبناهم عذابا عظيما وهو عذاب نار جهنم (فذاقت وبال أمرها) أي فذاقوا عقوبة كفرهم (وكان عاقبة أمرها خسرا) أي وكان عاقبة عتوها هلاكا بعذاب الدنيا وعذاب النار (أعد الله لهم) في الآخرة (عذابا شديدا) لونا بعد لون (فاتقوا الله) عن أن تكفروا به و برسوله (يا أولي الألباب) أي يا ذوي العقول من الناس (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا) والوقف على ذكرا تام ان نصب رسولا بالاغراء

عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم) أولادكم منهن (فآتوهن أجورهن) أي على ارضاعهن (وأتمروا بينكم بمعروف) يقول وليقبل بعضكم من بعض اذا أمره بمعروف (وان تعاسرتم) أي تضايقتم ولم تتوافقوا على ارضاع الأم (فسترضع) الصبي (له) أي لوالده مرضعة (أخرى) سوى الأم ولا تكره على الارضاع (لينفق ذو سعة من سعته) أمر أهل السعة أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهن (ومن قدر عليه رزقه) أي كان رزقه بمقدار القوت (فلينفق مما آتاه الله) أي على قدر ذلك (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أي أعطاها (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أعلم الله المؤمنين أنهم وان كانوا في حال الضيقة سيوسرهم ويفتح عليهم وكان الغالب في ذلك الوقت عليهم الفقر والفاقة ثم فتح الله عليهم وجاءهم باليسر (وكأين) أي وكم (من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) يعني عتا أهلها عما أمر الله به ورسله (فحاسبناها) أي في الآخرة (حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) أي فظيعا يعني عذاب النار (فذاقت وبال أمرها) يعني ثقل عاقبة أمرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) خسارا وهلاكا وقوله (قد أنزل الله اليكم ذكرا) يعني القرآن (رسولا) أي وأرسل رسولا

بالاغراء أي عليكم رسولا أو بفعل مقدر أي وأرسل رسولا فحينئذ فالذكر هو القرآن والرسول هو النبي ﷺ ولا وقف على ذكرا ان جعل رسولا بدلا منه فحينئذ فالذكر الرسول هو جبريل عليه السلام سمي بالذكر لانه مذكور في السموات أو في الأمم أو لشرفه ويؤيده قراءة رسول بالرفع أي هو رسول (يتلوا عليكم آيات الله) أي القرآن (مبينات) وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء لان الآيات تبين الاحكام من الأمر والنهي والحلال والحرام والباقون بالفتح لان الله تعالى أوضح الآيات و بين انها من عنده (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الشبهة الى نور الحجة ومن ظلمة الجهل الى نور العلم وقوله تعالى ليخرج اما متعلق بأنزل والضمير فيه راجع الى اسم الجلالة أو بيتلو فالضمير فيه راجع للرسول (ومن يؤمن بالله و يعمل صالحا) فيما بينه و بين ربه (يدخله) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد أحسن الله له رزقا) قال الزجاج أي قد رزقه الله الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل قد رزقه الله طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة وجملة قد أحسن الله الخ حال ثانية من مفعول يدخله (الله الذي خلق سبع سموات) بعضها فوق بعض مثل القبة (ومن الارض مثلهن) أي في العدد لكنها منبسطة والعامة بنصب مثلهن عطفا على سبع سموات وقرأ عاصم في رواية برفعه على الابتداء وخبره من الارض. روى البخاري وغيره ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها الاقال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين انا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها (يتنزل الامر بينهن) أي ينفذ تصرفه فيهن ويجري قضاؤه بينهن قال عطاء أي يتنزل الوحي الى الخلق في كل أرض وفي كل سماء وقال مقاتل يتنزل الوحي من السماء العليا الى الارض السفلى وقال مجاهد يتنزل الأمر بينهن بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك ذاك مثلا وقرئ ينزل الأمر بينهن (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) أي لكي تعلموا اذا تفكرتم في خلق السموات والارض أن من بلغت قدرته هذا المبلغ الذي لا يمكن أن يكون لغيره كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شيء عما أراده وقوله تعالى لتعلموا متعلق بخلق أو بيتنزل وقرئ ليعلموا بالياء (وأن الله قد أحاط بكل شيء) من الكليات والجزئيات (علما) لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فتبارك الله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ سورة التحريم وتسمى سورة النبي ﷺ مدنية ثنتا عشرة آية. ومائتان وتسع وأربعون كلمة. وألف وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) أي لم تمتنع عن الانتفاع بما أحل الله تعالى لك من ملك اليمين أو من العسل روى أنه ﷺ خلا بمارية في يوم حفصة وعلمت بذلك عائشة فقال لها اكتمي على فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين فطلق حفصة واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروى أن عمر قال

(يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات) أي ظلمات الكفر (الى النور) أي نور الايمان وقوله (قد أحسن الله له رزقا) أي برزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقوله (يتنزل الأمر بينهن) يعني أن في كل سماء وكل أرض خلقا من خلقه وأمرا نافذا من أمره (لتعلموا) معناه أعلمكم ذلك وأبينه لتعلموا قدرته (أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) أي أنه علم كل شيء

﴿تفسير سورة التحريم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على حفصة في يوم نوبتها فخرجت هي لبعض شأنها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مارية وأدخلها بيت حفصة وواقعها فلما رجعت حفصة علمت بذلك فغضبت و بكت وقالت أمالي حرمة عندك وحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكتي فهي حرام على أبتغي بذلك رضاك وحلف أن لا يقربها و بشرها بأن الخليفة من بعده أبوها وأبو عائشة وقال لها لا تخبري أحدا بما أسررت اليك من أمر الجارية وأمر الخليفة من بعدي فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها أخبرت عائشة بذلك وقالت قد أراحنا الله من مارية فان رسول الله ﷺ حرمها على نفسه. وقصت عليها القصة فأنزل الله تعالى لم تحرم ما أحل الله لك يعني الجارية.

لما لو كان فى آل الخطاب خير لما كان رسول الله طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال له صلى الله عليه وسلم راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وهذا قول الحسن ومجاهد وقتادة والشعبى ومسروق ورواية ثابت عن أنس ورواية البزار من حديث ابن عباس ورواية الطبرانى من حديث أبى هريرة ورواية الضياء من حديث عمر والذى فى الصحيحين أن الذى حرمه النبى صلى الله عليه وسلم على نفسه هو شرب العسل فقد روى أنه ﷺ شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وهو صمغ حلو له رائحة كريهة فحرم العسل على نفسه فنزلت هذه الآية (تبتغى) أى تطلب بتحريم مارية أو العسل (مرضات أزواجك) عائشة وحفصة (والله غفور) فقد غفرلك هذه الزلة (رحيم) قد رحمك فى تلك اليمين وقد نقل جماعة من المفسرين أن النبى ﷺ حلف أن لايطأ جاريته فذكر الله لما أوجب من كفارة اليمين وأيضا ان أبا حنيفة يرى تحريم الحلال يمينا فى كل شىء فاذا حرم شخص طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وان نوى عددا كأن نوى ثنتين أو ثلاثا فكما نوى وان قال كل حلال على حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى مانوى ولايراه الشافعى يمينا ولكن سببا فى الكفارة فى النساء فقط وان نوى الطلاق فهو رجعى عنده (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى أوجب الله عليكم كفارة ككفارة أيمانكم أوقد بين الله لكم تحليل أيمانكم بالكفارة فاذا كفر الحالف صار كمن لم يحلف وقرئ كفارة أيمانكم (والله مولاكم) أى حافظكم وناصركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) أى المتقن فى أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولاينهاكم الا مااقتضته الحكمة (واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا) أى واذكر اذ أخبر النبى حفصة فى السر بكلام استكتمها ذلك قال ابن عباس لما رأى النبى ﷺ الغيرة فى وجه حفصة أراد أن يترضاها فأسر اليها بشيئين تحريم مارية على نفسه والبشارة بأن الخلافة بعده ﷺ فى أبى بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه) قرأ الجمهور بتشديد الراء أى فلما أخبرت حفصة بسر النبى ﷺ عائشة ظنا منها أنه لاحرج عليها فى ذلك وأطلع الله نبيه على ما أخبرت حفصة عائشة بين النبى لحفصة بعض ماقالت لعائشة من خلافة أبى بكر وعمر وعاتبها على ذلك خوفا من أن ينتشر فى الناس فربما أثار حسد بعض المنافقين وروى أنه ﷺ قال لها ويلك ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق نبيا ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أبى وقرأ الكسائى بالتخفيف أى جازى على ذلك البعض بأن طلق حفصة مجازاة على بعض مافعلت (وأعرض عن بعض) أى وسكت عن بعض من تحريم مارية القبطية على نفسه ولم يلم حفصة على ذكر ذلك حياء وحسن عشرة (فلما نبأها به) أى فلما أخبر النبى حفصة بما قالت لعائشة (قالت) أى حفصة (من أنبأك هذا) أى من أخبرك بأنى أفشيت السر لعائشة وقد ظنت أن عائشة هى التى أخبرته (قال) أى النبى ﷺ (نبأنى العليم الخبير) بقولك لعائشة وبقولها لك (ان تتوبا) ياحفصة وياعائشة من ايذائكما رسول الله ﷺ (الى الله) تاب الله عليكما (فقد صغت قلوبكما) أى فقد وجد منكما مايوجب التوبة اذ قد مالت قلوبهما عن الحق وأحبت ماكرهه النبى ﷺ وهو اجتنابه جاريته وقرئ فقد زاغت (وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أى وان تتعاونا أنتما على النبى ﷺ بالايذاء لم يضره ذلك التعاون منكما فان الله ناصره وجبريل رئيس

أمره أن يكفر عن يمينه فقال (قد فرض الله لكم) أى بين لكم (تحلة أيمانكم) أى مايستحل به المحلوف عليه من الكفارة يعنى فى سورة المائدة وقوله (واذ أسر النبى الى بعض أزواجه) يعنى حفصة (حديثا) يعنى تحريم الجارية وأمر الخليفة (فلما نبأت به) أى أخبرت به عائشة (وأظهره الله عليه) أى أطلع نبيه على افشاء ذلك السر (عرف بعضه) أى أخبر حفصة ببعض ماقالت لعائشة (وأعرض عن بعض) فلم يعرفها اياه على وجه التكرم والاغضاء (فلما نبأها به) أى أخبر حفصة بمافعلت (قالت من أنبأك هذا) أى من أخبرك بما فعلت (قال نبأنى العليم الخبير ان تتوبا الى الله) يعنى عائشة وحفصة (فقد صغت قلوبكما) أى عدلت وزاغت عن الحق وذلك انهما أحبتا ماكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته (وان تظاهرا) أى تعاونا على أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان الله هو مولاه) أى وليه وحافظه فلا يضره تظاهركما عليه وقوله (وصالح المؤمنين) قيل أبو بكر وعمر وهو تفسير النبى ﷺ وقوله تعالى

السكر و بين وأبو بكر وعمر كما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس و به قال عكرمة ومقاتل (والملائكة بعد ذلك) أي بعد نصر من ذكر (ظهير) أي أعوان له صلى الله عليه وسلم فقوله جبريل عطف على محل اسم ان قبل دخولها وكذا وصالح المؤمنين فمولاه خبر عن الكل فيقدر بعد كل واحد منهما و يجوز أن يكون الكلام تم عند قوله تعالى مولاه و يكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع وقرأ الكوفيون تظاهرا بتخفيف الظاء واسقاط احدى التاءين والباقون بتشديدها وقرئ على الأصل أي بالتاءين وقرئ تظهرا (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال والباقون وهم أهل الكوفة بسكونها وقال ابن عرفة وعسى هنا للتخويف لا للوجوب وجملة عسى واسمها وخبرها جواب الشرط أي ان طلقكن فعسى ربه أن يبدله (مسلمات) أي مقرات بالألسن (مؤمنات) أي مصدقات بالقلوب بتوحيد الله تعالى (قانتات) أي مطيعات قولا لأزواجهن وقيل قائمات بالليل للصلاة (تائبات) من الذنوب (عابدات) أي كثيرات العبادات متذللات لأمر الرسول عليه السلام (سائحات) أي صائمات كما قاله ابن عباس أو مهاجرات كما قاله الحسن وقرئ سيحات (ثيبات وأبكارا) فالثيب تمدح من جهة أنها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا غالبا والبكر تمدح من جهة أنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة غالبا وسميت الثيب ثيبا لأنها ثابت أي رجعت الى بيت أبويها وسميت العذراء بكرا لأنها على أول حالتها التي خلقت بها (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أي علموا أنفسكم ونساءكم وأولادكم الخير وأدبوهم بأن تأمروهم بالخير وتنهوهم عن الشر تقوهم بذلك نارا وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل أي قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم نارا (وقودها الناس والحجارة) أي حطبها الكفار وحجارة الكبريت وقرئ وقودها بضم الواو (عليها) أي النار (ملائكة) تسعة عشر وهم الزبانية (غلاظ) أي غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب (شداد) أي شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة (لا يعصون الله ما أمرهم) بدل اشتمال من الله أي لا يعصون أمره أو منصوب على نزع الخافض أي فيما أمرهم به من عذاب أهل النار (ويفعلون ما يؤمرون) أي يؤدون ما يؤمرون به من غير توان و يقولون للكفار عند ادخالهم النار (يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) اذ الاعتذار هو التوبة وهي غير مقبولة بعد الدخول في النار فلا ينفعكم الاعتذار (انما تجزون ما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم أي انما أعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب (يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) أي بالغة في النصح بأن يتوبوا عن القبائح نادمين عليها غاية الندامة لا يعودون اليها وقرأ شعبة بضم النون وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لينصح أنفسكم والباقون بفتحها فهو صفة مشبهة (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) أي ان يغفر لكم ذنوبكم بالتوبة (ويدخلكم) في الآخرة (جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) أي صاحبوه في وصف الايمان والموصول اما معطوف على النبي واما مبتدأ خبره جملة قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم) عند المشي على الصراط (وبايمانهم) أي و يسعى عن أيمانهم عند الحساب لأنهم يؤتون الكتاب بايمانهم وفيه نور (يقولون) عند اطفاء نور المنافقين خائفين من أن يطفأ نورهم (ربنا أتمم لنا نورنا) أي أبق لنا نورنا (واغفر لنا انك على كل شيء قدير) وقيل الذين يمرون على الصراط حبوا وزحفا هم الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (يأيها النبي جاهد الكفار) بالسيف والسنان (والمنافقين) بالحجة واللسان (واغلظ عليهم) أي واشدد على كلا

(والملائكة بعد ذلك ظهير) أي الملائكة له بعد هؤلاء أعوان (عسى ربه ان طلقكن) الآية هذا اخبار عن قدرة الله عز وجل على أن يبدله لو طلق أزواجه خيرا منهن وتخويف لنسائه وقوله (قانتات) أي مطيعات (سائحات) أي صائمات (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أي حذروا أنفسكم وأهليكم بما يقرب من الله وجنبوا أنفسكم وأهليكم المعاصي (وقودها الناس والحجارة) أي توقد بهذين الجنسين (عليها ملائكة غلاظ) الآية يعني خزنة جهنم وقوله (توبة نصوحا) هي التوبة التي تنصح صاحبها حتى لا يعود الى ما تاب منه ونصوحا معناه بالغة في النصح وقوله (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أي لا يفضحهم ولا يهلكهم (نورهم) على الصراط (يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) اذا طفئ نور المنافقين دعوا الله وسألوه أن يتم لهم النور ثم ضرب الله مثلا للنساء الصالحات والطالحات فقال

الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا) أي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفار (امرأة نوح) والهة (وامرأة لوط) والعة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) بالكفر كما قاله عكرمة والضحاك وعن ابن عباس مابغت امرأة نبي قط وعن ابن عباس كانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به أحد أخبرت الجبابرة من قومه وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أي فلم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله تعالى عن زوجتيهما لما عصتا من عذاب الله شيئا وذلك تنبيه على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) أي وتقول لهما خزنة النار ادخلا النار مع الداخلين في النار (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) أي جعل الله حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضر مع الايمان واسمها آسية بنت مزاحم آمنت حين سمعت قصة القاء موسى عصاه وتلقف العصا فعذبها فرعون عذابا شديدا بسبب الايمان فانه أوتدها بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وألقى عليها صخرة عظيمة فقالت رب نجني من فرعون فرقي بروحها الى الجنة فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه (اذ قالت) ظرف لمثلا (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) أي رب ابن لي بيتا قريبا من رحمتك (ونجني من فرعون) أي من نفسه الخبيثة (وعمله) السيء وهو شركه أو جماعه كما قاله ابن عباس (ونجني من القوم الظالمين) أي من القبط التابعين له في الظلم (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها) من الفواحش فانها قذفت بالزنا (فنفخنا فيه) أي في فرجها كما قاله البقاعي وقرئ فيها أي في مريم وقال الرازي وقوله تعالى فيه أي في عيسى ومن قرأ فيها أي في نفس عيسى (من روحنا) أي من روح خلقناه بلا توسط أصلا والمعنى أوصلنا الى فرجها الريح الخارج من نفس جبريل لما نفخ في جيب قميصها فوصل اليه فحملت بعيسى (وصدقت بكلمات ربها) أي بالصحف المنزلة على ادريس وغيره قال مقاتل أي بعيسى و يدل عليه قراءة الحسن بكلمة ربها بالافراد وقرئ بكلمة الله (وكتبه) وقرأ أبو عمرو وحفص بصيغة الجمع أي بالكتب الأربعة والباقون وكتابه بالافراد أي و بكتابه المنزل عليه وهو الانجيل وقوله تعالى وصدقت بالتخفيف والتشديد على أن مريم جعلت الكلمات والكتب صادقة بمعنى وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه (وكانت من القانتين) أي من القوم المطيعين لله في الشدة والرخاء وقال عطاء من المصلين وهم رهطها لأنهم أهل بيت صالحين لأنها من أعقاب هرون أخي موسى وضرب هذه الأمثال مشتمل على فوائد منها التنبيه على الثواب العظيم والعذاب الأليم ومنها العلم بأن صلاح الغير لا ينفع المفسد وفساد الغير لا يضر المصلح ومنها ان الرجل وان كان في غاية الصلاح فلا يأمن المرأة ولا يأمن نفسه ومنها العلم بأن احسان المرأة مفيد غاية الافادة ومنها التنبيه على ان التضرع بالصدق في حضرة الله تعالى وسيلة الى الخلاص من العقاب والى الثواب بغير حساب وان الرجوع الى الحضرة الازلية لازم في كل باب

﴿ سورة الملك وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر. وعن ابن عباس انه كان يسميها المجادلة لأنها تجادل عن قارئها في القبر وتدعى في التوراة المانعة مكية ثلاثون آية. وثلاثمائة وخمس وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا ﴾

(ضرب الله مثلا) الى قوله (فخانتاهما) أي في الدين وكانت امرأة نوح تخبر قومه أنه مجنون وامرأة لوط دلت على أضيافه (فلم يغنيا) يعني نوحا ولوطا (عنهما من الله شيئا) أي من عذاب الله من شيء وهذا تخويف لحفصة وعائشة واخبار أن الانبياء لا يغنون عمن عمل بالمعاصي وقطع لطمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره وقوله (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) قيل ان فرعون لما تبين له اسلامها وتدها على الأرض بأربعة أوتاد على يديها ورجليها فقالت وهي تعذب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة (ونجني من فرعون وعمله) أي تعذيبه اياي وفي هذا بيان انها لم تمل الى معصية مع شدة ماقاست من العذاب وكذا فليكن صوالح النساء وأمر عائشة وحفصة أن تكونا كآسية هذه وكمريم بنت عمران وهو قوله ومريم وهو عطف على قوله امرأة فرعون (التي أحصنت فرجها) أي عفت وحفظت فرجها (فنفخنا فيه) أي في جيب درعها (من روحنا) وتفسير هذه قد سبق في سورة الأنبياء (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي آمنت بما أنزل الله على الأنبياء (وكانت من القانتين) أي من القوم المطيعين لله تعالى. يعني أنها أطاعت فدخلت في جملة المطيعين لله من الرجال والنساء

﴿ تفسير سورة الملك ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبارك الذي بيده الملك) أي تنزه الذي في قدرته سائر الكائنات عن أن يكون جسماً أو في مكان أو غير ذلك من صفات الحوادث (وهو على كل شيء) من الأشياء (قدير) يتصرف فيه حسب ما تقتضيه مشيئته يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع (الذي خلق الموت والحياة) فالموت صفة وجودية مضادة للحياة والمراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله وما بعده وروى الكلبي عن ابن عباس ان الله تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي اه وهذا كلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير (ليبلوكم) وهو متعلق بخلق أي خلق موتكم وحياتكم ليعاملكم معاملة من يختبركم (أيكم أحسن عملا) أي أخلص عملا وأصوبه كما قاله الفضيل ابن عياض اه وقال قتادة أي أيكم أحسن عقلا أي أتمكم عقلا وأشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظرا وقال الحسن أيكم أزهد في الدنيا وأشد تركا لها وقال السدي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن استعدادا وأشد خوفا وحذرا (وهو العزيز) أي الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الاساءة (الذي خلق سبع سموات طباقا) أي مطابقة بعضها فوق بعض والسماء الدنيا محيطة بالأرض احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالسماء الدنيا وهكذا الى أن يكون العرش محيطا بالكل (ماترى) أيها المخاطب (في خلق الرحمن) السموات ولغيرها (من تفاوت) أي من عدم تناسب قرأ حمزة والكسائي من تفوت بتشديد الواو (فارجع البصر) أي رد بصرك الى السماء (هل ترى) فيها (من فطور) أي شقوق وعيوب (ثم ارجع البصر كرتين) أي ارجع البصر الى السماء رجعة بعد رجعة وان كثرت (ينقلب اليك البصر خاسئا) أي بعيدا من اصابة ما التمسه من العيب (وهو حسير) أي كليل لكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) أي القربى من الناس (بمصابيح) أي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج (وجعلناها رجوما للشياطين) أي جعلنا الكواكب رجما لأعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب اذا أرادوا استراق السمع (وأعتدنا لهم) في الآخرة (عذاب السعير) بعد الاحراق في الدنيا بالشهب (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير كأن الذين عطف على لهم فهو عطف المفرد على المفرد وعلى هذا فالوقف على السعير جائز وان قرئ عذاب جهنم بالرفع كما هو قراءة الجمهور فالوقف على السعير تام (وبئس المصير) جهنم (اذا ألقوا) أي الكفار (فيها سمعوا لها) أي لجهنم (شهيقا) أي صوتا كصوت الحمار (وهي تفور) أي والحال ان جهنم تغلي بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز من الغيظ) أي تقرب جهنم تتفرق من شدة الغضب على الكفار وقرئ شاذا تتميز على الأصل (كلما ألقي فيها فوج) أي جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) بطريق التوبيخ والتقريع (ألم يأتكم نذير) يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا (قالوا) اعترافا منهم بعدل الله واقرارا بأن الله أزاح عللهم ببعثة الرسل (بلى قد جاءنا نذير فكذبنا) ذلك النذير في كونه نذيرا من جهة الله تعالى (وقلنا) في حق ما تلاه من الآيات (ما نزل الله) على أحد (من شيء) أي من كتاب (ان أنتم الا في ضلال كبير) أي ما أنتم أيها النذر في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات الا في ضلال كبير أي بعيد عن الصواب ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار والمعنى ما أنتم أيها الكفار الا في ضلال كبير في الدنيا وهو الشرك بالله وفي هلاك

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (تبارك) تعالى وتعظم (الذي بيده الملك) يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم) في الحياة (أيكم أحسن عملا) أي أطوع لله وأورع عن محارمه ثم يجازيكم بعد الموت (الذي خلق سبع سموات طباقا) أي بعضها فوق بعض (ماترى في خلق الرحمن) أي في خلقه السماء (من تفاوت) أي اختلاف واضطراب بل هي مستوية مستقيمة (فارجع البصر) أي أعد فيها النظر (هل ترى من فطور) أي صدوع وشقوق (ثم ارجع البصر كرتين) أي مرتين (ينقلب) أي ينصرف ويرجع (اليك البصر خاسئا) أي صاغرا ذليلا (وهو حسير) أي وقد أعيا من قبل أن يرى في السماء خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) أي التي تدنو منكم (بمصابيح) أي بكواكب (وجعلناها رجوما) أي مرامي (للشياطين) اذا استرقوا السمع (وأعتدنا لهم) في الآخرة (عذاب السعير) وقوله (اذا ألقوا فيها سمعوا لها) أي لجهنم (شهيقا) يعني صوتا كصوت الحمار (وهي تفور) أي تغلي (تكاد تميز) تتقطع (من الغيظ) غضبا على الكفار (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها) أي سؤال توبيخ (ألم يأتكم نذير) أي رسول في الدنيا ينذركم عذاب الله فاعترفوا بتكذيب الرسل ثم اعترفوا بجهلهم

عظيم فى العذاب (وقالوا) للخزنة (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) أى لو كنا نسمع الانذار سماع من كان طالبا للحق أو نعقله عقل من كان متفكرا لما كنا اليوم مع أهل الوقود فى النار (فاعترفوا بذنبهم) أى أقروا بتكذيبهم الرسل و بكفرهم بآيات الله (فسحقا لأصحاب السعير) وهو منصوب اما على المفعول به أى ألزمهم الله سحقا أى بعدا من رحمته أو على المصدر والتقدير سحقهم الله سحقا أى باعدهم الله من رحمته مباعدة وقرأ الكسائى بضم الحاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أى حال كونهم فى الخلوة حيث لا يراهم الناس (لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) فى الجنة (وأسروا) أيها الناس (قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) أى عليم بالقلوب وأحوالها فاحذروا من المعاصى سرا كما تحترزون عنها جهرا فانه لا يتفاوت ذلك بالنسبة الى علم الله تعالى قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فأنزل الله هذه الآية (ألا يعلم من خلق) أى ألا يعلم السر والجهر من أوجد جميع الأشياء فمن خلق شيئا لابد وأن يكون عالما بمخلوقه (وهو اللطيف الخبير) أى والحال انه تعالى الفاعل للأشياء اللطيفة العالم ببواطن الأمور (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا) أى لينة يسهل عليكم السلوك فيها (فامشوا فى مناكبها) أى فاسلكوا فى جوانبها (وكلوا من رزقه) أى كلوا مما خلقه الله رزقا لكم فى الأرض (واليه النشور) أى المرجع بعد البعث فبالغوا فى شكر نعمه (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) فأن يخسف بدل اشتمال من من أى أتأمنون يا أهل مكة من قد أقررتم بأنه فى السماء واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء وهو متعال عن المكان أن يغور بكم الأرض بعد ما جعلها لكم لينة (فاذا هى) أى الأرض (تمور) أى تضطرب وتتقلب (أم أمنتم من فى السماء) أى بل أأمنتم أيها المكذبون من تزعمون انه فى السماء وهو منزه عن المكان (أن يرسل عليكم حاصبا) أى ريحا فيها حجارة (فستعلمون كيف نذير) أى فستعلمون عاقبة انذارى اياكم (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة من كفار الأمم السالفة (فكيف كان نكير) أى انكارى وتغييرى عليكم أليس وجدوا العذاب حقا (أولم يروا) أى أغفلوا ولم ينظروا (الى الطير فوقهم صافات) أى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها (ويقبضن) أى يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا (ما يمسكهن) فى الجو عند البسط والقبض (الا الرحمن) أى الواسع رحمته كل شىء وهذه الجملة مستأنفة فالوقف على يقبضن تام كالوقف هنا (انه بكل شىء بصير) فيكون الله رائيا لنفسه ولجميع الموجودات (أمن هذا الذى هو جند لكم) أى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم فأم بمعنى بل ومن اسم استفهام مبتدأ خبره اسم الاشارة وقرأ طلحة بتخفيف الميم هنا وتشديده ثم والمعنى أهذا الذى هو جند لكم أم الذى يرزقكم (ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور) أى ما الكافرون الا فى غرور من الشيطان فهو يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم أعلم أن الكافرين كانوا يمتنعون عن الايمان ولا يلتفتون الى دعوة الرسول معتمدين على شيئين أحدهما قوتهم بمالهم وجندهم وثانيهما اعتقادهم أن الأوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات وقد أبطل الله عليهم الأول بقوله تعالى أم من هذا الذى هو جند لكم الآية ورد عليهم الثانى بقوله تعالى (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) أى بل من الذى يرزقكم من آلهتكم ان أمسك الله الرزق عنكم بل لو كان الرزق موجودا سهل التناول فوضع الآكل لقمة فى فيه فأمسك الله تعالى عنه قوة الازدراد لعجز أهل السموات والأرض عن أن يسوغوا تلك اللقمة (بل

وقوله (فسحقا لأصحاب السعير) أى سحقهم الله سحقا يعنى باعدهم من رحمته مباعدة (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أى قبل معاينة العذاب وأحكام الآخرة وقوله (وأسروا قولكم أو اجهروا به) نزلت فى المشركين الذين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم فيخبره الله تعالى فقالوا فيما بينهم أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد ﷺ فقال الله تعالى (ألا يعلم من خلق) اى ألا يعلم ما فى صدوركم وما تسرون به من قولكم (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا) أى سهلا مسخرة (فامشوا فى مناكبها) أى جوانبها (وكلوا من رزقه واليه النشور) أى اليه يبعث الخلق (أأمنتم من فى السماء) قدرته وسلطانه وعرشه (أن يخسف بكم الأرض) أى يغور بكم فيها (فاذا هى تمور) أى تتحرك بكم وترتفع فوقكم وقوله (فستعلمون) أى عند معاينة العذاب (كيف نذير) أى انذارى بالعذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) أى انكارى اذ أهلكتهم (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات) أى باسطات أجنحتهن (ويقبضن) أى يضربن بها جنوبهن (ما يمسكهن) لجوا فى حال القبض والبسط (الا الرحمن) بقدرته (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) أى يدفع عنكم عذابه وقوله (بل

لجوا فى عتو ونفور) أى بل تمادوا فى اباء عن الحق وشراد عن الايمان ثم ضرب الله مثلا للمشرك والموحد فقال (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم) أى أفمن يمشى فى مكان غير مستو فيعثر كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة أهدى الى المقصد أم من يمشى معتدلا على طريق مستو لا عوج فيه ولا انحراف سالما من العثور والخرور (قل هو الذى أنشأكم) أى أوجدكم ايجادا بديعا (وجعل لكم السمع) لتسمعوا به الآيات القرآنية (والأبصار) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية (والأفئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه من الآيات التنزيلية وفيما تشاهدونه من الآيات التكوينية (قليلا ما تشكرون) لان شكر نعمة الله تعالى هو أن يصرف تلك النعمة الى وجه رضاه وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل الى غير طلب مرضاته فأنتم ما شكرتم نعمته ألبتة (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم وكثركم (فى الارض واليه تحشرون) فى الآخرة للجزاء (ويقولون) أى كفار مكة من فرط عنادهم (متى هذا الوعد) أى الحشر الموعود (ان كنتم صادقين) أى ان كنتم صادقين بما تخبرونه من مجىء الساعة والحشر فبينوا وقته (قل انما العلم) بوقت مجيئه (عند الله) لا يطلع عليه غيره (وانما أنا نذير مبين) أنذركم وقوع الموعود فان العلم بالوقوع غير العلم بوقت الوقوع فالعلم الاول كاف فى الانذار والعلم الثانى ليس الا لله (فلما رأوه) أى العذاب بعد الحشر (زلفة) أى ذا قرب (سيئت وجوه الذين كفروا) أى اسودت وجوههم وعلتها الكآبة وصارت كوجه من يقاد الى القتل (وقيل) أى قال لهم الخزنة توبيخا (هذا الذى كنتم به تدعون) أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه استهزاء أو هذا الذى كنتم تدعون انه باطل لا يأتيكم وقرأ الحسن وقتادة وأبو رجاء والضحاك ويعقوب وأبو زيد وأبو بكر وابن أبى عبلة ونافع فى رواية الأصمعى بسكون الدال من الدعاء وهى مؤيدة للقول بأن تدعون مثقلة من الدعاء فى قراءة العامة وقيل من الدعوى (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أهلكنى الله) أى ان أماتنى الله (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمنا) بتأخير آجالنا فأى راحة لكم فى ذلك وأى منفعة لكم فيه يروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك حين خوفهم النبى بعذاب الله (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى من الذى يجيركم من عذاب الله اذا نزل بكم أتظنون أن الأصنام تجيركم فاذا علمتم أن لا مجير لكم منه سواء متنا أو بقينا فهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد والنبوة والبعث (قل هو) أى الذى أدعوكم الى عبادته (الرحمن) أى معطى النعم كلها (آمنا به) ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) لا على غيره كما فعلتم حيث توكلتم على رجالكم وأموالكم وهو لا يقبل دعاءكم لانكم أهل الكفر (فستعلمون) عند معاينة العذاب فى الآخرة (من هو فى ضلال مبين) أى ظاهر أنحن أم أنتم وقرأ الكسائى فسيعلمون بالياء التحتانية (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أصبح ماؤكم غورا) أى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض بالكلية أو بحيث لا تناله الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) أى ظاهر سهل المأخذ تراه العيون فلا بد لهم وأن يقولوا لا يأتينا به الا الله فقل لهم حينئذ فلم تجعلون من لا يقدر على شىء أصلا شريكا له فى المعبودية وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون ويستحب أن يقول القارىء عقب معين الله رب العالمين كما ورد فى الحديث

﴿ سورة القلم وتسمى سورة ن مكية. اثنتان وخمسون آية. وثلاثمائة كلمة. وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا ﴾

لجوا) أى تمادوا (فى عتو) أى عصيان وضلال (ونفور) أى تباعد من الحق (أفمن يمشى مكبا على وجهه) يعنى الكافر يحشر يوم القيامة وهو يمشى على وجهه يقال كببت فلانا على وجهه فأكب يقول هذا أهدى (أمن يمشى سويا) وهو المؤمن مستقيما (على صراط مستقيم قل هو الذى أنشأكم) أى خلقكم (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) أى لا تشكرون خالقكم وخالق هذه الأعضاء لكم اذ أشركتم به غيره (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم (فى الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنى وعد الحشر (قل انما العلم) بوقوعه ومجيئه (عند الله وانما أنا نذير) أى مخوف (مبين) أى أبين لكم الشريعة (فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة (زلفة) أى قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى تبين فى وجوههم السوء وعلتها الكآبة (وقيل هذا) العذاب (الذى كنتم به تدعون) أى تفتعلون من الدعاء أى تدعون الله به اذ تقولون اللهم ان كان هذا الآية (قل أرأيتم ان أهلكنى الله) أى فعذبنى (ومن معى أو رحمنا) أى غفر لنا (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) يعنى نحن مع ايماننا خائفون أى نخاف عذابه ونرجو رحمته فمن يمنعكم من عذابه وأنتم كافرون (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) أى غائرا يعنى ذاهبا فى الارض (فمن يأتيكم بماء معين) أى ظاهر تناله الأيدى والدلاء ﴿تفسير سورة القلم﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ن) أقسم الله بالنون وهي السمكة التي تحمل الارضين على ظهرها واسمها ليواش وهي في الماء تحت الارض السفلى وتحتها الثور واسمه يهموت وتحته الصخرة وتحتها الثرى ولا يعلم ما تحته الا الله تعالى وهذا مروي عن ابن عباس وقيل انه تعالى أقسم بالحوت الذي احتبس يونس عليه السلام في بطنه وقيل انه تعالى أقسم بالحوت الذي لطخ سهم نمروذ بدمه والقول الثاني وهو مروي أيضا عن ابن عباس ان النون هو الدواة وعلى هذا أقسم الله تعالى بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة (والقلم) أقسم الله بالقلم وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض (وما يسطرون) أي وما يكتب الملائكة في صحفهم يكتبون فيها المقادير التي تنفع في العالم ينتسخون ذلك من اللوح المحفوظ (ما أنت) يا أكرم الخلق (بنعمة ربك بمجنون) أي انت برىء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرئاسة العامة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ غاب عن خديجة الى حراء فطلبته فلم تجده فاذا به وجهه متغير فقالت له مالك فذكر نزول جبريل عليه السلام وأنه قال له اقرأ باسم ربك قال ﷺ ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضأ ثم توضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فلما ذكر النبي ﷺ ذلك لخديجة ذهبت الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها فسألته فقال أرسلي الى محمد فأرسلته فأتاه فقال هل أمرك جبريل أن تدعو الى الله أحدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لأنصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول فلما دعا ﷺ كفار قريش الى الله قالوا انه لمجنون فأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون (وان لك) يا أكرم الخلق على ما تحملت من أثقال الرسالة ومن ألوان الشدائد من جهة قومك (لأجرا غير ممنون) أي غير مقطوع (وانك لعلى خلق عظيم) كانت نفسه ﷺ شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة عن عائشة قالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته الا قال لبيك وقال أنس خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته لم فعلت ولا في شيء لم أفعله هلا فعلت (فستبصر ويبصرون) أي فستعلم يا محمد ويعلم المشركون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل أو فسترى يا محمد ويرون في الدنيا أنك تصير معظما في القلوب وأنهم يصيرون ذليلين (بأيكم المفتون) والباء اما زائدة أي أيكم الذي فتن بالجنون أو بمعنى في أي في أي الفريقين المجنون أفي فرقة الاسلام أم في فرقة الكفار ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة في أيكم وقيل ان المفتون مصدر جاء على مفعول والتقدير بأيكم الفتون أي الجنون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أي هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين (وهو أعلم بالمهتدين) أي وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون الى سبيله الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل محذور (فلا تطع المكذبين) وهم رؤساء أهل مكة الذين دعوه ﷺ الى دين آبائهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أي تمنوا ان تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك وان يتركوا بعض ما لا ترضى بمقتلين لهم ويلينون لك ولو مصدرية أي ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف في الحق والباطل (مهين) أي ضعيف في دين الله حقير في التدبير والتمييز (هماز) أي عياب طعان (مشاء بنميم) أي نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه الافساد

بسم الله الرحمن الرحيم) (ن) أقسم الله تعالى بالحوت الذي على ظهره الارض (والقلم) يعني القلم الذي خلقه الله تعالى فجرى بالكائنات الى يوم القيامة (وما يسطرون) أي وما تكتب الملائكة (ما أنت بنعمة ربك) أي بانعامه عليك بالنبوة (بمجنون) يعني انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة وهذا جواب لقولهم وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك لأجرا غير ممنون) أي غير مقطوع ولا منقوص (وانك لعلى خلق عظيم) أي أنت على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن (فستبصر) يا محمد (ويبصرون) يعني المشركين الذين رموه بالجنون (بأيكم المفتون) أي الفتنة بك أم بهم (فلا تطع المكذبين) أي فيما دعوك اليه من دينهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أي تلين لهم فيلينون لك (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف بالباطل يعني الوليد بن المغيرة (مهين) أي حقير (هماز) أي عياب (مشاء بنميم) أي ساع بين الناس بالنميمة

ينهم (مناع للخير) أى بخيل بالمال أومناع الناس من الدخول فى دين الاسلام (معتد) أى ظلوم (أثيم) أى مبالغ فى الاثم (عتل) أى شديد الخصومة أوواسع البطن (بعد ذلك) أى مع تلك المثالب (زنيم) أى دعى ملصق بالقوم وليس منهم والظرف متعلق بزنيم قيل هو الوليد ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة سنة من ولادته ونسبه لنفسه بعد ان كان لايعرف له أب ولما نزلت هذه الآية قال لامه ان محمدا وصفنى بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها فان لم تصدقينى الخبر ضربت عنقك فقالت له ان أباك أى المغيرة عنين فخفت على المال فمكنت الراعى من نفسى وكان للوليد عشرة من البنين وكان يقول لهم ولاقاربه لئن تبع دين محمد أحد منكم لاأنفعه بشىء أبدا فنعهم من الاسلام وكان ينفق فى الحجة الواحدة عشرين ألفا وألفا ولا يعطى المسكين درهما واحدا وهذه الآية عند أكثر المفسرين نزلت فى الوليد بن المغيرة وعند ابن عباس فى أبى جهل وعند مجاهد فى الاسود بن عبد يغوث وعند السدى فى الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة (أن كان) أى لاجل أن كان هذا الموصوف (ذا مال و بنين) وهذا اما متعلق بماقبله أى لاتطع كل حلاف الآية لكثرة ماله وأولاده أو بمادل عليه مابعده أى انه كفر بآياتنا لأن كان ذا مال و بنين وفى قراءة سبعية أأ بهمزتين مفتوحتين أى ألأن كان ذا مال و بنين تطيعه أو ألأن كان ذا مال و بنين يكفر و يستكبر وكان مال الوليد بن المغيرة نحو تسعة آلاف مثقال من فضة و بنوه عشرة (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الأولين) أى هى أحاديث الأولين فى كذبهم (سنسمه على الخرطوم) أى سنجعل له فى الآخرة علامة على أنفه يعرف بها أهل القيامة أنه كان فى عداوة الرسول وفى انكار الدين الحق كما قاله قتادة قال ابن عباس أى سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على أنفه ماعاش وروى أنه قاتل يوم بدر فخطم بالسيف فى القتال (انا بلوناهم) أى أهل مكة بالقحط بدعوة محمد ﷺ عليهم بعد يوم بدر سبع سنين (كما بلونا أصحاب الجنة) أى أهل البساتين كانت بصروان روى ان واحدا من ثقيف وكان مسلما كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء وكان يجعل من كل مافيها عند الحصاد نصيبا وافرا للفقراء فلما مات ورثها منه بنوه وقالوا عيالنا كثير والمال قليل ولا يمكننا أن نعطى المساكين مثل ما كان يفعل أبونا فأحرق الله جنتهم وكانوا بعد عيسى بن مريم بزمن يسير (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أى حين حلفوا بالله ليقطعن ثمر نخيلهم فى وقت الصباح (ولا يستثنون) أى لايقولون ان شاء الله أو ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله أبوهم (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أى فطرقها فى الليل طارق من عذاب الله قال الكلبى أرسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نائمون (فأصبحت كالصريم) أى فصارت البساتين بالاحتراق شبيهة بالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شىء أو صارت كالليل فى اسودادها أو كالنهار فى ابيضاضها من فرط اليبس (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين) أى فنادى بعضهم بعضا عند طلوع الفجر أى اذهبوا الى الثمار والزروع والاعناب فاصرموها ان كنتم قاصدين للصرم ولاتخبروا المساكين (فانطلقوا) الى البساتين (وهم يتخافتون) أى والحال أنهم يتسارون فيما بينهم كلاما خفيا (أن لايدخلنها اليوم عليكم مسكين) وأن مفسرة أى لاتدخلوا مسكينا فى البساتين وقرأ ابن مسعود بطرح أن على اضمار القول والمعنى يتخافتون يقولون

(مناع للخير) أى بخيل بالمال عن الحقوق (معتد) أى مجاوز فى الظلم الحد (أثيم) أى آثم (عتل) أى غليظ جاف (بعد ذلك) أى مع ماذكرنا من أوصافه (زنيم) أى ملحق بقومه وليس منهم (أن كان) أى لأن كان (ذا مال و بنين) أى يكذب بالقرآن وهو قوله (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) والمعنى أنه يجعل مجازاة نعمة الله عليه بالمال والبنين الكفر بآياتنا (سنسمه على الخرطوم) أى سنجعل على أنفه علامة باقية ماعاش نخطم أنفه بالسيف يوم بدر (انا بلوناهم) أى امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) أى كما امتحنا أصحاب البستان باحتراقها وذهاب قوتهم منها وكانوا قوما بناحية اليمن وكان لهم أب وله جنة كان يتصدق منها على المساكين فلما مات قال بنوه نحن جماعة وان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليقطعن ثمرها بسدفة من الليل كيلا يشعر بها المساكين فيأتونهم وهو قوله (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون) أى لايقولون ان شاء الله (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أى أنزل الله عليها نارا فأحرقتها (فأصبحت كالصريم) أى كالليل المظلم سوداء (فتنادوا مصبحين) أى نادى بعضهم بعضا لما أصبحوا ليخرجوا الى الصرام وهو قوله (أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين) أى قاطعين الثمر (فانطلقوا) أى ذهبوا اليها (وهم يتخافتون) أى يتسارون الكلام بينهم (أن لا) بأن لا (يدخلنها اليوم عليكم مسكين)

وغدوا على حرد) أي على قصد وجد (قادرين) أي عند أنفسهم على ثمر الجنة (فلما رأوها) سوداء محترقة (قالوا انا لضالون) أي مخطئون طريقنا ليست هذه جنتنا ثم علموا أن هذه عقوبة من الله تعالى فقالوا (بل نحن محرومون) أي حرمنا ثمر جنتنا لمنعنا المساكين (قال أوسطهم) أي أعدلهم وأفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تستثنون ومعنى التسبيح هاهنا الاستثناء بان شاء الله لانه تعظيم لله وكل تعظيم لله فهو تسبيح له (قالوا سبحان ربنا) نزهوه عن أن يكون ظالما وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ومنع حقهم (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) أي بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) أي خيرا من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب) أي كما فعلنا بهم نفعل بمن خالف أمرنا ثم ذكر ما عند الله للمؤمنين فقال (ان للمتقين) الآية فلما نزلت قال بعض قريش ان كان ما تذكرون حقا فان لنا في الآخرة أكثر مما لكم فنزل (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب) نزل من عند الله (فيه) ما تقولون (تدرسون) أي تقرؤن مافيه (ان لكم فيه) أي في ذلك الكتاب (لما تخيرون) أي تختارون (أم لكم أيمان) أي عهود ومواثيق (علينا بالغة) أي محكمة لا ينقطع عهدها (الى يوم القيامة ويكون

لا تمكنوا المسكين من الدخول في البساتين حتى يدخل (وغدوا على حرد قادرين) أي وصاروا قاصدين الى بساتينهم قادرين على صرامها ومنع منفعتها على المساكين في ظنهم وأرادوا أن يحرموا المساكين وهم قادرون على نفعهم (فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون) أي لما رأوا جنتهم محترقة ظنوا أنهم قد أخطؤا الطريق فقالوا انا لضالون طريق بستاننا ثم لما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا لسنا ضالين بل نحن محرومون منفعة جنتنا بشؤم عزمنا على البخل ومنع الفقراء ويحتمل أنهم لما رأوا جنتهم محترقة قالوا انا لضالون في الاعتقاد حيث كنا نعتقد كوننا قادرين على الانتفاع بها وحيث كنا عازمين على منع الفقراء بل الأمر انقلب علينا فصرنا محرومين (قال أوسطهم) أي أفضلهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم حيث عزمتم على منع الزكاة (قالو سبحان ربنا) عن أن يجري في ملكه مالا يشاؤه (انا كنا ظالمين) بالاقسام على جذ الجنة في الصباح ومنع المساكين وترك الاستثناء (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا يقول واحد منهم أنت أشرت علينا بهذا الرأي ويقول الآخر أنت الذي خوفتنا بالفقر ويقول الثالث أنت الذي رغبتني في جمع المال (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) أي ياهلاكنا هذا وقت منادمتك لنا انا كنا متجاوزين حد الله بمنعنا للمساكين (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) أي أن يعطينا خيرا من جنتنا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالذنوب وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال (انا الى ربنا راغبون) أي طالبون منه الخير راجون عفوه وروى أنهم قالوا ان أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فتضرعوا الى الله تعالى بالدعاء فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ماهو خير منها فان الله أمر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم الله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا من كبره وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت فيها كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم (كذلك العذاب) أي مثل الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة في صروان عذاب الدنيا لمن منع حق الله من ماله (ولعذاب الآخرة) لمن لا يتوب (أكبر) من عذاب الله في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه (ان للمتقين عند ربهم) أي في الآخرة (جنات النعيم) أي جنات ليس لهم فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلابد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة فان لم يحصل التفضيل فاقصى أمركم أن تساوونا فأجاب الله عن هذا الكلام بقوله (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) أي أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين أي مساوين لهم في العطاء (مالكم كيف تحكمون) أي أي شيء يحصل لكم ياأهل مكة وأي حال يدعوكم الى هذا الحكم هل هو صادر عن اختلال فكر أو اعوجاج رأي (أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون) أي بل ألكم كتاب نازل من السماء فيه تقرءون ان لكم في ذلك الكتاب ما تشتهون في الآخرة وقرأ طلحة والضحاك أن لكم بفتح الهمزة وهو منصوب بتدرسون الا أن في اسمها زيادة لام التأكيد (أم لكم أيمان علينا) أي أم لكم عهود مؤكدة بالأيمان (بالغة الى يوم القيامة) والجار والمجرور اما متعلق ببالغة أي أيمان تبلغ ذلك اليوم واما بالمقدر أي ثابتة لكم الى يوم القيامة

ان لكم لما تحكمون) أى تقضون وكسرت ان فى الآيتين لمكان اللام فى جوابها وحقها الفتح لولم تكن اللام (سلهم) يا محمد (أيهم بذلك) الذى يقولون من أن لهم فى الآخرة حظا (زعيم) أى كفيل (أم لهم شركاء) أى آلهة تكفل لهم بما يقولون (فليأتوا بشركائهم) لتكفل لهم (ان كانوا صادقين) فيما يقولون (يوم يكشف عن ساق) أى عن شدة

ويكون معنى بالغة مؤكدة وقرأ زيد بن على والحسن بالغة بالنصب على الحال من أيمان أو من الضمير فى الظرف (ان لكم لما تحكمون) وهذا جواب القسم لأن المعنى أقسمنا لكم أيمانا موثقة ان لكم ما تحكمون به لأنفسكم فى الآخرة وهو أن تسووا بين المسلمين والكافرين (سلهم) يا أشرف الرسل (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) أى قائم (أم لهم شركاء) أى أو هل لهم ناس يساعدونهم على صحة ذلك القول (فليأتوا بشركائهم) أى بمن يشاركونهم فى ذلك القول ويكفلونه لهم بصحته (ان كانوا صادقين) فى دعواهم ويقال المعنى أم لهم أشياء يعتقدون أنها شركاء الله يجعلونهم فى الآخرة مثل المؤمنين فى الثواب والخلاص من العقاب فليأتوا بها لعلهم ان كانوا صادقين أن لهم ما قالوا (يوم يكشف عن ساق) أى يوم يشتد الأمر قال أبو سعيد الضرير أى يوم يكشف عن أصل الأمر أى تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها بحيث تصير عيانا وقرئ تكشف بالتاء الفوقية على البناء للفاعل أو المفعول والفعل للحال أو للساعة أى يوم تشتد الحال أو الساعة عن أمر وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين أى يوم تدخل الحال فى الكشف عن أمر كانوا فى عمى منه فى الدنيا وقرئ نكشف بالنون (ويدعون الى السجود) توبيخا على تركهم اياه فى الدنيا بعدما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (فلا يستطيعون) السجود تبقى أصلابهم فقارة واحدة مثل صياصى الحديد (خاشعة أبصارهم) حال من واو يدعون (ترهقهم ذلة) أى تلحقهم ذلة شديدة بسبب أنهم ما كانوا مواظبين على خدمة مولاهم (وقد كانوا يدعون الى السجود) أى الى الصلوات بالاذان والاقامة فى الدنيا دعوة تكليف (وهم سالمون) أى أصحاء قادرون على الصلاة فلا يجيبون الداعى وفى هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة ولم يجب المؤذن الى اقامة الصلاة فى الجماعة (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى خل يا أشرف الخلق بينى وبينهم فانى أكفيك أمرهم (سنستدرجهم) أى سننزلهم الى العذاب درجة فدرجة (من حيث لا يعلمون) أى كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار (وأملى لهم) أى أمهلهم ليزدادوا اثما (ان كيدى متين) أى ان سترى لأسباب الهلاك عمن أريد اهلاكه قوى لا يدفعه شئ ولا يطلع عليه أحد (أم تسألهم أجرا) أى أم تلتمس من أهل مكة أجرا دنيويا على الايمان (فهم من مغرم مثقلون) أى فهم لأجل ذلك مكلفون حملا ثقيلا من غرامة مالية يعطونكها فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) أى أم عندهم علم ما غاب عنهم كأنه حضر فى عقولهم (فهم يكتبون) على الله أى يحكمون عليه بما شاءوا (فاصبر لحكم ربك) فى امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) أى ولا يكن حالك يا أشرف الخلق كحال يونس عليه السلام من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (اذ نادى وهو مكظوم) اذ نادى فى بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وهو مملوء غما كما قاله ابن عباس ومجاهد أو كربا كما قاله عطاء وأبو مالك والفرق بين الغم والكرب أن الغم فى القلب والكرب فى الانفاس (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ

من الأمر وهو يوم القيامة قال ابن عباس هى أشد ساعة فى القيامة (ويدعون الى السجود) يعنى الكافرين والمنافقين (فلا يستطيعون) أى تصير ظهورهم طبقا واحدا كلما أراد أن يسجد واحد منهم خر على قفاه (خاشعة أبصارهم) أى ذليلة لا يرفعونها (ترهقهم) أى تغشاهم (ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) فيأبون ولا يسجدون لله (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى دعنى والمكذبين بالقرآن أى كلهم الى ولا تشغل قلبك بهم فانى أكفيك أمرهم (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أى نأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم (وأملى لهم) أمهلهم كى يزدادوا تماديا فى الشر (ان كيدى متين) أى شديد لا يطاق (أم تسألهم) أى بل تسألهم على ما أتيتهم به من الرسالة (أجرا فهم من مغرم) أى مما يعطونك (مثقلون أم عندهم الغيب) أى علم ما فى غد (فهم يكتبون) أى يحكمون (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت) أى كيونس عليه السلام فى الضجر والعجلة (اذ نادى) أى دعا ربه (وهو مكظوم) أى مملوء غما (لولا أن تداركه) أى أدركه (نعمة من ربه) أى برحمة (لنبذ) أى لطرح يعنى حين ألقاه الحوت

(بالعراء) أى بالأرض الفضاء الواسعة لأنها خالية عن البناء والانسان والأشجار (وهومذموم) محروم (فاجتباه ربه) أى اختاره (فجعله من الصالحين) بأن رحمه وتاب عليه (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) أى انهم لشدة ابغاضهم وعداوتهم لك اذا قرأت القرآن ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد يصرعك ويسقطك عن مكانك (ويقولون انه لمجنون وماهو) يعنى القرآن (الاذكر) أى عظة (للعالمين)

﴿ تفسير سورة الحاقة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحاقة) يعنى القيامة لأنها حقت فلا كاذبة لها (ماالحاقة) استفهام معناه التعظيم لشأنها كقولك زيد ماهو (وماأدراك ماالحاقة) يريد أى شئ أعلمك ما ذلك اليوم ثم ذكر أمر من كذب بالقيامة فقال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالقيامة التى تقرع القلوب بأهوالها (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بالصيحة الطاغية وهى التى جاوزت المقدار (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) أى عتت على خزانها فلم تطعهم (سخرها عليهم) أى استعملها عليهم كما شاء وقوله (حسوما) أى دائمة متتابعة والمعنى تحسمهم حسوما أى تذهبهم وتفنيهم (فترى القوم) أى أهل القرى (فيها) فى تلك الأيام (صرعى) جمع صريع (كأنهم أعجاز) أصول (نخل خاوية) أى ساقطة (فهل ترى لهم من باقية) أى هل ترى منهم باقية (وجاء فرعون ومن قبله) أى أتباعه ومن قرأ ومن قبله فمعناه ومن تقدمه من الامم (والمؤتفكات) يعنى أهل قرى قوم لوط (بالخاطئة) أى بالخطأ العظيم وهو الكفر (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) أى زائدة

بالعراء وهومذموم) أى لولا هذه النعمة التى هى توفيقه للتوبة وقبولها منه لطرح بالأرض الخالية من الأشجار مع وصف المذمومية وقرئ رحمة من ربه وقرأ ابن هرمز والحسن تداركه بتشديد الدال وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته (فاجتباه ربه) أى برد عليه الوحى بعد أن انقطع عنه وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون (فجعله من الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى روى أن هذه الآية نزلت فى أحد حين حل برسول الله ما حل فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) أى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقرئ فى السبعة ليزلقونك بضم الياء وفتحها وقرئ ليزهقونك روى أنه كان فى بنى أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله فنزلت هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أى وقت سماعهم القرآن (ويقولون) لغاية حيرتهم فى أمره صلى الله عليه وسلم (انه) أى محمدا (لمجنون) فأجابهم الله تعالى بقوله (وماهو الاذكر للعالمين) أى وماهذا القرآن الذى يزعمون أنه دلالة جنونه صلى الله عليه وسلم الا عظة للجن والانس

﴿ سورة الحاقة مكية احدى وخمسون آية. ومائتان وست وخمسون كلمة. وألف وأربعمائة وثمانون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحاقة ماالحاقة) أى أى شئ هى (وما أدراك) أى وأى شئ أعلمك (ماالحاقة) أى انك لاعلم لك بأشرف الخلق بكنهها ومدى عظمها والحاقة هى الساعة الثابتة الوقوع الواجبة المجئ أو التى تحق فيها الأمور أى تعرف على الحقيقة (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالحالة التى تقرع قلوب الناس بالافزاع وهى القيامة وقوارعها انفطار السماء وانشقاقها ودك الأرض ونسف الجبال وطمس النجوم وانكدارها (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بالصيحة المجاوزة للحد فى القوة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أى باردة (عاتية) أى مجاوزة للحد فى شدة عصفها (سخرها) أى سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أى متتابعة من صبيحة أربعاء لثمان بقين من شوال الى غروب الأربعاء الآخر فكان آخرها هو اليوم الأخير منه (فترى القوم) أى قوم هود ان كنت حاضرا وقتئذ (فيها) أى فى مهاب الريح (صرعى) أى موتى مجندلين على الأرض (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أى كأنهم أصول نخل ساقطة بالية (فهل ترى لهم من باقية) قال قوم أى لم يبق من نسل أولئك القوم أحد وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء فى عقاب الله من الريح فلما أمسوا اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم فى البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية (وجاء فرعون ومن قبله) قرأه أبو عمرو والكسائى بكسر القاف وفتح الباء أى ومن عنده من أتباعه وجنوده ويؤيده قراءة ابن مسعود وأبى وأبى موسى ومن تلقاءه وقرأ أبى أيضا ومن معه والباقون بفتح القاف وسكون الباء أى من تقدمه من الأمم (والمؤتفكات) أى أهل القريات الخمسة المنقلبات قوم لوط وهى صنعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم (بالخاطئة) أى بالخطأ كتكذيب البعث وكاللواط والصفع والضراط وغير ذلك من أنواع المعاصى (فعصوا رسول ربهم) موسى ولوطا وغيرهما (فأخذهم) أى الله تعالى (أخذة رابية) أى زائدة فى الشدة على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم كانت زائدة فى القبح على أفعال

أفعال سائر الكفار (انا لما طغى الماء) أى ارتفع الماء و زاد على أعلى جبل خمسة عشر ذراعا وذلك فى زمن نوح (حملناكم) فى أصلاب آبائكم (فى الجارية) أى فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها لكم تذكرة) أى لنجعل هذه القصة التى هى نجاة المؤمنين واغراق الكفرة عظة لكم تتعظون بها (وتعيها أذن واعية) أى ليحفظها قلب حافظ ويقال تسمع هذا الأمر أذن سامعة فتنتفع بما سمعت وقرأ نافع بسكون الذال وقرأ العامة وتعيها بكسر العين و روى عن ابن كثير ساكنة العين وذلك مثل و يتقه فى قراءة من سكن القاف (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) وهى نفخة البعث وقرأ أبو السماك بنصب نفخة واحدة على المصدر و باسناد الفعل الى الجار والمجرور (وحملت الأرض والجبال) أى و بعد خروج الناس من قبورهم رفعت الأرض والجبال من أماكنها اما بالزلزلة أو بريح أو بملك من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب (فدكتا دكة واحدة) أى ضربتا احدى الجملتين بالأخرى ضربة واحدة فتفتتت وصارت كثيبا مهيلا (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت القيامة الكبرى وهذا جواب اذا (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهى) أى السماء (يومئذ واهية) أى ساقطة القوة بعدما كانت محكمة شديدة (والملك على أرجائها) أى والملائكة واقفون على أطراف السماء التى لم تسقط فهؤلاء من جملة المستثنى ممن يموتون فى الصعقة الأولى وقيل انهم يقفون لحظة على أطراف السماء ثم يموتون (ويحمل عرش ربك فوقهم) أى حال كون العرش فوق الملائكة الواقفين على جوانب السماء (يومئذ) أى يوم وقعت الواقعة (ثمانية) من الأملاك وفى الحديث أنه ﷺ قال ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الأوعال أى تيوس الجبل و فى حديث آخر لكل ملك منهم وجه انسان و وجه أسد و وجه ثور و وجه نسر وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس قال بعضهم واسم أحدهم روقيل ولبنان وقال ابن عباس هم ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى (يومئذ) أى يوم قامت القيامة (تعرضون) على الله أى تسألون وتحاسبون و روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات عرض للحساب والمعاذير وعرض للخصومات والقصاص وعرض لتطاير الكتب وقراءتها (لا تخفى منكم خافية) أى لا يخفى يوم القيامة ما كان مخفيا منكم فى الدنيا فانه تظهر أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال أهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم وقرأ حمزة والكسائى لا يخفى بالياء التحتية (فأما من أوتى كتابه بيمينه) كأبى سلمة بن عبد الأسد (فيقول) لأصحابه تبجحا وابتهاجا (هاؤم اقرأوا كتابيه) أى خذوا كتابى وانظروا مافيه من الثواب والكرامة (انى ظننت أنى ملاق حسابيه) أى انى فى الدنيا تيقنت أنى ألقى حسابى فى الآخرة ولم أنكر البعث و روى أبو هريرة أنه ﷺ قال ان الرجل يؤتى به يوم القيامة و يؤتى كتابه فتكتب حسناته فى ظهر كفه وتكتب سيئاته فى بطن كفه فينظر الى سيئاته فيحزن فيقال له اقلب كفك فينظر فيه فيرى حسناته فيفرح ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت عند النظرة الأولى أنى ملاق حسابيه على سبيل الشدة وأما الآن فقد فرج الله عنى ذلك الغم (فهو فى عيشة راضية) أى منسوبة الى الرضا (فى جنة عالية) فى المكان والدرجة (قطوفها دانية) أى ثمارها قريبة يتناولها القاعد يقول الله لهم (كلوا) من الثمار (واشربوا) من الأنهار (هنيئا) أى بلا تعب فى تحصيل الأكل والشراب و بلا داء فى تناولهما (بما أسلفتم فى الأيام الخالية) أى بمقابلة ما قدمتم من الأعمال الصالحة فى الأيام الماضية وهى أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله) كالأسود بن عبد الأسد (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) أى لم أعط كتابى

تزيد على الأخذات (انا لما طغى الماء) أى جاوز حده يعنى أيام الطوفان (حملناكم) أى حملنا آباكم (فى الجارية) وهى السفينة (لنجعلها) أى لنجعل تلك الفعلة التى فعلنا من اغراق قوم نوح وانجاء من معه (لكم تذكرة) تتذكرون بها فتتعظون بها (وتعيها أذن واعية) أى لتحفظها كل أذن تحفظ ما سمعت (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) يعنى النفخة الأولى لقيام الساعة (وحملت الأرض والجبال فدكتا) أى كسرتا (دكة واحدة) فصارت هباء منبثا (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت القيامة (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) أى منشقة (والملك) يعنى الملائكة (على أرجائها) أى نواحيها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أى فوق الملائكة (ثمانية) أى ثمانية أملاك (يومئذ تعرضون) على ربكم (لا تخفى منكم خافية) كقوله لا يخفى على الله منهم شئ (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم) أى خذوا (اقرأوا كتابيه) أى كتابى وذلك لما يرى فيه من الحسنات (انى ظننت أنى ملاق حسابيه) أى أيقنت بأنى أحاسب (فهو فى عيشة راضية) أى ذات رضى يرضى بها صاحبها (فى جنة عالية قطوفها دانية) أى ثمارها قريبة من مريدها على أى حال كان يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم) أى قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) أى الماضية فى

الدنياوقوله (ياليتها كانت القاضية) يقول ليت الموتة التى متها لم أحى بعدها (هلك عنى سلطانيه) أى ذهب عنى حجتى و زال عنى ملكى وقوتى فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) أى أدخلوه (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) أى أدخلوه فى تلك السلسلة فتدخل فى دبره وتخرج من فيه وهى سلسلة لو جمع حديد الدنيا ماوزن حلقة منها (ولا يحض على طعام المسكين) أى لا يأمر بالصدقة على الفقراء (فليس له اليوم هاهنا حميم) أى قريب ينفعه (ولا طعام الامن غسلين) وهو صديد أهل النار (لا يأكله الا الخاطئون) يعنى الكافرين (فلا أقسم) لازائدة (بما تبصرون) أى بما ترون من المخلوقات (ومالا تبصرون) أى ومالا ترون منها (انه) اى القرآن (لقول) أى لتلاوة (رسول كريم) على الله يعنى محمدا ﷺ (وما هو بقول شاعر) أى ليس هو شاعرا (قليلا ماتؤمنون) ماللو مؤكدة (ولا بقول كاهن) وهو الذى يخبر عن المغيبات من جهة النجوم كذبا و باطلا ثم بين أن مايتلوه تنزيل من الله فقال

هذا الذى ذكرنى قبائح أفعالى حتى لا أقع فى هذه الخجالة (ولم أدر ماحسابيه) أى أى شئ حسابى من ذكر العمل وذكر الجزاء (ياليتها كانت القاضية) أى ليت هذه الحالة كانت موتة انتهيت اليها أوليت الموتة التى مت بها فى الدنيا كانت قاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها ولم ألق ماألقى (ماأغنى عنى ماليه) وما اما نافية وماليه كلة واحدة أى مادفع عنى من عذاب الله مالى الذى جمعته فى الدنيا أو استفهامية وماليه كلمتان أى أى شئ نفعنى مما كان لى من المال والأتباع (هلك عنى سلطانيه) أى ضلت عنى حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا أوذهب ملكى وتسلطى على الناس و بقيت فقيرا ذليلا فيقول الله تعالى يومئذ لخزنة النار (خذوه) أيها الزبانية (فغلوه) أى شدوه بالأغلال فيبتدر اليه مائة ألف ملك وتجمع يده الى عنقه و رجله الى وراء قفاه الى ناصيته (ثم الجحيم) أى النار العظمى (صلوه) أى شووه ثم فى سلسلة ذرعها) أى قدرها بذراع الملك (سبعون ذراعا فاسلكوه) أى أدخلوه قال ابن عباس تدخل السلسلة من دبره وتخرج من حلقه ثم يجمع بين ناصيته وقدميه ثم يجعل فى عنقه سائرها وقال نوف البكالى كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بين مكة والكوفة (انه كان) فى الدنيا (لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) أى ولا يحث على بذل طعام المسكين وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين و يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الباقى (فليس له اليوم ههنا حميم) أى فليس له فى ذلك الوقت فى مجمع القيامة قريب يدفع عنه و يحزن عليه (ولا طعام الا من غسلين) قال الكلبى هو مايسيل من أهل النار اذا عذبوا من القيح والدم والصديد (لا يأكله الا الخاطئون) أى المتعمدون الذنوب وهم المشركون وقرأ الزهرى والعتكى وطلحة والحسن الخاطيون بياء مضمومة بدل الهمزة وقرأ نافع فى رواية وشيبة بطاء مضمومة بدون همز أى الذين يتخطون الحق الى الباطل و يتعدون حدود الله (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون) ولا مزيدة أو أصلية ردا لانكارهم البعث أى أقسم بما تبصرون يا أهل مكة من شئ كالسماء والأرض والشمس والقمر ومحمد ﷺ ومالا تبصرون من شئ كالجنة والنار والعرش والكرسى وجبريل عليه السلام فالأشياء لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر فالاقسام يعم جميع الأشياء على الشمول (انه) اى القرآن (لقول رسول كريم) على الله وهو النبى محمد ﷺ وانما نسب القرآن هنا لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه الذى أظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة لنبوته ونسب فى سورة اذا الشمس كورت الى سيدنا جبريل عليه السلام لأنه الذى أنزله من السموات الى الأرض وهو كلام الله تعالى بمعنى أنه تعالى هو الذى أظهره فى اللوح المحفوظ وهو الذى رتبه ولذا قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية ان القرآن قول الله نزل به جبريل على رسول كريم محمد عليه الصلاة والسلام (وما هو) أى القرآن (بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون) أى ليس هذا القرآن قولا من رجل شاعر لأنه مباين لصنوف الشعر الا أنكم لا تقصدون الايمان به فلذلك تعرضون عن التدبر ولو قصدتم الايمان لعلمتم كذب قولكم انه شعر وليس بقول رجل كاهن لأنه وارد بشتم الشياطين الا أنكم لا تتذكرون اشتماله على سب الشياطين فلذلك تقولون انه من باب الكهانة وما امامزيدة لتأكيد معنى القلة وانتصب قليلا على انه نعت لمصدر محذوف أى تؤمنون ايمانا قليلا وتذكرون تذكرا قليلا فانهم قد يؤمنون فى قلوبهم ويتذكرون بها الا أنهم يرجعون عن ذلك سريعا ولا يتمون الاستدلال كما أشار تعالى الى ذلك بقوله تعالى انه فكر وقدر وقال فى آخر الأمر ان هذا الاسحر يؤثر واما نافية فينتفى ايمانهم وتذكرهم البتة أى لا يؤمنون أصلا بأن القرآن من الله ولا يتذكرون أصلا كيفية نظم القرآن قال مقاتل وسبب نزول هذه الآية

أن الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال أبو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله تعالى عليهم بذلك وقرأ ابن كثير وكذا ابن عامر على خلاف عن ابن ذكوان بالياء التحتية في يؤمنون و يذكرون وخفف ذال تذكرون حمزة والكسائي وحفص (تنزيل من رب العالمين) أي بل هو تنزيل من موجدهم على محمد على وجه التنجيم وقرأ أبو السماك تنزيلا أي نزل تنزيلا (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) أي ولو نسب محمد الينا قولا لم نقله لأخذنا بيمينه ثم لضربنا رقبته فان الوتين هو عرق متصل بالرأس من القلب وهذا تمثيل بما يفعله الملوك بمن يكذب عليهم والمراد أنه لو كذب علينا لأمتناه و يقال لو نسب محمد الينا قولا لم نأذن له في قوله لسلبنا عنه القوة ثم لقطعنا نياط قلبه بضرب عنقه و يقال لو افترى محمد علينا قولا من الكذب لأخذناه بقوتنا وقال مقاتل لانتقمنا منه بالحق فاليمين بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تأتونا عن اليمين أي من قبل الحق وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي فليس منكم أيها الناس أحد يمنعنا عن محمد أو عن عقابه (وانه) أي القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم أن منكم) أيها الناس (مكذبين) بالقرآن بسبب حب الدنيا فنجازيهم على تكذيبهم (وانه) أي القرآن (لحسرة) أي ندامة (على الكافرين) عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين يوم القيامة وكذا في دار الدنيا اذا رأوا دولة المؤمنين قال مقاتل أي وان تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم (وانه لحق اليقين) أي وان القرآن لحق يقين انه كلامي نزل به جبريل على رسول كريم و يقال وان الحسرة على الكافرين يوم القيامة حق يقين (فسبح باسم ربك العظيم) أي اذكر توحيد ربك العظيم تنزيها له عن الرضا بنسبة ماهو برىء منه وشكرا على ما جعلك أهلا لايحائه اليك

﴿ سورة المعارج وتسمى سورة سأل سائل مكية . أربع وأربعون آية . ومائتان وست عشرة كلمة . وثمانمائة وأحد وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله) أي طلب طالب عذابا هو واقع بالكافرين في الدنيا والآخرة ليس لذلك العذاب من يدفعه عنهم من جهة الله تعالى لانه اذا أوجبت الحكمة وقوعه امتنع أن لا يفعله الله قال ابن عباس هو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة ابن أبي معيط وقال الربيع هو أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحارث بن النعمان الفهري وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فمات من ساعته فنزلت هذه الآية وقال الحسن وقتادة لما بعث الله محمدا وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب و بمن يقع فأخبره الله عنهم بقوله سأل سائل بعذاب واقع أي عن عذاب واقع فعلى هذا فقوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعتاد على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى و يقولون متى هذا الوعد قال أبو السعود ولعل هذا القول أقرب وقرأ نافع وابن عامر سال بألف محضة وقرأ ابن عباس سال سيل بعذاب واقع للكافرين أي اندفع عليهم وادمن أودية جهنم بعذاب واقع وهذا قول زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن زيد وقرأ أبي على الكافرين (ذي المعارج) أي ذي السموات فهو خالقها كما قاله ابن عباس وسميت معارج لان الملائكة يعرجون فيها وقال قتادة أي ذي الفواضل

(تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل) يعني النبي ﷺ أي لو قال ما لم يؤمر به وأتى بشيء من قبل نفسه (لأخذنا منه باليمين) من صلة والمعنى لأخذناه بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) وهو نياط القلب أي لأهلكناه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي لا يحجزنا عنه أحد منكم (وانه) يعني القرآن (لحسرة على الكافرين) يوم القيامة اذا رأوا ثواب متابعيه (وانه لحق اليقين) أي وانه اليقين وحق اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) أي نزهه عن السوء

﴿ تفسير سورة المعارج ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل) أي دعا داع (بعذاب واقع للكافرين) أي على الكافرين وهو النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (ليس له دافع) أي ليس لذلك العذاب الذي يقع بهم دافع (من الله) أي ذلك العذاب يقع بهم من الله (ذي المعارج) أي ذي السموات

(تعرج الملائكة والروح) يعنى جبريل (اليه) أى الى محل قربه وكرامته وهو السماء (فى يوم) صلة أى عذاب واقع فى يوم (كان مقداره خمسين ألف سنة) وهو يوم القيامة (فاصبر صبرا جميلا) وهذا قبل أن أمر بالقتال (انهم) يعنى المشركين (يرونه) أى يرون ذلك اليوم (بعيدا) محالا لايكون (ونراه قريبا) أى لان ماهو آت قريب ثم ذكر متى يكون ذلك اليوم فقال (يوم تكون السماء كالمهل) أى كدردى الزيت وقيل كالقار المذاب وقدمرهذا (وتكون الجبال كالعهن) أى كالصوف المصبوغ (ولا يسأل حميم حميما) أى لايسأل قريب عن قريب لاشتغاله بما هو فيه (يبصرونهم) أى يعرف بعضهم بعضا يعنى أن الحميم يرى حميمه ويعرفه فلايسأله عن شأنه (يود المجرم) أى يتمنى الكافر (لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته) أى وزوجته (وأخيه وفصيلته) أى عشيرته (التى) فصل عنهم (تؤويه) أى تضمه اليها فى النسب (ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه) ذلك الافتداء (كلا) ليس الأمر كذلك لاينجيه شىء

والنعم وهى تصل الى الناس على مراتب مختلفة وقيل أى ذى الدرجات التى يعطيها أولياءه فى الجنة (تعرج الملائكة والروح) وهو جبريل (اليه) أى الى انتهاء موضع كرامته تعالى وهو الموضع الذى لايجرى لأحد سواه تعالى فيه حكم وقيل الى عرشه وقرأ الكسائى يعرج بالياء التحتية (فى يوم) من أيامكم (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سنى الدنيا أى يقطعون فى يوم مايقطعه الانسان فى خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقال وهب مابين أسفل العالم الى أعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة ومن أعلى السماء الدنيا الى الارض مسيرة ألف سنة لان عرض كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ومابين أسفل السماء الى قرار الارض خمسمائة أخرى وقال محمد بن اسحق لو سار بنو آدم من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقوله تعالى فى يوم متعلق بتعرج كما عليه الأكثرون وقال مقاتل هو متعلق بواقع وقيل متعلق بسال بغير همزة وهو الذى من السيلان وعلى هذا فالمراد بذلك اليوم يوم القيامة والمراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سنى الدنيا ثم يستقر أهل النار فى دركات النيران قال بعضهم وهذه المدة واقعة فى الآخرة لكن على سبيل التقدير والمعنى لو اشتغل بتلك الحكومة والمحاسبة أعقل الخلق وأذكاهم لبقى فيه خمسين ألف سنة ثم انه تعالى يتمم ذلك القضاء والحساب فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا (فاصبر صبرا جميلا) أى فاصبر صبرا بلاجزع على استهزاء النضر وأمثاله بك وعلى تكذيب الوحى وعلى تعنت كفار مكة فى السؤال عليك فهذا متعلق بقوله تعالى سأل ومن قرأ سال بألف محضة فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد جاء وقت الانتقام (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) أى ان الكفار يستبعدون اليوم الذى كان مقداره خمسين ألف سنة من الامكان على جهة الاحالة ونعلمه قريبا من الامكان هينا فى قدرتنا غير متعذر علينا و يقال ان كفار مكة يعتقدون العذاب غير واقع و يوم القيامة ونعلمه واقعا لابد من وقوعه وهذا تعليل للأمر بالصبر (يوم تكون السماء كالمهل) أى تصير السماء كدردى الزيت وهذا الظرف متعلق بليس له دافع أو بما فى معناه كيقع أى يقع العذاب يوم تكون الخ أو متعلق بقريبا اذا كان الضمير فى نراه للعذاب (وتكون الجبال كالعهن) أى تصير الجبال كالصوف المصبوغ ألوانا وانما وقع التشبيه به لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولايسأل حميم حميما) أى لايسأل قريب قريبه عن أحواله كيف حالك ولا يكلمه لان لكل أحد مايشغله عن هذا الكلام أو لايسأل قريب قريبا شفاعة واحسانا اليه لعلمه أن ذلك مفقود وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ولا يسئل بضم الياء أى لايسأل حميم عن حميمه ليتعرف شأنه من جهته فلايقال لحميم أين حميمك (يبصرونهم) أى يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه وهو مع ذلك لايسأله عن شأنه لشغله بنفسه وقرئ يبصرونهم أى يرونهم ولايعرفونهم اشتغالا بأنفسهم (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا) أى يتمنى المشرك أن يفدى نفسه من عذاب يوم القيامة بأولاده وزوجته وأخيه وأقاربه الاقربين الذين فصل عنهم وينتهى اليهم التى تضمه فى النسب وتحميه فى النوائب ومن فى الارض جميعا من الخلائق وقرأ نافع والكسائى يومئذ بفتح الميم على البناء لاضافة يوم الى مبنى والباقون بكسرها على الاعراب على الأصل فى الاسماء وقرئ من عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ بعذاب لانه فى معنى تعذيب (ثم ينجيه) معطوف على يفتدى أى يتمنى الكافر أن يفتدى نفسه بهذه الأشياء ثم أن ينجيه ذلك الافتداء (كلا) وهذا انما بمعنى حقا فحينئذ كان الوقف على ينجيه وهو وقف تام واما بمعنى لا فحينئذ كان الوقف على كلا وهو وقف تام وهذا أولى ولايجمع بينهما فى الوقف بل الوقف فى أحدهما

فقط

فقط أى لاينفعه ذلك الافتداء ولا ينجيه من العذاب (انها لظى نزاعة للشوى) وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص أو على حال مؤكدة والكناية عائدة على النار لدلالة لفظ العذاب عليها وقرأ الباقون بالرفع فتجعل الكناية حرف عماد ولظى اسم ان ونزاعة خبرها كأنه قيل ان لظى نزاعة أو تجعل ضمير القصة وهو اسم ان ولظى مبتدأ ونزاعة خبرا والجملة خبر عن ان والتقدير ان القصة لظى نزاعة للشوى أى قلاعة للاعضاء التى فى أطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا أبدا فلا تترك لحما ولا جلدا الا أحرقته (تدعو من أدبر) عن الطاعة (وتولى) عن الايمان (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله فى وعاء ولم يؤد حقوقه أى ان النار تدعوهم بلسان الحال أو ان الله تعالى يخلق الكلام فى جرم النار حتى تقول صريحا الى يا كافر الى يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الحب فقوله تعالى أدبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله تعالى وطاعته وقوله وجمع اشارة الى الحرص وقوله فأوعى اشارة الى طول الامل وهذه مجامع آفات الدين (ان الانسان خلق هلوعا) أى جبل جبلة هو فيها قلة الصبر وشدة الحرص (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) أى اذا أصابه الفقر والمرض ونحوهما صار جازعا شاكيا واذا أصابه السعة والصحة صار مانع المعروف شحيحا بماله غير ملتفت الى الناس وانما ذم الله الانسان على ذلك لانه قاصر النظر عن الاحوال الجسمانية العاجلة فالواجب عليه أن يكون مشغولا بأحوال الآخرة فاذا وقع فى مرض أو فقر كان راضيا به لعلمه انه فعل الله تعالى واذا وجد المال والصحة صرفهما الى طلب السعادات الاخروية (الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) بأن لا يتركوها فى وقت من الاوقات ولا يشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس (للسائل) أى الذى يسأل (والمحروم) أى الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) حيث يتعبون أنفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الأخروية فيستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون على أنفسهم مع مالهم من الاعمال الفاضلة استعظاما لجنابه تعالى واستقصارا لاعمالهم الحسنة (ان عذاب ربهم غير مأمون) فلا ينبغى لاحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) أى الأربع (أو ما ملكت أيمانهم) من الولائد بغير عدد (فانهم غير ملومين) بالاستمتاع بهن (فمن ابتغى وراء ذلك) أى فمن طلب لنفسه وراء ما ذكر من الأزواج والمملوكات (فأولئك هم العادون) أى المجاوزون الحدود فدخل فى هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا (والذين هم لأماناتهم) أى لما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وعهدهم) فيما بينهم و بين ربهم أو فيما بينهم و بين الناس (راعون) أى حافظون بالوفاء وقرأ ابن كثير لأمانتهم بالافراد (والذين هم بشهاداتهم قائمون) وقرأ حفص بألف بعد الدال على الجمع والباقون على التوحيد أى يقومون بالشهادات بالحق عند الحكام ولا يكتمونها وهذه الشهادات من جملة الامانات الا انه تعالى خصها من بينها اظهارا لفضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وفى تركها تضييعها وروى عطاء عن ابن عباس قال والمراد الشهادة بأن الله واحد لا شريك له (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى يهتمون بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه (أولئك) أى الموصوفون بتلك الصفات الثمانية (فى جنات مكرمون) بالثواب والتحف (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أى أى شىء ثبت لكفار مكة مسرعين جهتك مادى أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى مجتمعين فهذه الاربعة أحوال من الموصول روى أن المشركين كانوا يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون منه و يستهزئون بكلامه

(انها لظى) وهى من أسماء جهنم (نزاعة الشوى) جلدة الرأس تقشرها عنه (تدعو) أى تدعو الكافر باسمه والمنافق فتقول الى الى (من أدبر) عن الايمان (وجمع) المال (فأوعى) أى فأمسكه فى وعائه ولم يؤد حق الله تعالى منه (ان الانسان خلق هلوعا) وتفسير الهلوع ما ذكره تعالى من قوله (اذا مسه الشر جزوعا) أى يجزع من الشر ولا يستمسك (واذا مسه الخير منوعا) أى اذا أصاب المال منع حق الله تعالى (الا المصلين) يعنى المؤمنين (الذين هم على صلاتهم دائمون) أى لا يلتفتون فى الصلاة عن سمت القبلة (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى يقيمونها ولا يكتمونها (فمال الذين كفروا) أى ما بالهم (قبلك مهطعين) أى يديمون النظر اليك و ينطلقون نحوك (عن اليمين وعن الشمال) أى عن جوانبك (عزين) أى جماعات حلقا وذلك أنهم كانوا يجتمعون عنده يستهزئون به و بأصحابه و يقولون لئن دخل هؤلاء الجنة فلندخلنها قبلهم قال الله تعالى

ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت هذه الآية (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) كما يدخلها المسلمون (كلا) أي لا يكون ماطمعوا فيه اصلا لان ذلك تمن فارغ (انا خلقناهم مما يعلمون) وهو النطفة المذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم فكيف يليق دخولهم الجنة لولم يتصفوا بالايمان والمعرفة (فلا أقسم) أي اذا كان الأمر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فأقسم (برب المشارق) أي مشارق الشتاء والصيف (والمغارب) أي مغارب الشتاء والصيف فلمشرق الشتاء والصيف مائة وثمانون منزلا وكذلك للغربين (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أي بطريق الاهلاك ولم يحصل ذلك وانما هدد الله تعالى القوم بهذا لكي يؤمنوا (وما نحن بمسبوقين) أي بعاجزين على أن نبدل خيرا منهم وليس تأخير عقابهم لعجز بل لحكمة داعية اليه (فذرهم) أي اتركهم فيما هم فيه من الاباطيل (يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم أو يهزأوا في كفرهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية (يوم يخرجون من الاجداث) أي القبور بدل من يومهم بدل كل من كل وقرئ يخرجون على البناء للمفعول (سراعا) الى جهة صوت الداعي (كأنهم الى نصب) وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وهي التي تنصب فتعبد من دون الله تعالى والباقون بفتح النون واسكان الصاد وهي رواية وقرأ أبو عمران الجوني ومجاهد بفتحتين أي منصوب كالعلم وقرأ الحسن وقتادة بضمة فسكون وهو الصنم المنصوب للعبادة (يوفضون) أي يسرعون (خاشعة أبصارهم) فلا يرفعونها ولا يرون خيرا (ترهقهم ذلة) أي يعلوهم سواد الوجوه (ذلك) أي وقوع الاحوال الهائلة (اليوم الذي كانوا يوعدون) في الدنيا ان لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذي سألوا عنه

﴿سورة نوح عليه السلام مكية ثمان وعشرون آية . ومائتان وأربع وعشرون كلمة . وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أرسلنا نوحا الى قومه) وكانوا جميع أهل الارض أهل عصره (أن أنذر قومك) وان حرف مصدري والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على ارادة القول والتقدير انا أرسلناه وقلنا له أنذر (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) على ماهم عليه من الاعمال الخبيثة فلما جاءهم (قال ياقوم اني لكم نذير مبين) أي موضح لحقيقة الأمر بلغة تعلمونها (أن اعبدوا الله واتقوه) فالأمر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب وأفعال الجوارح والأمر بالتقوى يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات (وأطيعون) فالأمر بطاعة نوح يتناول أداء جميع المأمورات وترك جميع المنهيات (يغفر لكم من ذنوبكم) أي بعض ذنوبكم وهو ماسلف في الجاهلية فالاسلام يجبه (ويؤخركم الى أجل مسمى) أي الى أمد قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان أي ان الله قضى على قوم نوح مثلا ان آمنوا عمرهم الله ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم الله على رأس تسعمائة سنة (ان أجل الله) أي ان ماقدر الله لكم على تقدير بقائكم على الكفر (اذا جاء) وأتم على ما أتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه (لو كنتم تعلمون) شيئا لسارعتم الى ما أمرتكم به فلما أيس نوح منهم بعد مادعاهم ألف سنة الا خمسين عاما فلم يؤمنوا ولم يقبلوا نصيحته (قال) أي نوح (رب اني دعوت قومي) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) أي دائما من غير فتور (فلم يزدهم دعائي الا فرارا) مما

(أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة فلا يستوجب احد الجنة بشرفه وماله لان الخلق كلهم من أصل واحد بل يستوجبونها بالطاعة (فلا أقسم) لا صلة وقوله (وما نحن بمسبوقين) أي بمغلوبين نظير هذا قد تقدم في سورة الواقعة (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) نسختها آية القتال (يوم يخرجون من الأجداث) أي القبور (سراعا كأنهم الى نصب) أي الى شئ منصوب من علم أو راية (يوفضون) أي يسرعون (خاشعة أبصارهم) أي ذليلة خاضعة لا يرفعونها الذلتهم (ترهقهم ذلة) أي يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) يعني يوم القيامة

﴿تفسير سورة نوح عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك) أي بأن خوفهم عذاب الله (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال ياقوم) الى قوله (يغفر لكم من ذنوبكم) من صلة (ويؤخركم) عن العذاب (الى أجل مسمى) وهو أجل الموت فتموتوا غير ميتة من يهلك بالعذاب (ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر) أي اذا جاء الأجل في الموت لا يؤخر (لو كنتم تعلمون) ذلك وقوله (الا فرارا) أي

نفارا عن طاعتك وادبارا عنى (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم) ما سلف من ذنوبهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا صوتى (واستغشوا ثيابهم) أى غطوا بها وجوههم مبالغة للاعراض عنى لئلا يرونى (وأصروا) أى وأقاموا على كفرهم (واستكبروا) عن اتباعى (استكبارا) لأنهم قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (ثم انى دعوتهم جهارا) أى أظهرت لهم الدعوة (ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) أى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر (فقلت استغفروا ربكم) الى قوله ويجعل لكم أنهارا وذلك أنهم لما كذبوا نوحا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم فهلكت أموالهم ومواشيهم فوعدهم نوح ان آمنوا أن يرد الله عليهم ذلك فقال (يرسل السماء عليكم مدرارا) أى كثيرة الدر يريد كثرة المطر (ويمددكم بأموال وبنين) أى يعطكم زينة الدنيا وهى المال والبنون (مالكم لا ترجون لله وقارا) أى لا تخافون لله عظمة (وقد خلقكم أطوارا) أى حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أى بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أى فى احداهن نورا (وجعل الشمس سراجا) يضىء لأهل الارض (والله أنبتكم من الارض) أى جعلكم تنبتون من الأرض (نباتا) وذلك أنه خلق آدم من الأرض وأولاده منه (ثم يعيدكم فيها) أمواتا (ويخرجكم) منها أحياء (اخراجا) وقوله (سبلا فجاجا) أى طرقا بينة وقوله (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) أى اتبعوا أشرافهم الذين لا يزيدون بانعام الله عليهم بالمال والولد الا طغيانا وكفرانا (ومكروا مكرا كبارا) أى أفسدوا فى الأرض فسادا عظيما بالكفر وتكذيب الرسل

دعوتهم اليه (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان والتوبة (لتغفر لهم) بسببهما (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) أى سدوا مسامعهم لكيلا يسمعوا دعوتى (واستغشوا ثيابهم) أى غطوا رؤسهم بثيابهم لكى لا يسمعوا صوتى ولا يرونى (وأصروا) على الكفر والمعاصى (واستكبروا) عن الايمان والتوبة (استكبارا) عظيما بالغا الى النهاية القصوى (ثم انى دعوتهم) الى التوحيد والتوبة (جهارا) أى بأعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) فمراتب دعوة نوح عليه السلام ثلاثة فبدأ بالمناصحة فى السر فجازوه بالأمور الأربعة ثم ثنى بالمجاهرة وهى أشد من الاسرار ثم جمع بين الاعلان والاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد (فقلت) لهم (استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والمعاصى (انه كان غفارا) فى حق كل من استغفره (يرسل السماء عليكم مدرارا) أى مطرا دائما (ويمددكم بأموال وبنين) أى يعطكم أموالا ابلا وبقرا وغنما وبنين ذكورا واناثا (ويجعل لكم جنات) أى بساتين (ويجعل لكم أنهارا) تجرى لمنافعكم قيل لما كذبوا نوحا عليه السلام حبس الله عنهم المطر أربعين سنة وقطع نسل دوابهم ونسائهم أربعين سنة وأهلك جناتهم وأيبس أنهارهم قبل ذلك بأربعين سنة فوعدهم نوح أنهم ان آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه (مالكم لا ترجون لله وقارا) أى أى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له (وقد خلقكم أطوارا) أى والحال أن الله خلقكم على حالات شتى نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر وهو القاء الروح فيه ويقال والحال انه تعالى خلقكم أصنافا مختلفين يخالف بعضكم بعضا (ألم تروا) أى ألم تخبروا يا كفار مكة (كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أى متوازية بعضها فوق بعض مثل القبة ملتزقة أطرافها (وجعل القمر فيهن نورا) أى منورا لوجه الأرض فى ظلمة الليل ونسبته الكل مع أنه فى السماء الدنيا لأن كل واحدة من سبع سموات شفافة لا يحجب ماوراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة (وجعل الشمس سراجا) يزيل الظلمة ويبصر أهل الدنيا فى ضوئها وجه الأرض كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره (والله أنبتكم من الأرض نباتا) أى أنبتكم من الأرض فنبتم نباتا عجيبا والمعنى والله أنشأكم منها فنشأتم نشأة عجيبة فانه تعالى انما يخلقنا من النطف وهى متولدة من الاغذية المتولدة من النبات المتولد من الأرض (ثم يعيدكم فيها) بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (اخراجا) محققا لا ريب فيه (والله جعل لكم الأرض بساطا) تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى لتأخذوا فيها طرقا واسعة (قال نوح) مناجيا له تعالى (رب انهم عصونى) فيما أمرتهم به من التوحيد والتوبة (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) وهم رؤساؤهم الذين يدعونهم الى الكفر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ولده بفتح الواو واللام والباقون بضم الواو واسكان اللام (ومكروا مكرا كبارا) معطوف على صلة من أى واتبعوا من مكروا الخ أى كأن الرؤساء قالوا لأتباعهم ان آلهتكم خير من اله نوح لأن آلهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح لا يعطيه شيئا لأنه فقير فبهذا المكر صرفوهم

عن طاعة نوح أو قالوا لأتباعهم هذه الأصنام آلهة لكم وكانت آلهة لآبائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على أنفسكم بأنكم كنتم جاهلين ضالين وعلى آبائكم بأنهم كانوا كذلك وهذه الاشارة صارفة لهم عن الدين وقرأ العامة كبارا بضم الكاف وتشديد الباء وقرأ عيسى وأبو السماك وابن محيصن بالضم والتخفيف وقرأ زيد بن علي وابن محيصن أيضا بكسر الكاف وتخفيف الباء (وقالوا) أي الرؤساء السفلة معطوف على الصلة أيضا أي واتبعوا من قالوا (لا تذرن آلهتكم) أي لا تتركوا عبادتها الى عبادة رب نوح (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أي ولا تتركن عبادة هؤلاء وقرأ نافع ودا بضم الواو والباقون بفتحها وقرأ العامة يغوث ويعوق بغير تنوين للعلمية والوزن أو العلمية والعجمة وقرأهما الأعمش مصروفين للتناسب أو على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا ولعل هذه الأسماء الخمسة أسماء أولاد آدم فلما ماتوا قال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم حتى بعث الله نوحا عليه السلام ولهذا السبب نهى الرسول عن زيارة القبور أولا ثم أذن فيها وقال كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فان زيارتها تذكرة (وقد أضلوا كثيرا) معطوف على صلة من أي واتبعوا من قد أضلوا خلقا كثيرا وهم الرؤساء أو الأصنام أجريت مجرى الآدميين كقوله تعالى ألهم أرجل (ولا تزد الظالمين) أي المشركين (الا ضلالا) أي عذابا أو ضلالا في أمر دنياهم وهذا معطوف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه فالواو ليست من كلام نوح لئلا يعطف الانشاء على الاخبار لكن الظاهر أن المراد بالاخبار طلب النصرة عليهم فيجوز أن تكون الواو من كلام نوح أي قال نوح رب انهم عصوني وقد عجزت وأيست عنهم فانصرني عليهم وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا (مما خطيئاتهم أغرقوا) وما صلة ومن تعليلية أي من أجل خطيئاتهم وبسببها أغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر وقرأ أبو عمرو خطاياهم وقرأ ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا فأخر كلمة ما فعلى هذه القراءة فما مع ما بعده في تقدير المصدر وقرئ خطياتهم بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ خطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس أو ارادة الكفر فقط والخطيئات والخطايا كلاهما جمع خطيئة الا أن الأول جمع سلامة والثاني جمع تكسير (فأدخلوا نارا) في القبر فان عذاب القبر عقب الاغراق وان كانوا في الماء لأن الفاء تدل على أن ادخالهم في النار حصل عقب الاغراق فلا يمكن حمل النار على عذاب جهنم في الآخرة قال الضحاك انهم كانوا في حالة واحدة يغرقون من جانب ويحرقون في الماء من جانب بقدرة الله تعالى (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) وهذا تعريض بأنهم انما واظبوا على عبادة الأصنام لتكون دافعة للآفات عنهم جالبة للمنافع اليهم فلما جاءهم عذاب الله لم ينتفعوا بتلك الأصنام وما قدرت هي على دفع عذاب الله تعالى عنهم (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أي أحدا (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) عن دينك من آمن بك ومن أراد أن يؤمن بك (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) أي الا من سيفجر ويكفر (رب اغفر لي ولوالدي) أي أبوي لمك وشمخا بنت أنوش فانهما كانا مؤمنين وأخرج ابن أبي حاتم أن المراد والده وجده فاسم أبيه لمك واسم جده متوشلخ بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية المضمومة بعدها واو ساكنة وفتح الشين المعجمة واللام بعدها خاء معجمة وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ويحيى ابن يعمر والنخعي ولولدي أي ابنيه سام وحام وقرأ ابن جبير والجحدري ولوالدي بكسر الدال أي أبي فيحتمل أن يريد عليه السلام أباه الأقرب الذي ولده وان يريد جميع من ولده من لدن آدم الى من ولده وكان بينه وبين آدم عشرة آباء ولم يكن منهم كافر كما قاله عطاء (ولمن دخل بيتي) أي منزلي أو

(وقالوا) لسفلتهم (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا) الى قوله ونسرا وهي اسماء أوثانهم (وقد أضلوا كثيرا) أي ضل بسببها كثير من الناس كقوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) دعاء من نوح عليهم بأن يزيدهم الله ضلالا وذلك أن الله أخبره انه لن يؤمن من قومه الا من قد آمن فلما أيس نوح من ايمانهم دعا عليهم بالضلال والهلاك قال الله تعالى (مما خطاياهم) ما صلة أي من خطاياهم التي ارتكبوها (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) يعني بعد الغرق أدخلوا جهنم (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أي لم يجدوا من يمنعهم من عذاب الله (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أي نازل دار والمعنى أحدا (انك ان تذرهم) فلا تهلكهم (يضلوا عبادك) أي يدعونهم الى الضلال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) أي الا من يفجر ويكفر وذلك أن الله أخبره انهم لا يلدون مؤمنا (رب اغفر لي ولوالدي) وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتي) أي مسجدي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (قل أوحي الي) أي أخبرت بالوحي من الله الي (أنه استمع نفر من الجن) وذلك ان الله بعث نفرا من الجن ليستمعوا قراءة النبي ﷺ وهو يصلي الصبح ببطن نخلة وهؤلاء هم الذين ذكر وافي قوله واذ صرفنا

مسجدي أو سفينتي وقيل لمن دخل ديني دخولا مع تصديق القلب (مؤمنا) خرجت بهذا القيد امرأته وابنه كنعان (وللمؤمنين والمؤمنات) الذين يكونون من بعدي الى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين) أي الكافرين (الا تبارا) أي الا هلاكا فاستجاب الله دعاءه عليه السلام فأهلكهم بالكلية

﴿ سورة الجن وتسمى سورة قل أوحي مكية وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة . وثمانمائة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل) يا أشرف الخلق (أوحي الي) وقرأ أبو عمرو في رواية يونس وهرون وحي بضم الواو بغير ألف وقرئ أحي بالهمزة من غير واو أي أنزل الي جبريل فأخبرني (أنه استمع نفر من الجن) أي ان الشأن استمع القرآن تسعة نفر من جن نصيبين بالجن (فقالوا) بعدما آمنوا ورجعوا الى قومهم يا قومنا (انا سمعنا قرآنا) أي كتابا مقروءا (عجبا) أي خارجا عن عادة أمثاله من الكتب الالهية مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى (يهدي الى الرشد) أي الى الصواب وهو لا اله الا الله (فآمنا به) أي بذلك القرآن أو بالرشد الذي في القرآن وهو التوحيد (ولن نشرك بربنا أحدا) أي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به وذكر الحسن أن منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (وأنه تعالى جد ربنا) أي وأن الحديث ارتفع عظمة ربنا أي عظم سلطانه أو ارتفع غناه أي وصفه بالاستغناء عن الزوجة والولد أو تعالى حقيقته عن جميع جهات التعلق بالغير وقرئ جد ربنا بكسر الجيم أي تعالى صدق ربوبيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وقرئ جدا ربنا بنصب جدا على التمييز (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها وبعضهم جعل ما مصدرية متعلقة بتعالى فحينئذ تكون لا زائدة أي تعالى صفة ربنا ما اتخذ وجة وولدا كما نسبه الكفار (وأنه) أي الحديث (كان يقول سفيهنا) أي جاهلنا وهو ابليس (على الله شططا) أي قولا مجاوزا للحد بعيدا عن الصدق وهو وصفه تعالى باثبات الشريك والصاحبة والولد (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أي كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وهذا اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم ابليس (وأنه) أي الحديث (كان رجال من الانس) في الجاهلية (يعوذون) اي يلتجئون (برجال من الجن فزادوهم رهقا) أي ظلما وذلك انهم اذا سافروا وسفرا أو اصطادوا صيدا أو نزلوا واديا خافوا من الجن لأنها تعبث بهم في بعض الأحيان فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيأمنون بذلك ولا يرون الا خيرا فتزيد الجن والانس اضلالا لهم حتى استعاذوا بهم (وأنهم) أي الانس (ظنوا كما ظننتم) أيها الجن (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت أو انه لن يبعث الله أحدا للرسالة على ما هو مذهب البراهمة (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) وأنا قبل أن آمنا طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها فصادفناها قد ملئت من جهة الحراس الأقوياء وهم الملائكة الذين يمنعون من الاستماع ومن شعل منقضة من نار الكواكب (وأنا كنا) قبل مبعث محمد (نقعد منها) أي السماء (مقاعد) خالية من الحرس (للسمع) أي لأجل الاستماع (فمن يستمع الآن) أي بعد مبعث محمد في مقعد من المقاعد

اليك نفرا من الجن الآية فلما رجعوا الى قومهم (قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا) اى في فصاحته وبيانه وصدق اخباره (وأنه تعالى جد ربنا) اى جلاله وعظمته عن أن يتخذ ولدا وصاحبة (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا) اى يقول جاهلنا غلوا في الكذب حين يصفه بالولد والصاحبة (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اى كنا نظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وكنا نظن أن أحدا لا يكذب على الله وانقطع ههنا قول الجن قال الله تعالى (وأنه كان رجال من الانس) الآية وذلك أن الرجل في الجاهلية كان اذا سافر فأمسى في الأرض القفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه يعني الجن يقول الله تعالى (فزادوهم رهقا) اى زادهم هذا التعوذ طغيانا وذلك انهم قالوا سدنا الجن والانس (وأنهم ظنوا) الآية يقول ظن الجن (كما ظننتم) أيها الانس (أن لن يبعث الله) يوم القيامة (أحدا و) قالت الجن (أنا لمسنا السماء) اى برمنا استراق السمع (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) من الملائكة (وشهبا) من النجوم يرديدون حرست بالنجوم من استماعنا (وأنا كنا) قبل ذلك (نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن

بجدله شهابا رصدا) أى كواكب حفظة تمنع من الاستماع (وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض) بحدوث رجم الكواكب (أم أراد
بهم ربهم رشدا) اى خيرا (وأنا منا الصالحون) بعد استماع القرآن أى بررة أتقياء (ومنا دون ذلك) اى دون البررة
(كنا طرائق قددا) أى أصنافا مختلفين (وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض) أى علمنا انا لانفوته اذا أراد بنا أمرا (ولن نعجزه هربا) ان طلبنا وقوله (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى ظلما والمعنى لايخاف ان ينقص من حسناته ولا يزاد فى سيئاته (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أى الجائرون عن الحق (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق الحق قال الله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى لو آمنوا جميعا يعنى الخلق كلهم الانس والجن (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لوسعنا عليهم فى الدنيا وضرب المثل بالماء لأن الخير كله والدر والرزق بالمطر وهذا كقوله ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا الآية (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم فنرى كيف شكرهم (ومن يعرض عن ذكر ربه نسلكه) أى ندخله (عذابا صعدا) أى شاقا (وأن المساجد لله) يعنى المواضع التى يصلى فيها وقيل الأعضاء التى يسجد عليها وقيل يعنى السجدات لله جمع مسجد بمعنى السجود (فلا تدعوا مع الله أحدا) أمر بالتوحيد لله فى الصلاة (وأنه لما قام عبد الله) يعنى النبى ﷺ لما قام ببطن نخلة (يدعوه) اى يدعو الله (كادوا يكونون عليه لبدا) أى كاد الجن يتراكبون عليه ويزدحمون حرصا على مايسمعون ورغبة فيه وقوله

(بجدله) أى لأجله (شهابا رصدا) أى شهابا قد أرصد له ليرجم به (وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) أى وانا لانعلم أشر أريد بمن فى الأرض حين منعنا عن الاستماع أم أراد بهم ربهم خيرا أى ولما سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم علموا انهم منعوا من صعود السماء حراسة للوحى (وأنا منا الصالحون) أى المتقون (ومنا دون ذلك) أى ومنا قوم غير صالحين (كنا طرائق قددا) أى كنا قبل هذا ذوى مذاهب مختلفة قال السدى الجن أمثالكم فيهم مرجئة وقدرية وروافض وخوارج (وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض) أى وأنا علمنا الآن أن الشأن لن نعجز الله أينما كنا من أقطار الأرض (ولن نعجزه هربا) أى هاربين من الأرض الى السماء فليس لنا مهرب الا فى قبضته (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم (آمنا به) أى بالقرآن (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أى فمن يؤمن بربه فهو لايخاف نقصا فى جزاء حسناته ولا ظلما بزيادة جزاء سيئاته وهذا دليل على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجتنب المظالم وقرأ الأعمش فلا يخف (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أى وانا بعد سماع القرآن مختلفون فمنا المخلصون فى صفة الاسلام ومنا المائلون عن طريق الحق (فمن أسلم) أى أخلص بالتوحيد (فأولئك تحروا رشدا) أى قصدوا طريق صواب (وأما القاسطون) أى المائلون عن سنن الاسلام (فكانوا لجهنم حطبا) والجن وان خلقوا من النار توقد نار جهنم بهم كما توقد بكفرة الانس فان النار القوية تأكل النار الضعيفة وقيل ههنا آخر كلام الجن (وأن لو استقاموا) وأن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة على أنه استمع والمعنى وأوحى الى ان الحديث لو استقام الجن والانس (على الطريقة) أى على ملة الاسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لوسعنا عليهم الرزق وقرأ الأعمش بضم واو لو تشبيها بواو الضمير (لنفتنهم فيه) أى فى ذلك الماء الذى هو كناية عن العيش الواسع فان من آمن بالله فأنعم الله عليه كان ذلك الانعام اختبارا حتى يظهر أنه هل يشتغل بالشكر أم لا وهل ينفق تلك النعم فى طلب مراضى الله أو فى مراضى الشيطان (ومن يعرض عن ذكر ربه) أى عن طاعته وعن كتاب ربه القرآن (يسلكه عذابا صعدا) أى يدخله فى عذاب شديد وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بالياء التحتية لاعادة الضمير على الله والباقون بالنون روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن صعدا جبل فى جهنم وهو صخرة ملساء أو نحاس فيكلف الكافر صعودها ثم يجذب من أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها فى أربعين سنة فاذا بلغ أعلاها جذب الى أسفلها ثم يكلف الصعود مرة أخرى فهذا دأبه أبدا (وأن المساجد لله) أى وأوحى الى أن المساجد لله (فلا تدعوا مع الله أحدا) أى فلا تعبدوا مع الله أحدا غيره والمراد بالمساجد البيوت التى تبنيها أهل الملل للعبادة فيدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين وذلك ان أهل الكتاب يشركون فى صلاتهم فى البيع والكنائس فأمر الله المسلمين بالتوحيد والاخلاص (وانه) أى وأوحى الى أن الحديث (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) أى لما قام النبى عبد الله لصلاة الفجر ببطن نخل كاد الجن يزدحمون عليه متراكبين تعجبا مما رأوا من عبادته ومن اقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا مثله وقرأ نافع وشعبة بكسر الهمزة على الاستئناف بناء على ان هذا من كلام الجن لا من جملة

الوحى

الموحى والمعنى وأنه لما قام النبي يعبد الله وحده مخالفا المشركين في عبادتهم الأوثان كاد المشركون يزدحمون عليه متراكبين ليبطلوا الحق الذي جاء هو يطفئوا نور الله فأبى الله الا أن ينصره على من عاداه وقرأ هشام لبدا بضم اللام والباقون بكسرها واعلم أن المشددة في هذه السورة ستة عشر ثنتان منها يجب فيهما الفتح أنه استمع وأن المساجد لله وواحدة يجب فيها الكسر انا سمعنا وثلاثة عشر يجوز فيها الوجهان فالاثنتا عشرة فتحها الاخوان وابن عامر وحفص وكسرها الباقون وهي وأنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول وأنا ظننا وأنه كان رجال وأنهم ظنوا وأنا لمسنا السماء وأنا كنا وأنا لاندرى وأنا منا الصالحون وأنا ظننا وأنا لما سمعنا وأنا منا المسلمون والواحدة كسرها ابن عامر وأبو بكر وفتحها الباقون وهي وأنه لما قام عبد الله (قل انما أدعو ربي) أي أعبده وأدعو الخلق اليه (ولا أشرك به أحدا) أي ولا أشرك بربي في العبادة أحدا قرأ العامة قال على الغيبة وقرأ عاصم وحمزة قل ليكون نظيرا لما بعده وسبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فنزلت وهذا حجة لعاصم وحمزة ومن قرأ قال حمل ذلك على أن القوم لما قالوا ذلك أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انما أدعو ربي فحكى الله ذلك عنه بقوله قال أو يكون ذلك من بقية حكاية الجن أحوال الرسول لقومهم (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الذين خالفوك (اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أي اني لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا وكفرا ولا أسوق اليكم نفعا ولا هدى وقيل الضر الموت والرشد الحياة ومعنى الكلام أن النافع والضار والمرشد والمغوى هو الله وان أحدا من الخلق لا قدرة له عليه وقرأ أبي غيا ولا رشدا (قل اني لن يجيرني من الله أحد) ان عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ وموضع الاختفاء ان أرادني بضر (الا بلاغا من الله ورسالاته) وهذا استثناء من قوله لا أملك وقوله ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته أي لا أملك لكم الا التبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي أرسلني بها (ومن يعص الله ورسوله) في الأمر بالتوحيد (فان له نار جهنم) العامة على كسر همزة ان لان ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فأمتعه ومن يؤمن بربه فلا يخاف على ان المبتدأ فيها مضمر وقرأ طلحة بفتحها على أنها مع ما في حيزها في تأويل مصدر واقع خبرا لمبتدأ مضمر تقديره فجزاؤه أن له نار جهنم أو فحكمه أن له نار جهنم كقوله تعالى فأن لله خمسه أي فحكمه أن لله خمسه (خالدين فيها أبدا) بلا نهاية (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من فنون العذاب في الآخرة (فسيعلمون حينئذ (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أي أعوانا فهناك يظهر أن القوة والعدد في جانب المؤمنين أو في جانب الكفار (قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا) أي أجلا بعيدا لما سمع المشركون ذلك قال النضر بن الحرث انكارا له واستهزاء به متى يكون ذلك الموعود فأنزل الله تعالى هذه الآية قل لمن تعجلوا بالعذاب ما أدرى فان وقوعه متيقن أما وقت وقوعه فغير معلوم (عالم الغيب) خبر مبتدأ محذوف أي هو عالم بنزول العذاب وقرئ بالنصب على المدح وقرأ السدى علم الغيب بصيغة الماضي ونصب الغيب (فلا يظهر على غيبه أحدا) أي فلا يطلع الله على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه (الا من ارتضى من رسول) أي الا رسولا ارتضاه لاطلاعه على بعض غيوبه المتعلقة برسالته وقرأ الحسن يظهر بفتح الياء والهاء وأحد فاعل به (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أي فان الله تعالى يجعل من جميع جوانب ذلك الرسول عند اطلاعه على غيبه حرسا من الملائكة يحفظونه من الجن لئلا يستمعوا قراءة جبريل فيلقوها الى الكهنة قبل الرسول حتى يبلغ جبريل ما أطلعه الله عليه من بعض الغيوب

(ولن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ (الا بلاغا من الله ورسالاته) لكن أبلغ عن الله ما أرسلت به ولا أملك الكفر والايمان وهو قوله (لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) وقوله (حتى اذا رأوا) يعني الكفار (ما يوعدون) من العذاب والنار (فسيعلمون) حينئذ (من أضعف ناصرا) أنا أو هم (وأقل عددا قل ان أدرى) أي ما أدرى (أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربي أمدا) أي أجلا وغاية (عالم الغيب) أي هو عالم الغيب (فلا يظهر) أي فلا يطلع (على غيبه) أي ما غيبه عن العباد (أحدا الا من ارتضى) أي اصطفى (من رسول) فانه يطلعه على ما يشاء من الغيب معجزة له (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أي يجعل من جميع جوانبه رصدا من الملائكة يحفظون الوحي من أن يسترقه الشياطين فتلقيه الى الكهنة فيساوون الأنبياء

(ليعلم) الله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم واذا بلغوا علم الله ذلك فصار كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم أى ولما يجاهدوا (وأحاط بما لديهم) أى علم الله ما عندهم (وأحصى كل شىء عددا) أى علم عدد كل شىء لم يخف عليه شىء

﴿ تفسير سورة المزمل صلى الله (٤٠٨) عليه وسلم ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (يا أيها المزمل) أى المتلفف بثيابه نزل هذا على النبى صلى الله عليه وسلم وهو متلفف بقطيفة (قم الليل الا قليلا) أى صل كل الليل الا شيئا يسيرا تنام فيه وهو الثلث ثم قال (نصفه) أى قم نصفه (أو انقص منه) أى من النصف (قليلا) الى الثلث (أو زد عليه) أى على النصف الى الثلثين جعل له سعة فى مدة قيامه فى الليل فكأنه قال قم ثلثى الليل أو نصفه أو ثلثه فلما نزلت هذه الآية أخذ المسلمون أنفسهم بالقيام على هذه المقادير وشق ذلك عليهم لانهم لم يمكنهم أن يحفظوا هذه المقادير فكانوا يقومون الليل كله حتى انتفخت أقدامهم ثم خفف الله عنهم بآخر هذه السورة وهو قوله ان ربك يعلم الآية ثم نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس وكان هذا فى صدر الاسلام وقوله (ورتل القرآن ترتيلا) أى بينه تبيينا بعضه على اثر بعض فى تؤدة (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) أى رصينا رزينا ليس بالسفساف الخفيف لأنه كلام الله تعالى (ان ناشئة الليل) أى ساعاته (هى أشد وطأ) أثقل على المصلى من ساعات النهار ومن قرأ وطاء فمعناه أشد موافقة بين القلب والسمع والبصر واللسان لان الليل تهدأ فيه الأصوات وتنقطع الحركات فلا يحول بين سمعه وفهمه شىء (وأقوم قيلا) أى وأصوب قراءة (ان لك فى النهار سبحا طويلا) أى تصرفا فى حوائجك واقبالا وادبارا وهذا حث على القيام بالليل لقراءة القرآن (واذكر اسم ربك) أى بالتعظيم والتنزيه

وقال مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولا أتاه ابليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك اخبروه بأنه شيطان فيحذره فاذا جاءه ملك قالوا هذا رسول ربك (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) واللام متعلق بيسلك وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم الله أن الشأن قد بلغ الرصد رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما حاصلا بالفعل واما لمن ارتضى فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل للوحى اليهم رسالات ربهم الى أممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعدما أبلغها الرصد اليهم كذلك (وأحاط بما لديهم) حال من فاعل يسلك أى يسلكهم ليترتب على السلك علمه تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما عند الرصد أو عند الرسل من الأحوال جميعا (وأحصى كل شىء) مما كان وما سيكون (عددا) أى فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به وقرئ ليعلم بالبناء للمفعول

﴿ سورة المزمل مكية وهى عشرون آية . ومائتان وخمس وثمانون كلمة . وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها المزمل) خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان صلى الله عليه وسلم متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر فأمر بأن يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقرئ يا أيها المتزمل (قم الليل) أى قم الى صلاة الليل (الا قليلا نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلا) أى أو انقص القيام من النصف نقصا قليلا الى نصف النصف (أو زد عليه) أى أو زد القيام على النصف الى الثلثين (ورتل القرآن ترتيلا) أى بين القرآن فى اثناء القيام تبيينا بأن يبين جميع الحروف ويوفى حقها (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) أى سنوحى قرآنا منطويا على تكاليف شاقة على المكلفين (ان ناشئة الليل هى أشد وطأ) بفتح الواو وسكون الطاء عند الجمهور وقرأ قتادة وشبل بكسر الواو وسكون الطاء والمعنى ان قيام الليل بالصلاة هى أشد نشاطا وثباتا قدم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح الطاء أى موافقة للخشوع والاخلاص (وأقوم قيلا) أى أصوب قراءة وأحسن لفظا من النهار لسكون الاصوات (ان لك) يا سيد الرسل (فى النهار سبحا طويلا) أى تقلبا طويلا فى مهماتك فلا تتفرغ لخدمة الله الا بالليل وقرئ سبخا بالخاء النقطة من فوق أى تفرق قلب بالشواغل ويقال المعنى ان فاتك من الليل شىء فلك فى النهار فراغ فاصرفه اليه (واذكر اسم ربك) أى دم على ذكر اسم ربك ليلا ونهارا على أى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد ودعاء وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وقال سهل أى قل بسم الله الرحمن الرحيم فى ابتداء قراءتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك عما سواه اه أى سواء قرأت فى الصلاة أو فى خارجها وهذا اذا قرأ من أول سورة وأما اذا قرأ من أثناء سورة فانه ان كان فى غير الصلاة سن له أن

يبسمل

يبسمل وان كان فيها لم تسن له البسملة لان قراءة السورة بعد الفاتحة تعد قراءة واحدة (وتبتل اليه تبتيلا) أى انقطع الى الله تعالى عن الدنيا باخلاص العبادة (رب المشرق والمغرب) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالجر على البدل من ربك أو على القسم باضمار حرف القسم وعند ابن عباس لكن قراءته رب المشارق والمغارب والباقون بالرفع على المدح وهو خبر مبتدا محذوف والتقدير هو أو على الابتداء وخبره جملة (لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) فالانسان فى مبدأ السير يكون طالبا للحصة فيكون تبتله الى الله تعالى بسبب كونه مبدأ التكميل ثم فى آخر السير يترقى عن طلب الحصة فيكون تبتله فى هذه الحالة بسبب كونه كاملا فقوله رب المشرق والمغرب اشارة الى الحالة الأولى التى هى أول درجات المتبتلين وقوله لا إله إلا هو اشارة الى الحالة الثانية التى هى منتهى درجات المتبتلين وقوله فاتخذه وكيلا اشارة الى مقام التفويض وهو أن يرفع الاختيار ويفوض الأمر بالكلية اليه تعالى فان أراد الله أن يجعله متبتلا رضى بالتبتل وان أراد له عدم التبتل رضى به لا من حيث ذلك بل من حيث ذلك مراد الله تعالى وههنا آخر الدرجات (واصبر على مايقولون) مما لاخير فيه فمن أراد المخالطة مع الخلق فلا بد له من الصبر الكثير (واهجرهم هجرا جميلا) بأن يجانبهم بقلبه و يخالفهم فى الأفعال مع المداراة وترك المكافأة وهذا هو الاخذ باذن الله فيما يكون أدعى الى القبول فلا يأتى النسخ بمثله (وذرنى والمكذبين أولى النعمة) أى اتركنى وأرباب التنعم وكل أمرهم الى وهم صناديد قريش وهذا بفتح النون فهو بمعنى الترفه أما بكسرها فهى بمعنى الانعام وأما بضمها فهى بمعنى المسرة (ومهلهم قليلا) أى زمانا قليلا أيام الحياة الدنيا فقتلوا ببدر (ان لدينا أنكالا) أى ان لهم عندنا فى الآخرة أمورا مضادة لتنعمهم قيودا تقيد بها أرجلهم وأغلالا تغل بها ايمانهم الى أعناقهم وسلاسل توضع فى أعناقهم (وجحيما) أى نارا عظيمة يدخلونها (وطعاما ذا غصة) أى تمسك فى الحلوق وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) وهو أنواع العذاب (يوم ترجف الارض والجبال) متعلق بالاستقرار الذى تعلق بلدينا أى استقر لهم عندنا ماذكر يوم تتزلزل الارض وأوتادها وقرأ زيد بن على ترجف مبنيا للمفعول (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أى وصارت الجبال ترابا متناثرا بعضه على بعض لرخاوته وسمى الكثيب كثيبا لان ترابه دقاق (انا أرسلنا اليكم) يا أهل مكة (رسولا) محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أى يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والتكذيب (كما أرسلنا الى فرعون) ملك مصر (رسولا) وهو موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) الذى أرسلناه اليه (فأخذناه أخذا وبيلا) أى فعاقبناه عقوبة شديدة وهى الغرق (فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) أى فكيف تقون أنفسكم ان بقيتم على الكفر فى الدنيا عذاب يوم يصير ذلك اليوم الولدان شمطا اذا سمعوا حيث يقول الله لآدم يا آدم ابعث بعثا من ذريتك الى النار قال آدم يارب من كم قال الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة وقرأ زيد بن على يوم يجعل باضافة الظرف الجملة والفاعل ضمير راجع الى الله تعالى أى فكيف لكم يا أهل مكة بالتقوى فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا (السماء منفطر به) أى منشق بذلك اليوم لشدة هوله وهذه الجملة صفة ثانية ليوما وقرئ متفطر أى متشقق (كان وعده مفعولا) والمصدر اما مضاف للمفعول أى كان وعد ذلك اليوم مفعولا أى كان الوعد المسند الى ذلك اليوم واجب الوقوع لان حكمة الله تعالى وعلمه يقتضيان ايقاعه واما مضاف الى الفاعل أى كان وعد الله لمجىء ذلك اليوم واقعا لامحالة لانه تعالى منزه عن الكذب (ان هذه) أى الآيات (تذكرة) أى موعظة مشتملة على أنواع الارشاد (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا) وهو أن لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم وهذه الآية مما نسخته آية السيف (وذرنى والمكذبين) أى لاتهتم لشأنهم فانى أكفيكهم يعنى رؤساء المشركين كقوله فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث وقد مر (أولى النعمة) أى ذوى التنعم والترفه (ومهلهم قليلا) يعنى الى مدة آجالهم (ان لدينا) يعنى فى الآخرة (أنكالا) أى قيودا (وجحيما) أى نارا عظيمة (وطعاما ذا غصة) أى يغص فى الحلق ولا يسوغ وهو الغسلين والضريع والزقوم (يوم ترجف الارض والجبال) أى تضطرب وتتحرك (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أى رملا سائلا (انا أرسلنا اليكم رسولا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا) يشهد (عليكم) يوم القيامة بما فعلتم وقوله (فأخذناه أخذا وبيلا) أى ثقيلا غليظا (فكيف تتقون) الآية أى فكيف تتحصنون من عذاب يوم يشيب الطفل لهوله وشدته ان كفرتم اليوم فى الدنيا (السماء منفطر به) أى متشقق فى ذلك اليوم (ان هذه) الآيات (تذكرة) أى تذكير للخلق (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

أى فمن شاء النجاة اشتغل بالطاعة واحترز عن المعصية فان ذلك هو المنهاج الموصل الى مرضاته تعالى (ان ربك) يا أشرف الخلق (يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) قرأهما ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائى بنصبهما معطوفين على أدنى أى انك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث والباقون بجرهما معطوفين على ثلثى الليل أى تقوم أقل من ثلثى الليل وأقل من النصف والثلث (وطائفة من الذين معك) معطوف على ضمير تقوم أى و يقوم معك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) فلا يعلم مقادير أجزاء الليل والنهار الا الله تعالى (علم أن لن تحصوه) أى علم الله ان الحديث لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبدا فالضمير عائد الى مصدر الفعل أى علم انه لا يمكنكم احصاء مقدار كل واحد من أجزاء الليل والنهار على الحقيقة ولا يمكنكم تحصيل تلك المقادير على سبيل الظن الا مع المشقة التامة (فتاب عليكم) أى فرجع الله بكم الى ترخيص ترك القيام المقدر (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) أى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل ولو ركعتين والصحيح ان أول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الدعاء الى التوحيد التهجد على التخيير المذكور أول السورة فعسر عليهم القيام به فنسخ بما تيسر من التهجد ثم نسخ بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء الى بيت المقدس (علم أن سيكون منكم مرضى) أى علم الله انه سيوجد منكم مرضى لا يستطيعون الصلاة بالليل (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) أى وسيوجد آخرون يسافرون فى الارض يطلبون رزق الله يشق عليهم صلاة الليل (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى وسيوجد آخرون يجاهدون فى طاعة الله فلو لم يناموا فى الليل لتوالت أسباب المشقة عليهم لانهم مشتغلون فى النهار بالأعمال الشاقة (فاقرأوا ما تيسر منه) أى فصلوا ما تيسر لكم من التهجد وهذا تأكيد للاول فالأول مفرع على قوله تعالى علم أن لن تحصوه الخ وهذا مفرع على قوله علم أن سيكون الخ فكل واحد من المؤكد والمؤكد مفرع على حكمة (وأقيموا الصلاة) أى المفروضة (وآتوا الزكاة) أى اعطوا زكاة أموالكم (وأقرضوا الله قرضا حسنا) بأن تنفقوا سائر الانفاقات فى سبيل الخيرات عن طيب قلب (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أى خير كان من عبادات البدن والمال (تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت كما قاله ابن عباس وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجر بالرفع على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى كافة أحوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط (ان الله غفور) لجميع الذنوب (رحيم) للمؤمنين

﴿ سورة المدثر مكية ست وخمسون آية. ومائتان وخمس وخمسون كلمة. وألف وعشرة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يأيها المدثر) أى يا من لبس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد. روى جابر بن عبد الله انه صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى و يسارى فلم أر شيئا فنظرت فوقى فرأيت الملك قاعدا على عرش بين السماء والارض فخفت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل عليه السلام فقال يأيها المدثر. وعن الزهرى ان أول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم ثم انقطع الوحى فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبى الله فرجع الى خديجة فقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل فقال يأيها المدثر (قم فأنذر) أى قم من مضجعك فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا (وربك فكبر) أى عظم ربك بما يقوله عبدة الأوثان (وثيابك فطهر)

أى بالطاعة والايمان (ان ربك يعلم أنك تقوم) الصلاة والقراءة (أدنى) أى أقل (من ثلثى الليل ونصفه) أى وتقوم نصفه (وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار) فيعلم مقادير أوقاتهما (علم أن لن تحصوه) تطيقوا قيام الليل (فتاب عليكم) أى رجع بكم الى التخفيف (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) رخص لهم أن يقوموا بيقرأوا ما أمكن وخف بغير مقدار معلوم من القراءة والمدة (علم أن سيكون منكم مرضى) فيثقل عليهم قيام الليل وكذلك المسافرون للتجارة والجهاد وهو قوله (وآخرون يضربون فى الارض) الى قوله (فى سبيل الله) يريد أنه خفف قيام الليل لما علم من ثقله على هؤلاء (فاقرأوا ما تيسر منه) قال المفسرون كان هذا فى صدر الاسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس وقوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم (وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)

﴿ تفسير سورة المدثر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يأيها المدثر) أى المتدثر فى ثوبه (قم فأنذر) الناس (وربك فكبر) أى صفه بالتعظيم (وثيابك فطهر) أى لا تلبسها على معصية ولا على غدر فان الغادر والفاجر يسمى دنس الثياب

عن النجاسات و يقال وثيابك فقصر لأن العرب كانوا يطولون ثيابهم و يجرون أذيالهم فكانت ثيابهم تتنجس ولأن تطويل الذيل انما يفعل للخيلاء والتكبر فنهى الرسول عن ذلك. وقال أكثر المفسرين أى وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقال الحسن وخلقك فحسن (والرجز فاهجر) قرأ عاصم فى رواية حفص بضم الراء فى هذه السورة وقرأ الباقون وعاصم فى رواية أبى بكر بالكسر قال أبو العالية الرجز بضم الراء الصنم و بالكسر النجاسة والمعصية وقال ابن عباس أى المأثم فاترك ولا تقربنه أى دم على تركه (ولا تمنن تستكثر) مرفوع منصوب المحل على الحال أى ولا تعط طالبا للكثير (ولربك فاصبر) روى أن الكفار لما اجتمعوا و بحثوا عن حال محمد صلى الله عليه وسلم قام الوليد ودخل داره فقال القوم ان الوليد قد صبا فدخل عليه أبو جهل وقال ان قريشا جمعوا لك مالا حتى لا تترك دين آبائك فهو لأجل ذلك المال بقى على كفره فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الوليد بقى على دينه الباطل لأجل المال وأما أنت فاصبر على دينك الحق لأجل رضا الحق لا لشىء غيره وهذا الأمر كله تعريض بالمشركين كأنه قيل لرسول الله ور بك فكبر لا الاوثان وثيابك فطهر ولا تكن كالمشركين فهم نجس البدن والثياب والرجز فاهجر ولا تقربه كما تقربه الكفار ولا تمنن تستكثر كما أراد الكفار أن يعطوا الوليد قدرا من المال وكانوا يستكثرون ذلك القليل أى كانوا رائين لما يعطونه كثيرا ولربك فاصبر على هذه الطاعات لا للأغراض العاجلة من المال والجاه (فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير) أى فاذا نفخ فى الصور نفخة البعث فوقت النقر يوم اذ نقر يوم عسير على الكل من المؤمنين والكافرين كما روى أن الأنبياء يومئذ يفزعون وأن الولدان يشيبون الا أنه يكون هول الكفار فيه أشد وذلك قوله تعالى (على الكافرين غير يسير) وعلى المؤمنين يسير (ذرنى ومن خلقت وحيدا) منصوب على الذم والتقدير أعنى وحيدا أو حال من العائد المحذوف أى اتركنى ومن خلقته منفردا أى بلا أب فهو زنيم أو منفردا فى الشرارة وهو الوليد بن المغيرة المخزومى لأنه كان يزعم انه وحيد قومه لرياسته و يساره وتقدمه فى الدنيا وكان يلقب بالوحيد وكان يقول أنا الوحيد ابن الوحيد ليس لى فى العرب نظير ولا لأبى نظير (وجعلت له مالا ممدودا) أى مبسوطا قال ابن عباس هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل والبقر والغنم والجنان والحجور والعبيد والجوارى وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (و بنين) ثلاثة عشر كما قاله أبو مالك وسعيد بن جبير أسلم منهم ثلاثة خالد وهو سيف الله وسيف رسوله وهشام وعمارة (شهودا) أى حضورا معه بمكة لا يفارقونه البتة لأنهم كانوا أغنياء (ومهدت له تمهيدا) أى و بسطت له الجاه والرياسة فى قومه حتى لقب بريحانة قريش ووحيدا (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيه قيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى (كلا) أى لا تكون له زيادة على ذلك أصلا فليرتدع من هذا الطمع فلم يزل الوليد بعد قوله تعالى كلا فى نقصان ماله حتى افتقر ومات فقيرا (انه) أى الوليد بن المغيرة (كان لآياتنا) الدالة على التوحيد والقدرة والعدل وصحة النبوة وصحة البعث (عنيدا) أى راداوهو يعرفها بقلبه و ينكرها بلسانه وكفر المعاند أفحش أنواع الكفر (سأرهقه صعودا) أى سأكلفه مشقة من العذاب وعن النبى صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر وقدر) أى ان العنيد فكر ماذا يقول فى شأن القرآن وقدر فى نفسه ما يقوله (فقتل كيف قدر) أى فلعن فى دنياه على أى كيفية أوقع تقديره (ثم قتل كيف قدر) أى ثم لعن فيما بعد الموت فى

أى لا تعط شيئا لتأخذ أكثر منه وهذا خاصة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه جاء من ربه بأجل الاخلاق وأشرف الآداب (ولربك فاصبر) أى اصبر لله على أوامره ونواهيه وما يمتحنك به حتى يكون هو الذى يثيبك عليها (فاذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور الآية وقوله (ذرنى ومن خلقت وحيدا) الآية أى لاتهتم لشأنه فانى أكفيك أمره يعنى الوليد ابن المغيرة يقول خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد (وجعلت له مالا ممدودا) أى دائما لا ينقطع عنه من الزرع والضرع والتجارة (و بنين شهودا) اى حضورا معه بمكة وكانوا عشرة (ومهدت له تمهيدا) اى بسطت له فى العيش والمال بسطا (ثم يطمع أن أزيد) اى يرجو أن ازيده مالا وولدا (كلا) قطع لرجائه (انه كان لآياتنا عنيدا) اى للقرآن معاندا غير مطيع (سأرهقه صعودا) اى سأغشيه مشقة العذاب (انه فكر وقدر) وذلك ان قريشا سألته ما تقول فى محمد صلى الله عليه وسلم فتفكر فى نفسه فقدر القول فى محمد والقرآن ماذا يمكنه أن يقول فيهما (فقتل) اى لعن وعذب (كيف قدر) استفهام على طريق التعجب

البرزخ والقيامة على أي حال كان تقديره وهذا تعجيب من قوة خاطره (ثم نظر) في ذلك القدر في القرآن مرة بعد مرة (ثم عبس) أي قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول (و بسر) أي قبض جبينه (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) أي تعظم عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) أي ما هذا الذي يقوله محمد الا سحر ينقل عن أهل بابل (ان هذا الا قول البشر) أي ما هذا الذي أتى به محمد الا قول البشر جبر و يسار روى أن الوليد مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فلما وصل الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أنشده الوليد بالله و بالرحم ان يسكت فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال لهم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا الوليد ولو صبا لصبأت قريش كلها فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه ثم دخل عليه محزونا فقال مالك يا ابن أخي فقال انك قد صبوت لتصيب من طعام محمد وأصحابه وهذه قريش تجمع لك مالا ليكون ذلك عوضا عما تقدر أن تأخذ من أصحاب محمد فقال والله ما يشبعون فكيف أقدر أن آخذ منهم مالا ولكني تفكرت في أمره كثيرا فلا أجد شيئا يليق به الا أنه ساحر ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه فلما أقر الوليد بذلك في أول الأمر علمنا أن الذي قاله في الآخر من أن القرآن سحر وقول البشر انما ذكره على سبيل العناد لا على سبيل الاعتقاد فان السحر يتعلق بالجن (سأصليه سقر) أي سأدخله في الطبقة السادسة من جهنم المسماة بسقر (وما أدراك ما سقر) أي أي شيء أعلمك ماهي في وصفها (لا تبقي ولا تذر) أي لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيئا الا أكلته فاذا أعيدوا خلقا جديدا فلا تذر أن تعاود احراقهم بأشد مما كانت وهكذا أبدا وهذه رواية عطاء عن ابن عباس (لواحة للبشر) أي ظاهرة للبشر من مسيرة خمسمائة عام وقرأ الحسن وابن أبي عبلة وزيد بن علي وعطية لواحة بالنصب على الاختصاص أو على الحال المؤكدة أي مغيرة للابشار (عليها) أي النار (تسعة عشر) ملكا وحكى الواحدي عن المفسرين أن خزنة النار تسعة عشر مالك ومعه ثمانية عشر أعينهم كالبرق وأنيابهم كالصياصي وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منه الرحمة والرأفة يأخذ أحدهم سبعين ألفا في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم وحكمة هذا العدد أن أبواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الأبواب الستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر وأما باب الفساق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد ولا بسبب ترك القول بل بسبب ترك العمل فقط فلا يكون على بابهم الا زبانية واحدة فالمجموع تسعة عشر و يقال ان الساعات أربعة وعشرون خمسة منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فحقا صار عدد الزبانية تسعة عشر (وما جعلنا أصحاب النار) أي القائمين بتعذيب أهل النار (الا ملائكة) فلا تقاس الملائكة بالسجانين روى أنه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم قال ابن أبي كبشة ان

(ثم نظر ثم عبس و بسر) أي كلح وجهه (ثم أدبر واستكبر) عن الايمان (فقال ان هذا) أي ما هذا الذي يقرؤه محمد (الا سحر يؤثر) أي يروى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) كما قال انما يعلمه بشر قال الله تعالى (سأصليه سقر) أي سأدخله جهنم ثم أعلم عظيم شأن سقر في العذاب فقال (وما أدراك ما سقر) أي ما أعلمك أي شيء سقر (لواحة للبشر) أي محرقة للجلد حتى تسود (عليها تسعة عشر) من الخزنة الواحد منهم يدفع الدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر فلما نزلت هذه الآية قال بعض المشركين أنا أكفيكم منهم سبعة عشر فاكفوني اثنين فأنزل الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) فمن ذا الذي يغلب الملائكة

(وماجعلناعدتهم) أى عددهم فى القلة (الافتنة للذين كفروا) لأنهم قالواماأعوان محمدالاتسعةعشر (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليعلموا أن ماأتى به النبي صلى الله عليه وسلم موافق لمافى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) لأنهم يصدقون ماأتى به الرسول وبعدد خزنة النار (ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أى لايشكون فى أن عددهم على ماأخبر به محمد صلى الله عليه وسلم (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى شك (والكافرون ماذا أراد الله بهذامثلا) أى أى شئ أراد الله بهذا العدد وتخصيصه (كذلك) أى كما أضلهم بتكذيبهم (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ومايعلم جنود ربك الاهو) هذاجواب لقولهم ماأعوانه الاتسعة عشر (وماهى) يعنى النار (الا ذكرى للبشر) أى انهافى الدنيا تذكرهم النار فى الآخرة (كلا) ليس الأمر على ماذكروا من التكذيب به (والقمر) قسم (والليل اذا دبر) أى جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) أى أضاء (انها لاحدى الكبر) أى سقر لاحدى الأمور العظام (نذيرا) أى انذارا (للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم) فيما أمر به (أو يتأخر) عنه أى فقد أنذرتم (كل نفس بما كسبت رهينة) أى مأخوذة بعملها (الا أصحاب اليمين) يعنى أهل الجنة وهم لا يرتهنون بذنوبهم ولكن الله يغفرها لهم وقيل أصحاب اليمين هاهنا أطفال المؤمنين وقوله (ما سلككم فى سقر) أى ما أدخلكم جهنم (وكنا نخوض مع الخائضين) أى ندخل الباطل مع من دخله (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء (حتى أتانا اليقين) أى الموت (فما لهم

ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحدمنهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي أناأكفيكم سبعة عشر واكفونى أنتم اثنين فنزلت وماجعلنا أصحاب النار الاملائكة أى ماجعلناهم رجالا من جنسكم فتغالبونهم (وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا) فانهم يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ماخلق الله تعالى الى قيام القيامة (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لأن هذا العدد موجود فى التوراة والانجيل فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ذلك من غير سابقة تعلم علموا أن ذلك حصل بسبب الوحي من السماء فالذين آمنوا بمحمد استيقنوا أن ذلك العدد هو الصدق (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بما رأوا من تصديق أهل الكتاب ذلك وعلموا أن فى كتابنا مثل مافى التوراة (ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب) مثل عبدالله بن سلام وأصحابه اذ لم يكن العدد خلاف مافى كتابهم (والمؤمنون) لانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ماأنزل (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى شك فى صدق القرآن (والكافرون) القاطعون بكذبه (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شئ أراد الله بهذا العدد القليل حال كونه عددا عجيبا (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) أى يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء بهذا المثل اضلالا وهداية كائنتين مثل ماذكر من الاضلال والهداية (ومايعلم جنود ربك الاهو) أى ان الخزنة تسعة عشر ولهم جنود من الملائكة لايعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار (وماهى) أى سقر (الا ذكرى للبشر) أى الاعظة للخلق ليتذكروا كمال قدرة الله تعالى وأنه لايحتاج الى أعوان (كلا) أى حقا أو تنبهوا الى ماسيلقى اليكم (والقمر والليل اذ أدبر) قرأ نافع وحفص وحمزة بسكون الذال المعجمة والدال المهملة وبينهما همزة مفتوحة أى وقت ذهب والباقون بفتح الذال المعجمة والدال بينهما ألف أى اذا جاء (والصبح اذا أسفر) أى أضاء وقرأ عيسى بن الفضل وابن السميقع سفر ثلاثيا أى طرح الظلمة (انها لاحدى الكبر) أى ان سقر لاحدى دركات جهنم (نذيرا للبشر) تمييز من احدى أى انها لاحدى الدواهي انذار البشر وفى قراءة أبى نذير بالرفع (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) وقوله تعالى لمن شاء بدل من قوله تعالى للبشر أى نذيرا لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى أو يتأخر عن خير فيضله الله (كل نفس بما كسبت رهينة) أى كل نفس مرهونة عندالله بكسبها غير مفكوكة (الاأصحاب اليمين) فانهم فاكون رقابهم بأعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل أصحاب اليمين حال كونهم فى جنات الكافرين عن أحوالهم حال كونهم فى النار قائلين (ماسلككم فى سقر) أى أى شئ أدخلكم فى هذه الدركة من النار (قالوا) مجيبين السائلين (لم نك من المصلين) الصلوات الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) أى لم نك نعطى المسكين مايجب علينا اعطاؤه له كنذر وكفارة وزكاة (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء (حتى أتانا اليقين) أى الموت اى انابقينا على انكار القيامة الى وقت الموت قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) اى لاتنالهم شفاعة الملائكة والأنبياء والصالحين (فمالهم

عن التذكرة معرضين) اى مالهم يعرضون عن تذكيرك اياهم (كأنهم حمر مستنفرة) أى نافرة مذعورة (فرت من قسورة) يعنى الأسد وقيل الرماة الصيادون (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) وذلك أنهم قالوا ان سرك أن نتبعك فأت لكل واحد منا بكتاب من رب العالمين نؤمر فيه باتباعك كما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا الآية (كلا) رد لما قالوا (بل لا يخافون الآخرة) أى حيث يقترحون أن يؤتوا صحفا من السماء (كلا انه تذكرة) أى القرآن تذكير للخلق وليس بسحر (فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى) أى هو أهل أن يتقى عقابه (وأهل المغفرة) أى أهل أن يعمل بما يؤدى الى غفرانه

﴿تفسير سورة القيامة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بيوم القيامة) لا صلة معناه أقسم وقيل لا رد لانكار المشركين البعث ثم قال أقسم بيوم القيامة (ولا أقسم بالنفس اللوامة) وهى نفس ابن آدم تلومه يوم القيامة ان كان عمل شرا لم عملته وان كان عمل خيرا لامته على ترك الاستكثار منه وجواب هذا القسم مضمر على تقدير انكم مبعوثون يدل عليه ما بعده من الكلام وهو قوله (أيحسب الانسان) يعنى الكافر (أن لن نجمع عظامه) للبعث والاحياء بعد التفرقة والبلى (بلى قادرين) أى نقدر على جمعها و(على أن نسوى بنانه) أى نجعلها كخف البعير فلا يمكنه أن يعمل بها شيئا وقيل نسوى بنانه على ما كانت وان دقت عظامها وصغرت (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) أى يؤخر التوبة و يمضى فى معاصى الله قدما قدما فيقدم الأعمال السيئة وقيل معناه ليكفر بما قدامه يدل على هذا قوله

عن التذكرة معرضين) أى فأى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن (كأنهم حمر مستنفرة) قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء أى مذعورة ذعرها القناص والباقون بكسرها أى نافرة من صوت الناس أو من ظلمة الليل (فرت) أى الحمر (من قسورة) أى أسد سمى بذلك لأنه يقهر السباع (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أى طرية لم تطو بأن تأتيهم وقت كتابتها فان أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك وعن ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته من النار (كلا) أى لا يؤتون الصحف فلا تقترحوا ذلك (بل لا يخافون الآخرة) فى زمن من الأزمان فلذلك يعرضون عن التذكرة (كلا) أى حقا (انه) أى القرآن (تذكرة) أى عظة عظيمة من الله توجب اتباعه (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء أن يتعظ بالقرآن اتعظ به وجعله نصب عينيه (وما يذكرون الا أن يشاء الله) أى ولا يذكرون فى حال من الأحوال الا حال أن يشاء الله ذلك وقرأ نافع بتاء الخطاب وقرئ بالياء والتاء مشددا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو حقيق بأن يتقيه عباده و يطيعوه وحقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا آمنوا وأطاعوا

﴿سورة القيامة مكية تسع وثلاثون آية . ومائة وسبع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى النفوس الشريفة التى لا تزال تلوم نفسها فى الدنيا والآخرة فاذا اجتهدت فى الطاعة تلوم نفسها على عدم الزيادة واذا قصرت تلوم نفسها على التقصير والمعنى لا أقسم عليك بذلك اليوم ولا بتلك النفس ولكنى أسألك غير مقسم أتحسب انا لا نجمع عظامك اذا تفرقت بالموت فان كنت تحسب ذلك فاعلم أنا قادرون على أن نفعل ذلك وذلك قوله تعالى (أيحسب الانسان) اى المكذب بالبعث (أن لن نجمع عظامه) أى أن الحديث لن نقدر على ان نجمع عظامه بعد تفريقها وقرأ قتادة أن لن تجمع عظامه على البناء للمفعول روى ان عدى بن أبى ربيعة ختن الأخنس بن شريق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله ﷺ فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن بك أو يجمع الله العظام بعد مصير ورتها ترابا فنزلت هذه الآية . وقال ابن عباس المراد بالانسان ههنا أبو جهل فانه أنكر البعث بعد الموت قال تعالى فى جوابه (بلى) فهذه الكلمة أثبتت ما بعد النفى وهو الجمع أى بلى نجمعها والوقف هنا تام وقال أبو عمرو كاف (قادرين على أن نسوى بنانه) أى كنا قادرين على أن نخلق أطراف أصابعه فى الابتداء فوجب ان نبقى قادرين على الاعادة فى الانتهاء وقرأ ابن أبى عبلة قادرون بالرفع أى ونحن قادرون (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) أى بل يريد الانسان أن يكذب بيوم القيامة وهو أمامه

(يسأل أيان) أي متى (يوم القيامة) تكذيبا به واستبعادا لوقوعه (فاذا برق البصر) أي فزع وتحير (وخسف القمر) أي أظلم وذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) أي جمعا في ذهاب نورهما (يقول الانسان يومئذ أين المفر) أي الفرار (كلا) أي لا مفر لك اليوم (لا وزر) لا ملجأ ولا حرز (الى ربك يومئذ المستقر) أي المنتهى والمصير (ينبأ الانسان) أي يخبر (بما قدم وأخر) أي بأول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) أي شاهد عليها بعملها تشهد عليه جوارحه وأدخلت الهاء في البصيرة للمبالغة وقيل لانه أراد بالانسان الجوارح (ولو ألقى معاذيره) أي ولو اعتذر وجادل فعليه من نفسه من يكذب عذره وقيل معناه ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب والمعذار الستر بلغة اليمن (لا تحرك به) أي بالوحي (لسانك لتعجل به) كان جبريل اذا نزل بالقرآن تلاه النبي صلى الله عليه وسلم قبل فراغ جبريل كراهة أن ينفلت منه فأعلم الله أنه لا ينسيه اياه وأنه يجمعه في قلبه فقال (ان علينا جمعه وقرآنه) أي قراءته عليك حتى تعيه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي لا تعجل بالتلاوة الى أن يقرأ عليك (ثم ان علينا بيانه) أي علينا أن ننزله قرآنا فيه بيان للناس (كلا) زجر وتنبيه (بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة) أي يختارون الدنيا على العقبى (وجوه يومئذ) يوم القيامة (ناضرة) أي مضيئة حسنة (الى ربها ناظرة) أي تنظر الى خالقها عيانا (ووجوه يومئذ باسرة) أي كالحة (تظن) أي توقن (أن يفعل بها فاقرة) أي داهية عظيمة من العذاب (كلا اذا بلغت التراقي) يعني النفس بلغت عظام الحلق (وقيل من راق) قال من حضر ذلك الذي قارب الموت هل من طبيب يداويه وراق يرقيه فيشفى برقيته (وظن) أي أيقن الذي نزل به الموت (أنه الفراق) من الدنيا والأهل والمال (والتفت الساق بالساق) أي التفت ساقاه لشدة النزع وقيل تتابعت عليه الشدائد (الى ربك يومئذ المساق) أي المنتهى والمرجع يعني سوق الملائكة الى حيث أمر الله

امامه فمن كذب حقا كان فاجرا (يسأل أيان يوم القيامة) أي يسأل الانسان سؤال متعنت ومستبعد متى يوم القيامة (فاذا برق البصر) قرأ نافع بفتح الراء أي شخص البصر عند معاينة أسباب الموت والملائكة والباقون بالكسر أي تحير البصر فزعا فلم يطرف وقرأ أبو السمال بلق بمعنى انفتح (وخسف القمر) أي ذهب ضوءه وقرئ وخسف القمر على البناء للمفعول أي ذهب بنفسه (وجمع الشمس والقمر) بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب (يقول الانسان) المنكر للقيامة (يومئذ) أي اذا جاءت هذه الأحوال (أين المفر) أي أين الفرار من النار وقرئ بكسر الفاء أي أين موضع الفرار (كلا) أي حقا أو لا تتمن الفرار (لا وزر) أي لا ملجأ أي فلا جبل يواريه من النار (الى ربك يومئذ المستقر) أي موضع قرارهم يوم اذ كانت هذه الأمور مفوضة الى مشيئته تعالى فانه تعالى يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر كل امرئ عند وزن الاعمال بما عمل وبما ترك من عمل خيرا كان أو شرا (بل الانسان على نفسه بصيرة) أي بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك (ولو ألقى معاذيره) أي ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه فانه لا ينفعه ذلك لانه شاهد على نفسه (لا تحرك به) أي بالقرآن (لسانك) قبل فراغ جبريل من قراءته عليك (لتعجل به) أي لتأخذه على عجلة مخافة ان تنساه (ان علينا جمعه) في صدرك (وقرآنه) أي اثبات قراءته في لسانك (فاذا قرأناه) أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل (فاتبع قرآنه) أي فاقرأ أنت بعد فراغنا من قراءته أي لا ينبغي أن تكون قراءتك مقارنة لقراءة جبريل فاذا سكت جبريل فاشرع أنت في القراءة (ثم ان علينا بيانه) أي بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه على سبيل التفضل (كلا) أي لا تعجل يا أشرف الخلق وكن على أناة (بل) أنتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شئ ولذلك (تحبون العاجلة) أي الدنيا (وتذرون الآخرة) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بياء الغيبة أي انهم يحبون العمل للدنيا ويتركون العمل لثواب الآخرة (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فوجوه مبتدأ وناضرة نعته ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى أن الوجوه الحسنة يوم القيامة وهي وجوه المؤمنين ناظرة الى الله تعالى لا يحجبون عنه (ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) أي ووجوه شديدة العبوس يوم القيامة وهي وجوه الكفرة توقن أن يفعل بها أنواع العذاب في النار (كلا) أي تنبهوا لما أمامكم من الموت الذي ينقطع عنده المحبة بينكم وبين الدنيا (اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق) أي اذا بلغت الروح أعالي الصدر وهي العظام المكتنفة بثغرة النحر عن يمين وشمال وقال من

حول المشرف على الموت على سبيل الطلب أو على سبيل الانكار من ينجيه مما هو فيه وهل من طبيب فيداويه أو قال ملك الموت للملائكة أيكم يرقى بروحه الى السماء وأيقن ذلك المحتضر ان ما نزل به فراق الدنيا واتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة فقد انقطعت عنه أحكام الدنيا ويساق في ذلك اليوم الى حكم الله تعالى اذ اليه مرجع الخلائق (فلا صدق) وهو معطوف على قوله تعالى يسأل أيان يوم القيامة قال مجاهد وغيره نزلت هذه الآيات في أبي جهل أي فهو ما صدق بالدين (ولا صلى) أي ما صلى أبو جهل صلاة شرعية (ولكن كذب) ما يجب تصديقه من الرسول والقرآن (وتولى) أي أعرض عن الطاعة (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يتمدد ويختال في مشيته لان المتبختر يمد خطاه فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فهزه هزة أو هزتين وقال له (أولى لك فأولى) أي ويل لك يا أبا جهل وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه (ثم أولى لك فأولى) أي وعيد لك يا أبا جهل احذر يا أبا جهل فقد قرب منك ما لا قبل لك به من المكروه وقال القاضي المعنى بعدا لك بعدا لك أي بعدا في أمر دنياك وبعدا في أمر أخراك قال قتادة والكلبي ومقاتل أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أبي جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل بأي شيء تهددني يا محمد فوالله لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا واني والله لأعز أهل هذا الوادي وأعز من مشى بين جبليها ثم انسل ذاهبا فأنزل الله تعالى مثل ذلك (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أي مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب بعمله في الآخرة (ألم يك) أي الانسان (نطفة) أي ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المرأة (من مني يمنى) أي يصب في الرحم (ثم كان علقة) أي ثم صار المني دما عبيطا بقدرة الله تعالى (فخلق فسوى) أي فنفخ الله في ذلك الانسان الروح فكمل أعضاءه وهذا قول ابن عباس ومقاتل (فجعل منه الزوجين) أي فجعل الله من الانسان الصنفين (الذكر والأنثى) يجتمعان تارة في الرحم وينفرد كل منهما عن الآخر تارة وكان لأبي جهل ابن اسمه عكرمة وبنت اسمها جويرية (أليس ذلك) الذي أنشأ هذه الأشياء (بقادر على أن يحيي الموتى) للبعث فالاعادة أهون من البدء في قياس العقل روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه السورة قال سبحانك اللهم بلى رواه أبو داود والحاكم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من قرأ سبح اسم ربك الأعلى اماما كان أو غيره فليقل سبحان ربي الأعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان أو غيره

﴿ سورة الانسان وتسمى سورة هل أتى وسورة الأمشاج وسورة الدهر مكية. وهي احدى وثلاثون آية. ومائتان وأربعون كلمة. وألف وأربعة وخمسون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) أي قد أتى على بني آدم طائفة محدودة من الزمن الطويل غير مقدر في نفسه غير مذكور بالانسانية أصلا وهي مدة الحمل وقيل قد مرت على آدم أربعون سنة قبل أن تنفخ فيه الروح لم يكن شيئا مذكورا لا في السماء ولا في الارض بل كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا (انا خلقنا الانسان) أي ولد آدم (من نطفة أمشاج) أي من نطفة قد امتزج فيها الماآن ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له وما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء

(فلا صدق ولا صلى) يريد أبا جهل لعنه الله (ولكن كذب وتولى) أي أعرض عن الايمان (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يتبختر (أولى لك فأولى) هذا تهديد ووعيد والمعنى وليك المكروه أي لزمك المكروه يا أبا جهل (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أي مهملا غير مأمور ولا منهي (ألم يك نطفة من مني يمنى) أي يصب في الرحم (ثم كان علقة فخلق فسوى) أي فخلقه الله فسوى خلقه حتى صار انسانا بعد أن كان علقة (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) أي خلق من الانسان صنفين الرجل والمرأة (أليس ذلك) الذي فعل هذا (بقادر على أن يحيي الموتى) بلى وهو على كل شيء قدير

﴿ تفسير سورة الانسان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى) أي قد أتى (على الانسان) يعني آدم (حين من الدهر) أي أربعون سنة (لم يكن شيئا مذكورا) الآية أي كان جسدا مصورا من طين لا يذكر ولا يعرف ويجوز أن يكون جميع الناس لان كل أحد يكون عدما الى أن يصير شيئا مذكورا (انا خلقنا الانسان) يعني ابن آدم (من نطفة أمشاج) أي أخلاط يعني ماء الرجل وماء المرأة واختلاف ألوانهما

(نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) أى خلقناه كذلك لنختبره بالتكليف والامر والنهى (اناهديناه السبيل) أى بيناله الطريق (اما شاكرا واما كفورا) أى ان شكر أو كفر يعنى اعذرنا اليه فى بيان الطريق بعث الرسول آمن أو كفر (ان الابرار) أى المطيعين لربهم (يشربون من كأس) أى اناء فيه شراب (كان مزاجها كافورا) أى يمزج لهم بالكافور (عينا) أى من عين (يشرب بها) أى بتلك العين (عباد الله يفجرونها تفجيرا) أى يقودونها حيث شاءوا من منازلهم (يوفون بالنذر) اذا نذروا فى طاعة الله وفوا به (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أى منتشرا فاشيا (ويطعمون الطعام على حبه) أى قلته وحبهم اياه (مسكينا) أى فقيرا (ويتيما) أى لا أب له (وأسيرا) يعنى المملوك والمحبوس فى حق المسلمين ويقولون لهم (انما نطعمكم لوجه الله) أى لطلب ثواب الله (لا نريد منكم) بما نطعمكم (جزاء) أى مكافأة منكم (ولا شكورا) أى شكرا (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا) أى كريه المنظر لشدته (قمطريرا) أى صعبا شديدا طويل الشر (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) الذى يخافون (ولقاهم نضرة) فى ضياء وجوههم (وسرورا) فى قلوبهم (وجزاهم بما صبروا) أى على طاعة الله وعن معصيته (جنة وحريرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) أى حرا ولا بردا ولا صيفا ولا شتاء (ودانية عليهم ظلالها) أى قريبة منهم ظلال أشجارها

خضراء وصفراء (نبتليه) أى نختبره بالخير والشر كما قاله الكلبى وقال الحسن أى نختبر شكره فى السراء وصبره فى الضراء (فجعلناه) أى الانسان (سميعا بصيرا) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية (اناهديناه السبيل) أى بيناله سبيل الهدى والضلال بانزال الآيات ونصب الدلائل (اماشاكرا واما كفورا) أى ليكون الانسان امامؤمنا واما كافرا ويقال انا هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا وتارة كفورا وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة فى اما على حذف الجواب أى أماشاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله (انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) أى انا هيأنا للكافرين سلاسل تشد بها أرجلهم ويقادون بها وأغلالا تشد بها أيديهم الى رقابهم ونارا موقدة يحرقون بها وقرأ نافع وهشام وشعبة والكسائى سلاسلا بالتنوين (ان الابرار) أى الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم الموفين بنذرهم (يشربون من كأس) أى اناء فيه خمر (كان مزاجها كافورا) أى كانت تلك الخمر ممزوجة بماء عين كافور فان الكافور اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته ويبدل من كافور قوله (عينا يشرب بها عباد الله) أى يشرب عباد الله بماء تلك العين الخمر لكونها ممزوجة بها فالباء متعلقة بمحذوف حال من مفعول محذوف أى يشرب المؤمنون الخمر ممزوجة بتلك العين أو متعلقة بيشرب والضمير يعود على الكأس أى يشربون العين بتلك الكأس والباء للالصاق أو مزيدة ويدل له قراءة ابن أبى عبلة يشربها عباد الله (يفجرونها تفجيرا) أى يقودون العين حيث شاءوا من منازلهم وتتبعهم فحيث مالوا مالت معهم أى ان الرجل منهم يمشى فى بيوته ويصعد الى قصوره وبيده قضيب يشير به الى الماء فيجرى معه حيثما دار فى منازله على مستوى الارض فى غير أخدود ويتبعه حيثما صعد الى أعلا قصوره (يوفون بالنذر) أى بما أوجبوه على أنفسهم لوجه الله تعالى فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم (ويخافون يوما كان شره) أى شدائده (مستطيرا) أى سريع الوصول الى أهله من العصاة (ويطعمون الطعام على حبه) أى مع حاجتهم الى الطعام وقال الفضيل بن عياض أى على حب اطعام الطعام أى بأن يكون ذلك مع طيب النفس (مسكينا ويتيما وأسيرا) أى مسجونا مسلما وهو قول مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير قائلين بلسان الحال (انما نطعمكم لوجه الله) أى لطلب ثواب الله (لا نريد منكم جزاء) أى مكافأة (ولا شكورا) أى محمدة بقول أو بفعل روى أن عائشة كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ماقالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا) أى تعبس فيه الوجوه (قمطريرا) أى شديدا روى أن الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى شدائده بسبب خوفهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) أى وأعطاهم بسبب طاعتهم بدل عبوس الكفار حسنا فى وجوههم وفرحا فى قلوبهم (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) أى وجزاهم بصبرهم على الايثار ومايؤدى اليه من الجوع والعرى بستانا فيه مأكل هنى وحريرا فيه ملبس بهى (متكئين فيها على الأرائك) أى جالسين فى الجنة على السرر فى الحجال (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) أى لا يصيبهم فى الجنة حر محم ولا برد مؤذ لان هواءها معتدل فى الحر والبرد ويقال ان فى الجنة من الضياء مالا يحتاجون معه الى شمس ولا قمر فان الزمهرير هو القمر فى لغة طىء كما رواه ثعلب ونورها من نور العرش (ودانية عليهم ظلالها)

معطوف على محل لايرون وهو فى محل نصب حال من الضمير المستكن فى متكئين أى بعداء عن الحر والبرد وقريبة ظلال شجرها منهم وقرئ ودانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة فى موضع الحال والمعنى لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم أى ان ظلال أشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم يعنى أنه لو هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم (وذللت قطوفها تذليلا) أى أدنيت منهم عناقيد ثمارها فهم يتناولون منها كيف شاءوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة) أى بصحاف من فضة (وأكواب كانت قوارير اقوارير من فضة) أى وبكيزان تكون جامعة بين صفاء الزجاج وشفوفه وبياض الفضة ولينها فنسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة فضة الجنة الى رمل الدنيا لان أصل القوارير فى الدنيا الرمل وأصل قوارير الجنة هو فضة شفافة وقرئ قوارير الثانى بالرفع أى هى قوارير (قدروها تقديرا) أى قدروا القوارير فى أنفسهم وأرادوا أن تكون على اشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها وقيل الضمير للطائفين بها أى قدر الطائفون الشراب فيها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها بالبناء للمفعول أى جعلوا قادرين لها كما شاءوا (ويسقون فيها) أى الجنة (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) أى مايشبه الزنجبيل (عينا فيها) أى الجنة (تسمى) أى تلك العين (سلسبيلا) قال مقاتل وابن حبان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان ويقال معناها سل الله سبيلا اليها. وسميت بذلك لانه لايشرب منها الامن سأل الله اليها سبيلا بالعمل الصالح وقرأ طلحة سلسبيل بغير تنوين للعلمية والتأنيث (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى دائمون على ماهم عليه من الطراوة والبهاء وقيل أى محلون كما رواه نفطويه عن ابن الاعرابى أو مسورون كما رواه الفراء وهم خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور ولم يخلقوا عن ولادة على الصحيح (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لصفاء ألوانهم واشراق وجوههم وانعكاس أشعة بعضهم الى بعض وانتشارهم فى مجالسهم ومنازلهم (واذا رأيت ثم) أى فى أى مكان كان فى الجنة (رأيت نعيما وملكا كبيرا) وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه (عاليهم ثياب سندس) وهو مارق من الديباج قرأ نافع وحمزة عاليهم باسكان الياء مبتدأ وثياب خبره أى مايعلوهم من لباسهم ثياب سندس والباقون بفتح الياء على أنه ظرف خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية لولدان أى يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب سندس الخ وقيل ان عاليهم حال من ضمير عليهم أى ويطوف على الابرار ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ أى فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس (خضر واستبرق) وهو ماثخن من الديباج قرأ نافع وعاصم كلاهما بالرفع وقرأ الكسائى وحمزة كلاهما بالخفض وقرأ ابن كثير خضر بالخفض واستبرق بالرفع وقرأ أبو عمرو وعبدالله بن عامر خضر بالرفع واستبرق بالخفض (وحلوا أساور من فضة) وهذا معطوف على يطوف عليهم فان حلى أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم وأيضا ان الطباع مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب وقيل انما تكون الاسورة من الفضة للولدان الذين هم الخدم (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أى يطهر شاربه عن دنس الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى غاية منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ماكان فى قلبه من غل وغش وحسد وما كان فى جوفه من قذر وأذى (ان هذا) أى الذى ذكر من الطعام والشراب واللباس (كان لكم جزاء) أى ثوابا من الله بمقابلة أعمالكم الحسنة وهذا اخبار من الله

(وذللت قطوفها تذليلا) أى أدنيت منهم ثمارها فهم ينالونها قعودا كانوا أو قياما (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا) أى لها بياض الفضة وصفاء القوارير وهو قوله (قوارير من فضة قدروها تقديرا) أى جعلت الاكواب على قدر ريهم وهو ألذ الشراب (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) والزنجبيل شئ تستلذه العرب فوعدهم الله ذلك فى الجنة (عينا) أى من عين (فيها) أى فى الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان) أى غلمان (مخلدون) أى لايشيبون (اذا رأيتهم حسبتهم) فى بياضهم وصفاء لونهم (لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم) أى اذا رأيت ببصرك فى الجنة (رأيت نعيما وملكا كبيرا) وهو أن أدناهم منزلة ينظر فى ملكه فى مسيرة ألف عام (عاليهم) فوقهم (ثياب سندس) يعنى الحرير وقوله (شرابا طهورا) أى طاهرا من الاقذاء والاقذار ليس بنجس كخمر أهل الدنيا وقوله

تعالى

تعالى لعباده فى الدنيا فكأن الله تعالى بين ثواب أهل الجنة ان هذا كان فى حكمى جزاء لكم يامعشر عبادى لكم خلقتها ولأجلكم أعددتها وقال ابن عباس المعنى أنه يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم لنعيمها ليزداد سرورهم ان هذا كان لكم جزاء (وكان سعيكم مشكورا) أى مرضيا وكان الله راضيا عنهم بالقليل من الطاعات ومعطيهم عليه ثوابا كثيرا ومنتهى درجة العبد أن يكون راضيا من ربه مرضيا لربه فقوله ان هذا كان لكم جزاء اشارة الى الأمر الذى تصير النفس به راضية من ربه وقوله وكان سعيكم مشكورا اشارة الى كون النفس مرضية لربه وهذه الحالة أعلى الدرجات وآخر المقامات ولذلك وقع الختم عليها فى ذكر مراتب أحوال الأبرار والصديقين (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أى متفرقا آية وآيتين وسورة وهذه الآية تثبيت الرسول وشرح صدره فيما نسبوه اليه من كهانة وسحر (فاصبر لحكم ربك) فى تأخير الاذن فى القتال أو فى أداء الرسالة وتحمل المشاق الناشئة من ذلك (ولا تطع منهم آثما) أى مقدما على المعاصى أى معصية كانت (أو كفورا) أى جاحدا للنعمة فالآثم هو الوليد بن المغيرة والكفور هو عتبة بن ربيعة كما قاله القفال وغيره واختاره الرازى يروى أن عتبة بن ربيعة قال للنبى صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الأمر حتى أزوجك بنتى وأسوقها اليك من غير مهر فانى من أجمل قريش ولدا وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فانى من اكثرهم مالا وارجع عن هذا الأمر أى عن ذكر النبوة فقرأ عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من أول حم السجدة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال أحدهما ظننت أن الكعبة ستقع على (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أى صل الفجر والظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) أى وبعض الليل فصل لربك صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) أى صل له صلاة التهجد فى جزء من ليل طويل قال بعضهم كان ذلك من الواجبات على الرسول ثم نسخ فالامر للوجوب لاسيما اذا تكرر على سبيل المبالغة (ان هؤلاء) أى الكفرة من اهل مكة (يحبون العاجلة) وينهمكون فى لذاتها الفانية (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) أى ويتركون وراءهم مصالح يوم ثقيل أى شديد هوله وعذابه (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) أى أحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى واذا شئنا أهلكنا هؤلاء الكفرة وأتينا بأشباههم فى الخلقة فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه تذكرة) أى ان هذه السورة عظة للخلق من الله (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى فمن شاء الخير لنفسه فى الدنيا والآخرة تقرب الى الله بالعمل بما فى هذه السورة (وما تشاءون الا أن يشاء الله) أى وما تقدرون على تحصيل اتخاذ السبيل الى الله فى وقت من الأوقات الا وقت مشيئة الله تحصيله لكم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير وما يشاءون بالياء التحتية وقرأ ابن مسعود الا ما يشاء الله (ان الله كان عليما حكيما) أى انه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته (يدخل من يشاء فى رحمته) بأن يوفقه للايمان المؤدى الى دخول الجنة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى غير اتخاذ السبيل الى الله (أعد لهم عذابا أليما) أى متناهيا فى الايلام وقرأ عبد الله بن الزبير والظالمون بالرفع على الابتداء

﴿سورة المرسلات مكية خمسون آية وماثة واحدى وثمانون كلمة
وثمانمائة وستة عشر حرفا﴾

قال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى أوينا الى غار منى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال

(ولا تطع منهم آثما) يعنى عتبة بن أبى ربيعة (أو كفورا) يعنى الوليد بن المغيرة وذلك أنهما ضمنا للنبى صلى الله عليه وسلم المال والتزويج ان ترك دعوتهم الى الاسلام (ان هؤلاء يحبون العاجلة) يعنى الدنيا (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) أى يتركون العمل ليوم شديد ثقيل أمامهم وهو يوم القيامة (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) أى خلقهم وخلق مفاصلهم (ان هذه السورة (تذكرة) أى تذكير للخلق (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى وسيلة بالطاعة (وما تشاءون الا أن يشاء الله) أى لستم تشاءون شيئا الا بمشيئة الله لأن الامر اليه (يدخل من يشاء فى رحمته) أى فى جنته (و) هم المؤمنون (والظالمين) يعنى الكافرين الذين عبدوا غيره (أعد لهم عذابا أليما)

﴿تفسير سورة المرسلات﴾

(والمرسلات عرفا) يعنى الرياح التى أرسلت متتابعة كعرف الفرس (فالعاصفات عصفا) يعنى الرياح الشديدة الهبوب (والناشرات نشرا) أى الرياح تأتى بالمطر (فالفارقات فرقا) يعنى آى القرآن فرقت بين الحلال والحرام (فالملقيات ذكرا) يعنى الملائكة التى تنزل بالوحى (عذرا أو نذرا) يعنى للاعذار والانذار من الله تعالى (انما توعدون) من البعث للثواب والعقاب (لواقع فاذا النجوم طمست) أى محى نورها (واذا السماء فرجت) أى شقت(واذا الجبال نسفت) أى قلعت من أماكنها فأذهبت بسرعة (واذا الرسل أقتت) أى جمعت لوقت وهو يوم القيامة (لأى يوم أجلت) أى أخرت وأمهلت (ليوم الفصل) أى القضاء بين الناس (وما أدراك ما يوم الفصل) على التعظيم لذلك اليوم (ويل يومئذ للمكذبين ألم نهلك الأولين) من الأمم المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) ممن سلكوا سبيلهم فى الكفر والتكذيب (كذلك) أى مثل الذى فعلنا بهم (نفعل بالمجرمين) أى بالمكذبين من قومك

النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) وهذا اقسام من الله تعالى بطوائف من الملائكة أرسلهم بأوامره متتابعين فهم عصفوا فى طيرانهم عصف الرياح ونشروا أجنحتهم عند انحطاطهم الى الأرض ففرقوا بين الحق والباطل فألقوا ذكرا الى الانبياء ويقال أقسم الله برياح عذاب أرسلها متتابعة كعرف الفرس فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بعض أجزائه عن بعض فان العاقل اذا شاهد هبوب الرياح التى تقلع القلاع وتهدم الجبال وترفع الأمواج تمسك بذكر الله والتجأ الى اعانة الله فصارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر والايمان والعبودية فى القلب ويمكن حمل هذه الكلمات الخمس على القرآن أى والآيات المرسلة على لسان جبريل الى محمد النازلة بكل عرف أى خير فعصفت سائر الملل فقهرت سائر الاديان وجعلتها باطلة ونشرت تلك الآيات آثار الهداية فى قلوب العالمين شرقا وغربا ففرقت بين الحق والباطل (عذرا أو نذرا) وهذا اما بدل من ذكرا أى فأقسم بالملائكة المنزلات وحيا أمرا ونهيا ويقال وعدا أو وعيدا واما مفعول لأجله أى ازالة أعذار الخالقين وتخويفا لهم (انما توعدون لواقع) أى ان الذى توعدون به من مجئ يوم القيامة لكائن ثم انه تعالى ذكر علامات وقوع هذا اليوم فقال (فاذا النجوم طمست) أى محقت ذواتها (واذا السماء فرجت) أى فتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) أى قلعت بسرعة من أماكنها (واذا الرسل أقتت) وقرأ أبو عمرو بالواو على الاصل أى حصل لهم الوقت وهو اما وقت يحضرون فيه للشهادة على أممهم واما وقت يجتمعون فيه للفوز بالثواب واما وقت سؤال الرسل عما أجيبوا به وسؤال الأمم عما أجابوهم (لأى يوم أجلت) أى يقال لأى يوم أخرت الأمور المتعلقة بهؤلاء الرسل وهذا القول المقدر اما جواب لاذا واما حال من مرفوع أقتت أى مقولا فيهم لأى يوم أخرت اليه أمور الرسل وهو تعذيب الكفرة وتعظيم المؤمنين وظهور ما كانت الرسل تذكر من أحوال الآخرة وأهوالها وعلى هذا فجواب اذا مقدر وتقديره فاذا طمست النجوم الخ وقع ما توعدون أو بان الأمر (ليوم الفصل) بدل من لأى يوم وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق ويجوز أن يؤخذ من هذا جواب اذا أى وقع الفصل بين الخلائق أو فحينئذ تقع المجازاة بالأعمال وتقوم القيامة (وما أدراك ما يوم الفصل) أى وما علمك يا أشرف الخلق بيوم الفصل وشدته فالاستفهام الاول للاستبعاد والانكار والاستفهام الثانى للتعظيم والتهويل والمعنى أنت الآن فى الدنيا لا تعلم ما يوم الفصل أى لا تعلم عظمه وأهواله على سبيل التفصيل وان كنت تعلمها اجمالا (ويل يومئذ للمكذبين) أى واد فى جهنم من قيح ودم يوم اذ يفصل بين الخلائق للمكذبين بذلك اليوم وبكل ما أخبر الانبياء عنه وويل مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء ونحوه سلام عليكم وفائدة العدول الى الرفع دلالة على دوام الهلاك للمدعو عليهم (ألم نهلك الأولين) وهم جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم والوقف هنا كاف ثم استأنف الله بقوله (ثم نتبعهم الآخرين) ممن كذبوا الحق من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالاماتة بالتعذيب وقد وقع ذلك فى حق كفار قريش يوم بدر واستعقبه اللعن فى الدنيا والعقوبة الاخرويه مرمدا ويدل على هذا الاستئناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين التنفيس أما قراءة الاعمش والاعرج عن أبى عمرو ثم نتبعهم بتسكين العين فهو تسكين للتخفيف لا للجزم فهو مستأنف كالمرفوع لفظا (كذلك نفعل بالمجرمين) أى مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من أشرك بالله فيما يستقبل اما بالسيف واما بالهلاك فسنتنا جارية على ذلك (ويل يومئذ للمكذبين) أى هؤلاء وان

اهلكوا

أهلكوا وعذبوا فى الدنيا فالمصيبة العظمى معدة لهم يوم القيامة وقيل هذا الويل لعذاب الدنيا فالمعنى شدة عذاب يوم اذ أهلكناهم للمكذبين بآيات الله وأنبيائه (ألم نخلقكم من ماء مهين) أى من نطفة قذرة منتنة (فجعلناه فى قرار مكين) أى فى مكان حريز رحم المرأة (الى قدر معلوم) لله تعالى أى الى وقت الولادة (فقدرنا فنعم القادرون) أى قدرنا خلقه فى رحم المرأة تقديرا فنعم المقدرون له نحن فان ايقاع الخلق على هذا التحديد نعمة من المحدد على المخلوق أو فقدرنا على تصويره كيف شئنا فنعم القادرون نحن حيث خلقناه فى أحسن الهيئات قرأ نافع والكسائى فقدرنا بتشديد الدال والباقون بالتخفيف وقال على كرم الله وجهه ولا يبعد ان يكون المعنى فى التخفيف والتشديد واحدا لأن العرب تقول قدر وقدر عليه الموت أى فقدرنا بالتخفيف يكون بمعنى قدرنا بالتشديد ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له أى قدروا له السير فى المنازل (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على البدء والاعادة بعد الموت (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) أى ألم نجعل الأرض موضعا يضم احياء كثيرة على ظهره وأمواتا غير محصورة فى بطنه فالأحياء يسكنون فى منازلهم والأموات يدفنون فى قبورهم ونقل القفال عن ربيعة أنه قال دلت هذه الآية على وجوب قطع النباش لأن الأرض كانت حرزا للميت (وجعلنا فيها) أى على ظهر الأرض (رواسى) أى جبالا ثوابت لا تزول (شامخات) أى عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) أى غاية فى العذوبة (ويل يومئذ للمكذبين) بأمثال هذه النعم العظيمة وتقول لهم الزبانية بعد الفراغ من الحساب (انطلقوا) يامعشر المكذبين (الى ما كنتم) فى الدنيا (به تكذبون) من العذاب روى ان الشمس تقرب يوم القيامة من رءوس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا كنان فتلفحهم الشمس وتأخذ بأنفاسهم ويمتد ذلك اليوم ثم ينجى الله برحمته من يشاء الى ظل من ظله تعالى فهناك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتقول خزنة النار للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عقاب الله (انطلقوا الى ظل) أى الى دخان جهنم وقرأ يعقوب انطلقوا على لفظ الماضى أى فانقادوا للأمر لأجل أنهم لا يستطيعون امتناعا منه (ذى ثلاث شعب) أى فرق وهى كون النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيطة بهم (لا ظليل) أى لا يمنع حر الشمس (ولا يغنى من اللهب) أى ولا يدفع من لهب النار شيئا أو ولا يبعد من العطش كما قاله قطرب (انها) أى النار (ترمى بشرر) وهو ما يتطاير من النار (كالقصر) من البناء فى عظمه (كأنه جمالة) أى ابل (صفر) أى فى الحركة واللون فان الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وهذا تنبيه على أن فى كل واحد من تلك الشرارات أنواعا من البلاء والمحنة فكأنه قيل تلك الشرارات كالجمالات الموقرة بأنواع المحنة والبلاء قرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة بغير ألف بعد اللام والباقون بالألف (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه الأمور (هذا يوم لا ينطقون) فيه بحجة تنفعهم والسؤال قد انقضى قبل ذلك وقرأ الأعمش بنصب يوم أى هذا الذى قص عليكم واقع يوم ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أى انهم لم يؤذنوا فى العذر وهم لم يعتذروا أيضا لا لأجل عدم الاذن بل لأجل عدم العذر فى نفسه (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا) أى اليوم (يوم الفصل) أى فصل حكومات جميع المكلفين (جمعناكم) يامعشر المكذبين من جميع هذه الأمة (والأولين) من المكذبين (فان كان لكم كيد فكيدون) أى فان كان لكم حيلة فى دفع الحقوق عن أنفسكم فافعلوها وغالبونى (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين فى ظلال) أى فى ظلال شجرة (وعيون) أى ماء ظاهر جار وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم العين والباقون بكسرها (وفواكه مما يشتهون) فمتى اشتهوا

(ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) وهو الرحم (الى قدر معلوم) وهو وقت الولادة (فقدرنا فنعم القادرون) أى قدرنا وقت الولادة فنعم المقدرون نحن وقدرنا بالتشديد والتخفيف لغتان بمعنى واحد (ألم نجعل الأرض كفاتا) أى وعاء وقيل ذات كفات أى ضم وجمع تكفت الخلق (أحياء) على ظهرها (وأمواتا) فى بطنها (وجعلنا فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (شامخات) أى مرتفعات (وأسقيناكم ماء فراتا) أى عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) ويقال لهم فى ذلك اليوم (انطلقوا) أى اذهبوا (الى ما كنتم به تكذبون) فى الدنيا (انطلقوا الى ظل) يعنى دخان جهنم (ذى ثلاث شعب) أى اذا ارتفع انشعب ثلاث شعب فيقف على رءوس الكفار (لا ظليل) أى لا بارد (ولا يغنى من اللهب) من لهب النار شيئا (انها ترمى بشرر) وهو ما تطاير من النار (كالقصر) أى من البناء فى العظم (كأنه جمالات) جمع جمال (صفر) أى سود (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) يعنى فى بعض ساعات ذلك اليوم يؤمرون بالسكوت (هذا يوم الفصل) بين أهل الجنة وأهل النار (جمعناكم والأولين فان كان لكم كيد فكيدون) أى ان كان عندكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم

فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما فى أنواع فاكهة الدنيا فيقول الله تعالى لهم (كلوا) من الثمار (واشربوا) من الأنهار (هنيئا) أى سائغا بلا داء ولا تعب (بما كنتم تعملون) فى الدنيا من الخيرات ذكر الله تعالى ثلاثة أنواع من النعم فى مقابلة ثلاث شعب من النار كأنه قيل ظلال المكذبين ما كانت ظليلة وما كانت مغنية عن اللهب والعطش أما المتقون فظلالهم ظليلة حاجزة بينهم وبين اللهب ومغنية لهم عن العطش ومعهم الفواكه التى يتمنونها فى مقابلة شرار النار التى يخافها المكذبون ولما قال تعالى للكفار انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب قال للمؤمنين كلوا واشربوا هنيئا (انا كذلك نجزى المحسنين) أى انا نجزى المحسنين فى العقيدة مثل ذلك الجزاء (ويل يومئذ للمكذبين) يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين (كلوا وتمتعوا قليلا) أى كلوا يامعشر المكذبين وعيشوا يسيرا فى الدنيا (انكم مجرمون) أى مشركون مصيركم النار فى الآخرة وقال أبو السعود وهذا مقدر بقول هو حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على أن كل مجرم ماله هذا (ويل يومئذ للمكذبين) بما يجب تصديقه وهذا هو النوع التاسع من أنواع تخويف الكفار (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أى واذا قيل للمجرمين فى الدنيا اخضعوا لله بالتوحيد وأطيعوه لا يقبلون ذلك ويقال نزلت هذه الآية فى ثقيف حيث قالوا لا تنحنى ظهورنا بالركوع والسجود ويقال هذا فى الآخرة وذلك لما يقول الكفار والله ربنا ما كنا مشركين قال الله تعالى لهم اسجدوا ان كنتم صادقين فيما تقولون فلم يقدروا على السجود وبقيت أصلابهم كالصياصى (ويل يومئذ للمكذبين) بمن يرشدهم الى المصالح الجامعة بين خيرات الدنيا والآخرة وهذا هو النوع العاشر من أنواع تخويف الكفار (فبأى حديث بعده يؤمنون) أى اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع وضوحها فبأى كلام بعدها يؤمنون لأن القرآن مصدق للكتب القديمة موافق لها فى أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لأن ما فى غيره موجود فيه فلا يمكن الايمان بغيره مع تكذيبه

﴿ سورة النبأ وتسمى سورة التساؤل وسورة عم مكية وهى أربعون آية .
ومائة وثلاث وسبعون كلمة. وسبعمائة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عم يتساءلون) أى عن أى شىء يتساءل أهل مكة فيما بينهم انكارا واستهزاء (عن النبأ العظيم) قوله عم يتساءلون سؤال وقوله عن النبأ العظيم جواب فالسائل والمجيب هو الله تعالى ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (الذى هم فيه مختلفون) والخبر العظيم هو يوم القيامة فمنهم من جزم باستحالته فيقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين ومنهم من شك فى وقوعه فيقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل الخبر العظيم هو القرآن فان بعضهم جعله سحرا وبعضهم جعله شعرا وبعضهم قال انه أساطير الأولين روى أن النبى ﷺ لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد ﷺ ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء وقيل النبأ العظيم هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأنهم عجبوا من ارسال الله محمدا اليهم قرأ عكرمة وعيسى بن عمر عما بالألف على الأصل وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) أى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب

(كلوا وتمتعوا) فى الدنيا (قليلا انكم مجرمون) أى مشركون (واذا قيل لهم اركعوا) أى صلوا (لا يركعون) أى لا يصلون (فبأى حديث بعده يؤمنون) أى بعد القرآن الذى أتاهم فيه البيان يؤمنون أى اذا لم يؤمنوا به

﴿ تفسير سورة النبأ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ عم يتساءلون ﴾ المعنى عن أى شىء يتساءلون يعنى قريشا وهذا اللفظ استفهام معناه تفخيم القصة وذلك أنهم اختلفوا واختصموا فيما أتاهم به محمد ﷺ فمن مصدق ومكذب ثم بين فقال (عن النبأ العظيم) يعنى البعث (الذى هم فيه مختلفون) أى لا يصدقون به (كلا) ليس الأمر على ما ذكروا من انكارهم البعث (سيعلمون) حقيقته ووقوعه (ثم كلا سيعلمون) تأكيد وتحقيق ثم دلهم على قدرته على البعث فقال

(ألم نجعل الارض مهادا) اى فرشناها لكم حتى سكنتموها (وخلقناكم أزواجا) اى ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) اى راحة
لأبدانكم (وجعلنا الليل لباسا) اى يلبس كل شئ بسواده (وجعلنا النهار معاشا) اى سببا للمعاش (وبنينا فوقكم
سبعا) اى سبع سموات (شدادا) اى محكمة (وجعلنا سراجا) يعنى الشمس (وهاجا) اى وقادا حارا (وأنزلنا من المعصرات) اى السحابات (ماء ثجاجا) أى صبابا (لنخرج به حبا) مما يأكله الناس (ونباتا) مما ترعاه النعم (وجنات ألفافا) اى ملتفة مجتمعة (ان يوم الفصل كان ميقاتا) اى لما وعده الله من الجزاء والثواب (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) اى زمرا وجماعات (وفتحت السماء فكانت أبوابا) اى تشققت حتى يصير فيها أبواب (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) اى فى خفة سيرها (ان جهنم كانت مرصادا) اى ترصد أهل الكفر فلا يجاوزونها (للطاغين) اى الكافرين (مآبا) اى مرجعا (لابثين) ماكثين (فيها أحقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة من أيام الدنيا فاذا مضى حقب عاد حقب الى ما لا يتناهى (لا يذوقون فيها بردا) اى نوما
وراحة (ولا شرابا الا حميما) اى ماء حارا من حميم جهنم (وغساقا) وهو ما سال من جلود أهل النار (جزاء وفاقا) اى جوزوا على وفق أعمالهم
ولا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون حسابا) اى لا يخافون أن يحاسبهم الله (وكذبوا بآياتنا
كذابا) اى تكذيبا

والنكال وسيعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه وقال القاضى سيعلمون نفس الحشر والمحاسبة وسيعلمون نفس العذاب اذا شاهدوه وقال الضحاك أى سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم وروى عن ابن عامر ستعلمون بالتاء المنقطة من فوق (ألم نجعل الارض مهادا) أى فراشا وقرئ مهدا أى مناما (والجبال أوتادا) للارض حتى لا تميد بأهلها (وخلقناكم أزواجا) ذكورا واناثا وقبيحا وحسنا وطويلا وقصيرا (وجعلنا نومكم سباتا) أى قطعا للتعب أو نوما منقطعا فان النوم بمقدار الحاجة من أنفع الأشياء أما دوامه فمن أضر الاشياء (وجعلنا الليل لباسا) فان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون اذا أراد هربا من عدو أو اخفاء ما لا يحب الانسان اطلاع غيره عليه وأيضا بسبب ما يحصل فيه من النوم يندفع عنه أذى التعب الجسمانى وأذى الافكار الموحشة النفسانية فان المريض اذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة (وجعلنا النهار معاشا) أى وقت معاش تتقلبون فيه فى مكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) أى خلقنا فوق رءوسكم سبع سموات غلاظا قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) أى شمسا مضيئة لبنى آدم (وأنزلنا من المعصرات) أى السحائب بالرياح (ماء ثجاجا) أى صبابا ويروى عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعكرمة أنهم قرؤا وأنزلنا بالمعصرات أى بالرياح المثيرة للسحاب (لنخرج به) أى بذلك الماء (حبا) يقتات كالحنطة والشعير والأرز (ونباتا) لا يكون له كمام كالحشيش (وجنات ألفافا) أى مجتمعة تداخل بعضها فى بعض (ان يوم الفصل كان ميقاتا) أى ان يوم فصل الله بين الخلائق كان فى تقدير الله تعالى ميعادا لاجتماع كل الخلائق فى قطع الخصومات وميقاتا لما وعد الله من الثواب والعقاب (يوم ينفخ فى الصور) نفخة البعث أى تنفخ الأرواح فى الأجساد (فتأتون أفواجا) أى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف أمما كل أمة مع امامها حتى يتكامل اجتماعهم (وفتحت السماء) لنزول الملائكة قرأ عاصم وحمزة والكسائى خفيفة التاء والباقون بتشديدها (فكانت أبوابا) أى فصارت السماء ذات أبواب (وسيرت الجبال) فى الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها (فكانت سرابا) أى فصارت بعد تسييرها مثل السراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها (ان جهنم كانت مرصادا) أى طريقا لخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم وخزنة جهنم يرصدون الكفار (للطاغين) أى المتكبرين على الله (مآبا) أى مرجعا (لابثين فيها أحقابا) أى حقبا بعد حقب وقرأ حمزة لبثين بغير ألف (لا يذوقون فيها) أى الأحقاب (بردا) أى هواء باردا ولا ماء باردا وقال الأخفش والكسائى والفراء وقطرب والعتبى أى نوما سمى بذلك لانه يقطع سورة العطش (ولا شرابا الا حميما) اى ماء حارا جدا (وغساقا) اى باردا منتنا لا يطاق وهو المسمى بالزمهرير قرأ حمزة والكسائى وعاصم من رواية حفص عنه بتشديد السين (جزاء وفاقا) اى جوزوا بذلك جزاء موافقا لأعمالهم (انهم كانوا لا يرجون حسابا) اى كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم أو انهم كانوا غير مؤمنين وذلك لان المؤمن لا بد وأن يرجو رحمة الله لانه قاطع بأن ثواب ايمانه زائد على عقاب جميع المعاصى سوى الكفر (وكذبوا بآياتنا) اى بجميع دلائل الله تعالى فى التوحيد والنبوة والمعاد (كذابا) وقرئ بتخفيف الذال وقرئ كذابا بضم الكاف

ونشديد الذال جمع كاذب أى كذبوا بالقرآن والشرائع كاذبين فكل من يكذب بالحق فهو كاذب (وكل شيء أحصيناه) أى ضبطناه (كتابا) اى حال كونه مكتوبا فى اللوح المحفوظ أو كل شيء من أعمال بنى آدم حفظناه مكتوبا فى صحف الحفظة وقرأ أبو السمال وكل بالرفع على الابتداء (فذوقوا فلن نزيدكم الاعذابا) اى فيقال لهم فى الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم فلن نزيدكم الاعذابا اى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا (ان للمتقين مفازا) اى فوزا بالمطلوب (حدائق) اى بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة (وأعنابا) اى كروما (وكواعب) اى نساء تكعبت ثديهن (أترابا) اى مستويات فى السن على ثلاث وثلاثين سنة (وكأسادهاقا) اى ممتلئة (لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا) اى لايجرى بين المتقين كلام باطل وتكذيب من واحد لغيره بسبب الكأس التى يشربون منها وقرأ الكسائى بالتخفيف (جزاء من ربك عطاء حسابا) اى جازى الله المتقين بمفاز جزاء كائنا منه تفضلا منه بقدر ماوجب له فيما وعده من الاضعاف لانه تعالى قدر الجزاء على ثلاثة أوجه وجه منها على عشرة أضعاف ووجه على سبعمائة ضعف ووجه على مالانهاية له والمعنى راعيت فى ثواب أعمالكم الحساب لئلا يقع فيه نقصان وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد بمعنى محسب (رب السموات والارض ومابينهما الرحمن) وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو برفع رب والرحمن وقرأ عاصم وعبدالله بن عامر بجرهما وقرأ حمزة والكسائى بجر الاول مع رفع الثانى (لايملكون منه خطابا) اى لايملك أهل السموات والارض أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم خطابا ما فى شيء ما والوقف هنا كاف (يوم يقوم الروح) قال الضحاك والشعبى هو جبريل وعن ابن مسعود أنه ملك أعظم من السموات والجبال وعن ابن عباس هو ملك من أعظم الملائكة خلقا (والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن) منهم فى التكلم (وقال صوابا) اى وقال ذلك المأذون له بعد ورود الاذن له قولا صادقا حقا وقيل المعنى لايشفعون الافى حق شخص أذن له الرحمن فى شفاعته وذلك الشخص كان ممن قال صوابا وهو شهادة أن لااله الاالله و يوم ظرف لقوله تعالى لايتكلمون (ذلك) اى يوم قيامهم على الوجه المذكور (اليوم الحق) اى الثابت من غير صارف (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) اى فمن شاء أن يتخذ مرجعا الى ثواب ربه فعل ذلك بالايمان والطاعة (انا أنذرناكم) اى خوفناكم ياأهل مكة بالقوارع الواردة فى القرآن (عذابا قريبا) هو عذاب الآخرة وكل ماهو آت قريب (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) وما اما استفهامية اى يوم يبصر كل امرىء اى شيء قدمت يداه مثبتا فى صحيفته خيرا كان أو شرا واما موصولة اى يوم ينظر كل امرىء الى الذى قدمته اياه (ويقول الكافر) المقطع بالعقاب (ياليتنى كنت ترابا) اى ياليتنى لم أبعث للحساب فى هذا اليوم و بقيت ترابا كما كنت أوليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف وقيل يقول الكافر عندما يقول الله للبهائم بعد محاسبته بينها كونى ترابا ياليتنى أصير ترابا مثل تلك البهائم لأتخلص من عذاب الله تعالى وقيل ويقول ابليس لما عاين مافى آدم من الثواب والراحة يوم القيامة ليتنى كنت مكان آدم وذلك لان ابليس عاب آدم بأنه خلق من تراب وافتخر بأنه خلق من نار وقال مقاتل نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ماقدمت يداه فى أبى سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومى وقوله ويقول الكافر فى أخيه الاسد بن عبد الاسد .

﴿ سورة والنازعات مكية . خمس وأربعون آية . ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وثلاثة وخمسون حرفا ﴾

مفازا) اى فوزا بالجنة ونجاة من النار (وكواعب) اى جوارى قد تكعبت ثديهن (أترابا) اى مستويات فى السن (وكأسادهاقا) اى ممتلئة (عطاء حسابا) اى كثيرا كافيا وقوله (لايملكون منه خطابا) اى لايملكون أن يخاطبوه الا باذنه كقوله لاتكلم نفس الا باذنه وقد فسر هذا فيما قبل وقوله (يوم يقوم الروح) قيل جبريل وقيل هو ملك يقوم صفا (والملائكة صفا) وقيل الروح جند من جنود الله ليسوا من الملائكة ولا من الناس يقومون صفا والملائكة صفوفا (لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) اى حقا فى الدنيا يعنى لااله الاالله (ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) أى مرجعا الى طاعته (انا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى القيامة (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) اى ماعمل من خير وشر (ويقول الكافر) فى ذلك اليوم (ياليتنى كنت ترابا) وذلك حين يقول الله تعالى للبهائم والوحوش كونى ترابا فيتمنى الكافر أن لو كان ترابا فلا يعذب

﴿تفسير سورة النازعات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والنازعات غرقا) أى والملائكة الذين ينزعون روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافر وأصول القدمين كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء (والناشطات نشطا) أى والملائكة التى تحل نفس المؤمن حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وتنشط روح المؤمن بالخروج الى الجنة (والسابحات سبحا) أى والملائكة الذين ينزعون نفس الصالح يسلونها سلا رفيقا رويدا ثم يتركونها حتى تستريح ثم يستخرجونها بعد ذلك برفق ولطافة لئلا يصل اليه ألم وشدة (فالسابقات سبقا) أى والملائكة الذين يسبقون بأرواح المؤمنين الى الجنة وبأرواح الكافرين الى النار (فالمدبرات أمرا) أى فالملائكة الذين يدبرون أمور العباد قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الأمر فى الدنيا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل فأما جبريل فهو موكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فهو موكل بالقطر والنبات وأما عزرائيل فهو موكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالأمر من الله تعالى وليس فى الملائكة أقرب منه (يوم ترجف الراجفة) ويوم منصوب بجواب القسم المضمر أى لتبعثن يا كفار مكة يوم تتحرك النفخة الأولى مع ظهور الصوت وسميت النفخة بالراجفة لان الدنيا تتزلزل عندها وتصوت فان تلك النفخة هى المحركة لكل شىء (تتبعها الرادفة) أى النفخة الثانية والرادفة رجفة أخرى تتبع الأولى فتضطرب الأرض لاحياء الموتى كما اضطربت فى الأولى لموت الاحياء ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان بين النفختين أربعين عاما ويروى أن فى هذه الأربعين يمطر الله الارض ويصير ذلك الماء عليها كالنطف وان ذلك كالسبب للاحياء ولله أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (قلوب يومئذ واجفة) أى قلوب كثيرة وهى قلوب الكفار يوم اذ يقع النفختان شديدة الاضطراب وهذه الجملة مبتدأ وخبر (أبصارها خاشعة) أى أبصار أصحاب هذه القلوب ذليلة (يقولون) منكرين للبعث متعجبين منه (أئنا لمردودون) بعد موتنا (فى الحافرة) أى فى الحالة الأولى وقرأ أبو حيوة فى الحفرة أى أنرد الى ابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا (أئذا كنا عظاما نخرة) أى متفتتة نرد ونبعث مع كون تلك العظام أبعد شىء من الحياة وقرأ حمزة وعاصم ناخرة بألف أى فارغة تمر بها الريح فيسمع لها صوت وقرأ نافع وابن عامر والكسائى اذا على الخبر (قالوا تلك) أى الرجعة الى الحياة (اذا) أى ان رددنا الى الحالة الأولى وصح ذلك (كرة خاسرة) أى رجعة ذات هلاك أى ان الرجعة ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هى زجرة واحدة) أى لا تحسبوا ان تلك الكرة صعبة على الله بل هى سهلة هينة فى قدرته لانها حاصلة بصيحة واحدة من اسرافيل (فاذاهم بالساهرة) أى فاذاهم أحياء على وجه الارض البيضاء المستوية من أرض الآخرة بعد ما كانوا أمواتا فى جوف أرض الدنيا (هل أتاك حديث موسى) أى أليس قد أتاك يا أشرف الخلق حديث موسى هذا ان اعتبرا تيانه قبل هذا الكلام والا فالمعنى هل أتاك يا أكرم الرسل حديثه أنا أخبرك به (اذ ناداه ربه بالواد المقدس) ظرف للحديث (طوى) وهو اسم واد بالشام وهو عند الطور بين ايلة ومصر وانما سميت طوى لكثرة ما مشت عليه الأنبياء قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الطاء غير منون وقرأ الباقون بضم الطاء منونا وروى عن أبى عمرو بكسر الطاء (اذهب الى فرعون) عن الحسن قال كان فرعون علجا من همدان وعنه أيضا كان من أصبهان طوله أربعة أشبار وهو أول من اتخذ القبقاب ليمشى فيه خوفا من ان يمشى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والنازعات) يعنى الملائكة تنزع أرواح الكفار (غرقا) أى اغراقا كما يغرق النازع فى القوس يعنى المبالغة فى النزع (والناشطات نشطا) يعنى الملائكة تقبض نفس المؤمن كما ينشط العقال من يد البعير أى يفتح (والسابحات سبحا) يعنى النجوم تسبح فى الفلك (فالسابقات سبقا) أى أرواح المؤمنين تسبق الى الملائكة شوقا الى لقائه وقيل النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير (فالمدبرات أمرا) يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت يدبر أمر الدنيا هؤلاء الأربعة من الملائكة وجواب هذه الأقسام مضمر على معنى لتبعثن (يوم ترجف الراجفة) أى تضطرب الارض وتتحرك حركة شديدة (تتبعها الرادفة) يعنى نفخة البعث تأتى بعد الزلزلة (قلوب يومئذ واجفة) أى قلقة زائلة عن اماكنها (أبصارها خاشعة) أى ذليلة (يقولون) يعنى منكرى البعث (أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة) أى بالية (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) أى رجعة يخسر فيها فأعلم الله سهولة البعث عليه فقال (فانما هى زجرة واحدة) أى صيحة ونفخة (فاذاهم بالساهرة) يعنى وجه الارض بعد ما كانوا فى بطنها (هل أتاك) يا محمد (حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) اسم ذلك الوادى (اذهب الى فرعون

على لحيته وقال مجاهد كان من أهل اصطخر وقرأ عبدالله أن اذهب لان فى النداء معنى القول (انه طغى) أى تجاوز الحد على الخالق وعلى الخلق فكفر بالله وتكبر على بنى اسرائيل فاستعبدهم (فقل) بعد ما أتيته (هل لك الى أن تزكى) أى هل لك يافرعون سبيل الى أن تصلح فتوحد بالله وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاى (وأهديك الى ربك) أى وهل أدعوك الى معرفة ربك بالبرهان فتعرفه (فتخشى) فان الخشية لاتكون الا بالمعرفة فمن خشى الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر (فأراه الآية الكبرى) أى فذهب موسى الى فرعون فأراه قلب العصا حية (فكذب) فرعون موسى بالقلب واللسان وسمى معجزته سحرا (وعصى) الله تعالى باظهار التمرد بعد ما علم صحة الأمر حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين (ثم أدبر) أى انصرف عن موسى وأعرض عن الايمان (يسعى) أى يجتهد فى مكايدة موسى وفى معارضة الآية (فحشر) أى فجمع السحرة بالشرط للمعارضة (فنادى) فى الجمع بنفسه أو بواسطة المنادى (فقال أنا ربكم الأعلى) أى لارب فوق (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أى فعذبه الله فى الآخرة بالاحراق بالنار وفى الدنيا بالاغراق بالماء وقيل فعاقبه الله بكلمته الآخرة وهى قوله أنا ربكم الأعلى وبكلمته الأولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وكان بينهما أربعون سنة فالله تعالى يمهل ولا يهمل (ان فى ذلك) أى فى قصة فرعون (لعبرة) أى لعظة (لمن يخشى) وذلك أن يدع التمرد على الله تعالى والتكذيب لأنبيائه خوفا من أن ينزل به ما نزل بفرعون وعلما بأن الله تعالى ينصر رسله فاعتبروا يامعاشر المكذبين لمحمد بما ذكرناه (أأنتم أشد خلقا أم السما) أى أأنتم يا أهل مكة فى خلقكم بعد موتكم أصعب فى تقديركم أم خلق السماء على عظمها والوقف هنا تام (بناها) وهذا تفصيل لكيفية خلقها (رفع سمكها) أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض ومقدار ذهابها فى سمت العلو مسافة خمسمائة عام. واعلم ان امتداد الشئ اذا أخذ من أعلاه الى أسفله سمى عمقا واذا أخذ من أسفله الى أعلاه سمى سمكا (فسواها) أى فجعلها مستوية ملساء ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض ولا تفاوت ولا فطور (وأغطش ليلها) أى جعل الليل مظلما (وأخرج ضحاها) أى وأبرز نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانها أكمل أجزاء النهار فى الضوء (والارض بعد ذلك) بألفى سنة (دحاها) أى بسطها على الماء (أخرج منها) أى الارض (ماءها) أى عيونها المنفجرة بالماء وأنهارها الجارى ماؤها (ومرعاها) أى نباتها من العشب والشجر والثمر والحب والعصف والحطب واللباس والدواء حتى النار والملح فان النار من العيدان والملح من الماء واذا تأملت علمت ان جميع ما يتلذذ الناس به فى الدنيا أصله الماء والنبات (والجبال أرساها) أى أثبتها على وجه الارض لتسكن (متاعا لكم ولانعامكم) أى انا خلقنا هذه الأشياء منفعة لكم ولانعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) أى الداهية العظمى أعنى (يوم يتذكر الانسان ماسعى) أى يوم يتذكر كل أحد فيه ما عمله فى الدنيا من خير أو شر بأن يشاهده مدونا فى صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد ويجوز ان يكون يوم بدلا من الطامة الكبرى مبنيا على الفتح لاضافته الى الفعل على رأى الكوفيين (وبرزت الجحيم) عطف على جاءت أى أظهرت الجحيم اظهارا بينا (لمن يرى) فيراها كل ذى بصر من المؤمنين والكفار وقرأ أبو نهيك وبرزت بالتخفيف وقرأ ابن مسعود لمن رأى فعلا ماضيا وقرأ زيد ابن على وعائشة وعكرمة برزت مبنيا للفاعل مخففا وترى بالتاء وهى اما للتأنيث فالضمير للجحيم واما للخطاب أى لمن ترى أنت يا محمد من الكفار الذين يؤذونك وجواب اذا محذوف تقديره انقسم الناس قسمين (فأما من طغى) أى تمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان (وآثر الحياة الدنيا) أى انهمك فيها ولم يستعد للحياة الأخروية بالطاعة (فان الجحيم هى المأوى) له ويقال التقدير فان الجحيم هى

انه طغى) أى جاوز الحد فى الكفر (فقل هل لك الى أن تزكى) أى أترغب فى أى تتطهر من كفرك بالايمان (فأراه الآية الكبرى) أى اليد البيضاء (فكذب) فرعون موسى (وعصى) أمره (ثم أدبر) أعرض عنه (يسعى) فى الأرض بالفساد (فحشر) أى جمع السحرة وقومه (فنادى فقال أنا ربكم الأعلى) أى ليس رب فوقى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أى نكل الله به فى الآخرة بالعذاب وفى الدنيا بالغرق (أأنتم) أيها المنكرون للبعث (أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها) سقفها (فسواها) أى بلا شقوق ولا فطور (وأغطش) أى أظلم (ليلها وأخرج ضحاها) أى أظهر نورها بالشمس (والارض بعد ذلك دحاها) أى بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة (أخرج منها ماءها ومرعاها) يعنى ما ترعاه النعم من الشجر والعشب (والجبال أرساها) أى أثبتها (متاعا لكم) يريد منفعة منى لكم (ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعنى صيحة القيامة وقوله

المأوى اللائق بمن كان موصوفا بهذه الصفات قيل نزلت هذه الآية في النضر وأبيه الحرث (وأما من خاف مقام ربه) أي مقام حضره قربه (ونهى النفس عن الهوى) أي عن الميل الى الحرام الذي يشتهيه (فان الجنة هي المأوى) له قيل نزلت الآيتان في أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله بنفسه حتى استشهد رضي الله عنه وروى الضحاك عن ابن عباس قال أما من طغى فهو أخو مصعب بن عمير أسر يوم بدر وأخذته الانصار فقالوا من أنت قال أنا أخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في الوثاق وأكرموه وبيتوه عندهم فلما أصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ماهو بأخ له شدوا أسيركم فان أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا فأوثقوه حتى تبعث أمه فداءه وأما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله أحتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه لقد رأيته وعليه بردان ماتعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب (يسألونك) ياأشرف الخلق (عن الساعة) على سبيل الاستهزاء حين سمع المشركون وصفها بالأوصاف الهائلة مثل طامة وصاخة وقارعة (أيان مرساها) أي متى اقامتها أي في أي وقت يوجدها الله تعالى (فيم أنت من ذكراها) أي في أي شيء أنت من ان تذكر وقتها لهم (الى ربك منتهاها) أي الى ربك يرجع منتهى علمها لم يؤته أحدا من خلقه (انما أنت منذر من يخشاها) أي انما أنت مخوف من يخاف هولها فالانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو جعفر وطلحة وابن محيصن منذر بالتنوين وهو الأصل وحذف التنوين للتخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضي فلا يجوز الا الاضافة (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحاها) وهذا اما تأكيد لما يدل عليه الانذار من سرعة مجيء المنذر به أي كأن كفار قريش يوم يعاينون الساعة لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد أوضحاه واما رد لما أدمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عن الساعة بطريق الاستبطاء مستعجلين بها ويقولون متى هذا الوعد فالمعنى كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية هي من الزوال الى الغروب أوضحى يومها واعتبار كون اللبث بعد الانذار أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد الاستبطائهم

﴿ سورة عبس وتسمى سورة الاعمى وسورة السفرة مكية وهي احدى وأربعون آية . ومائة وثلاث وثلاثون كلمة . وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عبس) أي كلح النبي وجهه وقرئ بالتشديد للمبالغة (وتولى) أي أعرض بوجهه لأجل (أن جاءه الاعمى) اسمه عبد الله ابن أم مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك الفهري وأم مكتوم كانت أم أبيه واسمها عاتكة بنت عامر المخزومي وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يارسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت هذه الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة (ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى) أي أي شيء يجعلك ياأشرف الخلق داريا بحال هذا الاعمى حتى تعرض عنه لعله يتطهر بما يقتبس منك من الاثم

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها) أي وقوعها وثبوتها قال الله تعالى (فيم أنت) يامحمد (من ذكراها) أي ليس عندك علمها (الى ربك منتهاها) أي منتهى علمها (انما أنت منذر من يخشاها) أي انما ينفع انذارك من يخشاها (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا) في قبورهم (الا عشية أو ضحاها) أي نهارها استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول

﴿تفسير سورة عبس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عبس) أي كلح (وتولى) أي أعرض (ان جاءه الأعمى) وهو عبد الله بن أم مكتوم أتى النبي ﷺ وهو يدعو أشراف قريش الى الاسلام فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدرى أنه مشتغل حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ فعبس وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآيات (وما يدريك لعله يزكى) أي لعل الأعمى يتطهر من ذنوبه بالاسلام وذلك انه أتاه يطلب الاسلام ويقول له علمني مما علمك الله (أو يذكر) أي يتعظ (فتنفعه الذكرى) أي الموعظة ثم عاتبه عز وجل فقال

أو يتعظ فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التطهر التام وقرأ عاصم بنصب فتنفعه على جواب لعل (أمامن استغنى) عن الايمان والقرآن بماله من المال (فأنت له تصدى) أي تقبل عليه بوجهك وتميل الى كلامه وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد وقرأ أبو جعفر بضم التاء أي فأنت يدعوك داع الى التصدى لمن الحرص على اسلامه (وماعليك ألا يزكى) ومااما نافية والجملة حال من ضمير تصدى أي والحال أنه ليس عليك بأس في عدم تطهره من الشرك بالاسلام واما استفهامية للانكار أي وأي شيء عليك في كونه لا يتطهر من دنس الكفر (وأمامن جاءك يسعى) أي حال كونه يسرع في طلب الخير (وهو يخشى) من الله أي وهو مسلم (فأنت عنه تلهى) أي تتشاغل بصناديد قريش وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ أبو جعفر تلهى أي يلهيك شأن الصناديد (كلا) أي لا تفعل مثل ذلك أي وذلك محمول على ترك الاولى (انها تذكرة) أي ان القرآن موعظة (فمن شاء ذكره) أي فمن رغب في القرآن اتعظ به ومن لم يرده فلا حاجة الى الاهتمام بأمره (في صحف) أي ذلك القرآن مثبت في صحف منتسخة من اللوح المحفوظ (مكرمة) عند الله تعالى (مرفوعة) في السماء السابعة (مطهرة) أي منزهة عن مساس أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) أي ملائكة يكشفون الوحي بين الله ورسله أو يكتبون الكتب ناقلين من اللوح المحفوظ (كرام) أي عند الله تعالى (بررة) أي صادقين لله في أعمالهم وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة وقوله بأيدى متعلق بمطهرة قال القفال لما لم يمس الصحف الا الملائكة المطهرون أضيف التطهر اليها لطهارة من يمسها (قتل الانسان) أي لعن الكافر (ما أكفره) أي أي شيء أكفره وهو تعجب من افراطه في الكفران والتعجب بالنسبة للمخلوقين والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرناه بعد هذا (من أي شيء خلقه) وهذا استفهام تقرير في التحقير أي فليتفكر الانسان في نفسه من أي شيء خلقه الله ثم بين الله له فقال (من نطفة) أي ماء حقير (خلقه) فمن كان أصله مثل هذا الشيء الحقير فالتكبر لا يكون لائقا به (فقدره) أي فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء أو فقدره أطوارا نطفة ثم علقة الى أن تم خلقه (ثم السبيل يسره) أي ثم سهل الله خروجه من بطن أمه وكان رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجلاه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فخروجه حيا من ذلك المنفذ الضيق من أعجب العجائب أو ثم بين طريق الخير والشر التي تتعلق بالدنيا والتي تتعلق بالدين (ثم أماته) بعد ذلك (فأقبره) أي جعله الله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له (ثم اذا شاء أنشره) أي بعثه من القبر (كلا) أي لا تتكبر ولا تصر على انكار التوحيد وعلى انكار البعث أو حقا يا محمد (لما يقض ما أمره) أي لم يعمل الانسان الكافر بما أمره الله به من التأمل في دلائل الله والتدبر في عجائب خلقه و بينات حكمته (فلينظر الانسان الى طعامه) الذى جعله الله سببا لحياته كيف دبر الله أمره (أنا صببنا الماء) أي الغيث على الأرض (صبا) قرأ عاصم وحمزة والكسائى أنا بفتح الهمزة على انه بدل اشتمال من طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه والباقون بالكسر على الاستئناف وقرئ أنى بالامالة أي كيف صببنا الماء صبا عجيبا (ثم شققنا الأرض) بالنبات (شقا) بديعا لائقا به (فأنبتنا فيها) أي الارض (حبا) وهو كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما (وعنبا) وهو غذاء من وجه وفاكهة من وجه (وقضبا) قيل هو كل ما يقطع من البقول وقال الحسن هو العلف للدواب وقال ابن عباس هو الرطب

(أمامن استغنى) أي أثرى من المال (فأنت له تصدى) أي تقبل عليه وتتعرض له (وماعليك الا يزكى) أي أي شيء عليك في أن لا يسلم لانه ليس عليك اسلامه انما عليك الابلاغ (وأمامن جاءك يسعى) وهو الأعمى (وهو يخشى) أي يخشى الله (فأنت عنه تلهى) يعني تتشاغل (كلا) ردع وزجر أي لا تفعل مثل ما فعلت (انها) أي ان آيات القرآن (تذكرة) أي تذكير للخلق (فمن شاء ذكره) يعني القرآن ثم أخبر بجلالته في اللوح المحفوظ عنده فقال (في صحف مكرمة مرفوعة) أي رفيعة القدر (مطهرة) أي لا يمسها الا المطهرون (بأيدى سفرة) أي كتبة وهم الملائكة (كرام بررة) جمع بار (قتل الانسان) أي لعن الكافر يعني عتبة بن ابي لهب (ما أكفره) أي ما أشد كفره (من أي شيء خلقه) استفهام معناه التقرير ثم فسر فقال (من نطفة خلقه فقدره) اطوارا من علقة ومضغة الى ان خرج من بطن أمه وهو قوله (ثم السبيل يسره) أي طريق خروجه من بطن امه (ثم أماته) أي قبض روحه (فأقبره) أي جعل له قبرا يوارى فيه ولم يجعله ممن يلقى للسباع (ثم اذا شاء أنشره كلا) أي حقا (لما يقض) أي لم يقض هذا الكافر (ما أمره) يعني ما امره به ربه (فلينظر الانسان الى طعامه) يريد كيف قدره ربه ودبره فانه له (انا صببنا الماء صبا) يعني المطر من السحاب ثم شققنا الأرض شقا) يعني بالنبات (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا) وهو القت الرطب

فانه يقطع من النخل (وزيتونا) وفيه اصلاح الزاج (ونخلا وحدائق غلبا) أي بساتين ملتفة الأشجار أو طوال الأشجار (وفاكهة) وهي ما تأكله الناس من ثمار الأشجار (وأبا) وهو ما تأكله الدواب من الكلأ (متاعا لكم ولأنعامكم) أي فعل الله ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت الصاخة) اى صيحة النفخة الثانية التي تصم الآذان لشدتها (يوم يفر المرء من أخيه) ويوم اما منصوب بأعني تفسيرا للصاخة أو بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي الكوفيين أي يعرض عن أخيه (وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) وفائدة هذا الترتيب كأنه قيل يوم يعرض المرء عن أخيه بل عن أبويه اللذين هما أقرب من الأخ بل عن الزوجة والولد اللذين تعلق القلب بهما أشد من تعلقه بالأبوين وجواب اذا محذوف تقديره اشتغل كل امرئ بحال نفسه ويدل عليه قوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ) أي يوم اذ تكون هذه الداهية (شأن يغنيه) أي شغل يكفيه في الاهتمام به أو عمل يصرفه عن قرابته كما قاله ابن قتيبة وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أي يهمه أي يوقعه في الهم (وجوه يومئذ مسفرة) أي مضيئة من صلاة الليل كما قاله ابن عباس أو من آثار الوضوء كما قاله الضحاك أو بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بالرحمة ومنازل الرضوان كما قاله الرازي (ضاحكة) أي معجبة بكرامة الله أو مسرورة بالفراغ من الحساب (مستبشرة) أي فرحة بما تشاهده من النعيم الدائم والثواب الجسيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي كدورة (ترهقها) أي تدركها عن قرب (قترة) أي سواد كالدخان (أولئك) أي أصحاب هذه الوجوه (هم الكفرة الفجرة) أي الجامعون بين الكفر بالله والكذب على الله

﴿ سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية . ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا الشمس كورت) أي لفت أي صارت مختفية عن الأعين وقيل أي رميت عن الفلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما تكويرها ادخالها في العرش (واذا النجوم انكدرت) اى تساقطت على وجه الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأيدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الأرض تساقطت من أيديهم (واذا الجبال سيرت) عن وجه الأرض بالرجفة (واذا العشار) أي النوق الحوامل التي هي أنفس ما يكون عند أهلها (عطلت) أي تركت من غير راع لاشتغال أربابها بأنفسهم وقيل أي واذا السحب تعطلت عن الماء وقرئ عطلت بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) أي جمعت من كل جانب لا للقصاص وقيل بعثت للقصاص اظهارا للعدل قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد (واذا البحار سجرت) أي ملئت من الماء فيفيض بعضها الى بعض فتصير شيئا واحدا ثم تيبس البحار من الماء ثم تقلب نارا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الجيم وهذه العلامات الستة يمكن وقوعها في أول زمان تخريب الدنيا أما الستة الباقية فانها مختصة بالقيامة وهي ما ذكر بقوله تعالى (واذا النفوس زوجت) أي ردت الأرواح الى أجسادها وقال ابن عباس زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقال الزجاج قرنت النفوس بأعمالها (واذا الموءودة

(لكم ولأنعامكم فاذا جاءت الصاخة) أي صيحة القيامة (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) يعني لا يلتفت الى واحد منهم لشغله بنفسه وهو قوله (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي يشغله عن شأن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) أي مضيئة (ضاحكة مستبشرة) أي فرحة (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي غبار (ترهقها) أي تغشاها (قترة) أي ظلمة وسواد (أولئك) أي أهل هذه الحال (هم الكفرة الفجرة)

﴿ تفسير سورة التكوير ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا الشمس كورت) أي ذهب ضوؤها (واذا النجوم انكدرت) أي تساقطت وتناثرت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا (واذا العشار) يعني النوق الحوامل (عطلت) سيبت وأهملت يتركها أربابها ولم يكن مال أعجب اليهم منها لاتيان ما يشغلهم عنها (واذا الوحوش حشرت) أي جمعت للقصاص (واذا البحار سجرت) أي أوقدت فصارت نارا (واذا النفوس زوجت) أي قرن كل واحد بمن يعمل عمله فالحق الفاجر بالفاجر والصالح بالصالح وقيل قرنت الأجساد بالأرواح (واذا الموءودة) وهي الجارية تدفن حية

(سئلت بأى ذنب قتلت) وسؤالها تو بيخ لوائدها لأنها تقول قتلت بغير ذنب وهذا كقوله لعيسى أأنت قلت للناس الآية (واذا الصحف) وهى كتب الأعمال (نشرت) أى بسطت (واذا السماء كشطت) أى قلعت كما يكشط الغطاء عن الشئ (واذا الجحيم سعرت) أى أوقدت (واذا الجنة أزلفت) أى قربت لأهلها حتى يروها (علمت نفس) أى اذا كانت هذه الأشياء التى تكون فى القيامة علمت أى فى ذلك الوقت كل نفس (ما أحضرت) من عمل (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس) وهى النجوم الخمسة تخنس أى ترجع فى مجراها وراءها وتكنس أى تدخل كناسها أى تغيب فى المواضع التى تغيب فيها فهى الكنس جمع كانس (والليل اذا عسعس) يعنى أقبل بظلامه وقيل أدبر (والصبح اذا تنفس) أى امتد حتى يصير نهارا بينا (انه لقول رسول كريم) أى ان القرآن لتنزيل جبريل عليه السلام (ذى قوة) من صفة جبريل (عند ذى العرش) أى عند الله (مكين) أى ذى مكانة ومنزلة (مطاع ثم) أى تطيعه الملائكة فى السماء (أمين) على الوحى (وما صاحبكم) يعنى محمدا ﷺ (بمجنون) كما زعمتم (ولقد رآه) أى رأى جبريل عليه السلام فى صورته (بالأفق المبين) وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق (وما هو) يعنى محمدا (على الغيب) أى على الوحى وخبر السماء (بظنين) أى بمتهم أى هو الثقة بما يؤديه عن الله تعالى

سئلت) أى واذا البنت المدفونة حية سئلت تبكيتا لمن دفنها فى القبر وهى حية (بأى ذنب قتلت) أى هى وذلك كأن قيل للموءودة ان القتل لا يجوز الا لذنب عظيم فما ذنبك أيتها البنت فكان جوابها أنى قتلت بغير ذنب فيفتضح القاتل وقرئ قتلت بكسر التاء المخاطبة مع قراءة سئلت بقراءة الجمهور وقرئ سألت بالبناء للفاعل أى خاصمت أباها أو سألت الله تعالى وهذه القراءة مع قراءة قتلت بضم التاء للمتكلم و بسكونها على التأنيث فالقراآت الشاذة ثلاثة (واذا الصحف نشرت) أى واذا صحف الأعمال فرقت بين أصحابها عند الحساب وتطايرت فى الأكف وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الشين والباقون بتشديدها (واذا السماء كشطت) أى أزيلت عما فوقها وهى الجنة وعرش الله وقرأ ابن مسعود قشطت (واذا الجحيم سعرت) أى أوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها (واذا الجنة أزلفت) أى قربت من المتقين وقال عبد الله بن زيد أى زينت (علمت نفس ما أحضرت) أى ما قدمت من خير أو شر فان الأعمال لما عملتها النفس فكأنها أحضرتها فى الموقف (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) لا زائدة أى فاقسم بالكواكب الرواجع من آخر الفلك الى أوله التى تجرى مع الشمس والقمر التى تختفى تحت ضوء الشمس وهى هذه الأنجم الخمسة بهرام و زحل وعطارد والزهرة والمشترى ليس فى الكواكب شئ يقطع المجرة غيرها كما أخرجه ابن أبى حاتم عن على بن أبى طالب (والليل اذا عسعس) أى ذهب (والصبح اذا تنفس) أى أضاء (انه لقول رسول كريم) أى ان هذا الذى أخبركم به محمد من أمر الساعة على ما ذكر فى هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال انما هو قول جبريل أتاه به وحيا من عند الله تعالى أو ان القرآن لقول جبريل نزل به الى محمد من جهة الله تعالى فهو رسول الله الى الأنبياء وهو كريم لأنه يعطى أفضل العطايا وهو الهداية (ذى قوة) أى شدة روى أنه ﷺ قال لجبريل ذكر الله قوتك فما اذا بلغت قال رفعت قريات قوم لوط الأربع على قوادم جناحى حتى اذ سمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الدجاج قلبتها وذكر مقاتل أن الأبيض وهو شيطان قصد أن يفتن النبى صلى الله عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة رفيقة وقع بها من مكة الى أقصى الهند (عند ذى العرش مكين) أى ذى جاه عند الله تعالى فانه يعطى ما يسئل وهذه العندية عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان وجهة (مطاع ثم) أى فى السموات فتطيعه الملائكة فانهم يصدرون عن أمره و يرجعون الى رأيه (أمين) على وحى الله و رسالته قد عصمه الله من الخيانة والزلل (وما صاحبكم) أى نبيكم محمد يا معشر قريش (بمجنون) كما زعمتم والمقصود من عد فضائل جبريل واقتصار النبى ﷺ على نفى الجنون رد قول الكفرة فى حقه ﷺ انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا الموازنة بينهما ولا تفضيل جبريل على النبى ثم انك اذا أمعنت النظر وقفت على أن اجراء تلك الصفات على جبريل فى هذا المقام ادماج لتعظيم رسول الله ﷺ وأنه صلى الله عليه وسلم بلغ من علو المنزلة عند الله تعالى بجعل السفير بينه و بينه تعالى مثل هذا الملك المقرب فهذه الصفات التى لجبريل رفع منزلة له صلى الله عليه وسلم (ولقد رآه بالأفق المبين) أى و بالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام بمطلع الشمس الأعلى على صورته التى خلق عليها (وما هو على الغيب بضنين) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالظاء المشالة أى وما محمد بمتهم فى القرآن بل هو ثقة فيما يؤدى عن الله تعالى وقرأ الباقون بالضاد

اى

(وماهو) يعني القرآن (بقول شيطان رجيم فأين تذهبون) اى فأى طريق تسلكون أين من هذه الطريقة التي بينت لكم (ان هو الاذكر) اى ليس القرآن الاعظة (للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم)

اى يتبع الحق و يعمل به ثم أعلمهم انهم

أى وما محمد ببخيل بالقرآن بل يخبر بما فى القرآن من أخبار الغيب ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا (وماهو بقول شيطان رجيم) اى وما القرآن بقول مسترق للسمع اسمه مرمى فيلقيه على محمد وهذا نفى لقول أهل مكة ان هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسان محمد وأنه كهانة وسحر (فأين تذهبون) اى فمن أى طريق تسلكون فى انكاركم القرآن أمن نسبته الجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) أى ما القرآن الا عظة للانس والجن (لمن شاء منكم أن يستقيم) اى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب فان القرآن انما ينتفع به من شاء أن يستقيم (وماتشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين) اى الا أن يشاء الله أن يعطيه تلك المشيئة ففعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الارادة فأفعال العباد فى طرفى ثبوتها وانتفائها موقوفة على مشيئة الله

﴿سورة الانفطار مكية تسع عشرة آية . وثمانون كلمة . وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انفطرت) اى انشقت لنزول الملائكة (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت متفرقة على وجه الارض (واذا البحار فجرت) اى فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالأجاج وصارت البحار بحرا واحدا وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف اى تجاوز بعضها الى بعض وقرأ مجاهد أيضا والربيع بن خثيم والزعفرانى والثورى فجرت مبنيا للمفعول ومخففا أى غير بعضها ببعض لزوال البرزخ (واذا القبور بعثرت) اى قلب أسفلها أعلاها وأخرج مافيها من الموتى أحياء (علمت نفس ماقدمت) اى أدت من طاعة (وأخرت) اى ضيعت وذلك عند نشر الصحف (يأيها الانسان ماغرك بربك الكريم) اى ما الذى خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات وأتيت بالمحرمات وقرأ سعيد بن جبير والأعمش ماأغرك رباعيا فاحتمل أن تكون ما استفهامية وأن تكون تعجبية أى أى شئ جعلك آمنا من عقاب ربك أوشئ عظيم يتعجب منه أدخلك فى غرة اى أمن من العذاب (الذى خلقك) نسمة من نطفة (فسواك) اى جعلك سالم الأعضاء مهيأ لمنافعها (فعدلك) وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بتخفيف الدال اى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت كما قاله أبو على الفارسى أوفصرفك الى اى صورة شاء وقرأ الباقون بالتشديد اى صيرك متناسب الأعضاء فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع وقال عطاء عن ابن عباس اى جعلك معتدل القامة حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية (فى أى صورة ماشاء ركبك) وما زائدة وشاء صفة لصورة وركبك بيان لقوله تعالى فعدلك اى وضعك فى صورة اقتضتها مشيئته من حسن وقبح وطول وقصر وذكورة وأنوثة (كلا) أى ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وانكم لاترتدعون عن ذلك (بل تكذبون) يامعشر قريش (بالدين) اى بالجزاء على الاعمال (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون اى تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا الحافظين لأعمالكم (كراما) عندنا (كاتبين) لهذه الاعمال فى الصحف كما تكتب الشهود منكم العهود ليقع الجزاء على غاية التقويم (يعلمون ماتفعلون) من الأفعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك (ان الأبرار) اى الصادقين فى ايمانهم (لفى نعيم)

لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله تعالى فقال (وماتشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين)

﴿تفسير سورة الانفطار﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت (واذا البحار فجرت) يعني فتح بعضها فى بعض فصارت بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) اى قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها (علمت نفس ماقدمت) من عمل اى أمرت به (و ما (أخرت) منه فلم تعمله (يأيها الانسان ماغرك بربك الكريم) اى ما خدعك وسول لك حتى أضعت ما أوجب عليك (الذى خلقك فسواك) اى جعلك مستوى الخلق (فعدلك) اى قومك وجعلك معتدل الخلق والقامة (فى أى صورة ماشاء ركبك) اما طويلا واما قصيرا واما حسنا واما قبيحا (كلا بل تكذبون بالدين) اى بالمجازاة بالأعمال (وان عليكم لحافظين) يحفظون أعمالكم (كراما) اى على الله (كاتبين) يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ماتفعلون) اى لايخفى عليهم شئ من أعمالكم (ان الأبرار) اى الصادقين فى ايمانهم (لفى نعيم)

أى لفى جنة دائم نعيمها (وان الفجار) اى الكافرين المكذبين بيوم الدين (لفى جحيم) اى فى نار عظيمة (يصلونها) اى يدخلونها (يوم الدين) اى يوم الحساب (وماهم عنها بغائبين) طرفة عين حتى قبل الدخول فيها فانهم يجدون سمومها فى قبورهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين) اى اى شئ عجيب هو فى الهول والفظاعة جعلك دار يامايوم الدين وما الاستفهامية خبر ليوم الدين فان مدار الافادة هو الخبر (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع يوم وقرأ أبو عمرو فى رواية يوم مرفوعا منونا على جعل الجملة بعده نعتاله والعائد محذوف اى لاتملك فيه وقرأ الباقون يوم بالفتح وهى اما فتحة اعراب باضمار اذكر أو فتحة بناء وانما بنى لاضافته للفعل وان كان معربا على رأى الكوفيين ويكون خبرا لمبتدا مضمر وقال أبو على ان اليوم لما جرى فى أكثر الأمر ظرفا ترك على حالة الأكثرية ومما يقوى النصب قوله تعالى وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله تعالى يسألون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون قال الواحدى والمعنى أن الله تعالى لم يملك فى ذلك اليوم أحدا شيئا من الأمور كما ملكهم فى دار الدنيا (والأمر يومئذ لله) قال الواسطى قوله يوم لاتملك نفس لنفس شيئا اشارة الى فناء غير الله تعالى وهناك تذهب الرسالات والكلمات وقوله والأمر يومئذ لله اشارة الى أن البقاء لله والأمر كذلك فى الازل وفى اليوم وفى الآخرة ولم يتغير من حال الى حال فالتفاوت عائد الى أحوال الناظر لا الى أحوال المنظور اليه فالكاملون لاتتفاوت أحوالهم بحسب تفاوت الأوقات

﴿ سورة التطفيف وتسمى سورة المطففين نزلت بين مكة والمدينة فى مهاجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاستتمت بالمدينة . وهى ست وثلاثون آية . ومائة وتسع وتسعون كلمة . وسبعمائة وثمانون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل للمطففين) أى شدة العذاب للناقصين فى الكيل والميزان بالشئ القليل على سبيل الخفية روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلا فنزلت هذه الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك قال الفراء فهم أوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال قوم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف بأبى جهينة واسمه عمرو كان له صاعان يأخذ بواحد ويعطى بآخر فنزلت (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) أى اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا حسب ماأرادوا بأى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه (واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) اى واذا كالوا مكيلهم أو وزنوا موزونهم للبيع ونحوه ينقصون فى الكيل والوزن ويروى عن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يجعلان الضميرين توكيدا لما فى كالوا ووزنوا ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ماأرادوا أى اذا كالوا هم لغيرهم أو وزنوا هم لغيرهم ينقصون واثبات الألف قبل هم لولم يكن معتادا فى زمان الصحابة لمنع من اثباتها فى سائر الأعصار (ألا يظن أولئك) اى ألا يوقن أولئك المطففون بالكيل والوزن (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) اى شديد هوله (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) أى لحكمه روى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقوم أحدكم فى رشحه الى أنصاف أذنيه وقرئ يوم بالنصب والجر فالنصب منصوب بقوله تعالى مبعوثون أو باضمار أعنى والجر بدل من يوم عظيم أو هو حالة النصب مبنى على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين فهو مرفوع المحل خبرا لمبتدا مضمر أو مجرور المحل بدلا من يوم عظيم ويؤيده القراءة

وان الفجار) الكفار (لفى جحيم يصلونها) أى يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) أى بمخرجين ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لاتملك نفس لنفس شيئا) أى لاتملك أن تنجيها من العذاب (والأمر يومئذ لله) وحده لم يملك أحدا أمرا فى ذلك اليوم كما ملك فى دار الدنيا

﴿ تفسير سورة المطففين ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن (الذين اذا اكتالوا) أى أخذوا بالكيل (على الناس) اى من الناس (يستوفون) أى يأخذون حقوقهم وافية (واذا كالوهم) أى كالوا لهم (أو وزنوهم) اى وزنوا لهم (يخسرون) اى ينقصون (ألا يظن أولئك) اى ألا يستيقن أولئك الذين يفعلون ذلك (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعنى يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) والمعنى انهم لو أيقنوا بالبعث مافعلوا ذلك

بالرفع والجر (كلا) أي ارتدعوا عن التطفيف والغفلة عن ذكر البعث وعلى هذا اللفظ يوقف على كلا أو كلا بمعنى حقا فلا يوقف عليه وكذا جميع ما يأتي من كلا في هذه السورة (ان كتاب الفجار لفي سجين) أي ان كتابة أعمال الكفار لفي سجين وهو موضع في الارض السابعة السفلى (وما أدراك ماسجين) وهذا تعظيم لامر سجين (كتاب مرقوم) أي ان كتاب الفجار كتاب معلم فيعلم من رآه أنه لاخير فيه (ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) أي الجزاء (وما يكذب به) أي بذلك اليوم (الا كل معتد) أي متجاوز عن المنهج الحق (أثيم) أي مبالغ في ارتكاب الاثم (اذا تتلى عليه آياتنا) أي القرآن (قال أساطير الأولين) أي هذه أخبار الأولين فان محمدا أخذ عنهم لا من الله تعالى فينكر النبوة (كلا) أي حقا (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أي ليس الامر كما يقوله الكافر من أن ذلك أساطير الأولين بل غطى على قلوبهم أفعالهم الماضية من الكفر والمعاصي قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه (كلا) أي حقا يا محمد (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي ان المكذبين بيوم الدين لممنوعون يوم القيامة عن النظر الى ربهم والمؤمنون لايحجبون عن النظر الى ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) أي لداخلو النار العظيمة (ثم) اذا دخلوها (يقال) لهم من جهة الزبانية (هذا الذي كنتم به تكذبون) أي هذا العذاب هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا والآن قد عاينتموه فذوقوه (كلا) أي لا تكذبوا البعث وكتاب الله أو حقا (ان كتاب الابرار لفي عليين) أي ان كتابة أعمال الصادقين في ايمانهم لفي عليين (وما أدراك ماعليون) وهذا تنبيه له صلى الله عليه وسلم على أنه معلوم له (كتاب مرقوم) أي ان كتاب أعمالهم موضوع في عليين مكتوب في لوح من زبرجد أخضر معلق تحت عرش الرحمن (يشهده المقربون) أي يشهد الملائكة المقربون ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين كرامة للمؤمنين أو يشهدون بما فيه يوم القيامة لتعظيمه (ان الابرار لفي نعيم) أي في جنة دائم نعيمها (على الأرائك) أي الاسرة في الحجال (ينظرون) الى ماشاءوا مد أعينهم اليه من أنواع النعيم والعذاب للكفار (تعرف) يامن يتأتى منك المعرفة (في وجوههم نضرة النعيم) أي بهجة التنعم ورونقه من النور والضحك وقرأ أبو جعفر وابن أبي اسحق وشيبة وطلحة ويعقوب والزعفراني تعرف مبنيا للمفعول ورفع نضرة وعلي بن زيد كذلك الا أنه قرأ يعرف بالياء التحتية (يسقون من رحيق) أي شراب خالص (مختوم) أي يختم رأس قارورة ذلك الرحيق أوله ختام أي عاقبة (ختامه مسك) أي الذي يختم به رأس الاناء هو المسك أو عاقبته المسك أي يختم له برائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء بعد الألف وروى عنه أيضا كسر التاء والمعنى خاتم رائحة ذلك الشراب مسك (وفي ذلك) أي الرحيق (فليتنافس المتنافسون) أي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أي وما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم سميت هذه العين بالتسنيم لانها أرفع شراب في الجنة أو لأنها تأتيهم من فوق (عينا يشرب بها المقربون) وهم أفضل أهل الجنة كما أن التسنيم هو أفضل

(كلا) ردع وزجر أي ليس الأمر على ماهم عليه فليرتدعوا (ان كتاب الفجار) الذي فيه أعمالهم كتاب مرقوم أي مكتوب مثبت عليهم في سجين أي في أسفل السبع الارضين وهو محل ابليس وجنده (وما أدراك ماسجين) أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت وقومك وقوله (كتاب مرقوم) مؤخر معناه التقديم لان التقدير كما ذكرنا ان كتاب الفجار كتاب مرقوم في سجين وقوله (كلا بل ران) أي غلب (على قلوبهم) حتى غمرها وغشيها (ما كانوا يكسبون) من المعاصي وهو كالصدأ يغشي القلب (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي يحجبون عن الله فلا يرونه (ثم انهم لصالوا الجحيم) أي لداخلو النار (ثم يقال هذا) العذاب (الذي كنتم به تكذبون) في الدنيا (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين) أي في السماء السابعة تحت العرش (وما أدراك) أي وما الذي أعلمك يا محمد (ماعليون) أي كيف هي وايش صفتها (كتاب مرقوم) يعني كتاب الابرار كتاب مرقوم (يشهده المقربون) يعني تحضره الملائكة لان عليين محل الملائكة وقوله (على الأرائك ينظرون) أي الى ماقد أعطاهم الله من النعيم والكرامة (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي غضارته وبريقه (يسقون من رحيق) وهو الخمر الصافية (مختوم ختامه مسك) يعني اذا فني مافي الكأس وانقطع الشرب انختم ذلك الشراب برائحة المسك (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله (ومزاجه) أي ويمزج ذلك الشراب (من تسنيم) وهو عين ماء تجري من جنة عدن وهي أعلى الجنان ثم فسره فقال (عينا يشرب بها) أي يشربها (المقربون

ان الذين أجرموا) أى أشركوا يعنى أباجهل وأصحابه (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) يعنى فقراء المؤمنين يضحكون استهزاء بهم (واذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضا و يشيرون اليهم (واذا انقلبوا) رجعوا (الى أهلهم) أى أصحابهم وذويهم (انقلبوا فاكهين) أى معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكر المؤمنين (واذا رأوهم) أى واذا رأوا المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا) يعنى الكفار (عليهم) أى على المؤمنين (حافظين) لأعمالهم موكلين بأحوالهم (فاليوم) يعنى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) كما ضحكوا منهم فى الدنيا (على الأرائك ينظرون) اليهم كيف يعذبون (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) أى هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا

﴿تفسير سورة الانشقاق﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انشقت) تشقق السماء يوم القيامة (وأذنت لربها) أى سمعت أمر ربها بالانشقاق (وحقت) أى وحق لها ان تسمع وتطيع (واذا الارض مدت) من أطرافها فزيد فيها كما يمد الأديم (وألقت ما فيها) أى ما فى بطنها من الموتى والكنوز (وتخلت) أى وخلت يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) أى عامل لربك عملا (فملاقيه) أى فملاق عملك والمعنى اذا كان يوم القيامة لقى الانسان عمله (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف

أنهار الجنة قال ابن عباس أشرف شراب أهل الجنة هو تسنيم لانه يشربه المقربون صرفا و يمزج لأصحاب اليمين (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أى ان أكابر المشركين كأبى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى كانوا يضحكون من أجل فقراء المؤمنين كعمار وصهيب و بلال وخباب (واذا مروا) أى فقراء المؤمنين يأتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (بهم) أى بالمشركين وهم فى أنديتهم (يتغامزون) أى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء و يعيبونهم و يقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون أنفسهم و يحرمونها لذاتها و يخاطرون بأنفسهم فى طلب ثواب لا يتيقنونه قيل جاء على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت هذه الآية قبل أن يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين) أى واذا رجع الكفار من مجالسهم الى أهلهم رجعوا معجبين بما هم عليه من الشرك والتنعم بالدنيا أو ملتذين بذكر المسلمين بالسوء وقرأ عاصم فى رواية حفص عنه فكهين بغير ألف فى هذا الموضع وحده والباقون بالألف (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين) أى واذا رأى المجرمون المؤمنين أينما كانوا قالوا ان هؤلاء المؤمنين على ضلال فى تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود أم لا والحال أن الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم أحوالهم بل انما أمروا باصلاح أنفسهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أى فيوم القيامة يضحك المؤمنون على الكفار حين يرونهم مغلولين أذلاء (على الأرائك ينظرون) وهذا حال من فاعل يضحكون أى يضحك المؤمنون على الكفار ناظرين حال كونهم على سرر الحجال اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) وهذا على سبيل التهكم والمعنى كأنه تعالى يقول للمؤمنين هل جازينا الكفار على عملهم الذى كان من جملته ضحكهم بكم واستهزاؤهم بشريعتكم كما جازيناكم على أعمالكم الصالحة فيكون هذا القول زائدا فى سرورهم

﴿ سورة الانشقاق مكية خمس وعشرون آية. ومائة وتسع كلمات. وسبعمائة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا السماء انشقت) من المجرة بالغمام والمجرة هى البياض المعترض فى السماء (وأذنت لربها) أى انقادت لتأثير قدرته (وحقت) أى وهى حقيقة بأن تنقاد (واذا الارض مدت) مد الاديم العكاظى وزيدت فى سعتها (وألقت ما فيها) أى رمت بما فى جوفها من الموتى والكنوز (وتخلت) أى وخلت غاية الخلو حتى لم يبق فى باطنها شىء (وأذنت لربها) أى انقادت له فى الالقاء والتخلى (وحقت) أى وهى حقيقة بذلك وقوله تعالى وأذنت لربها يدل على نفوذ القدرة فى شق السماء و بسط الارض واخلاء ما فيها من غير ممانعة أصلا وجواب اذا محذوف تقديره علمت نفس عملها أو ليذهب الوهم الى كل شىء وان جعلت غير شرطية فهو منصوب باذكر مقدرا (يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) أى يا ابن آدم انك متعب النفس فى العمل فى دنياك تعبا حتى ترجع به الى ربك فى الآخرة فملاق ذلك العمل خيرا كان أو شرا فى الكتاب الذى فيه بيانه (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف

يحاسب

يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا) أى فأما من أعطى كتاب عمله الذى كتبته الملائكة بيمينه من أمامه فسوف يحاسب حسابا هينا وهو العرض ويرجع الى عشيرته المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرأوا كتابى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا) أى وأما من أعطى كتاب عمله بشماله من وراء ظهره فسوف يتمنى الهلاك وينادبه بقوله يا ثبوراه تعال وهذا أوانك (ويصلى سعيرا) أى ويدخل نارا وقودا وقرأ أبو عمرو وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام وقيل قرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو بضم الياء وسكون الصاد والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام (انه كان فى أهله) أى فيما بين عشيرته فى الدنيا (مسرورا) بما هو عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك ممن آمن بالله وصدق بالحساب وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (انه ظن أن لن يحور) أى انه ظن أنه لن يرجع فى الآخرة الى خلاف ما هو عليه فى الدنيا من السرور والتنعم (بلى) ان الله تعالى يبدل سروره بغم لا ينقطع وتنعمه ببلاء لا يزول (ان ربه كان به بصيرا) أى ان ربه كان عالما بعمله من الكفر والمعاصى فلم يهمله بأن لا يعاقبه على سوء أعماله وقيل نزلت هاتان الآيتان فى أبى سلمة بن عبد الاسد وأخيه الاسود (فلا أقسم بالشفق) وهو حمرة المغرب بعد غروب الشمس وهى الأثر الباقى فى الافق من الشمس والفاء فى جواب شرط مقدر ولا زائدة أو نفى وهو رد لكلام قبل القسم أى اذا عرفت هذا فلا تظن عدم الرجوع الى الله فى الآخرة (والليل وما وسق) أى جمع فاذا ستر الليل بظلمته الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فقد جمعها وحملها (والقمر اذا اتسق) أى تكامل وذلك فى ثلاث ليال ليلة ثلاثة عشر وليلة أربعة عشر وليلة خمسة عشر (لتركبن طبقا عن طبق) أى لتحولن يا أيها الانسان حالا بعد حال وذلك من حين خلقهم الله الى أن يموتوا ومن حين موتهم الى أن يدخلوا الجنة أو النار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بفتح الباء الموحدة على خطاب الانسان فى يا أيها الانسان والمعنى كخطاب الجنس فى قراءة العامة أو على خطاب الرسول والمعنى لتصعدن يا أشرف الرسل طبقا مجاوزا لطبق فى ليلة المعراج أى من سماء الى سماء أو لتركبن حال ظفر وغلبة بعد حال خوف وشدة وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس أى لتركبن أيها النفس طريقة أمم من الناس بعد أمة وقرئ ليركبن بالياء على الغايبة وفتح الباء أى ليركبن هذا المكذب بيوم الدين حالا بعد حال من حين يموت الى أن يدخل النار (فما لهم لا يؤمنون) أى اذا كان حالهم كما ذكر فأى شئ ثبت لكفار مكة حال كونهم غير مؤمنين ويقال فأى شئ لبنى عبد ياليل الثقفى يمنعهم من الايمان وكانوا ثلاثة مسعود وحبيب وربيعة فأسلم منهم بعد ذلك حبيب وربيعة (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أى لا يخضعون بأن يؤمنوا به ولا يسجدون لتلاوته عند آيات مخصوصة روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رءوسهم وتصفر فنزلت هذه الآية واحتج أبو حنيفة بهذه على وجوب السجدة وعن الحسن هى غير واجبة (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بأحوال القيامة ولذلك لا يخضعون عند تلاوته اما للحسد واما لتقليد الأسلاف وأما لخوف فوت مناصب الدنيا ومنافعها (والله أعلم بما يوعون) أى بما يضمرون فى قلوبهم من التكذيب فهو مجازيهم عليه فى الدنيا والآخرة (فبشرهم بعذاب أليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى أخبر يا أشرف الخلق من لا يؤمن بعذاب مؤلم الا من تاب منهم (لهم أجر غير ممنون) أى غير منقوص ولا مكدر ولا مقطوع ويقال غير منقوص حسناتهم بعد الهرم والموت

يحاسب حسابا يسيرا) وهو العرض على الله لأن من نوقش الحساب عذب (وينقلب الى أهله) فى الجنة (مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) وذلك أن يده غلت الى عنقه فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعوا ثبورا) أى ينادى بالهلاك على نفسه (ويصلى سعيرا) أى ويدخل النار (انه كان فى أهله) أى فى الدنيا (مسرورا) أى متابعا لهواه (انه ظن أن لن يحور) أى لن يرجع الى ربه (بلى) أى ليس الأمر كما ظن بل يرجع الى ربه (فلا أقسم) معناه فأقسم (بالشفق) وهو الحمرة التى ترى بعد سقوط الشمس وقيل يعنى النهار (والليل وما وسق) أى حمل وجمع وضم وآوى من الحشرات والدواب والهوام والسباع وكل شئ دخل عليه الليل (والقمر اذا اتسق) أى اجتمع واستوى (لتركبن طبقا عن طبق) أى حالا بعد حال من النطفة والعلقة الى الهرم والموت حتى تصير والى الله وقوله (والله أعلم بما يوعون) أى بما يحملون فى قلوبهم ويضمرون (فبشرهم) أى أخبرهم (بعذاب أليم) وقوله (غير ممنون) أى غير منقوص ولا مقطوع

﴿ سورة البروج مكية ثنتان وعشرون آية. ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وثمانية وخمسون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والسماء ذات البروج) أي ذات المنازل الاثني عشر والطرق التي تسير فيها الكواكب السبعة (واليوم الموعود) وهو يوم القيامة فان الله تعالى وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يجتمعوا فيه (وشاهد ومشهود) فالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود ما في ذلك اليوم من العجائب (قتل أصحاب الاخدود) وهذا دليل جواب قسم محذوف والتقدير أقسم بهذه الاشياء ان كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الاخدود وقيل ان الجواب قوله تعالى ان بطش ربك لشديد. والاخدود شق مستطيل في الارض كالنهر وذكر أن طوله أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا. وأصحاب الاخدود هم أناس كانوا بمدارع اليمن كما قاله قتادة عن علي أو هم الحبشة كما قاله الحسن عن علي أيضا (النار ذات الوقود) من النفط والزفت والحطب وقرئ بضم الواو بمعنى الاتقاد وقوله النار بدل اشتمال من الاخدود ثم ان أصحاب الاخدود اما الجبابرة الذين قتلوا المؤمنين فحينئذ ان قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود اما خبر فالمعنى ان أولئك القاتلين قتلوا بالنار على القول بأن الجبابرة لما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم فهم في تلك الحالة كانوا ملعونين فالمعنى انهم خسروا الدنيا والآخرة أو دعاء عليهم أي لعن أصحاب الاخدود واما المؤمنون المقتولون بالاحراق بالنار فيكون قوله تعالى لعن أصحاب الاخدود خبرا لا دعاء (اذهم عليها قعود) ظرف لقتل أي لعنوا حين كانوا جالسين على شفير النار يعذبون المؤمنين فان النار ارتفعت اليهم فهلكوا أو يقال لعنوا اذ المؤمنون مطروحون على النار (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي وهؤلاء الكفار مع ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق بالنار حضور لم تحصل في قلوبهم شفقة ولا رأفة لغاية قسوة قلوبهم والوقف هنا تام ان جعل جواب القسم قتل أصحاب الاخدود بتقدير لقد وجائز الطول الكلام ان جعل جواب القسم ان بطش ربك لشديد روى مسلم عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن قبلكم ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما ليعلمه وكان في سلوك طريقه راهب فسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب فقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكى ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر ثم رأى الغلام في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فقوني على قتل هذه الحية بواسطة رمي الحجر اليها ثم رمى الحجر فقتلها ومضى الناس فاشتغل بطريقة الراهب ثم صار الى حيث يبرئ الأكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال هذا لك ان شفيتني فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله تعالى فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله تعالى فأتى الملك فجلس كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي قال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فغضب فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فأحضر الراهب فقال له ارجع عن دينك فأبى فقد بالمنشار من مفرق رأسه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقال له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقال له ارجع عن دينك فأبى فقال لأصحابه اذهبوا به فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فاطرحوه ان لم يرجع عن دينه

﴿تفسير سورة البروج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء ذات البروج) يعني بروج الكواكب وهي اثنا عشر برجا (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد) يريد يوم الجمعة (ومشهود) يريد يوم عرفة (قتل) أي لعن (أصحاب الاخدود) وهو الشق يحفر في الارض طولا وهم قوم كفرة كانوا يعبدون الصنم وكان قوم من المؤمنين بين أظهرهم يكتمون ايمانهم فاطلعوا على ذلك منهم فشقوا أخدودا في الأرض وملأوها نارا وعرضوهم على النار فمن لم يرجع عن دينه قذفوه فيها (النار ذات الوقود) أي ذات الالتهاب (اذهم عليها قعود) وذلك أنهم قعدوا عند تلك النار (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين) من التعذيب والصد عن الايمان (شهود) أي حاضرون أخبر الله تعالى عن قصة قوم بلغت بصيرتهم في ايمانهم الى أن صبروا على أن أحرقوا بالنار في

فذهبوا به وصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ونجا ومشى الى الملك فقال له الملك مافعل أصحابك فقال كفانيهم الله فقال لأصحابه اذهبوا به الى البحر فاحملوه فى قرقورة فتوسطوا به البحر فاقذفوه ان لم يرجع عن دينه فذهبوا به فلججوا به ليغرقوه فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا ومشى الى الملك فقال له الملك مافعل أصحابك فقال كفانيهم الله فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم الله رب هذا الغلام ثم ترمينى به ففعل الملك ذلك فرماه بالسهم فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب هذا الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذره فأمر بأخاديد فى أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وعن ابن عباس قال كان بنجران بلد باليمن ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل فى الفترة قبل أن يولد النبى ﷺ بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يتردد الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن الصوت فأعجبه ذلك فقعد اليه وسمع كلامه ذاهبا وراجعا فدعا الناس الى دين عيسى عليه السلام فأجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودى بجنود من حمير فخيره بين النار واليهودية فأبى الى أن قال الغلام للملك انك لاتقدر على قتلى الا أن تفعل ما أقول قال فكيف أقتلك قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترمينى بسهم على اسم الهى ففعل الملك فقتله فقال الناس لا إله الا إله عبد الله بن تامر لادين الا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وجعله أخدودا وملأه نارا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن قال دينى دين عبد الله بن تامر ألقاه فى الاخدود وأحرقه وكان فى مملكته امرأة فأسلمت ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا ألقيتك وأولادك فى النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه فى النار ثم قال لها ارجعى فأبت فأخذوا الصبى منها ليلقوه فى النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبى يا أماه لاترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبى فى النار وألقيت أمه عقبه وعن وهب بن منبه أحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الأخاديد ثم غلب اریاط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا واقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد ابن اسحق عن عبد الله بن أبى بكر ان خربة احترقت فى زمن عمر فوجدوا عبد الله بن تامر واضعا يده على ضربة فى رأسه اذا أميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت رجعت الى مكانها وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذى وجدتم عليه وروى عن على أنه قال حين اختلفوا فى أحكام المجوس هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس ان الله تعالى قد أحل لكم نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وايقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله تعالى قتل أصحاب الأخدود (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا) أى وما عابوا من المؤمنين الا ايمانهم (بالله العزيز) أى القادر الذى لايغلب والقاهر الذى لايدفع (الحميد) أى الذى يستحق الثناء على ألسنة عباده المؤمنين (الذى له ملك السموات والأرض) وخزائن المطر والنبات (والله على كل شئ شهيد) وهذا وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى ان الذين أحرقوهم بالنار

(وما نقموا منهم) الآية أى ما أنكروا عليهم ذنبا الا ايمانهم (ان الذين فتنوا) أى أحرقوا (المؤمنين والمؤمنات

كما قاله ابن عباس ومقاتل أو ان الذين محنوهم في دينهم بالأذية والتعذيب ليرجعوا عنه (ثم لم يتوبوا) عن كفرهم وفتنتهم (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) أى فلهم في الآخرة عذاب بسبب كفرهم وعذاب زائد على عذاب الكفر بسبب احراق المؤمنين بالنار أو عذاب برد وعذاب احراق أو فلهم في الآخرة عذاب جهنم وفي الدنيا عذاب الحريق حيث ارتفعت عليهم نار الاخدود فاحترقوا بها وكان هؤلاء قوما من نجران وقيل من أهل الموصل وكان ملكهم يسمى يوسف ويقال له ذونواس (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب الايمان والعمل الصالح (جنات تجرى من تحتها الأنهار) يتلذذون ببردها ويزول عنهم برؤية ذلك مع رؤية الأشجار جميع الأحزان والمضار (ذلك) أى حيازتهم للجنات (الفوز الكبير) وهو رضا الله تعالى (ان بطش ربك) أى ان أخذه بالعذاب لمن لا يؤمن به (لشديد انه هو يبدئ ويعيد) أى انه تعالى يخلق خلقه ثم يفنيهم ثم يعيدهم أحياء ليجازيهم في القيامة فذلك الامهال لهذا السبب لا لأجل الاهمال ومن كان قادرا على الايجاد والاعادة كان بطشه في غاية الشدة (وهو الغفور) لمن تاب من الكفر (الودود) أى المحب لمن أطاع (ذو العرش) أى خالقه ومالكه وقرئ ذى العرش على أنه صفة لربك (المجيد) قرأ حمزة والكسائى بالجر على أنه صفة للعرش أو لربك والباقون بالرفع على أنه خبر بعد خبر قال العلماء ان مجد الله عظمته بحسب الوجود الذاتى وكمال القدرة والعلم والحكمة ومجد العرش علوه في الجهة وعظمة مقداره وحسن صورته وتركيبه (فعال لما يريد) يدخل أولياءه الجنة لا يمنعه منه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء الى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء ويعذب من شاء منهم في الدنيا وفي الآخرة يفعل من هذه الأشياء ومن غيرها ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب قال الرازي فعال خبر مبتدأ محذوف وقال الطبرى رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود) أى قد أتاك يا أشرف الرسل خبر الجموع فرعون وقومه وثمود وعرفت ما فعلوا من الكفر والضلال وما فعل بهم من العذاب والنكال فأنذر قومك أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وفرعون وثمود بدل من الجنود فذكر الله تعالى من المتقدمين ثمود ومن المتأخرين فرعون لأن ثمود كانوا في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم فدل بهما على أمثالهما (بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط) أى ليست جناية قومك مجرد عدم الاتعاظ بما سمعوا من حديث أولئك بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك في أنه قرآن من عند الله تعالى مع ظهور حاله بالبينات الباهرة والحال أن الله تعالى قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم بالقرآن والنبوة وهم في قبضته تعالى كالمحاط اذا أحيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) أى ليس الأمر كما قالوا بل هذا القرآن الذى يقرؤه محمد كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى مكتوب في لوح محفوظ من وصول الشياطين اليه ومن التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على أنه نعت لقرآن والباقون بالجر على أنه نعت للوح وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر وابن السميقيع في لوح بضم اللام وهو الهواء الذى فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح بفتح اللام وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته وكونه محفوظا اما محفوظ عن أن يمسه الا المطهرون أو عن اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين أو عن أن يجرى عليه تغيير وتبديل فلما حكم فيه بسعادة قوم وشقاوة قوم وبتأذى

(ثم لم يتوبوا) أى لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما أحرقوا المؤمنين (ان بطش ربك) أى أخذه بالعذاب (لشديد انه هو يبدئ) الخلق أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم عند البعث (وهو الغفور الودود) أى المحب أولياءه (ذو العرش المجيد) أى خالقه ومالكه المستحق لكمال صفات العلو والمدح (هل أتاك حديث الجنود) أى خبر الجموع الكافرة ثم بين من هم فقال (فرعون وثمود بل الذين كفروا) من قومك (في تكذيب) لك (والله من ورائهم محيط) أى قدرته مشتملة عليهم فلا يعجزه منهم أحد (بل هو قرآن مجيد) أى كثير الخير وليس كما زعم المشركون (في لوح محفوظ) أى من أن يبدل ما فيه أو يغير

قوم من قوم امتنع تغيره وتبدله فوجب الرضا به

﴿ سورة الطارق مكية سبع عشرة آية . واثنتان وسبعون كلمة .
ومائتان وواحد وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والسماء والطارق) أى الظاهر فى الليل (وما أدراك ما الطارق) اى وأى شىء أعلمك يا أشرف الرسل ما الطارق قال سفيان بن عيينة كل شىء فى القرآن ما أدراك فقد أخبر الله الرسول به وكل شىء فيه وما يدريك لم يخبره به (النجم الثاقب) خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام أى هو النجم المضىء فى الغاية كأنه يثقب الأفلاك بضوئه وينفذ فيها قيل هو النجم الذى يقال له كوكب الصبح وهو النجم الذى يهتدى به فى ظلمات البر والبحر ويوقف به على أوقات الامطار أو هو جنس الشهب الذى يرجم بها ووصف النجم بكونه طارقا لانه يبدو بالليل أو لانه يطرق الجنى أى يصكه وقال محمد بن الحسين والفراء انه زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس هو الجدى وقال على هو نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وقال آخرون انه الشهب التى يرجم بها الشياطين لقوله تعالى فأتبعه شهاب ثاقب روى أن أبا طالب أتى النبى صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأت الارض نورا ففزع أبو طالب وقال أى شىء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت هذه السورة (ان كل نفس لما عليها حافظ) وهذا جواب القسم وان نافية ولما بمعنى الا أى ما كل نفس الا عليها رقيب وهو الله تعالى وهذا بالتشديد على قراءة عاصم وحمزة وابن عامر والنخعى أما على قراءة ابن كثير وأبى عمرو ونافع والكسائى وهى بتخفيف الميم فان مخففة من الثقيلة واللام فى للفارقة من ان النافية وما صلة أى ان الشأن كل نفس برة أو فاجرة لعليها من يحصى عليها ما تكسب من خير وشر وهم الملائكة (فلينظر الانسان) أبو طالب وغيره (مم خلق) اى من أى شىء خلق نفسه (خلق من ماء دافق) وهو استئناف وقع جوابا عن استفهام أى خلق الانسان من ماء ذى سيلان بسرعة فى رحم المرأة (يخرج من بين الصلب والترائب) أى من صلب ماء الرجل ومن عظام صدر المرأة وقال الحسن يخرج من صلب الرجل وترائبه ومن صلب المرأة وترائبها وحكى القرطبى أن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع فى الأنثيين (انه على رجعه لقادر) اى ان الذى خلق الانسان ابتداء قادر على رده حيا بعد موته (يوم تبلى السرائر) اى يظهر ما أخفى من الأعمال وما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وهو يوم القيامة قال ابن عمر رضى الله عنهما يبدى الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى الوجوه وشينا فى الوجوه هذا ان أريد برجعه نشر الانسان يوم القيامة فيوم ظرف لرجعه فلا يوقف على قوله تعالى لقادر وان أريد برجعه رد الماء الى الاحليل كما قاله مجاهد أو الى الصلب كما قاله عكرمة والضحاك أو رد الانسان ماء كما كان قبل كما قاله الضحاك أيضا فيوم منصوب بمضمر أى واذكر يوم فالوقف على لقادر كاف كالوقف على السرائر الا اذا جرينا على قول الرازى ان يوم منصوب بقوله فما له من قوة فلا وقف على السرائر (فما له من قوة ولا ناصر) اى فما للانسان شىء من قوة يدفع به عن نفسه ما جاء من عذاب الله ولا أحد من الانصار ينصره فى دفعه (والسماء ذات الرجع) اى ذات المطر بعد المطر حينا بعد حين (والارض ذات الصدع) أى

﴿ تفسير سورة الطارق ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم) (والسماء والطارق) يعنى النجوم كلها لان طلوعها بالليل وكل ما أتى ليلا فهو طارق وقد فسر الله تعالى ذلك بقوله (النجم الثاقب) يعنى المضىء النير (ان كل نفس لما عليها) أى لعليها وما صلة (حافظ) أى من ربها يحفظ عملها (فلينظر الانسان مم خلق) أى من أى شىء خلقه ربه ثم بين فقال (خلق من ماء دافق) أى مدفوق مصبوب فى الرحم يعنى النطفة (يخرج من بين الصلب) يعنى الظهر وهو ماء الرجل (والترائب) عظام الصدر وهو ماء المرأة (انه) ان الله تعالى (على رجعه لقادر) وهو بعث الانسان واعادته بعد الموت (يوم تبلى السرائر) يعنى يوم القيامة وفى ذلك اليوم تختبر السرائر وهى الفرائض التى هى سرائر بين العبد وربه كالصوم والصلاة وغسل الجنابة ولو شاء العبد أن يقول فعلت ذلك ولم يفعله أمكنه فهى سرائر عند العبد وانما تبين وتظهر صحتها وأمانة العبد فيها يوم القيامة (فما له) يعنى الانسان الكافر (من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع) يعنى المطر (والارض ذات الصدع) أى تنشق عن النبات

ذات النبات لان الارض تتصدع بالنبات كما قاله الليث (انه لقول فصل) أى ان ما أخبرتكم به من قدرتى على احيائكم فى اليوم الذى تبلى سرائركم فيه لقول حق (وماهو بالهزل) أى ليس ذلك الخبر بالباطل وهذا كما قاله القفال لكن أكثر المفسرين قالوا أى ان القرآن الذى أخبر بمبدأ حال الانسان ومعاده لقول مبين حق وقاطع شر وليس فى شئ منه لعب بل كله جد محض فمن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة (انهم يكيدون كيدا) أى ان أهل مكة يمكرون فى ابطال أمر القرآن واطفاء نوره (وأكيد كيدا) اى أقابلهم بكيد قوى لايمكن رده حيث أمهلهم على كفرهم حتى آخذهم على غرة (فمهل الكافرين) اى لاتستعجل يا أشرف الخلق بالدعاء عليهم باهلاكهم (أمهلهم رويدا) أى أمهلهم على مهلة قريبة الى يوم القيامة أو أمهلهم امهالا قليلا الى يوم بدر فرويدا اما مصدر مؤكد لمعنى العامل أونعت لمصدره المحذوف

﴿ سورة الأعلى مكية تسع عشرة آية . واثنتان وسبعون كلمة . ومائتان وأربعة وثمانون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح اسم ربك الأعلى) أى نزه اسمه تعالى عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه فلايجوز تفسير أسمائه تعالى بما لايصح ثبوته فى حقه تعالى نحو أن يفسر الأعلى بالعلو فى المكان والاستواء بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقتدار والاستواء بالاستيلاء ولايجوز أن يذكر العبد به الا بالاسماء التى ورد الاذن بها من الشرع قال الواحدى معنى سبح اسم ربك أى نزه الاسم من السوء ومعنى سبح باسم ربك نزه الله تعالى بذكر اسمه الدال على تنزيهه تعالى وعلوه عما يقول المبطلون ومعنى الأعلى ان جلال كبريائه أعلى من معارفنا وادراكاتنا وأصناف آلائه ونعمائه أعلا من حمدنا وشكرنا وأنواع حقوقه أعلى من طاعاتنا وأعمالنا وقرأ على وابن عمر سبحان ربى الأعلى (الذى خلق فسوى) اى الذى خلق كل ذى روح فكمل خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الأعضاء (والذى قدر) قرأه الجمهور مشددا أى أوقع تقديره فى كل شئ فقدر خلقه حسنا أودميا طويلا أوقصيرا وقدر أرزاقهم وآجالهم وقرأه الكسائى على التخفيف أى تصرف فى خلقه كيف أراد (فهدى) اى لمنافع الخلق ومصالحه فألهم كيف يأتى الذكر الأنثى ويروى ان الافعى اذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى ان تحك عينيها بورق الرازيانج فيرد الله اليها بصرها ويروى أن التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله له طائرا قدر غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل مافيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه (والذى أخرج المرعى) أى أنبت النبات والزروع وقال ابن عباس أى الكلأ الأخضر (فجعله) بعد خضرته (غثاء أحوى) أى دريئا أسود بأن ألصق السيل أجزاء كدورته فيسود (سنقرئك فلاتنسى) أى نجعلك قارئا للقرآن فتقرؤه فلاتنسى أى انا نشرح صدرك ونقوى خاطرك حتى تحفظ القرآن حفظا لاتنساه قال مجاهد ومقاتل والكلبى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القرآن أكثر تحريك لسانه مخافة أن ينسى وكان جبريل لايفرغ من آخر الوحى فقال تعالى سنقرئك فلاتنسى أى سنعلمك هذا القرآن حتى تحفظه (الاماشاء الله) أن ينسى النبى شيئا من القرآن وهذا الاستثناء بيان أنه تعالى لوأراد أن يصير النبى ناسيا لذلك لقدر عليه وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يعرفه قدرة الله حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله لامن قوته

والباطل (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) أى يظهرون للنبى صلى الله عليه وسلم ماهم على خلافه (وأكيد كيدا) وهو استدراج الله اياهم من حيث لايعلمون (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) يقول أخرهم قليلا فانى آخذهم بالعذاب فأخذوا يوم بدر وذلك أنه كان يدعو الله عليهم فقال الله تعالى أمهلهم رويدا أى قليلا

﴿ تفسير سورة الأعلى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الأعلى) أى نزه ذات ربك من السوء وقيل معناه قل سبحان ربى الاعلى (الذى خلق فسوى) أى خلق الانسان مستوى الخلق (والذى قدر) الارزاق (فهدى) أى ثم هدى لطلبها (والذى أخرج من الارض المرعى) النبات (فجعله غثاء) أى يابسا وهو مايحمله السيل مما يجف من النبات (أحوى) أى أسود باليا (سنقرئك) أى سنجعلك قارئا لما يأتيك به جبريل من الوحى (فلا تنسى) شيئا وهذا وعد من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحى حتى لاينفلت منه شئ (الاماشاء الله) يعنى ماشاء الله أن ينسخه وقيل الا ماشاء الله وهو لايشاء أن ينسى

قوله صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج أي الاماشاء الله ان ينسى فانه ينسى ثم يتذكر بعد ذلك فلا ينسى نسيانا كليا دائما وقال مقاتل الاماشاء الله ان ينسيه فيكون المعنى الاماشاء الله ان تنساه على الاوقات كلها فيأمرك ان لاتقرأه ولاتصلى به فيصير ذلك سببا لنسيانه وزواله من الصدور (انه يعلم الجهر وما يخفى) أي انه تعالى عالم بجهرك فى القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام وعالم بالسر الذى فى قلبك وهوانك تخاف النسيان فلاتخف فأنا أكفيك ماتخافه (ونيسرك لليسرى) أي نوفقك للطريقة اليسرى فى كل باب من باب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية (فذكر ان نفعت الذكرى) أي عظ ياأشرف الرسل الناس بالقرآن واهدهم الى مافيه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله ان نفعت الموعظة فالتذكير العام واجب فى أول الأمر فأما التكرير فانما يجب عند رجاء حصول المقصود فلهذا المعنى قيد التذكير بهذا الشرط وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين (سيذكر من يخشى) وهومن قطع بصحة المعاد ومن جوز وجوده بخلاف من أصر على انكاره وقطع بأنه لا يكون. قيل نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وقيل نزلت فى ابن أم مكتوم (ويتجنبها الاشقى) أي ويتباعد عن الموعظة بالقرآن الاشقى وهو المعاند الذى لايلتفت الى الدعوة ولا يصغى اليها فالفرق ثلاثة العارف بصحة المعاد والمتوقف فيه والمعاند فالعارف هو السعيد والمتوقف له بعض الشقاء والمعاند هو الاشقى قيل نزلت هذه الآية فى الوليد وعتبة وأبى (الذى يصلى النار الكبرى) أي الذى يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار (ثم) بعد دخوله النار (لايموت فيها) حتى يستريح (ولايحيى) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) أي تطهر من دنس الشرك كما قال ابن عباس أي من قال لااله إلا الله وقال الزجاج أي من تكثر من التقوى (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) فمراتب أعمال المكلف ثلاثة ازالة العقائد الفاسدة عن القلب واستحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأسمائه والاشتغال بخدمته وقال بعضهم أي قد فاز من تصدق بصدقة الفطر قبل خروجه الى المصلى وكبر الله تعالى ثم صلى صلاة العيد مع الامام فأثنى الله على من فعل ذلك وان لم يكن فى مكة عيد ولازكاة فطر لان ذلك فى علم الله سيكون (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أي أنتم يا كفار مكة لاتفعلون ذلك بل أنتم ترضون اللذات الفانية وتطمئنون بها وتعرضون عن الآخرة بالكلية أو أنتم أيها المسلمون لاتكثرون من التقوى بل تستكثرون من الدنيا الدنية على الاستكثار من الثواب وقرأ أبو عمرو يؤثرون بالياء أي الاشقون (والآخرة خير وأبقى) أي والحال ان الآخرة خير فى نفسها وأدوم لانها مشتملة على السعادة الجسمانية والروحانية ولذاتها خالصة عن الغائلة (ان هذا) أي قوله تعالى قد أفلح (لفى الصحف الأولى) أي لثابت معناه فيها (صحف ابراهيم وموسى)

﴿ سورة الغاشية مكية ست وعشرون آية. واثنتان وتسعون كلمة. وثلاثمائة وأحد وثمانون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(هل أتاك حديث الغاشية) أي خبر القيامة التى تغشى الناس جميعا من الأولين والآخرين بشدائدها وهل استفهام أريد به التعجب مما فى ذلك الحديث والتشويق الى استماعه (وجوه يومئذ) أي يوم اذغشيت (خاشعة) أي ذليلة بالعذاب (عاملة) أعمالا شاقة (ناصبة) أي ذات تعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال وخوضهم فى النار خوض الابل فى الوحل وصعودهم فى تلال النار وهبوطهم فى

اليسرى وهي الحنيفية السمحة (فذكر) أي فعظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) التذكير (سيذكر) أي سيتعظ (من يخشى) الله (ويتجنبها) أي ويتجنب الذكرى ويتباعد عنها (الأشقى) فى علم الله (الذى يصلى النار الكبرى) أي يدخل جهنم (ثم لايموت فيها) أي موتا يستريح به من العذاب (ولايحيى) حياة يجد منها روح الحياة (قد أفلح) أي صادف البقاء فى الجنة (من تزكى) أي أكثر من العمل الصالح (وذكر اسم ربه فصلى) يعنى الصلوات الخمس (بل يؤثرون) أي يختارون (الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) من الدنيا (ان هذا) الذى ذكرت من افلاح المتزكى وكون الآخرة خيرا من الدنيا (لفى الصحف الأولى) أي مذكور فى الكتب المتقدمة (صحف ابراهيم وموسى) يعنى ما أنزل عليهما من الكتب

﴿تفسير سورة الغاشية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل أتاك حديث الغاشية) يعنى القيامة لانها تغشى الخلق ومعنى هل أتاك يعنى ان هذا لم يكن من علمك ولامن علم قومك (وجوه يومئذ خاشعة) أي ذليلة (عاملة) أي فى النار تعالج حرها وعذابها (ناصبة) أي ذات نصب وتعب

وهادها وهم الرهبان وأصحاب الصوامع كما قاله ابن عباس أوهم الخوارج كما قاله على (تصلى نارا حامية) أى تدخل نارا متناهية فى الحر وقرأ أبو عمرو وعاصم بضم التاء الفوقية وقوله تعالى وجوه مبتدأ وخاشعة وما بعده خبره وقيل خبره تصلى وماقبله صفات لوجوه ولا يوقف قبل الخبر وقرئ عاملة ناصبة على الشتم (تسقى من عين آنية) أى متناهية فى الحر (ليس لهم طعام الا من ضريع) وهو ما ييبس من الشبرق وهو نبت يكون فى طريق مكة اذا كان رطبا تأكل منه الابل واذا ييبس صار كاظفار الهرة وهو سم قاتل وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين (لا يسمن ولا يغنى من جوع) أى غير مسمن وغير مشبع لانه ليس من جنس ضريع الدنيا روى ان كفار قريش قالت ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت هذه الآية (وجوه يومئذ ناعمة) أى ذات حسن وجمال (لسعيها راضية) أى لثواب عملها الذى عملته فى الدنيا راضية حين رأت ذلك الثواب حتى لا تريد أكثر منه (فى جنة عالية) مكانا ومنقبة (لا تسمع فيها لاغية) قرأ عاصم وحمزة والكسائى وحفص بفتح التاء ونصب لاغية أى لا تسمع أنت يا أكرم الرسل أو يا مخاطب أو لا تسمع الوجوه فى الجنة كلمة ذات لغو فانما يتكلمون بالحكمة وحمد الله على النعم وقرأ نافع بضم التاء الفوقية ورفع لاغية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم الياء التحتية ورفع لاغية وقرأ المفضل والجحدرى بفتح الياء التحتية ونصب لاغية أى لا يسمع فيها أحد يمينا لا برة ولا فاجرة (فيها عين جارية) أى فى الجنة عين شراب جارية على وجه الارض فى غير أخدود وتجرى لهم كما أرادوا (فيها سرر مرفوعة) فى الهواء لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه فى الجنة من النعيم والملك قال ابن عباس هى سرر ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة فى السماء (وأكواب) أى كيزان (موضوعة) بين أيديهم لاستحسانهم اياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو من جوهر وتلذذهم بالشراب منها (ونمارق) أى وسائد (مصفوفة) بعضها الى جانب بعض أينما أراد أن يجلس جلس على واحدة واستند الى أخرى (وزرابى) أى بسط فاخرة (مبثوثة) أى منشورة مفرقة فى المجالس فلما أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قال كفار مكة ائتنا بآية بأن الله أرسلك الينا رسولا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) أى أينكر كفار مكة البعث ويستبعدون وقوعه من قدرة الله فلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت بشدة قوتها وعجيب هيئتها وصبرها على الجوع والعطش واحتمال المداومة على السير (والى السماء كيف رفعت) فوق الارض بلا عماد ولا امساك (والى الجبال كيف نصبت) نصبا راضيا على الارض لا يتزلزل (والى الارض كيف سطحت) أى بسطت على الماء وقرئ سطحت مشددا وقرأ على رضى الله عنه وكرم وجهه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل و بناء المتكلم (فذكر) أى فاقتصر على التذكير والحمل على النظر فى هذه الأدلة (انما أنت مذكر) فلا بأس عليك فى أن لا ينظروا بالاعتبار ولا يتذكروا بالافتكار انما عليك البلاغ (لست عليهم بمصيطر) أى لست يا أشرف الخلق بمتسلط عليهم بأن تجبرهم على الايمان وقرأ هشام بالسين وحمزة باشمام الصاد كالزاى والباقون بالصاد الخالصة وقرئ بفتح الطاء (الا من تولى وكفر) وفى هذا الاستثناء قولان أحدهما انه استثناء حقيق وفى هذا احتمالان اما أن يكون مستثنى من المفعول أى فذكر عبادى الا من أعرض عن الايمان وكفر بالقرآن فاستحق العذاب الأكبر واما أن يكون مستثنى من الضمير فى عليهم أى لست عليهم بمسيطر الا على من انقطع طمعك من ايمانه وتولى عنك وكفر بالله فان لله القهر وسيأمرك بقتالهم فان جهاد الكفار وقتلهم تسليط فكأنه تعالى أوعدهم بالجهاد فى الدنيا و بعذاب النار فى الآخرة وثانيهما ان هذا الاستثناء منقطع عما قبله والتقدير لست بمستول عليهم لكن من تولى منهم

(تصلى نارا حامية) أى تقاسى حرها وقوله حامية أى حارة (تسقى من عين آنية) أى متناهية فى الحرارة (ليس لهم) أى فى جهنم (طعام الا من ضريع) وهو يبيس الشبرق وهو نوع من الشوك لا تقربه دابة ولا ترعاه وصفته ما ذكر الله تعالى (لا يسمن ولا يغنى من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها) فى الدنيا (راضية) أى حين أعطيت الجنة بعملها (فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية) أى لغوا و باطلا وقوله (ونمارق مصفوفة) أى وسائد بعضها بجنب بعض (وزرابى) وهى البسط والطنافس (مبثوثة) أى مفرقة فى المجالس ثم نبههم على عظيم من خلقه قدذلله للصغير ليدلهم بذلك على توحيده فقال (أفلا ينظرون) يعنى الكفار (الى الابل كيف خلقت) وقوله (سطحت) أى بسطت (فذكر انما أنت مذكر) أى ذكرهم نعم الله ودلائل توحيده فانك مبعوث بذلك (لست عليهم بمصيطر) بمسلط تكرههم على الايمان وهذا قبل أن أمر بالحرب (الا من تولى وكفر) لكن من أعرض عن الايمان وكفر

منهم فان الله تعالى يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وعلامة كون الاستثناء منقطعا حسن دخول أن في المستثنى به واذا كان الاستثناء متصلا لم يحسن ذلك ألا ترى أنك تقول عندي مائتان الا درهما فلا يحسن عليه دخول ان وههنا يحسن دخول ان فانك تقول الا أن من تولى وكفر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وسمي العذاب بالأكبر لأنه قد بلغ حد عذاب الكفر فان ماعداه من عذاب الفسق دونه وقرئ ألا من تولى بفتح الهمزة على التنبيه وهذا مما يقوي القول بأن الاستثناء منقطع وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه الله (ان الينا ايابهم) أي رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا وقرأ أبو جعفر المدني بتشديد الياء (ثم ان علينا حسابهم) في المحشر على النقير والقطمير لا على غيرنا والحساب واجب عليه تعالى بحكم الوعد الذي يمتنع الخلف فيه وفي الحكمة فانه تعالى لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لكان ذلك شبيها بكونه تعالى راضيا بذلك الظلم تعالى الله تعالى عنه وذكر تعالى هذه الآية ليزيل بها عن قلب النبي ﷺ حزنه على كفرهم

﴿ سورة الفجر مكية تسع وعشرون آية. ومائة وتسع وثلاثون كلمة. وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والفجر) وهو صبح النهار أقسم الله به لحصول انتشار الناس وسائر الحيوانات به في طلب الرزق فهو مشاكل لنشور الموتى من قبورهم وفيه عبرة لمن تأمل (وليال عشر) من أول ذي الحجة وفي الخبر «مامن أيام العمل الصالح فيها أفضل من أيام العشر» وذلك لأنها أيام الاشتغال بالحج في الجملة وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) فالشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة وقال أبو بكر الوراق الشفع صفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز والبصر والعمى والحياة والموت والوتر صفات الله تعالى وهي وجود بلا عدم حياة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل وقال مقاتل الشفع هو الليالي والأيام والوتر هو اليوم الذي لا ليل بعده وهو يوم القيامة وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها والكسر قراءة الحسن والاعمش وابن عباس وهي لغة تميم والفتح قراءة أهل المدينة وهي لغة حجازية (والليل اذا يسر) أي يذهب وهي ليلة المزدلفة فانه يذهب ويجيء فيه الناس وقال مقاتل أي اذا يسار في ذلك الليل وهي ليلة المزدلفة وقرأ نافع وأبو عمرو بحذف ياء يسر وقفا واثباتها وصلا وأثبتها ابن كثير في الحالين وحذفها الباقون في الحالين لسقوطها في خط المصحف الكريم وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ به والفجر والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق (هل في ذلك قسم لذي حجر) أي هل في هذه الاشياء المذكورة مقسم به لذي عقل والمراد من هذا الاستفهام التأكيد والتحقيق والمعنى أن من كان ذا لب علم أن ما أقسم الله تعالى بهذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه وجواب القسم محذوف لدلالة المعنى عليه أي لنجازين كل أحد بما عمل بدليل تعديد ما فعل بالقرون الخالية فالوقف هنا تام كما قاله أبو حاتم وغيره وقال ابن الانباري جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد أي وانما أجازوا الوقف هنا لطول الكلام لكن ينبغي حينئذ أن يقال وقف صالح أو نحوه لا تام للفصل بين القسم وجوابه (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) أي ألم تعلم يا أشرف الخلق علما يقينا كيف أهلك الله قوم هود عند التكذيب (ارم) عطف بيان لعاد للاعلام بأنهم عاد الاولى القديمة ان جعلنا ارم اسما للقبيلة بتقدير مضاف أي سبط ارم فارم جد عاد فان عادا هو ابن عوص بن ارم ابن سام بن نوح عليه السلام

(فيعذبه الله العذاب الاكبر) أي عذاب جهنم (ان الينا ايابهم) أي رجوعهم (ثم ان علينا حسابهم)

﴿ تفسير سورة الفجر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والفجر) يعني فجر كل يوم (وليال عشر) أي عشر ذي الحجة (والشفع) يعني يوم النحر لأنه اليوم العاشر (والوتر) يعني يوم عرفة لأنه اليوم التاسع (والليل اذا يسر) يعني ليلة المزدلفة اذا مضى فذهب وقيل اذا جاء وأقبل (هل في ذلك) الذي ذكرت (قسم لذي حجر) أي مقنع ومكتفى في القسم وقوله لذي حجر أي لذي عقل ثم ذكر الأمم التي كذبت الرسل كيف أهلكهم فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم) يعني عاد الأولى وهو عاد بن عوص بن ارم وارم اسم للقبيلة

وان جعلناه اسم البلدة كان التقدير بعاد أهل ارم ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين (ذات العماد) أى ذات الاساطين من ذهب وفضة أى ذات القدود الطوال (التى لم يخلق مثلها) أى مثل تلك المدينة فى الحسن والجمال أو مثل عاد فى عظم الجثة وشدة القوة (فى البلاد) أى فى جميع بلاد الدنيا وقر ابن الزبير ولم يخلق مثلها بالبناء للفاعل أى لم يخلق الله مثل ارم مدينة شداد. روى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد ثم مات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له الدنيا وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها ودعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله تعالى فبنى مدينة ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والانهار المطردة فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له شردت فبينا هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة أشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار أنهار يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما أتاه وقال له يا أبا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد ابن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان وكتب الى ملوك الأرض أن يمدوهم بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الأرض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صخرة نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الأرض التى أمر الملك أن يبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليمانى وأقاموا فى بنائها ثلاثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا أى سوارا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيأوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك وأهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله هو ذلك الرجل (وثمود) أى وكيف أهلك الله قوم صالح وثمود قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخى جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك يعبدون الاصنام كعاد (الذين جابوا الصخر بالواد) أى الذين نقبوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا بوادى القرى وهو موضع بقرب المدينة قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام و بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون ذى الاوتاد) سمى بذلك لأنه كان يعذب الناس و يشدهم بأربعة أوتاد

(ذات العماد) أى ذات الطول وقيل ذات البناء الرفيع وقيل ذات العمد السيارة وذلك أنهم كانوا أهل عمد سيارة ينتجعون الغيث (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى فى بطشهم وقوتهم وطول قامتهم (وثمود الذين جابوا) أى قطعوا (الصخر) فاتخذوا منها البيوت (بالواد) يعنى وادى القرى وكانت مساكنهم هناك (وفرعون ذى الاوتاد) أى ذى الجنود والجموع الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يوتدونها فى أسفارهم وقوله

مطر وحين على الأرض الى أن يموتوا وقيل لكثرة جنوده وخيامهم التى يصبونها فى منازلهم وقال ابن عباس أى ذى الجنود والعساكر التى تشد ملكه (الذين طغوا فى البلاد) والموصول منصوب على الذم أو مرفوع كذلك أى الذين تجبر كل واحد من عاد وثمود وفرعون فى بلادهم على أنبياء الله والمؤمنين (فأكثروا فيها الفساد) بالقتل وعبادة الأوثان وسائر المعاصى (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أى فأنزل الله انزال الاشديدا عقب طغيانهم وفسادهم على كل طائفة من أولئك الطوائف جزء عذاب فأهلك عادا بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق وذكر السوط اشارة الى أن ما أنزله الله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما أعدلهم فى الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به (ان ربك) يا أشرف الخلق (لبالمرصاد) أى لفى الطريق عليه تعالى ممر سائر الخلق كما قاله ابن عباس أو ان اليه المصير كما قاله الفراء وهذا عام للمؤمنين والكافرين (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه) أى اذا امتحنه ربه بالنعمة (فأكرمه) بالمال والجاه والولد (ونعمه) أى وسع عليه معيشته (فيقول ربى أكرمن) أى فضلنى بما أعطانى (وأما اذا ما ابتلاه) أى وأما هو اذا اختبره ربه بالفقر (فقدر عليه رزقه) أى فضيق عليه معيشته (فيقول ربى أهانن) قوله تعالى فأما الانسان متصل من حيث المعنى بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فكأنه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة التى تنفعه فى الآخرة فانه يراقب أحواله ويجازيه بأعماله خيرا وشرا فى الآخرة فأما الانسان فلا يريد الا الدنيا ولذاتها فان وجد الراحة فى الدنيا يقول ربى أكرمنى وان لم يجدها يقول ربى أهانتى وأما هنا لمجرد التأكيد لا لتفصيل المجمل مع التأكيد والانسان مبتدأ خبره فيقول والظرف وهو اذا منصوب بالخبر لأن الظرف فى نية التأخير ودخول الفاء فى الخبر لما فى أما من معنى الشرط وما زائدة والفاء فى قوله تعالى فأكرمه تفسيرية والوقف فى أكرمن مفهوم وفى أهانن حسن. وقال أبو عمرو والوقف فيهما كاف وقيل تام وقال الكلبى ان المراد من الانسان أبى بن خلف وقال مقاتل وابن جرير نزلت هذه الآية فى أمية بن خلف وروى عن ابن عباس أن المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وأبو حذيفة بن المغيرة وقيل انه كافر جاحد ليوم الجزاء وقرأ نافع أكرمن وأهانن باثبات الياء فيهما وصلا وحذفها وقفا وقرأهما البزى عن ابن كثير باثباتها فى الحالين وعن أبى عمرو ان الحذف فى الوصل أعدل والباقون بالحذف فى الحالين وقرأ ابن عامر فقدر عليه رزقه بتشديد الدال أى جعله على مقدار البلغة (كلا) رد على من ظن ذلك المذكور والمعنى ليس اكرامى بالمال والغنى واهانتى بالفقر وقلة المال ولكن اكرامى بالمعرفة والتوفيق واهانتى بالنكرة والخذلان والوقف هنا حسن وهو أحسن من الوقف على أهانن (بل لا تكرمون اليتيم) أى قل يا محمد لهم بل لكم أحوال أشد شرا من ذلك القول وهو ان الله تعالى يكرمكم بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه فانكم لا تحسنون الى اليتيم ولا تعرفون حقه (ولا تحاضون على طعام المسكين) بحذف احدى التاءين وهو قراءة الكوفيين أى لا يحض بعضكم بعضا على اطعام المسكين وقرئ ولا تحضوا أى لا تأمرون باطعامه وفى قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء أى لا يحض كل واحد منكم صاحبه وهذا اشارة الى ترك بر اليتيم (وتأكلون التراث أكلا لما) أى وتأكلون تراث اليتامى أكلا جامعا فانكم تجمعون نصيبهم الى نصيبكم وهذا اشارة الى دفع اليتيم عن حقه الثابت له فى الميراث وأكل ماله (وتحبون المال حبا جما) أى كثيرا وهذا اشارة الى أخذ مال اليتيم منه وقرأ أبو عمرو يكرمون وما بعده بالياء التحتية (كلا) أى لا ينبغى أن يكون الأمر هكذا فى الحرص على الدنيا حتى (اذا دكت الأرض دكا دكا) أى اذا انكسر كل شئ على وجه الأرض من جبل وشجر وبناء حين زلزلت فلم يبق

(فصب عليهم ربك سوط عذاب) ى جعل سوطهم الذى ضربهم به العذاب (ان ربك) جواب القسم الذى فى أول السورة (لبالمرصاد) أى بحيث يرى ويسمع ويرصد أعمال بنى آدم (فأما الانسان) يعنى الكافر (اذا ما ابتلاه ربه) أى امتحنه بالنعمة والسعة (فأكرمه) بالمال (ونعمه) بما وسع عليه (فيقول ربى أكرمن) لا يرى الكرامة من الله الا بكثرة الحظ من الدنيا (وأما اذا ما ابتلاه فقدر) أى ضيق (عليه رزقه فيقول ربى أهانن) أى يرى الهوان قلة حظه من الدنيا وهذه صفة الكافر وأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه بطاعته والهوان ان يهينه بمعصيته ثم رد على هذا الكافر فقال (كلا) أى ليس الأمر كما يظن هذا الكافر (بل لا يكرمون اليتيم) اخبار عما كانوا يفعلونه من ترك توريث اليتيم وحرمانه ما يستحق من الميراث (ولا يحضون على طعام المسكين) أى لا يأمرون به ولا يبعثون عليه (ويأكلون التراث) يعنى ميراث اليتامى (أكلا لما) أى شديدا يعنى يجمعون المال كله فى الأكل فلا يقطعون اليتيم نصيبه (ويحبون المال حبا جما) أى كثيرا (كلا) أى ما هكذا ينبغى أن يكون الأمر (اذا دكت الأرض دكا دكا) أى اذا زلزلت الأرض فكسر بعضها ببعض

على ظهرها شيء حتى صارت ملساء (وجاء ربك) أي جاء ظهوره وقهره أي حصل تجليه تعالى على الخلائق أي زالت الشبهة وارتفعت الشكوك وظهر سلطان قهره (والملك صفا صفا) أي وتنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب مراتبهم محدقين بالجن والانس فيكونون سبعة صفوف (وجيء يومئذ بجهنم) مزمومة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها الى المحشر ويكشف عنها حتى رآها الخلق وعلم الكافر أن مصيره اليها (يومئذ) بدل من اذا دكت (يتذكر الانسان) مافرط فيه ويتعظ الكافر فيقول ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وهذا جواب اذا (وأنى له الذكرى) أي ومن أين له العظة وقد فاته أوانها (يقول) أي الانسان الكافر (ياليتني قدمت لحياتي) فيا للتنبيه أي ليتني قدمت عملا يوجب نجاتي من النار حتى أكون من الاحياء (فيومئذ) أي يوم اذ يقول الانسان ذلك (لايعذب عذابه أحد) أي لايعذب أحد من الزبانية مثل تعذيب الكافر (ولا يوثق وثاقه أحد) أي ولا يوثق أحد من الزبانية بالسلاسل والأغلال مثل ايثاق الكافر لتناهيه في كفره وفساده وقرأ الكسائي لايعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء أي لايعذب أحد مثل عذاب الكافر ولا يوثق أحد بالسلاسل والأغلال مثل وثاق الكافر (يأيتها النفس المطمئنة) بذكر الله وطاعته وقرأ أبي بن كعب يأيتها النفس الآمنة المطمئنة وهي التي لايستفزها خوف ولا حزن وهذه الخاصة قد تحصل عند الموت عند سماع البشارة من الملائكة وتحصل عند البعث وعند دخول الجنة بلاشك أي يقول الله للمؤمن اكراما له أو على لسان ملك يأيتها النفس المطمئنة (ارجعي الى ربك) أي الى ثواب ربك (راضية) بما أوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله عز وجل في الأعمال التي عملتها في الدنيا (فادخلي في عبادي) أي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي (وادخلي جنتي) معهم وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث قيل نزلت هذه الآية في حمزة بن عبد المطلب وروى الضحاك انها نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة وقيل نزلت في خبيب بن عبد الله الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد ان يحوله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

﴿ سورة البلد مكية . وهي عشرون آية . واثنتان وثمانون كلة وثلاثمائة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لا) قال الأخفش هي مزيدة (أقسم بهذا البلد) وهو مكة (وأنت حل بهذا البلد) أي أنت نازل في هذا البلد أو أنت في حل مما صنعت في هذا البلد فان الله فتح مكة عليه صلى الله عليه وسلم وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل صلى الله عليه وسلم فيها ماشاء وحرم ماشاء قتل عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال ﷺ الا الاذخر (ووالد وماولد) فالوالد آدم وما ولد بنوه وقيل كل والد وولده (لقد خلقنا الانسان في كبد) أي في

تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك (يومئذ يتذكر الانسان) أي يظهر الكافر التوبة (وأنى له الذكرى) أي ومن أين له التوبة (يقول ياليتني قدمت لحياتي) أي للدار الآخرة التي لاموت فيها (فيومئذ لايعذب عذابه أحد) أي لايتولى عذاب الله يومئذ أحد والأمر يومئذ أمره ولا أمر لغيره (ولا يوثق وثاقه أحد) يعني بالوثاق الاسار في السلاسل والأغلال والمعنى لايبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في التعذيب والايثاق (يأيتها النفس المطمئنة) الى ماوعد الله المصدقة بذلك (ارجعي الى ربك) يقال لها ذلك عند الموت (راضية) أي بما آتاها الله (مرضية) رضي عنها ربها هذا عند خروجها من الدنيا فاذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلي في عبادي) أي في جملة عبادي الصالحين (وادخلي جنتي)

﴿ تفسير سورة البلد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لاأقسم) المعنى أقسم ولا توكيد (بهذا البلد) يعني مكة (وأنت) يامحمد (حل) أي حلال (بهذا البلد) تصنع فيه ماتريد من القتل والأسر أحلت له مكة ساعة من نهار يوم الفتح حتى قاتل وقتل من شاء (ووالد) أقسم بآدم (وماولد) أي وولده وما بمعنى من (لقد خلقنا الانسان في كبد) أي مشقة يكابد أمر الدنيا والآخرة وشدائدها

اعتدال

وقيل منتصبا معتدلا (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) نزلت فى رجل من بنى جمح كان يكنى أبا الاشدين كان يوصف بالقوة فقال الله تعالى أيحسب بقوته أن لن يقدر عليه أحد والله قادر عليه (يقول أهلكت مالا) على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (لبدا) أى كثيرا بعضه فوق بعض وهو كاذب فى ذلك قال تعالى (أيحسب أن لم يره أحد) أى فى انفاقه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر ما يستدل به على أن الله قادر عليه وأنه يحصى عليه ما عمله فقال (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) يقول ألم نعرفه طريق الخير والشر (فلا اقتحم العقبة) اى لم يدخل العقبة وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنفقين فى طاعة الله تعالى فالمنفق فى طاعة الله يحتاج أن يتحمل الكلفة لكن يتكلف صعود العقبة ثم يقول لم ينفق هذا الانسان فى طاعة الله شيئا (وما أدراك ما العقبة) اى ما اقتحام ثم فسره فقال (فك رقبة) وهو اخراجها من الرق بالعون فى ثمنها (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة) اى ذى مجاعة (يتيما ذا مقربة) أى ذا قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أى ذا فقر قد لصق من فقره بالتراب (ثم كان من الذين آمنوا) أى كان مقتحم العقبة وفاك الرقبة والمطعم من الذين آمنوا فانه ان لم يكن منهم لم تنفعه قربة (وتواصوا) أى أوصى بعضهم بعضا (بالصبر) على طاعة الله تعالى (وتواصوا بالمرحمة) أى بالرحمة على الخلق (أولئك أصحاب الميمنة) اى من كان بهذه الصفة فهو من جملة أصحاب اليمين (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) أى أصحاب الشمال وقيل فى الميمنة انهم الميامين على أنفسهم وفى المشأمة انهم المشائيم على أنفسهم (عليهم نار مؤصدة) أى مطبقة

﴿ تفسير سورة والشمس ﴾

اعتدال القامة أو فى تعب فانه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه وليس فى هذه الدنيا لذة ألبتة فالذى يظن الانسان أنه لذة فهو خلاص عن الألم وما يتخيل من اللذة عند الأكل فهو خلاص عن ألم الجوع وما يتخيل من اللذة عند اللبس فهو خلاص عن ألم الحر والبرد فليس للانسان الا ألم أو خلاص عن ألم فاذا لابد بعد هذه الدار من دار أخرى لتكون تلك الدار دار اللذات والسعادات والكرامات (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) اى أيحسب الانسان بقوته أنه لن يقدر على بعثه ومجازاته أو على تغيير أحواله أحد وهو الله تعالى (يقول) اى الانسان كلدة بن أسيد أو الوليد بن المغيرة (أهلكت مالا لبدا) اى أنفقت مالا كثيرا فى عداوة محمد عليه الصلاة والسلام فلم ينفعنى ذلك شيئا وقرأ أبو جعفر بتشديد الباء مفتوحة وقرأ مجاهد وحميد بضم الباء واللام مخففا والباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء مخففا (أيحسب أن لم يره أحد) اى أيحسب هذا الانسان انه لم يره أحد وهو الله تعالى حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عن انفاقه ولا يجازيه عليه (ألم نجعل له عينين) ينظر بهما (ولسانا) ينطق به (وشفتين) يستر بهما فاه (وهديناه النجدين) اى بيناله الطريقين طريق الخير والشر أو دللناه على الثديين لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه فان الله تعالى هدى الطفل الصغير الى الثديين حتى ارتضعهما (فلا اقتحم العقبة) اى فهلا تلبس من أنفق ماله بمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى أعمال البر أو فلم يشكر تلك النعم الجليلة بتحصيل الاعمال الصالحة (وما أدراك ما العقبة) اى أى شئ أعلمك ما الدخول فى صعاب الطريق (فك رقبة) اى هى اعتاق رقبة أو اعطاء مكاتب ما يصرفه الى جهة فكاك نفسه أو تخليص شخص من قود أو غرم أو فك المرء رقبة نفسه باجتناب المعاصى وفعل الطاعات التى يصير بها الى الجنة ويتخلص بها من النار فهذه هى الحرية الكبرى (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة) اى مجاعة (يتيما ذا مقربة) اى ذا قرابة (أو مسكينا ذا متربة) اى ذا افتقار كأنه لصق بالتراب من ضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يفرشه قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بصيغة المصدر فى فك واطعام وهو خبر مبتدا محذوف والباقون بصيغة الفعل فيهما على الابدال من اقتحم المنفى بلا كأنه قيل فلا فك رقبة ولا أطعم فلا مكررة فى المعنى فلا يقال ان لا لا تدخل على الماضى الا مكررة (ثم كان) اى مكتسب الطاعات داخل الأمور الصعاب (من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر) اى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على أداء الطاعات وعلى المرازى (وتواصوا بالمرحمة) اى بالرحمة على عباده فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لأمر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله ومدار أمر الطاعات ليس الا على هذين الاصلين فان الاصل فى التصوف أمران صدق مع الحق وخلق مع الخلق (أولئك) اى الموصوفون بتلك الصفة (أصحاب الميمنة) أى الجانب الذى فيه البركة والنجاة من كل هلكة (والذين كفروا بآياتنا) اى بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة (هم أصحاب المشأمة) اى الخصلة المكسبة للحرمان (عليهم نار مؤصدة) اى مطبقة فلا يخرجون منها أبدا قرأ أبو عمرو وحفص وحمزة بالهمزة والباقون بواو ساكنة

﴿ سورة الشمس مكية . وهى خمس عشرة آية . وأربع وخمسون كلمة . ومائتان وسبعة وأربعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والشمس وضحاها) أى وضيائها (والقمر اذا تلاها) اى تبعها فى الضياء والنور وذلك فى النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس فى النور (والنهار اذا جلاها) أى جلى الظلمة وكشفها وقيل جلى الشمس و بينها لانها تتبين اذا انبسط النهار (والليل اذا يغشاها) اى ستر الشمس (والسماء وما بناها) اى و بنائها (والارض وما طحاها) اى وطحوها يعنى بسطها (ونفس وما سواها) اى وتسوية خلقها (فألهمها فجورها وتقواها) أى أعلمها الطاعة والمعصية و بين لها طريقهما (قد أفلح) اى سعد (من زكاها) أى أصلح الله نفسه وطهرها من الذنوب (وقد خاب من دساها) اى جعلها الله قليلة خسيسة حتى عملت بالفجور ومعنى دساها أخفى نورها ومحلها ووضع منها وأخملها وخذلها (كذبت ثمود بطغواها) اى بطغيانها كذبت الرسول (اذا انبعث أشقاها) اى قام أشقاها عاقر الناقة (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) ذروا ناقة الله (وسقياها) وشربها فى يومها (فكذبوه فعقروها) فقتلوا الناقة وقوله (فدمدم عليهم ربهم) أى أهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم فسواها) اى سوى الدمدمة عليهم فعمهم بها وقيل سوى ثمود بالهلاك فأنزله بصغيرها وكبيرها (ولا يخاف عقباها) يعنى لا يخاف الله تبعة ما أنزل بهم وقيل ولا يخاف أشقاها أى عاقبة جنايته (وما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والشمس وضحاها) أى ضوئها اذا ارتفعت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) أى تبع الشمس بأن طلع بعد غروبها وذلك فى النصف الاول من الشهر (والنهار اذا جلاها) أى اذا أظهر الشمس فانها تنكشف عند انبساط النهار فكأنه أظهرها مع أنها هى التى تبسطه (والليل اذا يغشاها) اى يغطى ضوء الشمس بظلمته (والسماء وما بناها) اى والذى خلقها وهو الله تعالى أقسم بنفسه (والأرض وما طحاها) اى بسطها على الماء (ونفس وما سواها) أى وجسد كثير والذى أنشأها متناسبة الأعضاء أو وقوة مدبرة والذى أعطاها قوى كثيرة كالقوة السامعة والباصرة والمفكرة والمذكرة (فألهمها فجورها وتقواها) اى أفهمها حالاهما من الحسن والقبيح وقيل ألهم الله الكافر فجوره وألهم المؤمن التقى تقواه (قد أفلح من زكاها) اى قد أدرك من طهر نفسه من الذنوب مطاو به بفعل الطاعة ومجانبة المعصية (وقد خاب من دساها) اى وقد خسر من أخفى نفسه فى المعاصى حتى انغمس فيها (كذبت ثمود بطغواها) أى فعلت ثمود تكذيب الرسول بسبب مجاوزتها الحد فى العصيان أو كذبت ثمود بعذابها أى لم يصدقوا رسولهم فيما أنذرهم به العذاب فالطغوى على هذا اسم للعذاب الذى أهلكوا به (اذا انبعث أشقاها) اى حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف ومصدع بن دهر لعقر الناقة برضاهم (فقال لهم) أى لثمود (رسول الله) صالح المعرف منهم أنهم قد عزموا على عقر الناقة (ناقة الله وسقياها) أى ذروا عقر الناقة التى هى آية الله الدالة على توحيده وعلى نبوتى واحذروا شربها فلا تمنعوها عنه فى نوبتها (فكذبوه) اى رسول الله صالحا فى وعيده بالعذاب (فعقروها) قال الفراء عقر الناقة اثنان وقال قتادة ذكر لنا ان قدارا أبى أن يعقرها حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم (فدمدم عليهم ربهم) اى أهلكهم ربهم (بذنبهم) اى بسبب قتلهم الناقة وتكذيبهم صالحا عليه السلام (فسواها) اى سوى هذه الطائفة فى انزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم ووضيعهم وشريفهم وذكرهم وأنثاهم وقرأ ابن الزبير فدهدم بهاء بين الدالين (ولا يخاف عقباها) اى ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله وهذه اشارة الى أنهم أذلاء عند الله تعالى. وقيل لا يخاف رسول الله صالح عقبى هذه العقوبة ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم وقيل قام الأشقى لعقر الناقة والحال أنه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء اى فهو كالآمن من نزول الهلاك به و بقومه ففعل مع هذا الخوف الشديد فعل من لا يخاف ألبتة فنسب فى ذلك الى الحمق وقرأ نافع وابن عامر فلا يخاف بالفاء والباقون بالواو وهى للحال أو للاستئناف الاخبارى وقرئ ولم يخف وهو مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة والليل مكية وهى احدى وعشرون آية . واحدى وسبعون كلمة . وثلاثمائة وعشرون حرفا . قال القفال رحمه الله نزلت هذه السورة فى أبى بكر وانفاقه على المسلمين وفى أمية ابن خلف و بخله وكفره بالله . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والليل اذا يغشى) أى حين يغشى الشمس (والنهار اذا تجلى) اى ظهر بزوال ظلمة الليل

﴿ تفسير سورة والليل ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والليل اذا يغشى) أى يغشى الأفق بظلمته (والنهار اذا تجلى) أى بان وظهر

(وماخلق) أي ومن خلق (الذكر والانثى) وهو الله تعالى (ان سعيكم لشتى) أي عملكم لمختلف يريد بينهما بعد يعني عمل المؤمن وعمل الكافر نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وأبي سفيان بن حرب (فأمامن أعطى) ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) يعني أيقن بأن الله يخلف عليه وقيل صدق بأن لا إله إلا الله (فسنيسره) أي فسنهيئه (لليسرى) أي للخلة اليسرى وهو الأمر السهل من العمل بما يرضى الله وكان أبو بكر رضي الله عنه اشترى جماعة يعذبهم المشركون ليرتدوا عن الاسلام فوصفه الله تعالى بأنه أعطى وصدق بالمجازاة من الله له (وأما من بخل) بالنفقة في الخير (واستغنى) عن الله فلم يرغب في ثوابه (فسنيسره للعسرى) أي نخذله حتى يعمل بما يؤديه الى العذاب والأمر العسير (وما يغني عنه ماله اذا تردى) أي مات وهلك وقيل سقط في جهنم (ان علينا للهدى) أي ان علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال (وان لنا للآخرة والأولى) فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ (فأنذرتكم) خوفتكم (نارا تلظى) أي تتوقد (لا يصلاها الا الاشقى) أي لا يدخلها الا الكافر (الذي كذب وتولى وسيجنبها) أي وسيبعد منها (الأتقى) يعني أبا بكر رضي الله عنه (الذي يؤتي ماله يتزكى) أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا ولا يطلب رياء وسمعة (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) وذلك أن الكفار قالوا لما اشترى أبو بكر رضي الله عنه بلالا وأعتقه مافعل أبو بكر ذلك الا ليد كانت عنده لبلال فقال الله تعالى وما لأحد عنده من نعمة تجزى أي لم يفعل ذلك ليد أسديت اليه (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) أي لكن طلب ثواب الله (ولسوف يرضى) أي سيدخل الجنة

(وماخلق الذكر والأنثى) أي والذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ماله توالد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والأنثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وماخلق الذكر بالجر والمعنى وماخلقه الله تعالى أي ومخلوق الله ثم يجعل الذكر بدلا منه أي ومخلوق الله الذكر والانثى (ان سعيكم لشتى) أي ان عملكم لمختلف في الجزاء لان بعضه ضلال يوجب النيران و بعضه هدى يوجب الجنان (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) أي فأما من أعطى من ماله في سبيل الله واجتنب المحارم وصدق بالشرائع فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى راحة كدخول الجنة (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) أي وأما من بخل بماله فلم يبذله في سبيل الخير واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بعدة الله من الخلف الحسن فسنهيئه للخصلة المؤدية الى الشدة كدخول النار (ومايغني عنه ماله اذا تردى) أي ولا ينفعه ماله الذي جمعه في الدنيا اذا مات أو أي شيء ينفعه ماله الذي بخل به ولم يصحبه منه الى آخرته اذا سقط في حفرة قبر أو في جهنم (ان علينا للهدى) أي ان الذي يجب علينا في الحكمة اذ خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم وجوه التعبد فقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا في الحكمة (وان لنا للآخرة والأولى) أي ان لنا ملك الدارين نعطي من نشاء مانشاء فمن طلبهما من غير نا فقد أخطأ الطريق فليطلب سعادتهما منا (فأنذرتكم) أي خوفتكم يا أهل مكة (نارا تلظى) أي تتوقد وقرئ شاذا بالتاءين (لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى) أي لا يدخلها دخولا لازما مؤبدا الا الكافر الذي هو شقي لانه كذب بآيات الله وأعرض عن طاعة الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية في أمية بن خلف وأمثاله الذين كذبوا محمدا والأنبياء قبله (وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) أي وسيبعد عنها البالغ في اتقاء المعاصي الذي يعطي ماله و يصرفه في وجوه الحسنات طالبا أن يكون ناميا عند الله تعالى لا يريد بذلك رياء ولا سمعة وروى الضحاك عن ابن عباس عذب المشركون بلال بن رباح واسم أمه حمامة و بلال يقول أحد أحد فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد ينجيك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر يا أبا بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف أبو بكر ما يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون مافعل ذلك أبو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله تعالى قوله (وما لأحد عنده) أي الأتقى (من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) أي لم يفعل أبو بكر ذلك مجازاة لأحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه الله تعالى وقرأ يحيى بن وثاب برفع الابتغاء على البدل من محل نعمة فانه رفع اما على الفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة و يجوز أن يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) أي ما أنفق أبو بكر الا لطلب رضوان الله و بالله لسوف يرضى الله عنه ولم يكن للنبي ولا لغيره عليه نعمة دنيوية بل كان أبو بكر هو الذي ينفق على رسول الله وانما كان للنبي عليه نعمة الهداية الى الدين الا أن هذه نعمة لا يجزى الانسان بها قال ابن الزبير كان أبو بكر يشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال له أبوه يا بني لو كنت تشتري

من يمنع ظهرك فقال منع ظهري أريد فأنزل الله تعالى وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وقرئ يرضى مبنيا للمفعول

﴿ سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية. وأربعون ﴾

﴿ كلة . ومائة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والضحى) وهو أول النهار حين ترفع الشمس وتلقى شعاعها وتخصيصه بالاقسام به لانه الساعة التي كلم الله موسى فيها وألقى السحرة فيها سجدا (والليل اذا سجى) أي أظلم واسود ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام و بالليل ليلة المعراج وقيل انما ذكر ساعة من النهار وذكر الليل بكليته لان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى أن هموم الدنيا أدوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات (ماودعك ربك) أي ماقطعك ربك قطع المودع والمفارق وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام وابن أبي عبلة بتخفيف الدال أي ماتركك ربك يا أشرف الرسل منذ أوحى اليك تركا تحصل به فرقة كفرقة المودع (وماقلى) أي ما أبغضك ربك منذ أحبك . روى البخاري عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب فقالت يا محمد اني لارجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت هذه الآية وروى أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لاينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم ياخولة ماحدث في بيتي ان جبريل عليه السلام لايأتيني قالت خولة فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال ياخولة دثريني فأنزل الله تعالى هذه السورة ولما نزل جبريل عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التأخر فقال أما علمت أنا لاندخل بيتا فيه كلب ولاصورة وروى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وروى أن سبب احتباس جبريل عليه السلام لانه كان فيهم من لايقلم الأظفار (وللآخرة خير لك من الأولى) أي وللاحوال الآتية خير لك من الماضية كأنه تعالى وعده بأنه سيزيده كل يوم عزا الى عز ومنصبا الى منصب فيقول لاتظن أني قليتك بل اني أزيدك منصبا وجلالا ثم ان هذا التشريف وان كان عظيما الا أن مالك عند الله في الآخرة خير وأعظم أو وللآخرة خير لك من الدنيا لان الكفار في الدنيا يطعنون فيك أما في الآخرة فأجعل أمتك شهداء على الأمم وأجعلك شهيدا على الأنبياء ثم أجعل ذاتي شهيدا لك كما قال تعالى وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله (ولسوف يعطيك ربك) من خيرات الدنيا والآخرة (فترضى) روى عن علي بن أبي طالب وابن عباس أن هذا هو الشفاعة في الأمة كما يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اذا لاأرضى وواحد من أمتي في النار وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال رضى جدي أن لايدخل النار موحد وهذا أيضا وعده تعالى رسوله على أحوال الدنيا فهو اشارة الى ما أعطاه الله تعالى من الظفر بأعدائه يوم بدر و يوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم و بث عساكره في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الارض من المدائن وما هدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وما وهبهم من كنوز الاكاسرة وماقذف في أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة (ألم يجدك يتيما فآوى) بمد الهمزة أي ضمك

﴿تفسير سورة والضحى﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والضحى) يعني النهار كله (والليل اذا سجى) أي سكن بالخلق واستقر بظلامه (ماودعك ربك وما قلى) أي ماتركك منذ اختارك (ولا أبغضك منذ أحبك وهو جواب القسم وقد كان تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما فقال ناس ان محمدا ودعه ربه وقلاه فأنزل الله هذه السورة (وللآخرة خير لك من الأولى) لان الله تعالى يعطيك فيها الكرامات والدرجات (ولسوف يعطيك ربك) في الآخرة من الثواب في مقام الشفاعة (فترضى) يروى أنه قال لما نزلت هذه الآية اذا لاأرضى وأحد من أمتي في النار ثم أخبر عن حاله قبل الوحي وذكره نعمه عليه فقال (ألم يجدك يتيما) حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولامأوى (فآوى) أي فآواك الى عمك أبي طالب وضمك اليه حتى كفلك وربالك

الى من يكفلك وقرأ أبو الاشهب فأوى ثلاثيا أى فرحمك روى أن عبدالله بن عبد المطلب توفى وهو صلى الله عليه وسلم جنين قد أتت عليه ستة أشهر ثم ولد رسول الله فكان مع عبد المطلب ومع أمه آمنة فماتت وهو ابن ست سنين فكان مع جده ثم مات بعد آمنة بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين وكان عبد المطلب يوصى أبا طالب به فكان هو الذى يكفل رسول الله بعد جده الى أن بعثه الله للنبوة فقام بنصرته صلى الله عليه وسلم ثم توفى أبو طالب فذكره الله هذه النعمة روى أن أبا طالب قال يوما لأخيه العباس ألا أخبرك عن محمد بما رأيت منه فقال بلى فقال انى ضممته الى فكنت لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار ولا آئتمن عليه أحدا حتى انى كنت أنومه فى فراشى فأمرته ليلة أن يخلع ثيابه وينام معى فرأيت الكراهة فى وجهه لكنه كره أن يخالفنى وقال ياعماه اصرف بوجهك عنى حتى أخلع ثيابى اذ لا ينبغى لأحد أن ينظر الى جسدى فتعجبت من قوله وصرفت بصرى حتى دخل الفراش فلما دخلت معه فى الفراش اذ بينى و بينه ثوب فى غاية اللين وطيب الرائحة كأنه غمس فى المسك فجهدت لأنظر الى جسده فما كنت أرى شيئا وكنت أفتقده من فراشى مرارا فاذا قمت لأطلبه نادانى ها أنا ياعم فارجع ولقد كنت أسمع منه مرارا كلاما يعجبنى وذلك عند مضى بعض الليل وكان يقول فى أول الطعام باسم الله الاحد فاذا فرغ من طعامه قال الحمد لله فتعجبت منه ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع صبيان يلعبون (ووجدك ضالا فهدى) أى وجدك خاليا من الشريعة فهداك بانزالها اليك وقيل وجدك ضالا عن عبد المطلب فردك اليه كما روى أنه ﷺ قال ضللت عن جدى عبد المطلب وأنا صبى ضائع كاد الجوع يقتلنى فهدانى الله وروى عن ابن عباس أن النبى ﷺ ضل فى شعاب مكة وهو صبى فتعلق عبد المطلب بأستار الكعبة وقال

يارب رد ولدى محمدا * اردده ربى واصطنع عندى يدا

فمازال يردد هذا عند البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد بين يديه وهو يقول لا تدرى ماذا ترى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال انى أنخت الناقة وأركبته من خلفى فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمامى قامت الناقة وكانت تقول يا أحمق هو الامام فكيف يقوم خلف المقتدى وقال ابن عباس رده الله الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى حين حفظه على يد عدوه (ووجدك عائلا) أى فقيرا كما روى أن فى مصحف عبدالله ووجدك عديما وقرأ اليمانى عيلا بكسر الياء المشددة كسيد (فأغنى) أى أغناك بالقناعة فصرت بحال يستوى عندك الحجر والذهب لا تجد فى قلبك سوى ربك وقيل أغناك بمال أبى بكر و بهيبة عمر روى أن عمر قال حين أسلم والأصحاب كانوا يعبدون الله سرا يارسول الله ابرز أنعبد نحن اللات جهرا ونعبد الله سرا فقال صلى الله عليه وسلم حتى تكثر الأصحاب فقال حسبك الله وأنا فقال تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وقيل أغناه الله تعالى بتربية أبى طالب ولما اختلت أحوال أبى طالب أغناه بمال خديجة ولما اختل ذلك أغناه بمال أبى بكر ولما اختل ذلك أمره بالهجرة وأغناه باعانة الأنصار ثم أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم ثم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت ظل رمحى (فأما اليتيم فلا تقهر) أى لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما كما قاله مجاهد أو فلا تغلبه على ماله وقرئ فلا تكهر أى فلا تعبس وجهك اليه وروى أن هذه الآية نزلت حين صاح النبى صلى الله عليه وسلم على ولد خديجة واذا كان هذا العتاب بمجرد الصياح أو العبوسة فى الوجه فكيف اذا أذل اليتيم أو أكل ماله وروى أن موسى عليه السلام قال الهى بما نلت ما نلت قال الله تعالى أتذكر حين هربت منك السخلة فلما قدرت عليها قلت أتعبت نفسك ثم حملتها فلهذا السبب جعلتك وليا على الخلق فلما نال موسى عليه السلام النبوة بالاحسان الى الشاة فكيف بالاحسان الى اليتيم (وأما السائل فلا تنهر)

(و وجدك ضالا) عما أنت عليه اليوم من معالم النبوة وأحكام القرآن والشريعة (فهدى) ك اليها كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب الآية (ووجدك عائلا) أى فقيرا لا مال لك (فأغنى) ك بمال خديجة ثم بالغنائم (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه واذكر يتمك (وأما السائل فلا تنهر) أى فلا تزجر لكن ببذل يسير أو رد جميل واذكر فقرك

أي لا تغلظ له القول بل رده ردا لينا برفق والمراد من السائل مطلق السائل روي أنه صلى الله عليه وسلم كان جالسا فجاء عثمان بتمر فوضعه بين يديه فأراد أن يأكل فوقف سائل بالباب فقال رحم الله عبدا يرحمنا فأمر بدفعه الى السائل فكره عثمان ذلك وأراد أن يأكله النبي صلى الله عليه وسلم فخرج واشتراه من السائل ثم رجع السائل وكان النبي يعطيه ففعل ذلك ثلاث مرات فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسائل أنت أم بائع فنزل وأما السائل فلا تنهر واختار الحسن أن المراد من السائل من يسأل العلم وروى الزمخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره (وأما بنعمة ربك فحدث) قال مجاهد تلك النعمة هي القرآن فالتحديث به أن يقرأه ويقرئ غيره وروى عنه أيضا ان تلك النعمة هي النبوة أي بلغ ما أنزل اليك من ربك وروى عن الحسين ابن علي رضي الله عنهما أنه قال اذا عملت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك الا أن هذا انما يحسن اذا لم يتضمن رياء وظن أن غيره يقتدي به وروى أن شخصا كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال صلى الله عليه وسلم ألك مال قال نعم فقال له صلى الله عليه وسلم اذا آتاك الله مالا فلير أثره عليك وروى أنه ﷺ قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده

﴿ سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات. وتسع وعشرون كلمة. ومائة وثلاثة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يروى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز كانا يقولان هذه السورة وسورة الضحى سورة واحدة وكان يقرآنهما في الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم قال الجمل ولما ذكر الله تعالى بعض النعم عليه ﷺ بقوله تعالى ما ودعك ربك الخ أتبعه بما هو كالتتمة له وهو شرح الصدور فقال (ألم نشرح لك صدرك) قال في نور القياس وهذا معطوف على قوله تعالى ووجدك عائلا فأغنى أي ألم نشرح لك يا أشرف الرسل قلبك للاسلام ويقال ألم نوسع قلبك للنبوة وقال الرازي استفهم الله عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك أي بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا ودعوة الخلق روي أن جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة وهو ابن أربع سنين فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه ثم ملأه علما وايمانا ثم رده في صدره وشق أيضا عند بلوغه عشر سنين وعند البعثة وليلة الاسراء فمرات الشق أربع على الصحيح وانما ذكر الصدر لأنه محل الوسوسة قال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فالشيطان يجيء الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا نزل فيه هو وجنده وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء حتى لم يجد مسلكا حصل الامن ويزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام بأداء العبودية وانما قال الله تعالى ألم نشرح لك تنبيها على أن منافع الرسالة عائدة اليه صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى قال انما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي (ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك) أي خففنا عنك أعباء النبوة التي تثقل ظهرك من القيام بأمرها والمحافظة على حقوقها بأن يسرها الله عليه ﷺ حتى تيسرت له وقيل عصمناك عن الوزر الذي يثقل ظهرك وقيل لئن كان نزول السورة بعد موت أبي طالب وخديجة فلقد كان فراقهما عليه ﷺ وزرا عظيما فوضع عنه الوزر برفعه الى السماء حتى لقيه كل ملك وحياه فارتفع له الذكر فلذلك قال تعالى (ورفعنا لك ذكرك) أي رفع ذكره حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة

الشهادة

(وأما بنعمة ربك) يعني بالنبوة والقرآن (فحدث) أخبر بهما.

﴿تفسير سورة ألم نشرح﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألم نشرح لك صدرك) أي ألم نفتح ونوسع ونلين قلبك بالايمان والنبوة والعلم والحكمة وهذا استفهام معناه التقرير (ووضعنا عنك وزرك) يعني ما سلف منه في الجاهلية وقيل يعني الخطأ والسهو وقيل معناه خففنا عليك أعباء النبوة والوزر معناه في اللغة الحمل الثقيل (الذي أنقض ظهرك) أي أثقله (ورفعنا لك ذكرك) يعني اذا ذكرت ذكرت معي

الشهادة والأذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبي الله ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) قال في العسر الأول للعهد الحضوري وفي الثاني للعهد الذكري فالعسر واحد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو وتنكير يسرا للتفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسرا عظيما و يسرا كاملا فتناول يسر الدارين ولذلك قال ﷺ والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه لن يغلب عسر يسرين فقوله تعالى ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر وفي مصحف ابن مسعود جملة واحدة مرة واحدة قال الرازي والمراد من اليسرين في قوله ﷺ لن يغلب عسر يسرين يسر الدنيا و يسر الآخرة وهما استفتاح البلاد وثواب الجنة وهذه الآية تثبيت لما قبلها ووعد كريم بتيسير كل عسير له ﷺ وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا (فاذا فرغت فانصب) أي فاذا فرغت من عبادة فأتبعها بعبادة أخرى بأن تواصل بين بعض العبادات و بعض وأن لا تخلي وقتا من أوقاتك منها قال قتادة والضحاك ومقاتل اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب في الدعاء وارغب الى ربك في المسئلة يعطك وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقال مجاهد اذا فرغت من أمر دنياك فانصب وصل وقال عبد الله بن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقال ابن حبان عن الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب واستغفر لذنبك وللمؤمنين وقال علي بن أبي طلحة اذا كنت صحيحا فاجعل فراغك تعبا في العبادة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني أكره أن أرى أحدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (والى ربك فارغب) أي الى ربك فارفع حوائجك واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أي رغب الناس الى طلب ما عنده تعالى

﴿ سورة والتين مكية وهي ثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والتين والزيتون) هما ثمران معلومان أقسم الله بهما لما فيهما من الصالح والنافع فان التين فاكهة طيبة لا عجم له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع و يحلل البلغم و يسمن البدن و يفتح سدد الكبد والطحال و يقطع البواسير والزيتون فاكهة وادام ودواء وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب أهل الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح المبني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى وعن الربيع هما جبلان بين همذان وحلوان وقال كعب التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقال شهر بن حوشب التين الكوفة والزيتون الشام (وطور سينين) وهو جبل نبير وهو جبل بمدين الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الأمين) وهو مكة فهو أمين من أن يهاج فيه على من دخل فيه (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) أي كائنا في أحسن ما يكون من تعديل صورة ومعنى فانه تعالى خلقه مستوي القامة متناسب الأعضاء متصفا بأكمل عقل وفهم وعلم وأدب اذا تكامل شبابه (ثم رددناه أسفل سافلين) أي حال كونه أسفل سافلين أي حيث لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه و بصره وعقله فلا يكتب له وقتئذ حسنة أو رددناه مكانا أسفل سافلين وهو النار

(فان مع العسر) أي مع الشدة التي أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين (يسرا) باظهاري اياك عليهم حتى تغلبهم وينقادوا لك طوعا أو كرها (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد وقيل ان هذا عام في كل عسر أصاب المؤمن وهو من الله على وعد اليسر اما في الدنيا واما في الآخرة فالعسر واحد واليسر اثنان (فاذا فرغت) من صلاتك (فانصب) أي اتعب في الدعاء وسله حاجتك وارغب اليه

﴿تفسير سورة والتين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والتين والزيتون) هما جبلان في الشام يقال لهما طور تينا وطور زيتا بالسريانية سميا بالتين والزيتون لأنهما ينبتان بهما وطور سينين يعني جبل موسى وسينين المبارك بالسريانية (وهذا البلد الأمين) الآمن يعني مكة سماه أمينا لانه آمن لا يهاج أهله (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) أي أعدل قامة وأحسن صورة لانه معتدل القامة يتناول مأكوله بيده وقوله (ثم رددناه أسفل سافلين) أي أرذل العمر والسافلون هم الهرمى والزمنى والضعفى

(الا الذين آمنوا) الآية يعني أن المؤمن اذا رد الى أرذل العمر كتب له أجر ما كان يعمل بخلاف الكافر وذلك قوله (فلهم أجر غير ممنون)
أي غير مقطوع وقيل معنى قوله ثم رددناه أسفل سافلين أي الى النار يعني الكافر ثم استثنى

المؤمنين فقال الا الذين آمنوا وهذا القول أظهر ثم قال توبيخا للكافر (فما يكذبك) أيها الانسان (بعد) أي بعد الحجة (بالدين) أي بالحساب والجزاء ومعنى ما يكذبك أي ما الذي يجعلك مكذبا بالدين وقيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فما الذي يكذبك يا محمد بعد ما تبين من قدرتنا على خلق الانسان وظهر من حجتنا كأنه قال فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب (أليس الله بأحكم الحاكمين) في جميع ما خلق وصنع فكل ذلك دليل على علمه وحكمته جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا اله غيره

﴿ تفسير سورة القلم ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اقرأ باسم ربك) يعني اقرأ القرآن باسم ربك وهو أن تذكر التسمية في ابتداء كل سورة (الذي خلق) أي خلق الأشياء والمخلوقات (خلق الانسان) يعني ابن آدم (من علق) جمع علقة (اقرأ وربك الأكرم) يعني الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم بالعقوبة (الذي علم بالقلم) ثم بين ما علم فقال (علم الانسان ما لم يعلم) وهو الخط والكتابة (كلا) أي حقا (ان الانسان ليطغى) أي ليتجاوز حده و يستكبر على ربه (أن رآه) أي رأى نفسه (استغنى)

وقرأ عبد الله أسفل السافلين معرفا والسافلون هم الضعفاء والزمنى والصغار فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) وهذا الاستثناء على القول الأول منقطع والمعنى ثم رددناه أسفل من سفل بعد ذلك التحسين في أحسن الصورة حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره وضعف بصره وسمعه ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم أو فلهم أجر غير ممنون به عليهم أما على القول الثاني فهو متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع والمعنى ثم رددناه أسفل من سفل أي أقبح من كل قبيح صورة وأسفل من كل سافل من أهل الدركات وهم أهل النار الا الذين كانوا صالحين فلا نردهم أسفل سافلين (فما يكذبك بعد بالدين) وما اسم استفهام على وجه الانكار والتعجب والخطاب للانسان على طريقة الالتفات أي فما الذي يحملك أيها الانسان على التكذيب بالبعث بعد ظهور هذه الدلالة الناطقة بالجزاء أي فان خلق الانسان من النطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من أوضح الدلائل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فمن شاهد تلك الحالة ثم بقي مصرا على انكار الحشر فلا شيء أعجب منه وقيل الخطاب للرسول وما اما اسم استفهام أو بمعنى من أي فأي شيء يجعلك كاذبا بسبب انكار الكافر الحساب بعد هذه الدلائل أو فمن يكذبك بالحساب يا أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل (أليس الله بأحكم الحاكمين) يحكم على الكفار بما يستحقونه من العذاب أو أليس الذي فعل ما ذكر بأتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء فان عدم امكانهما يقدح في القدرة وعدم وقوعهما يقدح في الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وفي الحديث من قرأ والتين الى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أي سواء كان في الصلاة أو خارجها

﴿ سورة العلق وتسمى سورة القلم وسورة اقرأ مكية وهي تسع عشرة آية .
واثنتان وسبعون كلمة . ومائتان وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقرأ باسم ربك) أي اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أي قل باسم الله ثم اقرأ القرآن (الذي خلق) كل شيء (خلق الانسان من علق) أي من دم جامد (اقرأ وربك الأكرم) أي امض لما أمرت به والحال أن ربك الذي أمرك بالقراءة هو الأكرم (الذي علم بالقلم) أي علم الانسان الخط بالقلم وعلم ينصب مفعولين وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش روى عبد الله ابن عمرو قال قلت يا رسول الله أأكتب ما أسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله تعالى علم بالقلم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة أي حذرا من تطلعهن الى الرجال وحذرا من الفتنة لأنهن قد يكتبن لمن يهوين (علم الانسان ما لم يعلم) أي علمه بالقلم وبدونه من الأمور الجلية والخفية ما لم يخطر بباله (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) أي حقا يا محمد ان الكافر يتكبر على ربه لأن رأى نفسه مستغنيا عن الله بالمال نزلت الآيات من ههنا الى آخر السورة في أبي جهل روى أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ أتزعم

أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم (ان الى ربك الرجعى) اى ان الى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث فسترى حينئذ عاقبة تمردك (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) وأرأيت لحمل المخاطب وهو النبي على التعجب وهي تتعدى الى مفعولين لانها بمعنى أخبرنى فالمفعول الاول الذى والمفعول الثانى محذوف وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد أرأيت الثالثة أى أخبرنى يا محمد الناهى من يصلى ألم يعلم أن الله يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل روى مسلم عن أبى هريرة قال قال أبو جهل فى ملأ من طغاة قريش هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقالوا نعم قال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته فنكص على عقبيه وهو يتقى بيديه فقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال ان بينى و بينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فأنزل الله هذه الآية (أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى) ومفعولا أرأيت محذوفان حذف الاول لدلالة المفعول الاول من أرأيت الاولى عليه وحذف الثانى لدلالة مفعول أرأيت الثالثة عليه وأو بمعنى الواو والمعنى أخبرنى يا محمد ذلك الناهى ان صار على الهدى وأمر بالتقوى أما كان ذلك خيرا له من الكفر بالله والنهى عن خدمته كأنه تعالى يقول تلهف يا مخاطب عليه كيف فوت على نفسه المراتب العالية وقنع بالمراتب الدنيئة وهو رجل عاقل ذو ثروة لا يليق به ذلك (أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى) والجملة الاستفهامية تكون فى موضع المفعول الثانى لأرأيت ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول أو اسم اشارة يشار به اليه اى أرأيته يا محمد ان كذب هذا الكافر بتلك الدلائل الواضحة وأعرض عن خدمة خالقه ألم يعلم بعقله أن الله يرى منه هذه الاعمال القبيحة أفلا ينزجر عنها (كلا) اى لن يصل أبو جهل الى ما يقول انه يقتل محمدا أو يطأ عنقه بل تلميذ محمد هو الذى يقتله و يطأ صدره وهو عبد الله بن مسعود (لئن لم ينته) اى والله لئن لم ينته أبو جهل عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم (لنسفعا بالناصية) اى لنأخذن الناصية ولنجرن بها الى النار فى الآخرة أو لنقبضن على الناصية فى الدنيا روى أن أبا جهل لما قال ان رأيته يصلى لأطأن عنقه فأنزل الله تعالى هذه السورة وأمره جبريل عليه السلام بأن يقرأها على أبى جهل و يخر لله ساجدا فى آخرها ففعل فعدا اليه أبو جهل ليطأ عنقه فلما دنا منه نكص على عقبيه راجعا فقيل له مالك قال ان بينى و بينه فحلا فاغرا فاه لو مشيت اليه لالتقمنى وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وروى أنه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه من يقرؤها منكم على رؤساء قريش فقام ابن مسعود وقال أنا يا رسول الله ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام أبو جهل فلطمه فشق أذنه وأدماه فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم رق قلبه وأطرق رأسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام يجىء ضاحكا مستبشرا فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل تضحك وابن مسعود يبكى فقال ستعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ فى الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم له خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فأخذ يطالع القتلى فاذا أبو جهل مصروع يخور نخاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه فلما عرف عجزه ارتقى الى صدره بحيلة فلما رآه أبو جهل قال يا رويعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو

(ان الى ربك الرجعى) أى المرجع فى الآخرة فيجازى الطاغى بما يستحقه (أرأيت الذى ينهى) يعنى أبا جهل (عبدا اذا صلى) وذلك أنه قال لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن على رقبته ومعنى أرأيت ههنا تعجيب وكذلك قوله (أرأيت ان كان على الهدى) الى قوله (وتولى) والمعنى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى أو أمر بالتقوى معناه آمر بالتقوى والناهى كاذب متول عن الذكر أى فما أعجب من ذا (ألم يعلم) أبو جهل (بأن الله يرى) أى يراه ويعلم ما يفعله (كلا) ردع وزجر (لئن لم ينته) عما هو عليه من الكفر ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم (لنسفعا بالناصية) أى لنجرن بناصيته الى النار ثم وصف ناصيته فقال

ولا يعلى عليه فقال له أبو جهل بلغ صاحبك أنه لم يكن أحد أبغض الى منه في حياتي ولا أحد أبغض الى منه في حال مماتي ثم قال لابن مسعود اقطع رأسي بسيفي هذا لانه أحد فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فلما لم يطقه شق أذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول يا محمد أذن بأذن لكن الرأس ههنا مع الأذن وقرئ لنسفعن بالنون المشددة فالفاعل لهذا الفعل هو الله والملائكة وقرأ ابن مسعود لأسفعن اى يقول الله يا محمد أنا الذى أتولى اهانة أبي جهل (ناصية كاذبة) في قولها (خاطئة) في فعلها لان صاحبها متمرد على الله تعالى ولانه كان كاذبا على الله تعالى في قوله انه تعالى لم يرسل محمدا وكاذبا على رسوله في قوله ان محمدا ساحر أو كذاب أوليس بنبي وناصية بدل من الناصية وقرئ ناصية بالرفع والتقدير هى ناصية وقرئ ناصية بالنصب وكلاهما على الشتم (فليدع ناديه) اى أهل مجلسه الذين يجتمعون فيه للتشاور أولانه مجلس العطاء والجود (سندع الزبانية) هم الملائكة الغلاظ الشداد كما قاله الزجاج قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فزبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل والله انك لتعلم بأنى أكثر أهل الوادى ناديا فأنزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس لودعا ناديه لأخذته زبانية الله فكأنه تعالى لما عرفه أنه مخلوق من علق فلا يليق به التكبر فهو عند ذلك ازداد تعززا بماله ورياسته في مكة ويروى أنه قال ليس بمكة أكرم منى وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال أبو جهل أنا أدعو قومى حتى يمنعوا عنى ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهددنى بالزبانية فلا أدرى الزبانية ومال الى الفارس فخشيت منه وقيل كان جبريل وميكائيل عليهما السلام على كتفيه صلى الله عليه وسلم في صورة الأسد قال ابن عباس رضى الله عنهما والله لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته معاينة وقرئ ستدعى الزبانية على المجهول أى ليجروه الى النار (كلا) اى لن يصل أبو جهل الى ما يتصلف به من أنه يدعو قومه (لاتطعه) اى أبا جهل فيما يأمرك به من ترك الصلاة بل دم على ما أنت عليه من مخالفته (واسجد) اى صل وتوفر على عبادة الله تعالى فعلا وابلاغا وقلل فكرك في هذا العدو فان الله مقويك وناصرك (واقترب) اى ابتغ بسجودك قرب المنزلة من ربك

﴿ سورة القدر مدنية قال الواحدى انها أول سورة نزلت بالمدينة وهى خمس آيات.

وثلاثون كلمة . ومائة وأحد وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا أنزلناه في ليلة القدر) اى انا أنزلنا القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ على كتبة ملائكة سماء الدنيا الى بيت العزة منها ثم نجمته السفرة على جبريل فكان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة اليه ومعنى القدر التقدير وسميت ليلة القدر بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك ويسلمه الى مدبرات الأمور وهم أربعة من الملائكة اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام والجمهور على أنها مختصة برمضان واختلفوا في تعيينها وقال بعضهم انها ليلة السابع والعشرين لان فيها أمارات ضعيفة منها ماروى أن عمر سأل الصحابة عن ليلة القدر ثم قال لابن عباس غص ياغواص فقال زيد بن ثابت أحضرت أولاد المهاجرين وما أحضرت أولادنا فقال عمر لعلك تقول ان هذا غلام ولكن عنده ماليس عندكم فقال ابن عباس

(ناصية كاذبة خاطئة) وتأويلها صاحبها كاذب خاطئ (فليدع ناديه) فليستعن بأهل مجلسه وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأملأن عليك هذا الوادى خيلا جردا ورجالا مردا فقال الله تعالى فليدع ناديه (سندع الزبانية) وهم الملائكة الغلاظ الشداد قال رسول الله ﷺ لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كلا) أى ليس الأمر على ماهو عليه أبو جهل (لاتطعه واسجد) أى وصل (واقترب) أى تقرب الى ربك بطاعته

﴿ تفسير سورة القدر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أنزلناه) أى أنزلنا القرآن (في ليلة القدر) أى ليلة الحكم والفصل يعنى يقضى الله تعالى فيها قضاء السنة والقدر بمعنى التقدير أنزل الله تعالى القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة

أحب الاعداد الى الله تعالى الوتر وأحب الوتر اليه السبعة فذكر السموات السبع والارضين السبع والاسبوع ودركات النار وعدد الطواف والاعضاء السبعة فدل ذلك العدد على أنها السابعة والعشرون ومنها قول ابن عباس ان هذه السورة ثلاثون كلمة وقوله تعالى هي هو سابع وعشرون ومنها مانقل عن ابن عباس أنه قال ليلة القدر تسعة أحرف وهو مذكور ثلاث مرات فتكون الجملة سبعة وعشرين ومنها ماروى أنه كان لعثمان بن أبي العاص عبد فقال يامولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرون (وما أدراك ماليلة القدر) أي ماغاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين الله فضلها من ثلاثة أوجه أو أربعة بقوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر أي ان العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر قال مجاهد كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسى فعل ذلك ألف شهر فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من ذلك فأنزل الله هذه الآية أي ليلة القدر لامتك خير من ألف شهر لذلك الاسرائيلي الذي حمل السلاح ألف شهر وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وقال الحسن بن على رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه ان بني أمية يطأون منبره صلى الله عليه وسلم واحدا بعد واحد وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه السورة ثم قال القاسم بن فضل فحسبنا ملك بني أمية فاذا هو ألف شهر فكأن الله تعالى يقول أعطيتك يا أشرف الخلق ليلة هي في السعادات الدينية أفضل من السعادات الدنيوية في أيام ملك بني أمية ومن المعلوم ان الطاعة في ألف شهر أشق من الطاعة في ليلة واحدة لكن الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف الوجوه ألا ترى ان صلاة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة مع ان صلاة الجماعة قد تنقص صورة فان المسبوق سقطت عنه ركعة واحدة وأيضا فأنت اذا قلت لمن يرجم بالزنا هذا زان فلا بأس ولو قلته للنصراني فهو قذف يوجب التعزير ولو قلته للمحصن فهو قذف يوجب الحد ولو قلته في حق عائشة كان ذلك القول كفرا ثم القائل بقوله هذا زان قد ظن ان هذه اللفظة سهلة مع انها أثقل من الجبال فثبت بهذا ان الافعال تختلف آثارها في الثواب والعقاب لاختلاف وجوهها فلا يبعد ان تكون الطاعة القليلة في الصورة مساوية في الثواب للطاعات الكثيرة (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر) روى انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل ومعه أربعة ألوية فينصب لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولايدع بيتا فيه مؤمن أو مؤمنة الادخله وسلم عليه يقول يامؤمن أو يامؤمنة السلام يقرئكم السلام الاعلى مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير وقوله باذن ربهم متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أي متلبسين بأمر ربهم فانهم لايتصرفون تصرفا ماالا بأمره وقوله من كل أمر متعلق بتنزل أي تنزل أولئك في تلك الليلة من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى عام قابل فكل واحد منهم نزل لامر آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقدر المقادير في ليلة البراءة أي وهو نصف شعبان فاذا كان ليلة القدر يسلمها الى أربابها وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل انسان فان الملائكة يرون في الارض أنواع الطاعات التي لم يروها في عالم السموات (سلام هي حتى مطلع الفجر) فسلام خبر مقدم وهي مبتدأ مؤخر أي تلك الليلة سالمة عن الرياح والاذى والصواعق ومن كل آفة كما قاله أبو مسلم وابن عباس

(وما أدراك) يامحمد (ماليلة القدر) على التعظيم لشأنها والتعجب منها ثم أخبر عنها فقال (ليلة القدر خير من ألف شهر) أي من ألف شهر ليس ليلة القدر فيها (تنزل الملائكة والروح) يعني جبريل عليه السلام (فيها) أي في تلك الليلة (باذن ربهم من كل أمر) أي بكل أمر قضاه الله في تلك الليلة للسنة وتم الكلام هاهنا ثم قال (سلام هي) أي تلك الليلة كلها سلامة وخير لاداء فيها ولايستطيع الشيطان أن يصنع فيها شيئا وقيل يعني تسليم الملائكة في تلك الليلة على أهل المساجد (حتى مطلع الفجر) أي الى وقت طلوع الفجر

(لم يكن الذين كفروا) بمحمد (من أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) يعني كفار العرب (منفكين) أي منتهين زائلين عن كفرهم (حتى تأتيهم) يعني أتتهم (البينة) أي البيان والبصيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن يقول لم يتركوا كفرهم حتى بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فيمن آمن من الفريقين ثم فسر البينة فقال (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) أي كتبا مطهرة أي من الباطل (فيها كتب) أي أحكام (قيمة) أي مستقيمة عادلة ثم ذكر كفار أهل الكتاب فقال (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) أي ما اختلفوا في كون محمد رسولا حقا لما يجدون في كتبهم من نعته (الامن بعد ماجاءتهم البينة) أي الا من بعد ما تبينوا أنه الذي وعدوا به في التوراة والانجيل يريد انهم كانوا مجتمعين على صحة نبوته فلما بعث جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن وهذا كقوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم الآية (وما أمروا) يعني كفار أهل الكتاب (الا ليعبدوا) أي الا أن يعبدوا (الله مخلصين له الدين) يعني الطاعة أي موحدين له لايعبدون معه غيره (حنفاء) أي على دين ابراهيم ودين محمد صلى الله عليه وسلم وقوله (وذلك دين القيمة) أي دين الملة القيمة وهي المستقيمة وباقي السورة ظاهر

وحتى متعلق بتنزل أي ان الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل الى طلوع الفجر فترادف النزول لكثرة سلامهم على أهل الصوم والصلاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وقيل ان حتى متعلق بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر في الجار والمجرور أي ان ليلة القدر سلام الى طلوع الفجر أي تسليم الملائكة على المطيعين ويقال ان ليلة القدر من أولها الى طلوع الفجر سالمة من التفاوت والنقصان فان العبادة في كل جزء من أجزاء أوقاتها خير من ألف شهر فليست ليلة القدر كسائر الليالي في انه يستحب الفرض الثلث الاول والتطوع النصف والدعاء السحر بل هي متساوية الاوقات وقيل ان الوقف عند قوله تعالى سلام فقوله تعالى من كل أمر متعلق به وقوله سلام خبر بعد خبر كقوله تنزل وقوله تعالى هي مبتدأ وخبره ما بعده والمعنى كما قاله ابن عباس ليلة القدر سلامة من كل أمر مخوف ومن كل شرور وفضلها مستمر الى طلوع الفجر وقرأ الكسائي مطلع بكسر اللام

﴿ سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وسورة القيمة وسورة البرية وسورة منفكين مدنية ثمان آيات. وأربع وتسعون كلة. وثلاثمائة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى (والمشركين) أي عبدة الاصنام (منفكين) عن كفرهم (حتى تأتيهم البينة) وهي الرسول وسمي بالبينة لان مجموع الاخلاق الحاصلة فيه كان بالغا الى حد كمال الاعجاز أي ان الكفار من الفريقين كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لاننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد عليه السلام فحكى الله تعالى ما كانوا يقولون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما أقرهم على الكفر الا مجيء الرسول وقيل ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وا جاءتهم البينة أي التي كانت ذاته بينة على نبوته وقيل المعنى لم يكن الذين كفروا منفكين عن ذكر محمد بالمناقب والفضائل حتى أتاهم بيان ماسبق ذكره في التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى من صفات محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والمشركون عطفا على الموصول (رسول من الله) بالرفع بدل كل من كل من البينة وقرأ عبد الله رسولا بالنصب حالا من البينة (يتلو صحفا) أي كتبا (مطهرة) أي منزهة عن الباطل (فيها كتب قيمة) أي في تلك الكتب أحكام مستقيمة تبين الحق من الباطل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة) أي وما اختلفوا في وقت من الاوقات الا من بعد ماجاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) والواو للحال واللام بمعنى الباء أي والحال ان هؤلاء الكفار ما أمروا في التوراة والانجيل الا بأن يعبدوا الله جاعلين عبادتهم خالصة له تعالى لايريدون برياء ولا سمعة وقرأ عبد الله الا أن يعبدوا الله بابدال اللام بأن (حنفاء) أي مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) أي وذلك المذكور من عبادة الله بالاخلاص واقام الصلاة واعطاء الزكاة دين المستقيم والهاء ههنا قافية السورة وقرئ الدين القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين

والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها) وبدأ الله بأهل الكتاب لأنهم كانوا يطعنون فى نبوته ﷺ فجنايتهم أعظم لأنهم أنكروا مع العلم به وأيضا انه صلى الله عليه وسلم كان يقدم حق الله على حق نفسه فكأنه تعالى قال له كما قدمت حقى على حقك فأنا أقدم حقك على حق نفسى فمن ترك الصلاة طول عمره لا يكفر ومن طعن فى شعرة من شعراتك يكفر فأهل الكتاب طعنوا فى الرسول والمشركون طعنوا فى الله (أولئك هم شر البرية) أى الخليقة فهم شر من السراق لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لأن الكبر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز فى الموضعين والباقون بياء مشددة (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) معدن النبيين والمقربين (تجرى من تحتها الأنهار) أى الاربعة وهى الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها أبدا) وخالدين حال من مقدر فعامله محذوف أى دخلوها ولا يجوز أن يكون حالا من هم فى جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى وقوله عند ربهم حال من جزاؤهم أو ظرف له وأبدا منصوب بخالدين (لطيفة) قال بعض الفقهاء لو قال لفلان على كذا فهو اقرار بالدين ولو قال لاشئ لى على فلان فهذا يختص بالدين وله أن يدعى الوديعة ولو قال لاشئ لى عند فلان انصرف الى الوديعة دون الدين ولو قال لاشئ لى قبل فلان انصرف الى الدين والوديعة معا اذا عرفت هذا فقوله عند ربهم يفيد انه وديعة والوديعة عين وهو أشرف من الدين (رضى الله عنهم) بأن يعظمهم ويمدحهم فان الرضا عن العامل غير الرضا بعمله (ورضوا عنه) أى فرحوا بما جازاهم من الثواب وبما أعطاهم من أنواع الكرامات (ذلك) أى المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) وصاحب الخشية هو العالم بشؤون الله تعالى فان الخشية مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة لسعادة الدينية والدنيوية

﴿ سورة الزلزلة مدنية وهى تسع آيات. وخمس وثلاثون كلمة. ومائة وتسعة وأربعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا زلزلت الأرض زلزالها) أى اذا تحركت الأرض حركة شديدة فانكسر ما عليها من الشجر والجبال والبنيان (وأخرجت الأرض أثقالها) أى أحمالها من الأموال أو الأموات ثم ان كان المراد من هذه الزلزلة الزلزلة الأولى فالمعنى أخرجت الارض الكنوز فى زمن بعد عيسى أو عند النفخة الأولى فيمتلئ ظهر الأرض ذهبا ولا يلتفت أحد اليه فكأن الذهب يصيح ويقول اما كنت تخرب دينك ودنياك لأجلى وان كان المراد منها الزلزلة الثانية عند النفخة الثانية فالمعنى أخرجت الأرض الموتى أحياء كالخروج من الام وقت الولادة أو لفظتهم ميتين كما دفنوا ثم يحييهم الله تعالى وذلك على الخلاف بين العلماء (وقال الانسان) أى الكافر بطريق التعجب والمؤمن بطريق الاستعظام (مالها) أى أى شئ ثبت للارض تزلزلت بهذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها (يومئذ) أى يوم اذ كان ما ذكر وهو بدل من اذا (تحدث أخبارها) جواب اذا وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وقرأ سعيد بن جبير تنبى بسكون النون بأن يجعل الله الأرض عاقلا ناطقا ويعرفها جميع ما عمل أهلها فحينئذ تشهد لمن أطاع وعلى من عصى (بأن ربك أوحى لها) والباء اما سببية متعلق بتحدث أى تحدث الأرض أخبارها بسبب أمره تعالى اياها بالتحديث بأخبارها واما تعدية لتحدث فتكون هذه الجملة بدلا من أخبارها

﴿ تفسير سورة الزلزلة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا زلزلت الارض زلزالها) أى اذا حركت حركة شديدة لقيام الساعة (وأخرجت الأرض أثقالها) أى كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها (وقال الانسان) يعنى الكافر الذى لا يؤمن بالبعث (مالها) انكارا لتلك الحال (يومئذ تحدث أخبارها) أى تخبر بما عمل عليها من خير وشر (بأن ربك أوحى لها) يعنى أمرها بالكلام وأذن لها

فالمعنى تحدث الأرض بأخبارها بأن ربك أذن لها فى الكلام (يومئذ) منصوب بيصدر أى يوم إذ يقع ما ذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب (أشتاتا) أى فرقا فرقا فريق يذهب الى الموقف راكبا مع الثياب الحسنة أبيض الوجه والمنادى بين يديه ينادى هذا ولى الله وفريق يذهب اليه حافيا عاريا مع السلاسل والاغلال أسود الوجه والمنادى ينادى بين يديه هذا عدو الله (ليروا أعمالهم) بضم الياء أى ليريهم الله تعالى أعمالهم مكتوبة فى الصحائف وهى توضع بين أيديهم والمرئى هو الكتاب وقرئ ليروا بفتح الياء وهو مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (فمن يعمل مثقال ذرة) أى وزن نملة صغيرة (خيرا يره) قال أحمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك فى الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها شئ ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر وهذا مروى عن ابن عباس أيضا (ومن يعمل مثقال ذرة) أى ميزان أصغر النمل (شرا يره) قال ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا الا أراه الله اياه فأما المؤمن فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته وقوله تعالى خيرا وشرا منصوبان على التمييز من مثقال أو على البدل من مثقال ويره جواب الشرط مجزوم بحذف الألف وقرأ ابن عباس والحسين بن على وزيد بن على وكذا عاصم فى رواية يره مبنيا للمفعول وقرأ عكرمة يراه بالالف

﴿ سورة والعاديات مكية احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والعاديات ضبحا) أى والخيل الجارية بشدة فى الغزو تصوت أنفاسهن من الجرى والضبح صوت يسمع من صدور الخيل عند شدة الجرى وليس بصهيل ولا حمحمة بل هو صوت نفس وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه أى وابل الحاج الجارية من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى تمد أعضاءها فى سيرها وضبحا حال بمعنى اسم الفاعل (فالموريات قدحا) أى فالخيل التى تطأ الحصى صاكات بحوافرها ما يخرج النار كنار حباحب وهو رجل من العرب أبخل الناس الذى فى العساكر لا يوقد نارا حتى ينام الناس ثم يوقدها فاذا انتبه أحد أطفأها لئلا ينتفع بها أحد فشبهت هذه النار التى تنقدح من حوافر الخيل بتلك النار التى لم يكن فيها نفع أو يقال فالجماعة الذين يركبون الابل وهم الحجيج الموقدون نيرانهم بالمزدلفة (فالمغيرات صبحا) أى فالجماعة الذين يركبون الخيل الذين يهجمون على الاعداء للنهب أو للقتل فى وقت صبح ليروا ما يأتون وما يذرون أو فالجماعة الذين يندفعون من جمع الى منى ركبانا باسراع السير صبيحة يوم النحر (فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا) أى فهيجن فى وقت الصبح أو بالجرى غبارا أو فهيجن فى الغار صباحا فتوسطن فى ذلك الوقت أو بالغبار جمعا من جموع الاعداء وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد أى أظهرن بجريهن غبارا وقرئ فوسطن بالتشديد أى جعلن جمع الاعداء فى ذلك الوقت أو فى ذلك المكان أو بجريهن أو بالغبار فى الوسط أو قطعن جمع الاعداء نصفين روى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت هذه الآيات وعن محمد بن كعب قال النقع ما بين مزدلفة ومنى والجمع مزدلفة فالمعنى فتحركن وقت الصبح أو بالجرى فى وادى محسر فصرن بجريهن وسط مزدلفة أو يكون المعنى فأظهرن فى ذلك الوقت أو فى جريهن صياحا بالتلبية فجعلن مزدلفة بجريهن فى الوسط ويتأكد حمل الآيات على الابل أو مع خيول الحجاج بما روى أبى فى فضل هذه

(يومئذ يصدر الناس) أى ينصرف الناس (أشتاتا) أى متفرقين عن موقف الحساب فآخذات اليمين وآخذات الشمال (ليروا أعمالهم) أى ثوابها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) أى يؤتى ثوابه يعنى المؤمن فى الآخرة والكافر فى الدنيا يراه فى نفسه وأهله وماله (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) يعنى يرى جزاءه المؤمن فى الدنيا بالأحزان والمصائب والكافر فى الآخرة

﴿تفسير سورة والعاديات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعاديات) يعنى الخيل فى الغزو (ضبحا) أى تضبح ضبحا وهو صوت أجوافها اذا عدت (فالموريات) وهى الخيل التى تورى النار (قدحا) يعنى بحوافرها اذا عدت فى الارض ذات الحجارة بالليل (فالمغيرات صبحا) يعنى الخيل تغير على العدو وقت الصبح وانما يغير أصحابها ولكن جرى الكلام عليها (فأثرن) أى هيجن (به) أى بمكان عدوها (نقعا) يعنى غبارا (فوسطن) أى توسطن (به) أى بالمكان الذى هى به (جمعا) من الناس أغارت عليهم يريد صارت فى وسط قوم من العدو تغير عليهم

السورة مرفوعا من قرأها أعطى من الأجر بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا (ان الانسان لربه لكنود) أى ان طبع جنس الانسان لكفور بنعمة ربه كما قاله ابن عباس وغيره وهذا بلسان ربيعة ومضر أو لربه لوام فيعد المصائب والمحن وينسى النعم والراحات كما قاله الحسن ويقال عاص بربه بلسان حضرموت ويقال بخيل بلسان بنى مالك بن كنانة وقيل المراد بالانسان الكافر كما قال ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشى وقيل فى أبى حباحب أى وهما كافران (وانه على ذلك لشهيد) أى وان الرب تعالى على ذلك الصنع لشهيد حافظ (وانه) أى الانسان (لحب الخير) أى المال (لشديد) أى قوى ولطلبه مطيق أو ان الانسان وهو قرط أو أبو حباحب لأجل حب المال لبخيل ممسك (أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور) أى أفلا يعلم الانسان قرط أو أبو حباحب فى الدنيا انه تعالى يجازيه اذا أخرج ما فى القبور من الأموات والعامل فى اذا ما دل عليه قوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير ومعنى علم الله بهم يوم القيامة مجازاته لهم وأتى بما لان غير المكلفين الذين فى الأرض أكثر (وحصل ما فى الصدور) أى بين ما فى القلوب من الكفر والايمان والبخل والسخاوة وقرئ حصل مبنيا للفاعل ومخففا أى ظهر ما فى القلوب من الأسرار الخفية (ان ربهم) أى الانسان (بهم يومئذ لخبير) وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير وجمع الضمير العائد الى الانسان اعتبارا بمعناه لأنه اسم جنس أى أفلا يعلم الانسان ان ربهم عالم بهم يجازيهم فى يوم البعث فلا حاكم يروج حكمه ولا عالم تروج فتواه يومئذ الا هو وقرأ أبو السمال أن ربهم بهم يومئذ خبير بفتح همزة أن واسقاط اللام من لخبير

﴿ سورة القارعة مكية عشر آيات وست وثلاثون كلمة . ومائة واثنان وخمسون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(القارعة) أى الصيحة التى تقرع القلوب (ما القارعة) أى أى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة (وما أدراك ما القارعة) أى وأى شئ أعلمك يا أشرف الرسل ما شأن القارعة (يوم يكون الناس) ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين أى هى يوم يكون الناس فيه (كالفراش المبثوث) أى المفرق فالله تعالى شبه الناس فى وقت البعث بالفراش المنشور فى الكثرة والتطاير الى الداعى لأنهم لما بعثوا يموج بعضهم فى بعض كالفراش وهو الحيوان الذى يتهافت فى النار (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أى وتصير الجبال كالصوف الذى ينفش باليد فى تفرق أجزائها وتطايرها فى الجو (فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية) أى فمن ترجحت مقادير حسناته فهو فى عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها أى فهو فى الجنة بغير حساب أما من استوت حسناته وسيئاته فيحاسب حسابا يسيرا (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية) أى وأما من طاشت حسناته فترجحت السيئات على الحسنات فأم رأسه نازلة فى النار أى فيهوى فى النار على هامته ثم ان كان مؤمنا فاما أن يعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج منها الى الجنة واما أن يشفع فيه وان كان كافرا فيخلد فى النار (وما أدراك ماهيه) أى وأى شئ أعلمك يا أكرم الرسل ما هاويه والهاء للسكت وقرأ حمزة فى الوصل بغير هاء ووقف بها والباقون باثباتها وصلا ووقفا لأنها ثابتة فى المصحف (نار حامية) أى هى نار متناهية حرها فسائر النيران بالنسبة اليها كأنها ليست حارة نعوذ بالله منها ومن جميع أنواع العذاب

(ان الانسان) جواب القسم (لربه لكنود) أى لكفور يعنى الكافر يجحد نعم الله (وانه) أى وان الله على كنوده (لشهيد وانه لحب الخير لشديد) وانه لأجل حب المال لبخيل (أفلا يعلم) هذا الانسان (اذا بعثر) أى قلب وأثير (ما فى القبور) يعنى اذا بعث الموتى (وحصل) أى بين وأبرز (ما فى الصدور) أى من الكفر والايمان (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) أى عالم فيجازيهم على كفرهم فى ذلك اليوم وانما قال بهم لأن الانسان اسم الجنس والله أعلم بتأويل كلامه

﴿ تفسير سورة القارعة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(القارعة) أى القيامة لأنها تقرع القلوب بأهوالها (وما أدراك) أعلمك (ما القارعة) تفخيم لشأنها وتهويل كما قلنا فى الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) أى كغوغاء الجراد لا تتجه لجهة واحدة كذلك الناس اذا بعثوا ماج بعضهم فى بعض للحيرة والمبثوث المفرق (وتكون الجبال كالعهن) يعنى كالصوف (المنفوش) أى المندوف لخفة سيرها (فأما من ثقلت موازينه) بالحسنات (فهو فى عيشة راضية) أى فى جنة يرضاها (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية) أى فمسكنه النار (وما أدراك ماهيه) أى ما هاويه ثم فسرها فقال (نار حامية) أى شديدة الحرارة

﴿ سورة التكاثر مكية ثمان آيات . وثمان وعشرون كلمة . ومائة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ألهاكم التكاثر) أى شغلكم التغالب بالمناقب و بكثرة المال وعدد الرجال والتباهى بذلك عن التدبير فى أمر القارعة والاستعداد لها قبل الموت روى أن بنى عبدمناف و بنى سهم تفاخروا بالأشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبدمناف فقال بنو سهم ان البغى أفنانا فى الجاهلية فعدوا أحياءنا وأحياءكم وأمواتنا وأمواتكم ففعلوا فكثرهم بنو سهم فنزلت فيهم هذه السورة و روى مطرف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه أنه ﷺ كان يقرأ ألهاكم وقال ابن آدم يقول مالى مالى وهل لك من مالك الاما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقرىء أألهاكم على الاستفهام التقريرى (حتى زرتم المقابر) أى حتى أتاكم الموت فصرتم فى المقابر زوارا تسيرون عنها الى مكان الحساب يقال لمن مات قدزار قبره وانما يقال ذلك لأنه لابدله من انتقال عنها الى منزله من جنة أونار (كلا سوف تعلمون) أى حقا سوف تعلمون عند الموت حين يقال لكم لا بشرى و فى وقت سؤال القبر (ثم كلا سوف تعلمون) عند النشور حين ينادى المنادى فلان شقى شقاوة لاسعادة بعدها أبدا وحين يقال وامتازوا اليوم (كلا لو تعلمون علم اليقين) وجواب لو محذوف أى حقا لو علمتم لأى أمر خلقتم لاشتغلتم به وماتفاخرتم فى الدنيا و يقال ان المعنى لو تعلمون علم الموت ومايلقى الانسان معه و بعده فى القبر وفى الآخرة لم يلهكم التفاخر عن ذكر الله (لترون الجحيم) وهذا جواب قسم محذوف أى والله لترون عذاب الجحيم فانها يراها المؤمنون أيضا فكان الوعيد فى رؤية عذابها لافى رؤية نفسها وقرأ ابن عامر والكسائى بضم التاء أى انهم يحشرون الى الجحيم فيرونها (ثم لترونها عين اليقين) أى ثم لترون نفس الجحيم بعين اليقين فانهم فى المرة الأولى رأوا لهبا لاغير وفى المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية ولاشك أن هذه الرؤية أجلى والحكمة فى النقل من العلم الأخفى الى الأجلى التقريع على ترك النظر لأنهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة (ثم لتسئلن يومئذ) أى يوم رؤية الجحيم (عن النعيم) فى الدنيا فسؤال المؤمن سؤال تشريف وتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة لأنه شكر النعم وسؤال الكافر توبيخ وتقريع لأنه ترك الشكر حيث قابل نعيم الدنيا بالكفر والعصيان و روى الحاكم فى الحديث الايستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أومايستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر

﴿ سورة والعصر مكية ثلاث آيات. وأربع عشرة كلمة. وثمانية وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والعصر) أى الدهر أقسم الله به لأنه مشتمل على الأعاجيب لأنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر بل فيه ماهو أعجب من كل عجيب أوهو العشى أقسم تعالى بالعصر كما أقسم بالضحى فان كل عشية تشبه تخريب الدنيا بالموت وكل بكرة تشبه القيامة يخرجون من القبور وتصير الأموات أحياء وقال الحسن انما أقسم الله بهذا الوقت تنبيها على أن الاسواق قددنا وقت انتهائها وقرب وقت انتهاء التجارة فيها أوهو صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها روى أن امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى صلى الله عليه وسلم فرآها رسول الله ﷺ فسألها ماذا حدث فيك قالت يارسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فجاءنى ولد من الزنا فألقيت الولد فى دن

﴿ تفسير سورة التكاثر ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ألهاكم) شغلكم (التكاثر) بالأموال والأولاد والعدد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) أى حتى أدرككم الموت على تلك الحال نزلت فى اليهود وقالوا نحن أكثر من بنى فلان و بنوا فلان أكثر من بنى فلان أى ألهاكم ذلك حتى متم ضلالا وقيل عام (كلا) ليس الأمر الذى ينبغى أن تكونوا عليه التكاثر (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ماكنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) فى القبر والتأكيد تكرير للتهديد (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو علمتم الأمر حق علمه لشغلكم ذلك عما أنتم فيه وجواب لو محذوف ثم ابتدأ فقال (لترون الجحيم ثم لترونها) تأكيد أيضا (عين اليقين) أى عيانا لستم عنها بغائبين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى عن الامن والصحة فيما أفنيتموهما

﴿ تفسير سورة العصر ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والعصر) هو الدهر أقسم الله به

من الحل حتى مات ثم بعد ذلك الحل فهل لى من توبة فقال صلى الله عليه وسلم أما الزنا فعليك الرجم وأما قتل الولد فجزاؤه جهنم وأما بيع الحل فقد ارتكبت كبيرا لكن ظننت أنك تركت صلاة العصر ففى هذا الحديث اشارة الى تفخيم أمر هذه الصلاة (ان الانسان لفى خسر) أى لفى غبن فى مساعيهم وصرف أعمارهم فى مباغيهم أو فى نقصان عمله بعد الهرم والموت (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم فى تجارة لن تبور حيث استبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات (وتواصوا بالحق) أى تحاثوا بكل ما حكم الشرع بصحته من علم وعمل (وتواصوا بالبر) أى تحاثوا بالصبر على أداء فرائض الله واجتناب معاصيه وعلى الرزايا

﴿ سورة الهمزة مكية . تسع آيات . وأربع وثمانون كلمة . ومائة واحدى وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل) أى شدة عذاب أو واد فى جهنم من قيح ودم (لكل همزة) أى مغتاب الناس من خلفهم (لمزة) أى طعان فى وجوههم نزلت هذه الآية فى أخنس بن شريق فانه كان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قاله عطاء والكلبى والسدى أو فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه كما قاله مقاتل وجريج أو فى أبى بن خلف كما قاله عثمان ابن عمر أو فى أمية بن خلف كما قاله محمد بن اسحق أو فى جميل بن فلال كما قاله مجاهد (الذى جمع مالا وعدده) أى أحصاه وقال الأخفش اى جعله ذخيرة لحوادث الدهر وقال الضحاك أى أعد ماله لمن يرثه من أولاده وقيل أى فاخر بكثرة عدد وقرأ حمزة والكسائى وابن عامر جمع بتشديد الميم على التكثير وقرأ الحسن والكلبى وعدده بتخفيف الدال وهو معطوف على مالا أى وجمع المال وعدد ذلك المال أو وجمع عدد نفسه من أقاربه وعشيرته الذين ينصرونه وقيل هو فعل ماض بفك الادغام (يحسب أن ماله أخلده) أى يظن الكافر أن ماله جعله خالدا فى الدنيا لا يموت لطول أمله ولفرط غفلته ويعتقد أنه ان نقص ماله يموت لبخله قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه كالموت وقيل يظن أن المال يخلد صاحبه فى الدنيا بالذكر الجميل وفى الآخرة فى النعيم المقيم وهذا تعريض بالعمل الصالح (كلا) أى ليس الأمر كما يظن أن المال يخلده بل العلم والصلاح وعلى هذا يجوز الوقف هنا أو بمعنى حقا (لينبذن فى الحطمة) أى والله ليطرحن فى النار التى تحطم كل من وقع فيها أى تكسره وقرئ لينبذان بالتثنى أى هو وماله وقرئ لينبذن بضم الذال أى هو وأنصاره وذلك لان شأنه كسر أعراض الناس فان الجزاء من جنس العمل (وما أدراك ما الحطمة) التى هى جزاء الهمزة اللمزة (نار الله الموقدة) أى التى لا تخمد أبدا بقدرته تعالى (التى تطلع على الأفئدة) أى التى تعلو وساط القلوب فانها محل العقائد الزائغة ومنشأ الأعمال السيئة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة أو مغلقة (فى عمد ممددة) اى حال كونهم موثقين فى عمد ممددة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص اللهم أجرنا منها يا أكرم الأكرمين والعمود كل مستطيل من خشب أو حديد وقرأ حمزة والكسائى وشعبة عمد بضمتين جمع عمود أو عماد وروى عن أبى عمرو الضم والسكون وقرأ الباقون بفتحتين وهو على القراءتين جمع كثرة لعمود

﴿ سورة الفيل مكية . خمس آيات . وثلاث وعشرون كلمة . وستة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ألم تر) أى ألم تخبر يا أشرف الخلق أو ألم تعلم علما رصينا باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة

(ان الانسان) يعنى الكافر العامل بغير طاعة الله (لفى خسر) أى خسران يعنى أنه يخسر أهله ومنزله فى الجنة (الا الذين آمنوا) فانهم ليسوا فى خسر (وتواصوا بالحق) أى أوصى بعضهم بعضا بالاقامة على التوحيد والايمان (وتواصوا بالصبر) أى على طاعة الله والجهاد فى سبيله ويروى مرفوعا أن قوله ان الانسان لفى خسر يعنى به أبا جهل الا الذين آمنوا يعنى أبا بكر وعملوا الصالحات يعنى عمر وتواصوا بالحق يعنى عثمان وتواصوا بالصبر يعنى عليا رضى الله عنهم

﴿ تفسير سورة الهمزة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة) يعنى الانسان الذى يغتاب الناس ويغضبهم نزلت فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم (الذى جمع مالا وعدده) أى أعده للدهر وقيل أكثر عدده (يحسب أن ماله أخلده) فى الدنيا حتى لا يموت (كلا) أى ليس الأمر على ما يحسب (لينبذن فى الحطمة) أى ليطرحن فى النار وقوله (التى تطلع على الأفئدة) أى يبلغ ألمها واحراقها الى الأفئدة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة (فى عمد) جمع عمود (ممددة) قيل يعنى أوتاد الاطباق التى تطبق عليهم ومعنى فى عمد أى بعمد وقيل انها عمد يعذبون بها فى النار

﴿ تفسير سورة الفيل ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم تر) أى ألم تعلم وقيل ألم تخبر

(كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال قتادة ان قائد الجيش اسمه ابرهة الأشرم من الحبشة فقال سعيد بن جبير هو أبو الكيشوم (ألم يجعل كيدهم فى تضليل) والهمزة للتقرير أى قد جعل ربك كيدهم فى تخريب الكعبة فى ابطال بأن دمرهم أشنع تدمير (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أى طوائف روى ابن سيرين عن ابن عباس قال كانت تلك الطير طير الماخراطيم كخراطيم الفيل وأكف كأكف الكلاب وروى عطاء عنه قال طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا وقيل كانت بلقاء كالخطاطيف كما قالته عائشة وقال سعيد بن جبير كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السماء والارض تعشش وتفرخ (ترميهم بحجارة من سجيل) اى طين متحجر مصنوع للعذاب وقيل بحجارة من جهنم فان سجين اسم من أسماء جهنم فأبدلت النون باللام (فجعلهم كعصف مأكول) اى كورق زرع أكلته الدود روى ان ابرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج من بنى كنانة رجل وتغوط فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل اسمه محمود كان قويا عظيما واثناعشر فيلا غيره فلما بلغ قريبا من مكة وهو المغمس وهو فى أرض الحل قريب من عرفة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل محمودا فكانوا كلما وجهوه الى جهة الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى غيرها من الجهات هرول ثم رجع عبد المطلب وأتى البيت وأخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرء يمنع حله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

ويقول أيضا

يارب لاأرجولهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا قراكا

فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة ليست بنجدية ولاتهامية وكان مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا ودوى ابرهة فتساقطت أنامله وأعضاؤه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر وخر ميتا بين يديه وهذه القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة قريش مكية . أربع آيات . وسبع عشرة كلمة . وثلاثة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لايلاف قريش) واللام اما متعلقة بالسورة التى قبل هذه السورة واما متعلقة بالآية التى بعدها هذه اللام واما متعلقة بمحذوف فعلى الاول فان التقدير فجعلهم كعصف مأكول لحب قريش الخ أى أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وماقد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف روى أن عمر رضى الله عنه قرأ فى صلاة المغرب فى الركعة الاولى والتين وفى الثانية ألم تر ولايلاف قريش معا من غير فصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم

كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل) أى ضلل كيدهم عما أرادوا من تخريب الكعبة (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) اى جماعات (ترميهم بحجارة من سجيل) أى من آجر (فجعلهم كعصف مأكول) أى كزرع أكلته الدواب فأفنته وداسته والعصف ورق الزرع

﴿ تفسير سورة قريش ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(لايلاف قريش) قيل هذه اللام تتصل بما قبلها على معنى أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وتألف رحلتيها وقيل معنى اللام التأخير على معنى فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش أى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة واعترافا بها ويقال ألف الشئ وآلفه بمعنى واحد والمعنى لالف قريش رحلتيها وذلك انه كانت لهم رحلتان رحلة فى الشتاء الى اليمن ورحلة فى الصيف الى الشام وبهما كانت تقوم معايشهم وتجاراتهم وكان لايتعرض لهم فى تجاراتهم أحد يقول هم سكان حرم الله وولاة بيته فمن الله عليهم بذلك وقال

وان أبي بن كعب جعلهما فى مصحفه سورة واحدة وعلى الثانى فالتقدير فليعبدوا رب هذا البيت الذى قصده أصحاب الفيل ثم ان رب البيت دفعهم عن مقصودهم لاجل ايلاف قريش ونفعهم أى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة وعلى الثالث فان هذه اللام لام التعجب فكأن المعنى اعجبوا لايلاف قريش وذلك لانهم كل يوم يزدادون غيا وانهماكا فى عبادة الاوثان والله تعالى يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم وينظم أسباب معايشهم وذلك لاشك أنه فى غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه (ايلافهم) بدل من ايلاف الأول لان البدل منه مطلق والبدل مقيد بالمفعول به أو توكيد لفظى فرحلة مفعول لايلاف الاول وقرأ ابن عامر لالاف قريش بغير ياء بعد الهمزة والباقون بياء بعدها وأجمع الكل على اثبات الياء فى الثانى أى لمؤالفتهم قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق فى هذين الحرفين أن القراء اختلفوا فى سقوط الياء وثبوتها فى الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات الياء فى الثانى مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطا فهذا أدل دليل على أن القراء متبعون الأثر والرواية لا لمجرد الخط وقرأ أبو جعفر لالف قريش الفهم بكسر الهمزة وسكون اللام بزنة حمل وعن ابن عامر الافهم بزنة كتابهم كما روى عن ابن كثير أيضا وروى عن ابن عامر أيضا كما روى عن عكرمة ليلاف قريش بياء ساكنة بعد اللام وقرأ عكرمة ليألف قريش فعلا مضارعا وعنه أيضا ليألف على الأمر (رحلة الشتاء والصيف) أى انتقالها أى كانت لقريش رحلتان رحلة بالشتاء الى اليمن لأنها أدفأ وبالصيف الى الشام فكانت أشراف أهل مكة يرحلون للتجارة هاتين الرحلتين ويأتون لأهل بلدهم ما يحتاجون اليه من الأطعمة والثياب وانما كانوا يربحون فى أسفارهم لان ملوك النواحى كانوا يعظمون أهل مكة ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة حتى انهم كانوا يسمون أهل مكة أهل الله فلو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز ولبطلت تلك المزايا من التعظيم والاحترام ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحى يتخطفون من كل جانب ويتعرض لهم فى نفوسهم وأموالهم فلما أهلك الله أصحاب الفيل ازدادت قيمة أهل مكة فى القلوب وازداد تعظيم ملوك الأطراف لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلهذا قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل لايلاف قريش رحلتى الشتاء والصيف هذا وتعلق أول هذه السورة بما قبلها من قوله تعالى فعل ربك أو من قوله تعالى فجعلهم كعصف ليس بحجة على أنهما سورة واحدة لان القرآن كله كالسورة الواحدة وكالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها معنى بعض ألا ترى أن قوله تعالى انا أنزلناه متعلق بما قبله من ذكر القرآن وأما قراءة سيدنا عمر رضى الله عنه فانها لا تدل على أنهما سورة واحدة لان الامام قد يقرأ سورتين فى ركعة واحدة وقيل ان المراد رحلة الناس الى أهل مكة فرحلة الشتاء والصيف عمرة رجب وحج ذى الحجة لانه كان أحدهما شتاء والآخر صيفا وموسم منافع مكة يكون بهما ولو كان تم لأصحاب الفيل ما أرادوا لتعطلت هذه النفعة وقرئ رحلة بضم الراء وهى الجهة التى يرحل اليها (فليعبدوا رب هذا البيت) قال الخليل وسيبويه ان اللام فى لايلاف متعلقة بقوله فليعبدوا ودخول الفاء فيه لما فى الكلام من معنى الشرط وذلك لان نعم الله عليهم لا تحصى فكأنه قيل ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة وهى ايلافهم رحلتى الشتاء والصيف والمعنى لجعلهم محبين لهما مسترزقين بهما لتيسيرهما عليهم فليعبدوه تعالى (الذى أطعمهم من جوع) أى من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد فى البر والبحر بواسطة كونهم جيران البيت (وآمنهم من خوف) أى من خوف دخول العدو عليهم ومن خوف زحمة

(فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع) أى بعد جوع وكانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الميتة والجيفة ثم كشف الله ذلك عنهم (وآمنهم من خوف) فلا يخافون فى الحرم الغارة ولا يخافون فى رحلتهم

﴿ تفسير سورة الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(أرأيت الذى يكذب بالدين) نزلت فى العاص ابن وائل وقيل فى الوليد ابن المغيرة وقيل فى أبى سفيان وذلك أنه نحر جزورا فأتاه يتيم يسأله فقرعه بعصاه فذلك قوله (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بجفوة عن حقه (ولا يحض على طعام المسكين) أى لا يطعم المسكين ولا يأمر باطعامه (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى غافلون يؤخرونها عن وقتها (الذين هم يراءون) يعنى المنافقين يصلون فى العلانية ويتركون الصلاة فى السر (ويمنعون الماعون) أى الزكاة المفروضة وما فيه منفعة من العارية الفاس والقدر والماء والملح

أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقال الضحاك والربيع أى آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدتهم جذام وقيل آمنهم من خوف الضلال بالاسلام فقد كانوا فى الكفر يتفكرون فيعلمون أن الدين الذى هم عليه ليس بشئ الا أنهم ما كانوا يعرفون الدين الذى يجب على العاقل أن يتمسك به فكانت نعمة الامانة دينية فلا تحصل الا لمن كان تقيا أما نعمة الدنيا فهى تصل الى البر والفاجر والصالح والطالح

﴿ سورة الماعون وتسمى سورة الدين وسورة أرأيت مكية ومدنية سبع آيات. وخمس وعشرون كلمة . ومائة وثلاثة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(أرأيت الذى يكذب بالدين) فرأى اما بصرية فالمعنى أأبصرت المكذب بالجزاء أو بالاسلام أوهل عرفته واما بمعنى أخبرنى الذى يكذب بالحساب من هو ويدل على هذا قراءة عبد الله بن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والكاف لا تلحق البصرية وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش ابدالها ألفا وأسقطها الكسائى ولم يصح عن العرب ريت ولكن لما كان حرف الاستفهام فى أول الكلام سهل حذف الهمزة (فذلك الذى يدع اليتيم) والفاء جواب شرط محذوف أى ان أردت ان تعرف المكذب بالحساب فذلك الذى يدفع اليتيم بعنف عن حقه وقرئ يدع اليتيم أى يتركه ولا يدعوه أى يدعو جميع الاجانب ويترك اليتيم أى يترك المواساة معه وان لم تكن المواساة واجبة وقد يذم المرء بترك النوافل وقرئ يدعو اليتيم أى يدعوه رياء ثم لا يطعمه وانما يدعوه استخداما أو قهرا (ولا يحض على طعام المسكين) أى ولا يحث أهله وغيرهم من الموسرين على صدقة المساكين قال ابن جريج نزلت هذه الآية فى أبى سفيان كان ينحر جزورين فى كل أسبوع فأتاه يتيم فسأله لحما فقرعه بعصاه وقال مقاتل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال القبيحة وحكى الماوردى أنها نزلت فى أبى جهل روى أنه كان وصيا ليتيم فجاءه وهو عريان يسأله شيئا من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبى فقال له أكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو صلى الله عليه وسلم ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى أبى جهل فرحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش فقالوا صبوت فقال لا والله ما صبوت لكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم أجبه يطعنها فى وقال السدى نزلت فى الوليد بن المغيرة وقال الضحاك نزلت فى عمرو ابن عائذ المخزومى وقال عطاء عن ابن عباس نزلت فى رجل من المنافقين (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) والنسيان عن الصلاة هو أن يبقى الانسان ناسيا لذكر الله فى جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا عن المنافق الذى يعتقد أنه لا فائدة فى الصلاة أما المسلم الذى يعتقد أن فيها فائدة دينية يمتنع أن لا يتذكر أمر الدين والثواب والعقاب فى شئ من أجزاء الصلاة بل قد يحصل له السهو فى الصلاة بمعنى أنه يصير ساهيا فى بعض أجزاء الصلاة فثبت أن السهو فى الصلاة من أفعال المؤمن والسهو عن الصلاة من أفعال الكافر (الذين هم يراءون) بصلاتهم فاذا فاتتهم مع الناس تركوها بالمرة والمرائى من يظهر الاعمال عند الناس مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء (ويمنعون الماعون) أى ويمنعون الناس الزكاة أو يمنعون الطالبين منافع البيت كالفاس والقدوم والابرة والقدر والقصعة والمغرفة والمقدحة والغربال والدلو والملح والماء والنار

﴿ سورة الكوثر وتسمى سورة النحر مكية وهي ثلاث آيات. وعشر كلمات. واثنان وأربعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا أعطيناك) وقرئ أنطيناك يا أشرف الخلق (الكوثر) أى الخير المفرط فى الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيرى الدارين فان كتاب محمد هو الكتاب المهيمن على كتاب آدم وصحف ابراهيم وموسى وتحديه بالقرآن وذلك أعلاه كما تحدى آدم بالأسماء وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء ومعه عكرمة بن أبي جهل فقال لئن كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى هو فى الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فأشار الرسول اليه فانقلع الحجر الذى أشار اليه من مكانه وعام حتى صار بين يدى الرسول وسلم عليه وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا قال حتى يرجع الى مكانه فأمره النبي ﷺ فرجع الى مكانه وهذا أعظم من امساك سفينة نوح على الماء وعن محمد بن حاطب قال كنت طفلا فانصب القدر على من النار فاحترق جلدى كله فحملتني أمي الى الرسول ﷺ وقالت هذا ابن حاطب احترق كما ترى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلدى ومسح بيده على المحترق منه وقال أذهب البأس رب الناس فصرت صحيحا لا بأس بي وذلك أعظم من جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم وأكرم الله محمدا فلق له القمر فوق السماء وفجر له أصابعه عيونا وكان الغمام يظله وأعطاه الله القرآن الذى وصل نوره الى الشرق والغرب ولما أراد أبو جهل أن يرميه بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا كما أكرم الله موسى ففلق له البحر فى الارض وفجر له الماء من الحجر وظلل عليه الغمام وأكرمه باليد البيضاء وقلب عصا موسى ثعبانا وسبحت الاحجار فى يد الرسول وأصحابه وكان هو المسبح الشاة الجرباء درت وأكرمه الله بالبراق كما سبحت الجبال مع داود واذا مسح الحديد لان وأكرمه الله بالطير المحشورة وأضاف الرسول اليهود بالشاة المسمومة فلما وضع اللقمة فى فيه أخبرته وروى أن امرأة معاذ بن عفراء أتته وكانت برصاء وشكت ذلك الى الرسول فمسح عليها رسول الله بغصن فأذهب الله عنها البرص وحين سقطت حدقة الرجل يوم أحد فرفعها وجاء بها الى الرسول فردها الى مكانها وعرف ما أخفاه عمه مع أم الفضل فأخبره فأسلم العباس لذلك كما أكرم الله عيسى عليه السلام باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ومعرفة ما يخفيه الناس فى بيوتهم وحين نام رسول الله ورأسه فى حجر على فانتبه وقد غربت الشمس فردها وصلى وردها مرة أخرى لعلى فصلى العصر فى وقته وروى أن طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذه بولدها فقال رجل أنا فقال اردد اليها ولدها وأكرمه الله بالمسير الى بيت المقدس فى ساعة وكان يرسل حماره يعفورا الى من يريده فيجئ به وأرسل معاذا الى بعض النواحى فلما وصل الى المفازة فاذا أسد جاثم فهاله ذلك ولم يستجز أن يرجع فتقدم وقال أنا رسول رسول الله فانصرف وانقاد الجن له صلى الله عليه وسلم وحين جاء الاعرابى بالضب وقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فتكلم الضب معترفا برسالته وحين كفل الظبية حين أرسلها الاعرابى رجعت تعدو حتى أخرجته من الكفالة كما رد الله لسليمان الشمس مرة وعلم منطق الطير وأكرمه الله بمسيره غدوة مسيرة شهر وانقاد الجن له فلما كانت رسالته ﷺ كذلك جاز أن يسميها الله تعالى كوثرا فقال انا أعطيناك الكوثر قال عطاء الكوثر حوض النبي ﷺ فى الموقف والمستفيض عند السلف والخلف أنه نهر فى الجنة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه

﴿تفسير سورة الكوثر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أعطيناك الكوثر) قيل هو نهر فى الجنة حافتاه الدر وقيل الخير الكثير

أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية أنس أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بنهر يجرى بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل وحافتاه خيام الدر فضربت بيدى الى مجرى الماء فاذا الثرى مسك أذفر فقلت لجبريل ماهذا قال الكوثر الذى أعطاكه الله تعالى (فصل لربك) أى فدم على الصلاة خالصا لوجه ربك الذى أفاض عليك هذه النعمة الجليلة خلاف الساهين عنها المرائين فيها أداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانحر) أى استقبل القبلة بنحرك كما قاله ابن عباس والفراء والكلبي وأبو الاحوص كأنه تعالى يقول الكعبة بيتى وهى قبلة صلاتك وقلبك قبلة رحمتى ونظر عنايتى فلتكن القبلتان متناحرتين أى متقابلتين (ان شانئك هو الابتر) أى ان مبغضك هو المنقطع عن كل خير وهو أبو جهل كما قاله ابن عباس روى أن أباجهل اتخذ ضيافة لقوم ثم انه وصف رسول الله بالابتر ثم قال قوموا حتى نذهب الى محمد وأصارعه وأجعله ذليلا حقيرا فلما وصلوا الى دار خديجة وتوافقوا على ذلك أخرجت خديجة بساطا فلما تصارعا جعل أبوجهل يجتهد فى أن يصرعه و بقى ﷺ واقفا كالجبل ثم بعد ذلك رماه النبي صلى الله عليه وسلم على أقبح وجه فلما رجع أخذ باليد اليسرى فصرعه على الأرض مرة أخرى ووضع قدمه على صدره أو هو أبو لهب كما قاله عطاء فانه صلى الله عليه وسلم لما شافهه بقوله تبالك كان أبو لهب يقول فى غيبته أنه صلى الله عليه وسلم أبتر فنزلت هذه الآية أو هو العاص بن وائل السهمى كما قاله عكرمة روى أن العاص بن وائل كان يقول ان محمدا أبتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه وكان قد مات ابنه عبدالله من خديجة وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وعامة أهل التفسير أو هو عقبة بن أبى معيط كما قاله شمر ابن عطية فانه هو الذى كان يقول ذلك و وصف الله تعالى العدو بكونه شانئا اشارة الى وعده تعالى لرسوله بقهر العدو كأنه تعالى يقول هذا الذى يبغضك لا يقدر على شئ آخر سوى أنه يبغضك فيحترق قلبه غيظا وحسدا

﴿ سورة الكافرون وتسمى أيضا سورة المنابذة أو العابدة وسورة الاخلاص أى اخلاص العبادة وسورة المقشقشة أى المبرئة من النفاق وهى ست آيات. وستة وعشرون كلمة . وأربعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل) ياأشرف الرسل (يأيها الكافرون) روى أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبدالمطلب وأمية بن خلف قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يامحمد هلم حتى نعبد الهك مدة وتعبد آلهتنا مدة فيحصل الصلح بيننا و بينك وتزول العداوة من بيننا فان كان أمرك رشيدا أخذنا منه حظا وان كان أمرنا رشيدا أخذت منه حظا فنزلت هذه السورة فلما نزلت وقرأها على رؤسهم شتموه وأيسوا منه (لاأعبد ماتعبدون) أى لاأعبد الذى تعبدونه فى المستقبل والمعنى لاأفعل فى المستقبل ماتطلبونه منى من عبادة آلهتكم من دون الله من الأوثان (ولاأنتم عابدون ماأعبد) أى ولا أنتم عابدون فى المستقبل عبادتى أى مثل عبادتى أى ولا أنتم فاعلون فى المستقبل ماأطلبه منكم من عبادة الهى وهو الله الواحد (ولاأناعابد ماعبدتم) أى وما كنت قط عابدا فيما مضى الذين عبدتم فيه أى لم يعتد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى

(فصل لربك) أى صلاة العيد يوم النحر (وانحر) نسكك وقيل فصل لربك وانحر أى وضع يديك على نحرك فى صلاتك (ان شانئك) أى مبغضك (هو الابتر) أى المنقطع العقب وقيل المنقطع عن كل خير نزلت فى العاص بن وائل سمى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم
﴿ سورة الكافرون ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(قل يأيها الكافرون) نزلت فى رهط من قريش قالوا للنبي ﷺ نعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فأنزل الله هذه السورة (لاأعبد ماتعبدون) فى الحال (ولا أنتم عابدون) فى الحال (ما أعبد ولا أنا عابد) فى الاستقبال (ماعبدتم

منى فى الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى يوما عبدتم فى وقت من الأوقات مثل عبادتى وانما أخبر صلى الله عليه وسلم أولا عن الاستقبال لأنه هو الذى دعوه اليه فهو الأهم فبدأ به أما حكايته ﷺ عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل أنه ﷺ يعبد الأوثان سرا خوفا منها أو طمعا اليها وأما نفيه ﷺ عبادتهم فلأن فعل الكافر ليس بعبادة أصلا وان كان يعبد الله فى بعض الأحوال وانما قال ما أعبد فى الرابعة ولم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم فى الثالثة لأن عبادته ﷺ قبل البعثة لم تظهر لأحد بخلافها بعدها أما عبادة الكافر قبل البعثة وبعدها فظاهرة عند الناس (لكم دينكم) وهذا تثبيت لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون ولقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم (ولى دين) وهذا تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الاشراك مقصور لكم وان دينى الذى هو التوحيد مقصور لى كأنه ﷺ يقول انى نبى مبعوث اليكم لأدعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فاتركونى ولا تدعونى الى الشرك وقيل معنى الآية لكم حسابكم ولى حسابى ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه أثر البتة وقيل لكم العقوبة من ربى ولى العقوبة من أصنامكم لكن أصنامكم جمادات فأنا لا أخشى عقوبة الأصنام وقيل لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم والشياطين حتى تلقوا الشياطين والنار ولى عادتى المأخوذة من الملائكة والوحى حتى ألقى الملائكة والجنة وقرأ نافع وهشام وحفص بفتح ياء ولى وحذف ياء الاضافة من دين وقفا ووصلا السبعة وجمهور القراء وأثبتها فى الحالين سلام ويعقوب

﴿ سورة النصر وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا
وهى آخر سورة نزلت قاله ابن عباس. مدنية. وهى ثلاث آيات وثلاث
وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا جاء نصر الله) ان كان نزول هذه السورة قبل فتح مكة فاذا ظرف مستقبل جوابه فسبح فان كان النزول بعد الفتح فاذا بمعنى اذ التى للماضى فهى على هذا متعلقة بمقدر أى أكمل الله الأمر وأتم النعمة اذ حصل اعانة الله تعالى على عدوك (والفتح) أى فتح مكة وهو الفتح الذى يقال له فتح الفتوح وكان لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان فقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة ومعه عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب الى أن نزل بمر الظهران وقدم العباس وأبو سفيان اليه فاستأذنا فأذن لهما خاصة فقال أبو سفيان اما أن تأذن لى والا أذهب بولدى الى المفازة فنموت جوعا وعطشا فرق قلبه فأذن له وقال له ألم يأن أن تسلم وتوحد فقال أظن أنه واحد ولو كان ههنا غير الله لنصرنا فقال ألم يأن أن تعرف أنى رسوله فقال ان لى شكا فى ذلك فقال العباس أسلم قبل أن يقتلك عمر فقال وماذا أصنع بالعزى فقال عمر لولا أنك بين يدى رسول الله لضربت عنقك فقال يا محمد أليس الأولى أن تترك هؤلاء الأوباش وتصالح قومك وعشيرتك فكان مكة عشيرتك وأقاربك وتعرضهم للشن والغارة فقال ﷺ هؤلاء نصرونى وأعانونى وذبوا عن حريمى وأهل مكة أخرجونى وظلمونى فان هم أسروا فبسوء صنيعهم وأمر العباس بأن يذهب به ويوقفه على المرصاد ليطالع العسكر ثم تقدم أبو سفيان ودخل مكة وقال ان محمدا جاء بعسكر لا يطيقه أحد ولما سمع أبو سفيان أذان القوم للفجر وكانوا عشرة آلاف فزع من ذلك فزعا شديدا وسأل العباس فأخبره بأمر الصلاة ودخل رسول الله ﷺ مكة على راحلته ولحيته على قربوس سرجه كالساجد

ولا أنتم عابدون) فى الاستقبال (ما أعبد) فنفى عنهم عبادة الله فى الحال وفيما يستقبل وهذا فى قوم أعلمه الله أنهم لا يؤمنون ونفى أيضا عن نفسه عبادة الأصنام فى الحال وفيما يستقبل ليبأسوا منه فى ذلك (لكم دينكم) الشرك (ولى دين) الاسلام وهذا قبل أن يؤمر بالحرب

﴿ تفسير سورة النصر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) أتاك على من ناوأك من اليهود والعرب (والفتح) يعنى فتح مكة

تواضعا وشكرا ثم التمس أبو سفيان الأمان فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقال ومن تسع داري فقال ومن دخل المسجد فهو آمن فقال ومن يسع المسجد فقال من ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ثم وقف رسول الله ﷺ على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون أني فاعل بكم فقالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله ﷺ وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام وأقام ﷺ في مكة خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وقرئ فتح الله والنصر (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) أي وأبصرت الناس يدخلون في ملة الاسلام جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فسبح بحمد ربك) أي فقل سبحان الله حامدا له (واستغفره) أي واطلب غفرانه هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله واستدراكا لما فرط منك من ترك الأولى وكأنه تعالى يقول اذا جاء نصر الله إياك والمؤمنين والفتح ودخول الناس في دينك فاشتغل أنت بالتسبيح والحمد والاستغفار (انه كان توابا) أي انه تعالى يكثر قبول التوبة لكثير من التائبين والتوبة اسم للرجوع والندم والانسان قد يقول أستغفر الله وليس بتائب فيكون كاذبا وكان تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفي هذا تنبيه على أن خواتيم الأعمال يجب أن تكون بالتوبة والاستغفار وكذا خواتيم الأعمار وروى أنه ﷺ لم يجلس مجلسا الا ختمه بالاستغفار وعن عائشة كان نبي الله في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده فقلت يا رسول الله انك تكثر من قول سبحان الله وبحمده قال اني أمرت بها وقرأ اذا جاء نصر الله وعن ابن مسعود لما نزلت هذه السورة كان عليه السلام يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك أنت التواب الغفور قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأها النبي ﷺ على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي ﷺ ما يبكيك ياعم قال نعيت اليك نفسك أي أخبرت بموتك قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما ماروئي فيها ضاحكا مستبشرا وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فعاش النبي ﷺ بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من أنفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين يوما وقيل أحد عشر يوما وقيل سبعة أيام والله أعلم وتوفي ﷺ في ربيع الأول لاثني عشر خلت منه من هجرته الى المدينة والهجرة كانت لاثني عشر خلت من ربيع الأول كما أن مولده كذلك على المشهور

﴿ سورة أبي لهب وتسمى سورة تبت مكية خمس آيات . وثلاث وعشرون كلمة . وسبعة وسبعون حرفا ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تبت) أي هلكت (يدا أبي لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب (وتب) أي هلك هو فالأولى مشت مشية الدعاء عليه والثانية أخرجت مخرج الخبر أي وقد حصل الهلاك عليه فهذه الجملة على هذا على تقدير قد ويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تب بالتصريح بقد وقيل كل واحد من الجملتين أخبار ولكن أريد بالجملة الأولى هلاك عمله وبالثانية هلاك نفسه فان المرء انما يسعى لمصلحة نفسه وعمله فأخبر الله تعالى أنه محروم من الأمرين روي أن رسول الله ﷺ صعد الصفا ذات يوم وقال يا صباحاه فاجتمعت

(ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) أي جماعات بعدما كان يدخل واحد واحد وكان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال قد نعيت الي نفسي (فسبح بحمد ربك) أمره الله عز وجل أن يكثر التسبيح والاستغفار ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح

﴿ تفسير سورة تبت ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبت يدا أبي لهب وتب) لما نزل قوله وأنذر عشيرتك الأقربين صعد رسول الله ﷺ على الصفا ونادى بأعلى صوته يدعو قومه فاجتمعوا اليه فأنذرهم النار وقال اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ما دعوتنا الا لهذا فأنزل الله تبت يدا أبي لهب أي خابت وخسرت وتب يعني خسر هو ولما خوفه النبي ﷺ بالعذاب فقال ان كان ما يقوله ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه بمالي وولدي فقال الله تعالى

اليه قريش فقالوا مالك قال أرأيتم ان أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال عند ذلك أبو لهب تبالك ألهذا دعوتنا فنزلت هذه السورة وروي أنه قال فمالي ان أسلمت فقال ما للمسلمين فقال أفلا أفضل عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عماذا تفضل فقال تبا لهذا الدين أستوي فيه أنا وغيري روي أنه صلى الله عليه وسلم لما دعاه نهارا فأبى فلما جن الليل ذهب الى داره مستنا بسنة نوح ليدعوه ليلا كما دعاه نهارا فلما دخل عليه قال له جئتني معتذرا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم أمامه كالمحتاج وجعل يدعوه الى الاسلام وقال ان كان يمنعك العار فأجبني في هذا الوقت واسكت فقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الجدي فقال صلى الله عليه وسلم للجدي من أنا فقال رسول الله وأطلق لسانه يثني عليه صلى الله عليه وسلم فاستولى الحسد على أبي لهب فأخذ بيدي الجدي ومزقه وقال تبالك أثر فيك السحر فقال الجدي بل تبالك فنزلت هذه السورة على وفق ذلك تبت يدا أبي لهب لتمزيقه يدي الجدي وقد حصل له وجود الاعتقاد الباطل والقول الباطل والعمل الباطل (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أي أي تأثير كان لماله وكسبه في دفع البلاء عنه فانه لا أحداً أكثر مالا من قارون فهل دفع الموت عنه ولا أعظم ملكا من سليمان فهل دفع الموت عنه أو لا ينفع أبا لهب ماله وكسبه عند ذلك فما في ما أغنى النفي أو الاستفهام وما في ما كسب اما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أو استفهامية أي أي شيء كسب فينفعه روي أن أبا لهب كان يقول ان كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس أسد ولده عتيبة بالتصغير في طريق الشام فأنزل الله تعالى هذه الآية والكسب هو أرباح ماله وقيل نتاج ماشيته وقال ابن عباس وما كسب هو ولده والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال والعدسة بثرة تخرج بالبدن فتقتل (سيصلى نارا ذات لهب) أي سيدخل أبو لهب في الآخرة نارا عظيمة ذات اشتعال وقرئ بضم الياء وفتح اللام مخففا ومشددا (وامرأته) معه أم جميل العوراء بنت حرب أخت أبي سفيان صخر بن حرب واسمها العوراء وقيل اسمها أروى وقرئ ومريئته بالتصغير للتحقير (حمالة الحطب) وماتت مخنوقة بحبلها وكانت لشدة عداوتها النبي صلى الله عليه وسلم تحمل بنفسها الشوك والحطب فتنثره بالليل في طريق النبي ﷺ وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقرأ عاصم بالنصب على الشتم أو على الحال اذا أريد بحمل الحطب في مطلق الزمن وقرأ الباقون بالرفع على أنه نعت لامرأته اذا أريد به المضي وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا فالرفع على الخبر لامرأته والنصب على الشتم أو على الحال من امرأته ان جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير المستتر فانها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا لأذية الرسول وحينئذ فجملة في جيدها في موضع الحال من امرأته وان جعلناها مرفوعة بالابتداء فجملة في جيدها الخ هو الخبر (في جيدها حبل من مسد) أي من حديد في الآخرة فقد قال ابن عباس هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها افتلت من حديد فتلا محكما ويقال أي في عنقها رسن من ليف النقل وهو شجر المقل الذي اختنقت به وماتت قال قتادة والضحاك ان العوراء كانت تعير رسول الله بالفقر فعيرها الله بأنها كانت تحتطب في حبل من ليف تجعله في جيدها فخنقها الله تعالى به فأهلكها

﴿سورة الاخلاص وتسمى سورة المعرفة وسورة الجمال وسورة التوحيد وسورة النجاة وسورة النور وسورة المعوذة وسورة المانعة لانها تمنع فتنة القبر ولفحات النار وسورة البراءة لانها براءة من الشرك مكية أربع آيات. وخمس عشرة كلمة. وسبعة وأربعون حرفا﴾

(ما أغنى عنه ماله وما كسب) يعني ولده (سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب) أي نقالة الحديث الماشية بالنميمة وهي أم جميل أخت أبي سفيان (في جيدها) أي في عنقها حبل (من مسد) أي سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويلوى سائرها في عنقها والمسد كل ما أحكم به من الحبل

﴿تفسير سورة الاخلاص﴾

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

(قل هو الله أحد) ان هذه السورة نزلت بسبب سؤال المشركين قال الضحاك ان المشركين أرسلوا عامر بن الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا سببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فان كنت فقيرا أغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال صلى الله عليه وسلم لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة أنا رسول الله أدعوكم من عبادة الأصنام الى عبادته فأرسلوه ثانية وقالوا قل له بين لنا جنس معبودك أمن ذهب أو فضة فأنزل الله هذه السورة فقالوا له ثلاثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات الى قوله تعالى ان الهكم لواحد فأرسلوه أخرى وقالوا بين لنا أفعاله فنزل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعونا يا محمد فقال الى الله تعالى قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت هذه السورة وأهلك الله تعالى أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون وقيل نزلت بسبب سؤال النصارى روى عن ابن عباس قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك أمن زبرجد أو ياقوت أو ذهب أو فضة فقال ان ربي ليس من شئ لانه خالق الأشياء فنزل قل هو الله أحد قالوا هو واحد وأنت واحد فقال ليس كمثله شئ زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد فقال الذي يصمد اليه الخلق في الحوائج فقالوا زدنا فنزل لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا أحد أي ليس له نظير من خلقه وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى أنزل صفته في التوراة فأخبرنا من أي شئ هو وهل يأكل ويشرب ومن ورث ومن يرثه فنزلت هذه السورة وصفات الله تعالى اما أن تكون اضافية واما ان تكون سلبية أما الاضافية فكقولنا عالم قادر مريد خلاق وأما السلبية فكقولنا ليس بجسم ولا بجوهر ولا بعرض وقولنا الله يدل على مجامع الصفات الاضافية وقولنا أحد يدل على مجامع الصفات السلبية وذلك لان الله تعالى هو الذي يستحق العبادة واستحقاق العبادة ليس الا لمن يستبد بالايجاد فالاستبداد بالايجاد لا يحصل الا لمن كان موصوفا بالقدرة التامة والارادة النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات والمراد من الأحدية كون تلك الحقيقة في نفسها مفردة منزهة عن أنحاء التراكيب (الله الصمد) أي السيد المصمود اليه في الحوائج وقال ابن مسعود والضحاك الصمد هو السيد الذي قد انتهى سؤدده وقيل الصمد هو الذي ليس فوقه أحد فلا يخاف من فوقه ولا يرجو من تحته ترفع الحوائج اليه وقال قتادة الصمد الباقي بعد فناء خلقه والذي لا يأكل ولا يشرب وهو يطعم ولا يطعم وقال أبي بن كعب هو الذي لا يموت ولا يورث وله ميراث السموات والارض وقال ابن كيسان هو الذي لا يوصف بصفة أحد قال مقاتل بن حبان هو الذي لا عيب فيه (لم يلد) أي لم يصدر عنه ولد لانه لم يجانسه شئ (ولم يولد) أي لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه تعالى سابقا ولاحقا ويقال لم يلد لأنه ليس له ولد فيرث ملكه ولم يولد أي ليس له والد فيرث عنه الملك فلم يرث ولم يورث (ولم يكن له كفوا أحد) أي لم يشاكله أحد من صاحبة وغيرها فيمتنع أن يكون شئ من الموجودات مساويا له تعالى في شئ من صفات الجلال والعظمة ثم الآية الاولى تبطل مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة والنصارى في التثليث والصابئين في الافلاك والنجوم والآية الثانية تبطل مذهب من أثبت خالقا سوى الله لانه لو وجد خالق آخر لما كان الحق مصمودا اليه في

(بسم الله الرحمن الرحيم) روى أن قوما من المشركين قالوا للنبي ﷺ أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الله أحد الله الصمد) أي الذي سألتم بيان نسبته هو الله أحد الله الصمد السيد الذي قد انتهى اليه السودد وقيل الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وقيل هو المقصود اليه في الرغائب (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أي مثلا له




Bibliotheca Alexandrina
0588990